المملكة العربية السعودية
جامعــــة أم القــــرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيــدة



الطائفة الكاثوليكية فرقها - وعقائدها - وأثرها على العالم الإسلامي

إعداد:
محمد بن علي بن محمد آل عمر
الدارس بمرحلة الدكتوراه بجامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

إشراف فضيلة الشيخ:
أ.د محمود محمد مزروعة

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

بسم الله الرحمن الرحيم



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

كلية الدعوة وأصول الدين

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم الرباعي: محمد بن علي محمد الجمل الرقم الجامعي ٤٣٨٠٣٢٤

كلية (الدعوة وأصول الدين) قسم العقيدة تخصص عقيدة

المرحلة: **(الدكتوراه)**

العنوان(الطائفة الكاثوليكية فرقها وعقائدها وأثرها على العالم الإسلامي)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٣ / ٣ / ١٤٢٩هـ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة وحيث قد تم عمل اللازم،فإن اللجنة توصي في صيغتها النهائية الدرجة العلمية المذكورة أعلاه.

والله الموافق،،،،

أعضاء اللجنة

المشرف: الأستاذ الدكتور: محمود بن محمد مزروعة

المناقش الداخلي: الأستاذ الدكتور: محمد يسري جعفر

المناقش الخارجي: الأستاذ الدكتور: علي بن حسن الألمعي

عضو اللجنة المفوض بالتأكد من الأخذ بالتعديلات وإتمامها:

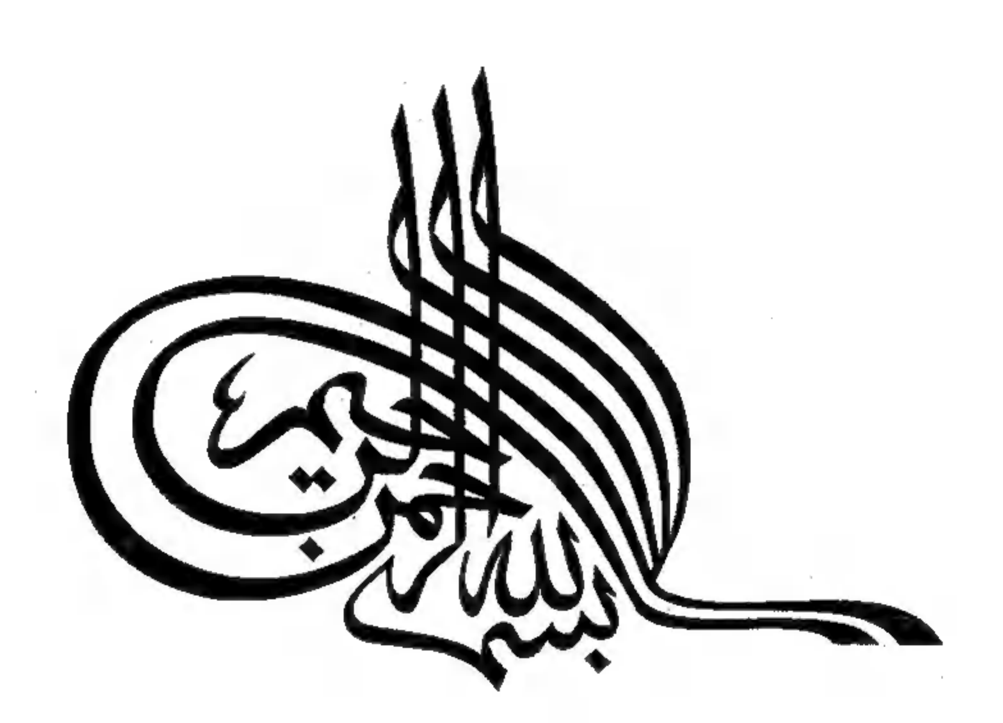
الاسم: الأستاذ الدكتور: محمود بن محمد مزروعة التوقيع: [توقيع] ١٦/٤/١٤٢٩

رئيس قسم العقيدة

الاسم: سالم بن محمد القرني

التوقيع: [توقيع]

يعتمد


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فإن عنوان هذه الرسالة ((الطائفة الكاثوليكيّة ، فرقها ، وعقائدها ، وأثرها على العالم الإسلامي)) ، وهي ـ على ما أعتقد ـ أنها تُعالج بعض أجزاء الصراع بين الفرق النصرانيّة ، والدين الإسلامي .

وقد خصصت هذه الرسالة لدراسة أكبر وأقدم طائفة نصرانيّة في العالم ، وهي الطائفة الكاثوليكيّة ، وذلك من خلال البحث ، في :

١) التعريف بها ، من حيث نشأتها ، وتاريخها ، وأثرها الديني والسياسي على العالم الغربي النصراني منذ القدم .

٢) فرقها ، وكنائسها المنتشرة في الغرب والشرق .

٣) ذكر ما استحدثته من عقائد دخيلة على دين النبي الكريم عيسى عليه السلام ، وأن انتسابها إليه ، إنما هو انتساب زور وبهتان .

٤) الكشف عن محاولاتها في التأثير على العالم الإسلامي ، وبكلّ ما ملكته من إمكانات ، وذلك من خلال : أ) الحروب الصليبيّة على العالم الإسلامي قديماً وحديثاً ، وتدخل فيها : الكشوفات الجغرافيّة البحريّة ، وأثرها على العالم الإسلامي ، والعمل على إسقاط الخلافة الإسلاميّة ، ب) الغزو الفكري بجناحيه ، الاستشراق ، والتغريب المسلط على الشعوب الإسلاميّة ، ج) التنصير ، وإرساليّاته الموجّهه إلى المسلمين ، واستخدام الوسائل التي أتيحت لهم في ذلك ، ومن أهمها : التعليم ، والإعلام ، والخدمات الطبيّة ، والمساعدات الإغاثيّة والإنسانيّة .

وقبل ذلك تكلمت عن النبي الكريم عيسى عليه السلام ، وما جاء به من الحق والدين الصحيح .

<u>وقد توصلت في هذه الرسالة إلى نتائج ، من أهمها :</u>

١) بطلان ادعاء النصارى ـ وعلى رأسهم الطائفة الكاثوليكيّة ـ انتسابها إلى النبي الكريم عيسى عليه السلام ، وبيان عظم التحريف الذي وقع في دينه الحق .

٢) كان للكرسي البابوي وكنائسه ومفكّريه الدور الأقوى والأبرز في تشويه صورة الإسلام ونبيه محمد عليه الصلاة والسلام وتعاليمه وتاريخ المسلمين وسلوكيّاتهم في عقول ونفوس الشعوب الأوربيّة الغربيّة .

٣) إن هذا التشويه والخوف والتوجّس من الإسلام وأتباعه المسلمين الذي رسّخه الفاتيكان في الذهنيّة الأوربيّة ما زال قائماً وماثلاً حتى في أشدّ أوقات هذه الذهنيّة علمانية وإلحاداً .

٤) لم تدّخر البابويّة وكنائسها الكاثوليكيّة ومفكريها أيّ جهد في محاربتها للإسلام والمسلمين أينما حلّوا وذهبوا ، ثم تبع الكاثوليك في هذا المنهج الطائفة البروتستانتيّة .

وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

اسم الطالب	المشرف على الرسالة	عميد كلية الدعوة وأصول الدين
محمد بن علي محمد آل عمر	أ.د. محمود محمد مزروعة	د. عبد الله بن محمد الرميّان

بسم الله الرحمن الرحيم

Summary of the thesis

All the praises and thanks be to Allah, the lord of Almin (mankind, jinn and all that exists), the most gracious , the most merciful.

The title of this thesis is catholic faith, its division, branches, believes and its effect on the Islamic world. It studies the differences, struggles and the misunderstanding between Muslims and Christians.

The studies are concentrate on the most widespread division of Christianity "catholic" through the following:-

1- Defining the catholic faith its origin, its history and its effect in the western world politically and religiously.
2- Its division , subdivision, branches and churches all over the world.
3- Mentioning any changes that imposed on the faith of prophet jesses and whatever modifications that are not from the faith.
4- Trying to discover and trace any attempt the Christian world is trying to imposed on the islamic faith by all methods through:-

a) By crusade war different times of history until today from which we mention for example: geographic exploration and the collision to destroy the Islamic states.
b) The different styles of introducing the secularism and destroying the whole image of Islam in the souls of young people.
c) The Christian missions to the Islamic world to spread out the Christian faith by all means and methods at any times, any place, with any person, even without testing their result. Sometimes they use doctors, journalist, commentators, actors, rich people and specially the field of health care and education.

Before all these I have mentioned the prophet jesses peace be upon him as a messenger of god and what he has brought of peaceful message to the human being to save them of earthly education and to raise them to glorious kingdom of Allah.

Finally, I have reached to the following result:-

1- The nonsense of what the Christian people preach and I mean here specially the catholic people moreover the nonsense of their relation to the prophet jesses peace be upon him and I have clarified the great changes and modifications they have placed in the over all message of the prophet jesses peace be upon him.
2- Papal chairman ship and other members of the churches have played a great role in trying to reflect a bad image of Islam, quran, Islamic history and prophet Mohammed peace be upon him.
3- The misconception, the misunderstanding, fears, and political black mails from Islam and to the Muslims all these are stemming up from the deep rooted anticipation of islamic expansion in the feature even if Christian people know about their strength and weakness of Muslim world.
4- Even though the catholic papal chairman ship and churches know about the weakness of Muslims but they still not to save any moment to use their deception and misleading against Muslims. Other division of Christianity which is protestant is following in the same manner but Allah is the guidance to the right path and peace be upon him the prophet Mohammed.

Written by	Supervisor	Dean of Dawa collage
Mohammed bin Ali Mohammed Al_omar	Prof. Mahmood Mohammed Mazroa	Dr. Abdullah bin Mohammed Al-Romyan

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فصلِّ اللهم عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

فإن الله ﷻ أرسل نبيه محمداً ﷺ على فترة من الرسل، وأنزل معه الكتاب ليحكم بالحق بين الناس فيما اختلفوا فيه، ويهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ملك السموات والأرض . فكان الناس فيه فريقين مؤمن وكافر. فأمّا المؤمنون فهم فرقة واحدة على سبيل الحق يهتدون بنور الله ويحتكمون إلى شرعه، فطريقهم نور على نور، إلى أن يبلغوا غاية الأمر ونهايته رضوان الله ﷻ وجنته.

وأما الكافرون فهم على سبل متشعبة متفرقة، يجمعهم الكفر وتفرقهم الطريقة والمنهج، فمنهم الملحد الذي يتعامى عن ربه، ويتخبط في الدنيا على غير هُدى من شرع إلهي، ومنهم الوثني الذي ضل عن ربه فعبد ما لا يُغني ولا يسمن من جوع، ومنهم اليهودي الذي أضله الله على علم وختم على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة، أعماه الكبر والحسد وتخبطه الشيطان حتى أعرض عن الحق، وتمرغ بالباطل وجابه ربه بكل خُلقٍ رذيل وطبع مشين، فاستحق غضب الله ولعنته، وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون .

ومنهم النصراني عابد الصليب، اتخذ إلهه هواه حتى عدّ الوثنية ديناً حقاً والشرك توحيداً، وقال في الله قولاً عظيماً، يُظاهي بذلك قول الذين كفروا من قبل وضلوا عن سواء السبيل، وزين له الشيطان سوء عمله فرآه حسناً، فإن الله يُضل من يشاء ويهدي من يشاء وما ربُك بظلاّم للعبيد . والمسلم صاحب دعوة وحق لا يغره كثرة الهالكين ولا قلة السالكين، إذ هو يسير بنور الله ﷻ وهدايته، والمسلم داعية مشفق ناصح، ينصح للخلق رغبة في هدايتهم ونجاتهم، ثم إنه يجب عليه أن يعرف العدو من

الصديق ليستبين له الأمر، وليتوقى ما يجب التوقي منه، قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾[١] فلا بد مع معرفة المسلم بالإسلام ومترلته وفضائله أن يتعرف على الباطل وأهله فيشير إليهم بإصبع التحذير .

ولقد تأثر المسلمون قديماً وحديثاً بنار العداوة والكيد والدسائس التي قام بها أهل الكتاب -اليهود والنصارى- منفردين ومجتمعين .

وذلك ممّا دفعني لأن أختار الكتابة عن طائفة من الطوائف النصرانية الكبرى، بل هي الأم فيها، وهي الطائفة (الكاثوليكية) .

والطائفة الكاثوليكية هي أكبر الطوائف النصرانية، وأكثرها تغلغلاً وقدماً في التاريخ النصراني، ويدعي متبعوها أنها أم الكنائس ومعلمتهن، بزعم أنّ مؤسسها بطرس أحد حواري النبيّ عيسى ـ عليه السلام ـ وتتمثل في عدة كنائس تتبع كنيسة روما وتعترف بسيادة (بابا روما) عليها، وتسمى بالكنيسة الغربية أو اللاتينية لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتيني خاصة .

وكانت لهذه الطائفة مواقف أثّرت في العالم الإسلامي قديماً ، وحديثاً ، ومنها أنّها أوّل من سلّت السيوف في وجه الأمة الإسلاميّة ، وأقامت الحروب، ومعسكرات التعذيب للمسلمين ، فهي أوّل من احتلت أراضي المسلمين في الغرب (بلاد الأندلس العجيبة)، واحتلت أيضاً بلاد المسلمين في الشرق (الأراضي المقدّسة، فلسطين وما حولها)، وعملت في أبناء المسلمين هنا وهناك القتل والذبح والتشريد ، وأنّ باباواتها وكنائسها عملوا على نشر كره المسلمين والحقد عليهم بين الشعوب الغربيّة ، والذي مازال أثره إلى اليوم ، فهي السبب في وضع حواجز نفسيّة سيئة في نفوس الغربيين بالنسبة للمسلمين لم يستطيعوا التخلّص منها ؛ لذا فإنّهم لم يتقبّلوا المسلمين إلاّ بحذر وتوجّس وتقديم الظن السيئ عن الحسن إلى يومنا هذا في بدايات القرن الواحد والعشرين ، وأنّ الطائفة الكاثوليكيّة ـ أيضاً ـ هي أوّل من حاولت العبث بدين وعقول المسلمين عن طريق الغزو الفكري، وذلك بنشر ثقافات ومعلومات وبحوث

---

[١]) سورة الأنعام الآية ٥٥ .

مزوّرة ماكرة خادعة ، انخدع بها بعض أبناء المسلمين ، فتحوّلوا من صف دينهم الإسلامي وثقافتهم الإسلاميّة إلى صف أولئك النصارى الحاقدين والماكرين، كما أنّ هذه الطائفة جنّدت أموالها ورجالها ونسائها من خلال بعثات وإرساليات وُجّهت إلى بلاد المسلمين في محاولات خبيثة لإخراج أبناء المسلمين من دينهم الإسلامي، وإدخالهم في الدين النصرانيّ . ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله .

* * * * * *

أسباب اختياري للموضوع :

أولاً) محاولة لكشف عوار الديانة النصرانية وما قام به أحبارها وكهنتها من عبث بمعالمها وأصولها، وفي هذا إظهار لبراءة المسيح عيسى عليه السلام مما افتراه عليه النصارى، وفي ذلك تصديقٌ لخبر الله ﷻ عنهم، كما أن الإيمان بخبر الله عنهم يُصبح إيماناً مفصلاً بعد أن كان إيماناً مجملاً .

ثانياً) أحببتُ أن أُفصّل في عقائد الطائفة الكاثوليكيّة، فهم الأصل لأكثر نصارى العالم وذلك بذكر تواريخ وأوقات تثبيت تلك العقائد ، حتى يكون طلبة العلم من المسلمين على بيّنة من ذلك أثناء مناقشتهم، وخوض الجدال معهم؛ لأن تتبع تواريخ تلك العقائد تدل دلالة واضحة على الدور الخطير الذي لعبته المجامع النصرانيّة، المسكونيّة منها، والمحلّيّة، والذي لعبه رجال الكنائس ـــ أيضاً ـــ في العبث بالديانة التي جاء بها عيسى ـــ عليه السلام ـــ وتدلّ على أن هذه العقائد والتشريعات ليست وحياً من الله أوحاه إلى نبيّه الكريم عيسى عليه السلام، وإنّما هي من اختراع وتثبيت المجامع ورجال الكنائس على الشعوب الغربيّة الأوروبيّة، وغيرها، التابعة لهم، المغلوبة على أمرها؛ لتربيتها الناقصة والفاشلة في عدم التفريق بين ما هو دين منزّل من السماء، وما هو وضعيٌّ من صنع البشر . حمى الله الأمة الإسلاميّة من هذا العبث، وهذا المكر .

ثالثاً) في اعتقادي أن هذه الدراسة وأمثالها عامل مهم للمسلم يُسهّل له دعوة أصحاب الديانات المنحرفة بإبراز مواضع الانحراف والفساد في ديانتهم، وإبراز بعض خططهم ومكّرهم الخبيث الموجّه لأبناء الأمة الإسلاميّة، وحتى يكون المسلم في يقظةٍ من أمره إذا تعامل مع أولئك الماكرين، خاصة إذا علمنا أنّ أولئك النصارى لا يبدؤون بحملاتهم على الأمة الإسلاميّة إلاّ بعد دراسة الإسلام وثقافات المسلمين وتوجّهاتهم ، وتاريخهم، فيتعرّفون عن طريق هذه الدراسات إلى أقصر الطرق ، وأكثرها تأثيراً، ونجاعةً فيدخلون من خلالها على أبناء المسلمين، وما الدراسات الاستشراقيّة، والاهتمام بعلوم المسلمين عند الغربيين، إلاّ أكبر دليل على ذلك، لذا يجب على دعاة المسلمين، وطلاّب علمهم أن يتعرّفوا على عدوّهم، من جهة اعتقاداته، وتاريخه، وأساليبه الماكرة، حتى يستطيعوا أن يصلوا إلى أفضل الطرق في مواجهته، وفي كيفيّة التعامل معه .

رابعاً) وفيها بيان للمسلمين أن منطلقات علاقات الغرب معنا إنما هي منطلقات عقدية ، وفكريّة .

خامساً) كما أنّه، والعلم عند الله، أنّ في مثل هذه الدراسات مساهمة في الدعوة إلى الله تعالى، ورداً لكيد أعداء أمتنا الإسلاميّة، وكما هو معلوم أنّه لزاماً على كل مُسلِم أعطاه الله قدرة عقليّة وجسميّة ونفسيّة وماليّة معيّنة أن يُدافع عن هذا الدين العظيم ويدعو إليه بكلّ ما يملك من وسائل وطرق، ومن أهم هذه الطرق في الدفاع والدعوة في هذا الزمان اللسان والقلم .

سادساً) ثمّ إن مثل هذه الدراسة رغبة ذاتية مني وافقت رغبة بعض مشايخي في هذا القسم المبارك؛ مما زادني شغفاً بكتابة هذا الموضوع لعل الله أن يجعل فيه وفي أمثاله من الدراسات في الأديان نصرة للدين الحق دين الإسلام وبيان لبطلان الديانات الأخرى، آمين .

وقد وفقني الله تعالى في أن أدرس الطائفة الكاثوليكيّة دراسة تفصيلية، نشأتها،

والكنائس التابعة لها في العالم، وعن عقائدها، وأثرها في العالم الإسلامي، والحمد لله تكوّنت هذه الدراسة بعنوان (**الطائفة الكاثوليكية، فرقها، وعقائدها، وأثرها على العالم الإسلامي**)، والتي أدعو الله أن أنال بها درجة الدكتوراة من قسم العقيدة بكلّيّة الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

وأريد أن أذكر لمشايخي الكرام وللقرّاء الأفاضل أنّ الهدف من هذه الدراسة عرض عقائد الطائفة الكاثوليكيّة، وبيان أثرها على الأمة الإسلاميّة في مجالات متعددة ؛ لذلك لن يجد القارئ الكريم الرد على تلك العقائد، حيث إن مسألة الرد تحتاج إلى مؤلفات ودراسات جامعية مستقلة؛ حتى يكون الرد في المستوى الذي يأمله الباحثون وطلبة العلم والقرّاء، كما أنّ هناك دراسات جامعيّة ومؤلفات اختصّت بمثل تلك الردود، سيجد القارئ الكريم بعضها بعناوين صفحاتها في بداية مباحث ذكر العقائد الكبرى للطائفة الكاثوليكيّة، وسيجد أيضاً أن تلك الردود التي أشرت إليها بأرقام صفحاتها لم تفصل الطوائف النصرانيّة بعضها عن بعض؛ لأن العقائد الأساسيّة الكبرى مشتركة في أصولها بين أكبر طوائف النحلة النصرانيّة، علماً أنّ كثيراً من الكتب التي ردت على عقائد النصارى لم تحاول إثبات نسبة تلك العقائد لهذه الطائفة النصرانيّة أو تلك، بواسطة التتبع التاريخي في إثباتها، وذكر المقررات الكنسيّة في ذلك .

وهذا ما حاولت أن أتجنّبه في هذا البحث، فعملت على إثبات العقائد الخاصة بالطائفة الكاثوليكيّة بمحاولة تتبع المراحل التاريخيّة والمقررات الكنسيّة في إثباتها؛ حتى يصل القارئ المختص إلى يقين تام أن هذه العقائد قالت بها الطائفة الكاثوليكيّة، واعتقدتها، كما أني أقصد من ذلك أيضاً بيان أن الباحثين المسلمين يهتمون بنسبة الأقوال والاعتقادات إلى أصحابها، وأنّهم لا يتقوّلون على المخالفين ما لم يقولوه ويعتقدوه .

وأحب أن أوضّح ـــ فيما أعتقد ـــ أن ذكر الوجه، والوجهين، بل الثلاثة في الرد على العقائد المخالفة في رسالة متخصصة لنيل درجة علميّة غير مجدٍ، ولا يفيد البحث قوّة ومكانةً ، فالرد على العقائد المخالفة يحتاج إلى مشروع علمي، أو مشاريع علميّة مستقلّة، لها النفس الطويل، والتفصيل الدقيق في الرد والبيان. وتكون أيضاً مستقلّة عن البحوث

التي اهتمّت بذكر الأثر الواقعي الديني والسياسي وغيرهما، وبيان مقدار العبث الذي عملته تلك الفرق والنِّحل المخالفة والمنحرفة، والله تعالى أعلى وأعلم .

* *   * *   * *

أمّا خطة البحث التي سرت عليها فقد تضمّنت، بعد المقدّمة، التمهيد ، وأربعة أبواب ، وخاتمة ، وهي كالتالي :

التمهيد : الديانة النصرانية من المسيح عيسى ــ عليه السلام ــ إلى الإمبراطور قسطنطين الأول .

الباب الأول: الطائفة الكاثوليكية، والبابوية، تعريفاً، وتاريخاً .

وفيه فصلان :

الفصل الأول : التعريف بالطائفة الكاثوليكية ، والبابوية .

الفصل الثاني : البابوية عبر التاريخ .

الباب الثاني : أشهر الكنائس والفرق التابعة للطائفة الكاثوليكية .

الباب الثالث : عقائد الطائفة الكاثوليكية .

الباب الرابع : أثر الطائفة الكاثوليكية على العالم الإسلامي .

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الحروب الصليبية قديماً وحديثاً .

الفصل الثاني : الغزو الفكري .

الفصل الثالث : التنصير .

الخاتمة .

علماً أنّ قناعتي تامة في أنّ العقيدة النصرانية بجميع توجّهاتها العقديّة أكثر الأديان المحرفة والوضعية تعقيداً، حتى أصبح عسيراً جداً فهم كثير من مبادئها، وحتى أصبح غموضها طبيعة واضحة فيها، وهذا على مستوى من يكتب عنها من أهلها

فما بالك بغيرهم فهذا من باب أولى .

وأن الطائفة الكاثوليكيّة، فرقها، عقائدها، وأثرها على العالم الإسلامي أوسع من أن يُحيط بها بحث جامعي واحد، فهذا الموضوع يستحق أن تُكتب فيه رسائل جامعيّة كثيرة، وكتب جادة متعددة، تُناقشه من عدّة زوايا، عقديّة، وتاريخيّة، وسلوكيّة، خاصة من باب التعامل والثقة والأخذ والرد مع الآخر ، وهذا ما جعلني في بعض نقاط الموضوع أتوجّس خيفةً من أنّي لا أستطيع أن أُوفيه حقّه من البحث والدراسة ، ولكن الحمد لله قد انتهيت منه ، وحسبي أنّي كنتُ متوكّلاً ومعتمداً على الله تعالى في إتمامه .

هذا وإني لأرجو الله تعالى أن أكون قد وفقت في هذا البحث، فإن كنت قد أصبت فمن الله تعالى وحسن توفيقه، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله وأسأله الرشد والسداد والرجوع إلى الحق .

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر والتقدير إلى كل من مد لي يد العون والمساعدة في هذا البحث، وعلى رأسهم الوالد الحبيب، الذي حثني على الكتابة في هذا الموضوع، والصبر عليه، حتى تمامه، وأتقدم بالشكر الجزيل إلى شيخي ومشرفي على هذا البحث والذي أولاني باهتمامه واستفدت من آرائه وتوجيهاته، وهو فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور: محمود بن محمد مزروعة، أمدّ الله في عمره بالصحة والعافية، ووفقه إلى خدمة العلم وأهله، والذي صبر عليّ في أمور كثيرة، ومنها اختراقي لأوقاته، وإنّي أدعوا الله عز وجل أن يغفر ويرحم فضيلة شيخي، الشيخ (أبو عاصم) موسى بن علي النهاري ــ رحمه الله تعالى ــ والذي استفدت منه في حياته من توجيهاته ومتابعته لهذا البحث، فغفر الله له ورحمه رحمةً واسعةً .

كما أني أتوجّه بالشكر إلى كل من ساعدني بتقديم كتاب أو مشورة أو تصويب أو انتقاد أو ملاحظة لغرض الوصول إلى الحق . فجزاهم الله عني جميعاً الأجر والثواب .

والشكر موصول إلى فضيلة الشيخين الأستاذ الدكتور: علي بن حسن الألمعي، والأستاذ الدكتور: محمد يسري جعفر؛ على موافقتهما على قراءة هذه الرسالة وتقويمها

على كثرة مشاغلهما العلمية من إشرافٍ على بحوث ومناقشات علمية ، وأسأل الله أن يوفقهما لما يحبه ويرضاه ، وأن يوفقني سبحانه أن أخذ تقويمهما وملاحظاتهما وما يوجهاني به من توصيات مأخذ العزيمة والتنفيذ المباشر .

كما لا يفوتني أيضاً أن أتوجه بالشكر إلى جامعة أم القرى ممثلةً في كليـــة الـــدعوة وأصول الدين وإلى قسم العقيدة بشكل أخص، وأسأل الله أن يثيب القائمين عليها.

اللهم اجعل هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلي اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

الطالب : محمد بن علي محمد آل عمر

الرقم الجامعي : ٤٢٣٧٠٠٣٤

التمهيد :

الديانة النصرانية من المسيح عيسى ـــ عليه السلام ـــ إلى الإمبراطور قسطنطين الأول .

وفيه أمران :

الأمر الأول : عيسى ـــ عليه السلام ـــ ودعوته .

الأمر الثاني : من بداية الانحراف إلى ترسيخه ، ودور بولس اليهودي ، والإمبراطور قسطنطين في هذا الانحراف .

الأمر الأول : عيسى ـــ عليه السلام ـــ ودعوته .

عرض القرآن الكريم قصة عيسى ـــ عليه السلام ـــ ، من لحظة ولادته إلى نهاية وجوده على الأرض ، وبيان دعوته ، والمعجزات التي اختصه الله تعالى بها [١] .

وذلك على النحو التالي :

أولاً : بيّن القرآن الكريم خلق عيسى عليه السلام ، وأنه ولد من أم دون أب ، قال تعالى : ﴿ إِذ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٤٧) ﴾ [٢] .

قال ابن جرير في قوله تعالى { اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ } فإنه جلّ ثناؤه أنبأ عباده عن نسب عيسى، وأنه ابن مريم، ونفى بذلك عنه ما أضاف إليه الملحدون في الله جلّ ثناؤه من النصارى، من إضافتهم بنوّته إلى الله عز وجل، وما قُذفت أمه به المفترى

---

[١]) ولقد رُسمت هذه الصورة وبُيّنت هذه الحقيقة في ثلاث وثلاثين آية من ثلاث عشرة سورة من سور القرآن الكريم .

[٢]) سورة آل عمران الآيات ٤٥ ـــ ٤٧ .

عليها من اليهود))[١] .

وقال ابن كثير عن مريم : ((قالت في مناجاتها { قَالَت رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَم يَمسَسنِي بَشَرٌ } تقول : كيف يوجد هذا الولد مني وأنا لست بذات زوج ، ولا من عزمي أن أتزوج ، ولست بغياً حاشا لله ؟ فقال لها الملك عن الله عز وجل في جواب ذلك السؤال { كَذَلِكِ اللَّهُ يَخلُقُ مَا يَشَاءُ } أي هكذا أمر الله عظيم لا يُعجزه شيء ، وأكد ذلك بقوله { إِذَا قَضَى أَمرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ } أي فلا يتأخر شيئٌ بل يُوجد عقب الأمر بلا مهلة كقوله { وَمَا أَمرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمحٍ بِالبَصَرِ } أي إنما نأمر مرة واحدة لا مثنوية فيها فيكون ذلك الشيء سريعاً كلمحٍ بالبصر))[٢] .

ثانياً) أن عيسى ــ عليه السلام ــ كلمة من الله تعالى ألقاها إلى مريم وروح منه . قال تعالى { إِذ قَالَت المَلاَئِكَةُ يَا مَريَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنهُ اسمُهُ المَسِيحُ عِيسَى ابنُ مَريَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ وَمِن المُقَرَّبِينَ }[٣]، وقال تعالى { إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابنُ مَريَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلقَاهَا إِلَى مَريَمَ وَرُوحٌ مِنهُ }[٤]، وفي الحديث عن عبادة بن الصامت[٥] ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق،

---

[١]) تفسير الإمام ابن جرير الطبري ، ٣/ ٢٧٠ .

[٢]) تفسير القرآن العظيم ٣٢٠/١ للحافظ ابن كثير .

وانظر قوله تعالى { وَاذكُر فِي الكِتَابِ مَريَمَ إِذ انتَبَذَت مِن أَهلِهَا مَكَانًا شَرقِيًّا فَاتَّخَذَت مِن دُونِهِم حِجَابًا فَأَرسَلنَا إِلَيهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَت إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحمَانِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاَمًا زَكِيًّا قَالَت أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَلَم يَمسَسنِي بَشَرٌ وَلَم أَكُن بَغِيًّا قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمرًا مَقضِيًّا } سورة مريم الآيات ١٦ ــ ٢١ .

[٣]) سورة آل عمران الآية ٤٥ .

[٤]) سورة النساء الآية ١٧١ .

[٥]) عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي أبو الوليد أحد النقباء ، صحابي جليل بدري مشهور ، أرسله عمر ابن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ إلى الشام ليعلّم أهلها ، وهو أول من ولي القضاء بفلسطين ، توفي بالرملة سنة ٣٤هـ وله ٧٢ سنة رضي الله عنه وأرضاه . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة ٥٠٥/٣ تحقيق : عادل عبد الجواد ، وجماعة ، وتقريب التهذيب ((٣١٥٧)) تحقيق : محمد عوامة .

والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل))[١] .

قال الحافظ ابن كثير :((...أي إنما هو عبد من عباد الله وخلق من خلقه قال له كن فكان ورسول من رسله وكلمة ألقاها إلى مريم أي خلق بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم فنفخ فيها من روحه بإذن ربه عز وجل فكان عيسى بإذنه عز وجل وكانت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها فنزلت حتى فرجها بمنزلة لقاح الأب والأم والجميع مخلوق الله عز وجل ولهذا قيل لعيسى إنه كلمة الله وروح منه لأنه لم يكن له أب تولد منه وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها كن فكان والروح التي أرسل بها جبريل))[٢] .

(وروح منه) : -

أي وكائن من مخلوق من الله تعالى كباقي المخلوقات خلقها الله تعالى جميعاً ، فمن للابتداء وليست للتبعيض كما ذهب إلى ذلك النصارى . فروح عيسى ــ عليه السلام ــ كباقي الأرواح صادرة من عند الله خلقها الله وليست جزءاً من الله تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

فوصف الله تعالى عيسى ــ عليه السلام ــ بأنه منه، أي أنه كائن منه،كما في قوله تعالى ﴿ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ﴾[٣]، أي أنّه سخر هذه الأشياء كائنة منه . فكوّن ذلك و أوجده، بقدرته و حكمته، فعيسى ــ عليه السلام ــ من خلق الله تعالى، وليست ((من)) للتبعيض كما تقوله النصارى عليهم لعائن الله المتتالية بل هي لابتداء الغاية كما في الآية الأخرى، فعيسى مخلوق من روح مخلوقة، وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشريف كما أضيفت الناقة والبيت إلى الله في قوله ﴿هذه ناقة الله﴾[٤] ، وفي قوله ﴿وطهر بيتي للطائفين﴾[٥] .

---

[١]) الحديث أخرجه البخاري ٣٤٢/٦ في كتاب الأنبياء ، باب قوله تعالى (لا تغلوا في دينكم) ، ومسلم رقم ٢٨ في كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ، وأحمد في المسند ٣١٣/٥ .

[٢]) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ١/ ٥٢٦ .

[٣]) سورة الجاثية الأية ١٢.

[٤]) سورة الشمس الأية ١٣.

[٥]) سورة الحج الأية ٢٦.

كما أنّ عيسى ـــ عليه السلام ـــ لم يختصْ أنه (روح من الله) فقد أطلقت هـــذه الكلمة على غيره فأطلقت على آدم ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحـــي فقعـــوا لـــه ساجدين﴾[١] وسمي جبريل روحاً من الله فقال تعالى ﴿ فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا﴾[٢] وقد سمي القران الكريم معونة الله تعالى، وتأييده، ونصره للمؤمنين، بالروح منه،

= وانظر في ذلك إلى : فتح الباري شرح صحيح البخاري ٤٧٥/٦٥ للحافظ ابن حجر ، تفسير القران العظيم للحافظ ابن كثير ١ / ٥٢٧ .

وبالنسبة لمسألة المضافات إلى الله تعالى : فهي نوعان : ١) إضافة مُلْك ، ٢) إضافة وصف .

أ) إضافة ملك ، هي : كل ما يُضاف إلى الله ويكون عيناً قائمة بنفسها ، أو حالاً في ذلك القائم بنفسه : ومـــن أمثلتها : قوله تعالى ﴿ نَاقَةَ اللهِ وسُقْيَاهَا ﴾ ، سورة الشمس الآية ١٣ ، وقوله تعالى ﴿ وطهِّـــر بيتـــيَ للطَّـــائفينَ والقائمينَ والرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ ، سورة الحج الآية ٢٦ ، وقوله تعالى ﴿ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَـا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَانِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ ، سورة مريم الآيات ١٧ ـــ ١٩ ، فالروح هنا جبريل عليه السلام ، فإضافة الناقة والبيت وجبريل عليه السلام إلى الله هنا مـــن إضافة الملك والتشريف لأنها عين قائمة بنفسها . فالمضاف إن كان شيئاً قائماً بنفسه أو حـــالاً في ذلـــك القـــائم بنفسه ، فهذا لا يكون صفة الله ، لأن الصفة قائمة بالموصوف . فالأعيان التي خلقها الله قائمة بأنفسها ، وصفاتها القائمة بها تمتنع أن تكون صفات الله ، وإنّما هي مخلوقة مملوكة لله .

وقد يعبّر بلفظ المصدر عن المفعول به ، فيُسمى المعلوم علماً ، والمقدور قدرةً ، والمأمور أمـــراً ، والمخلـــوق بالكلمة كلمةً ، فيكون ذلك مخلوقاً ، ومن أمثلة ذلك : ﴿ أتى أمرُ اللهِ فلا تستعجلوهُ ﴾ سورة النحل الآيـــة ١ ، والمراد بالأمر هنا المخلوق المُكوّن بالأمر ، وقوله تعالى ﴿ إنّ اللهَ يُبشّرِكِ بكلمَةٍ منْهُ اسْمُهُ المسيحُ عيسى ابـــنُ مـــريمَ وجيهاً في الدُّنيا والآخرةِ ﴾ سورة آل عمران الآية ٤٥ ، وقوله تعالى ﴿ إنّما المسيحُ عيسى ابنُ مريمَ رســـولُ اللهِ وكلِمَتُهُ ألقاها إلى مريمَ ورُوحٌ مِّنْهُ ﴾ سورة النساء الآية ١٧١ ، فإذا قيل المسيحُ ((كلمة الله)) فمعناه المخلـــوق بالكلمة ، إذ المسيح نفسه ليس كلاماً .

ب) أمّا إضافة الوصف إلى الله ، مثل علم الله ، وقدرة الله ، سواء كان إضافة إسميّة مثل استخيرك بعلمـــك ، أو بصيغة الفعل مثل ﴿ عَلِمَ اللهُ أنكم كُنتم تختانُونَ أنفُسَكُم ﴾ سورة البقرة الآية١٨٧، أو الخبر الذي هو جملة إسميّة، مثل ﴿ واللهُ بِكُلِّ شيءٍ عليمٌ ﴾ سورة البقرة الآية ٢٨٢ ، فهي قائمة بالله تعالى ، قديمة ، غير مخلوقـــة . انظـــر : الصفات الإلهيّة تعريفها وأقسامها ، ص ٢٣ ـــ ٢٨ ، د. محمد بن خليفة التميمي ، موقف ابن تيميّة من الأشاعرة ، ٣ / ١٢٠٢ ـــ ١٢٠٣ د. عبد الرحمن بن صالح المحمود ، مجموع الفتاوى ١٧ / ١٥١ ـــ ١٥٢ ، شيخ الاسلام ابن تيميّة ، القول المفيد على كتاب التوحيد ١ / ٧٠ ـــ ٧١ ، للعلاّمة محمد بن صالح العثيمين .

[١]) سورة الحجر الأية ٢٩.

[٢]) سورة مريم الأية ١٧.

قال تعالى ﴿ أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ﴾[1].

ثالثاً : أنه رسول من رسل الله إلى بني إسرائيل خاصة ، جاء ليدعو إلى توحيد الله عز وجل وحده لا شريك له .

والآيات في ذلك كثيرة ، ومنها :

قال تعالى ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾[2] ، وقال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[3] ، وقال تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[4] .

وقال تعالى﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾[5] .

رابعاً: وكان عيسى ـ عليه السلام ـ مؤيداً من الله تعالى بالمعجزات ، وهي :

١- الكلام في المهد ، ٢- إبراء الأكمة ، ٣- إبراء الأبرص ، ٤- إحياء الموتى ـ بإذن الله ـ ، ٥- نزول المائدة من السماء ، ٦- تصوير الطين بهية الطير ، والنفخ فيه فيُصبح حياً ـ بإذن الله تعالى ـ ، ٧- الإخبار ببعض المغيبات.

وكل هذه المعجزات هي بأمر الله تعالى وإذنه .

والآيات التي ذكرت المعجزات لم تغفل هذه الناحية ، حيث بيّنت أن هذه المعجزات

---

[1]) سورة المجادلة الآية ٢٢.

[2]) سورة المائدة الآية ٧٥.

[3]) سورة الصف الآية ٦.

[4]) سورة الزخرف الآيتان ٦٣ ، ٦٤ .

[5]) سورة المائدة الآيتان ، ١١٦ ، ١١٧ .

هي لإثبات نبوة عيسى ــ عليه السلام ــ ، وأنّه رسول من عند الله تعالى ، وأنّ كل المعجزات التي جاء بها إنّما تجري على يديه بأمر الله تعالى وتأييده :

قال تعالى ﴿ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسرَائِيلَ أَنِّي قَد جِئتُكُم بِآيَةٍ مِن رَّبِّكُم أَنِّي أَخلُقُ لَكُم مِنَ الطِّينِ كَهَيئَةِ الطَّيرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيرًا بِإِذنِ اللَّهِ وَأُبرِئُ الأَكمَهَ وَالأَبرَصَ وَأُحيِ المَوتَى بِإِذنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُم إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُم إِن كُنتُم مُؤمِنِينَ ﴾[1] .

وقال تعالى ﴿ إِذ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابنَ مَريَمَ اذكُر نِعمَتِي عَلَيكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ القُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهدِ وَكَهلاً وَإِذ عَلَّمتُكَ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ وَالتَّورَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذ تَخلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيئَةِ الطَّيرِ بِإِذنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيرًا بِإِذنِي وَتُبرِئُ الأَكمَهَ وَالأَبرَصَ بِإِذنِي وَإِذ تُخرِجُ المَوتَى بِإِذنِي وَإِذ كَفَفتُ بَنِي إِسرَائِيلَ عَنكَ إِذ جِئتَهُم بِالبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنهُم إِن هَذَا إِلاَّ سِحرٌ مُبِينٌ ﴾[2] .

وقال تعالى ﴿ قَالَ عِيسَى ابنُ مَريَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِل عَلَينَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنكَ وَارزُقنَا وَأَنتَ خَيرُ الرَّازِقِينَ ، قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيكُم ﴾[3]

خامساً : وفي نهاية دعوة المسيح عيسى ــ عليه السلام ــ في الفترة الأولى له على الأرض[4]، رفعه الله إليه ، كما ذكر القران الكريم :

قال تعالى ﴿ إِذ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[5] .

---

[1]) سورة آل عمران الآية ٤٩.

[2]) سورة المائدة الآية ١١٠.

[3]) سورة المائدة الآيتان ، ١١٤ ، ١١٥ .

[4]) أمّا الفترة الثانية لعيسى عليه السلام على الأرض ، فجاء ذكرها أيضاً في القرآن والسنة ، قال تعالى ﴿ وإن من أهل الكتاب إلاّ ليُؤمننّ به قبل موته و يوم القيامة يكون عليهم شهيداً ﴾ سورة النساء الآية ١٥٩ ، وروى البخاري ومسلم بسنديهما إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((والذي نفسي بيده ليوشكنّ أن ينزل فيكم ابن مريم عدلاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الحرب ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها . ثم يقول أبوهريرة : واقرؤوا إن شئتم [وإن من أهل الكتاب إلاّ ليُؤمننّ به قبل موته ويوم القيامة يكونُ عليهم شهيداً])) ، البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام (٢ / ٤٩٠ ، ٣٤٤) ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب نزول عيسى عليه السلام حاكماً بشريعة محمد صلى الله عليه وسلّم ، ١ / ١٣٥ ، ٢٤٢ ، اعتناء محمد فؤاد عبد الباقي .

[5]) سورة آل عمران ، الآية ٥٥ .

وقال تعالى ﴿ وَقَوْلِهِم إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُم وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِن عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[1]

وتُبيّن هاتان الآيتان أن عيسى ـــ عليه السلام ـــ لم يُصلب ولم يُقتل، بل ولم يصب بأيّ أذى ، فإنّ الله عز وجل قد أحاطه برعايته وعنايته، ورفعه إليه، تكريماً و حمايةً، لتخليصه من أيدي الماكرين، وأنّ هناك إنساناً آخر، غير عيسى ـــ عليه السلام ـــ ، قد وقع عليه شبه ـــ عيسى عليه السلام ـــ ، فصلب بدلاً عنه .

ثم إن الناظر لإنجيل ((برنابا))[2] يجد أنّه قد وافق هذه الآيات القرآنيّة ، فقد جاء فيه أنّه لمّا ((دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع، سمع يسوع دنو جمع غفير، فلذلك انساب إلى البيت خائفاً، وكان الأحد عشر نياماً، فلما رأى الله الخطر على عبده، أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوديل سفراءه ، أن يأخذوا يسوع من العالم ، فجاء الملائكة الأطهار ، وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب ، فحملوه ووضعوه في

---

[1]) سورة النساء الآيتان ١٥٧، ١٥٨ .

[2]) برنابا : على أرجح الأقوال أنّه أحد تلاميذ المسيح عيسى عليه السلام ، كما صرح بذلك في إنجيله . واسمه ((يوسف بن لاوي بن إبراهيم)) ، من اليهود اللاويين من أبناء قبرص . وكان من أسرة غنيّة ، وبعد إيمانه بعيسى عليه السلام تنازل عن جميع ممتلكاته ، وبدأ يتبع المسيح عيسى في حِلّه وترحاله حتى لقّبه الحواريون ((برنابا)) وهي كلمة آراميّة معناها ((ابن الواعظ)) .

جاء في أعمال الرسل ٤ : ٣٦ ـــ ٣٧ : ((وَمِنْ هَؤُلاَءِ يُوسُفُ، الَّذِي دَعَاهُ الرُّسُلُ بَرْنَابَا أَيِ ابْنَ التَّشْجِيعِ، وَهُوَ مِنْ سِبْطِ لاَوِي، وَيَحْمِلُ الْجِنْسِيَّةَ الْقُبْرُصِيَّةَ. فَإِنَّهُ كَانَ يَمْلِكُ حَقْلاً، فَبَاعَهُ وَجَاءَ بِثَمَنِهِ وَوَضَعَهُ عِنْدَ أَقْدَامِ الرُّسُلِ)) .

وبرنابا هو الذي عرّف التلاميذ بإيمان بولس بعد أن كانوا يخافونه لاضطهاده تلاميذ عيسى عليه السلام ، كما جاء في أعمال الرسل (٩ / ٢٦) ، فلازمه في دعوته إلى النصرانيّة ، إلى أن عرف افتراءه على الله تعالى وعلى رسوله عيسى ففارقه ، وبقي برنابا على حذر من بولس ودعوته الإلحاديّة ، وقد افتتح انجيله بالرد على افتراءات بولس حيث يقول : ((أيّها الأعزاء ، إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيّه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى ، مبشرين بتعليم شديد الكفر ، داعين المسيح ابن الله ، ورافضين الختان الذي أمر به الله دائماً ، مجوّزين كل لحم نجس ، الذين ضل في عدادهم أيضاً بولس الذي لا أتكلّم عنه إلاّ مع الأسى)) ، كان من الرافضين لقرارات مجمع أورشليم المنحرفة في مسألة دخول الوثنيين إلى النصرانيّة ، وإلغاء الختان ، وجواز أكل اللحم النجس ، قُتل في بلده قبرص على أيدي اليهود . انظر: دراسات في اليهوديّة والمسيحيّة، ص ٤٠٥ ـــ ٤٠٧، د. محمّد ضياء الرحمن الأعظمي.

السماء الثالثة ، في صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الأبد .

ودخل يهوذا بعنف الغرفة التي أُصعد منها يسوع ، وكان التلاميذ كلهم نياماً ، فأتى الله العجيب بأمر عجيب، فتغيّر يهوذا في النطق، وفي الوجه، فصار شبيهاً بيسوع، حتى إننا اعتقدنا أنه يسوع ، أمّا هو فبعد أن أيقظنا ، أخذ يفتش أين كان المعلم ، لذلك تعجبنا ، وأجبنا: أنت يا سيد ، هو معلمنا ، أنسيتنا الآن ؟ أمّا هو فقال مبتسماً : هل أنتم أغبياء ، حتى لا تعرفون يهوذا الاسخريوطي؟ وبينما كان يقول هذا دخلت الجنود وألقوا أيديهم على يهوذا ، لأنه كان شبيهاً بيسوع من كل وجه))[1] .

---

[1]) انظر إلى النص في كتاب : الحوار الإسلامي ـــ المسيحي ص ٨٣ – ٨٤ ، بسام داود دعجك.

الأمر الثاني : من بداية الانحراف إلى ترسيخه ، ودور بولس اليهودي ، والإمبراطور قسطنطين في هذا الانحراف .

ويمكن تقسيم هذه المرحلة إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الدعوة إلى النصرانية ، وبداية الانحراف.

القسم الثاني : الاضطهادات الرومانية .

القسم الثالث : العصر الذهبي للنصارى ، وترسيخ الانحراف في دينهم .

القسم الأول : الدعوة إلى النصرانية [١]، وبداية الانحراف.

يقول الأب جان كمبي: ((ابتدأت حياة الكنيسة في أورشليم حوالي السنة الثلاثين يوم العنصرة [٢] اثنا عشر رجلاً يحملون البشرى لمواطنيهم))[٣] .

((نمت الجماعة المسيحية في أورشليم نمواً سريعاً ، وانضم تحت لوائها يهود ممن عاشوا في الشتات ، ومن مواطني الجليل واليهودية ، بل بعض الكهنة العبرانيين . ومن أول الأمر ، اطلقوا لقب ((كنيسة)) على جماعتهم ، وقد استنبطوا هذه التسمية من الترجمة السبعينية للعهد القديم ، حيث استعملت اللفظة للدلالة على شعب إسرائيل كلّه كجماعة مدعوة من الله)) [٤] .

يقوم الأنبا ديوسقورس : ((بعد أن صعد السيد المسيح إلى السماء ، لم يترك خليقته التي أتى ليفديها ، بدون رعاية ، بل اختار اثنا عشر تلميذاً ، وسبعين رسولاً وقال لهم

---

[١]) ويسمي مؤرخو الكنيسة مرحلة الدعوة إلى النصرانية (المسيحية) بالعصر الرسولي وعندهم أيضاً هي (بدايات التبشير) . انظر : تاريخ المسيحية (فجر المسيحية)، ص٣٢، حبيب سعيد، يا أهل الكتاب تعلوا إلى كلمة سواء ، ص١٠٣، رؤوف شلبي ، تاريخ العالم ٢١٦/٤ ، نشره : جون . ا . هامرتن .

[٢]) يوم العنصرة : هو اليوم الذي اجتمع فيه الحواريون بقيادة بطرس في أورشليم بعد رفع عيسى عليه السلام حوالي السنة الثلاثين الميلادية مع حجاج من اليهود لمناسبة العيد ، فقام فيهم بطرس خطيباً كما جاء في أعمال الرسل (٢٢/٢) ، وقيل أنه في ذلك اليوم دخل في النصرانية من اليهود ثلاثة آلاف نفس ، وفي ذلك اليوم ولدت الكنيسة . أنظر : دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص٢٤ ، الأب جان كمبي .

[٣]) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص٢٣ ، بقلم الأب جان كمبي .

[٤]) تاريخ المسيحية (فجر المسيحية) ، ص٣٦ ، بقلم حبيب سعيد .

((أقيموا في مدينة أورشليم، إلى أن تلبسوا قوة من الأعالى)) [١]، ((إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم..)) [٢])) [٣] .

ثم بيّن الأسقف ديوسقورس انقسام الرسل الإنجيليين بحسب أشهر مناطق تبشيرهم إلى الفرق الآتية :

الفرقة الأولى : التي عملت في اليهودية وتخومها ، وتتكون من الرسل : بطرس ويعقوب البار ومتياس الذي حل محل يهوذا الأسخريوطي (ولبطرس رسالتان وليعقوب رسالة) .

الفرقة الثانية : التي عملت في آسيا الصغرى وما حولها ، وتتكون من الرسل فيلبس وبرتولوماوس ويوحنّا ، ويُنسب إلى الأخير أنجيل وثلاث رسائل وسفر الرؤيا .

الفرقة الثالثة : التي ذهبت إلى إيران والهند ، وتتكون من الرسل يهوذا وسمعان القانوني وتوما (وليهوذا رسالة) .

الفرقة الرابعة : التي ذهبت إلى أقاليم أوروبا المختلفة ، وتتكون من الرسل أندراوس ويعقوب الكبير وبولس ولوقا الإنجيلي (ولبولس أربع عشر رسالة وللوقا أنجيله وسفر أعمال الرسل) [٤] .

الفرقة الخامسة : التي ذهبت إلى مصر وأثيوبيا بإفريقيا ، وتتكون من الإنجيليين متى ومرقس (ولكل منهما أنجيله) [٥] .

---

[١]) لوقا ٢٤ : ٤٩ .

[٢]) متى ٢٧ : ١٩ -٢٠ .

[٣]) موجز تاريخ المسيحية ، ص٤١ ، الأنبا ديوسقورس أسقف المنوفية .

[٤]) ولم يذكر المؤلف الأنبا ديوسقورس ـــ أسقف المنوفية ـــ ، بطرس من ضمن من ذهب إلى أوروبا ، علماً أن كثيراً من الكتب والمراجع النصرانية والتاريخية العامة والكاثوليكية بشكل خاص ذكرت ذهاب بطرس إلى إيطاليا وروما خاصة ، بل وذكرت أنه مات فيها ودفن فيها ، ولعل عدم ذكر المؤلف الأنبا ديوسقورس دخول بطرس إلى أوروبا يرجع إلى التنافس الحاد والمستهجن بين الطائفة الأرثوذكسيه المرقسيّة ، ومقرها في الإسكندرية ، وبين الطائفة الكاثوليكية ومقرها روما بإيطاليا .

[٥]) موجز تاريخ المسيحية ، ص٤٣ ، للأنبا ديوسقورس ـــ أسقف المنوفية ـــ وأستاذ التاريخ بالاكليريكية .
وأنظر في انتشار الدعوة النصرانية ، وخروجها عن دائرة بني إسرائيل في فلسطين ، إلى مجمل كتاب : تاريخ الكنيسة الجزء الثاني ، جون لوريمر .

وكانت هذه الخطوة وهي الخروج بدعوة النصرانيّة إلى خارج أراضي بني إسرائيل إلى خارج تخومهم هي بدايات الانحراف في الديانة النصرانية، حيث أن عيسى عليه السلام اقتصر في دعوته على بني إسرائيل دون غيرهم من الأمم والشعوب .

والمتتبع للأناجيل يجد ذلك بوضوح ـــ وهو قصر دعوة عيسى عليه السلام على بني إسرائيل ـــ ومن البداية في ذلك أن البشارة بمجيئه قبل مولده تشير إلى أن رعايته ستكون لشعب اليهود فقط ، ومن الأدلة في ذلك من كتبهم المقدّسة :

((وَلَكِنْ فِيمَا هُوَ مُتَفَكِّرٌ فِي هَذِهِ الأُمُورِ إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلاً: «يَا يُوسُفُ ابْنَ دَاوُدَ لاَ تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ لأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. فَسَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ»[1] ،

((وَأَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمٍ أَرْضَ يَهُوذَا لَسْتِ الصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُوذَا لأَنْ مِنْكِ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ»[2] ، وفي هذا إشارة واضحة أن دعوة المسيح ستكون لشعب اليهود فقط .

ثم إن المسيح ـــ عليه السلام ـــ عندما أرسل تلاميذه لينشروا دعوته بين اليهود كرر لهم الوصية أن يقصروا الدعوة على اليهود، بل وحذّرهم من دخول مدن الأمم الأخرى، ولو كانوا جيراناً لليهود، جاء في إنجيل متى : ((هَؤُلاَءِ الاِثْنَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ قَائِلاً: «إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لاَ تَمْضُوا وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لاَ تَدْخُلُوا. بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ.))[3]، ((وَمَتَى طَرَدُوكُمْ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ فَاهْرُبُوا إِلَى الأُخْرَى. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ لاَ تُكَمِّلُونَ مُدُنَ إِسْرَائِيلَ حَتَّى يَأْتِيَ ابْنُ الإِنْسَانِ))[4]، وقال للمرأة الكنعانية: «لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ »[5].

---

[1]) متى ١: ٢٠-٢١

[2]) متى ٢: ٦

[3]) متى١٠: ٥-٦

[4]) متى ١٠: ٢٣

[5]) متى ١٥: ٢٤-٢٦

وكان اختياره ـــ عليه السلام ـــ لتلاميذه من بين اليهود أنفسهم ؛ جاء في إنجيل متى في محاورة بين المسيح وبين أحد تلاميذه ، وهو بطرس ؛ ((فَأَجَابَ بُطْرُسُ حِينَئِذ: «هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ. فَمَاذَا يَكُونُ لَنَا؟» فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ : « اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ : إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ تَبِعْتُمُونِي فِي التَّجْدِيدِ مَتَى جَلَسَ ابْنُ الإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيّاً تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَرَ))[١]، فالمسيح يقول لهم إنهم يدينون أسباط إسرائيل فقط ، ولم يقل لهم أنهم يدينون شعوب العالم ؛ وهذه كناية أو إشارة إلى أن رسالته ، وهم من بعده ، قاصرة على شعب اليهودية المتفرع من الأسباط الاثنى عشر .

وكان معروفاً ـــ عليه السلام ـــ عند الناس أنه نبي اليهود وبني إسرائيل ؛ وذلك كما جاء في قصة المجوس التي ذكرها متى في إنجيله أنهم عندما سألوا عنه : ((وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ قَائِلِينَ: «أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟))[٢]، وكذلك عندما عذّب الرومانُ، ومن معهم من اليهود ، الرجلَ الذي اعتقدوا أنه ، هو عيسى عليه السلام : ((وَضَفَرُوا إِكْلِيلاً مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ وَقَصَبَةً فِي يَمِينِهِ. وَكَانُوا يَجْثُونَ قُدَّامَهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ قَائِلِينَ:«السَّلاَمُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ!»)[٣] ، حتى إنهم كتبوا على المصلوب الذى ظنّوه يسوع: ((وَجَعَلُوا فَوْقَ رَأْسِهِ عِلَّتَهُ مَكْتُوبَةً: «هَذَا هُوَ يَسُوعُ مَلِكُ الْيَهُودِ»[٤]، ((وَكَذَلِكَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ أَيْضاً وَهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ مَعَ الْكَتَبَةِ وَالشُّيُوخِ قَالُوا: «خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا». إِنْ كَانَ هُوَ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ فَلْيَنْزِلِ الآنَ عَنِ الصَّلِيبِ))[٥]

أمّا نص النصارى الذي اعتمدوا عليه في أن دعوة عيسى ـــ عليه السلام ـــ إلى النّاس كافّة، وهو : ((فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلاً: «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ

---

[١]) متى ١٩: ٢٧-٢٨

[٢]) متى ٢: ١

[٣]) متى ٢٧: ٢٩

[٤]) متى ٢٧: ٣٧

[٥]) متى ٢٧: ٤١-٤٢

وَعَلَى الأَرْضِ فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ))[1]، فهو يناقض كل النصوص المذكورة سابقاً ، والتي تثبت أنه كان في حياته يعمل على خلاص اليهود فقط دون غيرهم من البشرية .

يقول عبد الأحد داود ــ الأب ومطران بلدة نصيبين من أعمال العراق في القرن الماضي ــ سابقاً قبل إسلامه ــ في كتابه (الإنجيل والصليب) : ((فمن هنا تبين جلياً أن الآيات الأخرى المضادة لهذه الآيات إما محرفة أو زائفة . فإذا كان المسيح ينهى تلاميذه من الذهاب حتى إلى جارتهم أمة السامريين الممتزج دمهم بدم اليهود، والذين يصدقون أسفار توراة موسى، فكيف وبأي جسارة يسوغ لمتى مع وجود هذه الآيات والنصوص أن يقول في إنجيله عن لسان المسيح : ((اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس))[2] .

((ولقد أقر كُتَّاب النصارى في العصر الحاضر أن الحواريين وتلاميذ المسيح الأول لم يقولوا بعالمية النصرانية، وأن بولس هو أول من ابتدع القول بتلك العالمية، وأفاض في شرحها في رسائله، والمطلع على تلك الرسائل يتضح له أنه لم يورد دليلاً واحداً ولا كلمة واحدة تنسب إلى المسيح تشير إلى عالمية النصرانية، إنما كان تدليله على هذه العالمية من كلامه هو ومن بنات أفكاره دون أن يبرهن على دعواه بأي دليل، لذلك نرى أحد كتَّابهم يقول : ((إن المسيح كان نبياً لمعاصريه من اليهود ، و لم يُحاول أن يُنشيء فرعاً خاصاً به من بين هؤلاء المعاصرين أو يُنشيء له كنيسة مغايرة لكنائس اليهود أو تعاليمهم)) كما جاء في دائرة المعارف البريطانية ((أن أسبق حواريّي المسيح ظلوا يوجهون اهتمامهم إلى جعل النصرانية ديناً لليهود،وجعل المسيح أحد أنبياء بني إسرائيل إلى بني إسرائيل))[3]

ومن بدايات الانحراف ما حصل بين عامي (٥١-٥٥م) حيث انعقد أول مجمع

---

[1]) متى ٢٨: ١٨-١٩

[2]) الإنجيل والصليب ، ص ٧١ ، ٧٢ ، عبد الواحد داود .

[3]) الميزان في مقارن الأديان ، ص٢٨٩ ، المستشار محمد عزت الطهطاوي .

لأتباع عيسى ـــ عليه السلام ـــ ، وعلى رأسهم تلامذته في أورشليم (القدس)[1] ، وكان ممن حضر هذا المجمع بطرس وبولس ، وناقشوا فيه وضع المسيحيين الجدد الذين هم من أصول وثنية ، هل يُلزموا بشريعة التوراة والتي جاء عيسى ـــ عليه السلام ـــ ليتمها لا لينقضها فجاء في إنجيل متى قول المسيح عيسى ـــ عليه السلام ـــ : ((لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء وما جئت لأنقض بل لأكمل . فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل))[2]، أم أن لهم وضعية مختلفة تناسب وضعيتهم القديمة في وثنيتهم وهذا الذي أيده بولس، ((كان القديس بولس منذ بدء المسيحية ينصح لحديثي الإيمان أن يحتفظوا بما كانوا عليه من أحوال قبل إيمانهم بيسوع)) [3] .

ووصل هذا المجمع إلى أن نسخ كل الأحكام العملية في شريعة التوراة ، ولم يبقوا إلا على حرمة أربعة أشياء وهي : ما ذبح للأصنام، وعن الدم، وأكل المنخنقة، والزنى، وألغوا فيه الختان وباقي الشرائع .

ثم أرسل المجمع كتاباً بهذا إلى سائر الكنائس للعمل بمقتضاه ، وقد دوّن أعمال هذا المجمع وما حصل فيه من أحداث (أعمال الرسل) فجاء فيه : ((... أجاب يعقوب قائلاً أيّها الرجال الإخوة أسمعوني...أنا أرى أن لا يُثقّل على الراجعين إلى الله من الأمم. بل يُرسَلُ إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم))[4]، وذكر سفر أعمال الرسل ما حصل في هذه المجمع وأنهم أرسلوا بنتائجه إلى الكنائس الأخرى[5] .

---

[1]) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص٢٧ ، بقلم الأب جان كمبي ، مناظرة بين الإسلام والنصرانية ص٣٩٨ ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ١/ ، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ، ص٣١٥ ، د. محمد ضياء الأعظمي ، محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، ص١٤٣ \، التوحيد والتثليث في حوار المسيحية والإسلام ، محمد بن عبدالحميد الحمد ص٩٣، الروم وصلاتهم بالعرب ١/ ٢٩د. أسد رستم

[2]) متى ٥ : ١٧– ١٨

[3]) أنظر نشرة الفاتيكان سنة ١٩٦٨م بعنوان : ((المسيحية عقيدة وعملاً)) ص٥٠ ، نقلاً عن : مناظرة بين الإسلام والنصرانية ، ص١٥٨ باعتناء الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض

[4]) أعمال الرسل ١٥: ١٣، ١٩–٢٠ .

[5]) أعمال الرسل ١٥: ٢٢ –٢٩ : ((عِنْدَ ذَلِكَ أَجْمَعَ الرُّسُلُ وَالشُّيُوخُ وَالْجَمَاعَةُ كُلُّهَا عَلَى اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ مِنَ الإِخْوَةِ يُرْسِلُونَهُمَا إِلَى أَنْطَاكِيَةَ مَعَ بُولُسَ وَبَرْنَابَا. فَاخْتَارُوا يَهُوذَا، الْمُلَقَّبَ بَرْسَابَا، وَسِيلاَ، وَكَانَ لَهُمَا مَكَانَةٌ رَفِيعَةٌ بَيْنَ الإِخْوَةِ=

ويُلاحظ من ذكر أعمال الرسل للمجمع في أورشليم أنه ذكر إلغاء الختان صراحة ولم يتقيد بما لشريعة الختان من أهمية في شرائع التوراة ، فقد كان حكم الختان أبديّاً في شريعة إبراهيم عليه السلام ، جاء في سفر التكوين : ((وَقَالَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ: «أَمَّا أَنْتَ فَاحْفَظْ عَهْدِي، أَنْتَ وَذُرِّيَّتُكَ مِنْ بَعْدِكَ مَدَى أَجْيَالِهِمْ. هَذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ ذُرِّيَّتِكَ مِنْ بَعْدِكَ الَّذِي عَلَيْكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهُ: أَنْ يُخْتَتَنَ كُلُّ ذَكَرٍ مِنْكُمْ تَخْتَتِنُونَ رَأْسَ قُلْفَةِ غُرْلَتِكُمْ فَتَكُونُ عَلاَمَةَ الْعَهْدِ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ تَخْتَتِنُونَ عَلَى مَدَى أَجْيَالِكُمْ كُلَّ ذَكَرٍ فِيكُمُ ابْنَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٌ كَانَ الْمَوْلُودُ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ أَمْ كَانَ ابْناً لِغَرِيبٍ مُشْتَرًى بِمَالِكَ مِمَّنْ لَيْسَ مِنْ نَسْلِكَ. فَعَلَى كُلِّ وَلِيدٍ سَوَاءٌ وُلِدَ فِي بَيْتِكَ أَمِ اشْتَرَيَ بِمَالٍ أَنْ يُخْتَتَنَ، فَيَكُونُ عَهْدِي فِي لَحْمِكُمْ عَهْداً أَبَدِيّاً. أَمَّا الذَّكَرُ الأَغْلَفُ الَّذِي لَمْ يُخْتَتَنْ، يُسْتَأْصَلُ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ لأَنَّهُ نَكَثَ عَهْدِي))[1] .

وقد بقي هذا الحكم في أولاد إسماعيل وأولاد إسحاق ــ عليهما السلام ــ فقد جاء في سفر اللاويين : ((وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «أَوْصِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: إِذَا حَمَلَتِ امْرَأَةٌ وَوَلَدَتْ ذَكَراً، تَظَلُّ الأُمُّ فِي حَالَةِ نَجَاسَةٍ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، كَمَا فِي أَيَّامِ فَتْرَةِ الْحَيْضِ وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ يُجْرَى خِتَانُ الطِّفْلِ))[2]. واختتن عيسى عليه السلام ، كما جاء في إنجيل لوقا : ((وَلَمَّا تَمَّتْ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ لِيُخْتَتَنَ الطِّفْلُ، سُمِّيَ يَسُوعَ، كَمَا كَانَ قَدْ سُمِّيَ بِلِسَانِ الْمَلاَكِ قَبْلَ أَنْ يُحْبَلَ بِهِ فِي الْبَطْنِ))[3] .

ولكن هذا المجمع في أورشيلم وبفعل نشاط بولس فيه ألغيت شريعة الختان . ثم أرسل بولس رسالة إلى أهل غلاطية يؤكد هذا الحكم وهو نسخ الختان : ((هَا أَنَا بُولُسُ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ خُتِنْتُمْ، لاَ يَنْفَعُكُمُ الْمَسِيحُ شَيْئاً. وَأَشْهَدُ مَرَّةً أُخْرَى لِكُلِّ مَخْتُونٍ بِأَنَّهُ مُلْتَزِمٌ أَنْ يَعْمَلَ بِالشَّرِيعَةِ كُلِّهَا. يَامَنْ تُرِيدُونَ التَّبْرِيرَ عَنْ طَرِيقِ الشَّرِيعَةِ، قَدْ حُرِمْتُمُ الْمَسِيحَ وَسَقَطْتُمْ مِنَ النِّعْمَةِ! فَإِنَّنَا، بِالرُّوحِ وَعَلَى أَسَاسِ الإِيمَانِ، نَنْتَظِرُ الرَّجَاءَ الَّذِي يُنْتِجُهُ الْبِرُّ. فَفِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لاَ نَفْعَ لِلْخِتَانِ

=وَسَلَّمُوهُمْ هذه الرِّسَالَةَ مِنَ الرُّسُلِ وَالشُّيُوخِ وَالإِخْوَةِ، إِلَى الإِخْوَةِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيْرِ الْيَهُودِ فِي مُقَاطَعَاتِ أَنْطَاكِيَةَ وَسُورِيَّةَ وَكِيلِيكِيَّةَ: سَلاَمٌ! عَلِمْنَا أَنَّ بَعْضَ الأَشْخَاصِ ذَهَبُوا مِنْ عِنْدِنَا إِلَيْكُمْ، دُونَ تَفْوِيضٍ مِنَّا، فَأَثَارُوا بِكَلاَمِهِمْ الاضْطِرَابَ بَيْنَكُمْ وَأَقْلَقُوا أَفْكَارَكُمْ. فَأَجْمَعْنَا بِرَأْيٍ وَاحِدٍ عَلَى أَنْ نَخْتَارَ رَجُلَيْنِ قَدْ كَرَّسَا حَيَاتَهُمَا لاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ نُرْسِلُهُمَا إِلَيْكُمْ مَعَ أَخَوَيْنَا الْحَبِيبَيْنِ بَرْنَابَا وَبُولُسَ. فَأَرْسَلْنَا يَهُوذَا وَسِيلاَ لِيُبَلِّغَاكُمُ الرِّسَالَةَ نَفْسَهَا شِفَاهاً. فَقَدْ رَأَى الرُّوحُ الْقُدُسُ وَنَحْنُ، أَنْ لاَ نُحَمِّلَكُمْ أَيَّ عِبْءٍ فَوْقَ مَا يَتَوَجَّبُ عَلَيْكُمْ. إِنَّمَا عَلَيْكُمْ أَنْ تَمْتَنِعُوا عَنِ الأَكْلِ مِنَ الذَّبَائِحِ الْمُقَرَّبَةِ لِلأَصْنَامِ، وَعَنْ تَنَاوُلِ الدَّمِ وَلُحُومِ الْحَيَوَانَاتِ الْمَخْنُوقَةِ، وَعَنِ ارْتِكَابِ الزِّنَى. وَتُحْسِنُونَ عَمَلاً إِنْ حَفِظْتُمْ أَنْفُسَكُمْ مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ. عَافَاكُمُ اللهُ!».

[1]) التكوين ١٧ : ٩-١٤.

[2]) اللاويين ١٢ : ١ــ٣ .

[3]) لوقا ٢-٢١ .

وَلاَ لِعَدَمِ الْخِتَانِ، بَلْ لِلإِيمَانِ الْعَامِلِ بِالْمَحَبَّةِ))[١] .

ويشرح المفسر النصراني وليم باركيلي قول بولس هذا بقوله : ((كان بولس يعتبر أن طريق النعمة وطريق الناموس متعارضان تماماً . والخطأ الأساسي الذي يقع فيه من يختار طريق طاعة الناموس ، هو أن يظن أن ما يفعله سيكسبه الثواب أمام الله ، وطريق الناموس يجعل الخلاص يعتمد على المنجزات البشرية . أما من يختار سبيل النعمة فإنه يلقي بنفسه وخطيئته على رحمة محبة الله . وهنا يُقدِّم بولس الرسول وجهة نظرة في تسلسل منطقي فيقول : أنك لو قبلت الختان فهذا يعني أنك تقبل جزءاً من الناموس ، ويتبع ذلك منطقياً أنه يجب عليك أن تقبل الناموس بجملته ... فإن من سلك هذا السبيل فإنه بذلك يكون قد رفض تلقائياً سبيل النعمة ، ويكون المسيح بالنسبة له وكأنّه لم يمت أبداً . وكان كل ما يهم بولس هو ذلك الإيمان الحاصل عن طريق المحبة . وهذا يعني بصورة أخرى أن جوهر الدين ليس هو الناموس ، ولكن العلاقة الشخصية مع المسيح يسوع ... فإيمان المسيحي لا يتأسس أبداً على كتاب ، ولكن على شخص ، والقوة الدافعة فيه ليست طاعة أيّ ناموس ولكن الحب للمسيح يسوع))[٢] .

ولا شك أن هذا يؤدي إلى نبذ التمسك بالشريعة بأكملها ، فلا التزام ولا تقيد بالشريعة ما دام الإنسان النصراني يحب يسوع ويؤمن بفدائه له وللبشرية ، فهذا هو الخلاص الحقيقي عند بولس . وهذا عبث ما بعده عبث بالشرائع المنزّلة لتحكم حياة الناس ومن خلالها يصل الإنسان إلى ربه . وهذا ما حصل للنصارى حيث تفلتوا من الشرائع والعبادات ، و حرَّفوها وبدَّلوها .

علماً بأن عيسى عليه السلام بيّن أن الخلاص الحقيقي ، هو لمن تمسك بالشريعة وعمل بالوصايا ، فجاء في إنجيل متى : ((وَإِذَا شَابٌّ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَيَسْأَلُ: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ،

---

[١]) رسالة بولس إلى غلاطية ٥ : ٢-٦

[٢]) تفسير العهد الجديد ، رسالتا غلاطية وأفسس ، ص٧٣ ، ٧٤ ، وليم باركلي .

وقد ألف النصراني ندره اليازجي كتاب أسماه ((رد على اليهودية واليهودية المسيحية)) يؤيد قول بولس هذا وينتقد النصراني الذي يتمسك بالشريعة ويرى أن النصراني الصحيح هو الذي يهيم حباً في يسوع المسيح دون التمسك بأحكام الناموس (الشريعة) .

أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لأَحْصُلَ عَلَى الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ؟» فَأَجَابَهُ: «لِمَاذَا تَسْأَلُنِي عَنِ الصَّالِحِ؟ وَاحِدٌ هُوَ الصَّالِحُ. وَلكِنْ، إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ، فَاعْمَلْ بِالْوَصَايَا». فَسَأَلَ: «أَيَّةِ وَصَايَا؟» أَجَابَهُ يَسُوعُ: «لاَ تَقْتُلْ؛ لاَ تَزْنِ؛ لاَ تَسْرِقْ؛ لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ؛ أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ؛ وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ...» قَالَ لَهُ الشَّابُّ: «هَذِهِ كُلُّهَا عَمِلْتُ بِهَا مُنْذُ صِغَرِي، فَمَاذَا يَنْقُصُنِي بَعْدُ؟» فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً، فَاذْهَبْ وَبِعْ كُلَّ مَا تَمْلِكُ، وَوَزِّعْ عَلَى الْفُقَرَاءِ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاوَاتِ. وَتَعَالَ اتْبَعْنِي))[١] .

وذكر أيضاً مسألة أهميّة التمسك بالشريعة يعقوب في رسالته:((أَنْتَ تُؤْمِنُ أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ؟ حَسَناً تَفْعَلُ ! وَالشَّيَاطِينُ أَيْضاً تُؤْمِنُ بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ، وَلَكِنَّهَا تَرْتَعِدُ خَوْفاً. وَهَذَا يُؤَكِّدُ لَكَ، أَيُّهَا الإِنْسَانُ الْغَبِيُّ، أَنَّ الإِيمَانَ الَّذِي لاَ تَنْتُجُ عَنْهُ أَعْمَالٌ هُوَ إِيمَانٌ مَيِّتٌ! لِنَأْخُذْ أَبَانَا إِبْرَاهِيمَ مَثَلاً: كَيْفَ تَبَرَّرَ؟ أَلَيْسَ بِأَعْمَالِهِ، إِذْ أَصْعَدَ ابْنَهُ إِسْحَاقَ عَلَى الْمَذْبَحِ فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ إِيمَانَ إِبْرَاهِيمَ قَدْ رَافَقَتْهُ الأَعْمَالُ. فَبِالأَعْمَالِ قَد اكْتَمَلَ الإِيمَانُ. وَهَكَذَا ، تَمَّ مَا قَالَهُ الْكِتَابُ: «آمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللهِ ، فَحُسِبَ لَهُ ذَلِكَ بِرّاً» ، حَتَّى إِنَّهُ دُعِيَ «خَلِيلَ اللهِ» . فَتَرَوْنَ إِذَنْ أَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَتَبَرَّرُ بِإِيمَانِهِ فَقَطْ ، بَلْ بِأَعْمَالِهِ أَيْضاً))[٢] .

وحصل كذلك في هذا المجمع ــ الملغي للعمل بالشريعة ــ أن أجاز أكل لحم الخنزير، وحجتهم في ذلك أن الذين دخول في ديانتهم النصرانيّة من المتحدّرين من أصول مختلفة كان يصعب عليهم تناول الطعام مع النصارى من أصل يهودي بسبب القوانين اليهودية المتعلّقة بالأطعمة ، مثل ؛ أنّ أكل لحم الخنزير محرم ، وكذلك الدم وبعض طرق تهيئة الطعام ، وغيرها [٣] .

---

[١]) متى ١٩: ١٦-٢١

[٢]) يعقوب ٢: ٢٢ .

[٣]) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص٢٧-٢٨، بقلم الأب جان كمبي .

ثم قال هذا المؤلف ــ في ص٢٨ ؛ وبعد ذكره أحداث مجمع أورشليم ؛ مؤيداً لقراراته وتوجهاته : ((هكذا لم يعد الإيمان المسيحي مرتبطاً باليهودية . لم يعد أحداً مجبراً على الانتقال إلى ثقافة أخرى لكي يتبع الإنجيل . فأصبحت الكنيسة فعلاً عالمية)) .

وكان من أسباب جواز أكل لحم الخنزير أن بطرس كبير الحواريين ورد عنه في أعمال الرسل حادثه تدل على تجويزه لأكل كل ما حرَّمته التوراة من الحيوانات ومنها الخنزير : ((وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي، بَيْنَمَا كَانَ الرِّجَالُ الثَّلاَثَةُ يَقْتَرِبُونَ مِنْ مَدِينَةِ يَافَا، صَعِدَ بُطْرُسُ نَحْوَ الظُّهْرِ إِلَى السَّطْحِ لِيُصَلِّيَ. وَأَحَسَّ جُوعاً شَدِيداً، فَاشْتَهَى أَنْ يَأْكُلَ. وَبَيْنَمَا الطَّعَامُ يُعَدُّ لَهُ، وَقَعَتْ عَلَيْهِ غَيْبُوبَةٌ، فَرَأَى رُؤْيَا: السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَوِعَاءً يُشْبِهُ قِطْعَةً كَبِيرَةً مِنَ الْقُمَاشِ =

علماً أن تحريم لحم الخنزير مقرراً في الشرائع السماوية ــ وجاءت قذارة الخنزير حتى في أناجيل النصارى مما يبين مدى التعارض بين نصوصها في أحكام كثيرة ومنها هذه المسألة ــ .

جاء في القرآن الكريم تحريم الخنزير تحريماً قاطعاً قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُم وَاشكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُم إِيَّاهُ تَعبُدُونَ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيكُم المَيتَةَ وَالدَّمَ وَلَحمَ الخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيرِ اللَّهِ فَمَنِ اضطُرَّ غَيرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثمَ عَلَيهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[1] ، وقال تعالى ﴿ حُرِّمَت عَلَيكُم المَيتَةُ وَالدَّمُ وَلَحمُ الخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيرِ اللَّهِ بِهِ وَالمُنخَنِقَةُ وَالمَوقُوذَةُ وَالمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيتُم وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾[2] ، وقال تعالى ﴿ قُل لاَ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيتَةً أَو دَمًا مَسفُوحًا أَو لَحمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجسٌ أَو فِسقًا أُهِلَّ لِغَيرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضطُرَّ غَيرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[3] .

وجاء في التوراة:((وكلم الرب موسى وهارون قائلاً لهم : كلّما بني إسرائيل قائلين ... إلا هذه فلا تأكلوها مّما يجتر ومّما يشقُّ الظلف ... والخنزير لأنّه يشقُّ ظلفاً .. فهو

-مَرْبُوطَةً بِأَطْرَافِهَا الأَرْبَعَةِ يَتَدَلَّى إِلَى الأَرْضِ، وَهُوَ مَلِيءٌ بِأَنْوَاعِ الْحَيَوَانَاتِ الدَّابَّةِ عَلَى الأَرْضِ وَالْوُحُوشِ وَالزَّوَاحِفِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ جَمِيعاً. وَنَادَاهُ صَوْتٌ: «يَابُطْرُسُ، قُمِ اذْبَحْ وَكُلْ!» وَلكِنَّ بُطْرُسَ أَجَابَ: «كَلاَّ يَارَبُّ، فَأَنَا لَمْ آكُلْ قَطُّ شَيْئاً مُحَرَّماً أَوْ نَجِساً». فَقَالَ لَهُ الصَّوْتُ أَيْضاً: «مَا طَهَّرَهُ اللهُ لاَ تَحْسَبْهُ أَنْتَ نَجِساً!» وَتَكَرَّرَ هَذَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ ارْتَفَعَ الْوِعَاءُ إِلَى السَّمَاءِ)) ، أعمال الرسل ١٠ : ٩-١٦ .

يقول المفسر النصراني وليم باركلي : ((... وقد أصبح بطرس يشعر أن المسيحية تمحوا هذه المحرمات . وفي الظهيرة صعد بطرس إلى السطح ليصلي . وكان الناس يصعدون لسطح عادةً للخلوة . فرأى ملاءة كبيرة أمامه وعليها حيوانات مختلفة وجاءه الصوت ((اذبح وكل)) ، لقد كان لليهود قوانين صارمة للأطعمة مذكورة في (لاويين ١١)، وعلى العموم لم يكن مسموحاً لليهودي أن يأكل إلا الحيوانات مشقوكة الظلف والتي تجتر ، ولقد صعق بطرس لهذا الأمر وأحتج عليه بأنه لم يأكل نجساً ولكن الصوت ناداه ((ما طهّره الله لا تدنسه أنت)) وحدث هذا ثلاث مرات حتى أنّه لم يكن هناك أي احتمال للخطأ)) تفسير سفر أعمال الرسل ، ص ١٣٢ .

ثم قال : ((... وفي أيام الكنيسة الأولى كانت من أهم علامات المسيحية أنها كانت تحطم الحواجز ولا شك أن المسيحية ما زالت تحطم كل الحواجز بين البشر إن أعطيت الفرصة لذلك)) ص١٣٥، المرجع السابق .

[1]) سورة البقرة الآيتان ١٧٢-١٧٣

[2]) سورة المائدة الآية ٣

[3]) سورة الأنعام الآية ١٤٥

نجس لكم))[1]، وجاء أيضاً : ((لا تأكل رجساً ما ... والخنزير لأنّه يشق الظلف لكنّه لا يجتر فهو نجسٌ لكم . فمن لحمها لا تأكلوا وجثثها لا تلمسوا))[2] .

وممَّا جاء في أناجيل النصارى في قذارة الخنازير ((لا تُعْطُوا الْقُدْسَ لِلْكِلاَبِ ، ولا تَطْرَحُوا دُرَرَكُمْ قُدَّامَ الْخَنَازِيرِ))[3] ، وجاء فيها أيضاً : ((قَدْ أَصَابَهُمْ ما فِي الْمَثَلِ الصَّادِقِ كَلْبٌ قَدْ عَادَ إِلَى قَيْئِهِ، وخِنْزِيرَةٌ مُغْتَسِلَةٌ إِلَى مَرَاغَةِ الْحَمْأَةِ))[4] ، ولكن مجمع أورشليم لم يأبه بهذه النصوص القاطعة في التحريم وحلل أكله .

وكانت الطامّة الكبرى التي حلّت بالدين الذي جاء به عيسى عليه السلام ، هو اعتناق ((بولس)) له ودخوله فيه .

((بولس)) ذلك الرجل اليهودي[5]، الذي اشتهر بشدة عدائه لأتباع عيسى عليه السلام[6] ، والتي كانت قصة دخوله في دين عيسى عليه السلام قصة مريبة يحوم حولها كثير

---

[1]) سفر اللاويين ١١ : ١-٨

[2]) سفر التثنيه ١٤ : ٣-٨

((وقد حسبه الفينيقيون والأثيوبيون والمصريون نجساً مع أنهم في مصر كانوا يقدمون خنزيراً ذبيحة في العيد السنوي لآله القمر ولأوزوريس باخوس . ومع ذلك فإنه كان يتحتم على من يلمس خنزيراً ولو عرضاً أن يغتسل ولم يكن يسمح لراعي الخنزير أن يدخل الهيكل ولم يكن يتزوج إلا من بنات الرعاة مثله لأنه أحداً لا يرضى أن يزوج ابنته من راعي الخنازير)) انظر : مناظرة بين الإسلام والنصرانية ، ص٤٣٤ .

[3]) متى ٧ : ٦ .

[4]) رسالة بطرس الثانية ٢ : ٢٢

[5]) وقد جاء ذلك على لسانه ، بقوله : ((أَنَا رَجُلٌ يَهُودِيٌّ، وُلِدْتُ فِي طَرْسُوسَ الْوَاقِعَةِ فِي مُقَاطَعَةِ كِيلِيكِيَّةَ، وَلَكِنِّي نَشَأْتُ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ)) ، أي أورشليم (القدس) ، أعمال الرسل ٢٢ : ٣ ، وهو من اليهود الفريسيين الذين اشتهروا بعدائهم لشخص وتعاليم المسيح عيسى عليه السلام ، يقول بولس عن نفسه : ((وَإِذْ كَانَ بُولُسُ يَعْلَمُ أَنَّ بَعْضَ أَعْضَاءِ الْمَجْلِسِ مِنْ مَذْهَبِ الصَّدُّوقِيِّينَ، وَبَعْضُهُمْ مِنْ مَذْهَبِ الْفَرِّيسِيِّينَ، نَادَى فِي الْمَجْلِسِ: «أَيُّهَا الإِخْوَةُ، أَنَا فَرِّيسِيٌّ ابْنُ فَرِّيسِيٍّ)) ، أعمال الرسل ٢٣ : ٦ ، ٧ .

[6]) ومن النصوص التي تبيّن كره بولس (شاول) للمسيحيين ، وتعذيبه لهم : ((وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَفْسِهِ وَقَعَ اضْطِهَادٌ شَدِيدٌ عَلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي أُورُشَلِيمَ. فَتَشَتَّتَ الإِخْوَةُ جَمِيعاً فِي نَوَاحِي الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ، وَلَمْ يَبْقَ فِي أُورُشَلِيمَ إِلاَّ الرُّسُلُ ... أَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ يُحَاوِلُ إِبَادَةَ الْكَنِيسَةِ، فَيَذْهَبُ مِنْ بَيْتٍ إِلَى بَيْتٍ وَيَجُرُّ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ وَيُلْقِيهِمْ فِي السِّجْنِ)) أعمال الرسل ٨ : ١ ــ ٣ ، ((أَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ لاَ يَزَالُ يَفُورُ بِالتَّهْدِيدِ وَالْقَتْلِ عَلَى تَلاَمِيذِ الرَّبِّ. فَذَهَبَ إِلَى رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، وَطَلَبَ مِنْهُ رَسَائِلَ إِلَى مَجَامِعِ الْيَهُودِ فِي دِمَشْقَ لِتَسْهِيلِ الْقَبْضِ عَلَى أَتْبَاعِ هَذَا=

من الشك ، ويظهر فيها كثير من المكر اليهودي المدروس ، علماً أنّ في رواياتها الثلاث من التناقض ما يجعل وقوعها أقرب إلى الشك منه إلى اليقين[١] .

=الطَّرِيقِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، حَيْثُمَا يَجِدُهُمْ، لِيَسُوقَهُمْ مُقَيَّدِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ)) ، أعمال الرسل ٩ : ١ ـــ ٢ ، والملاحظ في هذا النص أن لبولس (شاول) سُلْطة تخوِّله تعذيب المسيحيين ، ووضع الخطط مع رئيس الكهنة اليهود للقضاء عليهم ، وقد يكون دخوله في المسيحيّة جزء من المكر اليهودي المُخطط له في مجالسهم الخاصة للعبث بهذه الديانة التوحيديّة ، وتحريفها ، وهذا ما حصل ونجح فيه بولس (شاول) النجاح العجيب .

[١]) وهذه القصة وردت في سفر ((أعمال الرسل)) ، في ثلاث مواضع منه ، وهي كالتالي :

الرواية الأولى : ((أَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ لاَيَزَالُ يَفُورُ بِالتَّهْدِيدِ وَالْقَتْلِ عَلَى تَلاَمِيذِ الرَّبِّ. فَذَهَبَ إِلَى رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، وَطَلَبَ مِنْهُ رَسَائِلَ إِلَى مَجَامِعِ الْيَهُودِ فِي دِمَشْقَ لِتَسْهِيلِ الْقَبْضِ عَلَى أَتْبَاعِ هَذَا الطَّرِيقِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، حَيْثُمَا يَجِدُهُمْ، لِيَسُوقَهُمْ مُقَيَّدِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ. وَفِيمَا هُوَ مُنْطَلِقٌ إِلَى دِمَشْقَ، وَقَدِ اقْتَرَبَ مِنْهَا، لَمَعَ حَوْلَهُ فَجْأَةً نُورٌ مِنَ السَّمَاءِ، فَوَقَعَ إِلَى الأَرْضِ وَسَمِعَ صَوْتاً يَقُولُ لَهُ: «شَاوُلُ! شَاوُلُ! لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟» فَسَأَلَ: «مَنْ أَنْتَ يَاسَيِّدُ؟» فَجَاءَهُ الْجَوَابُ: «أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ، صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ الْمَنَاخِسَ». فَقَالَ وَهُوَ مُرْتَعِدٌ وَمُتَحَيِّرٌ، «يَارَبُّ مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ؟» فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «قُمْ، وَادْخُلِ الْمَدِينَةَ فَيُقَالَ لَكَ مَا يَجِبُ أَنْ تَفْعَلَهُ». وَأَمَّا مُرَافِقُو شَاوُلَ فَوَقَفُوا مَذْهُولِينَ لاَ يَنْطِقُونَ، فَقَدْ سَمِعُوا الصَّوْتَ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا أَحَداً. وَعِنْدَمَا نَهَضَ شَاوُلُ عَنِ الأَرْضِ، فَتَحَ عَيْنَيْهِ فَوَجَدَ أَنَّهُ لاَ يُبْصِرُ، فَاقْتَادُوهُ بِيَدِهِ وَأَدْخَلُوهُ إِلَى دِمَشْقَ، حَيْثُ بَقِيَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لاَ يُبْصِرُ وَلاَ يَأْكُلُ وَلاَ يَشْرَبُ)) ، أعمال الرسل ٩ : ١ ـــ ٩ .

الرواية الثانية : ((...فَاضْطَهَدْتُ هَذَا الطَّرِيقَ حَتَّى الْمَوْتِ، فَكُنْتُ أَعْتَقِلُ أَتْبَاعَهُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَأَزُجُّ بِهِمْ فِي السُّجُونِ. وَيَشْهَدُ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَمَجْلِسُ الشُّيُوخِ عَلَى صِدْقِ كَلاَمِي هَذَا. فَقَدْ أَخَذْتُ مِنْهُمْ رَسَائِلَ إِلَى إِخْوَانِهِمْ فِي دِمَشْقَ لِيُعَاوِنُونِي فِي الْقَبْضِ عَلَى الَّذِينَ هُنَاكَ، لأَسُوقَهُمْ إِلَى أُورُشَلِيمَ فَيَنَالُوا عِقَابَهُمْ. وَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ دِمَشْقَ، وَكَانَ الْوَقْتُ نَحْوَ الظُّهْرِ، أَضَاءَ حَوْلِي فَجْأَةً نُورٌ بَاهِرٌ، فَوَقَعْتُ عَلَى الأَرْضِ، وَسَمِعْتُ صَوْتاً يَقُولُ لِي: شَاوُلُ، شَاوُلُ، لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟ فَأَجَبْتُ: مَنْ أَنْتَ يَاسَيِّدُ؟ فَقَالَ: أَنَا يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ. وَقَدْ رَأَى مُرَافِقِيَّ النُّورَ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا صَوْتَ مُخَاطِبِي. فَسَأَلْتُ: مَاذَا أَفْعَلُ يَارَبُّ؟ فَأَجَابَنِي الرَّبُّ: قُمْ وَادْخُلْ دِمَشْقَ، وَهُنَاكَ يُقَالُ لَكَ مَا يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَهُ. وَاقْتَادَنِي مُرَافِقِيَّ بِيَدِي حَتَّى أَوْصَلُونِي إِلَى دِمَشْقَ، لأَنِّي لَمْ أَكُنْ أُبْصِرُ بِسَبَبِ شِدَّةِ ذَلِكَ النُّورِ الْبَاهِرِ)) أعمال الرسل ٢٢ : ٤ ـــ ١١ .

الرواية الثالثة : ((وَتَوَجَّهْتُ إِلَى مَدِينَةِ دِمَشْقَ بِتَفْوِيضٍ وَتَرْخِيصٍ مِنْ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ، فَرَأَيْتُ، أَيُّهَا الْمَلِكُ، عَلَى الطَّرِيقِ عِنْدَ الظُّهْرِ نُوراً يَفُوقُ نُورَ الشَّمْسِ يَسْطَعُ حَوْلِي وَحَوْلَ مُرَافِقِيَّ، فَسَقَطْنَا كُلُّنَا عَلَى الأَرْضِ. وَسَمِعْتُ صَوْتاً يُنَادِينِي بِاللُّغَةِ الْعِبْرِيَّةِ قَائِلاً: شَاوُلُ، شَاوُلُ، لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟ يَصْعُبُ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ الْمَنَاخِسَ. فَسَأَلْتُ: مَنْ أَنْتَ يَاسَيِّدُ؟ فَأَجَابَ: أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ. انْهَضْ وَقِفْ عَلَى قَدَمَيْكَ، فَقَدْ ظَهَرْتُ لَكَ لأُعَيِّنَكَ خَادِماً لِي وَشَاهِداً بِهَذِهِ الرُّؤْيَا الَّتِي تَرَانِي فِيهَا الآنَ، وَبِالرُّؤَى الَّتِي سَتَرَانِي فِيهَا بَعْدَ الْيَوْمِ. وَسَأُنْقِذُكَ مِنْ شَعْبِكَ وَمِنَ الأُمَمِ الَّتِي أُرْسِلُكَ إِلَيْهَا الآنَ، لِتَفْتَحَ عُيُونَهُمْ كَيْ يَرْجِعُوا مِنَ الظَّلاَمِ إِلَى النُّورِ، وَمِنْ سَيْطَرَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى اللهِ، فَيَنَالُوا=

ولقد أكدت المصادر أن بولس لم يكن تلميذاً من تلاميذ المسيح، فلم يلتق به مدة حياته، ولم يتتلمذ على يديه، ولم يتلق منه أي تعاليم. هذا إلى جانب أنه لم يلتق بأي تلميذ من تلاميذ المسيح في فترته التبشيرية الأولى والذي كانت مدتها ثلاث سنوات ، بزعم أنّه تلقى تعليمه من المسيح عيسى مباشرةً في تلك الرؤيا المزعومة [1] .

ولذلك ومنذ أن أدعى بولس دخوله في الدين الجديد وإيمانه بالمسيح انقلبت موازين هذه الديانة وتغيرت أحوالها وأخذت صورة جديدة دعت فيها إلى عقائد وتعاليم ومفاهيم

غُفْرَانَ الْخَطَايَا وَنَصِيباً بَيْنَ الَّذِينَ تَقَدَّسُوا بِالإِيمَانِ بِي)) أعمال الرسل ٢٦ : ١٢ ــ ١٨ .

ومن هذا التناقض في هذه الروايات الثلاث ، أنّ المسافرين مع بولس في الرواية الأولى قد سمعوا الصوت ولم ينظروا أحداً ، إلاّ أنّهم في الرواية الثانية نظروا النور ولكنّهم لم يسمعوا الصوت ، وفي الرواية الثالثة نجد أنّ المسافرين معه قد رأوا النور ، ولم تُبيّن أنّهم قد سمعوا معه صوتاً أم لا ، إلا أنّ الرواية ذكرت أنّهم سقطوا جميعاً مع بولس على الأرض، وذلك بخلاف الرواية الأولى التي فيها أنّهم وقفوا صامتين، وخلافاً لما يُفهم من مضمون الرواية الثانية

وأيضاً أنّ بولس ذكر في الروايتين الأولى والثانية أن المسيح عيسى أمره بالذهاب إلى دمشق لتلقي الرسالة ، وفي الرواية الثالثة ، أن المسيح أعطاه الرسالة فوراً مع الوعد بإنقاذه من اليهود والأمم الأخرى .

وهذه الروايات المختلفة فيما بينها تتكلّم عن حادثة واحدة وقعت مرّة واحدة فقط ، فيكيف يحصل هذا الاختلاف الشديد في مسألة يستدل بها النصارى على صدق دخول (بولس) شاول اليهودي في دينهم ، فهذا من الأمر العجيب ؛ وقد قال العلماء : ((أنّ الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال)) .

[1]) جاء في قول بولس لأهل غلاطيه : ((مِنْ بُولُسَ، وَهُوَ رَسُولٌ لاَ مِنْ قِبَلِ النَّاسِ وَلاَ بِسُلْطَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ بِسُلْطَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَاللهِ الآبِ الَّذِي أَقَامَهُ مِنْ بَيْنِ الأَمْوَاتِ ... وَلَكِنْ، لَمَّا سُرَّ اللهُ ، الَّذِي كَانَ قَدْ أَفْرَزَنِي وَأَنَا فِي بَطْنِ أُمِّي ثُمَّ دَعَانِي بِنِعْمَتِهِ ، أَنْ يُعْلِنَ ابْنَهُ فِيَّ لأُبَشِّرَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، فِي الْحَالِ لَمْ أَسْتَشِرْ لَحْماً وَدَماً، وَلاَ صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ لأُقَابِلَ الَّذِينَ كَانُوا رُسُلاً مِنْ قَبْلِي، بَلِ انْطَلَقْتُ إِلَى بِلاَدِ الْعَرَبِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ رَجَعْتُ إِلَى دِمَشْقَ. ثُمَّ صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ، بَعْدَ ثَلاَثِ سَنَوَاتٍ، لأَتَعَرَّفَ بِبُطْرُسَ. وَقَدْ أَقَمْتُ عِنْدَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً. وَلَكِنِّي لَمْ أُقَابِلْ غَيْرَهُ مِنَ الرُّسُلِ إِلاَّ يَعْقُوبَ، أَخَا الرَّبِّ إِنَّ مَا أَكْتُبُهُ إِلَيْكُمْ هُنَا، وَهَا أَنَا أَمَامَ اللهِ، لَسْتُ أَكْذِبُ فِيهِ)) . غلاطيه١: ١ ، ١ : ١٥ ــ ٢٠ .

وبعد هذه المدة البسيطة التي مكث فيها بولس عند بطرس (خمسة عشر يوماً) ، انطلق ولمدة أربعة عشر سنة (غلاطيه ٢ : ١) يدعو فيها بتعاليم لم يستقيها ، ولم يتعلمها من المسيح عيسى ؛ حيث أنه لم يره ، ولا من حواري المسيح أو من تلاميذه ، وإنّما أخذها بزعمه عن طريق الرؤيا التي أراها في الطريق ، وفيه سلّمه المسيح في المنام كل التعاليم التي يدعوا إليه الآن ، فسلسلة مختصرة إلى المسيح عن طريق المنام ، ولفترة بسيطة علّمه المسيح كُل التعاليم ، سبحانك هذا بهتان عظيم ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، فرد أحد ؛ صمد ؛ لم يلد ولم يولد ؛ ولم يكن له كفواً أحد .

جديدة

يقول (ويلز): ((كان القديس بولس من أعظم من انشأوا المسيحية الحديثة ، وهو لم ير عيسى قط ولا سمعه يُبَشِّر الناس ، أوتي عقلية عظيمة ، وكـان شـديد الاهتمـام بحركات زمانه الدينية ، فنقل إلى المسيحية كثيراً من الأفكار))[1] .

ويقول (بيري) : ((لقد كوّن شاول المسيحية على حساب عيسى ، فهو في الحقيقة مؤسس المسيحية ... وقد أدخل على ديانته بعض تعاليم اليهود ليجذب إليه العامة منهم ، وأدخل صوراً من فلسفة الإغريق ليجذب إليه أتباعاً من اليونان ، فعيسى أصبح ابن الله ، واحتلت صورة العذراء والمسيح مكاناً مقدساً احتلته قديماً صورتا (حودس) و (أوزيوس) ووضعتا في كل الكنائس))[2] .

ومن الأشياء التي ابتدعها بولس، وحوّلت الديانة التي جاء بها عيسى عليه السلام إلى ديانة مختلفة تماماً عنها، مما جعل كثير من الباحثين والمؤرخين يسمونها الديانة البوليسية:-

فمثلاً ، قضية أنّ عيسى ابن الله ، جاء ليفدي البشرية من الخطيئة الموروثة مـن آدم ـــ عليه السلام ـــ . فصلب عيسى لأجل فداء وخلاص البشرية .

يقول ول ديورانت : ((ولقد أنشأ بولس لاهوتاً لا نجد له إلا أسانيد غامضة أشـد الغموض في أقوال المسيح، أما هذه الأسس فأهمها أن كل ابن أنثى يرث خطيئة آدم، وأن لا شيء يُنجيه من العذاب الأبدي إلا موت ابن الله ليكفّر بموته عن خطيئته))[3].

ويقول أيضاً : ((وأضاف بولس إلى هذا اللاهوت بعض آراء صوفية غامضة كانت قد ذاعت بين الناس ، من ذلك قول بولس إن المسيح هو (حكمة الله) و (ابن الله الأول) (بكر كل خليقة)، (فإنه فيه خلق الكل) (الكل به وله قد خلق)، (الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل) ، وقد استطاع بولس بهذه التفسيرات كلها أن يغض النظر عـن حيـاة يسوع، وعن أقواله التي لم يسمعها منه مباشرة، واستطاع بذلك أن يقـف علـى قـدم

---

[1]) في كتابه (مختصر تاريخ العالم) نقلاً عن الإسلام والفلسفات القديمة ، ص١٨٢ ، أنور الجندي .

[2]) في كتابة (الأديان العالمية) ، المرجع السابق ، ص١٨١ ، أنور الجندي .

[3]) قصة الحضارات ، ١١ / ٢٦٣،٢٦٤ ، ول ديورانت .

المساواة مع الرسل الأولين ، الذين لم يكونوا يجارونه في آرائه الميتافيزيقية)) [١] .

ومن ذلك أيضاً، قوله أن عيسى مات، وقتل على الصليب من أجل فداء البشر، وخلاصهم، وأن موته ((تضحية تكفيرية))، ولا شك في أن أتباع عيسى عليه السلام كانوا في حيرة من أمرهم كيف يُصلب رسولهم ومُعلّمهم ، وقد جاء في التوراة أن المصلوب ملعون [٢]، وهنا برز دور بولس ـــ المُحرِّف اليهودي ـــ، الذي ذكر لهم أن عيسى لم يكن موته على الصليب لعنة إلاّ لأجل التكفير عن خطايانا [٣]، فعجيب أمر هذا الرجل في تلاعبه بدين أتباع عيسى ، والأعجب منه ، عقليّات بعض من يدَّعي أنّهم يتبعون عيسى عليه السلام ، في إيمانهم بكُلِّ ناعق يحرِّف دينه الحق .

ومن بدع بولس في الطقوس التشريعيّة طقس القربان المقدس ((العشاء الربّاني ـــ الافخارستيا)) ، وقد اشتقه من قصة العشاء الأخير لعيسى مع حواريه .

((تخيّلَ بولس أن عيسى المسيح، عندما استسلم سلفاً للصلب الذي كان يتوقعه! أمرَ صحابته أن يأكلوا من لحمه ويشربوا من دمه، رمزيّاً، و يجدر الذكرى بهذا المقام أنّ شرب الدم كان من طقوس العبادات الهلنستية [٤] الغامضة التي ترمز إلى قهر الموت)) [٥] .

كما أن لبولس آراء في الزواج والمرأة لم يعرفها عيسى – عليه السلام- مطلقاً ، أصبحت من أساسيات النصرانيّة [٦] .

---

[١]) المرجع السابق ١١/٢٦٥ ، ول ديورانت ، ولهذا كان ديورانت يسمي بولس ((واضع اللاهوت المسيحي)) ١١ / ٢٤٩ .

[٢]) تثنية ٢١ : ٢٣ ، ((لأنّ المُعلّق مَلعونٌ من الله)) .

[٣]) غلاطية ٣ : ١٣ ((إِنَّ الْمَسِيحَ حَرَّرَنَا بِالْفِدَاءِ مِنْ لَعْنَةِ الشَّرِيعَةِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً عِوَضاً عَنَّا، لأَنَّهُ قَدْ كُتِبَ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ»))

[٤]) الهلنستية : أفكار ومعتقدات إغريقيةّ ، استقاها الإغريق من الديانات الشرقيّة المختلفة الغنيّة بطقوسها وشعائرها ومعتقداتها الغيبيّة الغريبة ، انظر : موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ص ١٠٠ ـــ ١٠٢ ، د. فيليب حتي .

[٥]) المسيحية والإسلام والاستشراق ، ص١٤١ ، محمد فاروق الزين .

[٦]) جاء في رسالته إلى كورنثوس الأولى ٧ : ١ ـــ ٢ : ((وأما من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها فحسب للرجل أن لا يمس إمرأة . ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته وليكن لكل واحدة رجلها)) . فقوله (ألا يمس) فيه تنفير شديد من الزواج و لم يأذن به إلا للضرورة الملحة وهي الخوف من الوقوع في الزنا، وقد أغفل الغاية العليا=

كما أنّ بولس كان أول من نادى بإلغاء الختان وحصل له ما أراد في مجمع أورشليم وبين وسط تلاميذ المسيح[١] .

ومن أقواله في ذلك: ((هَا أَنَا بُولُسُ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ خُتِنْتُمْ، لاَ يَنْفَعُكُمُ الْمَسِيحُ شَيْئاً))[٢] .

و لم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل عمل على إلغاء الناموس ((العمل بالشريعة)) وقد تدرج بولس في إلغائه الناموس والتخلي عن ما تأمر به الشريعة .

ففي بداية دعوته دعى بولس إلى أهمية العمل بالشريعة، فمن أقواله في ذلك : ((فَلَيْسَ سَامِعُو الشَّرِيعَةِ هُمُ الأَبْرَارُ أَمَامَ اللهِ؛ بَلِ الْعَامِلُونَ بِالشَّرِيعَةِ يُبَرَّرُونَ))[٣] ، وأيضاً قوله : ((هَلْ نَحْنُ نُبْطِلُ الشَّرِيعَةَ بِالإِيمَانِ؟ حَاشَا، بَلْ إِنَّنَا بِهِ نُثَبِّتُ الشَّرِيعَةَ))[٤] .

ثم انتقل بولس إلى المرحلة الثانية من إلغاء تطبيق شريعة التوراة، وهي بداية التشكيك، فقال في رسالته الأولى إلى تيموثاوس : ((إِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ الشَّرِيعَةَ جَيِّدَةٌ فِي ذَاتِهَا، إِذَا اسْتُعْمِلَتِ اسْتِعْمَالاً شَرْعِيّاً))[٥] .

ثم انتقل إلى مرحلة ثالثة ، وهي مناداته بأن الإيمان بالمسيح يعادل العمل بالشريعة فقال : ((أَمَّا الآنَ، فَقَدْ أُعْلِنَ الْبِرُّ الَّذِي يَمْنَحُهُ اللهُ ، مُسْتَقِلاً عَنِ الشَّرِيعَةِ، وَمَشْهُوداً لَهُ مِنَ الشَّرِيعَةِ وَالأَنْبِيَاءِ، ذَلِكَ الْبِرُّ الَّذِي يَمْنَحُهُ اللهُ عَلَى أَسَاسِ الإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ. إِذْ لاَ فَرْقَ، لأَنَّ الْجَمِيعَ قَدْ أَخْطَأُوا وَهُمْ عَاجِزُونَ عَنْ بُلُوغِ مَا يُمَجِّدُ اللهُ))[٦] .

=للزواج وهي النسل » أنظر : نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام (دراسة مقارنة) ١٦٩/١ – ١٧٠ د. محمود عبدالسميع شعلان .

أما موقفه من المرأة فهو يقول في رسالته الأولى إلى تيموتاوس ٢ : ١٤ ـــ ١٥ : ((وآدم لم يغو لكن المرأة أغويت فحصلت في التعدي ولكنها ستخلص بولادة الأولاد أن ثبتت في الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل)) ، فهنا بولس يقرر أنه ليس للمرأة الخلاص إلا عن طريق الإنجاب ، وهذا ما لم يقله عيسى – عليه السلام – أبداً ، انظر : الخديعة الكبرى » د. روبرت كيل تسلر » ترجمة علاء أبو بكر ، ص٣ » من الفصل الأول .

[١]) انظر ذلك في صفحات قليلة مضت ، عن أثر مجمع أورشليم الأول في بدايات تحريف المسيحيّة .

[٢]) غلاطية ٥ : ٢ .

[٣]) رومية ٢ : ١٣ .

[٤]) رومية ٣ : ٣١ .

[٥]) تيموتاوس الأولى ١ : ٨ .

[٦]) رومية ٣ : ٢١ – ٢٣ .

ثم انتقل إلى مرحلة رابعة أكّد فيها كفاية الإيمان بالمسيح (فادياً) ، وعدم لزوم العمل بالشريعة (النّامُوس)، فقال : ((مُتبرَّرينَ مَجَّاناً، بنِعْمَتِه، بالْفِدَاءِ الذي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ ، الَّذي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً، بالإيمَان بدَمِه لإظْهَارِ بِرّه من أجْلِ الصفحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالفَة بإمْهَالِ الله ، لإظْهَارِ برّه فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ ليكونَ باراً ويُبرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الإيمَانِ بِيَسُوعَ . فَأيْنَ الافْتِخَارُ؟ قَدْ انتفى بأيّ نامُوسٍ ؟ أبنَامُوسِ الأعْمالِ ، كلاّ ، بل بِناموسِ الإيمَانِ، إذاً نَحسبُ أنّ الإنسانَ يتبرَّرُ بالإيمانِ بدونِ أعمالِ النّاموسِ))[1] .

وفي هذه المرحلة لا شك أنّه انحرف انحرافاً كبيراً عمَّا قرَّره في بداية دعوته في أنّ الإيمان يُثبِّتُ العمل بالشريعة ، فلا يصلح إيمان إلا بعمل ، ولا عمل إلا بإيمان .

ثم انتقل إلى مرحلة خامسة ، وفيها يُقرِّرُ أن تطبيق الشريعة لا يفيد الإنسان . فإنه لا يتبرر بأعمالها . فقال : ((إذْ نَعْلَمُ أنَّ الإنْسَانَ لاَ يَتَبرَّرُ بأعمالِ النّامُوسِ بَلْ بإيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، آمَنَّا نَحْنُ أيْضاً بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ ، لِنَتَبرَّرَ بإيمَانِ يسوعَ لاَ بأعمَالِ الناموسِ، لأنَّهُ بأعمَالِ النـاموسِ لاَ يَتبرَّرُ جسدٌ ما))[2] .

ثم ذكر في مرحلة سادسة أنّه إذا كان التبرّر بأعمال الشريعة فلا فائدة إذاً من المسيح ومن صلبه فداء : ((إلاّنّهُ إنْ كانَ بالنّاموسِ برٌّ فالمسيحُ إذاً ماتَ بِلاَ سببٍ))[3] ، وقال أيضاً : ((قدْ تَبطَّلْتُمْ عنِ المسيحِ أيُّها الذينَ تتبرَّرُونَ بالنّامُوسِ سقَطْتُمْ من النِّعْمَةِ فإنّنا بالرُّوحِ مِنَ الإيمانِ نتوَقَّعُ رجاءَ بِرٍّ))[4]

ثم في المرحلة الأخيرة قرَّر إبطال العمل بالشريعة وادَّعى أن المسيح هو من قد أبطل شريعة الوصايا بتقديم نفسه للصلب، فقال : ((مُبْطِلاً بجسدِه نامُوسَ الوصايا في فَرَائِضَ))[5] .

يقول المفسر النصراني (وليم باركلي) في تفسيره لهذه الفقرة ــ مؤيداً لتحريف بولس، وإلغائه العمل بالشريعة ــ : ((وأنّ ديانة تُؤسس على كآفّة أنواع القواعد والقوانين المتعلقة ببعض الممارسات وبعض العادات والفرائض والذبائح والأيام ، لا يمكن

---

[1]) رومية ٣ : ٢٤ — ٢٨ .

[2]) غلاطية ٢ : ١٦ .

[3]) غلاطية ٢ : ٢١ .

[4]) غلاطية ٥ : ٤ — ٥ .

[5]) أفسس ٢ : ١٥ .

أن تُصبح ديانة عامة للجميع. كما قال بولس الرسول: ((لأنه غاية الناموس هي المسيح)) (روميه ١٠ : ٤) ، وكما يقول هنا : ((أبطل المسيح ناموس الوصايا بكل فرائضه)) لقد ألغى المسيح الفكرة الناموسية كمبدأ ديني . ولكن ماذا وضع في مكانها يا ترى ؟ لقد أحل الحب لله والحب للبشر محل الأفكار الناموسية . لقد جاء المسيح ليقول للبشر أنهم لا يستطيعون أن يحصلوا على رضا الله عن طريق حفظ فرائض الناموس ، ولكنما يجب عليهم أن يقبلوا حب الله وغفرانه وشركته التي يقدمها لهم مجاناً في رحمته . وأنّ ديانة تتأسس على المحبة لتصلح في الحال لأن تكون ديانة للجميع ... إن القواعد والفرائض تضع الحواجز ، إلا أن المحبة تزيلها))[1] .

لذلك ، وبعد هذا العرض المختصر لدور بولس ، يُمكن الجزم أنّ هذا التحريف الشديد الذي حصل في الديانة المسيحيّة ، والتي جاء بها عيسى عليه السلام ، كان من مكر بولس (شاول اليهودي) ، وتخطيطه ، فهو الذي أرسى قواعد الديانة النصرانيّة الجديدة، والتي ظهرت بعد رفع عيسى عليه السلام بسنين معدودة ، فخالفت تماماً ما جاء به عيسى عليه السلام .

---

[1]) تفسير العهد الجديد ، رسالتا غلاطية وأفسس ، ص١٧٢ ، ١٧٣ ، وليم باركلي .

القسم الثاني : الاضطهادات الرومانية .

حصل لأتباع ومعتنقي النصرانيّة من الاضطهاد والتعذيب ما يحصل لأي جماعة تدعو إلى دين جديد وأفكار جديدة مختلفة لما يألفه محيطها التي نشأت فيه .

وقد نال نصارى فلسطين الحظ الأوفر من هذه الاضطهادات لوجودهم بين عـدوين لدودين ، هما : الرومان واليهود .

فاليهود أصيبوا بخيبة أمل بالغة عندما جاءهم عيسى بن مريم يزيّن لهـم ملكـوت السموات ويعدهم وعداً حسنا في الدار الآخرة ، ويُحقّر لهم أمر الدنيا ، وما فيهـا مـن متاع زائل ، وهذا مخالف لما تربوا عليه بعد تحريفهم لديانة موسى ـ عليه السلام ـ ، فأدرك رجال السطوة والنفوذ فيهم، ومنهم أعضاء مجلس السنهدرين اليهودي[1] أنّ مكانتهم إلى نهاية ، وأنّ نفوذهم سيضيع ، فكفروا بعيسى وبما جاءهم به ، ونالوا منه ومن دعوته وأتباعه ، وراحوا يؤلّبون عليهم شعب الرومان والحكومة ، فلقي بذلك النـصارى مـن اليهود عنتاً كبيراً .

ولا شك أن أكبر ضحيّة لهذا الاضطهاد المبكر ، هو عيسى ـ عليـه السـلام ـ ، ودعوته التوحيدية .

ولكنَّ النصارى لم يستكينوا لهذه الاضطهادات المبكرة في تاريخهم فبدؤوا ينـشرون دينهم خارج فلسطين فقامت طوائف نصرانية في أماكن عديدة ، حتى وصلت الـدعوة النصرانية إلى عاصمة الإمبراطورية ذاتها في (روما) .

وهنا أدركت الإمبراطورية الرومانية أنها أمام فرقة دينية ليست كاليهودية متقوقعـة على ذاتها وإنما أمام فرقة جديدة لها طموح التوسع والانتشار[2]، خاصة أن الإمبراطوريّـة

---

[1]) مجلس السهندرين اليهودي : هو المجلس الأعظم المكون من كبراء إسرائيل ، ويظن أنه نشأ أثناء حكم السلوقيين (حوالي عام ٢٠٠ق.م) وكان الحاخام الأعظم هو الذي يختار في بادئ الأمر أعضاء المجلس من بين طبقة الأشراف الكهنوت، ويضم المجلس واحداً وسبعين عضواً يدعون لأنفسهم السلطة العليا على جميع اليهود أياً كان موطنهم ، وكان اليهود المستمسكون بدينهم في كل مكان يعترفون بهذه السلطة . أنظر : الدولة والكنيسة ، الجزء الثـاني (الوثنية المسيحية) ص٢٩ ، د. رأفت عبدالحميد .

[2]) أنظر : موجز تاريخ المسيحية ، ص١٤١ ، للأنباء ديوسقورس ، تاريخ الحضارات ٤٢١/٢ ، إشراف : موريس كروزية ، أوربا العصور الوسطى ، الجزء الأول (التاريخ السياسي) ص٥٣ ، د. سعيد عبدالفتاح عاشور .

كانت تعتبر هذه الجماعة فرقة منفصلة عن اليهودية في بادئ الأمر فلم تعرها انتباهاً في بداية أمرها [١] .

وقد ذهب المؤرخون إلى أنّ أسباب هذه الاضطهادات التي وقع فيها النصارى لعله يكون :

١) رفض النصارى لأهم المبادئ التي قامت عليها الدولة الرومانية ، وهي تقديس الإمبراطور وتأليهه ، وتقديم القرابين لتمثاله ، وحرق البخور أمامه في المناسبات العامة . ويعتبر الرومان (شعب وحكومة) أن هذه الطقوس دليل على الولاء والطاعة وصدق الوطنية [٢] .

يقول الأسقف و . ر . إنج : ((... إن عبادة (روما وأغسطس) التي قامت في كل مكان تقريباً ، وخاصة في آسيا ، حيث كان المسيحيون أقوى منهم في أي مكان آخر ، سهّلت إثبات تهمة عدم الولاء بالنسبة للمسيحيين ، وذلك بأن يُطلب إليهم تقديم فروض العبادة للإمبراطور أو (روحه الحارسة) . وكانت هذه في الواقع هي الطريقة التي أعدم بها أكثر الشهداء)) [٣] .

وقد يكون أنّ هذه الأعمال التي رفض النصارى القيام بها لإجلال الإمبراطوريّة ، قد فُسِّرت أنها منهم تقويضاً لقواعد الوحدة الإمبراطورية وتمرداً على النظم السائدة . ولهذا اعتبروا خطراً عاماً على سلامة الدولة وحاق بهم الاضطهاد من كل جانب [٤] ، خاصة أن الشعب الروماني كان يرى أن الدولة وسلامتها والإمبراطور هي أساس حضارتهم ، يقول

---

[١]) تاريخ الحضارات العام ٤٢٠/٢ ، كروزيه ، الدولة والكنيسة ٢/ ٣٧ ، رأفت عبد الحميد ، أوربا العصور الوسطى ، الجزء الأول (التاريخ السياسي) ص٥٣ ، د. سعيد عبدالفتاح عاشور .

[٢]) الدولة والكنيسة ٣٢/٢ ، د. رأفت عبدالحميد ، موجز تاريخ المسيحية ، ص١٤١ ، للأنبا ديوسقورس ، تاريخ المسيحية ، ص٥٣ بقلم حبيب سعيد ، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية ٢٩٢/١ ، إدوارد جيبون ، تاريخ أوربا العصور الوسطى ، ص ٢٨ ، د. السيد الباز العريني ، أوربا العصور الوسطى ، الجزء الأول (التاريخ السياسي) ص٥٢ د. سعيد عاشور ، تاريخ الحضارات العام ٤٢٢/٢ (روما وإمبراطوريتها) إشراف : موريس كروزية .

[٣]) الأسقف و. ر. إنج رئيس كاتدرائية القديس بولس بلندن ، ومؤلف كتاب (فلسفة أفلوطين) وغيره . أنظر : تاريخ العالم ، المجلد الرابع ، ص١٨٠ ، نشره : السير جون .١. هامرتن .

[٤]) تاريخ العصر الوسيط في أوروبة ، ص٦٨ ، د. نور الدين حاطوم .

ول . ديورانت : ((فالروماني كان ينظر إلى دينه على أنّه جزء من كيان الحكومة وشعائرها وكانت الوطنية هي الذروة التي تنتهي عندها مبادئه الأخلاقية العليا . أما المسيحي فكان ينظر إلى دينه على أنه شيء منفصل عن المجتمع السياسي))[1] .

٢) امتناع النصارى للالتحاق بالخدمة العسكرية ، ومن ثم عدم دفاعهم عن الإمبراطورية الرومانية في وجه أعدائها[2] .

٣) رفض النصارى لتولي المناصب العامة في الحكومة الرومانية فعُدَّ ذلك تهرُّباً من تحمل مسئوليات المجتمع الذي يحتويهم[3].

٤) كما أنَّ انتشار اجتماعات النصارى السرّية والليلية الخفية مع بعضهم البعض، مما زاد الطين بله، وزادت حدة الريبة والقلق لدى الحكومة الرومانية من هذه الفئة .

يقول إدوارد جيبون : ((إن السياسة الرومانية كانت تنظر بأشد القلق والريبة إلى أية رابطة تقوى وسط رعاياها ، وكانت الامتيازات تمنح للهيئات الخاصة في أضيق الحدود ، وفي تقتير شديد رغم أن الهيئات كانت ذات أهداف خيّرة بعيدة عن الأذى والضرر. ولكن الجمعيات المسيحية التي انفصلت عن العبادة العامة الشائعة بدت ذات طبيعة أقل براءة . فقد كانت غير مشروعة من حيث المبدأ ، وربما باتت خطيرة من حيث العواقب ، ولم ير الأباطرة أنهم انتهكوا حرمة قوانين العدالة حين حرَّموا ــ حرصاً على سلامة المجتمع ــ هذه الاجتماعات السرّية والليلية))[4] .

---

[1]) قصة الحضارة ، ٣٧١/١١-٣٧٢ ، ول ديورانت .

[2]) تاريخ الحضارات العام ٤٢٢/٢ (روما وامبراطوريتها) إشراف : موريس كروزية ، الدولة والكنيسة ٣٦/٢ ، د. رأفت عبد الحميد ، قصة الحضارة ٣٧٢/١١ ، ٣٧٧ ، ول ديورانت .

[3]) الدولة والكنيسة ، الجزء الثاني (الوثنية والمسيحية) ، ص٣٦ ، الدكتور : رأفت عبد الحميد . وأنظر ، أيضاً إلى : تاريخ الحضارات العام٤٢٢/٢، روما وإمبراطوريتها ، إشراف : موريس كروزية ، قصة الحضارة ٣٧٢/١١ ، ول ديورانت .

[4]) اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ، ٢٩٣/١، إدوارد جيبون .

٥) ثم أنّه وبشكل عام ، فإنّ النصارى لم يحترموا المجتمع الروماني ، ولا تقاليده الموروثة ، بل احتقروه ، وعزلوا أنفسهم عنه وعن أنشطته المختلفة ، فلم يشتركوا في حفلاته العامة ، ولم يقيموا مع هذا الشعب أعيادهم [١] .

فحرمت الجماعات النصرانية أن يتزوج النصراني بغير النصرانية ، والنصرانية بغير النصراني . وكان النصارى يعرضون ما يقع بينهم من مشاكل قانونية على رؤساء كنائسهم لا على موظفي الدولة [٢] .

حتى أن الذي يعتنق دين النصارى من الرومان يُؤمرُ بهجر عائلته وأقاربه ، وأن يشترك في وحدة جماعته الجديدة [٣] ، فأتُهم النصارى لذلك أنهم يعملون على تشتيت شمل الأسر وخراب البيوت وأنهم يبذرون بذور الشقاق فيها [٤] .

وعلى ما كان يُتهم به النصارى من التعالي والتكبر على بقية أفراد المجتمع، فقد كان النصارى يمتنعون عن تناول الطعام خارج دورهم، وكانوا يظهرون الشماتة إذا ما حلّ بالإمبراطور مكروه، وما ادَّعوه من تنبوات صريحة عن الكوارث والمحن التي تنتظر الإمبراطورية[٥]، لذلك يقول المؤرخون أنّ معارضة النصرانيّة جاءت من قبل كثيرٍ من الشعب، فقد أهابوا بحكامهم أن يعاقبوا أولئك الملحدين الذين يهينون آلهتهم الأغريقيّة[٦].

ولهذا أخذت الحكومة الرومانية تنظم الاضطهادات ضد النصارى ، لأنهم يروهم فئة تهدد أوضاع الإمبراطورية وسلامتها .

وكثير من المؤرخين يذكرون عادة أشهر عشرة إضطهادات ، بدايةً من عهد الإمبراطور نيرون سنة ٦٤م إلى إن اعتلى قسطنطين عرش الإمبراطورية ، وصدور مرسوم ميلان للتسامح الديني ومنع الاضطهادات سنة ٣١٣م .

---

[١]) قصة الحضارة ، ٣٧٢/١١ ، ول ديورانت ، الدولة والكنيسة ، ٣٠/٢ ، د. رأفت عبد الحميد .
[٢]) قصة الحضارة ٣٧٢/١١ ، ول ديورانت .
[٣]) الدولة والكنيسة ٣٢/٢ ، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ٢٩٤/١ .
[٤]) قصة الحضارة ، ٣٧٢/١١ .
[٥]) الدولة والكنيسة ٣٢/٢ ، د. رأفت عبد الحميد .
[٦]) قصة الحضارة ، ٣٧٢/١١ .

ولقد جاءت هذه الاضطهادات عبر القرون الثلاثة على النحو التالي :

اضطهادات القرن الأول : في عهد الامبراطورين : نيرون (٥٤-٦٨م) ودوميتانوس (٨١-٩٦م) .

اضطهادات القرن الثاني : في عهد الأباطرة : تراجان (٩٨-١١٧م) ، وهادريان (١١٧-١٣٨) ، وماركوس أوريليوس (١٦١-١٨٠م) ، وسبتميوس سافيروس(١٩٤-٢١١م) .

اضطهادات القرن الثالث : في عهد الأباطرة : مكسيمينوس(٢٣٥-٢٣٨م) ، ديسيوس(٢٤٩-٢٥١م) ، فاليريان(٢٥٣-٢٦٠م) ، دقلديانوس(٢٨٤-٣٠٥م) [١] .

لم يشهد القرنان الأولان اضطهاداً شاملاً موجهاً ضد النصارى ، فبقيت محصورة في الزمان والمكان ، وكان أشدها ، ما حصل في عهد نيرون سنة ٦٤ م، نتيجة لحريق نشب في العاصمة روما ، أُتهم فيه النصارى ، فعذّبوا لذلك ، وقيل أن بطرس وبولس ماتا في هذا الاضطهاد ، الذي لم يتعد العاصمة روما ، وقد عُرِف هذا الاضطهاد في تاريخ الكنيسة باسم " الاضطهاد الأول " [٢] .

أمّا دوميتانوس فقد كان ثاني إمبراطور يتابع سياسة العنف على النصارى ، فقد تأثر إلى حد بعيد بالمرسوم الذي أصدره نيرون المتعلّق بتعذيب النصارى[٣] ، وكان من أسباب قوة الاضطهاد الثاني في تاريخ الكنيسة ، هو نفوذه إلى مناطق أخرى في الإمبراطوريّة ، فلم يقتصر على روما فقط ، و قد كان من أسباب هذا الاضطهاد أنه أُشيع في زمن هذا الإمبراطور (دوميتانوس) أن المسيح مزمع أن يعود إلى الأرض ويملك كل العالم ، فخاف

---

[١]) أنظر: موجز تاريخ المسيحية ، ص١٤١، ١٤٣ ، ١٥٠ ، للأنبا ديوسقورس ، تاريخ الكنيسة ، ١١٧/٢ ، جون لوريمر .

[٢]) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ص٥٨ ، بقلم الأب جان كمبي . تاريخ العالم ، ١٧٨/٤ ، نشر : جون . ا . هامرتن .

[٣]) تاريخ الحضارات العام ، ٤٢٢/٢ ، روما وإمبراطوريتها ، إشراف : موريس كروزية .

أن يتم ذلك في عهده ، فنصب هذا الاضطهاد للنصارى [1] .

وبعد هذه الاضطهاد بعشر سنوات ومع بداية القرن الثاني كان الاضطهاد في عهد الامبراطور (تراجان) فقد عهد هذا الامبراطور إلى ولاته بتتبع النصارى [2] .

يقول الأنبا ديوسقورس: ((بدأ القرن الثاني باضطهاد تراجان الذي استخدم الكلوسيوم ميداناً لتعذيب المسيحيين وإلقائهم للوحوش. فطرح في ساحته الكثيرين))[3].

وفي عهد الإمبراطور هادريان كان اضطهاد النصارى مقروناً بمخالفة قوانين الإمبراطورية ، فقد أرسل رسالة إلى ولاته ، ومما جاء فيها : ((... فإذا رغب أهالي الولاية رغبة صادقة في تدعيم شكواهم ضد المسيحيين ، برفع قضية ضدهم إلى المحكمة فلستُ أمنعهم من اتخاذ هذا الطريق . ولكني لا أسمح لهم أن يستغلوا مطالب الجماهير وهياجهم ... فإذا تقدم إليك أحد باتهام ، واستطاع أن يثبت أنّ أشخاصاً بالذات قد ارتكبوا شيئاً مخالفاً للقانون ، فعليك أن تطبق العقوبات المناسبة للجرائم)) [4] .

وفي عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس ، حلّت في الامبراطوريّة ، الكوارث من فيضان ، ووباء ، وحرب ... ، فساد الاعتقاد بأنّ سبب هذه الكوارث هو إهمال آلهة الرومان أو إنكارها ، فأصدر بسبب ذلك في عام ١٧٧م مرسوماً يقضي بعقاب الشيع الدينية المخالفة لما عليه الامبراطور و الشعب الروماني ، وعلى رأسها النصرانيّة ، فهي في نظر الامبراطور أنّها سبب هذه الكوارث ، فثارت الجماهير في تلك السنة ثورة عنيفة على

---

[1]) تاريخ العالم، ١٧٩/٤، نشر : جون .ا. هامرتن ، تاريخ الكنيسة، ص١١٧ ، يوسابيوس القيصري، ترجمة : القمص مرقس داود ، الروم ، ص٣٤ ، الدكتور أسد رستم ، موجز تاريخ المسيحية ، ص١٤٢ ، للأنبا ديوسقورس أستاذ التاريخ بالأكليركية وأسقف المنوفية .

[2]) انظر : تاريخ الكنيسة ، ص١١٧، يوسابيوس القيصري ، اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ، ٣٠٤/١ ، إدوار جيبون ، قصة الحضارة ، ٣٧٣/١١ ، ول ديورانت ، الدولة والكنيسة ٣٩/٢ د. رأفت عبدالحميد ، دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص ٥٩ ، الأب جان كمبي .

[3]) الكلوسيوم : هو مدرج مستدير أقامة أباطرة الرومان على مساحة كبيرة تتسع لعشرات الآلاف من المتفرجين، وفي وسطه ساحة تدعى (ايرينا) مملوءة بالرمال يُلقى فيها أسرى الحروب أو لمصارعة الوحوش . أنظر : موجز تاريخ الكنيسة ص ١٤٣ ، للأنبا ديوسقورس .

[4]) تاريخ العالم ، ١٨١/٤ ، نشر : هامرتن .

النصارى [١] .

وقد كان من أعمّ الاضطهادات التي وقعت على النصارى ما كان في عهد الإمبراطور (سبتميوس سافيروس) في سنة ٢٠٣م ، فقد امتد إلى أغلب مدن الإمبراطوريّة من رومـا إلى الإسكندريّة، لذلك يُسمى بـ ((الاضطهاد المسكوني الأول)) ومع انتشاره وقوته إلا أنه استمر سنة واحدة فقط [٢] .

وكانت من شدة هذا الاضطهاد أن التعميد نفسه كان يعد جريمة تستحق العقاب[٣]، ومما يُميِّز هذا الاضطهاد أنه لحق حتى الجنس النسائي من النصارى [٤] .

أمّا في عهد مكسيمينوس (٢٣٥-٢٣٨م) ، فقد اقتصر الاضـطهاد علـى قـادة الكنائس ، على أساس أنهم هم المسؤولون عن تعليم الإنجيل[٥] .

وكان الاضطهاد الذي وقع في عهد الإمبراطور ديسيوس الذي جلس علـى عـرش الإمبراطورية سنة ٢٤٩م أعنف من سابقه ، وأشمل ، فقد كان ديسيوس يكره النـصارى كرهاً شديداً ، ومن أقواله في ذلك : ((أنه يُفضِّل أن يسمع أنَّ هناك منافساً لـه علـى العرش من أن يسمع أن أسقفاً جديداً قد قام في روما)) [٦] .

وقد انتهى إضطهاد ديسيوس بموته سنة ٢٥١م ، غير أن سياسته سرعان ما عـادت من جديد على عهد الإمبراطور فاليريان ، خاصة في ٢٥٧م ، عندما أصدر مرسوم ضـد رجال الكنيسة يمنع فيه العبادة النصرانيّة ، ويأمر بتقديم الذبائح للآلة الرومان ، ثُمَّ أعقب المرسوم الأول بمرسوم ثاني في سنة ٢٥٨م كان أشد ضراوة وقسوة [٧].

---

[١]) تاريخ الحضارات ١١/ ٣٧٥ ، ول ديورانت .

[٢]) تاريخ الكنيسة ، ٢/٢٩-٣٠ ، جون لوريمر .

[٣]) قصة الحضارة ، ٣٧٦/١١ ، ول ديورانت .

[٤]) موجز تاريخ المسيحية ، ص١٤٨ ، الأنبا ديوسقودس .

[٥]) تاريخ الكنيسة ، ص٢٧٧، يوسابيوس القيصري ، ترجمة القمص : مرقص داود .

[٦]) تاريخ الكنيسة ، ٢/٧٤-٧٧ ، جون لوريمر ، موجز تاريخ المسيحية ، ص١٥٠ -١٥٢، للأنبا ديوسقودس ، وتاريخ الكنيسة ، ص٢٨٦ ، يوسابيوس القيصري .

[٧]) تاريخ الكنيسة ، ص٣٠٩-٣١٦ ، يوسابيوس القيصري ، تاريخ الكنيسة ، ٢/٧٦-٧٧ ، جون لوريمر ، قصة الحضارة ، ٣٧٨/١١ ، ول ديورانت ، الدولة والكنيسة ، ٤٦/٢، د. رأفت عبد الحميد .

ثم كان اضطهاد الامبراطور دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥م) آخر الاضطهادات الرومانية التي حلت بالنصارى ، وكان أشدها وأعنفها [١] .

وكان دقلديانوس يرى أن السماح للكنيسة أن تزداد قوة وتركُّزاً كان معناه السماح بإقامة حكومة معارضة في داخل الدولة ، هو أمر قد ينقلب في أي لحظة فيصبح خطراً سياسياً [٢] .

قال أسقف قيصريّة فلسطين « مؤرخ الكنيسة الأوّل « يوسابيوس القيصري « المتوفي سنة ٣٤٠م « واصفاً اضطهاد دقلديانوس ، فقد لحقه وهو صغير : ((في السنة التاسعة عشر من حكم دقلديانوس في شهر (ديستروس) الذي يسميه الرومان (مارس) « إذ كان عيد آلام المُخلِّص قد قرب « أذيعت أوامر ملكية في كل مكان تأمر بهدم الكنائس إلى الأساس « وحرق الكتب المقدسة في النار ، وطرد جميع ذوي المناصب الرفيعة « وحرمان خدم البيت من الحرية إذ أصروا على الاعتراف بالمسيحية .

هذا هو الأمر الأول الصادر ضدنا ، وبعد ذلك بوقت قصير صدرت أوامر أخرى تأمر أن يُزج بجميع رؤساء الكنائس في السجن أولاً، وبعد ذلك يلزموا بالذبح للأوثان ... فسجن عدد وفير في كل مكان ، وامتلأت السجون ، في كل الأرجاء المعدة للقتلة واللصوص بالأساقفة والقسس والشمامسة والقرَّاء وطاردي الأرواح النجسة ، حتى لم يبق فيها مكان للمجرمين)) [٣] .

- أسانيد أناجيل النصارى ورسائلهم .

وبعد الكلام عن الاضطهادات الرومانية التي وقعت على أتباع النصرانيّة ، وقبل أن أخوض في الحديث عن (العصر الذهبي للنصارى) ، أود أن أقف وقفة اعتقد أنّها مهمة جداً ، وهي أنَّ تلك الفترة العصيبة التي مرت على النصارى قد دونت فيها أناجيلهم وكتبت فيها رسائلهم « خاصة من سنة ٧٠م إلى سنة ١١٠م [٤].

---

[١]) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص٦٥ ، الأب جان كمبي « قصة الحضارة « ٣٨١/١١ ، ول ديورانت .

[٢]) تاريخ العالم ، ١٨٦/٤ ، نشر : جون .أ. هامرتن .

[٣]) تاريخ الكنيسة ، ص٣٥٣ ، ٣٥٨ ، يوسابيوس القيصري .

[٤]) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، ص٧٥ « د. موريس بوكاي .

فهل يمكن إثبات سند متصل لشيء كتب في هذه الفترة العصيبة ؟

الحق أن هذه الاضطهادات التي قارنت النصرانية منذ عهودها الأولى جعلت كل عمل يقومون به في شؤونهم الدينية سراً لا جهراً ، وفي خفية من العيون المتربِّصة ، والأعداء المترقبين ، والسرية يحدث في ظلمتها ما يجعل العقل غير مطمئن إلى ما يحدث فيها، فلا مانع من أن يُدس على خبر اجتماعاتها ما لم يجر فيها، وينقل عن أشخاص ما لم يقولوه، ولاسيما إذا كان الظرف مواتياً للتحريف نظراً لقلة النسخ وكثرة الاضطهاد، وهم يذكرون وقائع من قتل وملاحقة ومحاولة إبادة حصلت لهم ، ما لو كان صحيحاً لقلت النسخ وانقطع سندها[1].

يقول الشيخ رحمت الله الهندي : ((ولأجل الحوادث المذكورة فُقدت الأسانيد المتصلة لكتبهم ، ولا يوجد عندهم سند متصل ... ، وطلبنا مراراً من القسيسين العظام السند المتصل فما قدروا عليه ، واعتذر بعض القسيسين في محفل المناظرة التي كانت بيني وبينه[2] فقال : ((إنَّ سبب فقدان الإسناد عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة)) ، ونحن تفحصّنا كتب الإسناد لهم فما رأينا فيها شيئاً غير الظن والتخمين ، وبهذا القدر لا يثبت السند))[3].

خاصة أن الاضطهاد الأخير في زمن دقلديانوس ابتداءً ركَّز أكثر على كتب النصارى المقدسة، فأحرقت، وهُدِّمت الكنائس، ومُنع اجتماع النصارى مع بعضهم[4] .

- علماً ــ وكما مر ذكره ــ أنه كان قبل هذا التاريخ اضطهادات متفرقة حتى بدأ أول اضطهاد منظّم بقانون إمبراطوري روماني في سنة (٦٤م) في عهد الإمبراطور (نيرون) .

وانظر في تفاصيل تاريخ تدوين أناجيل النصارى ورسائلهم، إلى كتاب بعنوان : الكتاب المقدس سفراً سفراً ، للباحث النصراني : عايد هنري، وكذلك إلى كتاب : مدخل إلى الكتاب المقدس، إعداد مجموعة من النصارى، إشراف مكتبة دار الثقافة المسيحيّة .

[1]) أنظر : محاضرات في النصرانية ، ص ٤١ ، الشيخ : محمد أبو زهرة ، والكتب المقدسة في ميزان التوثيق ، ص١١٧ ، عبدالوهاب عبدالسلام طويلة .

[2]) هما القسيس فندر ، ومساعده القسيس فريخ ، أنظر : المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمت الله والدكتور فندر ، ص٢٧٣، تحقيق د. محمد احمد ملكاوي .

[3]) إظهار الحق ، ٢/٦١٦-٦١٧ ، رحمت الله الهندي ، تحقيق د. ملكاوي .

[4]) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص٦٥ ، بقلم الأب جان كمبي .

وأهل العقول يُدركون أنّ السند المتصل لكتاب ، والذي يطمئن إليه العقل معه فيغلب على ظنه أنه صادق النسبة لمن نسب إليه ، هو أن يروي ثقة عن ثقة مثله ، حتى يصل السند إلى من لقي المؤلف ، فيقول : سمعته منه ، أو تلقيته عنه ، أو قرأته عليه ، كما ترى في أحاديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ويكون كل راو من تلك السلسلة المتصلة حلقاتها عدلاً ثقة ، ضابطاً حافظاً .

وهذا ما لم يكن في كتب النصارى المقدسة ، فقد ذاعت بعد سنة ٣٦٤ ، ومن نسبت إليهم كتابتها كانوا في وسط وآخر القرن الأول ، ولم يكن هناك سند متصل موثوق به في الفترة التي بينهما ، لذا فالعقل يتشكك في هذه النسبة ، ولا يثبت مع الشك كتاب يكون حجة لديانة [1] .

---

[1]) محاضرات في النصرانية ، ص١١٠ ، فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة .

ومن التنبيهات على التحريفات الخفيّة التي حصلت في كتب النصارى المقدسة عندهم ، ما قاله د. موريس بوكاي : ((إنّ صحة أي نص ، حتى أكثر النصوص احتراماً ، قابلة دائماً للنقاش . إنّ المخطوطة المعروفة باسم Codex Vaticonus تعطى مثالاً على ذلك . فطبعتها المطابقة للأصل التي أعادتها الفاتيكان عام (١٩٦٥م) تحتوي على تنبيه من نفس المصدر يخبرنا ((بأنه بعد مرور قرون على النسخة)) (القرن العاشر أو الحادي عشر كما يعتقد) حبَّر أحد النُّسَّاخ كل الحروف ما عدا التي رأى أنها خطأ)) . وهناك عبارات من النص ما زالت فيه الحروف الأولى ، وهي بنية اللون ، ترى بشكل واضح ، وتصر على البقاء وتتباين مع بقية النص الذي كتب بحبر بني غامق . ولا شيء يسمح بتأكيد أن ترميم النص كان أميناً . وبالإضافة إلى ذلك فالتنبيه يحدد ما يلي : ((لم نتمكن حتى الآن من أن نُميِّز بشكل نهائي مختلف الأيدي التي صحّحت المخطوطة ووضعت عليها الحواشي عبر القرون ، ولا شك أن عدداً من التصحيحات قد عمل ساعة تجبير النص)) . ومع ذلك فكل كتب التعليم الديني تقدم هذه المخطوطة على أنها نسخة من القرن الرابع)) ، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، ص١٠٥ ، د. بوكاي .

القسم الثالث : العصر الذهبي للنصارى ، وترسيخ الانحراف في دينهم .

ويبدأ هذا العصر وهذه الفترة الذهبية للنصارى منذ تربع الإمبراطور قسطنطين على عرش الإمبراطورية الرومانية، وصدور مرسوم (ميلان) سنة ٣١٣م للتسامح مع الأديان.

وقبل أن أبدأ الحديث عن هذه الفترة ، أودّ أن أنبّه إلى أنّه قبل أن يبدأ الاضطهاد الأخير للنصارى والذي شنّه عليهم الإمبراطور دقلديانوس ابتداءً من سنة (٣٠٣م) ، كانت هناك فترة هادئة للنصارى ازداد فيها عددهم ودعوتهم لدينهم ، واعتنق النصرانيّة وقتئذ عدد من الأغنياء ، وبُنيت كنائس فخمة ، وكانت هذه الفترة في وقت حكم الإمبراطور (جالينوس) فقد أصدر هذا الإمبراطور في سنة (٢٦١م) مرسوم تسامح فعاشت الكنيسة طوال أربعين سنة سلاماً شبه تام [١] .

فظلت الكنيسة تنعم في هذه الفترة بالأمن حتى قام الإمبراطور دقليانوس بالمحاولة الأخيرة لاقتلاع النصرانية [٢] .

الإمبراطور قسطنطين ودوره في الاستتباب السياسي ، والانحراف الديني .

التعرف على شخصية الإمبراطور قسطنطين مهم جداً لمن أراد أن يبحث في هذه الفترة المهمة في حياة النصارى ، بل هي حجر الزاوية في تاريخهم ، وتاريخ كنائسهم، حيث يعتقد النصارى أنّ توليه لعرش الإمبراطورية الرومانية فاتحة خير عليهم وعلى ديانتهم وعلى الكنيسة ، فقد أنهى هذا الإمبراطور عصور الاضطهادات التي حلت بالنصارى ، وأصبحوا منذ عهده في حرية تامة ، بل ولهم اليد الطولى في الإمبراطورية الرومانية ، وأصبح رجال دينهم من آباء وقسس يتمتعون بالمناصب العليا في الدولة ، حتى أصبحت رتبة البابا ، في العهود التي بعده ، في بعض الأوقات متساوية ، بل وفي بعضها الآخر أعلى من رتبة الإمبراطور نفسه .

---

[١]) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، ص٦٤ ، للأب جان كُمْبي، قصة الحضارة ، ٣٧٨/١١ ، ول ديورانت .

[٢]) تاريخ العالم ، ١٨٥/٤ ، نشر: جون . ا . هامرتن

الإمبراطور قسطنطين :

هو قسطنطين بن قسطنطيوس كلوروس ، وأمه هيلانة [1] . وليس معروفاً على وجه التحديد تاريخ ولادته ولكن ذهب أكثرهم أنها سنة (٢٨٠م)[2] في سيس [3] .

نشأ قسطنطين في حاشية الإمبراطور دقلديانوس ، والتحق بالجيش في الخامسة عشرة من عمره . وأظهر شجاعة وبأساً وحنكة ودراية فَرُقّي إلى رتبة قائد في الجيش في الثامنة عشرة من عمره [4] .

حالة الإمبراطورية الرومانية في وقت نشأة قسطنطين :

الحكومة الرباعية الأولى :

كانت الإمبراطورية الرومانية في وقت نشأة قسطنطين قد اتسعت رقعتها إلى حد أنّ الإمبراطور دقلديانوس لم يستطيع أن يحكمها بنفسه فتنازل عن الانفراد بحكم الدولة وأشرك معه في الحكم صديقه مكسيمان الذي أصبح يُلقب أيضاً بالإمبراطور ، ثم اختارا رجلين أطلق عليهما لقب (قيصر) لمساعدتهما في حكم الإمبراطورية، وهما: جاليريوس،

---

[1]) ذهب الإمام ابن القيم الجوزية إلى أن قسطنطين ابن هيلانة ابن شرعي من زواجها من قسطنطيوس ، فقال : ((قسطنطيوس أبو قسطنطين ، كان ديّناً مُبغضاً للأصنام محباً للنصارى فخرج إلى ناحية الجزيرة والرها (مدينة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ) فنزل في قرية من قرى الرها فرأى هناك امرأة جميلة يقال لها هيلانة ، وكانت قد تنصرت على يد أسقف الرها ، وتعلمت قراءة الكتب فخطبها قسطنطيوس من أبيها فزوَّجها منه ، فحبلت منه ، وولدت قسطنطين فتربى بالرها وتعلم حكمة اليونان)) ، هداية الحيارى، ص٥٥٠ تحقيق د.محمد احمد الحاج .

بينما ذهب ول ديورانت صاحب كتاب قصة الحضارة أن قسطنطين ابن غير شرعي من هيلانة . فقال : ((وكان فلافيوس قسطنطين قد بدأ حياته في نايسس ابناً غير شرعي لقسطنطيوس من محظيّته هيلانة ، خادمة إحدى الحانات في بيثينيا)) ٣٨٢/١١ .

[2]) أنظر : تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ص٤٧ د. السيد الباز العريني ، ودليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص٩٤ للأب جان كمبي ، والروم ، ٥١/١ د. أسد رستم .

وذهب بعض الباحثين إلى أن ولادته كانت سنة (٢٧٤م) ، ومنهم الانبا ديوسقورس أستاذ التاريخ بالاكليريكيّة وأسقف المنوفية ، في كتابة : موجز تاريخ المسيحية ، ص١٦٣.

[3]) سيس ويقال لها ناميس ، ويقال لها (نيش) وهي كرواتيا وصربيا في أيامنا هذه . أنظر : دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص٩٤ ، للأب جان كمبي ، والروم وصلاتهم بالعرب ، ٥١/١ ، د. أسد رستم .

[4]) الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ، ٥١/١ ، د. أسد رستم

ووالد قسطنطين (قسطنطيوس) .

فالإمبراطور دقلديانوس (يُسمى اوغسطس) ، وكان في الشرق وعاصمته (نيقوميدية) وكانت له الكلمة الأولى على كل الدولة ، والإمبراطور مكسيمان يُسمى أيضاً أوغسطس ، وكان في الغرب وعاصمته (ميلان) ، وجاليريوس ، يُسمَّى قيصراً ، وكان يحكم اليونان ومقدونية ، وقسطنطيوس أبو قسطنطين ، يُسمَّى قيصراً يحكم الجزء الأكبر من بلاد الغال (بريطانيا وأسبانيا وما حولهما) [1] .

وقد بدأ نظام الحكومة الرباعيّة هذا ، وطيد الأركان ، وذهب المؤرخون أن هذا الثبات لم يكن يعود إلى هذا النظام ، وإنما يعود إلى قوة وسطوة الإمبراطور الأكبر دقلديانوس ، والتي وضعت حداً لطموح شركائه[2] .

الحكومة الرباعية الثانية والتنازع على الحكم :-

في مايو سنة (٣٠٥م) عزم كل من دقلديانوس ومكسيمان أن يتخليا عن منصبيهما لكبَرهما ، ولأن دقلديانوس وضع حداً من السنين إذا وصل إليه الإمبراطور وهو على رأس الحكم يجب عليه أن يتنازل عن الحكم ، والمدة هي (عشرون عاماً) .

ارتقى قسطنطيوس وجاليريوس المنصب الإمبراطوري في ذات السنة (٣٠٥م) فكان الغرب تحت حكم قسطنطيوس ، والشرق تحت حكم جاليريوس . وعيَّن الإمبراطوران الجديدان قيصرين جديدين هما : سفيروس على إيطاليا وأفريقية ، ومكسيمين على سورية ومصر ، علماً بأن سفيروس ومكسيمين من رجال جاليريوس الخاصِّين ، فأضحى جاليريوس في حقيقة الأمر يسيطر على ثلاثة أرباع الإمبراطورية الرومانية [3].

وفي سنة ٣٠٦م أي بعد سنة من تولي قسطنطيوس حكم الغرب بمرتبة (أوغسطس)

---

[1]) قصة الحضارة ، ٣٨٢/١١ ، ول ديورانت ، تاريخ أوروبا (العصور الوسطى) ص٣٥ د. السيد الباز العريني ، الروم وصلاتهم بالعرب ٥٢/١ ، د. أسد رستم ، تاريخ الكنيسة ، ١١٠/٢ ، جون لوريمر، موجز تاريخ المسيحية، ص١٦٣ ، للأنبا ديوسقورس .

[2]) الدولة والكنيسة ، الجزء الثاني (الوثنية والمسيحية) ص٦١ ، د. رأفت عبدالحميد .

[3]) تاريخ أوروبا (العصور الوسطى) ، ص٤٤ ، د. السيد الباز العريني ، الروم وصلاتهم بالعرب ٥٢/١ ، د. أسد رستم، الدولة والكنيسة، ٦١/٢-٦٥، د. رأفت عبدالحميد، موسوعة تاريخ العالم، ٣٢٦/١ ، وليام لانجر .

أي إمبراطور تعرضت بريطانيا لغزو من قبائل البربر الخارجين عن الإمبراطوريّة ، وعلى رأسهم الأُسكتلنديين ، فبادر قسطنطيوس بالتوجه إليها ولحق به ابنه قسطنطين ، فأحرز قسطنطيوس انتصارات باهرة ، غير أنه لم يلبث أن مات في خروجه هذا سنة ٣٠٦م ، فنادى العساكر بابنه قسطنطين إمبراطوراً مكان أبيه .

وبعد أشهر قليلة من ذلك شهدت الإمبراطورية الرومانية حالة من الفوضى ، برزت فيها قوة شخصية قسطنطين وبراعته في الناحية العسكرية والسياسية وفيها أيضاً انجذب إلى النصرانية وأصدر مرسوم ميلان للتسامح مع الأديان [1] .

وهذه الحالة من الفوضى التي شهدتها الإمبراطورية الرومانية سأذكرها باختصار ، وهي : عندما نادى العسكر في بريطانيا بقسطنطين إمبراطوراً بعد موت أبيه، وكردة فعل في إيطاليا ، والخوف من إمبراطور الشرق (جاليريوس) أن يكون إمبراطورياً أوحداً في الدولة ، نادى العسكر في إيطاليا بماكسنتيوس بن ماكسيميان الإمبراطور السابق إمبراطوراً عليها ، وذلك في ٢٨ أكتوبر سنة ٣٠٦م ، وفي هذا الوقت عادت شهوة الحكم إلى قلب الإمبراطور السابق ماكسيميان الوالد المستقيل ، فأعلن نفسه إمبراطورا أيضاً ، فتنازل الولد لوالده بهذا اللقب وأصبح لقبه قيصراً . فأصبح للدولة الرومانية في ذلك الوقت ثلاثة أباطرة وهم : قسطنطين في بلاد الغال (بريطانيا وما حولها) ، وجاليريوس في الشرق ، وماكسيميان في إيطاليا ، وكذلك ثلاثة قياصرة وهم ماكسنتيوس ابن ماكسيميان في إيطاليا ، وسيفروس على إفريقية حيث نُزعت منه إيطاليا بالقوة ، ومكسيمين على سورية ومصر .

ذعر جاليريوس من هذه الفوضى حيث كان يعتبر نفسه هو المسؤول عن الدولة الرومانية بشكل عام ، فطلب من دقلديانوس الإمبراطور الأكبر السابق الذي تنازل عن عرشه لمرضه وكبر سنة أن يعقد اجتماعاً لحل هذه المشكلة خاصة في ظل ظروف جاليريوس الصحية .

[1]) قصة الحضارة ، ٣٨٢/١١ ، ول ديورانت ، تاريخ الكنيسة ، ١١٧/٢ ، جون لوريمر ، تاريخ أوروبا (العصور الوسطى) ص٤٥ د. السيد الباز العريني، المسيح عليه السلام في دين الإسلام، ص٤٩ ، عبدالملك كليب، الدولة والكنيسة ، ٦٦/٢ ، د. رأفت عبدالحميد .

انعقد هذا الاجتماع وقُرِّر فيه ، أمور منها :

إجبار ماكسيميان على التنازل ، وإبعاد ابنه ماكسنتيوس واعتباره مغتصباً للحكم ، والإبقاء على سفيروس ومكسيمين على ما كان عليه من قبل ، وإنزال قسطنطين من مرتبة أوغسطس إمبراطور إلى مرتبة قيصر ، وتعيين أوغسطس إمبراطور جديد هو فاليريوس ليكينيانوس ليكينيوس .

لم ترق هذه القرارات لكل من قسطنطين وماكسيميان وابنه ماكسنتيوس لأن كل من هؤلاء الثلاثة كان يطمع أن يكون الإمبراطور الأوحد في الغرب .

فأما سفيروس فقد تخلى عنه جنوده وقتلوه سنة ٣٠٧م ، ونادى الجنود بماكسنتيوس إمبراطوراً على الغرب في سنة ٣٠٨م ، وحصل خلاف بينه وبين أبيه ماكسيميان ، ففر الأب هو وعائلته إلى قسطنطين في بلاد الغال ليكون في حِماه ، وهناك اعترف ماكسيميان بقسطنطين إمبراطوراً أكبرَ في الغرب وزوّجه بابنته فاوستا .

ولكن ماكسيميان عاد إلى الثورة وحاول أن يحيك المؤامرات لزوج ابنته قسطنطين وحاول أن يجر معه ابنته فاوستا في هذا السبيل ، ولكنَّها أفضت إلى زوجها بذلك ، وتم اكتشاف المؤامرة وإحباطها في مهدها وأُعدم ماكسيميان سنة ٣١٠م .

لم يكد يمضي على هذه الأحداث عام حتى مات الإمبراطور جاليريوس في مايو ٣١١م فأضحت الإمبراطورية الرومانية تحت سيطرة الأربعة الباقين وهم قسطنطين ، وماكنتيوس ، وماكسيميان ، وليكينيوس ، فأعطى موت جاليريوس إشارة البدء في ذلك الصراع المتوقع بين الأباطرة الأربعة [1] .

وكان الصراع في الشرق بين ليكينيوس ومكسيمين ، كما أن الصراع في الغرب بين قسطنطين وماكسنتيوس ؛ خاصة وأن ماكسنتيوس وجد في مقتل أبيه (ماكسيميان) على يد قسطنطين فرصة لإشعال نيران الحرب ضده [2] ، فبدأت نار الحرب تشتعل أولاً بين

---

[1]) موسوعة تاريخ العالم ٣٢٦/١ — ٣٢٧ ، وليام لانجر ، قصة الحضارة ٣٨٣/١١ ، ول ديورانت ، تاريخ أوربا (العصور الوسطى) ص٤٥ ، الدولة والكنيسة ، ٦٧/٢-٧٣ د. رأفت عبدالحميد ، د. السيد الباز العريني ، الروم وصلتهم بالعرب ٥٢/١-٥٣ د. أسد رستم .

[2]) الدولة والكنيسة ، ٧٨/٢ ، د. رأفت عبدالحميد .

أباطرة الغرب قسطنطين ضد ماكسنتيوس [1] .

قسطنطين ورمز النصرانية في المعركة الفاصلة :

يذكر مؤرخو النصرانية أنه في السابع والعشرين من شهر أكتوبر في عام ٣١٢م حيث كان الإمبراطور قسطنطين يتحهّز لملاقاة عدوه ماكسنتيوس في معركة فاصلة بينهما مـن ينتصر فيها يصبح الإمبراطور الأوحد للقسم الغربي للإمبراطورية الرومانية .

رأى الإمبراطور قسطنطين رؤيتين ، أحدهما في اليقظة ، والأخرى في المنام ، بعـدهما صار في صف النصرانية .

ففي ظهر يوم المعركة الفاصلة بينه وبين ماكسنتيوس ، كما يقول يوسابيوس ((قال ـــ أي قسطنطين ـــ أنّه رأى بعينيه صليباً من نور في السماء ، فوق الشمس ، يحمل هذه الكتابة ((أغلب بهذا)) ، فذُهل أمام هذه الرؤيا ، وكذا كل جيشه الذي رافقه في هـذه الحملة ، وشهد هذه المعجزة .

وعلاوة على هذا قال أنّه خامرته الشكوك في داخله في معنى هذه الرؤيا ، وبينما هو يتأمل ويُفكر في فحواها أقبل الليل فجأة ، ثم ظهر له في نومه مسيح الله بنفس العلامة التي رآها في السماء ، وأمره بأن يصنع مثالاً لهذه العلامة التي رآها في السماء ، وأن يستعملها كوقاية له في كل حروبه مع أعدائه .

وفي الفجر استيقظ ، وأنبأ أصدقاءه بالأمر العجيب الذي رآه ، ثم استدعى الـصنّاع الذي يعملون في الذهب والأحجار النفيسة ، وجلس في وسطهم ، ووصف لهـم هيئـة العلامة التي رآها وأمرهم بأن يصنعوها من ذهب وحجارة كريمة ..

وقد صنعت بهذه الكيفية التالية : عمل الصليب من حربة طويلة مغـشاة بالـذهب يستعرضها قضيب، وفي قمة الكل ثبت اكليل من ذهب وحجارة كريمة، وفي وسط هذا ثبت رمز لاسم المخلص، حرفان يُعبران عن اسم المسيح بحروفـه الأولى، فـالحرف (أ) يستعرضه الحرف X في وسطه (٢) . وفيما كان الإمبراطور يضع هذين الحرفين على قبعته

---

[1]) قصة الحضارة ٣٨٤/١١ ، ول ديورانت .

... أمر بأن تُعمل أحرف مثيلات لها لتوضع على رؤوس كل جيشه)) [1] .

وعندما دارت رحى الحرب انتصر قسطنطين انتصاراً عظيماً ، وفر ماكسنتيوس فدخل قسطنطين روما ظافراً ، وأصبح إمبراطور الغرب بلا منازع ، وهنا اعتقد قسطنطين أنه قد انتصر بواسطة إيمانه بصليب النصارى ، فأصدر أمراً برفع الاضطهاد عنهم ، ومنح الحرية الدينية لهم ، وأظهر لهم أعظم مظاهر الاحترام والإكرام ، وعطف عليهم بالقول والفعل ، كما أنّه دفع من موارده الخاصة هبات كثيرة لكنائسهم [2] .

وبذلك أحرزت النصرانية انتصارها الأول ، وتقرر إقامة تمثال لقسطنطين في روما ، وبيمينه الصليب ، رمزاً لهذا الانتصار [3] .

أمّا في الشرق فكانت المعارك دائرة بين الإمبراطورين ليكينيوس ومكسيمين ، واستطاع ليكينيوس أن يهزم خصمه مكسيمين وينفرد بحكم القسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية .

فأصبح في الدولة الرومانيّة إمبراطوران ، أحدهما في الغرب وهو قسطنطين والآخر في الشرق وهو ليكينيوس [4] .

مرسوم البراءة والحرية في ميلان في عام ٣١٣م :

استمرت المعاهدة بين الإمبراطورين قسطنطين وليكينيوس وقويت أكثر بعد انتصارهما على خصميهما وتُوّجت بزواج ليكينيوس من قسطنطينا أخت قسطنطين .

اجتمع قسطنطين بحليفه ليكينيوس في ميلانو في عام ٣١٣م ، وفي أثناء إقامة الاحتفال بمراسيم زواج ليكينيوس بقسطنطينا ، أقاما الإمبراطوران اجتماعات انتهت إلى تقرير سياسة معينة اتفق الطرفان على التزامها ، وكان من بين الموضوعات التي تناولتها المحادثات بينهما ، مسألة معاملة الرعايا النصارى في الدولة ، وتعّهدا بمنح الحرية الدينية لكل سكان

---

[1]) حياة قسطنطين العظيم ، ص٣٢ – ٣٤ لمؤرخ الكنيسة الأول يوسابيوس القيصري .

[2]) المرجع السابق ، ص٤٣ ، يوسابيوس القيصري .

[3]) تاريخ أوروبا (العصور الوسطى) ص ٤٣ ، السيد الباز العريني .

[4]) تاريخ الكنيسة ، ١١٩/٢ ، جون لوريمر ، قصة الحضارة ، ٣٨٥/١١ ، ول ديورانت ، تاريخ أوربا (العصور الوسطى) ، ص٤٩ ، د. السيد الباز العريني .

الدولة شريطة ألا تتعارض هذه الحرية مع الصالح العام للدولة [١] .

وبهذا المرسوم أصبحت النصرانيّة ، ديناً له اعتباره داخل الإمبراطوريّة الرومانيّة ، بعد ثلاثة قرون من الاضطهاد [٢] .

تفرد الإمبراطور قسطنطين بحكم الدولة الرومانية :

أضحت الدولة الرومانية يقتسمها إمبراطوران، قسطنطين في الغرب، وليكينيوس في الشرق، ولكن كلا الحاكمين لم يفارقه قط أمله في أن يكون صاحب السيادة وحده على الدولة جميعها [٣]، فحصل بينهما من دواعي الصدام كتنازعهما السيادة على بعض المناطق

---

[١]) ومما جاء في مرسوم ميلان بين الإمبراطورين :

عندما حضرنا إلى ميلان في ظروف طيبة، أنا قسطنطين أوغسطس، وأنا ليكينيوس أوغسطس، وتأملنا في كل ما يؤول إلى الخير العام ورفاهية الشعب، اعتزمنا فيما اعتزمناه، أو على الأصح اعتزمنا أول كل شيء ، أن نصدر الأوامر التي تعود بالخير على كل واحد من وجوه كثيرة، أي تلك التي تحفظ الإكرام لله ، وتقواه أي أننا اعتزمنا منح المسيحيين، وكذا كل الناس الحرية لأتباع الديانة التي يختارونها .

لذلك قررنا ، بقصد سليم مستقيم ، أن لا يحرم أي واحد من الحرية لاختيار واتباع ديانة المسيحيين ، وأن تعطى الحرية لكل واحد لاعتناق الديانة التي يراها ملائمة لنفسه ، لكي يظهر لنا الله في كل شيء لطفه المعهود وعنايته المعتادة .

وقد رأيناه مناسباً أن نكتب بأنه قد تركت نهائياً تلك الحالات التي تضمنتها رسالتنا السابقة عن المسيحيين ، فيسرنا إلغاء كل ما يبدو قاسياً جداً وغير متفق مع لطفنا ، وكل من يريد إتباع ديانة المسيحيين فليسمح له بهذا دون أدنى إزعاج ، وأننا منحنا لهؤلاء المسيحيين كامل الحرية لممارسة فرائض ديانتهم .

وطالما كنا قد منحناهم هذا الحق باختيارنا ، و أن الحرية ممنوحة أيضاً للآخرين الذين يريدون ممارسة فرائض ديانتهم . ومما يتفق مع الهدوء الشامل في أيامنا أن يكون لكل واحد حرية اختيار وعبادة أي إله يريد . وقد فعلنا هذا لكي لا يظن بأي شكل من الأشكال أننا متحاملون على أية طبقة أو ديانة .

انظر: تاريخ الكنيسة، ص٤٤٤-٤٤٥ (الفصل الخامس من الكتاب العاشر (١٠ : ٥)، يوسابيوس القيصري، ترجمة : القمص مرقس داود الدولة والكنيسة،١١١/٢، د. رأفت عبد الحميد، وتاريخ العصر الوسيط، ص٦٩، د. نور الدين حاطوم، أوروبا العصور الوسطى،٥٥/١ ، د. سعيد عبدالفتاح عاشور، تاريخ أوربا (العصور الوسطى)، ص٤٨ ـ ٥١، د. السيد الباز العريني، قصة الحضارة ،٣٨٥/١١، ول ديورانت

[٢]) تاريخ الكنيسة ، ص٤٢٨ ، الفصل الأول من الكتاب العاشر ، يوسابيوس القيصري ، الدولة والكنيسة ، ١١٣/٢ ، د. رأفت عبدالحميد .

[٣]) قصة الحضارة ، ٣٨٥/١١ ، ول ديورانت .

الواقعة بين بلاديهما ، والمؤامرة التي اشترك في تدبيرها ليكينيوس ضد قسطنطين والقيـود التي فرضها ليكينيوس على النصارى ، وطردهم من البلاد والجيش والإدارة ، كل ذلـك أدى إلى نشوب الحرب بين الإمبراطورين .

وبعد مناوشات حربيّة دارت بينهما ، قامت الحرب الفاصلة بينهما في ١٨ سـبتمبر من عام ٣٢٤م ، هزم فيها ليكينيوس ، فانتهت بذلك مكانته كإمبراطور للشرق ، وعندها أصبح قسطنطين هو الإمبراطور المتفرد بحكم الدولة الرومانية [1] .

يقول الأب جان كمي بعد ذكره لتفرد قسطنطين بحكم الإمبراطورية الرومانية سـنة ٣٢٤م : ((ويجوز اعتبار هذا التاريخ البداية الحقيقية للإمبراطورية المسيحية)) [2] .

وفي واقع الأمر فإن قسطنطين من وقت تفرده بالقسم الغربي من الإمبراطورية في عام ٣١٢م ، مروراً بمعاهدة ميلان ، ومن ثمّ تفرده بالإمبراطوريّة في عـام ٣٢٤م ،لم يـساو النصرانية بباقي أديان الإمبراطورية فقط ، بل تعدى الأمر بأن جعل الدين النصراني يعلـو أكثر من أي دين آخر في الإمبراطورية حتى الأديان القديمة فيها .

ومن الأمور التي خصّ بها النصرانية :

١) أنه أرسل رسائل خاصة للنصارى في أرجاء الإمبراطورية ومن أشـهر هـذه الرسائل رسالته إلى نصارى فلسطين، يمدح فيها ربهم ونواميسهم المقدسة، ولم يرسل مثل هذه الرسائل إلى باقي معتنقي الأديان الأخرى في الإمبراطورية[3].

٢) كذلك أرسل قسطنطين رسائل شخصية إلى أساقفة النصارى مع امتيـازات وهدايا مالية [4] .

٣) منح تعويضات للمسيحيين الذين أوذوا أيام الاضطهاد ، خاصـة في وقـت خصمه ماكنتيوس[5] .

---

[1]) تاريخ أوربا (العصور الوسطى) ، ص٤٩ ، د. السيد الباز العريني ، موسوعة تاريخ العالم ، ٣٢٧/١ ، وليام لانجر ، قصة الحضارة ، ٣٨٥/١١ – ٣٨٦ ، ول ديورانت .

[2]) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص٩٤ ، الأب جان كمي .

[3]) حياة قسطنطين العظيم ، ص٨٠ ، يوسابيوس القيصري ، والدولة والكنيسة ، ١١٧/٢ د. رأفت عبدالحميد .

[4]) تاريخ الكنيسة ، ص٤٢٨ (١٠ :٢) ، يوسابيوس القيصري .

[5]) تاريخ العالم ، ١٨٧/٤ ، نشر : جون . ١ . هامرتن

٤) أمر بإعادة بناء الكنائس التي هُدِّمت ، وبناء كنائس جديدة ، وبعث إلى عماله في مختلف الأقاليم يوجههم إلى المساعدة في إقامة الكنائس ، وأن لا يبخلوا بشيء في سبيل ذلك حتى من الخزانة الإمبراطورية ذاتها [1] .

٥) في عام ٣١٤ م ، وبعد صدور مرسوم ميلان بسنة واحدة دعا قسطنطين أساقفة العالم الغربي إلى اجتماع عقد في فرنسا وتحالف معهم لتوطيد أركان حكمه [2] .

٦) أمر بتعطيل الأعمال يوم الأحد ، واعتبره يوم الراحة القانونية [3] .

٧) أمر قسطنطين بتقليد الأساقفة حق السلطة القضائية على معتنقي ديانتهم وأوجب على القضاة المدنيين التصديق على أحكام المحاكم الأسقفية حتى ولو كانت دعاوى مدنية أحد طرفيها نصراني ، وبذلك زادت سلطات ومكانة الأساقفة في المجتمع [4] .

((إن مثل هذه التدابير تتخطى إطار الاقتناع الشخصي . وليس لها من تفسير سوى الرغبة في جعل الكنيسة جهازاً رسمياً وإشراكها في حياة وسير الدولة وتقوية الدولة بما لرؤساء الكنيسة من تأثير .. وهكذا فإن الديانة المسيحية ، بفعل انقلاب الوضع انقلاباً غريباً وشبه محتوم ، أصبحت تدريجياً دين دولة بعد أن كانت في الأمس القريب ديناً محرماً)) [5] .

بهذا كله غدا قسطنطين في نظر الكنيسة ومؤرخيها رسولاً، اختاره الرب لنصرة دينه[6].

---

[1]) الدولة والكنيسة (الوثنية والمسيحية) ٢ / ١١٧ ، د. رأفت عبدالحميد .

[2]) الهرطقة في الغرب ، ص١٥ ، د. رمسيس عوض .

[3]) تاريخ الحضارات العام ، الجزء الثاني (روما وإمبراطوريتها) ص٥٦٤ ، إشراف : موريس كروزيه ، وتاريخ العالم ، ١٨٧/٤ ، هامرتن . تاريخ المسيحية (فجر المسيحية) ص١٤١ ، حبيب سعيد .

[4]) تاريخ الحضارات العام ، الجزء الثاني (روما وإمبراطوريتها) ص٥٦٤ ، إشراف : موريس كروزيه ، والدولة والكنيسة ١١٧/٢ ، د. رأفت عبدالحميد .

[5]) تاريخ الحضارات العام ، ٥٦٥/٢ ، كروزيه .

[6]) الدولة والكنيسة ، (الوثنية والمسيحية) ٢ / ١٢٥ ، د. رأفت عبدالحميد .

قسطنطين ، وبداية ترسيخ الانحراف في مجمع نيقيّة الأول (المسكوني الأوّل ١٩ حزيران ـ ٢٥ آب ٣٢٥ م) :

بعد أن أمِن النصارى من نيران اضطهادات الرومان ، وأصبحت لهم الكلمة ، بدأت وبطريقة علنيّة ظهور الخلافات الدينيّة فيما بينهم ، والتي تمركزت على أمور أساسيّة في العقيدة، خاصة، فيما يتعلّق بشخصيّة المسيح عيسى ـ عليه السلام ـ ، وهذه الخلافات كانت منذ الأيام الأولى من دخول بولس في دين المسيح ، وتفاقمت مع الأيام ، حتى في أوقات الاضطهادات .

وكانت من الأسباب الكبرى في ظهور تلك الخلافات ، دخول طوائف متعددة من الوثنيين ، الرومان وغيرهم ، خاصة أنّهم وجدوا في أقوال بولس الوثنيّة ، والتحريفيّة ، ما يدعم توجهاتهم المخالفة لما أتى به عيسى ـ عليه السلام ـ .

وجد الإمبراطور قسطنطين هذه الخلافات بين النصارى ، ففزع منها خوفاً على وحدة الإمبراطوريّة ، فأمر بعقد مؤتمر يضم النصارى في مدينة نقيّة .

وقيل أن السبب الرئيسي في عقد هذا المجمع ، هو قول آريوس الاسكندراني بين سنتي ((٣١٣ ، ٣١٨ أو ٣١٩)) في عيسى ـ عليه السلام ـ : في أنّ عيسى ما هو إلا مخلوق ، وأنّ الآب هو الله وحده الخالق ، وقد كان الآب ولم يكن الابن .

وكان لآريوس أنصار كثيرون ، أقوياء ، منتشرون في فلسطين ، وأسيوط ، والقسطنطينيّة ، وغيرها ، مِمَّا مكّنهم من الجهر بهذه العقيدة ، فثارت ثأرات بعض المنتسبين للكنيسة المتبعين لأقوال بولس اليهودي ، في أن عيسى الابن في مقام الله الآب ، فله الألوهيّة كما للآب ، وعلى رأسهم بطريك الإسكندريّة ألكسندروس، الذي لعن آريوس وطرده من الكنيسة .

أراد قسطنطين أن يُعالج هذا الخلاف بين الاثنين ، فأمر بجمع كبار رجالات الكنيسة من كل البلدان ، ليتناقشوا فيما بينهم ، ويصلوا إلى وحدة عقديّة واحدة ، تتحد باتحادها الامبراطوريّة ، فاجتمع في نقيّة ما لا يقل عن (٢٠٤٨) من الأساقفة ، فهال قسطنطين

كثرة الآراء فيما يتعلّق بعيسى ــ عليه السلام ــ [1]، وكان من الطوائف المجتمعه من تقول بألوهية عيسى ألوهية تامّة ، وهي مقولة بولس ، ومعه ٣١٨ أسقفاً من أتباعه .

وكانت هذه المقولة هي أقرب إلى ذهن قسطنطين الوثني ، فلمَّا انقضى يوم الاجتماع دون أن تصل الطوائف النصرانيّة إلى وفاق بينها في ما هو الاعتقـــاد الــصحيح بعيـــسى ــ عليه السلام ــ ، انفض المجلس دون حلَ ، أمر قسطنطين بعقد جلسه أخرى خـــص فيها الأساقفة الذين يقولون بألوهيّة عيسى ــ عليه السلام ــ ، وفي مُقدِّمتهم بطريـــرك الإسكندريّة ألكسندروس ، وعددهم فقط ثمانية عشر وثلاثمائة (٣١٨) ، وقيل : أنّـــه جلس في وسطهم ، وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفعه إليهم وقال لهم : قد سلطتكم اليوم على مملكتي لتصنعوا ما ينبغي أن تصنعوا مِمَّا فيه قوام الدين، فباركوا الملك وقلّدوه سيفه، وقالوا له أظهر دين النصرانيّة .

فقرر المجتمعون ألوهية عيسى ، ونفوا القول بأنّه مخلوق وحرَّموا كل من لم يقل بذلك من الأشخاص[2] ، وحرّقوا الكتب التي تُخالف هذا الاعتقاد ، وقرَّروا الكتب التي تنحـــو

---

[1]) ومن أشهر الآراء التي حضرت في المجمع : أ) أنَّ المسيح وأمَّه إلهان من دون الله . وهي مقولـــة البربرانيّـــة ، ويسمّون بالمريميين . ب) إن المسيح من الآب بمنزلة شعلة نار انفصلت عن شعلة نار، فلم تنقص الأولى بانفـــصال الثانية عنها . جـــ) إن المسيح لم تحمل به مريم تسعةَ أشهر ، وإنّما مرَّ في بطنها كما يمر المـــاء في الميـــزاب ، لأن الكلمة دخلت في أذنها ، وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها . د) إن المسيح إنسان خُلق مـــن اللاهـــوت كواحد مِنّا في جوهره ، وإنَّ ابتداء الابن من مريم ، وإنه اصطفي ليكون مخلّصاً للجوهر الإنسي ، فصحبته النعمة الإلهيّة ، وحلّت فيه بالمحبّة والمشيئة ، ولذلك سُمِّي ابن الله . ويقولون أيضاً : أنَّ الله جوهر قديم واحد وأقنوم واحد، ويسمونه بثلاثة أسماء، وهم لا يؤمنون بالكلمة ولا بالروح القدس . وهي مقالة بطريرك أنطاكيّة وأشياعه . هـــ) أنّهم ثلاثة آلهة لم تزل : صالح وطالح وعدل بينهما، وهي مقالة مرقيون وأصحابه. وإن المسيح له الإلوهية التامـــة، وهي مقالة بولس (الرسول) اليهودي و مقالة الثلاثمائة وثمانية عشر (٣١٨) أسقفاً .
انظر : محاضرات في النصرانيّة ، ص ١٥٢ ، الشيخ محمد أبو زهرة ، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص ١٢٣ ، د. علي عبد الواحد وافي ، الكتب السماويّة وشروط صحتها ، ص ٣٣٨ ، عبد الوهاب عبد السلام طويلة .

[2]) نص وثيقة مجمع نيقية الأول ((الأول المسكوني)) في حزيران ـــ ٢٥ آب ٣٢٥ م :
((إعلان إيمان نيقية ، ١٩ حزيران ٣٢٥ ، نص الصيغة التي نقلها أوسابيوس وأثناسيوس وباسيليوس الكبير ، ترجمة النص اللاتيني :

هذا المنحى الوثني التثليثي ، وعلى رأسها رسائل بولس اليهوديّ .

علماً أنّ الذين فرضوا القول بإلوهيّة المسيح عيسى في مجمع نيقيّة ، لم يشكّلوا الأكثرية ، بل على العكس هم الأقليّة ، وإنّما الأكثريّة كانوا مع القول بأن عيسى مخلوق ، وإنّ الخالق هو الله ، وهي مقالة آريوس ، وكان عدد أتباعه ومن وافقه على مقالته تجاوز السبعمائة أسقف ، وكانت أكبر طائفة نصرانيّة اجتمعت في نيقيّة في ذلك الوقت[١] .

= نؤمن بإله واحد، آب قدير خالق كُل ما يُرى و ما لا يُرى . وبربنا الواحد يسوع المسيح ابن الله المولود الوحيد من الآب، أي من جوهر الآب، إله من إله ، نور من نور، إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق ، واحد في الجوهر مع الآب ، الذي به خلق كُل شيء ما في السماء و ما في الأرض . الذي لأجل خلاصنا ، نزل وتجسّد وتأنّس وتألّم، وقام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماوات، وسيأتي ليدين الأحياء والأموات . وبالروح القدس . أمّا الذين يقولون : كان زمان لم يكن فيه ، وقبل أن يُولد لم يكن ، وصار ممّا لم يكن ، أو يقولون ، إن الله هو من جوهر أو ماهية آخرين ، أو أنه قابل للتغيُّر أو التحوّل ، فهؤلاء تحرمهم الكنيسة الجامعة)) . الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٤٤ ــ ٤٥ .

[١]) وكان في وقت اجتماع نقيّة ، طوائف توحيديّة كثيرة ، ولها أتباع كثيرون ، ومن أشهر تلك الطوائف التوحيديّة :

أ) الفرقة الآريوسيّة ، أتباع أسقف في الكنيسة الاسكندريّة ، يُسمى آريوس ، ويعتبرها المؤرخون أكبر فرقة توحيديّة في العهود الأولى للمسيحيّة ، وحملت على عاتقها مسألة الرد على الفرق الثليثيّة المنحرفة التي اتبعت أقوال بولس اليهودي .

يقول الإمام ابن حزم عن رئيسها آريوس : ((إن قوله هو التوحيد المجرّد ، وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق ، وأنّه كلمة الله تعالى التي بها خلق السموات والأرض)) .

أخذ هذا المذهب يضمحلّ ويتناقص عدد أتباعه بعد أن حكم مجمع نيقيّة سنة ٣٢٥م بطرد رئيسه آريوس من الحضيرة الكنسيّة ، وبتكفيره .

ب) الفرقة البوليانيّة ، وقيل البولقانيّة ، أتباع أسقف الكنيسة الأنطاكيّة في عام ٢٦٠م ، يُسمى بولس الشمشاطي، أنكرت هذه الفرقة ألوهيّة عيسى ، وأنّه مجرد بشر رسول .

يقول الإمام ابن حزم عن رئسها بولس الشمشاطي : ((كان بولس بطريقياً بإنطاكيّة قبل ظهور النصرانيّة ــ يقصد عقيدة التثليث ــ وكان قوله التوحيد المجرّد الصحيح ، وأنّ عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام خلقه الله في بطن مريم من غير ذَكَر ، وأنّه إنسان لا إلهيّة فيه ، وكان يقول: لا أدري ما الكلمة ولا روح القدس)) .

ج) الفرقة الأبيونيّة ، وهي أقدم الفرق المسيحيّة التوحيديّة ، وهم من اليهود الفلسطنيين الذين دخلوا إلى دين عيسى عليه السلام، ولمعرفتهم بإصول بولس اليهودي وعبثه بدين عيسى عليه السلام، فقد عادوا قراراته في إلغائه شريعة=

والغريب المريب أن الامبراطور قسطنين كان هو المتحكّم المباشر في آراء المجمع ، وهو لا يزال على وثنيّته ، فلم يُعمّد ويدخل في دين النصارى في ذلك الوقت — وإنما عُمِّد في مرضه الذي مات فيه[١] — ، لذلك لم يقتنع بقولٍ في الإلوهية إلاّ ما تربى ونشأ عليه من الوثنيّة ، وهو تعدد الآلهه ، إرضاءً لنفسه في اعتقاده الوثنيّ ، وإرضاءً لغالبيّة شعبه الوثنيين الرومان ، فأدخل هذه العقيدة التثليثيّة التعدديّة في دين عيسى التوحيد بقوة السلاح والمُلك في مجمع نقيّة ، خاصة أنّ هناك من الذين يدّعون اتّباع دين عيسى في العصر الأوّل منه ، من يقول بتعدد الآلهه والتثليث ، وهو بولس (شاؤل اليهودي) ، فوافق اعتقاد قسطنطين الوثني مع أقوال بولس أوّل محرِّف لدين النصارى ، فترسَّخ الانحراف العقدي في النصرانيّ بقوة السلاح مع الإمبراطور قسطنطين ، وبقِدم التاريخ مع بولس .

= موسى ، فآمنوا بالعمل بالناموس ، وأنكروا ألوهيّة عيسى ، وأن عيسى ما هو إلاّ بشراً رسولاً ، وكان لهذه الفرقة إنجيل خاص بها مُدوّن باللغة الآراميّة ، وقد انقرضت هذه الفرقة في أواخر القرن الرابع الميلادي .

انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل للإمام ابن حزم١/ ٣٩، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص ١٠٨ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، د. علي عبد الواحد وافي ، وبتوسّع إلى كتاب : عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحيّة ، الباب الأول من الكتاب من ص ٣٥ إلى ص ٦٨ ، حسني يوسف الأطير .

[١]) حياة قسطنطين العظيم ، الفصل الثاني والستون ، من الكتاب الرابع ، ص ٢٣٥ ، يوسابيوس القيصري ، تعريب القمص مرقس داود .

الباب الاول :

الطائفة الكاثوليكية والبابوية تعريفاً وتاريخاً ، وفيه فصلان :

الفصل الاول: التعريف بالطائفة الكاثوليكية والبابوية، وفيه مبحثان:

المبحث الاول : التعريف بالطائفة الكاثوليكية .

المبحث الثاني : التعريف بالبابوية .

الفصل الثاني : البابوية عبر التاريخ .

الفصل الأول: التعريف بالطائفة الكاثوليكية والبابوية، وفيه مبحثان :

المبحث الاول :التعريف بالطائفة الكاثوليكية .

الطائفة من الشي : القطعة منه[١] ، أو الجزء منه[٢] .

والطائفة من الناس : جماعة منهم[٣] ، قال تعالى : ((وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين))[٤]، وقال عبد الله بن عباس — رضي الله عنهما — : ((الواحد فما فوقه))[٥].

قال مجاهد : الطائفة الرجل الواحد إلى الألف ، وقيل الرجل الواحد فما فوقه ، وروى عنه ايضا أنّه قال: أقلّه رجل، وقال عطاء : أقلّه رجلان، يقال : طائفة من الناس، وطائفة من الليل، وفي الحديث النبوي ((لاتزال طائفة من أمتي على الحق))[٦]، والطائفة : الجماعة من الناس وتقع على الواحد ، والطائفة : القطعة من الشيء[٧] .

والطائفة الكاثوليكية : مجموعة من النصارى اعتقدوا ، وارتضوا طريقاً معيناً في الاعتقاد والتشريع في الديانة النصرانية تختلف عن مجموعات اخرى في نفس الديانه .

---

[١]) القاموس المحيط مادة (طوف) ص ١٠٧٧ مفردات الفاظ القران للراغب الاصبهاني مادة (طوف) ص ٥٣١ تحقيق الصحاح للجوهري مادة (طوف) ١٣٩٧/٤ تحقيق : احمد عبد الغفور عطار .

[٢]) لسان العرب لابن منظور مائة (طوف) ٢٢٦/٩ .

[٣]) مفردات الفاظ القران للاصبهاني مادة (طوف) ص ٥٣١ .

[٤]) سورة النور الاية ٢ .

[٥]) الصحاح للجوهري مادة (طوف) ١٣٩٧/٤ .

[٦]) صحيح مسلم ، كتاب الأحكام ، باب قوله صلى الله عليه وسلّم ((لا تزال طائفة من أُمتي ظاهرين على الحق لا يضرّهم من خالفهم)) ، ح ١٩٢٠ .

[٧]) لسان العرب مادة (طوف) ٢٢٦/٩ .

الكاثوليكية :

أصل كلمة (كاثوليكي) catholique هو اللفظ اليوناني katholikas (كاثوليكوس) وتعني العالمي او العالم ، أي انها الديانة العالمية العامة[١] .

ويمثل الكاثوليك اكبر تجمع نصراني في العالم[٢] .

ويقود هذه الطائفة (اسقف روما) وهو (البابا) مقره دوله الفاتيكان ، وهو نفسه (أي البابا) رئيس دولة الفاتيكان ومقرها في ايطاليا[٣] ، وينسب اليها عامة النصارى في الغرب ، واتباعها هم أكثر النصارى انتشاراً في الأرض ، وذلك بسبب الاستعمار الاوربي وبعثات التنصير[٤] .

وتسمى كنيسة الطائفة الكاثوليكية بالكنيسة الغربية اللاتينية ؛ لامتداد نفوذها الى شعوب الغرب اللاتيني الذين يقطنون بلاد ايطاليا وبلجيكا وفرنسا واسبانيا والبرتغال وايرلندا وباقي اوروبا مثل لتوانيا وبولندا وسلفاكيا وكرواتيا ، وكذلك في كثير من دول افريقيا ، واستراليا ، وبعض دول آسيا كدولة الفلبين ، كما تسمى أيضاً بالكنيسة الرومانية او (بكنيسة روما) لان مقرها في روما بايطاليا[٥] .

وكذلك تسمى بالكنيسة البطرسية أو الرسولية لأن الكاثوليك يعتبرون أن مؤسس هذه الكنيسة هو بطرس ، والذي يدعونه بـ(هامة الرسل) وكبير حواريي عيسى — عليه

---

[١]) الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور حتى اليوم ص٦٨ سعد رستم والاسفار المقدسة ص١٣١ د. علي عبد الواحد وافي ودراسات في اليهودية والمسيحية واديان الهند ص ٤٦٤ د. محمد ضياء الرحمن الاعظمي .

[٢]) الموسوعة العربية العالمية ٢٠/ ١١٧ ، الموسوعة العربية الميسرة ٢/١٤٨٩ محمد شفيق غربال ، وذكر سعد رستم إن عدد اتباع الطائفة الكاثوليكية يقدر بنحو مليار نصراني يمثلون حوالي خمس سكان العالم الفرق والمذاهب المسيحية ص ٦٨ .

[٣]) قاموس الكتاب المقدس ص ٨٢٤ موسوعة السياسة ٥/١٧٦،٢٠ د. عبد الوهاب الكيالي والقاموس السياسي ص ١٧١ احمد عطية الله الاسفار المقدسة ص ١٣٦ د. علي عبد الواحد وافي .

[٤]) المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب ٢/٦٩٠ تعريف وتصنيف أ.د سهيل زكار ودراسات في اليهودية والمسيحية واديان الهند ص ٤٦٤ د. محمد ضياء الرحمن الاعظمي والفرق والمذاهب المسيحية ص ٦٨ سعد رستم .

[٥]) الموسوعة العربية الميسرة ٢/١٤٩٠ محمد شفيق غربال والمسيحية ص ١٩٩ د. احمد سلبي والاسفار المقدسة ص ١٣٦ د. علي عبد الواحد وافي واديان وفرق ص ١٠٠ امين القضاة واخرون ودراسات في اليهودية والمسيحية واديان الهند ص ٤٦٤ د. محمد ضياء عبد الرحمن الاعظمي والفرق والمذاهب المسيحية ص ٨٧ سعد رستم .

السلام ـــ لذا فهي تدّعي أنّها الكنيسة العامة و الجامعة وأنّها أم الكنائس ومعلمتها[١] .

ولهذا الانتشار وكثرة المنتسبين إليها ((توصف الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بأنهـــا أقوى مؤسسة دينية وجدت في تاريخ العالم ، وهذه الكنيسة مسؤولة عن تنظيم أحـــوال الكاثوليك في العالم من تعليم الديانة وتأمين الخدمات الطقوسية الدينية وتنظيم أخـــلاق المؤمنين بها))[٢] .

يقول إدوارد جيبون : ((وكانت كنيسة روما أعظم الكنائس وأضخمها عـــدداً ، كما كانت بالنسبة للغرب أقدم المؤسسات المسيحية التي أخذت عنها كثير مـــن هـــذه المؤسسات ديانتها))[٣] .

وأول من استخدم مصطلح (الكاثوليك) هو إغناطيوس الانطاكي[٤] سنة ١١٠ م ، ثُمّ استخدمها اللاهوتي اكليمنت الإسكندري المتوفي سنة ٢١٥م[٥] ، ولكنّ الاستخدام الرسمي لهذا المصطلح في التعبير عن الكنيسة الرومانية لم يحدث قبل القرن الثالث الميلادي[٦] .

---

[١]) المراجع السابقة ، الصفحات نفسها .

[٢]) جغرافية الاديان ص ١٠٣ دافيد سوفير ترجمة : احمد غسان سبانو .

[٣]) اختلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ٢٦٧/١ ادوارد جيبون ، ترجمة محمد علي ابودرة .

[٤]) جاء في معجم الإيمان المسيحيّ ، ص ٤٨، أنّ إغناطيوس الانطاكي ، هو ((أسقف أنطاكيّة في مطلع القـــرن الثاني . قُبض عليه في عهد طرايانس ونُقل إلى رومة للتعذيب . وفي أثناء سفره، كتب سبع رسائل وصلت إلينـــا . أشهرها إلى كنيسة رومة، والباقي إلى كنائس في آسية الصغرى. هذه الرسائل هي شهادة روحيّة ورعويّة. سُـــمّي بالنورانيّ لأنّه رأى الملائكة النورانيّين يسبّحون الله بين جوقتين، فرتّب ذلك في الكنيسة أسوةً بهم . ولُقّب بثيوفورس » أي حامل الله)) . المعجم من تأليف الأب صُبحي حموي اليسوعيّ ، أعاد النظر فيه من الناحية المسكونيّة الأب جان كُوربون .

[٥]) اكليمنت الإسكندري (١٥٠ ـــ ٢١٥) : ولد سنة ١٥٠م، قيل أنّه أوّل عالم في النصرانيّة جمع بين علـــم الكتاب المقدس والفلسفة اليونانيّة وآدابها، رأس مدرسة الإسكندريّة اللاهوتيّة، لم يبق من مؤلفاته إلاّ ثلاثة كتب، ((تحريض الأمم للرجوع عن الوثنيّة إلى المسيحيّة)) ، و ((المرشد لتعليم حديثي الإيمان)) ، و ((المتنوعات)) وهي مجموعة دراسات فلسفيّة . انظر : دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة » ص ٨٩ ، الأب جان كُمبّي .

[٦]) الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الاسلام حتى اليوم ص ٦٨ سعد رستم .

((الكنيسة الكاثوليكيّة ودعوة نسبتها إلى بطرس)) :

تعتقد الكنيسة الكاثوليكية أنّ مؤسسها الأوّل والحقيقي هو بطرس كبير الحواريين ، وأنّه قام بإدارة أمور الجماعة النصرانيّة في روما ، وكان أوّل أسقفٍ لها ، وأنّه قُتل وصُلب منكوساً في روما[1] ، ودُفن فيها، وقبره تحت المبنى الذي فيه الكرسي البابوي في الفاتيكان في روما (كاتدرائية القديس بطرس في الفاتيكان) ، وقد كتبت حول قاعدة قبة كنيسة القديس بطرس فقرة وردت في انجيل متى قيل أنّ عيسى ــ عليه السلام ــ خاطب فيها بطرس ((وَأَنَا أَيْضاً أَقُولُ لَكَ: أَنْتَ صَخْرٌ. وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا))[2] ، أي أنّ لبطرس علواً وشأناً أرفع من باقي الحواريين عندهم ، وأنّه قد تمّ على حوائطها نقش أسماء البابوات في سلسلة متصلة غير مقطوعة ابتداء من القديس بطرس حتى الوقت الحاضر[3].

كما يعتقد الكاثوليك أيضاً أنّ ((بولس)) كان له الدور الكبير في تكوين طائفتهم وكنيستهم وهو أول من أشهرها .

فالكاثوليك يؤمنون بأنّ بطرس وبولس جميعهما كانا عمودين ومؤسسين لكنيستهم في روما ، وأنّهما قُتلا على يد الرومان في اضطهاد الإمبراطور نيرون سنة ٦٤م ، ودُفنا هناك[4] .

---

[1]) يذكر الاب كمي أن أوريجانيس قال في القسم الثالث من تفسير التكوين ((ويبدو أن بطرس بشّر اليهود المشتتين في النبط وغلاطية ... وأخيراً أتى رومية حيث صُلب ورأسه الى تحت بعد أن طلب أن يتألّم على هذا الشكل)) . دليل الى قراءة تاريخ الكنيسة ص ٢٨ بقلم الاب جان كمي ، وعلى هذا ذهب النصارى ، لأنه ــ عل حسب زعمهم ــ لم يكن يرى أنّه يستحق أن يأخذ نفس الوضع الذي أخذه قبله ربه وسيده المسيح يسوع ، فأجيب الى طلبة ومات مقلوبا . انظر : مختصر تاريخ الكنيسة ص ٤٦ أندرو مِلر .

[2]) متى ١٦ : ١٨ .

[3]) تاريخ اوروباء (العصور الوسطى) ، ص ١٥٩ ، د. السيد الباز العريني ، أوربا المسيحيّة (الالفية الاولى) ١/ ١٢ يان دوبرا تشينسكي ترجمة د. كيرو لحدو ، تاريخ اوروباء في العصور الوسطى ، ص ٥٠ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

[4]) قيل أن بُطرس قُتل سنة ٦٤ م، وأنّ بولس قُتل سنة ٦٣ م، أو ٦٧ م، انظر : دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، ص٣٢، الأب جان كُمّي، تاريخ المسيحية ، (فجر المسيحية) ، ١٢٣/١ بقلم حبيب سعيد ، موسوعة الاديان في

يقول كل من اندريه ايمار وجانين اوبوايّه (الفرنسيان) في كلامهم عن روما ومكانتها : ((لم يكن ممكناً أن تُنافس هذه المدينة ، بسبب أهمّيتها الواقعية ، أيّة مدينة أخرى ، فإنّ عظمتها التاريخية ، المرتبطة بفكرة الامبراطورية نفسها التي لم يزعزعها غياب الامبراطور ، كانت آخذة بالازدياد ، أضف إلى ذلك على الصعيد الديني ، إن وجود مدفني القديسين بطرس وبولس ، والوعد الذي قطعه المسيح لبطرس مؤسس الكنيسة الرومانية، قد أوليا هذة الكنيسة حقوقا أخرى))[1] .

لهذا فإن الكاثوليك يعتقدون أنّ كنيستهم في روما لها الأسبقية على باقي الطوائف النصرانية ، ويعتقدون أيضاً كنيستهم هي الوريث الشرعيّ الوحيد ، وذلك عبر سلسلة أسقفيّة متواصلة تبدأ من بطرس ــ هامة الرسل وكبير حواري يسوع كما يعتقدون ــ، وتستمر عبر خُلفائه من الآباء (البابوات) بلا انقطاع إلى يومنا هذا، للتفويض والسُّلطان الذين منحهما يسوع له ، كما ورد في إنجيل متى : ((وَأَنَا أَيْضاً أَقُولُ لَكَ: أَنْتَ صَخْرٌ. وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا! وَأُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ: فَكُلُّ مَا تَرْبِطُهُ عَلَى الأَرْضِ، يَكُونُ قَدْ رُبِطَ فِي السَّمَاءِ؛ وَمَا تَحُلُّهُ عَلَى الأَرْضِ، يَكُونُ قَدْ حُلَّ فِي السَّمَاءِ!))[2] .

يقول المُفَسِّر النصراني وليم كارلي في تفسيره لهذه الفقرة : ((أن هذه العبارة من المسيح لبطرس ليست سهلة فقد أعطاه المسيح بعض الامتيازات ، وبعض المسئوليات فالعبارة تشير إلى سلطة فريدة وقوة خاصة لبطرس . ومن ذلك أن يكون بطرس الخادم الأمين للملكوت ، الذي معه المفتاح ليفتح باب الملكوت أمام الراغبين في الخلاص .

العالم، في الكتاب المسمّى بالمسيحيّة، ص١٢ المشرف العام : جميل مدبك، نشر: دار كريس انترناشيونال . =

= وجاء في كتاب أوروبا والمسيحيّة الجزء الأوّل ، ص ١٤ ــ ١٥ ، تأليف يان دوبراتشينسكي ، ترجمة الدكتور كبرو لحدو : أن هناك حفريات أمر بها البابا بيوس الثاني عشر أثناء الحرب العالميّة الثانيّة وما بعدها أثبتت وجود قبر بطرس تحت هضبة الفاتيكان . وذكر ذلك أيضاً الدكتور الخوري بولس في كتابه المحيط الجامع في الكتاب المقدّس والشرق القديم ، ص ٢٥٧ .

[1]) تاريخ الحضارات العام، الجزء الثالث، روما وامبراطوريتها ، ص٦٢٢، إشراف : موريس كروزيه .

[2]) متى ١٦ : ١٨ ــ ١٩ .

وأنه سيكون مسئولاً في الكنيسة ليقودها إلى التعاليم الصحيحة والقرارات الهامة))[١].

وورد في انجيل يُوحنّا أنّ المسيح ــ على زعم وافتراء النصارى ــ لّما صلبوه ، وقام من الاموات أظهر نفسه للتلاميذ على بحر طبرية وفيهم بطرس فناداه المسيح باسمه (سمعان بن يونان) وقال له ثلاث مرات : ((يَاسِمْعَانُ بْنَ يُونَا، أَتُحِبُّنِي؟ فَأَجَابَهُ : نَعَمْ يَارَبُّ. أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ! قَالَ لَهُ : ارْعَ خِرَافِي))[٢] .

((فأعطاه يسوع الأولويّة الموعود بها[٣]. ولهذا وبعد الصعود، أمسك بطرس بيده قياده الجماعة الأولى))[٤]

ولكن هذه العقيدة التي تُنادي بها الطائفة الكاثوليكية ، وتزعم من خلالها أنّها هي الرأس ، ولها التقدم على باقي الطوائف النصرانية ، كما كان لبطرس الرئاسة والزعامة على باقي أتباع المسيح، مرفوضة ومنازع فيها عند باقي الطوائف النصرانية، وذلك لأمور ، منها :

أولاً) إنّ كل النصارى يزعمون أن بطرس كبير الحواريين هو مؤسس كنائسهم، فهذه الكنيسة الإنطاكيّة تعتقد أن بطرس هو مؤسسها الفعلي، وكذلك الكنيسة الأرثوذكسية المرقسيّة تعتقد أيضاً أن مؤسسها هو بطرس فقد عهد إلى تلميذه مرقس صاحب الإنجيل إلى إنشاء كنيستهم، فلا ميزه للطائفة الكاثوليكية في هذا[٥].

ثانياً) تذهب الطوائف النصرانيّة ــ غير الكاثوليكيّة ــ إلى أن ربّهم يسوع قد أعطى سُلْطة الحل والعقد لكل حواريه ، وليس لبطرس وحده ، فجاء في انجيل متى : ((فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَا تَرْبِطُونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ قَدْ رُبِطَ فِي السَّمَاءِ، وَمَا تَحُلُّونَهُ

---

[١]) تفسير متى ١ / ٣١٦ ــ ٣١٨ ، وليم باركلي ، ترجمة الدكتور القس فايز فارس . (بتصرف) .

[٢]) انجيل يوحنا ، ٢١ / ١٦ . ولكن الغريب في بداية هذه القصة أن تلاميذ المسيح لم يعرفوه لّما تكلم معهم (٢١ / ٤) ((وَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ، وَقَفَ يَسُوعُ عَلَى الشَّاطِىءِ ، وَلكِنَّ التَّلاَمِيذَ لَمْ يَعْرِفُوا أَنَّهُ يَسُوعُ)) ، ولم ينتبه كاتب هذا السفر إلى هذه النقطة فهي موضع تساؤل كيف يكون معلمهم بل ربهم وخالقهم ــ كما يزعم النصارى ــ ولّما ظهر لهم لم يعرفوه وشكوا في أمره ؟! .

[٣]) يوحنا ٢١ : ١٥ ــ ١٧ ، وأنظر أيضاً متى ١٦ : ٥٨ ، ٦٩ ــ ٧٥ .

[٤]) انظر : المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم ، ص ٢٥٧ ، د. الخوري بولس الفغالي .

[٥]) تاريخ أُروبا (العصور الوسطى) ، ص ١٥٧ ، ١٦١ ، الدكتور السيد العريني .

عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ قَدْ حُلَّ فِي السَّمَاءِ. وَأَيْضاً أَقُولُ لَكُمْ: إِذَا اتَّفَقَ اثْنَانِ مِنْكُمْ عَلَى الأَرْضِ فِي أَيِّ أَمْرٍ، مَهْمَا كَانَ مَا يَطْلُبَانِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَكُونُ لَهُمَا مِنْ قِبَلِ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ))[1] .

ويقول الأنبا غريغريوس أن : ((قول المسيح لبطرس ((سأعطيك مفاتيح ملكوت السموات ...)) لا يُعطي القديس بطرس امتياراً خاصاً ، لأن المسيح أعطى نفس هذا السلطان للرسل جميعاً سواءً بسواء وبدون تفريق ... ، وهو سلطان الأسقفية الممنوح من المسيح للأسقف الذي يرعى الكنيسة المبنية على صخرة الإيمان بلاهوت المسيح وأنه ابن الله الحيّ))[2] .

ثالثاً) أمّا مسألة أن بطرس هو الصخرة التي بنى عليها المسيح كنيسته ، وهذا فيه دلالة على تقدم بطرس على باقي الاتباع الذين اختارهم المسيح ، فرد النصارى المخالفون للإعتقاد الكاثوليكي بامور ، منها :

١) إنّ الصخرة عندهم هو المسيح ، يقول بولس : ((إِذْ شَرِبُوا مِنْ صَخْرَةٍ رُوحِيَّةٍ تَبِعَتْهُمْ، وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الصَّخْرَةُ هِيَ الْمَسِيحُ))[3] ، ومعنى الصخرة الإيمان ، والإيمان موجود قبل بطرس ، فلا يكون بذلك بطرس هو الصخرة[4] .

٢) ثُمّ عندهم كيف يكون بطرس هو صخرة الإيمان ، وقد قال له المسيح أنه شيطان وأنه معثرة للايمان به ، وجاء ذلك في إنجيل متى : ((فَالْتَفَتَ وَقَالَ لِبُطْرسَ

---

[1]) متى ١٨ : ١٨ — ١٩ .

وخالف جميع النصارى أنفسَهم في هذا فقدموا التقدم المطلق لمن هو ليس من رسل الربّ عندهم و لم يلتق بربّهم يسوع ، بل أتى بامورٍ خالف فيها ما ذهب إليه وقاله المسيح عليه السلام وبعض الحواريين ، هذا الرجل هو اليهودي (شاؤول) الذي سمّى نفسه (بولس) بعد أن تنصّر (وهذا كما مر معنا) فقدمت النصارى هذا الرجل تقديما أبعد حتى من ربّهم في الناحية التشريعيّة . لذلك ذهب بعض المفكرين المتنورين من النصارى إلى أن هذه الديانة القائمة الآن والتي تُسمي نفسها بالمسيحية بسبب واقعها وحقيقتها ، المفروض تُسمي نفسها بالبوليسية فهي تطبيق كامل لما قاله بولس من تعاليم و شرائع وليس فيها من تعاليم عيسى عليه السلام وما أمر به إلا اسم المسيح فقط .

[2]) اللاهوت المقارن ، ص ٢١٦ ، للأنبا غريغريوس .

[3]) كورنثوس الأولى ١٠ : ٤ .

[4]) اللاهوت المقارن ، ص ٢١٧ ، للانبا غريغريوس ، رد على اليهودية واليهودية المسيحية ، ص ٤٤٤ ، ندرة اليازجي .

اذْهَبْ عنّي يا شيطانُ . أَنْتَ مَعثرةٌ لي))[1] .

يقول النصراني ندرة اليازجي ـــ عندما قارن بين النصين في متى ـــ : ((إننا نلمس التناقض الحرفي في هذا الكلام عندما يتهم المسيحُ بطرس بأنه معثرة ... فكيف يكون بطرس هو الصخرة وكيف يكون معثرة في آن واحد ؟ ألا يعني أن بطرس سيُعثّر الكثيرين))[2] ، ويدل هذا أيضاً أنّه لا يجوز الأخذ براية في أية مسألة كانت ولا يعوّل على أقواله .

٣) أن الصخرة لا تتزعزع، فيقولون كيف يكون بطرس هو صخرة الإيمان وقد تزعزع إيمانه ، بل وكاد يفقد إيمانه في ربّه ، حتى قال له الرب[3] : ((وَلكِنّي تَضَرَّعْتُ لأَجْلِكَ لِكَيْ لاَ يَخِيبَ إِيمَانُكَ))[4]، وأنه أنكر يسوع أمام الناس ، جاء في إنجيل مرقس : ((وَبَيْنَمَا كَانَ بُطْرُسُ تَحْتُ فِي سَاحَةِ الدَّارِ، جَاءَتْ إِحْدَى خَادِمَاتِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، فَلَمَّا رَأَتْ بُطْرُسَ يَسْتَدْفِيءُ، نَظَرَتْ إِلَيْهِ وَقَالَتْ: «وَأَنْتَ كُنْتَ مَعَ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ!» وَلكِنَّهُ أَنْكَرَ قَائِلاً: «لاَ أَدْرِي وَلاَ أَفْهَمُ مَا تَقُولِينَ!» ثُمَّ ذَهَبَ خَارِجاً إِلَى مَدْخَلِ الدَّارِ. فَصَاحَ الدِّيكُ وَإِذْ رَأَتْهُ الْخَادِمَةُ ثَانِيَةً، أَخَذَتْ تَقُولُ لِلْوَاقِفِينَ هُنَاكَ: «هَذَا وَاحِدٌ مِنْهُمْ!» فَأَنْكَرَ ثَانِيَةً. وَبَعْدَ قَلِيلٍ أَيْضاً، قَالَ الْوَاقِفُونَ هُنَاكَ لِبُطْرُسَ: «حَقّاً أَنْتَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، لأَنَّكَ جَلِيلِيٌّ». وَلكِنَّهُ بَدَأَ يَلْعَنُ وَيَحْلِفُ: «إِنِّي لاَ أَعْرِفُ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي تَتَحَدَّثُونَ عَنْهُ». وَصَاحَ الدِّيكُ مَرَّةً ثَانِيَةً فَتَذَكَّرَ بُطْرُسُ مَا قَالَه يَسُوعُ لَهُ: «قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ مَرَّتَيْنِ، تَكُونُ قَدْ أَنْكَرْتَنِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ». وَإِذْ تَفَكَّرَ بِذَلِكَ أَخَذَ

---

[1]) متى ١٦ : ٢٣ .

[2]) رد على اليهودية واليهودية المسيحية ، ص ٤٤٥ ــ ٤٤٦ ، ندرة اليازجي .

لا إله إلا الله محمد عبد الله ورسوله وعيسى عبد الله ورسوله ، كيف تكون هذه الأناجيل صحيحة وموحى بها وفيها مثل هذا التناقض في إصحاح واحد وبين فقرتين متجاورتين الاصحاح السادس عشر بين الفقرتين ١٨ و٢٣ منه ، أيصح أن يخرج هذا التناقض من رجل عاقل يدرك ما يقول فضلاً عن رب وإله . تعالى الله عمّا يقول الظلمون علواً كبيراً .

وهذا التناقض يعترف به النصارى أنفسهم في كتبهم المقلس ، كما مر معنا في إقرار النصراني ندرة اليازجي .

[3]) اللاهوت المقارن ، ص ٢١٧ ، الأنبا غريغريوس .

[4]) لوقا ٢٢ : ٣٢ .

يُنْكِي))[١] .

علماً أنّه جاء في إنجيل متى جزاء من يُنكر المسيح : ((كُلُّ مَنْ يَعْتَرِفُ بِي أَمَامَ النَّاسِ، أَعْتَرِفُ أَنَا أَيْضاً بِهِ أَمَامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَنْ يُنْكِرُنِي أَمَامَ النَّاسِ، أُنْكِرُهُ أَنَا أَيْضاً أَمَامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ)) .

ولا شك أن هذا الجزاء على حسب كتبهم المقدسة يقع على بطرس فكيف يكون هو الصخرة[٢] .

رابعاً) وفي نهاية الأمر يقول النصارى غير الكاثوليك في نقدهم لهـذه المسألة الكاثوليكية ــ وهي أن بطرس مؤسس كنيسة الطائفة لكاثوليكية ، وأنّه مُقدّم على باقي اتباع يسوع ــ : أنّهم لا يجدون فقرة واحدة صريحة تقول : أن بطرس رئيس للكنيسة عامة ، أو أنه رئيس كنيسة روما[٣] .

و عقيدة الكاثوليك عقيدة خلقدونيّة [٤] ، وسُمِّيت بالخلقيدونيّة نسبةً إلى ماحصل في مجمع خلقيدونيّة من تقرير لأهم عقيدة عند النصارى ، وبسببها حصل الخلاف القوي بينهم ، فانقسمت الكنيسةُ النصرانيّة إلى غربيّة كاثوليكيّة وإلى شرقيّة أرثوذكسيّة ، وهذه العقيدة ((طبيعة ربّهم يسوع)) فقد قرّر المجمع الخلقيدوني أنّ ربّهم يسوع شخص له طبيعتين ، طبيعة إلهية ، وأخرى بشرية[٥] .

المجمع الخلقيدوني ، هو المجمع المسكوني الرابع[٦] ، والذي عُقد في ٨ تشرين الأوّل إلى مطلع تشرين الثاني عام ٤٥١م، في مدينة خلقدونية، والتي تقع في مواجهة

---

[١]) مرقس ١٤ : ٦٦ ــ ٧٢ .

[٢]) رد على اليهودية واليهودية المسيحية ، ص ، ٤٣٩-٤٤٠ ، لليازجي .

[٣]) الطوائف المسيحية في مصر والعالم ، ص ٨٣ ، ماهر يونان روفائيل .

[٤]) سيمر معنا ــ إن شاء الله ــ في الباب الثالث عرض تفصيلي للعقائد الكاثوليكيّة ، وإنّما قصدي هنا أن أذكر نبذة مختصرة عن عقائد للطائفة الكاثوليكيّة ، تكملةً للتعريف بها في مكان واحد .

[٥]) وسوف أعرض عقيدتهم في طبيعة ربّهم يسوع ــ إن شاء الله الواحد الأحد ــ في الباب الثالث ، المخصص لعقائد الكاثوليكيّة .

[٦]) يُعتبر المجمع الخلقدوني (٤٥١م) المجمع المسكوني الرابع عند الكاثوليك ، أما عند الأرثوذكس فالمجمع المسكوني الرابع هو مجمع أفسس الثاني عام (٤٤٩م) الذي يُسمى عن الكاثوليك بمجمع ((اللصوص)) .

القسطنطينية على الضفة الأخرى لمضيق البسفور، في عهد البابا لاوون الأوّل الكـبير (٢٩ أيلول سنة ٤٤٠ ـــ ١٠ تشرين الثاني ٤٦١ م)، ورأس المجمع نائب البابا[١] .

ومن اعتقادات الطائفة الكاثوليكية : أن المسيح له طبيعتان ومشيئتان ، وأن روح القدس نشأ عن الآب والإبن معاً ، وعقيدتهم في مريم ، فهي عندهم بريئة من الخطيئة الأصلية ، ومن كُلّ خطيئة ، ومن خلال ذلك أُدخلت عقيدة (الحبل بلا دنـــس) ، وعقيدة انتقال جسمها إلى السماء ، فهي عندهم فوق كـــل القديـــسين، وعقيـــدة (المطهر) عندهم ، وهو عذاب فردي ليس في الدينونة العامة التي لجميع الناس فيمـــا يعتقدون، وعقيدة عصمة البابا وسلطته في تكفير الخطايـــا، وغيرهـــا مـــن العقائـــد الكاثوليكية، كما أن الطائفة الكاثوليكية تستخدم اللغة اللاتينية في طقوسهم العبادية، وإدارة شؤونهم الكنسية ، ((حتى بعد أن لم تعد اللاتينية لغة أي شعب حيّ))[٢] .

---

[١]) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص١٢٨ ، الأب جان كُمبي .

[٢]) جغرافية الأديان ، ص١١٢، دافيد سوفير ، ترجمة أحمد غسّان سباتو .

المبحث الثاني : التعريف بالبابوية .

(بابا) لفظ قيل أنه يوناني الأصل مأخوذ من كلمة (باباس) ، ومعناه الأب (pope)[١]، وقيل بل مأخوذ من الكلمة القبطية (بي بابا) أي الأب، وأنّ أول ظهور لهذا اللقب كان في مصر ، ثم نُقل إلى صاحب كرسي بطرس الرسول في روما[٢] .

يُقال عنه في اليونانية (بترياركـ) (**patriarch**)[٣] ، فهذه اللفظه مركبة من كلمة (بتريا) ومعناها (العشيرة) وكلمة (أرشيس) ومعناها (الرئيس)[٤] .

والبابوية رتبة أُسقفية وسلطوية ، يتقلدها أسقف روما في الطائفة الكاثوليكية بصفته المسؤول الأول فيها، ويُدعى البابا أو الحبر الأعظم ، فهو يُمثّل قمة الهيكل الإداري والروحي في الكاثوليكية ، ويُختار البابا من بين أعلى درجات رجال الدين النصراني، والمعروفين بالكرادلة، وأنّه يُنتخب مدى الحياة، ويُمكنه أن يستقيل، ولكن لأيمكن أن يُقال ، يُخاطبه النصارى الكاثوليك بكلمة (قَدَاسَتك)، ويصف نفسَه في الوثائق الرسميّة بخادم خدّام الرب ، ويرتدي زيّاً دينيّاً مميزاً ، يُسمّى الرداء الكهنوتي ، ويعيش البابا في قصره في الفاتيكان معظم أيّام السنة ، ويرحل في الصيف إلى فيلا بابويّة في مدينة (كاستل جاندولفو) في جبال الألب جنوب شرقي روما[٥] .

((**طريقة انتخاب البابا**)) :

كان البابوات يُنتخبون عن طريق جميع المنخرطين في السلّم الكهنوتي وغيرهم من الاتباع ، وليس الكرادلة فقط ، وكان للملوك والأباطرة والأمراء وغيرهم من القادة العلْمانيين دور كبير ومؤثّر في اختيار من يجلس على كرسي البابويّة ، وغيرها من

---

[١]) الروم ٩٦/١ ، د. أسعد رستم، تاريخ أوروبا في العصور الوسطي ص٥١، د. سعيد عبد الفتاح عاشور.

[٢]) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ٩٨١/٢ ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي .

[٣]) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ، ص٤٦٥ ، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي .

[٤]) الروم ٩٦/١ ، د. أسعد رستم .

[٥]) قاموس الكتاب المقدس ، ص٨٢٤ ، موسوعة السياسة ٤٥٨/١ ، د. عبد الوهاب الكيالي ، الموسوعة العربية الميسرة ٢٩٦/١ ، محمد شفيق غربال ، القاموس السياسي ، ص ١٧١، أحمد عطية الله ، الفرق والمذاهب المسيحية ، ص ٧٧ ، سعد رستم ، الموسوعة العربية العالمية ١١٨/٢٠ ، / ٦ ــ ٧ .

الوظائف الدينيّة في الكنيسة ، وهذا ما كان يعترض عليه ويُحاربــه المـصلحون في الكنيسة ويُسمُّونه ((بالسِّيمونيّة))[1] .

ولكن بدءاً من عهد البابا نقولاس الثاني (٦ كانون الأوّل ١٠٥٨ ـــ ٢٧ تمّــوز ١٠٦١ م) قد وُضعت طريقة تُبيّن كيفيّة إجراء نتخابات اختيار البابا الجديد ، ومن أهمّ معالم هذه الطريقة : أنّه ليس للملوك والأباطرة فضلاً عن غيرهم من العلْمـــانيين دخل في هذه الانتخابات ، ثُمّ أنّ هذه الانتخابات قاصرة فقط على رتبة الكرادلة في الكنيسة دون غيرها من الرُتب الكنسيّة الأخرى ، والتي هي أصغر منها ، ولا شك ،

---

[1] وقد صدرتوثائق بابويّة كثيرة في محاربة ((السيمونيّة)) ، ومحاولة القضاء عليها ، وقد بدأت محاربــة فــساد التعيينات في الكنيسة في عهد البابا لاون الأوّل الكبير (٢٩ أيلول ســنة ٤٤٠ ـــ ١٠ تـشرين الثـاني ٤٦١م) فصدرت وثيقة بهذا في مجمع خلقيدونيّة (المسكوني الرابع) [من ٨ تشرين الأوّل إلى مطلع تشرين الثاني ٤٥١م] في الجلسة السابعة ، وقيل في الجلسة الخامسة عشرة من جلساته ، تحت عنوان عام ((قوانين)) ، ومُسمّى خــاص ((السيمونيّة)) ، ثُمّ توالت الوثائق البابوية لمحاربة فساد التعيينات هذه ، ومن أهم الوثائق في ذلك ما كان في عهد البابا نيقولاس الثاني (٦ كانون الأوّل ١٠٥٨ ـــ ٢٧ تمّوز ١٠٦١م) ، أثناء انعقاد مجمع لاتراني محلّي في نيــسان ١٠٦٠م ، وثيقة بعنوان ((الرّسامات السيمونيّة)) ، وممّا جاء فيها : ((نُقرّر أن لا يُعامَل السيمونيّون بأيّ نوع من الرحمة في ما يتعلّق بالحفاظ على رتبتهم ؛ إنّنا بعكس ذلك نحكم عليهم بما تفرضه القوانين وقــرارات الآبــاء القدّيسين من عقوبات ، ونُقرّر ، بما لنا من سُلْطة رسوليّة ، أنّه لا بد من حطّ درجتهم)) ، وأيضاً ما قُرِّر في المجامع المسكونيّة اللاترانيّة الأربعة ، اللاتراني الأوّل (المسكوني التاسع) [١٨ ـــ ٢٧ آذار (٦ نيسان ؟) ١١٢٣ م) ، في عهد البابا كاليكستوس الثاني (٢ شباط ١١١٩ ـــ ١٣ كانون الأوّل ١١٢٤ م) ، وثيقة عامــة بعنــوان ((السيمونيّة ، التبتّل ، التّوليّة)) ، وممّا جاء فيها : ((جرياً على مثَل الآباء القدّيسين ، وتجديداً لواجب وظيفتنــا ، نمنع بسلطة الكرسي الرسولي ، منعاً لا حدودَ له ، أن يُرسمَ أحدٌ أو يُرَقّى بالمال في كنيسة الله . إذا حصل أحدٌ في الكنيسة ، بهذه الطريقة ، على رِسامة أو ترقية ، فليكن محروماً كُلّياً من الرُّتبة التي حصل عليها)) ، وفي اللاتراني الثاني (المسكوني العاشر) أُفتتح في ٤ نيسان ١١٣٩م ، تحت عنوان عام ((قــوانين)) ، ومُــسمّى خــاص ((السيمونيّة والربا)) ، وذلك في عهد البابا إنّوشنتيوس الثاني (١٤ شباط ١١٣٠ ـــ ٢٤ أيلول ١١٤٣ م)) ، وفي اللاتراني الثالث (المسكوني الحادي عشر) [٥ ـــ ١٩ (٢٢؟) آذار ١١٧٩ م) ، في الجلسة الثالثة ، في اليــوم الأخير من انعقاده ، تحت عنوان عام ((فصول)) ، ومُسمّى خاص ((السيمونيّة)) ، وذلك في عهد البابا اسكندر الثاني (٧ أيلول ١١٥٩ ـــ ٣٠ آب ١١٨١ م) ، وفي اللاتراني الرابع (المسكوني الثاني عــشر) [١١ ـــ ٣٠ تشرين الثاني ١٢١٥م] ، في الفصل٦٣ وثيقة بعنوان ((السّمونيّة))، وذلك في عهد البابا إنوسنت (إنّوشنتيوس) الثالث (٨ كانون الثاني ١١٩٨ ـــ ١٦ تمّوز ١٢١٦ م) . انظر : الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، المجلد الأوّل ، ص ١٠٥ ، ٢٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٣ ، ٢٨٣ .

والكرادلة المخصصون لاختيار البابا الجديد هم كرادلة العاصمة روما ، وضواحيها ، وبعد ذلك يجتمع بقيّة كرادلة الكنيسة الكاثوليكيّة المنتشرون ، مع الأساقفة لاقرار ذلك الاختيار ، ثُمّ يُعرض الأمر على بقيّة المنخرطين في السُّلّم الوظيفي في الكنيسة ، وعلى باقي عامة الشعب الكاثوليكي للموافقة على الاختيار ، على أنّ اختيار البابا الجديد يجب أن يكون من رجال كنيسة روما مادام يوجد فيها الشخص المناسب لتولّي المنصب البابوي ، فإذا لم يُوجد جاز اختيار البابا من كنيسة أخرى غير كنيسة روما .

أمّا إذا حدث ما عكّر صفو الجو في مدينة روما بحيث انتشر الفساد ، وتعذّر اجراء انتخاب حر لاختيار بابا جديد ، فإنّه يجوز للكرادلة ورجال الكنيسة الباقين وبعض العلْمانيين الثقات الانتقال إلى مكان آخر يرونه مناسباً لاجراء عمليّة الانتخاب .

ثُمّ كانت هناك بعد ذلك تغييرات جديدة في طريقة الانتخاب في عهد البابا اسكندر الثاني (٧ أيلول ١١٥٩ ــ ٣٠ آب ١١٨١ م) ، أثناء انعقاد المجمع اللاتراني الثالث (المسكوني الحادي عشر) ٥ ــ ١٩ آذار ١١٧٩ م ، وتركّزت حول مسألة أن كرادلة الكنيسة الكاثوليكيّة جميعاً لهم حق اقتراع متساو ، وليس فقط كرادلة كنيسة روما ، وأنّ البابا يتطلّب أغلبيّة الثلثين .

ثُمّ كانت خطوات أخرى في انتخاب البابا الجديد قُررّت في عهد البابا غريغوريوس العاشر (١ أيلول ١٢٧١ ــ ١٠ كانون الثاني ١٢٧٦ م) ، أثناء انعقاد مجمع ليون الثاني (المسكوني الرابع عشر) ٧ آيار ــ ١٧ تمّوز ١٢٧٤ م ، وكان الهدف من هذه التغييرات منع تاخير انتخاب بابا جديد ، ونصّت على قيام جميع كرادلة الكنيسة الكاثوليكيّة في اليوم العاشر لوفاة البابا ــ دون انتظار من لم يحضر منهم في الموعد المُحدَّد ــ بالاجتماع في قاعة مُغْلقة للتشاور ، على أن يقطعوا اتصالاتهم بالعالم الخارجي ، وأن لا تكون القاعة مُقسّمة بجدران أو ستائر ، وإذا لم تسفر المشاورات عن اتفاق خلال الأيام الثلاثة الأولى ، تُقدّم للكرادلة وجبة طعام واحدة يومياً خلال الأيام الخمسة التالية، وبعدها لا يُقدّم لهم سوى الخبز، والخمرة،

والماء . وبعد اختيار شخص مُعيّن يُسأل عن قبوله للمنصب ، فإذا استجاب ، يُسأل عن الاسم الذي يختاره ، ويُعلن الاسم لكل الكرادلة ، ثُم يُعلِن أكبر الكرادلة سنّاً الاختيار إلى الجمهور ، ويُقام تتويج رسمي للبابا فيما بعد[1] .

ومقرّ البابا دولة الفاتيكان في روما عاصمة إيطاليا .

((**التعريف بدولة الفاتيكان**)) :

الاسم الرسمي لدولة الفاتيكان باللغة الإيطالية : ستاتو ديللاسيتا دل فاتيكانو[2] .

ورئيس هذا الدولة هو الحبر الأعظم للطائفة الكاثوليك (البابا) .

تقع دولة الفاتيكان ضمن مدينة روما . وتُعتبر أصغر دولة في العالم إذ لاتتعدى مساحتها (١١٠ أفدنه) منفصلة عن بقية مدينة روما بأسوار ، تضم كاتدرائية القديس بطرس والقصر البابوي ، والقصور الفاتيكانية حيث المكاتب والكنائس ، وعدداً من المباني الأخرى والحدائق ، والفاتيكان قلب الكنيسة النابض ، وهو حرم مقدس عند الطائفة الكاثوليكية وباقي الطوائف النصرانية الأخرى . ويتسم البلاط البابوي الذي يديره الكرادلة بفخامة مقرونة بتقشف . ويقوم على حراسته حرس سويسري . ويحوي الفاتيكان متاحف عظيمة ، وكنائس تبلغ غاية الروعة والجمال وخاصة كنيسة سيستين . ومكتبة الفاتيكان المؤسسة في القرن الخامس عشر من أقدم مكتبات العالم وأنفسها ، وتحتوي على أكثر من خمسين ألف مخطوط ، وما يُقارب من أربعمائة ألف كتاب مطبوع ، كثير منها نادر . ويُضاف إلى ذلك بعض المباني التابعة للفاتيكان في مدينة روما نفسها ، والقصر الصيفي الخاص بالبابا[3] .

---

[1]) أوروبا والمسيحيّة ، ٢ / ٢٨١ ، يان دويراتشينسكي ، ترجمة د. كيرو لحدو ، دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ١٧٤ ، الأب جان كُمبي ، اضمحلال الامبراطوريّة الرومانيّة وسقوطها ، ٣ / ٢٦٢ ـ ٢٦٤ ، إدوارد جيبون ، ترجمة د. محمد سليم سالم ، أوروبا العصور الوسطى ، الجزء الأوّل (التاريخ السياسي) ، ص ٧١٢ ـ ٧١٤ ، دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، الموسوعة العربيّة العالميّة ، حرف الباء / ٧ .

[2]) القاموس السياسي ، ص ٨٤٥، أحمد عطية الله ، الموسوعة العربيّة العالميّة ، حرف الغين ، والفاء ، ١٧ / ١٦٥ .

[3]) موسوعة السياسة ٤/٤٤٠،د. الكيالي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب٢/١١٠٦، الموسوعة العربية الميسرة ١/١٢٦١، لغربال، القاموس السياسي، ص٨٤٥، أحمد عطية الله، الموسوعة العربية العالميّة، ١٧/ ١٦٥

وأصبح الفاتيكان دولة مستقلة معترف بها دولياً بعد أن وقّع البابا بيوس الحادي عشر (٦ شباط ١٩٢٢ــ ١٠ شباط ١٩٣٩م) ، وموسوليني رئيس الحكومة الإيطالية معاهدة لا تيران في ١١ فبراير عام ١٩٢٩م ، والتصديق عليها في ٧ يونية من العام نفسه [١] .

وليس لشعب الفاتيكان نشاط اقتصادي تستمد منه الدولة ميزانيتها العامة ، ولكن المعاهدة السابق تضمنت منح الفاتيكان تعويضات قدرها (٧٥٠ مليون ليره) نقداً أو مليار ليره بمستندات على الحكومة[٢] .

وتتمتع دولة الفاتيكان ، كونها دولة مستقلة ، بكافة حقوق التمثيل على المستوى الدولي ، ويشرف على هذا التمثيل ((مجلس القضايا الكنسية)) .

ولها تمثيل سياسي في ((٥٦)) دولة ، فلها حق تبادل المبعوثين مع الدول الأخرى ومن بينها إيطاليا ، وحق عقد اتفاقيات دولية خاصة تنظيم ممارسة ممثلي الكنيسة الكاثوليكية في البلاد الأجنبية للأعمال المتعلقة بالشئون الدينية ، ولكن وفي المعاهدة السابقة نفسها ــ معاهدة لاتيران ١٩٢٩م ــ التي قُرر فيها حقوق دولة الفاتيكان ، منعت تلك المعاهدة البابا من الاشتراك في المؤتمرات السياسية الدولية أو إبرام معاهدة تحالف ، أو التدخل في المنازعات التي تقوم بين الدول ما لم يطلب إليه الطرفان المتنازعان التوسط للتوفيق بينهما باعتبار ما له من النفوذ الأدبي والروحي على العالم النصراني .

أي أن البابا لا يتمتع إلاّ باختصاصات معينة قصد منها المحافظة على مصالح الطائفة الكاثوليكية . فلا يحق للبابا وممثليه أن يشتركوا في مؤتمرات سياسية . كما أن سلطة البابا على الفاتيكان لا تمتد إلى القضاء في الجرائم التي تُرتكب في دولته الفاتيكان بل يُترك أمر ذلك إلى الحكومة الإيطالية .

ويُطلق على مندوب الباب الذي يمثله في الدولة الأجنبية اسم (القاصد الرسولي) ،

---

[١]) موسوعة تاريخ العالم، ٧/٢٥٩٥، وليام لا نجر، الموسوعة العربية العالميّة، ١٧ / ١٦٥، موسوعة السياسة ٤/٤٤٠، د. الكيالي .

[٢]) القاموس السياسي ، ص ٨٤٥، أحمد عطية الله ، موسوعة تاريخ العالم ، ٧/٢٥٩٦ وليام لا نجر .

وهو يُعادل مرتبة (السفير) ، وبالنسبة للدول الكاثوليكية يتقدم القاصد الرسولي غيره من السفراء دون اعتبار الأقدمية . ويلي القاصد الرسولي في مرتبة مبعوثي البابا مرتبة (وكيل القاصد الرسولي) وهو يُعادل درجة الوزير أو المبعوث فوق العادة ، ومبعوثو البابا يتمتعون بالحصانات الدبلوماسية أسوة بغيرهم من الممثلين السياسيين .

ومن جهة أخرى ، تتمثل كذلك مختلف الدول بواسطة سفراء لدى دولة الفاتيكان تبعاً للقوانين المرعية الإجراء دولياً . ويرتكز الفاتيكان دوماً على أن التزامه بهذا التمثيل هو لتأكيد ((استقلال الكنيسة عن مختلف الدول والحكومات في عملها مع الكنائس المحلية من أجل السلام والعدالة)) كما أعلن البابا بولس السادس في خطاب ألقاه في ١٩٦٥/١٠/٥م من على منبر الأمم المتحدة[١] .

---

[١]) موسوعة السياسة ، ٤/ ٤٤٠ و ٤٤٢ ، د. عبد الوهاب الكيالي ، القاموس السياسي ، ص٨٤٥، ١٧١، أحمد عطية الله .

الفصل الثاني : البابوية عبر التاريخ .

البابوية « هي أقوى المؤسسات الدينية في العالم الغربي — إجمالا — لدرجة أنها في بعض فترات التاريخ الحقت السلطة الزمنية بالسلطة الروحية و ذلك في العصور الوسطى بالذات ، إلا أنها ابتداءً من القرن الرابع عشر تناقص سلطانها الزماني بشكل كبير ، واكتفت بالسلطة الروحية ، وذلك بسبب ظهور أمور كثيرة غيرت أحوالها ، ومن ذلك ظهور الانشقاقات الداخلية في الكنيسة الكاثوليكية » بل وفي القصر الفاتيكاني ذاته ، وظهور الروح القومية في أوربا ، والنظريات الفلسفية والعلمية المصادمة لأراء الكنيسة الكاثوليكية » وكذلك ظهور الثورات العلمانيّة التي طالبت فصل الحياة عن التعاليم الكنسيّة » حتى وصلت البابويّة في القرن الثامن عشر الميلادي إلى أضعف درجاتها ليس من الناحية الزمنية فحسب بل حتى من الناحية الروحية ، وضعف السلطان البابوي حتى في مقره الرئيسي وهو إيطاليا . وهذا ما سأتعرض له في هذا الفصل — إن شاء الله — .

وابتدئ بذكر أسباب علو شأن البابوية في العالم الغربي خاصة في العصور الوسطى :

السبب الأول : الناحية الروحية .

تلك الناحية القائمة على الاعتقاد بأن الجالس على كرسي رومه هو خليفة القديس بطرس ، وقد قالت اناجيل النصارى أنّ ربّهم يسوع قدّمه على باقي تلاميذه واتباعه وجعله أساساً تُبنى عليه كنيسته ، وأعطاه مفاتيح السموات ، وأنّ مايربطه أو يحله في الأرض يكون مربوطا أو محلولا في السماء ، جاء في انجيل متى : ((وَأَنَا أَيْضاً أَقُولُ لَكَ: أَنْتَ صَخْرٌ. وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا وَأُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ: فَكُلُّ مَا تَرْبِطُهُ عَلَى الأَرْضِ، يَكُونُ قَدْ رُبِطَ فِي السَّمَاءِ؛ وَمَا تَحُلُّهُ عَلَى الأَرْضِ، يَكُونُ قَدْ حُلَّ فِي السَّمَاءِ))[1] ، و ((وادعى اساقفة روما أنهم وريثو كل المزايا المنسوبة الى شخص القديس بطرس وإلى منصبه))[2] .

---

[1]) متى ١٦ : ١٨ — ١٩ .

[2]) اضمحلال الامبراطورية الرومانية،٧٦٢/١، إدوارد جيبون .

لذلك فإن قوة الناحية الروحية للبابوية جعلت لها سلطة زمنية وكلمة نافذة في العالم الغربي بأسره، ليس على الشعوب النصرانية الغربية فقط، بل حتى على الأباطرة، حيث أنّ الزعامة الروحيّة على اعتقاد البابويّة، ومن يؤيّدها لا تكتمل إلاّ إذا أيّدها زعامة دنيويّة ، لذلك تدخل البابوات في السياسة ، فأصبحوا بذلك رقماً صعباً ، وفعّالاً في العلاقات الدوليّة .

فتاريخ النزاعات بين البابوية والاباطرة في العصور الوسطى بيّنت عجز الاباطرة في اخضاع البابوية وادخالها تحت سيطرتهم في كثير من المواجهات بينهم ، فالبابويّة كانت تستند في نزاعاتها مع الأباطرة إلى قوة نفوذها الروحي ، وما للدين في تلك الأوقات من سلطة كبيرة في قلوب النّاس ، وحسّبها أنّها كانت تُنادي بأنّها خليفة ربّهم يسوع في الأرض ، وأن بيدها سلطان الحل والعقد ، ومفاتيح الجنة والنار ، وملكوت السموات .

السبب الثاني : منح الإمبراطور قسطنطين الأوّل القسم الغربي من إمبراطوريته للبابوية ، وذلك عندما نقل عاصمته إلى القسطنطينيّة في الشرق .

يقول هـ . سانت موس : ((والقصة الشهيرة التي حدثت بين الإمبراطور قسطنطين والبابا سلفستر ظلّت طوال العصور الوسطى تؤلف مظهراً أساسياً من مظاهر الجدل والدفاع عن مدعيات البابا ، وتؤكد القصة أنّ قسطنطين الأكبر لم يتنازل فقط عن قصر اللاتيران الخاص به للبابا ، ولم يعطه فحسب حق السيادة على الغرب ؛ بل وهبه كذلك التاج والأرجوان ، تمشّياً مع وظيفته المقبلة ، على حين أن رجال الإكليروس التابعين له صار لزاما عليهم منذ تلك اللحظة أن يحلّو محل مجلس السناتو بروما ، مثلما احتل أتباعه من الأساقفة مناصب حُكّام الأقاليم))[1] .

وقد عملت هذه المنحة الصبغة القانونية للتوسع في السلطة البابوية ، وكانت العمود السحري الذي ترتكز عليه السلطة البابوية الروحية والدنيوية ، ولهذا فإن البابا هادريان الأول (٩ شباط ٧٧٢ ــ ٢٥ كانون الأوّل ٧٩٥م) أرسل رسالة إلى الامبراطور الالماني (شارلمان) شارل الكبير ، يحضه فيها على تقليد سخاء قسطنطين واحياء اسمه ،

---

[1]) ميلاد العصور الوسطى ، ص ٣٤٢ ، هـ . سانت موس (بتصرف) .

حيث أنّ الامبراطور قسطنطين ترك للبابوية السيادة المطلقة الدائمة على روما ، وايطاليا ، والولايات الغربية جميعها [1] .

ولهذا يقول إدوارد جيبون : ((كان لروما سيدان : أما الإمبراطور فقد حكم حكما غير مستقر مستنداً إلى حق الفتح ، أما البابا فقد اسس سيادته على قاعدة مريحة ناعمة ، ولكنها أكثر صلابة ، قوامها الرأي والعادة . فقد كان هناك اعتقاد عام بأن قسطنطين وهب للبابوات سلطة زمنية في روما)) [2] .

السبب الثالث : قيام الإمبراطور قسطنطين بنقل عاصمة الإمبراطورية الرومانية من روما القديمة على ضفاف التيبر في ايطاليا إلى روما الجديدة (القسطنطينية) شيدها على ضفاف البسفور، وذلك في القرن الرابع الميلادي.

فهذه الخطوة من الامبراطور قسطنطين كان لها أثرها في التاريخ الأوروبي ولمدة ألف سنة تالية ، فلولاها لما استطاعت البابوية الوصول لما وصلت اليه من مجد وعظمة في العصور الوسطى ، ثُمّ أنّها سنحت للبابويّة استمرارالاتصال بمفاخر روما وتاريخها [3] .

وقد أخذت البابوية تنظم كنائسها وفق التنظيمات الإدارية الإمبراطورية ، خاصة وأن نائب الإمبراطور في القسم الغربي من الإمبراطورية فضّل الإقامة في مدينة ميلان أكثر من الإقامة في العاصمة القديمة (روما)، وهذا اعطى بدوره البابويّة الشهرة والحرية في الفكر

---

[1]) تاريخ العالم ، ٥٤٢/٤، ٥٤٨ ، جون . ا . هامرتن ، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ، ٣٨١/٢، إدوارجيبون ، أوروبا والمسيحية (الألفية الاولى) ، ص ٢٣٦ ، يان دوباتشينسكي ، ترجمة د . كبرو لحدو .

ومِمَّا جاء في رسالة البابا هادريان الأوّل إلى الامبراطور شارلمان ((بما أنّه في أيام البابا المغبوط سلفستر وهب الإمبراطور التقي قسطنطين إلى كنيسة روما الكاثوليكية المقدسة سلطاناً فائقاً على كل الأصقاع الغربية ، لذلك نلتمس منك الآن أن تعمل على إنما تلك الكنيسة المقدسة وإبهاجها ورفع مستواها أكثر فأكثر، حتى يقول جميع الناس الذي يسمعون: يحفظ الله الملك ويسمعنا في يوم ندعوه، فعليك أن ترد إلينا في أيامك كل هذه الأملاك التي منحها الملوك والأشراف وخائفوا الله المختلفون إلى بطرس الرسول وإلى كنيسة الله الرومانية الرسولية المقدسة))، انظر : مختصر تاريخ الكنيسة ، ص ٢٢٥ ، أندرو ملر .

[2]) اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها و ٢٥٩/٣ ، جيبون .

[3]) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص ٢٦، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ العالم ، ٥٤٢/٤ ، إشراف جون . ا . هامرتن .

والتنظيم[١] .

ثم أن هذه الخطوة تُبيّن لنا لماذا لم تحظ الكراسي الكنسية الكبرى في الشرق ((القسطنطينية ، والقدس ، والإسكندرية، وأنطاكية))، وخاصة كرسي القسطنطينية من الناحية الزمنية السياسية ما حظي به كرسي روما .

فالإمبراطور الروماني الذي أقام في القسطنطينية تعامل مع الكنائس الشرقية ما درجت تسميته بـ (بابوية القيصر) أي أنه عمل على الجمع بين السلطتين السياسية والدينية فتدخل في شؤون الكنائس ، ولم يترك لاساقفتها الحرية في الفكر والتنظيم خاصة فيما بين القرنين السادس والثامن الميلاديين ، أما في القسم الغربي من الإمبراطورية فإن نائب الإمبراطور لم يستطع أن يسيطر على الكنيسة ، بل ولا على الشؤون السياسية هناك ، فقد أصبح ضعيفاً مما أعطى بابا روما استقلالاً عملياً فاستطاع أن يفرض هيمنته على كل الكنائس في العالم الغربي من الإمبراطورية بحرية تامة ، وفي مأمن من تدخل الإمبراطورية في ما يقوم به[٢] .

ثم أن المؤرخين ذهبوا إلى أن من أهم أسباب ضعف الإمبراطورية الرومانية في قسمها الغربي ــ مما أتاح للبابوية الحركة والتنظيم ــ هو إنشغال الرومان بحربهم في الشرق مع الجيوش الإسلامية الطموحة[٣] ، صرفهم عن مراقبة مكانتهم في القسم الغربي من

---

[١]) العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى ، ص ٩٩ ، د. عادل زيتون .

[٢]) تاريخ الحضارات العام ، ٦٢٣/٢ ، (روما وإمبراطوريتها) إشراف : موريس كروزيه ، وتاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ص ٤٨ ، ٤٩ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

[٣]) وكانت بداية تلك المواجهات في موقعة مؤته سنة (٨ هـ ، ٦٢٩ م) ثم جد الجد في موقعة اليرموك (١٣ هـ - ٦٣٦ م) وفيها حلت هزيمة قوية بالجيوش الرومانية النصرانية على يد الجيوش الإسلامية . وقد أنهك المسلمون الإمبراطورية الرومانية في عقر دارها، فما وافت سنة (٦٤٢م) حتى فتح المسلمون قبادوقيا ، ثم بلغوا فريجيا في عام (٦٤٦م) ، ولم يلبث المسلمون أن أصبح عندهم قوة بحرية خطيرة فغزوا قبرص سنة (٦٤٨م) ، وأنزلو هزيمة كبرى بالأسطول الروماني في موقعة ذات الصوراي سنة (٦٥٥م) على الشواطئ الجنوبية لآسيا الصغرى . ونفذوا إلى انقرة عام (٦٥١م) ، وفتحوا أرمينية عام (٦٦٦م) و كذلك خلقيدونية الشهيرة ثم تعرضت العاصمة الرومانية نفسها (القسطنطينية) على مدى خمس سنوات لهجمات الفتح الإسلامي العظيم =

الامبراطوريّة ، مِمّا أتاح للبابويّة هناك محاولة الانفراد بالسيطرة على الأوضاع السياسيّة والدينيّة .

السبب الرابع : انهيار قوة الإمبراطورية الرومانية في الغرب بسبب هجوم البرابرة[١] — من جرمان وغيرهم — المتكرر في أواخر القرن الخامس الميلادي، مما جعلت البابوية وكنائسها تظهر في صورة القوة الوحيدة التي يمكنها انقاذ ما يمكن انقاذه من تراث الماضي .

فأصبح البابا وقساوسته بمثابة الزعماء الطبيعيين الذين التفت حولهم الناس وسط الأزمة الحادة التي أحاطت بهم[٢] ، فلم يستطع أحد أن يقنع هؤلاء الغزاة على التفاوض في روما إلاّ البابا انوسنت (أوشنتيوس) الأول (٢١ كانون الأوّل ٤٠٢ — ١٢ آذار ٤١٧م) مع الغزاة الجرمان عام ٤١٠م ، والبابا لاون الأوّل (٢٩ أيلول سنة ٤٤٠ — ١٠ تشرين الثاني ٤٦١م) مع الغزاة المغول ٤٥٢م ، وهذا مما زاد البابوية رفعة عند الشعوب الأوروبية عامة وعند الإيطاليين خاصة[٣] .

=(٦٧٣ — ٦٧٨) من البر والبحر، ولم يصد الروم تلك الهجمات إلا بمشقات عظيمة ، وفي عام (٧١٧) حدث حصار القسطنطينية العظيم من قبل الجيش الإسلامي .

[١]) البرابرة : لا يقصد مؤرخو هذه الفترة من التاريخ الأوربي بلفظ البرابرة المعنى المرادف للفظ ((همجية أو وحشية))، وإنما المقصود بها مرحلة من التنظيم الاجتماعي القبلي، الذي لم يرق بعد إلى مرحلة الاستقرار المدني وإقامة الدول ذات الحدود الثابتة. فالمجتمع البربري يعتمد على أساس رابطة الدم أكثر من اعتماده على رابطة المواطنة بين أفراده . انظر : تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص٥٥ ، د. سعيد عاشور .

[٢]) العلاقات السياسية والكنيسة ، ص ٩٩ ، د. عادل زيتون ، وتاريخ أوروبا في العصور الوسطى ص ٩٣ د. سعيد عاشور .

[٣]) أوروبا والمسيحية ، ١١٠/١، يان دويرا تشينسكي ، تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ص ٩٩ ، د . السيد الباز العريني .

وفسر بعض المؤرخين موافقة الغزاة التفاوض مع البابا وعدم العبث بالكنيسة ومقدراتها بأن ذلك راجع إلى اعتقاد هؤلاء الغزاة أن رجال الدين جماعة من السحرة وأنهم اذا مسوهم بسوء ربما يصبون عليهم لعنتهم وتحل عليهم الكوارث والويلا ، فهؤلاء الغزاة وقفوا ((خشوعا واحتراما أمام أضرحة الرسل)) فسَلِم كل من استطاع اللجوء إلى الكنائس ، وبغض النظر عن كونهم نصارى أو غيرهم . انظر : العلاقات السياسية والكنيسة ، ص ٩٩ ، د . عادل زيتون ، تاريخ العالم ، ٥٤٥/٤ ، جون . ا. هاموتن ، أوروبا والمسيحية ، ٩٩/١ ، يان دويرا تشينسكي .

((وبينما كان سلطان الرومان ينهار في غرب أوروبا كانت الكنيسة تُشيد نظاماً كُتب له أن يُعَمّر بعد زوال الإمبراطورية . وكانت هذه الكنيسة تعد نفسها لليوم الذي تغدو فيه وارثة للتقاليد الرومانية))[١] .

السبب الخامس : وقوف بعض ملوك الغرب في صف البابوية ضد أعدائها بعد سقوط الإمبراطور الرومانية القديمة ، فاستفادت البابوية من ذلك استفادة عظيمة في تدعيم مركزها في العالم الغربي .

((ولا يخفي أن مبرر وجود إمبراطور غربي من وجهة النظر البابوية كان حماية مصالح الكنسية بالسلاح في غرب أوروبا ، وكان فوق كل شيء ، حماية العاصمة العريقة عاصمة أوغسطس ، وقسطنطين ، والكرسي المُقدّس والمسكوني للقديس بطرس وخلفائه))[٢] .

ومن أوائل من زاد البابوية قوة خارج روما ملك الفرنجة الساليين (وهم قوم من الجرمان قرب الحوض الادنى من نهر الراين) كلوفيس (٤٨١ ــ ٥٠٧ م) فقد تعمّد على المذهب الكاثوليكي عام ٤٨٢م، وكان مسيطراً على أجزاء من أسبانيا وما حولها، ثم استطاع أن يسيطر على أجزاء من فرنسا شمال نهر اللّوّار ، وما حوله ، فأصبحت كل تلك المناطق[٣] تحت سيطرة البابوية من الناحية الدينية ، وتظهر لنا أهمية هذه السيطرة اذا عرفنا أن معظم حُكّام الغرب في ذلك الوقت كانو على المذهب الأريوسي ، وهو المذهب المنافس وبقوة في ذلك الوقت للمذهب الكاثوليكي . بينما كان الملك كلوفيس في حينها الملك الكاثوليكي الوحيد بين ملوك الغرب ، وبذلك اعتبرته البابوية زعيم الكاثوليك وحاميهم الرسمي[٤] .

---

[١]) تاريخ العالم ، ٢٤٥/٤ ، جون . ا . هامرتن .

[٢]) ميلاد العصور الوسطى ، ص ٣٤٣ ، هــ . سانت موس ، ترجمة : عبد العزيز جاويد .

[٣]) والمناطق هي : جميع البلاد الواقعة بين جبال البيرنيه و نهر اللوار مع جزء من إقليم بروفانس وجزء من أسبانيا ، وكذلك المنطقة التي تقع بين نهر السوام ،ونهر اللوار ، وكذلك الشمال والشمال الشرقي من فرنسا إلى ما وراء نهر الراين ، انظر في ذلك : تاريخ العصر الوسيط في أووربا ، ص ٧٧ ، ٨٠ ، د . نور الدين حاطوم .

[٤]) موسوعة تاريخ العالم، ٤٠٣/٢-٤٠٤، إصدار وليام لانجر، تاريخ العصر الوسيط في أووربا، ص٧٥ — ٨٠ ، د . نور الدين حاطوم ، ميلاد العصور الوسطى، ص ١١٥ — ١١٦، هــ . سانت موس ، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ص ١٢٢ — ١٢٤ ، د. السيد الباز العويني .

ثم أنّه من الأحداث المهمة ــ إن لم يكن الأهم ــ في التاريخ البابوي بشكل خاص، وفي التاريخ الأوروبي بشكل عام، هو تحالف البابويّة مع الاسرة الكارولنجية الجرمانية، وكانت الفائدة الكبرى من هذا التحالف تكوين الامبراطورية الرومانية المقدسة بين المانيا وإيطاليا في عهد الإمبراطور شارلمان (شارل الكبير) ابتداءً من سنة ٨٠٠م .

ولا شك أنّ هذا التحالف كوّن للبابوية سلطة زمنية سياسية قوية جداً قد لا تكون البابوية من قبل تحلم أن تصل إليها ، لذلك ذهب بعض المؤرخين إلى أن هذا الحدث التاريخي هو الذي يفصل بين تاريخ أوروبا الحديث وتاريخ أوروبا القديم[1] .

جاء في كتاب ميلاد العصور الوسطى لسانت موس : ((حدث في عيد الميلاد من عام ٨٠٠ م أنّه بينما شارلمان ينهض في أثناء إقامة القُدّاس « من ركوعه على ركبتيه أمام قبر القديس بطرس بروما » أن وضع البابا على رأسه تاجا[2] « وحيّاه أهل روما بصيحات مدوية قائلين: ((إلى شارل أوغسطس الذي توّجه الله ، إمبراطور الرومان العظيم المحب للسلام، نتمنى له النصر والعمر الطويل)) .. فوقف محارب أوروبا الأول يفرض وصايته الدفاعية على المسيحية الغربية ... ولا شك في أن تلك السياسة كانت من أروع اللحظات في تاريخ البابوية))[3] .

ولهذا اعتبر المؤرخون القرن الثامن الميلادي قرناً متميزاً في تاريخ بروز البابوية كقوة سياسية ورئيسية في الغرب الأوروبي ، فقد تلقت الدعم من الامبراطوريّة الجديدة ، ليس فقط ضد المنشقّين عن البابويّة في الغرب ، بل حتى ضد أباطرة الامبراطوريّة القديمة ((الامبراطوريّة البيزنطيّة)) في الشرق[4] .

---

[1]) تاريخ العالم ، ٥٤٩/٤ ، جون . ا. هامرتن .

[2]) وهذه الطريقة التي تتم بها تتويج شارلمان جعلت التاج الامبراطوري يبدو في صورة منحة من البابا ، وهي العقيدة التي أصبحت لها شأن كبير في النزاع بين الإمبراطورية والبابوية فيما بعد » وسأذكر ــ إن شاء الله ــ بعض هذه المواقف في الصفحات القادمة .

[3]) ميلاد العصور الوسطى » ص ٣٤٦ ، هـ . سانت موس .

[4]) العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى » ص١٠٢ ، د. عادل زيتون ، أوروبا والمسيحية » ١/ ٢٣٧ــ٢٤١ » دوبراتشينسكي ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ص١٦٠ــ١٦٤ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

السبب السادس : الإرساليات والبعوث التنصيرية ، التي أرسلها البابوات إلى كافة أرجاء أوروبا ، كان لها دوراً كبيراً ، في توسيع نفوذ الكنيسة الرومانية ، لأن كل قطر كسبته تلك البعوث الكاثوليكية ، كان بالتالي كسباً للبابوية ، وتوسيعاً لدائرة نفوذها[1] .

فهذه أسبانيا انطوت تحت مظلة البابوية بعد ما اتخذ ملكها ريكارد (٥٨٦ـ٦٠١م) الكاثوليكية عقيدة قومية ، وكانت علاقته القويّة والحميمة بالبابا غريغوريوس الأوّل الكبير (٣ أيلول ٥٩٠ ـ ١٢ آذار ٦٠٤ م) ، سبباً لنفوذ سلطة الكنيسة في أسبانيا ، إذ بلغ سلطان البابا وأساقفته في اسبانيا أن طغى على سلطان الملكيّات نفسها ، ليس في الأمور الدينيّة فحسب بل حتى في الشؤون العلمانيّة[2] .

ومن أعظم الانتصارات التي حققتها البابوية من خلال البعوث التنصيرية ، أنها استطاعت أن تُدخل تحت لوائها جزر الممالك الانجلوسكسونية السبع ، والتي سُمّيت (بريطانيا) ، حيث أوفدت لها البابوية فريق تنصيري بقيادة المُنصِّر أوغسطين سنة ٥٩٦م ، وكان ذلك في عهد البابا غريغوريوس الأوّل الكبير[3] .

فـ((البابوية احتفظت بالسيطرة العليا على الكنيسة في انجلترا ، فظل الأنجلوسكسون لا يعرفون شيئاً عن الكنيسة الشرقية أو عن الإمبراطورية وصاروا أينما ولّوا وجوههم لا يجدون أمامهم سوى روما والبابوية))[4] .

---

[1]) تاريخ المسيحية ، المسيحية الوسطى ، ٣٥/٢ ، جاد المنفلوطي .

[2]) ميلاد العصور الوسطى ، ص ٣٢٧ ، ٣٢٦ ، هـ . سانت موس .

[3]) وهذه الممالك السبع ، هي : أ) مملكة (كنت) التي تألفت من قبائل الجوت ، ب) ممالك أسكس ، وسسكس ، ووسكس التي كان أهلها من السكسون ، جـ) ممالك انجليا الشرقية ، ومرسيا ، ونورثمبرلاند ، وكان أهلها من الأنجلز .

وقد استمرت الحروب والمنازعات بين هذه الممالك السبع حتى استطاع (اثلبرت) ملك كنت (٥٦٠ـ٦١٦ م) أن يفرض سيادته عليها جميعاً . وكان قد تزوج هذا الملك على أميرة فرنجيّة كاثوليكية اسمها (برتا) ، في الوقت الذي وصل إلى انجلترا المنصِّر أوغسطين الصغير مبعوثاً من البابا غريغوريوس الأوّل .

أنظر: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ص ٩٠ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، موسوعة تاريخ العالم ٤١٤/٢، وليام لانجر، ميلاد العصور الوسطى ص٢٩٠، ٣٢٩ سانت موس، مختصر تاريخ الكنيسة ، ص١٩٧، أندرو ملر .

[4]) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ص ٩٠ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

وقد نجحت البعثة التنصيرية ألتي أرسلتها البابوية إلى ألمانيا والأراضي المنخفضة (هولندا) بقيادة المُنصِّر بونيفاس في عام ٧٢٢م[1] ، وقاد هذا المُنصِّر أيضاً بعثة تنصيرية كاثوليكية ناجحة إلى فرنسا[2] ، لذلك أعطاه البابا لقب ((القديس بونيفاس))[3] .

وكذلك نجحت البعثة التنصيرية الكاثوليكية إلى الدانمارك سنة ٨٢٦م ، وإلى السويد سنة ٨٢٩م ، وإلى النرويج سنة ٩٣٨م[4] .

وهكذا استطاعت البابوية فرض سيطرتها على القسم الغربي عن طريق البعوث والإرساليات التنصيرية .

السبب السابع : اهتمام البابوية وكنائسها في الأقاليم بأعمال العطف والإحسان إلى الآخرين من صدقات للفقراء والمعوزين ، وبناء المستشفيات ، وغيرها ، مما أكسبها رفعة عظيمة عند الشعوب الغربية خاصة في وقت كان يسوده النظام الإقطاعي .

ففي ((العصور في العصور الوسطى ، لم تكن الحكومات تقدم للشعوب أي خدمة من الخدمات الاجتماعية أو الصحية ، أو أي شيء من الخدمات التي تُقدمها الحكومات لرعاياها في أيامنا الحاضرة))[5] .

أمّا الكنائس فقد برزت في تلك الأعمال الخيّريّة ، فقد كان من مهام الأساقفة ، والتي قربتهم إلى حُبِّ الناس ، أنّهم كانوا يتفقدون المرضى ، ويُصلّون على المحتضرين ، ويدفنون الموتى ، ويبنون المستشفيات ، ويفتدون أسرى الحروب ، وكانت الصدقات التي تُدفع للكنائس يتمّ توزيعها على الفقراء والمحتاجين والأرامل والأيتام عن طريق الأساقفة[6] .

فلم تلبث هذه الأعمال أن زادت من نفوذ الأساقفة في أقاليمهم ، مما أوجد طبقة من

---

[1]) تاريخ العالم ، ٥٤٧/٤، جون . ا. هامرتن .

[2]) ميلاد العصور الوسطى ، ص٣٣٠ ، هـ . سانت موس .

[3]) مختصر تاريخ الكنيسة ، ص٢٠٦ ، أندرو ملر .

[4]) أوروبا و المسيحية ، ص ٣٠٧ ، ٣١٠ ، يان دوبراتشيتسكي .

[5]) تاريخ المسيحية ، المسيحية في العصور الوسطى ، ص ٩١ ، جاد المنفلوطي .

[6]) تاريخ العالم، ٣٥٢/٤ ، جون . ا. هامرتن، وتاريخ الحضارات العام، (روما وإمبراطوريتها) ، ٢ / ٦١٥ ، موريس كروزيه .

سواد الفقراء مستعدة لتنفيذ مشيئة رجال الدين [١] ، لأن الناس كانوا ينظرون إليهم على أنهم يمثلون البر والتقوى[٢] .

وهذه الأسباب أُرجّح أنها أهم الأسباب التي جعلت للبابوية الرفعة في العالم الغربي إبّان العصورالوسطى .

وهنا أذكر بعض المواقف لبعض البابوات الذين نادوا أن السلطة البابوية سلطة عالمية حتى على الأباطرة والملوك أنفسهم وليس فقط على الشعوب النصرانية .

وكان من أوّل البابوات الذين تجيش في مخيلاتهم فكرة الزعامة العالمية للبابوية ، هو البابا أنوسنت (أوشينتيوس) الأول (٢١ كانون الأوّل ٤٠٢ــ ١٢ آذار ٤١٧م) الذي طالب بأن تدين جميع كنائس الغرب لكرسيه بالطاعة وأن تسير كلها بطريقة موحّدة دقيقة لا تحيد عنها ، وفق الطقوس المتبعة في روما[٣] .

ثُمّ كان أبرز البابوات في إيمانه بعالميّة وعلوّ السلطة البابويّة ، البابا لاون الأوّل الكبير (٢٩ أيلول سنة ٤٤٠ ــ ١٠ تشرين الثاني ٤٦١م) ، الذي أتم المظاهر الأولى للسلطة البابوية ، ويُعتبر أوّل من افتتح العصر الذهبي في تاريخ البابوية ، حيث أنّه أكد بوضوح سلطة البابا باعتباره ممثل المسيح على الأرض انطلاقاً من الحق البطرسيّ ، فقد ظل متمسكا به، ونادى أنّه حق موروث للبابوية، وهو أنّ الصفة الروحية تربط بين البابوات وشخص القديس بطرس، ونسب كل ما يفعله البابوات او يقولونه الى بطرس امير الرسل ، وكانت من اقوال البابا لاوون الأوّل في ذلك : ((فما أصبنا في فعل شيء أو في صدور قرار ، وما حصلنا عليه من شيء من رحمة الله ، بما درجنا كل يوم على تأديته من صلوات وتوسلات، ليس إلاّ من عمل بطرس ومن خلاله، ذلك الذي تتركز قوته في مقره ، والذي تفوق سلطته كل شيء))[٤]، كما أعلن رفضه لما توصل إليه مجمع خلقدونية

---

[١]) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ص ٤٦ ، د. سعيد عاشور .

[٢]) تاريخ المسيحية ، المسيحية في العصور الوسطى ، ص ٣٢ ، جاد المنفلوطي .

[٣]) تاريخ العالم ، ٤/ ٥٤٥ ــ ٥٤٦ ، جون . ا. هامرتن .

[٤]) تاريخ أوروبا (العصور الوسطى) ، ص١٦٢، ١٨١، د. السيد الباز العريني ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ص ٥١ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

(٤٥١م) بالنسبة لمساواة أسقف القسطنطينية (أسقف عاصمة الإمبراطورية الرومانية الجديدة) لأسقف روما بنفس الامتيازات ، محتجاً أن كنيسة القسطنطينية ليس لها أصل رسولي ، أي لم يؤسسها أحد من تلاميذ المسيح[١] .

كما نادى ((أنّ سلطة روما سلطة أبدية ، وأنّ بابل العظيمة قد زالت لتفسح الطريق أمام مدينة الرب (روما) التي يجب أن يكون ملكها خالداً))[٢] .

وهذا البابا جيلازيوس الأوّل (١ آذار ٤٩٢ ـــ ٢١ تشرين الثاني ٤٩٦م) كان يدعو إلى أنّ البابوية يجب أن تستقل عن الإمبراطورية وينادي بالنظرية البطرسية ، وأنّ العالم يتولاه قوتان : القوة الروحية ، والقوة الزمنية ، وللقوة الروحية السيادة على القوة الزمنية لأنها أداة تخليص الإنسان[٣] ، وجاء ذلك في رسالة وجّهها إلى الملك أنسطاسيوس الأوّل عام ٤٩٤م ، بعنوان ((السلطان الأسمى المزدوج على الأرض))[٤] .

وقد اخذت البابويّة صبغتها العالمية القوية التي ميزتها طوال العصور الوسطى في عهد البابا جريجوري (غُريغوريوس) الأوّل الكبير (٣ أيلول ٥٩٠ ـــ ١٢ آذار ٦٠٤ م) ، حيث بدأت عظمته أشدُّ ما تكون وضوحاً في النواحي التنصيريّة والسياسية والإدارية ، فحكومته في روما كانت أقرب إلى الحكومة الدنيوية منها إلى الحكومة الدينية ، ذلك أنّه أخذ ينظم وسائل الدفاع ضد أعداء البابويّة ، أو من أراد أن يغزو الشعب الروماني ، كإعداد الجند وتحصين الأسوار وشحن القلاع ، بل توجيهات الحملات ، وفي حالات أخرى كان هو الذي يفاوض الأعداء ويعقد معهم الهدنات أو الصلح[٥] ، فقد كان يعتمد على أفانين الدبلوماسية ، ويعمد بكل حرص وعناية إلى إنشاء الائتلافات وتكوين العُصَب

---

[١]) العلاقات السياسة والكنيسة بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى ، ص ١٠١ ، د.عادل الزيتون .

[٢]) تاريخ العالم ، ٤/ ٥٤٦ ، جون . ا. هامرتن .

[٣]) موسوعة تاريخ العالم، ٢ / ٤٠١ ، وليام لانجر، العلاقات السياسية والكنيسة ، ص ١٠١ ، د. عادل زيتون .

[٤]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ١١٨ .

[٥]) كما كان موقفه مع الجيوش اللمبّارديّة ، فقد استطاع أن يعقد هدنه معهم سنة ٥٩٢ م ، ثُمّ استطاع أن يعقد صُلحاً نهائيّاً مع ملكهم (أجيولف) سنة ٥٩٨ م ، انمى به الحروب المتواصلة التي استمرت ثلاثين سنة من اللغزو اللمباردي لايطاليا . انظر : تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص ١١٦، ١١٧ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

والاتحادات ، فأهدافه تجاوزت إيطاليا ، فقد اتصل بجميع القوى الحاكمة في الغــرب ، في أسبانيا وثّق علاقاته مع البيت المالك ، وكان نفوذه الشخصي معترفاً به في كل أرجــاء فرنسا ، استطاع إدخال انجلترا في حظيرة البابوية ، مراسلاته مع مجموعة منوعة من ملوك الفرنجة تدل على معرفته الوثيقة بالأحوال الــسائدة في ســائر الأبروشــيات ، وإلمامــه بالأحداث السياسية ، وفي وقته زاد التوتر بين البابوية والإمبراطوريه البيزنطية ؛ لاعتقاده الدائم أن البابا فوق الوالي ، وأن الكنيسة فوق الدولة[1] .

ومن الفترات الحاسمة في تاريخ البابوية تلك التي اقترنت بظهور شخصيات قوية تولت دفة الامور : امثال البابا‌وان جريجوري (غُريغوريوس) الثاني (١٩ آيار ٧١٥ – ١١ شباط ٧٣١م) ، و جريجوري (غُريغوريوس) الثالث (١٨ أذار ٧٣١ –٢٨ تشرين ٧٤١ م) .

ففي عهد البابا غُريغوريوس الثاني انفصلت عُرى البقية الباقية من تبعية روما للعاصمة الرومانية الجديدة (القسطنطنية) ، وذلك على إثر عقيــدة تقــديس الإيقونــات فــإن الامبراطور ليو الايسوري (٧١٧–٧٤١) حرَّم تقديس الأيقونات على كل النــصارى في العالم ، فاعترض البابا غُريغوريوس الثاني على هذا القرار ، وأخذ يخاطب الامبراطور بلغة لم يسبقه الى استخدامها أحد من البابوات السابقين حتى أنّه أعلن الحرمان الكنسي علــى الامبراطور ، وقطع كل صلة للتبعية بين كرسيه وعاصمة الامبراطور القسطنطينية[2] .

وفي عهد البابا غُريغوريوس الثالث حاولت البابويّة أن تستقل تماماً عن الامبراطوريّــة البيزنطيّة ، فما كان من الامبراطور ليو الايسوري الا أن جهز اسطولاً ضخماً للقــبض على البابا غُريغوريوس الثالث ، و محاولة استرداد نفوذ الامبراطورية في ايطاليا ، ولكــن فشلت هذه الحملة وتحطم الاسطول الامبراطوري في البحر الادريــاتي ، فاضــطر هــذا الامبراطور ومن بعده من الاباطرة ترك البابوات وشــأنهم ، في حــين لم يعــد للنائــب

---

[1]) ميلاد العصور الوسطى ، هــ . سانت موس ، ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، بتصرف .

[2]) ومما قاله البابا غُريغوريوس الثاني للامبراطور ليو : ((ـــ فياللأسف على التغيير ، ويالجسامة الفضيحة ، إنــك الآن تتهم الكاثوليك بالوثنية ، وإنك بهذه التهمة إنما تظهر جهلك وبعدك عن التقوى . وقــد اضــطررنا إلى أن نستخدم خشونة الأسلوب والحجج لكي يتفق مع هذا الجهل ...)) انظر الى كتاب : اضــمحلال الامبراطوريــة الرومانية وسقوطها ٣٧٢/٢ ادوارد جيبون .

الامبراطوري في ميلان نفوذ يذكر[١] .

ولم تقبل الكنيسة أن تخضع لملك من ملوك الغرب في ذلك الوقت الا للامبراطور شارلمان ــ مؤسس الامبراطوريّة المقدسة ــ لانها ترى اهليتة لذلك ، وهو أيضاً ينظر الى امبراطوريّته نظرة دينية ، ولكن بعد وفاته عملت الكنيسة على إبراز اهميتها وتحقيق سموها بعد خضوعها لشخص شارلمان ، فهذا البابا ستيفن الرابع في سنة ٨١٦ م انكر شرعية تتويج لويس ابن شارلمان في حياة ابية ، وقام بتتويجة مرة اخرى بيده ، وما هذا التتويج بيد البابا إلاّ تاكيداً لحق البابوية في منح التاج للامبراطور .

ثم لما قامت ثورة ابني لويس ضده أبيهم سنة ٨٣٣م تمت الفرصة للبابا جريجوري (غُريغوريوس) الرابع لكي يؤكد فيها سلطان البابوية وسموها على الامبراطوريّة باسم الوساطة بين الابنين الثائرين وأبيهما ، وكان يؤكّد لهم أنّ أوامره وآراءه ليست أقل قُدْسيّة من الأوامر الإمبراطورية، فيقول : ((يجب أن لاتنسوا أن الحكومة الروحية التي يهيمن عليها البابا أعلى قدراً من السلطة الأمبراطورية التي لا تعدو أن تكون زمنية ومؤقتة))[٢] ، ويتساءل ((اليس ما للبابا من سلطة على الروح تسم على السلطة الامبراطورية التي تنتمي الى هذه الدنيا))[٣].

وقد أكد هذه الفكرة بعد ذلك البابا نيقولا الأول (٢٤ نيسان ٨٥٨ ــ ١٣ تشرين الثاني ٨٦٧م) ، والذي تمسك في آرائه ومسلكه تجاه الأمبراطورية بمبدأ سمو البابوية على الإمبراطورية ، وقد أرسل في توضيح ذلك برسالة بابويّة إلى الإمبراطوريّة بتاريخ ٢٨ أيلول عام ٨٦٥م[٤] ، كما أنّه لم يعترف بأن الإمبراطور البيزنطي امبراطوراً رومانياً ؛ لأن الإمبراطورية الرومانية عنده لاتوجد إلا حيث يريد البابا ، وقد أظهر في خطاباته للملوك أنّه السيد الآمر الذي تجب طاعتة ، فالحاكم الذي لايطيع أوامر الكنيسة الرومانية

---

[١]) تاريخ اوربا في العصور الوسطى ص ١٢٢– ١٢٣ د. سعيد عبد الفاتح عاشور .

[٢]) المرجع السابق ، ص ٢٩٣ ، سعيد عبد الفتاح عاشور .

[٣]) انظر الى : تاريخ اوربا (العصور الوسطى) ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦، ٣٣٩، د. السيد الباز العريني ، تاريخ العالم ، ٥٥٠/٤ جون . ا . هامرتن ، تاريخ العصر الوسيط في اوروبة ص ١٨٩ ، ٢٠١ د.نور الدين حاطوم .

[٤]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٢٢٥ .

وتعليماتها يعتبر عاصياً ويستحق اللعنة والحرمان ، فما توفّي إلاّ بعد أن رفع عالياً سلطة البابويّة في العالم الغربي [1] .

ولا يشك الناظر إلى تاريخ البابويّة أن فكرة علو السلطة البابويّة بلغت غايتها عندما تولى أمورها البابا جريجوري (غُريغوريوس) السابع (٢٢ نيسان ١٠٧٣ ــ ٢٥ أيار ١٠٨٥م) المشهور باسم (هيلدبراند) .

فقد وضع وثيقةً من نقاط عدة تُبين علو مكانة البابا وشرف قراراته ، وأنّ له الرئاسة المطلقة الذي لا يمكن أن يقاضيه أحد ، ولا يمكن الاعتراض على احكامه[2] ، وكان من

---

[1]) تاريخ أوربا في العصور الوسطى ص ٢٩٣ د. سعيد عبد الفاتح عاشور ، تاريخ العصر الوسيط في أوربه ص ٢٢٠ د. نور الدين حاطوم .

[2]) ومن بنود هذه الوثيقة : ١) أن الكنيسة الرومانية إنّما أقامها الله وحده ، ٢) ما من أحد سوى بابا روما ، جدير باتخاذ لقب المسكوني العالمي ، ٣) للبابا وحده الحق ، وفقاً لما تقتضيه الأحوال ، أن يسن القوانين الجديدة ، وأن يُنشئ أبروشيات جديدة ، وأن يشيد الأديرة ، وله أن يُقسّم الأبروشيه الوفيرة الثروة إلى أبروشيات عديدة ، أو يجعل من الأبروشيات الفقيرة أبروشية واحدة ، ٤) وللبابا وحده أن يستخدم العباءة الإمبراطورية ، ٥) وينبغي على كل الأمراء ألاّ يخضعوا إلا للبابا وحده ، ٦) وينبغي ألاّ يُذكر في الكنائس إلاّ اسمه وحده، ٧) وما يتخذه لنفسه من اسم إنّما يخصه دون سواه، ٨) وللبابا وحده السلطة في عزل الأباطرة، ٩) وللبابا الحق في أن ينقل الأساقفة من منصب ديني إلى منصب ديني آخر، كلما اقتضت الحاجة لذلك، ١٠) وله الحق في أن يرسم من يشاء من رجال الدين ، من بين هيئة رجال الكنيسة ، ١١) ولا يعقد سينود عام (مجمع) إلاّ بأمر البابا ، ١٢) ولا يعتبر ما يتخذ من قرار في السينود (المجمع) كنسياً، دون أن يقر ذلك البابا ، ١٣) وما يصدره البابا من قرار ليس بوسع أحد أن يلغيه ، بينما جاز للبابا إلغاء قرارات غيره من الناس، ١٤) ليس بوسع أحد من الناس أن يُحاكم البابا ، ١٥) ينبغي أن يُرفع إلى كنيسة روما (أي إلى البابا) كُلّ القضايا الهامة ، من أيّة كنيسة من الكنائس، ١٦) إن كنيسة روما معصومة من الخطأ ، وذلك وفقاً لناموس الأناجيل المقدسة ، ١٧) أضحى لبابا روما ، الذي جرت رسامته وفقاً لقوانين الكنيسة ، القداسة المستمدة من صفات القديس بطرس الرسول ، وذلك وفقاً لما أورده القديس أينوديوس أسقف بافيان من أسانيد والتي أقرها كثير من الآباء القديسين ، كما ورد في مقرارات البابا سيّماكوس ، ١٨) بمقتضى أمر البابا وإذنه يجوز للرعايا أن يتهموا حكّامهم وأمراءهم ، ١٩) للبابا أن يعزل الأساقفة أو يعيدهم إلى وظائفهم ، دون أن يدعو السينود (المجمع) للانعقاد ، ٢٠) وللبابا السلطة في أن يحل الرعايا من يمين الولاء التي بذلوها للحكام والأمراء الأشرار

انظر : تاريخ أوروبا ــ العصور الوسطى ــ ص٤٦٢ ، ملحق رقم٢٢ أ ، د. السيّد الباز العريني ، وتاريخ العصر الوسيط في أوروبة ص٦٨٠، د. نور الدين حاطوم ، أوروبا والمسيحية ، ٥٠/٢ ، يان دوبراتشينسكي ، ترجمة د. كيرو لحدو ، مختصر تاريخ الكنيسة ص١٩٢ ، اندرو ملر ، والمسيحية (مقارنة الأديان) ص ٢١٢ ، د. أحمد شلبي .

أهداف البابا غُريوريوس السابع أن يمحو أي تدخل علماني في التعيينات الكنسيّة ، فكان محارباً للسيمونيّة ، فقطع على الملوك تدخّلاتهم في ذلك ، والذي كان يعتبره الملوك من أثمن حقوق التاج الموروثة إن لم يكن أثمنها جميعاً ، توارثوه عبر أجيال طويلة ، ومن هنا كان على البابا غُريغوريوس أن يواجه معضلات كبيره في علاقاته مع ملوك الغرب .

وكانت أقوى مواجهة تعرض لها البابا غُريغوريوس السابع بسبب توجهاته وأهدافه تلك مع الامبراطور الألماني هنري الرابع ، فقد رفض الامبراطور التنازل عن حقه في تعيين الاساقفة ، ورؤساء الاديرة ، واستمر يأمر بتلك التعيينات ومنح الرسامات ، ومن أشهر من عيّنهم في تلك الفترة أسقف ميلان ، كما انه قام بأعمال اخرى من اختصاصات الكنائس ، فاغضبت تلك الاعمال البابا غُريغوريوس السابع فأرسل إلى الامبراطور هنري الرابع يدعوه الى المثول أمامه في روما بلا أدنى تأخير لكي يجيب عن جميع التهم الموجهة إلية أمام المحكمة البابوية ومجمع رجال الإكليروس ، مهدداً إياه إذا رفض أو تباطأ فسيوقع علية حكم التحريم ، وحدد له يوم ٢٢ فبراير من عام ١٠٧٥م يوم مثوله أمام المحكمة ، رفض الإمبراطور الإمتثال لاوامر البابا ، فما كان من البابا غُريغوريوس السابع إلا أنْ دعى إلى مجمع في الفاتيكان سنة ١٠٧٦ م قرر فيه توقيع قرار الحرمان على الامبراطور هنري الرابع ، وعزله من منصبه ، وتحرير جميع رعاياه وأتباعة من أيمان الطاعة والتبعية التي أقسموها له ، ونجح البابا في ذلك نجاحاً كبيراً فانقلبت المانيا والممالك التابعه له على الامبراطور ، وساد البلاد التعاسة والشقاء وسفك الدماء وأصبح الشعور العام ضد الامبراطور المخلوع هنري الرابع .

وهكذا تلفتَ الامبراطور هنري الرابع حوله فلم يجد من يعتمد عليه من الدوقات والامراء ، بل بعض هؤلاء أمهلوا الإمبراطور مدة أقصاها إلى شهر فبراير ١٠٧٧م ، إن لم يغفر له البابا فسوف ينصبون ملكاً غيره على البلاد .

فما كان من الإمبراطور هنري الرابع إلا أن استسلم وخضع لإرادة البابا فرحل إلى البابا ، وكان لزاماً عليه أن يعبر طريقاً جبلياً وعِراً حتى يصل إلى القلعة البابويّة في مدينة كانوسا ، وقد كان البرد قاسياً ، وبقي الامبراطور ثلاثة أيام واقفاً على الجليد أمام أبواب القلعة الموصدة في وجهه ، حتى تعطّف البابا وسمح له بالمثول بين يديه ، فدخل الامبراطور

على البابا حافي القدمين مرتدياً ثوباً من ثياب الرهبان المصنوعة من الصوف ، فلما وجد نفسة أمام البابا ارتمى بين قدميه قائلاً له : (اغفرلي أيها الأب المقدس) فغفر له البابا بعد أن فرض عليه شروطاً قاسية ، وسلّم الامبراطور بكل ما تطلبه البابوية بدون قيود وكـان ذلك في ٢٢ يناير عام ١٠٧٧م [١] .

وبهذا بلغت كبرياء هيلدبراند ــ البابا غُريغوريوس السابع ــ ذروتها وتجاوزتها، وكان من الطبيعي أن يحدث هذا الإذلال أثره لا في نفس هنري فحسب بل وفي الـرأى العـام الأوربي بأسره[٢]، فترك فيه آثار استياء كبيرة[٣] .

وبعد البابا غُريغوريوس السابع بفترة وجيزة اعتلى العرش البابوي البابـا اوربـان (أوربانوس) الثاني (١٢ آذار ١٠٨٨- ٢٩ تمّوز ١٠٩٩م) ، الذي أعلن التزامه بتعاليم غُريغوريوس السابع ومبادئه ، ولكن هذا الإلتزام اتخذ طابعاً أكثر دبلوماسيه ، وقد اقترن اسم البابا أوربان الثاني بالحملة الصليبية الاولى على بيت المقدس، فهو المخطط الاكبر لها، والمنادي لقيامها ضد المسلمين في مجمع كليمنت سنة ١٠٩٥م ، وما تـوفي إلاّ بعـد أن أصبح أكبر رأس في العالم النصراني دون منازع ، وذلك بعد دخول جيوشه بيت المقدس باسبوعين[٤] .

وفي السنوات من ١١٥٤ إلى ١١٥٩م ، تولى العرش البابوي البابا أدريان الرابع وقد نجح في أوّل سنة من ولايته في القضاء على أعنف وأقوى حركة ثورية فكريّـة جابهتـها

---

[١]) دليل الى قراءة تأريخ الكنيسة ص١٧٥، الاب جان كمبي، مختصر تاريخ الكنيسة ص٢٤٧ -٢٥٠ اندرو ملر، تاريخ العالم ٥٥٤/٤ ، ٧٤٠-٧٤١ جون ا. هامرتن ، تاريخ اوربا في العصور الوسطى ص٣١٠-٣١٥ د. سعيد عبد الفتاح عاشور، موسوعة تاريخ العالم ٥٦٨/٢-٥٧٠ وليم لانجـر ، قـصة الحـضارة ٣٩٧/١٤-٤٠٠ ول ديورنت ، اوربا والمسيحية ٥٣/٢-٤ ، يان دوبرا تشينسكي .

[٢]) تاريخ العالم ٥٥٤/٤ جون ا. هامرتن .

[٣]) تاريخ اوربا العصور الوسطى ص ٣١٤ د. سعيد عاشور .

[٤]) العلاقات السياسية والكنيسة ص ١٠٦-١٠٧ د. عادل زيتون ، وموسوعة تاريخ العالم ٦٠٢/٢-٦٠٣ وليام لانجر ، تاريخ العالم ٧٤٢/٤-٧٤٨ جون ا. هامرتن ، ومختصر تاريخ الكنيسة ص ٢٥٨ اندروملر ، وتاريخ اوربا في العصور الوسطى ، ص ٣١٩ د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

البابوية في تلك الأوقات[١] .

ثُمّ أنّه حصلت مواجهه بينه وبين والامبراطور فردريك الأول (بربروسا) عام ١١٥٧م ، والسبب في تلك المواجه أنّ كلا منهما يعتقد أنّ له سلطه ومكانه أعلى من الآخر . فالامبراطور فردريك الأول يعتقد ان السيادة للقانون لا للمنصب الكهنوتي والصفة الروحية، وأن إمبراطوريته مستمده من الله ، وأنّها البديل الزمني (الدنيوي) للبابوية ، وهذه الآراء أغضبت البابا أدريان الرابع كثيراً فهي تُسقط حقوق البابوية وسلطانها الذي جاهد من أجل إظهارها وتثبيتها البابوات السابقون ، فبعث إلى الامبراطور يُبين له خطأ اعتقاده وأنّ مكانة الامبراطور لايصح أن تُقارن بأي حال من الأحوال بمكانة الأسقف ، فالامبراطور سلطته ليستْ مستمده من الله مباشرة وانما مستمده من البابا ، وفي نهاية الأمر خضع الامبراطور لما ذهب إليه البابا ، ومرت الازمة بينهما بهدوء بدون مواجهة حقيقية[٢] .

توفي البابا أدريان الرابع سنة ١١٥٩م فخلفه الكاردينال (رولاند) الذي تلقب باسم

---

[١]) وكانت هذة الثورة تدعو الى الحرية المدنية والفصل التام بين الكنيسة والدولة ، وأن القوة الزمنية للبابوية يجب أن تسقط وتُعطى للحكام المدنيين . فالكنيسة والبابوية في نظر زعيم هذة الثورة (أرنولد أوف بريشيا) لها فقط الناصية الروحية وأن مملكتها ليست في هذا العالم ــ كما جاء في انجيل يوحنّا ٣٦ : ١٨ ــ ، فنشرت هذة الحركة موجات إحتجاجيه على البابوية في ايطاليا والمانيا . ولكن البابا أدريان الرابع استطاع ان يقضي على هذه الاحتجاجات ويعيد الامر الى سابق عهده من الهدوء والخضوع للبابوية ، وذلك بعد أن استطاعت السلطة البابوية القبض على رأس هذه الحركة (أرنولد) وإقامة حد القتل فية وذلك في عام ١١٥٥م . انظر: مختصر تاريخ الكنيسة ص ٢٧٧-٢٧٩ اندرو ملر ، وموسوعة تاريخ العالم ، ١٠٥/٢ وليام لانجر .

[٢]) قصة الحضارة ، ١٧٣/١٥ ديورانت، تاريخ أوربا (العصور الوسطى) ص٥٣٨-٥٣٩ د.السيد الباز العريني ، الفكر السياسي الأوربي في العصور لوسطى، ص٤٦-٤٧ د.رافت عبد الحميد، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ص ٣٣٤-٣٣٥ د.سعيد عبد الفاتح عاشور ، مختصر تاريخ الكنيسة ص ٢٨٠ اندرو ملر .

يقول أندرو ملر : ((إزاء هذه الحالة لم يكن من فردريك إلا أن يتمشى مع القائلين بأن الماضي يُعزز حُجة البابا ... وعلى ذلك قام فردريك في صبيحة اليوم التالي ولعب دور الابن البار للكنيسة بأن نزل من على ظهر جواده . بينما كان أدريان مُقبلاً وقبض باليد الواحدة على اللجام وبالأخرى على الركاب حتى نزل البابا من على الجواد . وبذلك عادت الصداقة الظاهرية إلى مجاريها ، وتقدم الأب الروحي وبجانبه الابن المطيع الى المدينة المقدسة)) . انظر : مختصر تاريخ الكنيسة ، ص ٢٨٠ .

اسكندر الثالث (٧ أيلول ١١٥٩ ــ ٣٠ آب ١١٨١م) ، والـذي ظـلّ في منـصب البابوية قرابة اثنين وعشرين عاماً (١١٥٩-١١٨١م) حرص طوالها على التمسك بمصالح البابوية وحقوقها ، مماجعل التراع بين البابوية والامبراطورية يتخذ جميع مظاهر العنف التي كانت في عهد البابا غُريغوريوس السابع، فقد ظلّ الامبراطور فردريك الأول (بربارو سا) متمسّكاً بآرائه السابقة في علو مكانة الإمبراطورية ، وأن ملكها مستمد مـن الله ولـه الأحقيه في الإشراف على السلطة الروحية (البابوية وكنائسها) . فما كان مـن البابـا اسكندر الثالث في أول ما تسلّم فيه العرش البابوية إلاّ أن أصدر قرار الحرمان الكنسي ضد الامبراطور عام ١١٥٩م، وأحلّ رعيته من يمين الولاء له، وجدد ذلك ثانية سنة ١١٦٣م، وهذا القرار كان مؤثراً في مسيرة الامبراطور فردريك الأول لأن البابوية في ذلك الوقـت قد ازدَاد سلطانها في العالم الغربي ، وقد ناصر البابوية في هذا القرار (الحرماني الكنـسي ضد فردريك الأول ونزع ولاء الطاعة من الشعب له) ملوك الغرب وعلى رأسهم ملوك انجلترا وفرنسا ؛ وذلك لأن ملوك الغرب كانوا في خوف شديد من تطبيق الامبراطوريـة الرومانية (بين المانيا وايطاليا) فكرة السياسة العالمية ، هذا بالإضافة الى إزدياد نفوذ أمراء الأقطاع ، وتحالفهم مع البابوية في كثير من الأحيان ضد الامبراطور .

كل هذا جعل الصراع يسير في صالح البابا اسكندر الثالث . ولهذا اضطر الامبراطور فردريك الأول أن يخضع للبابا وعملت بينها معاهدة (أناني) في أكتـوبر سـنة ١١٧٦م وأعاد إلى الكنيسة ماسبق أن انتزعه منها من أملاك ، وفي ٢٤ يوليه سنة ١١٧٧م أعلـن فردريك الأول خضوعه للبابا اسكندر الثالث بأن قدم بنفسه إلى البندقية ، فـاجتمع بـه خارج كنيسة القديس مرقص ، حيث هرع إلى البابا بعد أن نزع الرداء الإمبراطوري ، وركع عند قدميه ، فاغرورقت عينا البابا بالدموع ثم أقامه وعانقه وقاده إلى الكنيسة [1] .

وفي القرن الثالث عشر بلغت البابوية أوج مجدها فهو نهار البابوية الـساطع ، فقـد اعتلى فيه عرش البابوية البابا انوسنت (انوشنتيوس) الثالث (٨ كانون الثاني ١١٩٨ــ ١٦

---

[1]) الفكر السياسي الاوربي في العصور الوسطى ، ص ٤٨-٤٩ رافت عبد الحميد ، تاريخ اوربا العصور الوسطى ص ٥٤٥ ،٥٤٦ د. السيد الباز العريني ، تاريخ اوربا في العصور الوسطى ص ٣٣٦-٣٤٢ د. سعيد عبد الفتـاح عاشور .

تمّوز ١٢١٦م) ، وقد كان يمتاز بشخصية قوية ونافذة مكّنته من تحقيق كل ما كانت تطمع فيه البابوية من سمو في ضوء مبادىء غُريوريوس السابع، واسكندر الثالث فحصل بالكامل على ماكان هو الشغل الشاغل لجميع الباباوات لعصور عدة، ألا وهو : الرياسة الكهنوتية ، والسيادة الملكية ، والسيطرة على جميع ملوك الغرب[1] .

أطلق البابا انوسنت الثالث على نفسة لقب وكيل المسيح (vicar)[2]، ومن أقواله : ((نحن خلفاء أمير الرسل ولسنا نوّاب عنه، بل ولسنا نوّاباً لأحد من بني البشر حتى الرسل ولكنّا نواب يسوع المسيح نفسة))[3] ، كما أنّه أرسل رسالة إلى قنصل فلورنسا في (٣٠ تشرين الأوّل ١١٩٨م) بعنوان ((السلطة العليا المزدوجة على الأرض)) ، شبّه فيها البابوية بالشمس والامبراطورية بالقمر الذي يستمد ضوءه من شمس البابويّة [4] .

ومن العوامل التي ساعدت هذا البابا على الظهور ، وفرض إرادته في العالم الغربي بل حتى على عاصمة الامبراطوريّة في الشرق ((القسطنطينية)) أنّه لم يواجه خصماً يتمتع بقدرات وطاقات مماثلة لقدراته وطاقاته ، فلم يكن هناك امبراطور قوي على رأس الامبراطورية الغربية يتحدى البابا ، بل أن الامبراطوريّة كانت خاضعة تماماً للبابويّة ، فبعد وفاة الامبراطور هنري السادس ابن فردريك الأول كان وريثه الشرعي ابنه فردريك الثاني ، وكان عمره لايتجاوز الاربع سنوات فكانت الوصايه عليه من جهة أمه الامبراطوره كونستانس ، ولكنّها توفّيت في نفس السنة التي تولى فيها انوسنت الثالث عرش البابوية سنة ١١٩٨م، فأوصت أن يخلفها البابا في الوصاية على الامبراطور الصغير، خاصة وأنّه قد نجح في إنهاء الحرب الأهليّة التي قامت في المانيا ـ معقل الامبراطوريّة ـ بعد وفاة الامبراطور هنري السادس[5].

---

[1]) مختصر تاريخ الكنيسة ، ص ٣٠٥ ، اندرو ملر ، وتاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ص ٣٤٨ ، د.سعيد عبد الفتاح عاشور .

[2]) أوروبا والمسيحية ، ١٦٧/٢ ، يان دوبرا تشنيسكي ، ترجمة د . كبرو لحدو .

[3]) الفكر السياسي الاوربي في العصور الوسطى ، ص ٥٢ ، د. رأفت عبد الحميد .

[4]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٢٥٧ .

[5]) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ص٣٤٨-٣٥١ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، أوروبا والمسيحية ، ١٦٧/٢-١٦٩ ، يان دوبراتشنيسكي ، الفكر السياسي الأوربي في العصور الوسطى ، ص ٥٦-٦٠ ، د. رأفت =

كما أنّ البابا انوسنت الثالث استطاع أن يتحكم في الحياة الشخصيّة لملك فرنسا (فليب اوغسطس) ، في أمور زواجه وطلاقه ــ ذلك الملك ، الذي ضاعف ممتلكات فرنسا ، وكانت له صولات وجولات في العالم الغربي ، وكان من المشاركين في الحملة الصليبية الثالثة على بلاد المسلمين[1] ــ .

كما أنه نجح في إخضاع ملك انجلترا يوحنّا أخو الملك السابق ريتشارد قلب الأسد لسلطته ، بقوة الحرمان الكنسي عليه ، وعلى شعبه ، وذلك بسبب تعيينات كنسيّة حصل الخلاف فيها بينهما ، بل لقد وصل الأمر بالبابا أنّه هدد ملك انجلترا بتسليم عرشه لعدوه الّلدود ملك فرنسا [2] .

ــ عبد الحميد ، مختصر تاريخ الكنيسة ، ص٣١١ ، ٣١٥ ، اندرو ملر ، قصة الحضارة ، ٢٨٨/١٥، ٢٧٨ ، ول ديورانت .

[1]) وذلك في شأن طلاقه لبنت ملك الدانمارك ــ صاحب الحظوة عند البابا ــ، وزواجه من بنات أحد الدوقات، فعندما رفض الملك الانصياع لأمر البابا أرسل له البابا انوسنت الثالث أحد كرادلته ويدعوا بطرس كمندوب له إلى فرنسا ، مزوداً بسلطة وضع كل ممتلكات الملك تحت الحرمان البابوي في حالة عناده . فلما رفض الملك طلب البابا في هذا الشان الخاص جدا بحياته ، وامتنع من الخضوع لطلب البابا قام الكادرينال بطرس وهو لابس ملابس الحداد ونطق بحكم الحرمان على جميع أراضي فرنسا وممتلكاتها . فانقطعت من تلك اللحظة جميع المراسم الدينية ... فأصاب الناس في فرنسا حالة ثورية دينية واجتمعوا حول الكنائس وصمموا أن لا يُحرموا من مراسهم الدينية ، فارتاع الملك من ثورة الشعب وأخذ يصيح في اكليروس الكنيسة الفرنسية ويهدد أنه سيعتنق دين محمد ــ صلى الله علية وسلم ــ (الاسلام) ويصير مُسلماً، ويردد ما أسعد صلاح الدين، فليس له بابا فوقه. ولكن هذا التهديد لم يجعل البابا في روما يلين فما كان من هذا الملك إلا أن خضع لأمر البابا انوسنت الثالث في حضور أشراف فرنسا . انظر : مختصر تاريخ الكنيسة ، ص ٣١٦-٣١٨ ، اندروملر، أوروبا والمسيحية، ١٦٩/٢، يان دوبرا تشينسكي .

[2]) فقد اختار ملك انجلترا أسقفاً اسمه جون دي جراي رئيساً لأساقفة كانتربري ، واختار البابا شخصاً اخر وهو الأسقف ستيفن لانجتون ، فحصلت بهذا منازعة شديدة بين الملك والبابا ، مماجعل الملك يهدد بقطع كل علاقة بين انجلترا والبابوية وأن يطرد كل إكليروس الكنيسة الإنجليزية ، وعند هذا التهديد من ملك انجلترا أعلن البابا انوسنت الثالث حكم الحرمان في حق الملك يوحنا وانجلترا جميعها ، فأصبحت المملكة محرومة ، واذا بكافة المراسيم الدينية فيها معطلة .. ثم أعقبه البابا بمرسوم آخر وهو أنه حلّل جميع رعايا الملك من واجب الولاء له ، واستمر هذا الوضع ما لا يقل عن أربع سنوات تضجر فيها الشعب الانجليز من الملك ، وأقاموا ثورات داخلية ضده لانتزاع الملك منه أو لإجباره للخضوع للبابا . ولكن الملك يوحنا واصل عناده وتكبّره . وهنا أصدر البابا مرسوماً آخر فيه يأمر بعزل ملك انجلترا . وتسليم التاج الإنجليزي لملك فرنسا (فليب اوغسطس) .فتأهب ملك فرنسا لغزو انجلترا مناصرة البابا انوسنت الثالث له ، وهنا أدرك ملك إنجلترا خطورة موقفه حيث أن شعبه لم يقف معه حتى بعض جنود=

أما فرصته للتحكم في القسطنطنية فكانت عند نهاية الحملة الصليبية الرابعة (١٢٠٣-١٢٠٤م) ، والتي تحول مسارها من بيت المقدس إلى القسطنطنية العاصمة البيزانطية ، فعندما احتلها الصليبيون أمر بانتخاب بطريركاً كاثوليكيا لاتينياً لكرسيّها ، وخلع بطريقها الارثوذكسي البيزنطي يوحنا العاشر ، وأمر أيضاً بملاحقة الأساقفة البيزنطيين الأرثوذكسيين ، وتعيين أساقفة لاتنيين كاثوليكيين ، حيث أنّه يهدف إلى ضمان الولاء لروما والاعتراف بسيادة البابا على الكنيسة البيزنطيه الادثوذكسية ، وبهذا تحكم البابا انوسنت الثالث في الوضع الديني والسياسي للعاصمة الرومانية (القسطنطينية) ، واستمر هذا الوضع السيئ للكنيسة الادثوذكسية الخاضعة للسلطة البابوية في روما إلى أن سقطت الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطنية سنة ١٢٦١م[١] .

وبهذا فعلاً وصلت البابوية في عهد البابا انوسنت الثالث إلى أعلى سيادتها من الناحية الروحية الدينية ، ومن الناحية الزمنية السياسية .

وها هو البابا غُريغوريوس (جريجوري) التاسع (١٩آذار ١٢٢٧ــ ٢٢ آب ١٢٤١م) ، الذي واصل متابعة المسيرة العالمية الروحية والزمنية للبابوية ؛ فاصدر قرار الحرمان ضد الامبراطور فردريك الثاني ، وأحلّ رعايته من يمين الولاء له ، وذلك في أول عهده بالبابوية في التاسع والعشرين من سبتمبر ١٢٢٧م بحجة مماطلته في الخروج بحملة صليبية ضد المسلمين ، كان قد تعهد بها من قبل في عهد البابا انوست الثالث في سنة ١٢١٥ م ، و أعاد الامبراطور تعهّده بها أيضاً في عهد البابا هونوريوس الثالث (١٨ تمّوز ١٢١٦ــ ١٨ آذار ١٢٢٧م) ، ولكنّه لم يفعل .

ورغم من أن الامبراطور فردريك الثاني في العام التالي من صدور قرار الحرمان الكنسي عليه ، أي في سنة ١٢٢٨م قام بحمله صليبية الى العالم الاسلامي ، وحقق خلالها

=جيشه. فخضع أخيراً الملك يوحنا لمندوبي البابا وجثى على ركبتية ووضع تاجه الملكي عند أقدام المندوب الأكبر للبابا ، وسلّم لما يريده البابا بلا قيد ولا شرط ، وكان هذا التسليم المهين أمام أعين الشعب الإنجليزي الذي فرح بعودته لحظيرة البابوية . انظر : مختصر تاريخ الكنيسة ، ص ٣١٨ ، ٣٢٢ ، اندرو ملر .

[١]) العلاقة السياسيه والكنيسة بين الشرق البيزانطي والغرب اللاتيني ص ٣٩٢،٣٩٣، د. عادل زيتون ، أوربا والمسيحية، ١٧٧/٢ ، يانلوبراتشينسكي ، ترجمة : د.كيرو لحلو .

بالاتفاق مع سلطان مصر الملك الكامل الايوبي ما فشل في تحقيقه قوّاد الحملة الثالثة (جده فردريك الاول، وفليب اغسطس ملك فرنسا، وريتشارد قلب الاسد ملك انجلترا)، إلاّ أن البابوية لم ترض عنه واتهمته بالإلحاد وانتهزت فرصة غيابه في الاراضي المقدسة لتشيع بين الناس نبأ وفاته ولتدفع بجيوشها للاستيلاء على أملاكه في ايطاليا ، ولما عاد انتهى الأمر بالطرفين على وضع معاهدة سان جرمانو عام ١٢٣٠م .

انتظر الامبراطور فردريك الثاني الفرصة المواتية للانتقام من البابا غُريغوريوس التاسع ، وهذا ما حصل له حيث عزز مكانته في المانيا وايطاليا ، وبدأ في سنة ١٢٣٧م يُحرّض أهل روما على الثورة ضد البابا فلما انكشف الأمر للبابوية في سنة ١٢٣٩م عاد الصدام بينهما مرّة أخرى ، فأمر البابا بعقد مجمع ديني في روما يشترك فيه كبار أساقفة الغرب لإنزال اللعنة بالامبراطور ، وفعلاً لبى دعوة البابا فريق من أساقفة شمال ايطاليا وفرنسا واسبانيا واجتمعوا في ربيع سنة ١٢٤١م في جنوى استعداداً للإبحار منها الى روما ، إلاّ أنّ الامبراطور مع حلفائه بقوتهم البحرية استطاعوا أنْ يتصيدوا السفن التي فيها الاساقفه مما أدّى إلى غرق بعضها وأسر بعضها لدى الامبراطور ففشل مشروع البابا ضد الامبراطور، ولم ينقذ هؤلاء الأساقفة من قبضة الامبراطور سوى تهديد لويس التاسع ملك فرنسا بإعلان الحرب على الإمبراطور وعندئذٍ أطلق فردريك الثاني سراحهم ، وتزامنت هذه العمليّة مع وفاة البابا غُريغوريوس التاسع[1] .

وقد أعقب البابا جريجوري التاسع في منصب البابوية سلستين الرابع ولكنه توفي في العام نفسه (سنة ١٢٤١م) ، فلم يبق سوى سبعة عشر يوماً ، وتعذر القيام بانتخاب خلف جديد لفترة تقارب السنتين بسبب دسائس الإمبراطور فردريك الثاني ، فعمّت الفوضى روما ، حتى أُنتخب الكاردينال الجنوي سينيبالد فيشي لمنصب البابا باسم انوسنت (إنوشنتسيوس) الرابع في ٢٥ حزيران ١٢٤٣م (وفاته في ٧ كانون الأوّل ١٢٥٤م) ، وكان من المقربين للإمبراطور فردريك الثاني ، ولكنه فور استلامه عرش

---

[1]) الفكر السياسي الاوروبي في العصور الوسطى ص ٦٠-٦٢ ، د. رافت عبد الحميد ، تاريخ اوروبا في العصور الوسطى ٣٥٣-٣٥٨ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور اوروبا والمسيحية ٢/٢١٧-٢١٨ ، يان دوبراتشينسكي ، مختصر تاريخ الكنيسة ص ٣٧٠ – ٣٧٢ اندرو ملر .

البابوية بدأ هجومه على فردريك الثاني حتى قال المؤرخون كان البابا انوسنت الرابع هو السبب المباشر لتحطيم أسرة الإمبراطور فردريك الثاني (الأسرة الهوهنشتاوفنيه) العريقة في الملك [١].

فقد أصدر البابا الحرمان الكنسي على الامبراطور ، كما أنّه أصدر قرار عزله من منصبه كامبراطور ، على أن يُختار من يحل محله في هذا المنصب ، فأحس فردريك بخطورة هذا القرار فاصدر نداء إلى ملوك أوروبا وحكامها ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً من أجله واكتفوا بإظهار العطف المقرون بالحرص والتحفظ الشديدين ، على الرغم من أن هؤلاء الملوك كانوا يواجهون الخطر نفسه في بلادهم نتيجة لازدياد نفوذ البابا ورجالاته .

وضع هذا القرار البابوي الإمبراطور فردريك الثاني في موضع حرج وصعب عليه تماماً حيث أنّ البابا دعا إلى شن حملة صليبية على فردريك الثاني ، ومنح المشاركين فيها الغفران . فانهزم الامبراطور واتباعه في مواجهات حربيّة مع القوات البابويّة، ومنها في ألمانيا، وفي ليتوانيا في عام ١٢٤٦م ، وفي المملكة الصقلية حيكت مؤامرات استهدفت حياة فردرديك نفسه وكاد في مرة أن يُقتل بالسم . وفي الشمال الإيطالي في بارما فوجئ فردريك بثورة قوية في سنة ١٢٤٧ م ، حيث استطاع أهالي المدينة إحراز انتصاراً كبيراً على القوات الإمبراطورية . وفي عام١٢٥٠ م توفي الإمبراطور فردريك الثاني ، وقد توالت عليه المصائب والنكبات من كل جهة ، فتنفست البابوية والبابا انوسنت الرابع الصعداء ، وبموت الإمبراطور فردريك الثاني انتهت من الوجهة العملية الإمبراطورية الرومانية المقدسة (بين ألمانيا و إيطاليا) ، خاصة أن البابا انوسنت الرابع عمل على تفتيت الإمبراطورية بين ولدي الإمبراطور فردريك الثاني [٢] .

---

[١]) موسوعة تاريخ العالم، ٢ / ٦١١، وليام لانجر، الفكر السياسي الأوروبي في العصور الوسطى ، ص ٦٣ ، د. رأفت عبد الحميد .

[٢]) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، د . سعيد عبد الفتاح عاشور ، والفكر السياسي الأوروبي في العصور الوسطى ، ص ٦٣ ، ٦٤ ، د . رأفت عبد الحميد ، أوروبا والمسيحية ٢ / ٢٤٩ ، يان دوبراتشينسكي ، دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص ١٧٦ ، الأب جان كمبي ، قصة الحضارة ١٥ / ٢٩٥ — ٢٩٧ ، ول ديورانت .

لقد حققت البابوية في العصور الوسطى سموها وسيادتها وما كانت تطمح إليه من وقت ما ترك الإمبراطور قسطنطين الأول روما وانتقل إلى عاصمة إمبراطوريته الجديدة القسطنطينية سنة ٣٣٠م، وذلك بصورة تكاد تكون كاملة السلطة من الناحية الدينية والروحية ، ومن الناحية الزمنية السياسية في العالم الغربي إلى الحد الذي دفع آخر البابوات الذي قيل عنهم البابوات العظام « البابا بونيفاسالثامن (٢٤ كانون الأوّل ١٢٩٤ـ ١١ تشرين الأوّل ١٣٠٣م) إلى مخاطبة فيليب الرابع ملك فرنسا (١٢٨٥ – ١٣١٤ م) بقوله : ((اسمع أي بني وصايا أبيك ... ولتأخذ جماع قلبك بتقاليد السيد ، الذي يحتل على الأرض مكان الرب))[١] .

ثم بدأت مكانة البابوية تتهاوى من عليائها من وقت موت البابا بونيفاس الثامن سنة ١٣٠٣م ، وتركها روما ، وانتقالها إلى أفينون الفرنسية عام (١٣٠٥ م) ، فكانت بداية القرن الرابع عشر الميلادي بداية انهيار السلطة البابوية الروحية بشكل عام « وبداية تلاشي سلطتها الزمنية ، ثُمّ كانا القرنان الخامس عشر والسادس عشر المرحلة الحقيقيّة لتفكك الوحدة النصرانيّة تحت سلطة البابويّة بالمعنيين الروحي الديني ، والزمني السياسي معاً، وكان، ولا شك ، لهذا أسباب، بعضها داخلية من نفس مركز البابوية والكنيسة ، وبعضها أسباب خارجية .

ومن أهم هذه الأسباب التي أدت إلى ضعف مكانة البابوية وضعف سلطتها .

السبب الأول : وهو سبب عام جاء أثره ونتيجته عبر القرون الوسطى التي كانت فيها البابوية في قمة عزها ومجدها ، وهذا السبب هو : ((تسلط البابوية ورجالاتها المتزايد عبر القرون الوسطى على الملوك والشعوب)) ، مما سبب حالات من الهيجان ، والثورة على البابوية ، ولكن أكثر هذه الحالات تبقى مخفية ومستورة خوفاً من بطش البابوية وردة فعلها الذي يكون في بعض الأوقات طائشاً، وعقاباً غير مناسب للفعل أو للذنب.

ومن ذلك ، ما حصل في العالم الغربي من الاستهجان والاستنكار العام لموقف البابا غُريغوريوس السابع الغليظ من الإمبراطور هنري الرابع عام ١٠٧٧م ، فقد أثار موقف

---

[١]) الفكر السياسي الأوروبي في العصور الوسطى « ص ٦٦ ، د . رأفت عبد الحميد .

البابا استياء نسبة كبيرة من الرأي العام في العالم النصراني ، فعاب كثيرون من النـصارى على البابا شدته وقسوته ، وهو عندهم رجل الدين الأوّل ، والأب الروحي الذي يجب أن يتحلى بروح التسامح والعفو عند المقدرة [1] .

ثم أن هذا البابا تسلط على الشعب الألماني حتى قامت فيما بينهم حرب أهليـة ، و لم يلبث الشعب أنه اتهموه أن سبب هذه الحرب ، وحمّلوه مسئولية الـدماء الكـثيرة الـتي سفكت[2].

كما أنّ الشعوب الغربيّة لا شك أنّها حست بظلم عظيم يقع عليها و ((يـشعرون بفظاعة النير البابوي))[3] بسبب أنّ البابا انوسنت الثالث أصدر قرار الحرمان الكنـسي على الشعب الفرنسي والشعب الإنجليزي بأكمله لأجل خلاف بينه وبين ملـك فرنـسا فيليب اوغسطين لأجل مسألة زواج خاصة بالملك ، وبينه وبين ملك إنجلترا يوحنا أخـو الملك السابق ريتشارد قلب الأسد لأجل تعيين أسقف في وظيفة كنسيّة .

لذلك فان النفسية في العالم الغربي النصراني ظلت تعاني تمزقاً رهيباً وكراهية شديدة ما تزال آثاره ممتدة إلى زماننا هذا بسبب هذه الصراعات والمنافسات التي يرون أن ضحيتها الأساسية هي شعوبهم .

السبب الثاني : ((انتقال مركز البابوية من روما في إيطاليـا إلى مدينـة افينـون في فرنسا)) ، ممّا أفقد البابويّة هيبتها أمام الشعوب الغربيّة النصرانيّة ، وذلك لبعدها عـن مصدر قوتها، ورفعتها عندهم، وهي روما المكان الذي قام فيه بطرس، ومات فيه، ((أي موضع الكرسي الرسولي للقديس بطرس)) ، في اعتقاد الشعوب النصرانيّة الغربيّة .

ويسمى المؤرخون الفترة التي كانت البابوية فيها بفرنسا بـ(الأسر البابلي للبابويـة) والذي استمرت من سنة ١٣٠٥م إلى سنة ١٣٧٧م ، أي اثنتين وسبعين سنة [4].

---

[1]) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص٣١٤، د.سعيد عبد الفتاح عاشور، مختصر تاريخ الكنيسة، ص٢٥١، اندرو ملر.

[2]) تاريخ العالم، ٤ / ٥٥٤ ، جون . ا . هامرتن .

[3]) مختصر تاريخ الكنيسة ، ص ٣١٨ ، اندرو ملر .

[4]) موسوعة تاريخ العالم، ٣ / ٢٧٥، وليام لانجر، أوروبا العصور الوسطى، الجزء الأول (التاريخ الـسياسي) ، ص ٥١٠ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

وكان هذا الانتقال بسبب النتيجة التي وصلت إليها المواجهة القوية بين ملك فرنسا فيليب الرابع الملقب بالجميل وبين البابا بونيفاس الثامن ، والذي انتهى إلى انتصار ملك فرنسا على البابا وإذلاله عندما أرسل إليه ثلاثمائة فارس بعضهم من الأُسر الإيطالية التي كان بينها وبين البابا مواقف كره وشحناء فاستطاع هؤلاء الجنود أن يصلوا إلى البابا في قصره وأن يذلوه ويأسره وينهبوا محتويات قصره[1] ، وما استطاع البابا بونيفاس الثامن أن يفلت من أيدي الجنود إلا بفضل ثورة الأهالي عليهم فعاد إلى روما ودمه يغلي بنار الانتقام لهذه المذلة التي أصابته ولكنّه مات سريعاً بعد إفلاته من الأسر ، وفي هذه اللحظات بدأ انهيار البابوية بانهيار وموت آخر باباواتها العظام بونيفاس الثامن في ١١ تشرين الأوّل عام ١٣٠٣م .

استغل فيليب ملك فرنسا هذا الانهيار البابوي والاضطرابات التي حصلت في إيطاليا كلها وروما بالأخص ، وبقاء الكرسي البابوي شاغراً ولمدة عام كامل ، وعدم تدخل ملوك أوروبا لإنقاذ البابوية من هذا الانهيار لفرحهم به أصلاً — بسبب ضغوطات البابوية عليهم سابقاً — ، فعمل الملك فيليب خطوات متسارعة لنقل البابوية إلى فرنسا لكي يبقيها تحت سيطرته (وتكون أحد خُدّامه المطيعين) فانتُخب في ذلك الوقت — على غير إجماع من الكرادلة ، وبسبب تدخل فيليب ملك فرنسا — رئيس أساقفة بوردو الفرنسية باسم كليمنت (اكليمنضوس) الخامس (٥ حزيران ١٣٠٥— ٢٠ نيسان ١٣١٤م) ، وبدل من أن يُتوج في روما الايطاليّة اختار تتويجه في ليون الفرنسيّة ، ونقل مركز البابوية إلى مدينة افينون الفرنسيّة ، وبذلك أصبحت البابوية فرنسية ، ولم تعد روما في تلك الأوقات عاصمة النصارى في أوروبا، فحصل الفصل بين البابوية وبين كرسي القديس بطرس في روما الذي استمدت البابوية أهميتها وعلو مكانها منه .

وبهذا ضعف النفوذ البابوي في العالم الغربي في تلك الفترة وجعلها تتعرض لمعارضة

---

[1]) ((فجميع ما في القصر نهب وسلب ، وقد كانت الثروة عظيمة لدرجة انه لو جمعت أموال ملوك العالم كله لما ساوت الذخائر التي وجدها الجنود و سلبوها . حتى غرفة البابا الخاصة تجردت من محتوياتها)) . مختصر تاريخ الكنيسة ، اندرو ملر ، ص ٣٧٥ .

شديدة من جانب الملوك والأمراء – خاصة إنجلترا – الذين لم يتصوروا أن تنتقل البابوية إلى فرنسا ، وكان همهم فقط إضعافها وهي باقية في مقرها الرئيس في روما ، كما أنّها حُرِمت من موارد مالية كبيرة جداً اعتادت عليها في روما ، ومن ذلك أن إنجلترا ألغت حق البابا في ملء الوظائف الكنسية الشاغرة في انجلترا ، وامتنعت أيضاً عن دفع الجزية السنوية التي كانت تدفعها للبابوية ، كما أن بعض أعضاء البرلمان الإنجليزي طالب بحق الدولة في مصادرة ممتلكات البابوية في إنجلترا وعدم التقيد بها والخضوع لها [1].

السبب الثالث : الانشقاق الديني العظيم داخل البابوية ، والذي هز عرشها ومكانتها في قلوب النصارى في العالم الغربي . ابتدأ الانشقاق سنة ١٣٧٨م ، وانتهى سنة ١٤١٧م ، حيثُ أصبح على عرش البابويّة ثلاث بابوات ، بابا في روما بإيطاليا سنة ١٣٧٨م ، وبابا في افينون بفرنسا سنة ١٣٧٨م ، ثم اصبح هناك بابا ثالثاً في مدينة بيزة بإيطاليا سنة ١٤٠٩م [2].

---

[1]) مختصر تاريخ الكنيسة ، ص ٣٧٤ – ٣٧٦ ، اندرو ملر، دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص ٢٠٦، ٢٠٨، الأب جان كمبي ، تاريخ الكنيسة ٤ / ٣١ ، د . القس جون لوريمر، ترجمة : عزرا مرجان ، أوروبا العصور الوسطى ، الجزء الأول ، التاريخ السياسي ، ص ٥١٠ – ٥١٤ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، د . سعيد عبد الفتاح عاشور ، أوروبا والمسيحية ، ٣ / ٥ – ٧ ، بان دوبرا تشينسكي ، ترجمة : د . كيرو لحدو .

[2]) فقد كان بعض باباوات أفينون يحسّون أن وضعهم غير طبيعي ، فعلى الرغم من المزايا التي حصلوا عليها في فرنسا من الهدوء والبعد عن المشاكل السياسية والانشقاقات الداخلية ، إلاّ أن طبيعة الوظيفة البابوية ارتبطت دائماً بمدينة روما ، لذا فكّر هؤلاء الباباوات بجدّية في العودة إلى روما ، حيث هي مدينة القديس بطرس في اعتقادهم ، هذا فوق ما عانوه من ضغط أغلبية الرأي العام الأوروبي النصراني بطلب العودة إلى مقرهم الطبيعي في روما ، فبدأ البابا غُريغوريوس (جريجوري) الحادي عشر (٣٠ كانون الأوّل ١٣٧٠ ــ ٢٦ آذار ١٣٧٨م) برحلة إلى روما فدخلها في السابع عشر من كانون الثاني سنة (١٣٧٧ م) ، ولكنه لم يقم في قصر اللاتيران القصر الإمبراطوري البابوي على مدار مئات من السنين ، بل اختار الفاتيكان مقرا لإقامته ، واصبح بهذا مقراً لإقامة خلفائه من بعده إلى اليوم ، وكان يقصد من هذه الرحلة زيارة كرادلته هناك ليبث في أمر الانتقال معهم ، ولكن قُدّر لهذا البابا أن يموت في روما ، وعندئذٍ أدرك أهالي روما معضدين بأغلبية الرأي العام الأوروبي أن فرصتهم سانحة فاحتشدوا حول قصر الفاتيكان وتعالت صيحاتهم مطالبين بأن يكون البابا رومانيا وأن تكون إقامته في روما، وفعلا اقتحم الناس مجلس الكرادلة – المكوّن من ستة عشر كاردينالاً لم يكن بينهم سوى أربعة إيطاليين ــ وهم يعلنون أحد هؤلاء الإيطاليين أن يكون البابا الجديد فاختير الكاردينال تيبالديشي ، واختار لنفسه اسم (أوربان السادس) (١٣٧٨ – ١٣٨٩م) وذلك في السابع من نيسان سنة ١٣٧٨م، وبعدما هدأ الوضع غادر قسم من الكرادلة روما=

=سراً ، وكان أغلبهم من الفرنسيين ، وعندما وصلوا إلى فرنسا — وبتشجيع من الملك الفرنسي كارل الرابع — اعلنوا إلغاء الانتخابات التي جرت في روما ، وأنّ البابا اوربان السادس غير شرعي ، وانتخبوا لمنصب البابا المضاد الكردينال الفرنسي روبيرت الجنيفي والذي اختار لنفسه اسم كلمنت السابع (١٣٧٨ — ١٣٩٤ م) . وعلى هذا الوجه بدأ الانشقاق الديني الأكبر والأخطر في البابوية بوجود سلسة من الباباوات في روما وأخرى في افينون .

ولم يقف الانشقاق عند هذا الحد بأن يصبح في العالم الأوروبي النصراني باباوان بل كبرت رقعة هذا الانشقاق وأصبح في العالم الأوروبي ثلاثة باباوات ، وذلك عندما فكّر بعض الكرادلة في إيجاد حل للموقف فعقدوا مجمعاً في مدينة بيزة الإيطاليّة سنة (١٤٠٩م) وقرروا عزل كل من بابا روما وبابا افينون وانتخاب بابا جديداً يحل محلـهما جميعاً . ولكن لم يوافق كل من البابوين في روما وافينون على التخلي عن منصبه . وبذلك صار في العالم الغـربي النصراني ثلاث باباوات .

الباباوات أثناء الانشقاق الأكبر :

باباوات روما : اوربان السادس (١٣٧٨ — ١٣٨٩ م) ، بو نيفـاس التاسـع (١٣٨٩ — ١٤٠٤ م) ، انوسنت السابع (١٤٠٤ — ١٤٠٦ م) ، جريجوري الثاني عشر (١٤٠٦ — ١٤١٥ م)

باباوات افينون : كلمنت السابع (١٣٧٨ — ١٣٩٤ م) ، بندكت الثالث عشر (١٣٩٤ — ١٤٢٢ م) .

باباوات مجمع مدينة بيزة الإيطالية : اسكندر الخامس (١٤٠٩ — ١٤١٠م)، حنا الثالث والعشرون (١٤١٠- ١٤١٥م) .

أراد الملك سيجسموند ملك هنغاريا عندما اعتلى عرش الإمبراطورية الرومانية المقدسة (ألمانيا وإيطاليـا) (١٤١١ — ١٤٣٧ م) أن يضع حدا لهذا الانشقاق الديني الخطير ليس على الوحدة النـصرانية في العـالم الغـربي فحسب بل حتى على الناحية السياسية فيها ، فدعا لعقد مجمع ديني عام في كونستانسيا ، واسـتطاع أن يجلـب الموافقة على عقد هذا المؤتمر من البابا المنتخب في مجمع بيزة حنا الثالث والعشرين ، وبابا روما جريجوري الثـاني عشر فانعقد هذا المجمع المسكوني الذي يعتبر رقمه السادس عشر من المجامع العامة بل هو من اعظم هـذه المجـامع وأخطرها ليس في العصور القديمة فقط وإنما في تاريخ النصرانية في العالم الغربي والذي بداء في كانون الأول عام (١٤١٤ م) واستمر أربعة أعوام وشارك في أعماله : خمسة بطاركة ، وثلاثون كاردينالاً ، وثلاثة وثلاثون مـن رؤساء الأساقفة ، ومائة وخمسون أسقفاً ، ومائة وخمسون من رؤساء الأديرة ، وثلاثمائة من حملة الـدكتوراه في اللاهوت ، وخمسة آلاف من الرهبان ، وثلاثة عشر ألفاً من القسس ، ومائة وخمسون من الأمراء والكونتات ، وواحد وسبعون باروناً ، وألف وخمسمائة من الفرسان ، وألفا ممثل عن سبع وثلاثين جامعة . ولم يكن مناقـشة هذا الانشقاق بالأمر الهين عليهم فاستمرت المناقشات لمدة طويلة لوجود تيارات معارضة وبدأ البت الفعلي وبصورة جدية في موضوع الانشقاق في أوائل سنة (١٤١٥ م) فأدين في هذا المجمع العام بابا بيزة حنا الثالث والعـشرون وعزل عن منصبه سنة (١٤١٥م) أما بابا روما جريجوري الثاني عشر فقد اختار اسلم الطرق وأشـرفها فاسـتقال من منصبه وبهذا لم يبق سوى بابا افينون بندكت الثالث عشر الذي أظهر تمسكاً بوظيفته بعد أن زال منافساه من طريقه ، ولكن المجمع عزله سنة (١٤١٧ م) وانتخب المجمع الكاردينال الإيطالي كولونا الذي اختار لنفسه اسـم (مارتن الخامس) (١٤١٧ — ١٤٣١ م) وأعيد إلى روما كرسي البابوية .

=

فقد سبّب هذا الانشقاق الديني انهيار المركز البابوي ، فأصبحت سلطة البابا المستمدة في اعتقاد كثير من النصارى من سلطة القديس بطرس كبير حواريي المسيح عيسى ـ عليه السلام ـ موضع جدل ونقاش وشكوك اجتاحت النصارى في العالم الغربي، حيث أنّ كلاً منهم كان يلقي الحرم الكنسي على الآخر ، ولهذا ظهر بعض المفكرين المعاصرين لتلك الأحداث من نادى بوجوب إعادة النظر في حقيقة منصب البابوية وأهمية البابا ومصدر سلطته ، وأنّ التنظيم الكنسي وعلى رأسهم البابا إنما هو من صنع البشر ، وهذا يُبيّن أنّ البابوية مرت بظروف دقيقة أفقدتها هيبتها وعظمتها القوية في قلوب أتباعها في الغرب الأوروبي [1] .

السبب الرابع : عدم اهتمام بعض الباباوات والقسس و مسؤلي الكهنوت بالأمور الكنسية الروحية وانصرافهم عنها بأمور الدنيا من جمع الأموال وامتلاك الأراضي ، والبحث عن الجاه والمنصب ، مع فساد بعضهم الأخلاقي .

فالجشع والظلم وحب الترف سيطرت على رجال الكنيسة ، فكان همّهم في الدرجة الأولى السهر على مصالحهم الدنيويّة واستيفاء الرسوم العائدة لهم وتحصيل النذور ، يتنافسون في الوجاهة والعظمة مع الملوك وأعرق الأمراء وأكبر الإقطاعيين ، أمّا الفتور الديني فكان الطابع الأعمّ لأغلبهم ، وبرز الانحطاط الخلقي والروحي أكثر ما برز في النصف الثاني من القرن الخامس عشر، والنصف الأوّل من القرن السادس عشر، فاصبحت

= وبهذا انتهى الانشقاق الذي طوح بمركز البابوية في قلوب وعقول النصارى في العالم الغربي اجمع .

انظر : أوروبا والمسيحية ٣ / ٧٢-٧٩ ، ١١١ — ١١٣ ، يان دويرا تشينسكي ، أوروبا والعصور الوسطى ، الجزء الأول ، التاريخ السياسي ، ص ٥١٤ — ٥١٩ ، د . سعيد عاشور ، موسوعة تاريخ العالم ، ٣ / ٧٧٨ — ٧٨١ ، وليام لانجر ، تاريخ الكنيسة ، ٤ / ٣٢ — ٣٤ ، د. القس جون لوريمر ، إضمحلال الأمبراطورية الرومانية وسقوطها، ٣/٢٩١،٢٩٠ ، إدوارد جيبون، دليل إلى قراءة الكنيسة، ص٢١٠ــ ٢١١، الآب جان كُمبي ، مختصر تاريخ الكنيسة ، ص ٣٩٩ ــ ٤٠١ ، ادرو ملر .

[1]) أوروبا العصور الوسطى ، الجزء الأول ، التاريخ السياسي ، ص ٥١٦ ، د . سعيد عبد الفتاح عاشور ، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا ، ص ٨٨ ، د . عبد الحميد البطريق ، و د. عبد العزيز نوار ، أوروبا والمسيحية ، ٣ / ٧٦ ، يان دوبراتشينسكي ، ترجمة د . كيرو لحلو ، مختصر تاريخ الكنيسة ص ٣٩٩ ، اندرو ملر .

حياة رجال الكنيسة فاسدة، وعاراً على دينهم ، فأديرتهم وأماكن عباداتهم أصبحت عشاً للخرافة والجهل ، وأوكاراً للفجور والفسق والإباحيّة ، فزرعوا الشك والتشكك في نفوس اتباعهم من النصارى الغربيين [1] .

وفي الوقت الذين كان فيه كثير من البابوات يدفعون المبالغ الطائلة لازدهار النهضة الفنية وتشجيع كبار الفنانين على اتخاذ روما محراباً لفنونهم ، ومن أشهرهم البابا يوليوس الثاني (٣١ تشرين الأوّل ١٥٠٣ – ٢١ شباط ١٥١٣م) ، والبابا لاون العاشر (١١ آذار ١٥١٣ – ١٦ آذار ١٥٢١م) [2]، فإن الجماهير ترزح تحت أثقال الكنيسة وأعبائها المالية المرهقة ، وكان الملوك والأباطرة ورجال الدين الصغار يحسون بذلك أيضاً ويتحينون الفرصة لإعلان احتجاجهم ، ومن الذين تضجروا من ذلك ، وأعلنوا احتجاجهم الملك لويس التاسع ملك فرنسا ، الذي كتب إلى البابا رسالة احتجاجية خطيرة ((بالنسبة لعصرها)) قال فيها : ((أن الذي يشتد في إدرار الأضراع لابد أن يصيب الدم حلماتها)) [3] .

ولعل أسوأ مظهر من مظاهر ابتزاز الأموال هو التوسع في بيع صكوك الغفران مما أثار المعارضة والجدل[4] .

يقول الكاتب الكاثوليكي المعاصر، دايفيد نولز : ((كانت بابوية دنيوية، كانت مركزاً لبلاط غني، عالمي، فاسد، وعاجز عن تقديم قيادة روحية فعّالة وإرشادات

---

[1]) مختصر تاريخ الكنيسة ، ص ٣٦٣ – ٣٦٤ ، اندرو ملر ، تاريخ الكنيسة، ٣٥/٤، د . القس جون لوريمر، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا ، ص ٨٨ ، د . عبد الحميد البطريق و د . عبد العزيز نوار ، أوروبا العصور الوسطى ، الجزء الأول ، التاريخ السياسي ، ص ٥٢٠ ، د . سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ الحضارات العام ، الجزء الرابع (القرنان السادس عشر و السابع عشر) ، ص ٧٠ ، رولان موسنييه ، إشراف : موريس كروزيه .

[2]) التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا ، ص ٣٥ ، ٣٦ ، د . عبد الحميد البطريق و د . عبد العزيز نوار ، الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٣٧٥ .

[3]) العلمانية ص ١٤٣ ، د . سفر بن عبد الرحمن الحوالي .

[4]) التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا ، ص ٩٣ ، د . عبد الحميد البطريق و د . عبد العزيز نوار .

للكنيسة، وحقاً كان هذا البلاط يغوص منحدراً إلى أدنى درك في القيم الأخلاقية))[١].

كما أن الفساد الأخلاقي لبعض رجال الكنيسة ، ومنهم بعض البابوات زاد مركز البابوية انهياراً وسقوطاً في قلوب الناس في العالم الغربي « و ((يسجل التاريخ عدداً كبيراً من البابوات الذين قضوا حياتهم منهمكين في الفواحش والرذائل ، أو أنهم غضوا الطرف عن مغامرات الكرادلة والأعوان الكبار الجنسية))[٢] .

فمثلاً كان البابا بندكت التاسع ، والذي اعتلى الكرسي البابوي سنة ١٠٣٢م ، من أسبق البابوات فسقاً ، حتى إن البابا المتأخر عنه فكتور الثاني « والذي اعتلى الكرسي البابوي سنة ١٠٥٥ م ، يقول شاهداً على أخلاقه السيئة : ((كانت مخيفة جداً وإنني أرتعش بمجرد ذكرها)) » وهذا البابا انوسنت (إنوشنتيوس) الثامن (٢٩ آب ١٤٨٤ ــ ٢٥ تموز ١٤٩٢م) قد أنجب ولدين من عشيقة له لم يتزوجها ، كما أنه في وقت ولايته البابويّة كان يغض الطرف عن كثير من كرادلته المشهورين بالفسق والفجور ، ومن أبرز البابوات المشهورين بالمفاسد والرذائل البابا اسكندر السادس ، الذي اعتلى الكرسي البابوي سنة ١٤٩٢م، كان له خمسة من الأبناء عن طريق علاقاته المُحرّمة، أربعة ذكور، ومكّن أحدهم ويُدعى (سيزر) من منصب كنسي ، وابنه واحده مشهورة بالفساد والانحلال ، وهذا البابا لاوون العاشر (١١ آذار ١٥١٣ ــ ١ كانون الأوّل ١٥٢١م)، متهم بارتكاب فاحشة اللواط ، و كذلك البابا بولس الثالث (١٣ تشرين الأوّل ١٥٣٤ ــ ١٠ تشرين الثاني ١٥٤٩ م) كان مشهوراً بعلاقاته النسائيّة المحرَّمة ، وكان له أولاد من تلك العلاقات [٣].

((ومن يدقق في السجلات الرسمية والصكوك والوثائق الكنسية ، تَعتريه الدهشة لكثرة ما تقع منه العين على الدعاوى والقضايا المقامة على رجال الدين لأخلاقهم الفاسدة وتصرفاتهم السيئة . فالسكر والعربدة يأتي في مقدمة هذه الموبقات ... وكم من الأحكام صدرت على كهنة أو رجال من الاكليروس لاستخدامهم فتيات أو شابات مشكوك

---

[١]) تاريخ الكنيسة ، ٤ / ٣٥ » د . القس جون لوريمر .

[٢]) المسيحية (النصرانيّة) ، ص ٣٥٩ » ساجد مير .

[٣]) المرجع السابق ص ٣٥٩ — ٣٦٨ ، ساجد مير .

بفضائلهن))[1] .

السبب الخامس : افتقاد البابوية لحليف قوي من الملوك يدافع عنها وتحتمي تحت مظلته كما حصل من قبل ابتداءً من عهد قسطنطين الكبير إلى باقي الأباطرة والملوك وعلى رأسهم شارلمان العظيم ، والذين كانوا حلفاء أوفياء للبابويّة .

والسبب الأكبر لافتقاد البابوية لهذا الحليف القوي من الملوك ؛ طغيانها وتسلطها عليهم أيام عزها ومجدها ، فقد عملت على إذلال بعضهم أمام شعبه ـــ كما مر ذكر بعض المواقف في صفحات سابقة ـــ مما جعل هؤلاء الملوك والأمراء يتخلون عنها ، ويناصرون بعضهم البعض ضدها ، بل ويعملون ابتداءً على إذلال البابوية كلما سنحت الفرصة لهم بذلك .

وكان أول ملك استطاع أن ينجح في مواجهته ضد البابوية هو ملك فرنسا فيليب الرابع (١٢٨٥ – ١٣١٤ م) ، وكان هذا الصراع أمام أعين ملوك أوروبا ، وكان بعضهم أقوياء كملك إنجلترا إدوارد الأول ، ولكن لم يشاءوا أن يتدخلوا فيه لمصلحة البابا طمعاً منهم في أن تنكسر شوكة البابوية المتسلطة منذ زمن قديم ، ولم يشاءوا أيضاً أن يتدخلوا فيه لمصلحة ملك فرنسا خوفا على سمعتهم أمام شعوبهم النصرانية ، فكانت النتيجة أن هُزمت البابويّة ، وخضعت ليس لملك فرنسا بل ولباقي ملوك القارة الأوربيّة في كل مواجهاتها، فليس لها من يحميها من هؤلاء الملوك المعاندين، حتى قرارات الحرمان الكنسي التي كانت تصدرها لم تنفع شيئاً معهم، والسبب في ذلك أنها صادرة من بابويّة ضعيفة، ليست تلك البابويّة التي كانت في أيّام عزّها ومجدها، لدرجة أن بعض البابوات وصلوا إلى مرحلة كبيرة من الانهزام الداخلي، فسلّم بعضهم أمر إدارة الكنيسة إلى الملوك أصحاب السلطات الزمنية الحقيقية [2].

---

[1]) تاريخ الحضارات العام ، الجزء الرابع (القرنان السادس عشر و السابع عشر) ، ص ٧١ ، رولان موسنييه، إشراف : موريس كروزيه .

[2]) التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، ص٦٣، د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، والتاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا، ص٩٢، د. عبد الحميد البطريق، ود. عبد العزيز نوار، وأوروبا العصور الوسطى، الجزء الأول، التاريخ السياسي،ص ٥٨٨، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، وتاريخ عصر النهضة الأوروبية، ص١٩٦، د. نور الدين حاطوم.

فالإمبراطورية الرومانية المقدسة ، والتي انحصرت في المانيا فقط ــ قد كان وضعها في عصر النهضة من أسوأ أوضاع الدول الأوروبية ــ قد قطعت كل علاقة فيما بينها وبين البابوية عندما اصدر الإمبراطور شارل الرابع سنة ١٣٥٦ مرسومه الذهبي حيث ألغى كل حق للبابوية في انتخاب الإمبراطور وأن هذا الانتخاب مسألة داخلية للأمة الألمانية ليس للبابوية أو غيرها حق فيه ، وبهذا انقطع آخر الخيوط التي كانت تقيد الإمبراطورية بإرادة البابوية [١].

وفي فرنسا أصدر الملك شارل السابع في عام ١٤٣٨م مرسوماً ملكياً ألغى فيه سلطة البابا على شؤون الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية . وبدأ هو ومن خلفه من الملوك يصدرون الأوامر بتعيين الأساقفة وغيرهم من رجال الكنيسة في بلادهم .

وفي أسبانيا ، في عهد فردناند وايزابيلا أصبح من حق التاج تعيين رجال الكنيسة ، وقد صدر أول مرسوم بذلك في عام ١٤٤٢ م ، وصدرت الأوامر بتحريم استئناف الأحكام التي تصدرها المحاكم الدينية في أسبانيا أمام المحكمة العليا في روما [٢].

وقد حدث حادث خطير مهين قضى على البقية الباقية لمكانة البابوية في العالم الغربي ، وهو انه في عام ١٥٢٧م عندما كان الجيش الأسباني المحاصر لإيطاليا قد تأخر عليه صرف رواتبه من الحكومة الإسبانية فما كان منه إلا أن هجم على روما وأسر البابا كلمنت السابع (١٥٢٣ — ١٥٣٤م) ، فتعرضت روما بذلك لأقسى ما عرفته في تاريخها من سلب ونهب [٣].

وهذا نابليون بونابرت الملك الفرنسي ، وقبل أن يتصادق مع البابوية قام في عام ١٧٩٧ م بغزو إيطاليا واقتحم روما وذلّ البابوية في عقر دارها ، فابتز المال والأسلاب من

---

[١]) سمي هذا المرسوم بالمرسوم الذهبي لان الخاتم الذي ختم به حفظ بعد ذلك في صندوق من الذهب .
انظر : أوروبا العصور الوسطى ، الجزء الأول ، التاريخ السياسي ، ص ٥٩٢ – ٥٩٣ ، د . سعيد عبد الفتاح عاشور .

[٢]) التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا ، ص ٩٢ ، د . عبد الحميد البطريق ، و د . عبد العزيز نوار .

[٣]) التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا ، ص ٧٥ ، د . عبد الحميد البطريق ، و د . عبد العزيز نوار ، موسوعة تاريخ العالم ٤ / ١٠٦٢ ، وليام لانجر .

الفاتيكان ، وأجبر البابوية أن تتنازل عن كل قطعة ارض أخذتها من فرنسا وعلى رأسها مدينة افينون ، بل واستطاع أن يسيطر على كثير من أراضي البابوية حول إيطاليا وبعض المناطق المجاورة كجنوة، وجمهورية الألب الشمالية، وهما من أنفس الأقاليم والمقاطعات البابوية، ومنح لكل منها دستوراً على غرار الدستور الفرنسي وحصنت كقلاع أمامية للجمهورية الفرنسية [1] .

وفي نهاية المطاف جاء دور الدولة القومية الإيطالية التي ألغت تماماً أي تدخل للبابوية في الشئون الإيطالية ، وذلك في عام ١٩٢٩م في معاهدة لاتيران حيث أصبحت البابوية فقط مسئولة عن ((دولة الفاتيكان)) التي لا تتعدى مساحتها (١١٠ افدنة) داخل مدينة روما ، وألغت حق البابوية من الاشتراك في المؤتمرات السياسية الدولية أو إبرام معاهدة تحالف مع الدول الأخرى .

السبب السادس : ظهور حركات نصرانية معادية للبابويّة ومراتبها الكنسيّة (الإكليروسيّة) ، وعلى رأس هذه الحركات تأثيراً على مكانة البابويّة ، الحركة البروتستانتيّة .

من أوائل هذه الحركات المُعادية للبابويّة ، حركة تسمى بـ(الوالدنسيين) ظهرت في جنوب فرنسا في نهاية القرن الثاني عشر، حوالي سنة ١١٧٧م، زعيمها يُدعى ((بطرس والدو)) ، فقد هاجم رجال الدين الكاثوليكي وما أصبحوا فيه من ثروة وترف مما يتعارض مع رسالة القديسين وتعاليم النصرانية ، و أعلن أن فعل الطقوس الدينية لا تحتاج إلى وساطة رجال الكنيسة ، فأثارت حركته بذلك في وجه البابوية مشاكل كثيرة لا حصر لها، لأن هذه الحركة انتقلت في أكثر من مكان في العالم الغربي ، بل أنّها وصلت إلى شمال إيطاليا ، قرب مقر البابوية [2].

ثم إن تدهور مركز البابوية السياسي (الزمني) منذ القرن الرابع عشر زاد من نمو

---

[1]) تاريخ أوروبا في العصر الحديث (١٧٨٩ – ١٩٥٠م)، ص٤٩ هـ . أ . ل . فشر، تعريب : احمد نجيب هاشم ، وديع الضبع .

[2]) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ص ٢٢٢ – ٢٢٣ ، د . سعيد عبد الفتاح عاشور .

الحركات المعادية لها ، وازدياد عدد اتباعها[١] .

وكان من أخطر الحركات والتي أضعفت من مكانة البابوية في العالم الغربي تلك التي قام بها الإنجليزي يوحنّا (جون) ويكليف (١٣٢٨ – ١٣٨٤م، دارس علم اللاّهـوت في جامعة أكسفورد)، فقد وقف وقفة شديدة ضد البابوية ونظامها الاكليروسي وتسلطها، و ممّا ساعده في ذلك أنّ دولته إنجلترا كانت تكره البابوية لما وجدته منها من مذلة وخزي في سقوط ملكها يوحنا أخو ريتشارد قلب الأسد (١١٩٩ – ١٢١٦ م) على وجهه عند أقدام كاهن أجنبي – أي غير انجليزي – وهو البابا انوسنت الثالث ، فسرت بذلك روح عدائية نحو البابويّة في كل طبقات الأمة الإنجليزية .

ثُم أنّه أقنع الملك الإنجليزي إدوارد الثالث في عام ١٣٦٦ م ، بعدم دفع الجزية التي كانت مقررة على إنجلترا للبابوية ، وفي عام ١٣٧٤ م اقنع البرلمان الإنجليزي بأن هناك مساوئ كبيرة في السماح للبابوية بالاحتفاظ بحق التعيين في الوظائف في كنيسة إنجلترا ، هذه المساوئ عائدة على الحكومة والكنيسة الوطنية نفسها ، ومن أخطرها ضعف الولاء للوطن .

وفي نهاية جهوده في تحطيم مكانة البابوية في إنجلترا أنه استغل انقسام البابوية – بابا في روما وآخر في افينون – ونادى من مكانه في كنيسة إنجلترا أنهما لا يصلحان أن يكونا خليفة المسيح وحكم عليهم بأنهما ضدان للمسيح ، ولاقى هذا الحكم عطفاً كبيراً من جانب شعب إنجلترا ، وبهذا قضى يوحنا ويكليف على البقية الباقية من مكانة البابوية في إنجلترا ، خاصة أنها جاءت من رجل دين ذي مكانة عالية في كنيسة إنجلترا[٢] .

وقد تبنا الدكتور يوحنا هس (١٣٧٣ – ١٤١٥م) من جامعة براغ في دولة بوهيميا (شوسلفاكيا) آراء يوحنّا ويكليف في البابوية ، ونادى بها ، ونجح في ذلك نجاحاً كبيراً ، فأصبحت دولة بوهيميا وكنائسها في النصف الثاني من القرن الخامس عشر منفصلة تماماً

---

[١]) أوروبا العصور الوسطى ، الجزء الأول ، التاريخ السياسي ، ص ٥٢١ ، د . سعيد عبد الفتاح عاشور .

[٢]) مختصر تاريخ الكنيسة ، ص ٣٨٧ – ٣٩١ ، اندرو ملر ، تاريخ الكنيسة ، ٤ / ٥١ – ٥٣ ، الدكتور القس جون لوريمر ، ترجمة : عزرا مرجان ، أوروبا العصور الوسطى ، الجزء الأول : التاريخ السياسي ، ص ٥٢٢ – ٥٢٥ ، د . سعيد عبد الفتاح عاشور .

عن البابوية [1]

ثم قام رجل يُدعى آرازمس الروتردامي (١٤٦٦ — ١٥٣٦ م) من روتردام الهولندية بمعارضة البابوية ، فقد قضى سنوات طويلة في أحد الأديرة هناك ثم انتقل إلى فرنسا وإنجلترا وإيطاليا وألمانيا ، وسعى إلى تأليب الرأي العام ضد البابوية وما فيها من مفاسد ، واتهمها بالجشع وحب المال وإشعال الحروب بين دول أوروبا حتى تتزعمها جميعاً، واتهمها أيضاً بإهمال الروح والفكر الحر، وقام بترجمة للكتاب المقدس، وقد قيل : أنّه كان لهذه الترجمة أثرها في تخليص الفكر الديني الأوروبي من سيطرة البابوية ورجالاتها في الكنائس ، لذلك يعتبر المؤرخون حركته حلقة اتصال بين حركة النهضة وحركة الإصلاح الديني في أوروبا [2] .

ثم قامت الحركة الكبرى المضادة للبابوية وللطائفتها الكاثوليكية والتي سُمّيت بالبروتستنتية ، أي المحتجة ، ويسميها إتباعها بحركة (الإصلاح الديني) ، والتي ابتدأت على يد مارتن لوثر (١٤٨٣ — ١٥٤٦م) في ألمانيا ، وجون كلفن (١٥٠٩— ١٥٦٤م) في سويسرا ، والتي كان لها الدور الواضح والقوي في إضعاف سلطة البابويّة الروحيّة في العالم الغربي ، وتمزيق وحدة الكنيسة الكاثوليكيّة ، حتى قيل : ((أنّها توقفت أن تكون كنيسة المسيح في الأرض)) [3] .

يقول الأب جان كمبي : ((قام في مطلع السادس عشر ، اناس صمّموا على الشروع في إصلاح الكنيسة . ولكن ، على اثر سوء التفاهم وأعمال العنف المتبادلة بين الطرفين ، أدى ذلك الإصلاح ، مع الأسف إلى تمزق الكنيسة الغربية ، وفي أواخر القرن السادس

---

[1]) مختصر تاريخ الكنيسة ، ص ٣٩٩ — ٤٠٧ ، اندرو ملر ، تاريخ الكنيسة ، ٤ / ٥٥ — ٦٠ ، الدكتور القس جون لوريمر ، أوروبا العصور الوسطى ، الجزء الأول : التاريخ السياسي ، ص ٥٢٥ — ٥٢٩ ، د . سعيد عبد الفتاح عاشور .

[2]) موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر ، القسم الثاني من الجزء الأول ، ص ٤٢٣ ، د . مفيد الزيدي ، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا ، ص ٨٩ ، . عبد الحميد البطريق ، و د . عبد العزيز نوار .

[3]) تاريخ الكنيسة ، ٤ / ٣٣٨ ، د . القس جون لوريمر ، ترجمة عزرا مرجان .

عشر، ظهرت ملامح جديدة لجغرافية دينية ما زالت قائمة إلى أيامنا)) [١] .

السبب السابع : تغيّر العقلية الأوروبية والمجمع الأوروبي عما كان عليه في العصور الوسطى ، خاصة اهتمامه بالناحية الدنيوية ، فكان هذا التغيّر في مجالات عديدة في الحياة الأوروبية . أهمها ما حصل في المجال السياسي ، ومجال الفكر والثقافة .

ففي مجال السياسة ظهرت دول غربيّة تتطلع إلى الاستقلال التام بذواتها رافضة أي تبعية لغيرها لا دينية ولا دنيوية، فاتخذت ملامح الدول العصريّة بالمعنى الشائع في أيامنا: فهناك العاهل القوي، والمالية، والجيش، فوطدت الملوك سلطتهم في جميع المجالات، ومنها المجال الديني فانتزعوا حق تعيين جميع الأساقفة ورؤساء الأديرة، كما أنّهم سعوا أن يكون صالح الدولة يبدو أكثر أهمية من صالح الكنيسة، في اعتقاد شعوبهم، وأنّ واجب الفرد نحو دولته ووطنه ينبغي أن يسبق واجبه نحو كنيسته [٢] .

وعلى إثر ذلك قامت ثورات وطنية تمردية مقاومة لسلطة البابوية ، وكنائسها ورجالها ، ومن أعنف هذه الثورات في ذلك الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م ، فكانت ثورة جمعت بين السلاح والفكر [٣].

---

[١]) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، الأب جان كمبي ، ص ٢٢٣ .

[٢]) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص ٢٢٣ – ٢٢٤ ، الأب جان كمبي ، وأوروبا العصور الوسطى ، الجزء الأول ، التاريخ السياسي ، ص ٥١٠ ، د . سعيد عبد الفتاح عاشور .

[٣]) الثورة الفرنسية : حدث تاريخي هام في حياة أوروبا المسيحية. نبذت من خلاله الدين وفصلته عن الحياة وأظهرت العلمانية. تضافرت عدة عوامل على حدوث هذه الثورة :
١- فساد دين الكنيسة وهيمنته على جميع مرافق الحياة. فلا يستطيع الأوربي أن يفكر إلا بما يلقنه إياه رجال الدين. ولا يفكر إلا بما يسمح له رجال الدين أن يفكر فيه ، وعلى النحو الذي يسمحون له به. ولا يتعلم إلا بما يسمح له رجال الدين بتعلمه. ولرجال الدين فوق ذلك نفوذ على أموال كل الأوربيين وعلى أجسادهم وأرواحهم ، فكانت الكنيسة قائمة على نظام الاسترقاق الإقطاعي ؛ فهو أبشع وأظلم النظم الاجتماعية في التاريخ. فما كان من الأحرار الأوربيين إلا أن يعتقدوا أنه يجب عليهم أن ينسلخوا من هذا الدين الباطل المهيمن على العقول والجيوب والأرواح إن أرادوا أن يتقدموا ويتحضروا ويعيشوا ؛ خاصة وأنهم يرون من حولهم وعلى مقربةٍ منهم ؛ دين آخر يقدم المنهج الصحيح للحياة الدنيا ((الدين الإسلامي الخاتم)). دين يعمل للآخرة من خلال العمل في الدنيا ، بإقامة المنهج الرباني الذي يأمر بالعدل والقسط ، فتتنور به القلوب والعقول والأرواح. ولكن أوروبا –بدافع العصبية الصليبية– أعرضت عن هذا الدين واتجهت إلى الجاهلية الإغريقية والرومانية ، تنتقم بها من الكنيسة ودينها الفاسد. =

((وفي زمن الثورة الفرنسية بدت البابوية ضعيفة منهوكة كما بدت كأنما هي غير ضرورية للمجتمع))[١] .

وكانت الثورة الفرنسيّة سبباً مهماً في انتشار الثورات على البابويّة وكنائسها في كُلِّ أوروبا ، يقول الآب جان كمبي : ((بعد تصدّعات الثورة الفرنسية ، قام عالَم جديد خارج أسوار الكنيسة : انه مجتمع الصناعة والمدينة ، عالَم التّيارات الفلسفية الحديثة ، عالم

-٢- انتشار الفكر اللاديني ومدارسه المختلفة، التي تؤدي جميعها إلى تقويض الدين واجتثاث مبادئه من النفوس. ومن أشهرها :

أ ــ مدرسة ذات طابع علمي عام. وأبرز الأمثلة عليها الكتاب الموسوعيون الذين كتبوا دائرة المعارف بزعامة ((ديدرو))، فهم كما يقول عنهم ويلز ((يناصبون الأديان عداوة عمياء)) .

ب ــ مدرسة ذات طابع اجتماعي وسياسي. ويرأس هذا الاتجاه ((روسو)) صاحب كتاب ((العقد الاجتماعي)) الذي أطلق عليه ((إنجيل الثورة الفرنسية)) و ((مونتسكيو)) صاحب ((روح القوانين)).

ج ــ مدرسة ذات طابع فلسفي هدام. فهم ينادون بفصل الدين عن الدولة ، وكانت فكرتهم اللادينية أوسع مما تصوره ((ميكافيلي)) ، فالدين عندهم يجب أن يلغى ليحل محله ((الدين الطبيعي أو القانون الطبيعي)). ومن أكثر الرواد لهذه الفكرة العلمانية واعتبارها منهج للحياة ؛ هو : الفيلسوف اليهودي ((سبينوزا)) ، وورثها عنه ((فولتير)) ومن بعدهم الألماني((كانت)) خاصة في كتابه ((الدين في حدود العقل وحده)).

٣- القوى الشيطانية الخفية ((اليهود)). استغل اليهود احتياج الشعوب الأوروبية للمال للوقوف أمام سلطان الكنيسة. فتغلغل المال اليهودي في منظمات الثورات الأوروبية ، وخاصة في منظمات الثورة الفرنسية المختلفة كالجمعية التأسيسية ونادي اليعاقبة وبلدية باريس ، وأن ينفثوا تلك الشعارات التي رددها الجماهير ببلاهة لا سيما الشعار اليهودي البارز للثورة ((الحرية والإخاء والمساواة)). حصل هذا العبث اليهودي للثورة ؛ لا لأن اليهود دبروا الأحداث -كما يزعمون في البروتوكولات- ولا لأن تراكم التخطيط عبر القرون قد آتى ثماره آخر الأمر كما يرى أمثال وليم كار في كتابه ((أحجار على رقعة الشطرنج)) وسيبريدوفيتش في كتابه ((حكومة العالم الخفية))... ولكن لأن أوروبا هي التي استخمرت نفسها أمامهم.

وبهذا تمخضت الثورة الفرنسية على نتائج بالغة الأهمية ، فقد ولدت لأول مرة في تاريخ أوروبا المسيحية دولة جمهورية لا دينية تقوم فلسفتها على الحكم باسم الشعب ((وليس باسم الله))، وعلى حرية التدين بدلاً من الكثلكة، وعلى الحرية الشخصية بدلاً من التقيد بالأخلاق الدينية، وعلى دستور وضعي بدلاً من أحكام الكنيسة. وكانت هذه الثورة فاتحة عصر جديد في التاريخ الأوروبي ، إذ توالت بعدها الثورات كالبراكين في أنحاء القارة الأوروبية.

انظر : العلمانية ص ١٦٥-١٧٦ د. سفر عبدالرحمن الحوالي، ومذاهب فكرية معاصرة ص ٧٩-٩٢، ٤٤٥-٤٦١ للشيخ محمد قطب، وموسوعة السياسة ١ / ٩١٣ د. عبدالوهاب الكيالي ، وأحجار على رقعة الشطرنج ص ٧٥-١٠١ وليام غاي كار.

[١]) موسوعة تاريخ العالم ، ٤ / ١٢١٩ ، وليام لانجر .

العلوم الطبيعية والتاريخية ، راح هذا العالم الغريب عن الكنيسة يُحارب تقاليد تنقلها الكنيسة منذ عصور))[١] .

وكذلك الثورة الوطنيّة في إيطاليا عام ١٨٦٠م ، فقد أثّرت على سلطة البابويّة في إيطاليا نفسها [٢] .

وفي مجال الفكر والثقافة ، فقد ظهرت نظريات علمية وآراء فلسفية ، وتدفقت علوم جديدة احتضنتها جامعات أوروبا الناشئة في ذلك الوقت . وعلى اثر هذا ظهرت روح النقد فتناولت كل الأنظمة التي اعتادها الشعوب الغربيّة ، وفي مقدمتها الأنظمة الدينية ، فتسلط المفكرون على نظام الكنيسة فبدؤوا يتعرضون لمبادئ النصرانيّة، ومناقشة عقائدها، فقام بعض الفلاسفة يناقشون الكنيسة في بعض العقائد التي تعتبرها أساس الديانة، فصرّحوا أن الكنيسة إنّما تطلب من العقل فوق ما يتحمل ، فمثلاً ، فكيف استطاع آدم ، الكائن المحدود ، أن يهين الله إهانة غير محدودة ؟ كيف يمكن التصديق أن الجنس البشري بكليته اصبح مذنباً بفعل خطيئة الإنسان الأولى ؟ كيف يمكن للطفل الذي يخلق اليوم أن يكون مسؤولاً عن خطيئة أُرتكبت قبله بآلاف السنين ؟ كيف يمكن تصوّر اله واحد في ثلاثة اقانيم ؟ واله يتحسد ؟ وإنسان يقوم من بين الأموات ؟ وكذلك سخروا بالكتب المقدسة وبرواياتها الغريبة ، الجارحة ، البعيدة الفهم والتصديق ، كما أنّهم أخذوا على تعاليم الكنيسة أنها تعارض الطبيعة وتؤدي بالإنسان إلى الفقر وتعذيب النفس وترك العمل المثمر، ونسبوا إليها تصرّفات غير إنسانيّة، فالنصرانيّ يبتهج بوفاة ولده بقصد أنّه يربح السعادة الأزلية، ويترك قريبه يموت بدون أية مساعدة حتى لا يتغيب عن حضور القُدّاس، واتهموها بإلحاق الضرر بالمجتمع ، فالأديرة ملاجئ للكسالى تحرم الدولة من الفلاحين والصناعيين والتجار ، والبتولية الكنسية تمنع تكاثر البشر وتحرم الجسم الاجتماعي من المنتجين والمستهلكين والجنود ، وإرسال المال إلى البابا يفقر الأمة ، والكنسيون يعفون من الضرائب في حال أنهم يمتلكون أراضي واسعة الأطراف فيحرمون الدولة من موارد وفيره ،

---

[١]) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص ٣٣٩ ، الأب جان كمبي .

[٢]) تاريخ أوروبا في العصر الحديث (١٧٨٩ — ١٩٥٠ م) ، ص ١٠ ، ٢٤٥ ، هـ . أ . ل . فيشر .

كما أن آراء الكنيسة الدينية عندهم تُقسم المواطنين ، فتضعف الدولة بهذه الخلافات الدينيّة ، ثُمّ أنّ تاريخ الكنيسة عندهم ليس سوى سلسلة طويلة من الاضطرابات والحروب ، وسفك الدماء .

وغيرها من المناقشات و الأُطروحات التي وُجهت للبابويّة وكنائسها ، وكانت النتيجة الحتميّة أنّها فقدت اعتبارها بفعل هذه المجادلات الكبيرة ، و التي عالجت أدق عقائد الإيمان في الساحات العامة ؛ فحمل ذلك الناس حتى أعمقهم جهلاً على إصدار حكمه فيها [1] .

وبسبب هذه التغيّرات في العقليّة الأوربيّة الغربية ، وموقفها من البابويّة ، وكنائسها الكاثوليكيّة في العالم الغربي ، حصل التغيّر المنتظر في علاقتهما ، وهذا ما صرّح به البابا بيوس الثاني عشر (٢ آذار ١٩٣٩ــ ٩ تشرين الأوّل ١٩٥٨م) ، عندما قال : ((... ما يُسمّى بالغرب أو العالم الغربي تعرّض إلى تغيّرات عميقة ، فالعقلانيّة والليبراليّة قادتا إلى دولة القرن التاسع عشر ، إلى سياسة تقوم على القوة وإلى الحضارة العلمانيّة . والتغيّر فيما يخص العلاقة بين الغرب والكنيسة الكاثوليكيّة أصبح حتمياً)) [2] .

وبعد هذه الزلازل التي واجهتا البابوية في العالم الغربي وأسقطتها من عليائها ، منذ عهد قسطنطين الكبير في القرن الرابع إلى القرن الرابع عشر الميلادي ، انكفأت البابوية على ذاتها واكتفت في العهود المتأخرة بالإشراف على جزء من نصارى العالم ينتسبون إليها يُسمون بالكاثولكيين .

---

[1]) التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر ، ص ٧٥ ، د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، تاريخ الحضارات العام ، القرن الثامن عشر ، (عهد الأنوار) ، ٥ / ٩٠ – ٩٢ ، تأليف رولان مومسينيه ، وارنست لابروس ، إشراف موريس كروزيه .

[2]) الإسلام والمسيحيّة (من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم) ، ص ١٣١ ، أليكسي جورافسكي ، ترجمة الدكتور خلف محمد الجراد .

الباب الثاني : أشهر الفرق والكنائس والمنظمات التابعة للطائفة الكاثوليكية .

يُمكن تقسيم الفرق والكنائس الكاثوليكيّة إلى مجموعتين ، وذلك بحسب وجودها الجغرافي :

المجموعة الأولى: الفرق والكنائس الكاثوليكية الغربية .

المجموعة الثانية : الفرق والكنائس الكاثوليكية الشرقية .

المجموعة الأولى : الفرق والكنائس الكاثوليكية الغربية :

١) فرقة الرهبنة البندكتيّة :

لم يكن هُناك أديرة رهبانيّة منظّمة تابعة للطائفة الكاثوليكيّة في الغرب إلى بداية القرن الخامس الميلادي، حيث لم تتخذ الأديرة هناك شكلاً منظماً إلاّ يوم أن ظهر رجل إيطالي يُدعى (بندكت) في عام ٥٠٠ م فنادى بتكوين فرقة رهبانيّة منظّمة تابعة للكاثوليك ، واختار كهفاً على مقربة من أحد قصور الامبراطور نيرون الخربة قرب روما ، وتبعه جمهور من تلاميذه ومريديه ، وبعد إقامته ثلاث سنوات في ذلك الكهف انتقل إلى جبل كاسينو[1] على مقربة من نابولي الإيطاليّة .

نظّم بندكت قواعد فرقته الرهبانيّة بطريقة جنّبها شدة الرهبانيّات الشرقيّة ، فرتب أن يعيش الرهبان في أسر صغيرة، تخضع كلّ أسرة لرئيس تطيعه وتحترمه، ويبقى الجميع في أديرهم، ولا يتجولّون في الأرض كما كان يفعل الرهبان سابقاً ، على أن يكون كل دير مستقلاً بنفسه .

كانت طريقة أوّل رهبانيّة كاثوليكيّة طريقة ميسورة خالية من الإفراط في القسوة والمشقة ، فكان الرهبان يستيقظون في الثانية صباحاً ، ولكنّهم كانوا يأوون عند مغيب

---

[1]) دير جبل كاسينو هو الدير المشهور الذي دارت حوله معارك عنيفة بين الألمان والحلفاء في الحرب العالميّة الثانية ، وقد اتخذه الألمان حصناً لمناعته ، وتهدّم منه جزء كبير بقنابل المحاربين ومدافعهم . انظر : عشرون قرناً في موكب التاريخ ، ص ٦٢ ، بقلم : حبيب سعيد .

الشمس ، وكانت ثيابهم نظيفة مريحة لائقة، وأباح لهم كل أصناف الطعام العاديّة، ما عدا اللحوم، ولمدة ست أو سبع ساعات في اليوم كانوا يعملون بأيديهم في الحقل والمصنع ، ولمدة ثلاث ساعات يقرؤون ويكتبون ويدرسون سير رهبان سابقين ، وكان أهم فروض الرهبنة البندكتيّة المحافظة على الصلاة والتعبّد ، فكانوا يصلّون معاً ست مرات في اليوم ، ومرة أثناء الليل ، وفي أيام الآحاد يمارسون فريضة الشركة المقدّسة .

مات الراهب بندكت عام ٥٤٣م ، وبعد ست وأربعين سنة من هذا التاريخ أغار البرابرة على إيطاليا ، ففر الرهبان البندكتيون من جبل كاسينو إلى روما يحملون معهم نظامهم وطريقتهم .

وراح أولئك الرهبان يشيّدون الأديرة في كل مكان ، يشيدونها أولاً على نسق منزل ريفي روماني ، تحيط الأبنيّة بالفناء ، وتجاوره حديقة وطاحون ومستشفى ومخبز ، وكان لكل دير كنيسته ، وقاعة للطعام ، ومغاسل ، ومخازن ، ومطبخ[1] .

٢) الفرقة الكلونية :

إنّ محاولات البابويّة للظفر بالسلطة الدنيويّة (الزمنيّة) ، ومنافسة الملوك في ذلك ، وإهمالها للنواحي الروحيّة الدينيّة لأتباعها النصارى كان السبب المباشر في ظهور هذه الفرقة ، وذلك لأجل إقناع رؤساء الكنائس ، وعلى رأسها البابويّة نفسها بالعودة هدفهم الرئيسي ، وهو التعليم الديني والاهتمام بالنواحي الروحيّة[2] .

تأسست هذه الفرقة في فرنسا عام ٩١٠م ، على يد (وليم دوق اكيتانيا) ، على هيئة دير إصلاحي محدود ، ولكن ما لبثت أن تطورت واتسع افقها حتى أخذت تستهدف في القرن الحادي عشر إصلاح الكنيسة إصلاحاً شاملاً[3] .

---

[1]) انظر : عشرون قرناً في موكب التاريخ، ص٦٢ــ ٦٥، بقلم : حبيب سعيد، دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص ١١٣ ــ ١١٥ ، بقلم : الأب جان كُمبي .

[2]) تاريخ العالم ، ٤/٧٥٠ ، جون هامرتن .

[3]) العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى ، ص ١٠٣ ، د. عادل زيتون ، تاريخ العصور الوسطى ، ص ٤٤٩ ، د. السيد الباز العريني .

وقد قام نظام هذه الفرقة على الطاعة المطلقة والتفاني في خدمة المجموع ، فالفرد لا شيء والجماعة هي كل شيء ، كما أنّها بيّنت أن الأمراض الخطيرة التي تعرضت لها الكنيسة حينئذ إنما جاءت وليدة ارتباط الكنيسة بالدولة ، ولذلك نادت بأنّ الفصل بين السلطتين هو العلاج الوحيد الشافي من تلك الأمراض ، ولعل هذا هو السبب في حرص زعمائها على أن يكون نظامها الديري تابعاً للبابوية مباشرةً دون أن يكون للحُكّام العلمانيين أو الأساقفة المحليين حق الإشراف على الأديرة التابعة لها[1] ، ولذلك احتفظت هذه الفرقة باستقلالها التام ، وبقيت مأوى للنصارى الذين اعترضوا على الفساد الأخلاقي من فسق وفجور وأطماع دنيوية الذي اجتاح الكنيسة النصرانيّة[2] .

وقاعدة هذه الفرقة : نذر الفقر ، والطاعة ، والعفة ، وهي فرائض أساسية يجب الأخذ بها عندهم ، كذلك أوجبت على أتباعها كبح جماح الشهوة الحسية ، ويكون ذلك بالصوم والسهاد والجلد بالسياط ، عند الحاجة ، بل وبكل المتاعب التي تهدم الجسد وتنهك قواه ، وهذه لا شك وسائل تعمل على تقطيع كل صلة بين أتباع هذه الفرقة ، وبين حياة العصر ، كما أنّها توجب على أتباعها تطبيق قانون الإحسان إلى الآخرين ، ولذلك وسعوا أعمالهم في البر والإحسان وتوزيع الصدقات ، وأسهموا في بناء كنائس عديدة تابعة لهم كما كان لهم نشاط فكري ملحوظ [3].

ومن أهم الخطوات التي خطتها هذه الفرقة، هي محاولاتها في القضاء على النفوذ العلماني في انتخاب البابا، ونجحت في ذلك أثناء انتخاب البابا لاون (ليو) التاسع (١٠٤٨ - ١٠٥٥م)، كما أنها حاولت كثيراً في القضاء على زواج القسس ، ونجحت في ذلك عندما أصدرت البابوية في القرن الحادي عشر منشوراً حرّمت فيه زواج القسس والشمامسة ومساعدي الشمامسة، ووجوب الالتزام بالعفة والعزوبية في حياتهم[4].

---

[1]) أوروبا العصور الوسطى، الجزء الأول، التاريخ السياسي، ص ٣٤٠ – ٣٤١ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

[2]) تاريخ العصر الوسيط في أوروبا ، ص ٥٠٥ ، د. نور الدين حاطوم .

[3]) المرجع السابق ، ص ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، د. حاطوم .

[4]) تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ص ٤٥١ ، ٤٥٢ ، د. السيد الباز العريني ، العلاقات السياسية والكنسية ، ص ١٠٣ ، د. عادل زيتون .

والمطالبة بالعزوبية لرجال دينهم في النصرانية أمر مخالف للفطرة التي فطر الناس عليها ، لذلك انتشر بين =

٣) الفرقة اللودينية :

ظهرت هذه الفرقة أيضاً في القرن العاشر ، في عام ٩١٤ م ، على يد أمير شاب يُدعى (جيرارد) في منطقة اللودين في فرنسا ، والفارق بينها وبين الفرقة الكلونية ، أنّها كانت أكثر زهداً ونسكاً ، وأنّها كانت تخضع لسلطة الأسقف في الكنائس المحلية ، فهي إذاً فرقة محلِّيّة ، علاقتها وثيقة جداً بالأسقفيّات المحلِّيّة ، بينما كانت الفرقة الكلونية ترتبط مباشرةً بالكرسي البابوي وتحصل منه على امتيازات استثنائية ، ومنفتحة على العالم النصرانيّ بأجمعه ، وهي على علاقة حذرة بالأسقفيات المحلية .

ومن أهم ما تُطالب به فرقة اللودينيّة من إصلاحات ، إبعاد البابوية وكنائسها تماماً عن السلطة الزمنية الدنيوية، فلن يصلح شأن الكنائس إلا بالاستقلال عن الملوك والحُكّام.

وصل أحد أتباعها إلى سدّة الكرسي البابوي باسم ايستين التاسع (١٠٥٧ — ١٠٥٨م)[١] .

٤) الفرقة السسترينانية ، وتُسمى أيضاً (البرناردية) .

تأسست هذه الفرقة في سنة ١٠٩٨م على يد رجل يُدعى (رُوبير المولسمي) في جنوب مدينة ديجون جنوب فرنسا ، في مكان قفر يُسمى بـ(سيتو) .

ابتداء مؤسسها (روبير) حياة الرهبنة في أحد أديرة الفرقة كلوني ، ثُمّ انفصل عنها معترضاً على فخامة كنائسها وأبهتها فعزم على إنشاء فرقة رهبانيّة خاصة به تقوم على أمرين مهمين :

الأمر الأول : الاهتمام ببناء أديرة وكنائس بسيطة متقشفة تُبنى في الغابات والصحاري بعيداً عن المدن والأراضي الزراعية .

الأمر الثاني : إقرار مبدأ العمل على المنتسبين إلى هذه الطائفة ، فهذا العمل لأجل كسب المال ليس لذات المال ، ولكن لأجل (محبة الله) للفقراء والمحتاجين ، حيث إنّ هذه الفرقة منعت من قبول الصدقات من أموال وغيرها من الأغنياء والمحسنين . لذا

=القسس والقسيسات وأعضاء الكنيسة في النظام الاكليروي الكاثوليكي الزنا واللواط والسحاق والفواحش الخُلقيّة التي يبتعد عنها أحط الناس في الدركات الخُلقيّة .

[١]) تاريخ العصر الوسيط في أووربا ، ص ٥٠٨ — ٥١٠، ٦٥٢ ، د. نور الدين حاطوم .

أوجبت على المتنسبين إليها أن يعملوا ، فكما أنّ عليهم أن يتعبدوا في الأديرة والكنائس فكذلك يجب عليهم أن يعملوا ويكسبوا المال .

انضم إلى هذه الفرقة رجل يُدعى (برنارد كليرفوا البروجندي) (١٠٩٠ — ١١٥٣م) في سنة ١١١٣م ، في عمر ثلاثة وعشرين سنة ، قيل عنه أنّه شخصية استثنائية ، نُسبت إليه كثير من المعجزات والخوارق وكان واعظاً مُفوّهاً جذب إليه كثيراً من الأتباع ، وكانت له أدوار قوية في تاريخ الطائفة الكاثوليكية بشكل عام ، ومن ذلك :

أ) أنه واضع قواعد رهبانيّة (فُرسان الهيكل الصليبية المحاربة على أرض فلسطين المسلمة)، وتمكّن من أن يحصل على موافقة البابويّة عليها سنة ١١٢٨م .

ب) أنّه لعب دوراً كبيراً لصالح البابا أنوسنت الثاني المنتخب (١١٣٠ — ١١٤٣م) ضد البابا اليهودي كليتوس الثاني الذي دخل النصرانيّة حديثاً ووصل إلى البابوية من طريق الفساد المالي فيها .

ج)شارك بقوة وبدور فعّال في دعوة النصارى ، ووعظهم للمشاركة في الحملة الصليبية الثانية على أرض فلسطين المسلمة ، وذلك في عام ١١٤٦م ، وأثّر تأثيراً بليغاً في ذلك ، وهو الذي نظّم المتطوعين الآتين من شمال فرنسا وفلانوريا (التي تُشكّل القسم الغربي الشمالي من بلجيكا الحالية) وألمانيا .

وقد تحول اسم هذه الفرقة من (السسترييانية) إلى (البرناردية) لشهرة هذا الرجل[١] .

---

[١]) الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم ، ص ١٠٩ — ١١١ ، سعد رستم ، وتاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ص ٤٨١ — ٤٨٥ ، د. السيد الباز العريني ، ومختصر تاريخ الكنيسة ، ص ٢٧٠ — ٢٧٣ ، أندرو مِلر ، وموسوعة تاريخ العالم ، ٦٠٤/٢ ، وليام لانجر .

وهذا الرجل برنارد كليرفوا كسب شهرة واسعة في وقته ، يقول اندرو ملر في مختصره لتاريخ الكنيسة : ((يُعتبر أحسن ممثل للمذهب الكاثوليكي رأته الكنيسة منذ عهد جيروم وأمبروز وأغسطينوس وغريغوري ، وكان زعيم المسيحيّة ورأسها المدبر زهاء نصف قرن ، وكان محط أنظار أوروبا كلها ، حتى أنّ صيته فاق صيت جميع الباباوات ، وكان اسمه يُغطي على أسمائهم جميعاً ، وهو المرشد والمنعش للمسيحيّة اللاتينية . .)) ، ص ٢٧ .

وفي سنة ١١٧٤م أعطته البابويه لقب قدّيس ، وبعد سبعة قرون أي في عام ١٨٣٠ م اعتبرته البابويّة عالماً لاهوتياً في الطائفة الكاثوليكية ، وجلعت له عيداً يقع في (٢٠ آب / اغسطس) من كل سنة .

وكان برنارد عدواً لدوداً للخارجين عن تعاليم واعتقادات الطائفة الكاثوليكية ، وكذلك عدواً للاّهوت العقلاني مثل آراء الفيلسوف الفرنسي اللاهوتي العقلاني (بيتر آبيلارد) .

=

انتشرت هذه الفرقة في كل أوروبا : فرنسا ، وايطاليا ، وأسبانيا ، وألمانيا ، وانجلترا ، والدانمارك ، ووصلت في نهاية العصور الوسطى إلى السواحل الشرقية للبحر المتوسط (سُوريا ، ولبنان ، وفلسطين) . ومع هذا الانتشار بدأت هذه الفرقة تحرز أموالاً ومبالغ عظيمة فأخرجتها هذه عن هدف مؤسسها الأول (رُوبير المولسمي)[1] .

٥) الفرقة الفرنسيسكانية :

أسس هذه الفرقة رجل ايطاليا يُدعى (فرانسيس الأسيزي)، كان أبوه من الأثرياء ولد سنة ١١٨٢م في مدينة أسيسي في منطقة (أومبريا) في وسط ايطاليا .

ترك فرانسيس حياة الأبهة والغنى وأراد أن يعيش هو وجماعته على طريقة كان يعتقد أنّها طريقة عيش يسوع المسيح في فلسطين، وهي أن يكون مصاحباً الفقر مع التبشير بتعاليم الإنجيل .

في سنة ١٢١٠م قابل البابا أنوسنت الثالث، فاعترف به البابا وبجماعته وسمح لهم بالوعظ والتنصير .

اختار كنيسة قديمة منهارة شُيِّدت منذ القرن الرابع الميلادي أن تكون مقر دعوته وانطلاقته هو وأتباعه الذين سماهم (الإخوة الأصاغر) أي الفقراء .

وصل إلى عكا سنة ١٢١٩م ، ومنها إلى دمياط حيث كان الصليبيون يقيمون حول المدينة ، ومن خلال هذه الزيارة طمع هو وبعض أتباعه بتنصير المسلمين ، لكنهم فشلوا فشلاً ذريعاً في ذلك ، كما أنّه طمع بتنصير والي مصر السلطان الكامل الأيوبي ، رفض السلطان دعوته ، لكنه أُعجب به وقدّم له هدايا ثمينة ، فرفضها فرنسيس إلا بوقاً من العاج أخذه ليدعو الناس به إلى مواعظه وخطبه .

حصل على أذن من السلطان الكامل الأيوبي لدخول الأراضي المقدسة سنة ١٢٢٠م

= وكتب برنارد عدداً كبيراً من التراتيل والخطب الدينية ، لا تزال بعضها تُتلى في الكنائس الكاثوليكية حتى في الكنائس البروتستانتية أيضاً إلى يومنا هذا . انظر : الفرق والمذاهب المسيحية ، ص ١١٠ ، سعد رستم .

[1]) الفرق والمذاهب المسيحية ، ص ١١١ ، سعد رستم ، تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ص ٤٨٥ ، د. السيد الباز العويني .

كما سمح له ببناء كنيسة وبيت لجماعته في حي الطليان بدمياط ، وبذلك تمكنت هـذه الفرقة الكاثوليكية من الدخول إلى أراضي المسلمين فنتج عنها تكوين مجموعة (النصارى الأقباط الكاثوليك) في مصر كما سيمر معنا في ذكرنا للكاثوليك الشرقيين .

كما أنّه استطاع أيضاً أن يبني كنائس صغيرة لفرقته في بيت لحم بفلسطين .

اعتنت هذه الفرقة بأمر الدراسات اللاهوتية ، فمثلاً في سـنة ١٢١٨م في باريس تحولت كنائسهم وأديرتهم إلى مراكز دراسات لاهوتية .

في عام ١٥٢٦م انفصلت عن هذه الفرقة ، مجموعة سمت نفسها بالفرقة (الكبوشية) ، عُرفوا بهذا الاسم نسبة إلى القلنسوة الكبيرة التي تُغطّي رؤوسهم فتميزهم عن سائر الرهبان، وتُسمّى بالإيطاليّة (كبوشيو) وصفت نفسها بالإصلاحيّة، إلاّ أنّها ابتداءً كانت ضمن قواعد الفرقة الفرنسيسكانيّة الأم، ولكنها انفصلت نهائياً عنها في عـام ١٦١٩م، واستطاعت أن تكوّن لها كنائس في حلب وإيران واليونان منذ عام ١٦٢٥م .

تُعتبر الفرقة الفرنسيسكانيّة أهم وأكبر الفرق الكاثوليكية في العالم ، فقد جـاء مـن أتباعها ستة اعتلوا عرش البابوية ، ولهم نشاط واسع في حقل التنصير وإنـشاء المراكـز التعليمية داخل وخارج القارة الأوروبية[1] .

٦) الفرقة الدومينيكانيَّة :

ظهرت فرقة الدومينيكان في نفس الوقت الذي ظهرت فيه فرقة الفرنسيسكان ، وقد أسسها رجل يُدعى (دومينيك)، ولد سنة ١١٧٠م ، وهو أسباني من أبوين متمـسكين بتعاليم الكنيسة الكاثوليكية ، كانت حياته منذ الصغر حياة نسك وتقشف . أصبح رئيساً لكاتدرائية في منطقة أوزما الإسبانيّة ، ثُمّ أنّه سافر مع رئيس أسـاقفتها إلى كـل مـن الدانمارك وفرنسا فوجد هناك خروجاً عن التعاليم الكاثوليكية ، وكذلك فساداً في بعض الكنائس الكاثوليكية هناك ، مثل : عدم إقامة القدّاس في بعضها منذ ثلاثين سنة ، وفساد

---

[1]) انظر : دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص ١٩٨ – ٢٠٠ ، ٢٤٣ ، ٢٧٨ ، بقلم الأب جاب كمي ، موسوعة تاريخ العالم ، ٦٠٩/٢ ، وليام لانجر ، مختصر تاريخ الكنيسة ، ص ٣٠٧ ، أندرو ملر ، الفرق والمذاهب المسيحية ، ص ١١١ – ١١٣ ، سعد رستم ، أوروبا والمسيحية ، ٢٠٦/٢ – ٢١٤ ، ٣١٧/٣ ، يان دوبـرا تشينـسكي ، كنائس بغداد ودياراتها ، ص ١٥٢ ، الأب د. بطرس حدّاد .

النظام الكنسي الأكليروسي تلك الكنائس خاصةً من الناحية المالية ، واكتشف أيضاً في رحلته تلك الحالة السيئة التي أصابت الإرساليات البابوية إلى بعض المناطق ، فأحزنه هذا وعزم على الدعوة والإصلاح ومجابهة هذه الانحرافات عن التعاليم الكاثوليكية ، فنشط في هذا الأمر وكوّن جماعة اسماها (جماعة الوعاظ)، ثم سُميت بعد ذلك باسم (جماعة الدومينيكان)، وقد أسسها على ثلاثة أمور – أعتبرها قواعد أساسية لكل دعوة صالحة وناجحة – وهذه الأمور هي : الفقر ، والتعليم ، والوعظ . فكانت هذا هي والفرنسيسكان تسيران على نفس المنهج . لذلك هما أول فرقتين كاثوليكيتين تجعل الأولوية للدعوة إلى النصرانية دون الاكتفاء بالاعتكاف والرهبنة في الكنائس والأديرة ، فاختارتا السُكنى في وسط المدن بين الناس مما جعل أثرهما أكبر وأقوى .

أُعجب البابا أنوسنت الثالث بدومينيكان ، وبمنهجه فسمح له بممارسة نشاطه في عام ١٢١٥م ، فبدأ نشاطه في مدينة تُولُون بفرنسا .

مات مؤسس هذه الفرقة في عام ١٢٢٠م في وقت كانت لهذه الفرقة لها ثمانية فروع في أوروبا ، ثُمّ أصبح لهذه الفرقة معاهد علمية خاصة ؛ كان لها دور فعّال في دراسات القرون الوسطى ، و كان من الذين انتجتهم هذه الفرقة القديس توما الإكويني الدومينيكي أكبر لاهوتي في الطائفة الكاثوليكية .

وأتباع الفرقة الدومينيكانيّة منتشرون الآن في معظم أنحاء العالم بمعاهدهم العلمية ونشاطاهم التنصيريّة والفكريّة، ومنهم أساتذة جامعات ومستشارون، ومراسلون للباباوات ، ولهم معهد خاص بهم في القاهرة، اسمه : (المعهد الدومينيكي للدراسات الشرقية) يديره دومينيكي كاثوليكي غربي[1] .

كما كان لفرقة الدومينيكان دور فعّال في محاكم التفتيش الكاثوليكية ضد الهراطقة (أي الخارجين عن تعاليم الكنيسة الكاثوليكية) واستخدمهم في ذلك البابا أنوسنت الثالث

---

[1]) انظر: مختصر تاريخ الكنيسة، ص٣٥٥ – ٣٥٦، أندور ملر، موسوعة تاريخ العالم ، ٦١٠/٢ ، وليام لانجر ، الفرق والمذاهب المسيحية ، ص ١١٣ – ١١٥ ، سعد رستم ، الموسوعة العربية الميسرة ، ٨٢١/١ – ٨٢٢ ، محمد شفيق غربال .

وخلفاؤه من بعده[1] .

والتي أنشئت على غرارها محاكم التفتيش الكاثوليكية ضد الحركـة البروتـستانتية ، وعلى إثرها كذلك ومنوالها – ولكن بأشد عنف وقسوة – كانـت محـاكم التفتـيش

[1] جاء في كتاب مختصر تاريخ الكنيسة : أنّ محاكم التفتيش بدأت في عهد البابا أنوسـنت الثالـث (١١٩٨ – ١٢١٦م) ضد الخارجين على تعاليم الكنيسة الكاثوليكية خاصة على أهل مقاطعة ألبي (لا نجـدوك) الفرنـسية فكانت هذه المقاطعة الفرنسية مستقلة عن الكنيسة الكاثوليكيّة المحلّيّة ، وعن النظام البابوي ، وغير راغبة للخضوع لهما فهاجت عليهم البابوية ، وطبّقت عليهم نظام محاكم التفتيش القديمة ، التي كانت في زمن الإمبراطور الروماني ثيودسيوس عام ٣٨٥ م ، وكان جزاء الخارجي (المهرطق) الإعدام والقتل ، ثم ذهب البابا أنوسنت الثالـث إلى أبعد من ذلك في الأمر بالتعذيب والإحراق والإعدام وبعد معاقبة أهل مقاطعة ألبي الفرنسية عممت هذه المحـاكم الشرسة ، وأصبحت تتعقب الخارجين عن الكثلكة .

وكان أول مجمع بابوي يقرر هذه المحاكم بهذا العنف عن الخارجين عن تعاليمه وباسم (محكمة التفتيش) ، هو مجمع تولوز في نوفمبر سنة ١٢٢٩م .

ومن أول قرارات هذا المجمع : منع اقتناء الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد إلا أجزاء منه يجـوز للنـاس اقتنائها والكلام حولها وتفسيرها ، ومنها سفر المزامير ، والاقتصار على فهم الكتاب المقدس عن طريق الكنيـسة الكاثوليكية ورجال دينها المنخرطون في النظام الأكليروسي ، ومن لم يستحب يعّرض نفسه للعقاب ، كما أنّـه جاء في هذا المجمع آلية تكوين وعمل محكمة التفتيش ، وهي : « على جميع رؤساء الأساقفة والأساقفة ورؤسـاء الأديرة أن يعينوا كاهناً في كل أبروشية مع ثلاثة مفتشين علمانيين ، تكون مهمتهم تفتيش كل بيت وكل متجر بحثاً عن الهراطقة . . وهكذا على الأمراء أن يعملوا ذلك في كل ناحية من نواحي ممتلكاتهم . وكل من يثبـت عليـه التستر على هرطقي يجرد من منصبه وتعطى أملاكه لسيده ، ويصبح من العبيد الأرقاء ، وكل منزل يوجـد بـه هرطقي يهدم ، وكل رئيس يهمل في البحث والقبض على الهراطقة يعزل عن وظيفته ولا يكون له حق الرجـوع إليها في المستقبل . والهراطقة الذين يتوبون ويرجعون ينقلون من بلادهم ويوضعون في المدن الكاثوليكية ، حيـث يلبسون صليبين يختلف لونهما من لون ملابسهم ، واحداً على الجانب الأيمن والآخر على الجانب الأيسر . والذين منهم يرجعون خوفاً من الموت يسجنون مدى الحياة . وكل شخص في سن الرابعة عشر من الذكورة ، أو الثانيـة عشر من الإناث يجب عليه أن يُقسم بأنه يمقت الهراطقة ويتمسك بإيمانه الكاثوليكي . وكل من يتغيب ولا يحضر لأداء هذا القسم في ظرف خمسة عشر يوماً يُعتبر متهماً بالهرطقة » .

ثم عقد مجمع آخر في ميلن حيث صدرت قوانين أشد صرامة وأكثر فاعلية ، ولكن لمـا كـان الهراطقـة (الخارجون عن التعاليم الكاثوليكية) لا يمكن محاكمتهم إلاّ بواسطة الأساقفة فأصبحت العملية شاقة ومنهكة بسبب زيادة المتهمين المقبوض عليهم . فقد قرّر البابا جريجوري التاسع عام ١٢٣٣م إحالة هذا الاختـصاص لجماعـة الدومينيكان . انظر : مختصر تاريخ الكنيسة ، ص ٣٢٩ – ٣٣٠ – ٣٤٥ – ٣٤٦ ، أندور ملر .

الكاثوليكية التي أقيمت في أسبانيا والبرتغال (الأندلس المسلمة) ضد المسلمين[١] .

٧) فرقة الجزوييت (اليسوعيون) :

ظهرت هذه الفرقة في وقت كانت الكاثوليكية وعلى رأسها البابويّة أحوج ما يكونون إلى مجموعة فعّالة في حربها مع البروتستانت .

فقد كوّن البابا بولس الثالث ((١٣ تشرين الأوّل ١٥٣٤ ـــ ١٠ تشرين الثاني ١٥٤٩ م)) فور انتخابه لمنصب البابا سنة ١٥٣٤م لجنة من الكاردينالات وبعض رجال الكنيسة قصدها معالجة الأخطاء التي وقعت فيها الطائفة الكاثوليكية والحد من تقدم الحركة البروتستنتية .

أعدت اللجنة في آذار سنة ١٥٣٧م بياناً كشفت فيه بجرأة النقاب عن التجاوزات القائمة ، وطالبت بإصلاحات جذرية ، وأوصت بإنشاء طوائف دينية تناضل من أجل التعاليم الكاثوليكية وتقف في وجه الحركة البروتستنتية .

وفي هذا الوقت في سنة ١٥٣٧م ظهرت في روما مجموعة من الحجاج النصارى الأسبان ، وكان عددهم سبعة أشخاص بزعامة عابد أسباني يُدعى (اغناطيوس دي لويولا)[٢] .

---

[١] سيمر ـــ إن شاء الله ـــ موضوع محاكم التفتيش عند الكلام عن سقوط غرناطة في الباب الرابع ص ٤١٦ .

[٢] أشهر هذه المجموعة ثلاثة أشخاص وهم الذين أهتم المؤرخون بسيرتهم وهم :

أ) أغناطيوس لويولا : انخرط في سلك العسكرية في سنة ١٥٢١م ، وفي أثناء الدفاع عن مقاطعة بامبيلونا في الجزء الشمالي من أسبانيا الحالية ضد القوات الفرنسية أصيب بإصابة بليغة كاد يموت بسببها فخضع للعلاج لفترة طويلة وفي أثناء مرضه أُعجب بقراءة سيرة القديسين خاصةً حياة بندكت وفرانسيس ودومينيك فأراد التشبه بهم في سيرهم ، فلما شُفي اعتكف في دير بندكتي قديم في برشلونة وبدأت حياته تتحول إلى حياة الرهبان من الاعتكاف والفقر وتعذيب النفس والجلد فكان يضرب نفسه كل يوم ثلاث مرات بالسياط .

والرجل الثاني في هذه المجموعة هو :

ب) فرنسيس كسفاريوس أوكسافير : ولد في نافارا سنة ١٥٠٦م ، أطلق عليه المؤرخون (رسول الهند العظيم)، بدأ عمله في تطبيق مبادئ جمعيته في عام ١٥٤٢م عندما بدأ بالهند ثم اليابان والصين توفي سنة ١٥٥٢م.

والرجل الثالث في هذه المجموعة هو :

جـ) الأمير فرنسيس بورجيا نائب ملك قشتالة ، عندما توفيت الملكة إيزابيل (زوجة كارل الخامس) عُمل لها موكب جنائزي في أرجاء أسبانيا ثم تقرر دفن الملكة في غرناطة ، تم تكليف الأمير فرنسيس بورجيا بالعناية بجثمان الملكة، فلما فتح التابوت داخل الكنيسة المخصص لإقامة شعائر الجنازة للملوك الكاثوليك، انبعث من=

التقوا جميعاً في أسبانيا عام ١٥٣٤ م » ثم انتقلوا إلى باريس ، وفي ١٥ أغسطس من نفس السنة ، وهو يوم عيد صعود مريم العذراء ، وفي كنيسة قديمة فيها أقسموا جميعاً يمين الولاء لهذه المجموعة الصغيرة ، ووضعوا قواعدهم الأساسية في الفقر والعفة والدعوة إلى التعاليم الكاثوليكية ، ودعوة البروتستانت إلى تصحيح مسارهم ودعوة المسلمين والوثنيين إلى النصرانية[1]، مع الإهتمام بمساعدة الفقراء ورعاية الأيتام والفتيات المنحرفات والمرضى في المشافي، ومن أهم كتبهم، كتاب ((التدريبات الروحيّة)) من تأليف قائدهم (لويولا) .

كان هدف هذه الجماعة قبل البدء في أعمالها وخططها هو الحج إلى فلسطين ، ولكن الحروب القائمة في ذلك الوقت بين الصليبيين والمسلمين منعهم من ذلك ، فاتجهوا إلى روما لمقابلة البابا وتقديم خدماتهم له وتقديم ولاء الطاعة المطلقة له وللتعاليم الكاثوليكية وأخذ الإذن منه مباشرةً للبدء في أعمالهم التنصيريّة ، فقدموا على البابا في وقت كان البابا مع لجنة الإصلاح التي وضعها يعملون على تكوين مجموعات كاثوليكية لوقف زحف البروتستانت وتجديد دماء الكاثوليكيين ، فقابلهم البابا بولس الثالث عام ١٥٣٩م مع لجنته الإصلاحيّة ونظر في فلسفتهم وما يطمحون إليه فأعجب بهم ، وفي السابع والعشرين من أيلول سنة ١٥٤٠م صدر المنشور البابوي الذي صادق على تأسيس هذه الجماعة وسميت بـ(جمعية يسوع)، لأن البابا رأى في هذه الجماعة وفلسفتها سلاحاً ممتازاً للنضال ضد الحركة المعادية (البروتستانت) فحافظ البابا بُولس الثالث وخلفاؤه وخاصة البابا يوليوس الثالث ((٧ شباط ١٥٥٠ــ ٢٣ آذار ١٥٥٥م)) بكل عناية على هذه الجماعة

=التابوت رائحة كريهة ، فتجهّم الجميع وتأثر بذلك فرنسيس بورجيا ، وأقسم في حينها أن لا يخدم ثانيةً سيداً من الفانين، وبعد هذه الحادثة بوقت قصير توفيت زوجته فقرر أن يرمي خلفه عالم الشهرة ، والثراء ، والمجد ، وأن يلتحق بأغناطيوس لويولا ومجموعته ، فترهب من ذلك الوقت .

أنظر : أوروبا المسيحية – ٣/٣٢٠ – ٣٢٣، يان دويراتشينسكي، دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة » ص٢٧٣، جان كمبي » الفرق والمذاهب المسيحية » ص ١٩٨ ، سعد رستم . مختصر تاريخ الكنيسة ، ص ٥٩٦ – ٥٩٧ ، أندرو ملر .

[1]) فهذه المجموعة الصغيرة نشأت في أسبانيا (الأندلس المسلمة) في فترة ضعف المسلمين وقوة النصارى الكاثوليك ، مما طمعهم في تنصير المسلمين ليس في الأندلس فقط بل حتى تنصيرهم في فلسطين .

وأعطوها حقوقاً وامتيازاً لم تنلها أي طائفة دينية كاثوليكية أخرى، خاصة أن الفاتيكان نجح في أن يجعل الهدف الأعلى والأسمى لهذه الجماعة هو تنفيذ أوامر البابوات ورغباتهم الخاصة ، وأن ينشروا سلطان البابوات ويدينوا لهم بالطاعة العمياء ، لذا استثنى الفاتيكان الجمعية اليسوعية (الجزويت) من كل أنواع الخضوع لأي سلطة روحية أخرى، وأن رئيسها غير مرتبط بأحد سوى البابا .

بدأ نشاط الجمعيّة اليسوعيّة الفعلي والملموس منذ اعتراف البابويّة بها في أيلول عام ١٥٤٠م، وبفضل تنظيمها المتين[1]، والامتيازات المُعطاة لها من البابوات، وقد انتشرت بسرعة خارقة في كُل جهات أوروبا وبعض جهات العالم، حيث يُوجد لها بعثات في كثير من بلدان العالم؛ بدءاً من الصين شرقاً، ومروراً بآسيا وخاصةً الهند، وإفريقيا، وانتهاءً بكندا وأمريكا، وخاصةً الجنوبية غرباً، كما أنّها وصلت إلى بلاد الشام[2] .

---

[1]) تنظيم الجماعة اليسوعية (الجزويت) الداخلي ، على النحو التالي :

ينقسم أعضاء الجمعية إلى أربعة مراتب وهي :

المرتبة الأولى : وهي الأدنى ، تتألف من الشباب الذين تمّ قبولهم ، حيث يتم تهيئتهم في معاهد ، وتنحصر التهيئة – قبل كل شيء – في إنماء الخضوع والإخلاص للجمعيّة ، ومن الواجب على كل من يستعد للدخول فيها أن يقطع كل علاقة شخصية له مع العالم ، وأن يُنكر إرادته الشخصية والعقائد والميول ، وأن يُسلمّ ذاته بكُلّيّته لأمر الجمعية كأنّه جثة .

المرتبة الثانية : فتتألف من السكولاسيتوُن (أي المدرسون المُتعلّمون) ويدخله المستعدوُن الذين نجحوا في الإمتحان ، ويُعطون النُّذُور الثلاثة الأُولى ، الفقر ، العفّة ، والطاعة ، ويخدمون بصفة مُساعدين للمُعلّمين والمُبشّرين الرُّوحيّين ، وبمقدار ما يُظهر السكولاسيتون استعدادهم إلى هذا النشاط ينتقلون إلى المرتبة الثالثة .

المرتبة الثالثة : صف المُرشدين الرُّوحيّين وهم المعلمون والأساتذة والوُعّاظ وآباء الإعتراف ، وفي المقابل لهم المرشدون العلمانيون ، ولهم ثلاثة نذور ، ويتعينون للخدمة المنزليّة في معاهد الجمعية المختلفة .

وأخيراً ؛ المرتبة الرابعة : تتألف من البُروفسُوريَّة (الأساتذة الكبار) الذين أُعطوا النذر الرابع في الطاعة المطلقة للبابا ، ولا يتعين في هذه المرتبة إلا المرشدون الروحيون فقط ، الذين امتازوا بمقدرة ممتازة ، ومعرفة ، وحنكة ، وإخلاص ، فكانوا يُسلّمون الوظائف الأكثر أهمية ، وكذلك البعثات المُختلفة والسفارات .

وعلى الجمعية يقف جنرالها الذي ينتخبه الأساتذة الكبار من بينهم طُول الحياة ، ويتمتع بسلطة لا حدود لها في إدارة الجمعية ، ويتوجب على كل أعضاء الجمعية الخضوع التام له . وهو لا يرتبط إلا بالبابا مباشرةً .

انظر : الفرق والمذاهب المسيحية ، ص ٢٠٠ ، سعد رستم .

[2]) فقد وصلت هذه الفرقة اليسوعية إلى فلسطين عام ١٥٥٣م، وفي سنة ١٦٤٤م فتحت مدرسة في دمشق حيث كانت نواة لكنيسة ملكية كاثوليكية ، انظر : دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، ص٢٧٨، جان كُمبي .

وحيثما يسكن اليسوعيون، فإن أوّل ما يعملونه هو بناء مؤسسات تنصيريّة من مستشفيات، ودور لرعاية الأيتام، ومدارس الأولاد، والكليّات، ويعملون بالوعظ، ويجعلون من أنفسهم آباء اعتراف (مُرشدين)، وبواسطة المستشفيات ودور الرعاية يكتسبون عطف الشعب، وبواسطة المدارس والكليّات يستلمون كل الثقافة بأيديهم، ويُربُّون النشء الصغير على التعاليم الكاثوليكية .

وبهذا لعبت جماعة الجزويت (اليسوعية) دوراً هاماً في الحياة العامة، كما أنّها دخلت مجال السياسية وقد لاقت نجاحاً كبيراً في هذا السبيل، فكان بعض أعضائها مستشارين ووزراء وذوي نفوذ ، ومن أقوى ما قامت به من الناحية السياسية محاولاتها القضاء على المملكة الإنجليزية بفعل المؤامرات والدسائس وإشعال الحروب ضدها ، ومن ذلك مؤامرة هذه الجماعة لقتل أعدادٍ كبيرة من المسئولين الإنجليز ومنهم الملكة اليزبيث والتي سميت بمؤامرة البارود ، وذلك في عام ١٦٠٥م، وكذلك كان لها دور فعّال في المواجهة البحريّة القويّة بين الأسطول الإسباني الكاثوليكي، والأسطول البريطانيّ البروتستانتي، والتي سُمّيت هذه المواجهة بالأرْمَادَا في عام ١٥٨٨م ، فقد عانت انجلترا البروتستانتيّة معاناة قوية من دسائس، ومؤامرات هذه الجماعة ـــ الجمعية اليسوعيّة (الجزويت) .

كما أنّها نجحت في مجال بالتربية والتعليم الكاثوليكيّ، فاشرفوا على مئات المدارس في أوروبا ، ولم يمض قرن ونصف على تأسيس هذه الجماعة حتى أصبح لها ما يزيد عن سبعمائة مدرسة، وكادت في أواخر القرن السادس عشر أن تبسط نفوذها على مجمل مؤسسات التعليم العالي، وأصبح لها مهمة الإشراف على الجامعات مثل جامعات فِينَّا، وبراغ، وبودابست، وغيرها، وكانت هذه الجماعة في سنة ١٥٥٦م تضم ثلاثة عشر مقاطعة، ومائة كلية، وما يزيد عن ألف راهب، وما توفي المسئول الخامس في تاريخها، وهو الإيطالي كلاوديوس أكوافيفا سنة ١٦١٥م إلا وقد صُبغت هذه الفرقة بصبغة عالمية، وأصبحت أضخم الفرق، والطوائف الكاثوليكية بل والنصرانية في العالم، وأكثرها عصرية، وبهذا أرجعت شيئاً من مكانة الكاثوليكية وأحيت سلطان البابا ونفوذه الروحي، وكذلك نجحت الجمعيّة اليسوعيّة (الجزويت) إلى حد كبير جداً في الوقوف في وجه تيار الحركة البروتستنتية وأثرت على سيرها .

غير أن دخول الجمعيّة اليسوعيّة في منظومة المكر السياسي ، مع تجرد أتباعها من أية فكرة وطنية ، وانصرافهم تماماً إلى تثبيت سلطان البابوية ، وضعهم موضع شك وريب من قبل الحكومات ، حتى الحكومات الكاثوليكية ، فتعرضت هذه الجماعة للنقمة والسخط، خاصة مع تنامي مشاعر الوطنية والقومية بين الشعوب، فنفوا من البرتغال سنة ١٧٥٩م، ومن فرنسا سنة ١٧٦٤م ، ومن أسبانيا وأمريكا اللاتينية سنة ١٧٦٧م، وفي عام ١٧٧٣م، و قام البابا كليمنت الرابع عشر ((١٩ آيار ١٧٦٩ــ٢٢ أيلول ١٧٧٤م)) بإلغاء هذه الجمعية اليسوعيّة ، وذلك نتيجة لضغط الحكومات حتى الكاثوليكية منها كفرنسا وأسبانيا والبرتغال على البابا[1] ، مما وضع حداً لنشاط ألاف من الرهبان والعاملين في هذه الجمعية اليسوعية في العالم الغربي والعالم .

إلاّ أنّ البابا بيوس السابع في عام ١٨١٤م أعاد تنظيم الجمعيّة اليسوعيّة ، ولكن بعض الدول كفرنسا لم تتقبلها إلا بتحفظ .

وبعد عودة الاعتراف بالجمعيّة اليسوعيّة (الجزويت)، قصُر نشاط الجمعيّة على العمل التنصيري والتعليمي ، والقيام بإرساليات دينية .

إلاّ أن نشاطها التنصيري الإرسالي خارج القارة الأوروبيّة تراجع ، والسبب يعود في ذلك إلى اضمحلال الدول الكاثوليكية في الانتشار الاستعماري ، فبمعاهدة أوتريخت عام ١٧١٣م أنتُزعت من أسبانيا وفرنسا السيطرة على البحار، وبمعاهدة باريس ١٧٦٣م برز التفوق الإنكليزي في أمريكا والهند، وبسبب التفوق الإنكليزي وسيطرته على البحار ، أصبح سفر الإرساليات اليسوعية بشكل خاص والكاثوليكية بشكل عام خطراً ، فأنشأت بريطانيا بدلاً منها في التنصير إرساليات بروتستانتية[2] .

---

[1]) وقد اتُهمت هذه المنظمة من قبل الحكومات بقتل البابا كليمنت الرابع عشر ، مسموماً . انظر : مختصر تاريخ الكنيسة ، ص ٥٩٨ ، أندور ملر .

[2]) انظر في التعريف بهذه الفرقة (الجزويت — الجمعيّة اليسوعية) إلى كلٍّ من :

دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص ٢٥٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٣٠١ ، الأب جان كمبي، ومختصر تاريخ الكنيسة ، ص ٥٩٦، ٥٩٨، أندور ملر ، وأوروبا والمسيحية، ٣١٦/٣ ، ٣٢٠ — ٣٢٦ ، و ٢١٩/٤ — ٢٢٥ ، يان دويراتشينسكي ، ترجمة د. كيرو لحدو ، والفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص ١٩٨ — ٢٠٤، سعد رستم، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، =

٨) الفرق الصليبية المحاربة (منظمات الفرسان الروحية أو الدينية) .

وكان أهم سبب لظهورها هي : الحملات الصليبية على أرض فلسطين المسلمة فكان هؤلاء الرهبان العسكريين أو (الفرسان الدينيين) يؤدون وظيفتين رئيسيتين وهما :

الأولى : غرس العقيدة النصرانية غرساً مادياً وجذرياً في الأراضي المقدسة .

والثانية : أنهم يقومون بعمليات مبادرة عدوانية على تخوم « دار الإسلام » ويتصدرون الصفوف الأولى في الحملات الصليبية ، مع مؤازرة الصليبيين ممن استقروا في الأراضي المقدسة . مع ما كانوا يقومون به من إنشاء المؤسسات الخيرية التي تعتني بأعمال البر والإحسان والاهتمام بشؤون الحجاج النصارى وحاجاتهم من مسكن وأكل وشرب وعلاج[1] .

وأشهر هذه الفرق الصليبية الكاثوليكية المحاربة ، ثلاث فرق ؛ وهم :

أ) فرسان القديس يوحنا أو (فرسان المستشفى) الأُسبتارية Hospitolers.

ب) فرسان الهيكل أو (الداوية) .

جـ) الفرسان اليتوتونيون (الألمان) .

الفرقة الأولى : فرسان القديس يوحنا أو (الأُسبتاريّة) :

ابتداءً تأسست هذه الفرقة في عام ١٠٤٨م، أسسها أحد النبلاء الفرنسيين يُدعى (جيرارد) في مدينة القدس وجعل مقرها عبارة عن مأوى للحجاج النصارى والعناية بمرضاهم وفقرائهم، وسماها بـ(مأوى غُرباء القديس يوحنا المعمدان)، وبعد موت جيرارد

=٢/٦٣٢ – ٦٣٥ ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، والموسوعة العربية الميسّرة ، ٢/١٩٨٢ ، إشرف : محمد شفيق غربال ؛ وموسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر ، الجزء الثاني من المجلد الأول ، ص ٤٣٧ – ٤٣٨ ، د. مفيد الزيدي ؛ والتاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا ؛ ١٣٧ – ١٣٩ ؛ أ.د. عبد الحميد البطريق ؛ د. عبد العزيز نوّار ؛ والتاريخ الأوربي الحديث والمعاصر ، ص ٨٥ ، أ.د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم .

[1]) الحرب المقدسة (الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم) ، ص ٢٣٨ – ٢٤٠ ، كارين آرمسترونغ ، ترجمة سامي الكعكي ، مختصر تاريخ الكنيسة ، ص ٢٦٨ ؛ أندرو ملر .

ترأسها (رايموند دوبوي) عام ١١٢٥م ، وحولها إلى رهبنة فرسان ، وتغيّر اسم مقرهـا إلى (مشفى القديس يوحنا الإنجيلي) . واتخذوا من الصليب الأبيض رمزاً لهم .

اعترف البابا باسكال الثاني بهذه المجموعة عام ١١١٣ م ، وفي سنة ١١١٨م أُضيف إليها واجب الدفاع بالسلاح عن الحجاج النصارى ، وتحول هذا الواجب إلى الهدف الرئيسي لهذه الفرقة .

نالت هذه الفرقة تشجيعاً في القارة الأوروبية ، وأخذ امراؤها يُغدقون المساعدات السخيّة على هذه الفرقة (فرسان القديس يوحنا) فأصبحوا بذلك أغنياء ملاّك في جميع البلدان النصرانية الأوروبية .

وعندما حرّر صلاح الدين الأيوبي القُدس سنة ١١٨٧م، قلّ أعضاء هذه الفرقة ، وبدؤوا يتحوّلون عن فلسطين إلى قبرص حتى كان آخر عهدهم بفلسطين عام ١٢٩١م .

وعندما استوطنوا في قبرص بدؤوا يتوسّعون في تلك المنطقة، واستطاعوا أن يستولوا على جزيرة رُودس عام ١٣٠٩م ، فعرفوا مُنذئذ ــ بفرسان رُودس ــ ، ثم أخرجهم العثمانيون المسلمون منها عام ١٥٢٢م فمنحهم الإمبراطور شارل الخامس السيادة على مالطة عام ١٥٣٠م فُعرفوا بـ(فرسان مالطة) ، وانتزعها منهم نابليون بونابرت عام ١٧٩٨م ، وتمت مصادرة ممتلكاتهم ، ونقلوا بعدها إلى روما ، وقل عددهم ، فاعترف البابا يوحنا الثالث والعشرون في عام ١٩٦١م ببقاياهم كجمعية دينية ضمن الكنيسة الكاثوليكية ، ولا تزال هذه الجمعية تقوم بإدارة المستشفيات والاعتناء بالمرضى واللاجئين والنازحين[١] .

الفرقة الثانية : فرسان الهيكل أو (الداوية) :

في عام ١١١٨ م قدمت بمجموعة صغيرة نفسها ، وهي من الفرسان الفرنسيين في فلسطين على رأسها رجل يُدعى (هونمو دي باين) ــ وكان عددهم تسعة فرسان ــ لبطريرك القدس لحماية الحجاج النصارى الوافدين إلى فلسطين والعمل كلورية مرابطة

---

[١]) الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص١١٦ – ١١٧، سعد رستم ، وأوروبا المسيحية، ١٠٢/٢ ، يان دوبرا تشينسكي .

تمنع هجوم المسلمين ضد هؤلاء الحجاج ، فوافق بطريرك القدس وأعجب بذلك الملك النصراني في فلسطين (بالدوين الثاني) ، وتنازل لهذه المجموعة عن جناح في قصره الداخل ضمن أرض الهيكل المزعوم ، ومن هنا استمدت هذه الفرقة اسمها (فرسان تامبليير) أي (الهيكليون) أو (فرسان الهيكل) ، وقد أطلق عليهم المسلمون اسم الداوية[١] .

اعتنت هذه الفرقة بالفقراء والمرضى من الحجاج النصارى ، وكان من أعلى أهدافهم الاهتمام ، والمحافظة على ما احتلُّوه منها ، وعدم التنازل عن شيء منها للمسلمين .

كانت فكرة تأسيس هذه الفرقة اكتسبت من فرقة فرسان القديس يوحنا — الماضية الذكر — واتخذ فرسان الهيكل علماً ذا لونين ، الأبيض والأسود ، وكان يُسمى « بوذيا » نسبة إلى أول حصان لهم ، وكان أبقعاً ، وأصبحت هذه الكلمة أيضاً صيحة الحرب .

حصلت الفرقة على مُساعدات كثيرة من أموال وغيرها من بعض الأمراء والكونتات الغربيين الذين يأتون للحج إلى أرض فلسطين المسلمة ، وذلك بعد عام واحد فقط من تأسيسها .

أرسل ملك النصارى في القدس (بالدوين الثاني) إلى البابا هونوريوس الثالث في عام ١١٢٧ م للاعتراف بها ، فصدر المنشور البابوي في ٣١ يناير ١١٢٨م بالموافقة على تأسيس هذه الفرقة ، واختار البابا القديس برنارد « زعيم الفرقة السسترياينية » لوضع فلسفتهم ، واختار لهم ملبساً أبيض اللون ، صافياً تماماً ، ثم أضيف عليه الصليب الأحمر بأمر البابا أوجينيوس الثالث في عام ١١٤٦ م قبل البدء في الحملة الصليبية الثانية ، وفي سنة ١١٦٣ م أصدر البابا الكسندر الثالث منشوراً بإخضاع (فرسان الهيكل) له مباشرةً، وعندما توسعت هذه الفرقة في العالم الغربي ، وضعت شروط معينة للانظمام إليها [٢] .

---

[١]) تاريخ الجماعات السرية ، ص ٣٣ — ٣٦ ، أركون دارون ، ترجمة : د. عبد الوهاب عبد الرحمن ، والحرب المقدسة (الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم)، ص٢٣٨، كارين آرمسترونغ ، ترجمة سامي الكعكي .

[٢]) وهي : يجب على المرشح لهذه الفرقة أن يثبت أنه ينحدر من عائلة نبيلة ، وبأنه مؤهل للتميز ، كان يكون قد تعلم الفروسية مثلاً ، وعليه أن يثبت بأنه ولد عن طريق الزواج الشرعي ، وأن يكون غير متزوج ، وأن يكون خالياً من كل الالتزامات ، وعليه أن لا يشترك في منظمة أخرى ، وأن لا يكون مديناً لأحد .

كانت المنافسة للانتماء هائلة جداً من أشخاص مناسبين ، لدرجة أن رسوماً عالية جداً كانت تطلب من هؤلاء الذين سيصبحون فرساناً للهيكل، وكان المترشّحون يتدربون على الفروسية قبل دخولهم الجماعة، ولا يسمح=

وكانت آخر علاقاتهم بأرض القدس سنة ١١٨٧ م عندما انتصر القائد المسلم صلاح الدين على الصليبيين ، وقد اهتم – رحمه الله – بقتالهم والقضاء على قوتهم لمعرفته بقوتهم على المجابهة وإقدامهم في الحروب ؛ فأطلق عليهم صيحته ، التي يذكرها المؤرخون النصارى ، وهي ((إلى الموت أيها الهيكليون))[1] . لأنهم نقضوا عهودهم مع صلاح الدين وارتكبوا جرائم حرب عندما قتلوا الحجاج المسلمين وهم في طريقهم إلى مكة المكرمة ، فأعدم القائد المسلم جميع الأسرى من هذه المنظمة الصليبية ، وقد كانت لهم علاقة مشبوهة مع الحشاشين الباطنين[2] .

وبعد تحرير القدس على يد القائد المسلم صلاح الدين انتقلت إدارتهم المركزية إلى باريس ، في وقت كانوا من أغنى المنظمات على الإطلاق في العالم الغربي ، فقد غطت ممتلكاتهم الأوروبية أكثر من سبعة آلاف عقار ومنقولات ، وعلى الرغم من تمركزهم في فرنسا وانجلترا ، فإنهم امتلكوا ملكيات كبيرة في البرتغال وقشتله وليون وايرلندا وألمانيا وايطاليا وغيرها .

وبدأت المحاولة الأولى لإسقاط هذه المنظمة بسبب غناها الفاحش وتدخلها في شؤون الممتلكات الغربية والتوجس من تصرفات قادها ، كانت في عام ١٢٥٢ م من ملك انجلترا

=للشاب أن ينتسب في الجماعة حتى يصل سن الواحدة والعشرين من العمر .

وعند ضم فارس جديد للمنظمة ، يقام الاحتفال سراً – مما أثار لغطاً شديداً اعتقاداً بأن بعض الطقوس والمعتقدات كانت تمارس بطريقة مختلفة عن طقوس الكنيسة ، وكان الاحتفال يُقام في إحدى كنائس الجماعة الصغيرة ، في وجود مجلس قادتهم وحدهم فإذا ووفق انضمام المرشح ، يوضع عليه الرداء الأبيض بصليبه الأحمر على عنقه بواسطة الراهب الذي يرأس الموجودين في الكنيسة ، ويرتل عليه الراهب المزمور الثاني بعد المائة والثلاثين ، وصلاة الروح القدس ، فيردد (المرشح المقبول) مطلع الصلاة الربانية .

انظر : تاريخ الجماعات السرية، ص٣٣ – ٣٦، أركون دارون، ترجمة : د. عبد الوهاب عبد الرحمن .

[1]) انظر : المرجع السابق ، تاريخ الجماعات السرية ، ص ٣٠ .

[2]) فكان فرسان الهيكل لهم علاقة قوية مع الباطنين الحشاشين أتباع الحسن بن الصباح ، ولهم نفس الأساليب التنظيمية ، بل قال بعض المؤرخين مثل المستشرق فون هامر : كان الحشاشون الأصل ، وكانت منظمة الهيكليين الصورة ، ثم أن الحشاشين كانوا قد دفعوا معونة تبلغ ثلاثة آلاف قطعة من الذهب لمنظمة فرسان الهيكل ، فقال بعض المؤرخين : أنها نفقة سرية من المنظمة الأكبر إلى المنظمة الأصغر . انظر : المرجع السابق ، ص ٢٧ ، تاريخ الجماعات السرية .

(هنري الثالث) ، ثم جاءت المحاولة الثانية وبعد أكثر من خمسين سنة من ملك فرنسا (فيليب الرابع) سنة ١٣٠٧م ونجح في ذلك، وصودرت جميع ممتلكاتهم في فرنسا، وأصدر البابا كليمنت الخامس من مقره البابوي في أفينون الفرنسية في سنة ١٣١٢م بحلّ هذه الجماعة (فرسان الهيكل) ، وبهذا تم إلغائها في كل الدول الأوروبية ومصادرة ممتلكاتها[1].

الفرقة الثالثة : الفرسان التيوتونيون (الألمان) :

في أثناء حصار المسلمين لمدينة (عكا) التي احتمى بها الصليبيون بعد سقوط بيت المقدس ١١٨٧م، قام بمجموعة من النصارى الألمان في عكا ببناء مستشفى للاعتناء بالمرضى والجرحى وذلك في عام ١١٩٠م .

وهذه المجموعة مرتبطة بكنيسة ألمانية في بيت المقدس، وهي كنيسة العذراء مريم، لذلك عُرفت في أول الأمر بجماعة أو رهبانية (العذراء مريم) ، وعُرفت في أوروبا باسم (الفرسان الصليبيين الألمان) .

وسرعان ما تحولت هذه الجماعة إلى جماعة عسكرية مقاتلة تهدف إلى مساعدة القوات الصليبية في صد هجمات المسلمين ، ولكن عضويتها اقتصرت على الألمان دون غيرهم من النصارى .

حصلت هذه الجماعة على الاعتراف الرسمي من البابا انوسنت الثالث عام ١١٩٩م، وقد مُنحت حق لباس القمصان البيضاء مرسوم عليها صليب أسود ، وأن تسير هذه الهيئة على قواعد ونظام هيئة فرسان الهيكل (الداوية) .

وعندما بدأ الصليبيون يندحرون في الأراضي المقدسة في فلسطين ، انتقل مركز هذه الجماعة من (عكا) إلى (أوروبا الشرقية) في عهد قائدها (هيرمان فون سالزا) في عام ١١٢١م ، وهناك دعاهم ملك المجر إلى تبني حملة صليبية تنصيرية ضد قبيلة السلاف

---

[1]) انظر : تاريخ الجماعات السرية ، ص ٢٥ — ٤٠ ، أركون دارول ، ترجمة : د. عبد الوهاب عبد الرحمن ، والحرب المقدسة (الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم) ، ص ٢٣٨ — ٢٣٩ ، كارين آرمسترونغ ، ترجمة : سامي الكعكي ، والفرق والمذاهب المسيحية ، ص ١١٧ — ١١٨ ، سعد رستم ، وأوروبا المسيحية ، ١٠١/٢ — ١٠٢ ، يان دوبراتشيتسكي ، ترجمة : د. كيرو لحلو ، ومختصر تاريخ الكنيسة ، ص ٢٦٨ ، أندرو ملر ، والمعجم الموسوعي ، ٦٣٨/٢ ، د. سهيل زكّار .

(وكانت قبيلة كبيرة غير نصرانية تقطن أغلب منطقة البلطيق في أوروبا الشرقية) ، وفي عام ١٢٢٦م ، وضع الإمبراطور الألماني فريدريك الثاني نظام لهذه الهيئة وأعدَّها لدور جديد ، وهو أن يكونوا رُوَّاداً للاستعمار الألماني ، ودعاة للنصرانية في تلك الأطراف الشرقية ، ومنحهم أرض بروسيا ، وأسبغ عليهم الهبات العظيمة ومنح مقدم الهيئة مرتبة أمير من أمراء الإمبراطورية .

وفي عام ١٢٣٤م منح البابا غريغوريوس (جريجوري) التاسع (الفرسان التيوتونيين) السيطرة على كل المناطق التي يحتلها أو يقطنها السلاف .

وقد قامت هذه الفرقة بمحاولات عديدة لتحويل الروس الأرثوذكس إلى الكثلكة ، ولكنّها فشلت في كثير من تلك المحاولات .

استطاعت أن تفتح الساحل الجنوبي لبحر البلطيق من جهة نهر الألب للبعثات التنصيرية ولتجارة الألمان وجالياتهم .

بدأت هذه الهيئة في تكوين المدن وتأسيسها ، بلغت حوالي ثمانين مدينة تحت حكم هذه الهيئة ، وسمحت للمدن بقسط كبير من الحرية وذلك من عام ١٢٣٣م ، كما أنّها منعت جباية الرسوم ، فيما عدا الرسوم الجمركية ، وعاملوا الفلاحين معاملة حسنة ، فأصبح من المألوف وصول هجرات شاملة إلى أراضي الفرسان .

وفي عام ١٢٦٣م أعفى البابا هيئة فرسان التيوتونيين من نذر الفقر ، وسمح لهم بالتجارة ، فتحوّلوا إلى منظمة تجاريّة قويّة سيطرت على تجارة المحاصيل الزراعيّة في المنطقة ، كما أصبح لها ثقلاً ثقافيا في المنطقة حيث اعتنت بتأسيس المدارس ومراكز التعليم في مناطق نفوذها .

وفي عام ١٤٠٩م اجتمع على قتالهم جيش مجمّع من التشيك والهنغاريين والتتار والقوقازيين، وذلك بعد ما استطاعت الهيئة السيطرة على المنطقة ، فُهزمت هيئة الفرسان هزيمة منكرة من ذلك الجيش المجمّع، ومنذ ذلك الحين بدأ شأنها يضمحل شيئاً فشيئاً ، حتى قام نابليون الأول بإصدار قرار بحلّها نهائياً عام ١٨٠٩م ، لكنَّ هيئة الفرسان التيوتونيين ظهروا ثانية في النمسا بعد عام ١٨٣٤م ، إلا أنّ الهيئة تحوّلت ــ منذ ذلك الحين ــ إلى مجرد رهبانية خيريّة تملك عدداً من الأديرة الكاثوليكية في النمسا ، وألمانيا ،

وإيطاليا [1] .

٩) الكنائس الكاثوليكية القومية المستقلة :

وهذه الكنائس بدأت بالظهور نتيجة لتسلط البابوية الديني على الكنائس في أوروبا ، ولدخول البابوية أيضاً في المعترك السياسي مع الملوك والأمراء في أوروبا ((وفي حين كانت الدول تشتد شوكتها والحكم المطلق ينتصر ، أصبح تاريخ الكنيسة غالباً ، تاريخ كنائس وطنية)) [2] .

ظهرت هذه الكنائس وهمها الأكبر أن ترد على عقيدة عصمة البابا وأنه وحده خليفة رسل المسيح ، خاصة القديس بطرس ، والرد كذلك على البابا في زعمه أن له السلطة الزمنية مع السلطة الروحية وأن الملوك يستمدون حق سلطتهم منه ، فهذه الكنائس القومية كاثوليكية المعتقد ما عدا عقيدتها في عصمة البابا ، ومن أشهر هذه الكنائس :

أ) الكنيسة الفرنسية :

وهي كنيسة فرنسيّة كاثوليكيّة مستقلّة دعت باقي كنائس فرنسا الباقية إلى المطالبة

---

[1]) موسوعة تاريخ العام ،٢/٥٨٨-٥٩٢ ، وليام لأنجر، والفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ١١٨-١٢٠ ، سعد دستم ،أوروبا والمسيحية ، ٢/١٠٢، يان دوبراتشينسكي .

كما أنّه نشأت رهبنات فرسان مختلفة بعضها في فلسطين ، مثل :

مجموعة الأليعازاريين ، منسوبة إلى القديس اليعازرا ، تأسست في فلسطين في القرن الثاني عشر بهدف رعاية المصابيين بمرض البرص -خاصة - ثم انتقلت إلى فرنسا في القرن الثالث عشر .

ومجموعة فرسان السيف التي ظهرت في سنة ١٢٠٢م، واعتمت على قواعد رهبنة فرسان الهيكل .

والبعض الآخر في العالم الغربي ، مثل :

جماعة الأنطوانيين ، والتي تأسست سنة ١٠٩٥م في سان ديدية ، بهدف رعاية الحجاج إلى قبر أنطونيوس الناسك .

ورهبنات فرسان كالأترافا ، ألكانتارا ، إيفيرا ، وأجنحة القديس ميخائيل ، وجميعها نشأ ظروف الحرب الاسبانية ، وهي مرتبطة بقواعد فرقة السسترليانية (البرناردية).

ومجموعة الثالوثيين ، نشأت في عام ١١٩٨م في برشلونة وأهتمت بافتداء الأسرى في الحروب مع المسلمين هناك ، إلا إنّها أقل شأناً وأضعف إمكانية بكثرة من تلك الفرق السالفة الذكر . انظر : أوروبا والمسيحية ٢/١٠٣، يان دوبراتشينسكي ، ترجمة : د/ كبرولحدو .

[2]) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص ٢٢٣ ، الأب جان كمبي .

باستقلال أنظمتها الإداريّة ورتبها الكنسيّة عن البابوية ، وحاولت أن تنشر هذه الفكرة في البلدان الأوروبية الكاثوليكية .

ترقى جذور تأسيس هذه الكنيسة على هذه الفكرة إلى القرنين الثامن والتاسع الميلادي ، عندما كان يحصل التنازع بين بعض ملوك فرنسا والبابوية حول ممارسة السلطة ، وحول جمع الضرائب من الشعب للبابويّة وكنائسها .

وترى هذه الكنيسة أن الملك يستمد سلطاته الزمنية مباشرة من الله ، كما يستمد البابا سلطاته الروحية من الله أيضاً ، وليست سلطة الملك من ثم دون سلطات البابا ، بل هي مساوية لها ومستقلة عنها، وأن ملك فرنسا حامي الكنيسة، ولا يحق للبابا (في روما) أن يحرمه أو يحل رعاياه من قسم الوفاء ، أو يبت في الأنظمة الإداريّة والرتب الكنسيّة في كنائس فرنسا ، وللمجلس التمثيلي في الدولة ، ولمجلس الملك الخاص الحق في إبطال أنظمة السلطة البابوية إن ثبت تنافيها وقوانين المملكة وأعرافها .

وفي عام ١٦١١ م نادت هذه الكنيسة أن المسيح لم يعط سلطته للقديس بطرس وحده ، بل ولباقي الرُّسل الإثني عشر ، لذا فإن جميع الأساقفة يتمتعون بالحق الإلهي ذاته الذي يتمتع به بابا روما ، فيجب أن يكونوا مستقلّين عنه في قرارتهم المُتعلّقة بكنائسهم .

ولهذه وضعت الجمعية العامة لكنيسة فرنسا بياناً اسمته (بيان البنود الأربعة) ، وذلك في عام ١٦٨٢ م ، أكّدت فيه تفوق المجامع العامة على سلطة البابا ، و سلطة البابا مقيدة بالمجامع والأعراف القومية ، ورفض عصمة البابا في مسائل الإيمان المستجدة ، وأن تخضع صحة قرارات البابا لحكم الكنيسة .

وقد جعل الملك الفرنسي (لويس الرابع عشر) عام ١٦٨٢ م من هذا البيان قانوناً وأضافه إلى قوانين الدولة .

فتمتع الملك الفرنسي بسلطة زمنية مطلقة على الكنيسة ، وبات قادراً على رفض رسوم البابا العقائدية التي لم تقترن بعد بموافقة مجمع مسكوني ، فأصبح الملك رئيساً للكنيسة الفرنسيّة ، وهي تخضع خضوعاً كلياً لسلطة الدولة المطلقة ، ولا يربطها بالبابوية سوى رابطة الاحترام ، ثُمّ جاءت الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م فقضت على أي سلطة للبابوية على كنيسة فرنسا .

حاربت البابوية هذه الكنيسة الفرنسية القوميّة من وقت نشأتها ، خاصة عندما صدر بيان (البنود الأربعة) عام ١٦٨٢ م ، ولكنّ البابويّة خفّفت من عدائها للكنيسة الفرنسيّة القوميّة في القرن التاسع عشر الميلادي ، وذلك عندما بدأت الكنيسة الفرنسيّة الخضوع بعض الشيء للبابويّة ، ثُمّ أنّ الكنيسة الفرنسيّة خضعت تماماً لقرار المجمع الفاتيكاني الأول سنة (١٨٦٩ — ١٨٧٠ م) الذي أعلن عصمة البابا من جهة ، ووجوب تبعية رجال الدين الكاثوليك الفرنسيين التامّة للكرسي الرسولي وقداسة الحبر الأعظم أي (البابا) من جهة أُخرى . وبهذا انتهت استقلاليّات الكنيسة الفرنسية عن البابويّة [1].

ب) الكنيسة الإنجليزيّة :

دخل المذهب الكاثوليكي إلى إنجلترا في عهد البابا غريغوريوس (جريجوري) الأوّل الكبير (٣ أيلول ٥٩٠ ـــ ١٢ آذار ٦٠٤م) على يد المُنصِّر أوغسطين في عام ٥٩٧ م ، وقد اتخذ من سانت مارتن في كانتربري كنيسة عامة . ومع توالي الأحداث والصدامات بين البابوية وملوك إنجلترا بدأ انفصال الكنيسة الإنجليزية عن البابوية ، خاصة عندما انتقلت البابوية إلى أفينون الفرنسية في عام ١٣٠٥ م ، وكان ليوحنّا ويكليف (١٣٢٨ – ١٣٨٤ م) رجل الدين النصراني الانجليزي ، والذي يتبوأ مكانة عالية في الكنيسة الانجليزية وعند الملك إدوارد الثالث ، الدور عظيم في هذا الانفصال .

سحبت الكنيسة الإنجليزية اعترافها بالبابويّة في عام ١٣٦٦م، واستولى الملك الانجليزي إدوارد الثالث على كل الأديرة التابعة للبابوية وممتلكاتها، وفي عام ١٣٧٤م أجاز الملك إصدار الكتاب المقدس باللغة الانجليزية ، وأقر استعمال أول كتاب للصلاة العامة باللغة الإنجليزيّة في عام ١٥٤٩ م وذلك دون الرجوع إلى البابا في روما .

فأصبحت هذه كنيسة إنجلترا كنيسة قومية بكل ما تحمله الكلمة من معنى فلا سلطة للبابا عليها أبداً ، ولهذا قبلت حركة الإصلاح البروتستانتية في بعض توجّهاتها ، مزيجاً بين

---

[1]) تاريخ الحضارات العام ، الجزء الرابع (القرنان السادس عشر والسابع عشر) ، ص ٣٣٤ – ٣٣٥ ، رُولان موسينية ، أشرف : موريس كروزية ، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم ، ص ٨٣ ، ٨٤ ، سعد رستم .

الكاثوليك والبروتستانت ، وسمّت نفسها بالكنيسة الرسوليّة ؛ لأنها تدّعي التمسك بالعقيدة التي بثها الحواريون، وكذلك هي كنيسة أسقفية لأنّها تتبع نظام إكليروسي مستقل ((أساقفة وقسساً وشمامسة)) ، ورئيسها الأعلى هو ملك انجلترا ، ويأتي بعده في المرتبة والمسئولية على الكنيسة (مطران)[1] ــ رئيس أساقفة ــ مقاطعة كانتربري ، وبعده يأتي مطران مقاطعة يورك .

اشتهرت كنيسة انجلترا بأنها كنيسة إنجيليّة ، وهي أم الكنائس الإنجيليّة القومية المنتشرة في العالم ؛ ككنيسة ويلز وكنيسة إيرلندا وكنيسة اسكتلندا .

وتستمد كنيسة انجلترا القومية وما يتبعها من الكنائس القومية عقائدها بوصفها كنائس كاثوليكية من مقررات مجمع نيقية ؛ والمجامع الثلاثة التي أعقبته خاصة مجمع خلقدونية .

وفي عام ١٩٦٦م عُقد لقاء تاريخي بين رئيس أساقفة كانتربري والبابا بولس السادس في الفاتيكان ، وقد كان أول لقاء رسمي بين رؤساء الكنيسة الرومانية الكاثوليكية والكنائس الإنجيليّة منذ إعلان انفصالهما عام ١٣٦٦م .

وفي عام ١٩٧٨م حضر رئيس أساقفة كانتربري مراسم التنصيب البابوي للبابا يوحنّا بولس الثاني (١٦ تشرين الأوّل ١٩٧٨ ــ ٢ إبريل ٢٠٠٥م) ، وذلك لأوّل مرة منذ ظهور حركات الإصلاح المقاومة للبابوية ، وفي عام ١٩٨٢ م أصبح البابا يوحنّا بولس الثاني أول بابا يزور إنجلترا منذ عام ١٥٣١م[2] .

---

[1]) المطران : لفظة يونانيّة تعني رئيس المدينة الكبرى أو العاصمة ؛ ويراد بها في العرف الكنسي الرئيس الديني في إحدى المدن المهمّة ، وأصل لفظ الكلمة (مطرابوليط) . انظر : كنائس بغداد ودياراتها ، ص ٣٥ ؛ الأب الدكتور بطرس حدّاد .

[2]) الموسوعة العربية الميسرة ؛ ١٤٨٨/٢ ، محمد شفيق غربال ؛ الموسوعة العربية العالمية ، ١١٧/٢٠ ؛ نشر مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ؛ الرياض، بإعتناء الأمير سلطان بن عبد العزيز، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا ، ص ١٨٦ – ١٩٧ ؛ أ.د. عبد الحميد البطريق ؛ د. عبد العزيز نوّار ، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر ؛ المجلد الأول ؛ الجزء الثاني منه ؛ ص ٤٣٠ – ٤٣١ ؛ د. مفيد الزيدي .

جـ) الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية :

وهذه الكنيسة من أقرب الكنائس القومية إلى البابوية .

وأول من أدخل المذهب الكاثوليكي إلى أمريكا هم الإيرلنديون ، فتأسست بذلك أوّل أسقفية كاثوليكية في الغرب الأمريكي سنة ١٧٨٩ م ، وفي وسط إنجيلي بروتستانتي كبير ، ولكي تحتفظ هذه المجموعة الجديدة بطابع إيمانها بمعتقداتها مع اندماجها في المجتمع الجديد أنشأت مؤسسات تربوية .

ولكن الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية لم ترس قواعدها وتهتم بأنشطتها المختلفة الداخلية والخارجية إلا في القرن العشرين من خلال عقد مؤتمرات في الأعوام ((١٩١١ ، ١٩١٧، ١٩١٩ ، ١٩٢٢ ، ١٩٦٦م)) خاصة في التصدِّي للقضايا الاجتماعية والمشاركة في حلها ، وذلك مثل قضيّة التمييز العنصري ضد السُّود ، والتي بدأت في معالجتها في الأربعينات من القرن العشرين ، كما أنها في تلك المؤتمرات اهتمت بقضية نشر المذهب الكاثوليكي خارج أمريكا حيث أُسست في عام ١٩١١ م الجمعية الإرسالية الأمريكية التي تُعرف بالمارنيول . ثم زادت عدد الإرساليات حتى بلغت إلى (٦٠,٠٠٠) في أواخر الثمانينات من القرن العشرين ، كما عملت على نشر التعليم الكاثوليكي داخل الولايات الأمريكيّة ، فأصبح بذلك الكاثوليك عاملاً سياسياً قوياً في المدن الكبرى ، وكان جون كينيدي أول رئيس كاثوليكي للولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٠م[1] .

١٠) الكنائس الكاثوليكية القديمة :

وهي مجموعة من الكنائس الكاثوليكية التي انفصلت عن البابويّة ، وقد كوّن هذه الكنائس كاثوليكيون معارضوا عقيدة معصوميّة البابا الذي أُعلن عنها في المجمع الفاتيكاني الأوّل في ١٨٧٠ م ، ثُمّ أنّها كوّنت مع بعضها اتفاقية عُرفت باتحاد أوتريخت وذلك في عام ١٨٨٩ م ، ومعظم هذه الكنائس في ألمانيا وهولندا وسويسرا والنمسا والمجر .

وتتبع الكنائس الكاثوليكية القديمة العقيدة الرومانية الكاثوليكية بشكل عام ، على

---

[1]) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص ٣٣٠ ، الأب جان كمبي ، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم ، ص ٨٧ ، ٨٨ ، سعد رستم .

الرغم من أن رجال الدين عندهم يتزوجون ، وتشجع هذه الكنائس دراسة العهد القديم بدون الرجوع إلى القساوسة[١] .

١١) منظمات كاثوليكية : ومن أشهرها :

أ) منظمات العمل الكاثوليكي :

وهي محاولة لإعادة الروح والملامح النصرانية الكاثوليكية إلى مختلف الأنشطة السياسية والاجتماعية والفردية ، أسسها كاثوليك علمانيون — أي ليس لهم وظيفة كنسيّة ، غير منتسبين إلى السلّم الإكليروسي الكنسي — أرادوا نشر تعاليم الإنجيل خارج إطار الكنائس ، فهي تعتبر نفسها مشارِكة في رسالة الكنيسة الرسوليّة ، كما أنّها مستقلّة عن الأحزاب السياسيّة والنقابات المحضة .

اتخذت هذه المنظمات أسماء مختلفة ولكنها تسير في تيار واحد ، ومن أشهرها : منظمة (A.C.J.F) تأسست عام ١٨٨٦ م ، وتعتني بشباب الأسر المتوسطة ماديّاً ، ومنظمة (J.O.C) تأسست عام ١٩٢٥ م ، وتعتني بخدمة ورعاية الطبقة العمالية ، ومنظمة الشباب المزارعين (J.A.C) تأسست عاك ١٩٢٩ م ، ثم منظمة الطلاب (J.E.C) تأسست عام ١٩٣٠ م .

امتدت هذه المنظمات إلى مختلف البلدان الأوروبية ، وقد وضع البابا بيوس الحادي عشر (٦ شباط ١٩٢٢ — ١٠ شباط ١٩٣٩ م) إطاراً لاهوتياً لأنشطتها ، لتكون طاقة مجدّدة للحياة الكاثوليكية ، وعوناً لرجال الإكليروس في أداء رسالتهم التنصيرية .

كما أنّ لهذه المنظمات تكوينات داخليّة تُميّز بعضها عن بعض ، ففي إيطاليا مثلاً هي منظمة أحادية مركزية تابعة للسلطات الكنسية ، وفي إيرلندا ، هي عبارة عن منظمة روحية دينية محضة يأتي بعدها في الأهمية الناحية الاجتماعية والاقتصادية ، و بلغت هذه المنظمات في فرنسا ذروتها في السنوات (١٩٥٠ — ١٩٦٠ م)[٢] .

ب) منظمة (Integrism) الأسباني :

---

[١]) الموسوعة العربية العالمية ، ٦٦/٢٠ ، نشر مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، الرياض .

[٢]) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص ٣٢٣، ٣٧٠ ، الأب جان كمبي .

وهي منظمة أصولية كاثوليكية ، وسياسية ، تأسست في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ، يُشكّل تياراً معارضاً لدعوات التجديد في التعاليم الكاثوليكية ، وبخاصة ماله علاقة بالطقوس التعبدية [١].

جـ) المنظمة الطقوسية (Liturgical movement) :

ظهرت هذه المنظمة الكاثوليكية في أوائل القرن العشرين لتشجيع الإسهام في الصلاة الجماعية بعد ما أصبحت قليلة الأهمية عند الكاثوليك حيث فضلوا عنها الصلاة الفردية ، برزت بشكل أوضح منذ مجمع الفاتيكان الثاني عام ١٩٦٣ م [٢] .

د) منظمة الأبوس ديي :

وهي منظمة دينية كاثوليكية معاصرة ، ولكنّها ليست رهبانيّة ، أسسها القس خوسيه ماريا أسكريفا في أسبانيا في أكتوبر عام ١٩٢٨ م ، ويزعم أنه اختير لتأسيس هذه المنظمة بوحي إلهي ، وفي عام ١٩٣٠ م تم تأسيس الفرع النسائي للمنظمة ، وفي الثاني من شباط سنة ١٩٤٧ م اعترف بها الفاتيكان ومنحها درجة (هيئة دينية لا رهبانية) ، أي هيئة دينية للعمل من خلال المجتمع المدني ، وعلى إثر هذا الاعتراف انتقل مركز المنظمة من اسبانيا إلى روما .

تسعى هذه المنظمة إلى سيادة التعاليم الكاثوليكية مع الاستفادة الكاملة من معطيات العصر الحديث ، وتتلمس طريقها من خلال السيطرة على النواحي السياسية والاقتصادية والتربوية ، وليس لأعضائها لبس وهيئة خاصة بهم .

من نظام هذه المنظمة السرية التامة في النذور ، وعدم وجود حياة جماعية مشتركة بشكل إجباري ، ومصادر دخلها تعد سراً من الأسرار ، ولها طرق خاصة في النواحي الروحية وانتساب الأعضاء [٣].

---

[١]) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، ٩٦٥/٢ ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي .

[٢]) المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل في العالم ، ٣٣١/١ ، تقريب وتصنيف وتقديم الأستاذ الدكتور : سهيل زكّار .

[٣]) النواحي الروحية للمنظمة كما يلي : =

للمنظمة أعضاء وصلوا إلى الوزارة في كل من أسبانيا وإيطاليا ، ويشكلون ثقلاً مهماً في كلا البلدين ، خاصة في أسبانيا ، فلها ثلاثون نائباً على الأقل في البرلمان ، وهناك أساقفة وقساوسة منتمون سراً للمنظمة .

كثير من أعضاء المنظمة يجعلون من الحمار شعاراً لهم ، وحجتهم أن المسيح قد دخل القدس وهو راكب على ظهر حمار ، ومن صلوات مؤسسها خوسيه أسكريفا يقول مخاطباً ربه ((أنا حمارك الجربان)) .

من أهم كتب المنظمة ، بل يُعد إنجيلهم كتاب ((الطريق)) ، وقد ظهرت طبعته الأولى عام ١٩٣٩ م ، ومن كتبها أيضاً ((القيمة الإلهية للإنسان)) ، وكتاب ((روحانية العلمانيين)) .

توجد المنظمة في أكثر من خمسين دولة في العالم ، وتتركز قوتها في أسبانيا ، ففيها ثقلها الأساسي، وإيطاليا إذ المركز الرئيسي والدولي لها في روما، والفلبين في شرق أسيا،

- تقبيل الأرض عند الاستيقاظ .

الحمّام والحلاقة خلال نصف ساعة على الأكثر .

نصف ساعة للصلاة الفردية ، بعد ذلك قُدَّاس جماعي لمدة عشر دقائق .

بعد الغداء زيارة لمكان القربان المقدس ، وبعد ذلك ثلاث ساعات من الصمت يُسمّى الصمت الأصغر .

ثم وقت مخصص للنشاط الجماعي يُسمى (العصرونية) وتحصل فيه مناقشات دينية مُعيّنة .

ثم نصف ساعة للصلاة .

وفي نهاية اليوم يجري فحص عام للنشاطات الروحية أو المالية التي جرت فيه ، ويبدأ بعده الصمت الأكبر الذي يمنع فيه الكلام خلال كل الوقت الباقي حتى اليوم التالي .

وقبل النوم يرسم الأعضاء إشارة الصليب بأيديهم على جسمهم ، ويرشون الماء المقدس على الفراش ثم يقومون بصلاة قصيرة وينامون .

أما عن انتساب الأعضاء فإنه إذا أظهر المرشح رغبة للانضمام فإنّ عليه أن يخضع (لإرادة الرب) ، وإرادة الرب عندهم هي أن يدخل المرء في هذه المنظمة ، وبعد ستة أشهر تقريباً من العيش داخل المنظمة وروحانيتها يقبل المرشح بشكل رسمي ، وبعد ستة أعوام من الانضمام تقام حفلة (الإخلاص والوفاء) لتأكيد عضوية المُتقدِّم بشكل نهائي إذ يُعطى خاتماً عليه قطعة من الحجر الكريم يفرض عليه حمله طوال حياته .

انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، ٢/٦٥٥ ، ٦٥٦ ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي .

والمكسيك وفنزويلا وكولومبيا والبيرو وتشيلي ، والارجنتين » في أمريكا اللاتينيّة ، وكينيا في افريقيا ».

وتملك المنظمة كثيراً من المدارس الإبتدائيّة والإعداديّة والثانويّة ومعاهد وبيوت للطلبة ومراكز ثقافية منتشرة في تلك الدول » كما أنّ للمنظمة رئاسة قسم الدراسات اللاهوتية في روما ، وهو فرع من خامعة نافارا الاسبانية ، كما أن المنظمة مسيطرة علـى المجلـس الأعلى للأبحاث العلمية في أسبانيا ، وكذلك فإن المنظمة تملك (٥٢) محطة إذاعيـة ، (٣٨) وكالة أنباء » و(١٢) شركة توزيع وإنتاج سينمائي و(٦٩٤) مطبوعة دوريـة و(١٣) بنكا ، وشركات ومصانع وعقارات كثيرة [١]

---

[١]) المرجع السابق » الموسوعة الميسرة » ٦٥٣/٢ ، ٦٥٨ » الندوة العالمية للشباب الإسلامي .

المجموعة الثانية : الفرق والكنائس الكاثوليكية الشرقية :

أولاً : كنيسة السريان الشرقية الكاثوليكية ((الكنيسة الكاثوليكية الكلدانية)) :

هذه الكنيسة فرع مشتق من كنيسة المشرق النسطورية ، والتي موطنها الأصلي في الرها[1] .

بدأت البابويّة في محاولة تكوين فرع كاثوليكي تابع لها في تلك الكنيسة المشرقية النسطورية منذ عام ١٢٨١م في عهد الجاثليق[2] (ماريهبالاها الثالث – مغولي الأصل اسمه مرقس مطرا فوليفا) ، فكان هذا الجاثليق يختلف عمن سبقه من جاثاليق الكنيسة المشرقية النسطورية ، فهو يُحب الانفتاح على الطوائف النصرانية الأخرى ، فقد نعتوه بأنّه (متسماً بروح مسكونية) فقد كانت له علاقات حسنة بالأرثوذكس اليعاقبة الساكنين في بلاد المشرق ، وبالمرسلين الغربيين الخلقدونيين ((الكاثوليك والبروتستانت)) الذين شرعوا يتوافدون على المنطقة فأفسح أمامهم المجال لممارسة دعوتهم بين أتباع كنيسته المشرقيّة النسطوريّة .

وكانت علاقة الجاثليق ماريهبالاها الثالث بالبابويّة في روما تتسم بالاحترام والاعتراف الضمني برئاستهم، كما أنّه أرسل وفداً إلى إيطاليا وفرنسا لمناقشة بعض القضايا العقديّة، وقد سُرّت البابويّة بنتائج هذه المناقشات .

استمرّت العلاقة بين الكرسي البابوي الكاثوليكيّ في روما ، والكرسي النسطوري في الرها علاقة احترام مُتبادَل .

ثُمّ كانت قاصمة الظهر للكنيسة النسطوريّة عندما اجتاح تيمور لنك (١٣٣٦ –

---

[1]) الرها مدينة تقع عند منابع أحد روافد نهر البليخ ، وينبع هذا النهر من عين تُسمّى الذهبانية شمال مدينة حران ، وسمّى الصليبيون مدينة الرها باسم ادسا ، احتلها الصليبيون عام ٤٩٢هـ ، ١٠٩٨م في الحمله الصليبية الأولى ، وأعادها المسلمون بقيادة عماد الدين زنكي عام ٥٤٠هـ ، ١١٤٥م . ظلت الرها تُعرف بهذا الاسم حتى مطلع المئة التاسعة (الخامسة عشرة) ، فإنها بعد انتقالها إلى أيدي المسلمين الترك العثمانيين عرفت باسم ((أورفا)) ، وقيل أن هذا الاسم تحريف ((الرها)) العربي . وما زالت تُسمى بأورفا حتى اليوم . انظر : بلدان الخلافة الشرقيّة ، ص ١٣٤ ـــ ١٣٥ ، تأليف : كي لسترنج .

[2]) الجاثليق : لفظة يونانيّة تعني العام أو الأب العام ، وتشير في الاستعمال الكنسي إلى الرئيس الأعلى عند النساطرة . انظر : كنائس بغداد ودياراتها ، ص ٢٤ ، الأب الدكتور بطرس حدّاد .

١٤٠٥ م) مناطقهم ، مِمَّا سبّب تعذّر اتصال الكرسي النسطوري بجميع أتباعه وجمع شملهم وتوحيد صفوفهم ، وفي تلك الأوقات الصعبة التي مرّ عليها الكرسي النسطوري استطاع الكرسي البابوي في روما أن يمد يد العون للكنيسة النسطوريّة في قبرص .

وفي سنة ١٣٤٠ م أعلنت الكنيسة النسطوريّة في قبرص انضمامها في وحدة مع الكنيسة الكاثوليكيّة في روما ، وذلك في آخر عهد البابا بندكت (بندكتوس) الثاني عشر (٢٠ كانون الأوّل ١٣٣٤ ــ ٢٥ نيسان ١٣٤٢م) .

كما أنّ المرسلين الكاثوليك من الفرنسيسكان و الدومنيكان نجحوا في إقناع مجموعة من النسطوريين في التحوّل إلى الكثلكة وإتباع البابويّة ، وكان ذلك في عام ١٤٤٥ م ، فاعترف بهم بابا روما أوجانيوس الرابع (٣ آذار ١٤٣١ ــ ٢٣ شباط ١٤٤٧ م) ، وأطلق على هذه المجموعة النسطوريّة المتحوّلة إلى الكثلكة ، والمتحدة مع روما اسم (الكلدان) ، وعين عليهم بطريركاً[1] من عائلة الجثليق القدم للكنيسة النسطوريّة طيموتاس الثاني (١٣١٨ ــ ١٣٣٢ م) ، ومنذ ذلك الوقت سيطرت هذه العائلة على هذه الطائفة الكلدانيّة الكاثوليكيّة الجديدة فأصبحت السدة البطريركية وراثية ، وكان من نتائج هذا النظام الوراثي أن ارتقى سدّة الطائفة الكلدانيّة بطاركة غير مقبولين لأتباع الطائفة ممّا سبّب في مطلع عام ١٥٥٢ م ظهور حركة تصحيحية لأوضاع الكنيسة الجديدة، وكان من نتائج هذه الحركة التصحيحيّة إلغاء قانون الوراثة في رئاسة الطائفة، فأصبحت رئاسة الطائفة لأحد رهبانها يُدعى سولاقا ، فذهب البطريرك الجديد مع وفد من طائفته إلى روما لكي ينال التأييد والتثبيت من البابا يوليوس الثالث (٧ شباط ١٥٥٠ ــ ٢٣ آذار ١٥٥٥ م)) ، وحصل على هذا التثبيت في شباط (فبراير) عام ١٥٥٣ م، وأعلنه البابا بطريركا على الكنيسة الكاثوليكية الكلدانية ، وجرت رسامته الأسقفية في ٩ نيسان (أبريل) ، وفي ٢٨ نيسان قلّده البابا درع الرئاسة المعروف بالباليوم .

---

[1]) البطريرك : لفظة يونانيّة تعني أب العائلة أو القبيلة وشيخها، وتستعمل في الكنيسة لرئيس جماعة أو طائفة، ويقال بطرك، وبطريك، والأصح بطريرك، بطاركة، وقديماً استعملوا فطاركة، وجاء أيضاً أن البطرك هو مقدّم النصارى . انظر : كنائس بغداد ودياراتها ، ص ٢٤ ، الأب الدكتور بطرس حدّاد .

وصل البطريرك الجديد إلى مقرّه في آمد (ديار بكر)[١] في تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٥٥٣م ، وشرع يُنظِّم شؤون كنيسته ، ويرسم عدداً من الأساقفة ، فصار للطائفة الجديدة ـــ الكاثوليك الكلدان ـــ ثمانية أساقفة ، فأظهر بذلك البطريرك سولاقا نشاطاً كبيراً وملحوظاً جعل البطريرك النسطوري العام شمعون السادس ينظر إلى هذه الحركة الجديدة المنشقّة عن كنيسته ، والمتحدة مع الكنيسة الكاثوليكيّة بكثير من الهلع والغضب ، فعمل على وضع صعوبات في طريقها والإساءة إلى أتباعها ، فاستطاع أن يقنع باشا العماديّة حسين بك الكردي أن يقبض على البطريرك الكلداني سولاقا فقُبض على هذا البطريرك وأُغرِق في بحيرة صغيرة وذلك في ١٢ كانون الثاني (يناير) سنة ١٥٥٥ م بعد سجن وتعذيب استمر خمسة أشهر .

إلا أن الطائفة الجديدة واصلت مسيرتها ، وانتخبت الراهب عبد يشوع الرابع مارون بطريركاً لها ، ثم تعاقب البطاركه الكلدان في علاقة هادئة مع بطاركة الكنيسة النسطوريّة في مدّة استمرت أكثرة من مائة عام ، حتى كان عهد البطريرك الكلداني يوسف الأوّل الذي وجد موجة عداء وكره شديدين من البطريرك النسطوري إيليا التاسع مروجين (١٦٦٠ ـــ ١٧٠٠م) الذي أقنع (المُتسلِّم) العثماني أن يُلقي القبض على البطريرك الكلدان وأن يُزج به في السجن ، وإخضاعه وأُخضع لاستنطاقات عديدة ، بعدها اقتنع (المُتسلِّم) العثماني ببراءة هذا البطريرك فأطلق سراحه واعترف بسلطته على الطائفة الكلدانية الكاثوليكية في ديار بكر ، وأعلن استقلاله عن البطريرك النسطوري .

وفي عام ١٦٩١م اختار البطريرك يوسف الأوّل خلفاً له تلميذه (صليبا آل معروف) الذي استلم الكرسي البطريركي ، واعترفت به روما في عام ١٦٩٦ م ، واتخذ لنفسه اسم يوسف الثاني .

أجرى هذا البطريرك إصلاحات كبيرة في كنيسته ، ومن أهمها إصلاحات في الطقسية الكلدانية فأزال عنها التعابير التي لا توافق المعتقد الكاثوليكي .

---

[١]) ديار بكر : تقع في إقليم الجزيرة من أرض العراق ما بين أعلى نهري دجلة والفرات ، وهي منسوبة لقبيلة بكر العربية التي نزلت بهذا الإقليم قبل الإسلام . انظر : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١١٤ ، تأليف : كي لسترنج ، نقله إلى العربية بشير فرنسيس ، وكوركيس عواد .

ثُمّ اعتلى الكرسي البطريركي بعده تلميذه (طيموتاوس مروجين) ، واعترفت به روما عام ١٧١٤م ، واتخذ لنفسه اسم (يوسف الثالث) ، ولكن وبسبب الاضطرابات التي وجدها هذا البطريرك من جهة النساطرة ؛ لم يستطيع أن يعتني بأتباع كنيسته فهرب إلى أوروبا ، وخاصة روما ولمدة ست سنوات من سنة ١٧٣٥ م إلى سنة ١٧٤١ م ، فانتُخب بدلاً عنه ـــ وبعد مدة استمرت أكثر من خمس عشرة سنة ـــ في عام ١٧٥٧ م الراهب (لعازر هندي) ، واتخذ لنفسه اسم (يوسف الرابع) ، واعترفت به روما بطريركاً على الطائفة الكلدانيّة في عام ١٧٥٩م ، وسافر هذا البطريرك إلى روما سنة ١٧٦١م ، وطبع هناك كتاب خاص بطقس القداس لكنيسته الكلدانيّة ، وكذلك كتب الأناجيل ، استقال سنة ١٧٨١م ، وسلّم البطريركية لأبن أخيه (أوغسطين هندي) الذي اتخذ لنفسه اسم (يوسف الخامس) ، إلاّ أنّ البابويّة لم تعترف به ، فانشقّت عنه بسبب ذلك مجموعة من أتباع الكنيسة الكلدانيّة الكاثوليكيّة في الموصل[1] ، واتخذت لها رئيساً آخر ، وهو مطران الموصل (يوحنا هرمزد) ، فانقسمت بهذا الانشقاق طائفة الكلدان الكاثوليكية إلى قسمين ، قسم في ديار بكر ، وقسم آخر في الموصل ، ولم يلتم شمل هذه الطائفة إلاّ بعد موت (أوغسطين هندي) سنة ١٨٢٨ م ، فاتحد القسمان واختارا بطريركاً على الطائفة ، وهو مطران الموصل (يوحنا هرمزد) وكان ذلك في ٥ تموز (يوليو) سنة ١٨٣٠م ، فأختار هذا البطريرك الموصل مقراً جديداً للطائفة بدلاً من ديار بكر ، وثّبته البابا بيوس الثامن بطريركاً على الكلدان في نفس السنة .

وعندما توفي يوحنا هرمزد في سنة ١٨٣٨ م عيّن البابا غريغريوس (جريجوري) السادس عشر (٢ شباط ١٨٣١ ـــ ١ حزيران ١٨٤٦ م) خلفاً له نيقولاس زيغا ، فهو أحد خرّيجي كلية انتشار الإيمان ، وذلك في ٢٧ نيسان (أبريل) سنة ١٨٤٠م ، ولكنه

---

[1]) الموصل: مدينة مشهورة تقع شمال العراق قرب ديار بكر . وكانت قاعدة ديار ربيعة، على ضفة دجلة الغربية، حيث تتصل عواقيل النهر فتؤلف مجرى كبيرا واحدا ، ويقال ان الموصل إنما جاء اسمها من هذا الاتصال . وكان يقوم في موضعها أيام الساسانيين مدينة يقال لها بوذ اردشير . وعلا شأن الموصل في أيام بني أميّة .من أشهر جوامعها الجامع العتيق بناه مروان الثاني آخر خلفاء بني أميّة . انظر : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١١٥ ـــ ١١٨ ، تأليف : كي لسترنج .

اعتزل واستقال من إدارة الطائفة في عام ١٨٤٧ م ، فعيّن البابا بيوس التاسع (١٦ حزيران ١٧٤٦ ـــ ٧ شباط ١٨٧٨ م) خلفاً له البطريرك (يوسف السادس أودو) في نهاية سنة ١٨٤٧ م ، ومن أهم الأعمال التي قام بها إنشاء معهد كهنوتي بطريركي في الموصل سنة ١٨٦٦ م ، توفي هذا البطريرك في ١٤ آذار (مارس) سنة ١٨٧٨ م فأستلم كرسي البطريركية (إيليا بطرس عبو اليوناني) ، وأيّدته روما سنة ١٨٧٩ م ، وفي عهده أنشأ الدومنيكان في الموصل معهد مار يوحنا الحبيب الكهنوتي عام ١٨٨٢ م ، وفي السنة ذاتها استأنف المعهد الكهنوتي البطريركي الذي تأسس عام ١٨٦٦ م نشاطه بعد أن أُغلق سنة ١٨٧٣ م .

توفي هذا البطريرك في ٢٧ حزيران (يونيو) سنة ١٨٩٤ م ، وفي ٢٨ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٨٩٤ م فأُنتخب خلفاً له (عبد يشوع الخامس خياط) بطريركاً ، ونال التأييد البابوي في ٢٨ آذار (مارس) سنة ١٨٩٥ م .

قام هذا البطريرك بنشاط كبير في تنقيح وطبع الكثير من الكتب الطقسيّة في مطبعة الآباء الدومينكان في الموصل ، وبعد موته خلفه (يوسف عما نوئيل الثاني توما) بطريركاً في ٩ تموز (يوليو) سنة ١٩٠٠م ، وحصل على تأييد البابا لاون (ليو) الثالث عشر (٢٠ شباط ١٨٧٨ ـــ ٢٠ تموز ١٩٠٣ م) في ١٧ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٠٠م ، وكان هذا البطريرك من تلامذة اليسوعيين في لبنان وفي عهده دارت الحربان العالميتان الأولى والثانية ، وبسبب الحرب العالمية الأولى انتقل كثير من أتباع الطائفة الكلدانيّة من تركيا ـــ مكان كُرسيّهم الأوّل قبل الانفصال ـــ إلى العراق مكان كُرسيّهم بعد الاتحاد ولَمّ الشمل .

توفي هذا البطريرك في صيف سنة ١٩٤٧م ، وخلفه على الكرسي البطريركي الكلداني يوسف السابع غنيمه (١٩٤٧ – ١٩٥٨ م) الذي كان من تلامذة معهد يوحنا الحبيب في الموصل ، وهو الذي نقل الكرسي البطريركي للطائفة الكلدانية الكاثوليكية من الموصل إلى بغداد ، وكان من أكبر أهدافه في ذلك توثيق الصلة بينه وبين سلطات البلاد ، وقد توفّي قُبيل قيام الثورة العراقية التي أطاحت في ١٤ تموز (يوليو) سنة ١٩٥٨ م بالنظام الملكي وأعلنت النظام الجمهوري في العراق ، وخلفه على الكرسي البطريركي في

كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٥٨ م البطريرك بولس الثاني شيخو ، وكان من أكبر اهتمامات هذا البطريرك بناء العديد من الكنائس في بغداد التي استقبلت أعداداً كبيرة من أبناء الطائفة الذين نزحوا من المناطق الشمالية من جرّاء ثورة الأكراد والاضطرابات الناجمة عنها ، توفي هذا البطريرك في سنة ١٩٨٩ م ، وخلفه على الكرسي البطريركي البطريرك الحالي مار روفائيل الأول بيداويد سنة ١٩٨٩ م ، وطبق على طائفته إصلاحات شاملة على وفق مقررات المجمع الفاتيكاني الثاني .

كان من أكبر اهتمامات هؤلاء البطاركة ، هو إرسال أبناء طائفتهم للدراسة اللاهوتية في المعاهد والاكليريكيات الكاثوليكية في الغرب وخاصة في روما .

ومن أشهر أديرتهم دير بناه البطريرك هرمزد عُرف باسمه يقع بالقرب من القوش شمالي العراق، وتم إصلاحه وتجديده في سنة ١٨٠٨م، وينال تثبيت قوانينه من بابا روما ، ودير ((السيدة حافظة الدروع)) ، أُنشأ في عام ١٨٣٢ م ، وقد أصبح هذا الدير مركز رئاسة الكنيسة الكلدانية .

وللطائفة دير خاص بهم في روما لاستقبال أبنائهم الذين يقصدون روما لغرض الدرس والتخصص .

ولهذه الطائفة أيضاً رهبانيتان[1] للنساء ، هما :

١) جمعية بنات مريم المحبول بها بلا دنس (راهبات الكلدان) ، وقد أُسست سنة (١٩٣٣م) ومركزها في بغداد ، وتعمل راهباتها في حقلي التعليم والخدمة ، ولها فروع متعدّدة داخل العراق ، وخارجها كذلك ، في إيطاليا ، والولايات المتحدة الأمريكية .

٢) جمعية القلب الأقدس التي أُسست سنة ١٩١٥م في أرادن التابعة لأبرشية العمادية[2] ، ثم انتقلت إلى الموصل ، ولها فروع داخل العراق .

---

[1]) الرهبانيّات : أديرة خاصة بالراهبات، والرا هبات هُنّ الشابات اللواتي ينذرن أنفسهن للرب ولخدمة الكنيسة ومساعدة المحتاج، وكان يُطلق عليهنّ في العصور النصرانيّة القديمة (بنات العهد) . انظر : كنائس بغداد ودياراتها، ص ٢٧٨ ، الأب الدكتور بطرس حدّاد .

[2]) العمادية : مدينة تقع شمال الموصل ، وهي منسوبة إلى مؤسسها القائد المسلم عماد الدين زنكي سنة ٥٣٧هـ . انظر : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٢٢ ، تأليف : كي لسترنج .

وللطائفة الكاثوليكية الكلدانية عشرات الأبرشيات[١] داخل العراق وخارجها، منها :١) الأبرشية البطريركية في بغداد، وعلى رأسها البطريرك،٢) أبرشية البصرة، ٣) أبرشية أربيل[٢] ، ٤) أبرشية كركوك[٣] ، ٥) أبرشية الموصل ، ٦) أبرشية زاخو[٤] ، ٧) أبرشية العمادية، ٨) أبرشية طهران ،٩) أبرشية الأهواز[٥] ، ١٠) أبرشية أسطنبول ، ١١) أبرشية حلب والجزيرة ، ١٢) أبرشية مصر ، ١٣) أبرشية لبنان ، ١٤) أبرشية الولايات المتحدة الأمريكية .

ولهم فرع في الهند يسمون بـ(المالاباريون)، كما أنّ للطائفة نيابات بطريركية في: القدس ، أوستراليا ، السويد ، فرنسا ، روما ، كندا ، وأكبر جالية حالية للكلدان خارج العراق في الولايات المتحدة الأمريكية ، ولهم مجلاّت ، من أشهرها مجلة (بين النهرين) تصدر في بغداد[٦] .

---

[١]) الأبرشيّة ، هي: المنطقة الخاضعة لسلطة أُسقف، أو مطران،وهي كلمة مشتقة من اليونانيّة ((إبارخيّة)) . انظر: معجم الإيمان المسيحيّ ، ص ٦ ، الأب صُبحي حمّوي اليسوعيّ .

[٢]) أربيل : مدينة كبيرة عامرة تقع في إقليم كردستان شمال العراق بالقرب من مدينة الموصل . انظر : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٢٢ ، تأليف : كيي لسترنج .

[٣]) كركوك : تقع على دجلة بإزاء مدينة تكريت . تقوم على تل كان يُعرف في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد باسم (أريخا) ، وكركوك الآن من أجل المدن العراقية . اشتهرت بغزارة نفطها . انظر : بلدان الخلافة الشرقية ، ص١٢١، تأليف: كيي لسترنج . وهذا التعريف من كلام المحققين للكتاب: بشير فرنسيس، وكوركيس عواد .

[٤]) زاخو : منطقة جبليّة تقع بالقرب من العماديّة وينبع منها نهر خابور الحسنية ويصب في نهر دجلة . انظر : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٢٢ ، تأليف : كيي لسترنج .

[٥]) الأهواز : قاعدة إقليم خوزستان في بلاد فارس، غير أن اسم خوزستان قد بطل وسُمي الإقليم عربستان ((أي إقليم العرب)) إلا أن الإيرانيين الفرس أعادوا تسمية الإقليم بخوزستان في عهد رضا شاه البهلوي . والأهواز كانت تُعرف قديماً باسم ((هرمز شهر)) ، وهو اسمها الفارسي . انظر : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٦٧ــ ٢٦٩ ، تأليف : كيي لسترنج .

[٦]) المراجع : دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، المجلد الثاني : الكنائس الشرقية الكاثوليكية ، ص ٢٠٣ – ٢٤١ ، وموسوعة الأديان في العالم ، المجلد الثاني ، الكنائس الشرقية ، ص ١٢٩ – ١٦٦ ، والإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم ، ص ١٨٧ – ١٨٨ ، أليكسي جوزافكسي .

ثانياً) : الكنيسة السريانية الكاثوليكية[1] .

كنيسة السريان الكاثوليكية فرع منشق عن السريان الأرثوذكس (اللاخلقدونيين)، والذين عُرفوا في التاريخ باسم اليعاقبة السريان [2] .

في بداية الأمر رفضت الكنيسة السريانيّة عقيدة وحدة الطبيعتين في شخص ربّهم يسوع المسيح ، منذ إقرارها في خليقدونيّة (٨ تشرين الأوّل إلى مطلع تشرين الثاني ٤٥١م) ، فحصل بهذا الرفض الانقطاع بينها ، وبين الكنيسة الكاثوليكيّة في روما .

إلاّ أنّ هُناك محاولات للتقارب بين الكنيسة السريانية اللاّخلقدونيّة ، والكنيسة الكاثوليكية الخلقدونيّة حصلت منذ سنة ١٢٣٧م عبر مراسلات جرت بين البابا غريغور يوس التاسع (١٩ آذار١٢٢٧ـ ٢٢ آب ١٢٤١م) والبطريرك السرياني اغناطيوس داود، وفي عام ١٣٤٠م عقد مجمع إقليمي للكنائس الشرقية في جزيرة قبرص أبدى فيه بعض السريان تقارب أكثر من كرسي روما، وفي أثناء المجمع اللاتيراني في ٣٠ أيلول (سبتمبر)

---

[1]) السريان : شعب يرقى عهدهم إلى القرن السادس عشر قبل الميلاد ، عُرفوا بالآراميين حتى حوالي القرن الخامس قبل الميلاد .

ويُعنى بالآراميين مجموعة القبائل التي كانت تتكلم اللغة السامية الشمالية ، والتي سكنت آرام في شمال بلاد الشام، وقيل أنّها هي اللغة التي تكلم بها المسيح عليه السلام، وبها كُتبت بعض أسفار العهدين القديم والجديد .

جاء ذكر القبائل الآرامية في العهد القديم كما في تكوين ٢٨/١١ ، و١٧/٣١ .

وإن لفظة (سرياني) جاءت متأخرة في عهد الإمبراطورية اليونانية ، وقيل أنّ اللفظة (سرياني) جاءت من سورروس ، وهو رجل آرامي الجنس استولى على بلاد الشام وما بين النهرين ، ومنه سميت البلاد سورية ، وأهلها سرياناً .

انظر : دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص ١٢٥ – ١٢٦ ، والمجلد الثاني : الكنائس الشرقية الكاثوليكية ، وموسوعة الأديان في العالم ، المجلد الثاني الكنائس الشرقية ، ص ٧ – ٨ .

[2]) تتفرّع العائلة السريانية الأنطاكيّة :

١) سريان نساطرة : ويتفرع منهم الآشوريون والكلدان ، وأيضاً الملبار في الهند .

٢) سريان يعاقبة : ويتفرع منهم السريان الأرثوذكس ، والسريان الكاثوليك ، وأيضاً الملكنار في الهند .

٣) سريان ملكيون : ويتفرع منهم موارنه ، وروم .

والسريان الملكيّون الروم يتفرع منهم الروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك .

انظر : المرجعان السابقان : دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ١٢٩/٢ ، موسوعة الأديان في العالم ، ص ١٢ .

عام ١٤٤٤م أبدى المطران السرياني (عبد الله) مطران الرها استعداداً تاماً للوحدة مع الكنيسة الكاثوليكية، أمام البابا أوجانيوس الرابع (٣ آذار ١٤٣١ـ ٢٣ شباط ١٤٤٧م).

وفي الفترة ما بين عامي (١٥٦٣– ١٥٧١م) ـ أي في عهد البابا بيوس السابع ـ بدأت عائلات سريانية عديدة تنضم إلى الكثكلة في سوريا ، وما بين النهرين ، وخاصة في حلب حيث نشأت جماعة كبيرة من السريان الذين يؤمنون بالتعاليم الكاثوليكيّة ، وذلك بجهود المرسلين من الآباء الكبوشيين واليسوعيين ، وهذا ما حدا بالبطريرك الماروني يوحنا العاشر الصفراوي (١٦٤٨ ـ ١٦٥٦م) إلى رسامة الشماس السرياني المنضم إلى الكثكلة (أندراوس أضيجان) أسقفاً على الكنيسة السريانيّة الكاثوليكيّة ، مقرّها في حلب ، وذلك بعد عودته من روما ـ التي يدرس فيها العلوم اللاّهوتيّة الكاثوليكيّة منذ سنة ١٦٤٦ م ـ في ٢٩ حزيران (أكتوبر) عام ١٦٥٦ م.

ولكن وعلى إثر اضطرابات وقلاقل سببها أساقفة السريان اليعاقبة استمرت سنوات عديدة ، انتقلت الكنيسة السريانيّة الكاثوليكيّة من حلب إلى لبنان فقد كانوا هناك تحت حماية البطريرك الماروني يعقوب (الرابع) عواد الحصروني (١٧٠٥ ـ ١٧٣٣ م) ، وكان ذلك في عام ١٧٣٠ م ، وبنت ديراً خاصاً بها في بلدة الشبانية في المتن أسمته مار أفرام ، ثم عُرف بدير (مار أفرام الرغم) لقربه من عين ماء تُدعى عين الرغم ، وكان من محتويات هذا الدير مكتبة كبيرة شهيرة في تلك الأوقات ، حوت أكثر من (٥٠٠) كتاب من مخطوط ومطبوع .

وفي عام ١٧٨٦ م بنت الكنيسة السريانيّة الكاثوليكيّة ديراً آخر في كسروان بلبنان باسم سيدة النجاة ، وفي تلك الأوقات أخذت تبرز الكنيسة السريانيّة الكاثوليكيّة رغم المعارضة الشديدة من السريان الأرثوذكس اليعاقبة في المنطقة .

وفي عام ١٩٣٠م أصبح الكرسي البطريركي لكنيسة السريان الكاثوليك إلى بيروت ، وذلك في عهد البطريرك الكاردينال جبرائيل بتوني .

أبرشيات ونيابات بطريركية السريان الكاثوليك :

لكنيسة السريان الكاثوليك ثماني أبرشيات وثلاث نيابات بطريركيـة ، وموجزها

كالتالي :

الأبرشيات :

أولاً : أبرشية بيروت البطريركية :

ولاية هذه الأبرشية تمتد إلى جميع نواحي لبنان ، يرأسها البطريرك ذاته ، ويقوم بتصريف شؤون الكنيسة نائب بطريركي بدرجة مطران . وهي مقسمة إلى خمس رعايا يخدمها خمسة كهنة .

وأهتمت هذه الأبرشية البيروتية الرئيسية بالنشاطات التنصيرية ، والاجتماعية، والفكرية ، فلها جمعيات خيرية متعددة ، ومجالس استشارية ، ومركز للدراسات والبحوث ، ومستوصف مجاني ، ونادي رياضي اسمه (نادي النصر) .

وللسريان الكاثوليك في لبنان ثلاثة أديرة :

١) أديرة الشرفة (درعون – حريصا) ، وفيها إكليريكيتان[1] : كبرى ، وصغرى لإعداد كهنة جدد يدير شؤونها أربعة كهنة ، ويحتوي الدير على مكتبة للمخطوطات يربو عددها على (٢,٥٠٠) مخطوطة ، ومتحف صغير .

٢) دير باسم دير بنات الرحمة ، وفيه ميتم يُسمّى بيت الفتاة ، وجميعهما خاص بالراهبات الافراميات .

٣) أما الدير الثالث فهو في أسفل قرية الشبانية اسمه (دير مار أفرام) ، كان له دور كبير في مجال التنصير ، وتعليم اللغات الثلاث : السريانية ، والفرنسية ، والإيطالية ، وأهتم هذا الدير كثيراً بأبناء الدروز ، وهو الآن في حكم الخراب بعد أن هُدم في عام ١٨٦٠م ، وانتُقل منه إلى ماردين[2] وبُني دير هناك بنفس الاسم .

---

[1]) الإكليريكيّة : دار يستعدّ فيها كهنة الغد للقيام بخدمتهم ، وهذا معنى الإكليركيّة الكبرى ، وهناك إكليركيّة صغرى ، وهي مدرسة ثانويّة تُعدّ للدخول إلى الإكليريكيّة الكبرى . انظر : معجم الإيمان المسيحيّ ، ص ٦ ، الأب صُبحي حمّوي اليسوعيّ .

[2]) ماردين : قلعة صخرية عظيمة في شمال العراق بالقرب من مدينة نصيبين كان يُقال لها الباز ، وهي معقل أمراء بني حمدان . انظر : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٢٥ ، تأليف : كي لسترنج .

ثانياً : أبرشية دمشق :

يسوسها رئيس أساقفة وثمانية كهنة يخدمون في سبعة رعايا، وفي الأبرشية، أخويّات[١] ، وجوقات تراتيل[٢] ، ودار للعجزة، ودار للفتيات الجامعيات، ومحكمة كنسية، ومؤسسة اسمها (يسوع العامل)، ومركز تعليمي ، وجمعية خيرية ، ومجالس راعوية ، ونشرة كنسية موسمية .

ثالثاً : أبرشية حمص وحماه :

يسوسها رئيس أساقفة يعاونه أثنا عشر كاهناً في خدمة عشر رعايا، ولها أخويات، و جوقات تراتيل ، ومؤسسات ونشاطات تنصيرية ، وجمعيّة خيرية ، ومراكز للتعليم ، ورهبنة باسم رهبنة (مار موس الحبشي) ، ومؤسسة باسم (أرض البشر) للمعاقين جسدياً ، ومدرسة ابتدائية .

رابعاً : أبرشية حلب :

يسوسها رئيس أساقفة يعاونه سبعة كهنة ، ولها أخويات ، وجوقات تراتيل ، ولجان وقف ، وجمعية خيرية ، ومحكمة كنسية ، وجمعية التضامن للإسكان ، ورابطة قدامى الاكليريكيين ، ونشرة فصلية ، وأخرى خاصة بالشباب .

خامساً : أبرشية نصيبين[٣] :

يسوسها رئيس أساقفة ، ويعاونه أربعة كهنة يخدمون في ثلاث رعايا ، في كل رعية مجلس راعوي ، وأخوية ، وجمعية خيرية ، ومركز تعليمي .

سادساً : أبرشية الموصل :

---

[١]) الأخويّة : جمعيّة مكوّنة من مجموعة من أتباع الأبرشيّة ، تقوم بأعمال تقوى ، وأعمال محبّة . انظر : معجم الإيمان المسيحيّ ، ص ٢٤ ، الأب صُبحي حَموي اليسوعيّ .

[٢]) جوقة الترتيل : مجموعة من المرتلين مُكلّفة بالقيام بالترتيل الديني . انظر : معجم الإيمان المسيحيّ ، ص ١٨١ ، الأب صُبحي حَموي اليسوعيّ .

[٣]) نصيبين : مدينة عامرة في أرض العراق على جادّة القوافل من الموصل إلى الشام ، وهي مدينة مشهورة بكثرة بساتينها ومياهها ، وروي في بعض الآثار أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا بأن يعجل الله فتحها للمسلمين وأن تكون بركة عليهم . انظر : معجم البلدان ، ٥/ ٢٨٨ـ٢٨٩، لشهاب الدين ياقوت الحموي .

يسوسها رئيس أساقفة ، ويعاونه واحد وعشرون كاهناً يخدمون رعاياهم العشر ، في كل رعية عدة أخويات ، وجوقة تراتيل ، ومركز تعليمي ، وقد أنشئت في الأبرشية عدة مشاغل لسد حاجات العائلات الفقيرة ، وبرزت هذه المشاغل في فترة الحصار الغربي على العراق ، وتمتاز هذه الأبرشية بجمعية كهنوتية باسم (جمعية كهنة يسوع الملك) ، وبعمل بدورات لاهوتية وحلقات دراسية ، كما أنّ بها مجلة شهرية باسم ((الفكر المسيحي)) ، ويوجد بها دير أثري شهير من القرن الثالث عشر وهو دير (مار بهنام) تُقام فيه خلوات روحية ومؤتمرات ، ويحتوي على مكتبة مليئة بالمخطوطات ، كما أنّه يتبع أبرشيّة الموصل دير مار يوحنا الديلمي المعروف بدير (نوقورتايا) من القرن التاسع الميلادي ، وهو اليوم أطلال .

سابعاً : أبرشية بغداد :

يسوسها رئيس أساقفة يعاونه سبعة كهنة يخدمون أربع رعايا ، وفي الأبرشية أخويات ، وجوقات تراتيل ، وجمعية خيرية ، ومكتبة عامة للمطالعة ، ومراكز للتعليم ، ومشغل حرفي .

ثامناً : أبرشية القاهرة :

يسوسها أسقف ، هو في الوقت نفسه نائب بطريركي على السودان ، يُساعده ويدير شؤون رعاياها الثلاث ، ومع رعية الخرطوم ، أربعة كهنة . في هذه الأبرشية ثلاث رعايا ، ورعيّة واحدة في الخرطوم ، ومجلس أبرشي ، ومدرسة ، ومستوصف ، وجمعية خيرية ، وجمعية مار منصور ، وناد للعائلات ، وأخوية للسيدات .

ومنذ القرن السابع عشر كانت هناك طائفة سريانية كاثوليكية في مصر تشمل المهاجرين من سوريا والعراق ، ومنذ عام ١٨٥٠ م كان للطائفة السريانية الكاثوليكية كنيستها الخاصة بها في الموسكي بالقاهرة ، أما من الناحية الإدارية فقد قسم السريان الكاثوليك على نيابتين بطريركيتين واحدة بالقاهرة والأخرى بالإسكندرية ، وفي عام ١٨٩٥ م تم توحيد النيابتين في أبرشية واحدة هي إبرشية القاهرة للسريان الكاثوليك .

النيابات البطريركية للسريان الكاثوليك :

أولاً : النيابة البطريركية في البصرة :

يسوسها مطران بغداد ، وتشمل مدن البصرة والعمارة والناصرية مع الكويت وباقي الخليج ، وفي هذه النيابة أخوية ، وناد للعائلات ، ومركز تعليمي .

ثانياً : النيابة البطريركية في القدس :

يسوسها نائب بطريركي ، وتمتد هذه النيابة إلى جميع الأراضي المقدسة والأردن ، وفيها مدرسة ، وأخويّة للسيدات ، ومؤسسة الموعوظين ، ومجلس راعوي ، ودار باسم (دار أبونا إبراهيم) ؛ لاستضافة الحجاج النصارى .

ثالثاً : النيابة البطريركية في اسطنبول بتركيا :

يسوسها نائب بطريركي ، وتشمل حدودها بلاد تركيا بأسرها ، ولهذه النيابة أخويّة للسيدات ، ومجلس ملّي للضيافة ، وجوقة ترتيل .

كما أنّ للكنيسة السريانية الكاثوليكية في بلدان الاغتراب اثني عشرة إرسالية ، بدأ تأسيسها رسمياً منذ عام ١٩٧٦ م ، وهي في : باريس ، السويد ، نيوجرسي ، دتيرويت ، لوس أنجلوس، جاكسو نفيل فلوريدا، مونتريال، توزنتو، مارا كاي، بور تو لاكروس، بيلوريزونته ، سيدني .

وينتمي إلى هذه الطائفة — السريان الكاثوليك — الكاثوليك المالانكاريون الهندية الذين ينتمون إلى التقليد الأنطاكي ، ويعيش أغلبهم حالياً في ولاية كيرال الهندية[1] .

---

[1]) انظر : دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، المجلد الثاني : الكنائس الشرقية الكاثوليكية ، ص ١٢٣ — ١٤٢ ، وموسوعة الأديان في العالم ، الكنائس الشرقية ، المجلد الثاني، ص١٣ — ٢٤، والطوائف المسيحية في مصر والعالم ، ص ١٢٠ — ١٢١ ، ماهر يونان رافائيل ، والإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم ، ص ١٨٧ ، أليكسي جورافسكي ، ترجمة الدكتور : خلف محمد الجراد ، كنائس المشرق ، ص ١٩ — ٩٢ ، د. عزت زكي .

ثالثاً) الكنيسة الكاثوليكية الأرمينية[1] :

تكونت الكنيسة الكاثوليكية الأرمينية في ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٧٤٠ م في مدينة حلب ، وانتُخب أسقف حلب (أبراهام أردزيفيان) بطريركاً وأعلنت شراكتها التامة مع كرسي روما ، وسافر البطريرك المنتخب إلى روما في العام ١٧٤١ م لينال التثبيت من البابا ، وحصل ما أراده من التثبيت بطريركاً (كاثوليكساً) على يد البابا بندكت (بندكتوس) الرابع عشر (١٧ آب ١٧٤٠ ــ ٣ أيار ١٧٥٨م) في ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٧٤٢م، ثُمّ أضاف أبراهام وخلفاؤه إلى أسمائهم لقب (بطريش) اعترافا بولائهم للبابويّ الكاثوليكيّة[2] .

---

[1]) أرمينيا : تقع أرمينيا على الهضبة الشمالية الشرقية من الأناضول على ارتفاع يتراوح بين (١٠٠٠ – ٢٠٠٠) متر على سطح البحر ، وهي جزء من سلسلة جبال القوقاز سمِّيت (الجزيرة الجبلية) ، أعلى قممها جبل أرارات (٥١٦٥ م) ، وفيها بحيرات جبلية (سيفان ، وفان ، واورميا) .

تغيّرت حدود أرمينيا الجغرافية عبر العصور ، وكانت قبل دخول النصرانية تمتد بين ينابيع نهر الفرات غرباً وبحر القزوين شرقاً .

أطلق الأرمن على أنفسهم اسم (هاي) ، وعلى بلادهم اسم (هايستان) نسبة إلى ملكهم وبطلهم الأسطوري (هايك) ، أما اسم (أرمن) و (أرمينيا) فذلك ينسب إلى (أرمين) ابن هايك ، كما جاءت في التقاليد الشعبية الأرمنية .

والأرمن ينتمون إلى العرق الآري ، وهم مزيج من شعوب البلقان وجبال الألب الذين نزحوا شرقاً واختلطوا بشعوب القوقاز ، أي (الاورارتو) ليكوِّنوا أمّةً واحدة ، وذلك في القرن السادس قبل الميلاد .

يولي العهد القديم أرمينيا مكانة مرموقة ، فهي في عقائده أنّه وضع في حدودها جنّة عدن ، وجعل سفينة نوح ترسي على جبل أرارات . وذكر على لسان الأنبياء نداءات الاستنجاد بشعوب أرارات أو أورارتو ، ولكن لا نجد ذكراً لأرمينيا في العهد الجديد ، وإنّما يوجد إنجيل منحول يسمى (إنجيل الطفولة الأرمني) ، ويُذكر فيه أسماء المجوس الذين زاروا المسيح الطفل في مغارة بيت لحم ، وهم : كسبار ، وملكون ، وبغده صار ، وهذه الأسماء لا تزال الأكثر انتشاراً بين الأرمن (كسباريان – ملكونيان – بغده صريان) .

انظر : دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ١٨/٢ ، جزء بقلم المطران بطرس مراياتي مطران حلب . والفرع الكاثوليكي من الكنيسة الأرمينية الأرثوذكسية الأصل لها تواجد قوي في لبنان وحلب بل أول ما تكوّن هذا الفرع كان في حلب .

[2]) انظر : دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ٣٣/٢ ، وموسوعة الأديان في العالم ، جزء الكنائس الشرقية (٢) ، ص ٦١ – ٦٢ ، والطوائف المسيحية في مصر والعالم ، ص ١١٧ – ١١٨ ، إعداد ماهر يونان رافائيل ، والإسلام والمسيحية ، ص ١٨٦ ، أليكسي جودافسكي ، ترجمة : د. خلف محمد الجراد .

والكنيسة الكاثوليكية الأرمينية فرع مشتق من الكنيسة الأرمينية الأم ، التي هي أرثوذكسية المعتقد (اللاخلقدونية) ، كما أنّ الكنيسة الأرمينية الأم هي من أقدم الكنائس نشأة وطقساً ولاهوتاً أرثوذكسياً ، وهي متمسكة بأنّها كنيسة رسوليه عن طريق اثنين من حواري المسيح ، تَدّاوس في سنة (٤٣ م)[١] وبرتلماوس في سنة (٦٠ م)[٢] ، فهي تزعم أنهما بشّرا الأرمن بدين المسيح الجديد في منتصف القرن الأول الميلادي ، وعلى ذلك تعتبر الكنيسة الأرمينيّة أنّ تَدّاوس أول بطاركتها ، وتجعل لمجيئهما أهميّة تاريخيّة ، لتؤكّد كونها كنيسة رسوليّة[٣] .

ويفتخر الأرمن بأنهم أول دولة اعتنقت الديانة النصرانية ، وأعلنتها ديانة رسمية ، وكان ذلك في عام ٣٠١ م ، فلم يسبقها إلى ذلك سوى بعض الإمارات الصغيرة مثل إمارة الرها ، علماً بأن منشور ميلانو ، الصادر عن الإمبراطور قسطنطين ، الذي يسمح بنشر الدين النصراني لم يعلن إلاّ في العام ٣١٣ م ، ولم يعلن الدين النصراني دين الدولة الرسمي إلاّ في عام ٣٨٠ م ، ولذلك فإن الأرمن يفتخرون بالسبق في هذا .

والكنيسة الأرمينية الأم (الأرثوذكسية) تعترف بالمجامع المسكونية الثلاثة الأولى ، وهي نيقيه عام ٣٢٥ م ، وقد شاركت فيه بإشراك القديس اريستاكيس ابن الكاثوليكس كريكور المنوّر ، وكذلك المجمع الثاني في القسطنطينية عام ٣٨١ م فقد تبنّت جميع قراراته وتعاليمه وإن لم تشارك فيه ، وكذلك لم تشارك في المجمع الثالث في أفسس الأوّل عام ٤٣١ م ، ولكنّها قبلت جميع تعاليمه ووصاياه ، وبينما كان الأرمن كنيسةً وشعباً

---

[١]) تَدّاوس، أحد التلاميذ الاثني عشر ، المسمّى لِبّاوس في بعض المخطوطات ، والذي يُستبدل به يهوذا في إنجيل لوقا ٦ / ١٤ ــ ١٦ . انظر : معجم الإيمان المسيحيّ ، ص ١٤١ ، الأب صُبحي حمَوي اليسوعيّ .

[٢]) بَرتلماوس : اسم عائلة أحد الاثني عشر ، يُرجّح أنّه نثنائيل ، وهو من قانا ، كما جاء في يوحنّا ٢١ : ٢ : ((٢اجْتَمَعَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ وَتُومَا، الْمَعْرُوفُ بِالتَّوْأَمِ، وَنَثَنَائِيلُ، وَهُوَ مِنْ قَانَا بِمِنْطَقَةِ الْجَلِيلِ، وَابْنَا زَبَدِي، وَتِلْمِيذَانِ آخَرَانِ.)) ، وهناك عدّة تقاليد تدّعي أنّه بشّر (نصّر) بلداً أو بلداناً من الشرق ، كأرمينيا والهند ، وهناك إنجيل بَرتلماوس ، قيل أنّه مؤلّف منحول من القرن الرابع . انظر : معجم الإيمان المسيحيّ ، ص ١٠٠ ، الأب صُبحي حمَوي اليسوعيّ .

[٣]) ولكن بعض المؤرخين لا يجدون في ما تدّعيه الكنيسة الأرمينيّة الأرثوذكسيّة مصادر تاريخيّة ثابتة . انظر : دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ٢ / ١٩ .

مشغولون بالدفاع عن أرضهم ضد هجمات الفرس ، عُقد مجمع خلقدونية عام ٤٥١ م فلم تستطع الكنيسة الأرمينية المشاركة فيه .

وصلت القرارات المجمعية ورسالة البابا لاون (ليو) الأوّل الكبير (٢٩ أيلول سنة ٤٤٠ ـــ ١٠ تشرين الثاني ٤٦١ م) إلى الأرمن فرفضوها حيث يرون أنّ الكلام عن طبيعتين بشرية و إلهية في المسيح، هو عودة إلى النسطورية التي حرمها مجمع أفسس الأوّل، كما أنّهم تمسّكوا بتعاليم مجمع أفسس الثاني ٤٤٩ م الذي ذهب إلى أن المسيح واحد في ناسوته مع لاهوته دون اختلاط ولا امتزاج ولا مزج ، فرفضوا بذلك قرارات المجمع الخلقدوني في القول بالطبيعتين ، وفي مجمع ((دفين)) في عام ٥٥٤ م ، ثبّتت الكنيسة الأرمينية رفضها لتعاليم مجمع خلقيدونيّة ، فانقطعت العلاقة بين الكرسي الأرميني وبين كرسي روما .

ولكن وجدت مجموعة من الأرمن قبلت بمقررات مجمع خلقدونيّة ، وظلت على اتصال مع الكنيسة البيزنطية الخلقدونيّة، ومن بين هؤلاء الكاثوليكس يزر (٣٦٠-٦٤١م) ، والكاثوليكس نرسيس الثالث(٦٤١- ٦٦١م) ، والكاثوليكس زكريا (٨٥٥- ٨٧٧ م) ، ومما لاشك فيه أن النفوذ البيزنطي أثّر في انتشار تعاليم مجمع خلقدونيّه .

ثم أنّ المملكة البيزنطية لم تصمد أمام الفتح الإسلامي على يد المسلمين السلاجقة فكانت موقعة (منازكيرد) في عام (١٠٧١م) ، انتصر فيها المسلمون على الروم النصارى وفتحوا عاصمة الأرمن (آني) التي كانت تُسمى (مدينة الألف كنيسة وكنيسة)، وجميع المناطق الارمنية .

نزح الأرمن إلى منطقة قليقيه ، وهي المنطقة الفاصلة بين البيزنطيين النصارى وبين المسلمين ، تقع شمال سورية ، ولها منفذ على البحر الأبيض المتوسط ، وأنشؤوا في قليقيه دوله أرمينية جديدة بزعامة أميرهم ((روبين الأول)) ، تزامن إنشاء هذه الدولة الجديدة مع قدوم الحملة الصليبية الأولى (١٠٩٥-١٠٩٩م) ، فاستفاد الغربيون النصارى الصليبيون الكاثوليك من القواعد الأرمينية للانطلاق نحو إنشاء محميات صليبية مثل الرها وأنطاكية والقدس ، واستمرار التعاون بين الأرمن والصليبيين أدّى إلى ازدهار دولة الأرمن

اقتصادياً وثقافياً ، وصلت إلى أوجها في عهد أحد ملوكهم ، ويدعى ((ليفون دي لوسيينان)) عندما نُصّب بحضور ممثل بابا روما ، وممثل الامبراطور البيزنطي وذلك في عام ١١٩٨ م في مدينة طرسوس[1] .

كما أن العادات الغربية طغت على الدولة الأرمينية الحديثة، والتي تقع شمال سورية، وكذلك كثرت الزيجات المختلطة ، واستخدمت اللغة اللاتينية والفرنسية في البلاد ، فتأثرت الكنيسة بالوضع العام ، فشهدت انفتاحاً نحو الغرب ، وبدأ عصر من العلاقات المسكونية مع الكنائس اللاتينية الغربيّة الكاثوليكيّة والبيزنطية والسريانية وذلك في عهد الكاثوليكس (كريكور فكاياسير) الذي زار القدس والإسكندرية والقسطنطينية وروما سعياً وراء التفاهم الكنسي .

ثم جاء أسقف طرسوس (نرسيس لامبروناتسي) وخصص هذه الوحدة أكثر باتجاه الكنيسة اللاتينية الكاثوليكيّة والبابويّة في روما ، ونجحت بوادر الوحدة مع الكرسي البابويّ ، فبدأ بعض الحجاج النصارى الأرمن يذهبون إلى روما لزيارة ضريحي بطرس وبولس .

ولكن هذا التيار الأرميني المتحد مع الكرسي البابويّ لقي معارضة شديدة من أساقفة الكنيسة الأرمينيّة الأرثوذكسيّة (اللاخلقدونية) فلم يدم طويلاً ، إلاّ أنّ هذا الاتحاد مع الكرسي البابوي عاد في عهد الكاثوليكس قسطنطين الأول (١٢٢١ - ١٢٦٧ م) ، ومنذ ذلك الوقت أصبح بعض البطاركة الأرمن يقرون بقانون الإيمان اللاتيني الكاثوليكي ، وبدأت بذلك تتغلغل محاولات الوحدة والكثلكة .

وتقوّت هذه العلاقة تماماً فظهر من خلالها تكوين فرع كاثوليكي للكنيسة الأرمينيّة صريح منشق تماماً عن الكنيسة الأرمينيّة الأرثوذكسيّة الأم في عام ١٧٤٠ م ، في عهد الراهب مختيار سيباست (١٦٧٦ - ١٧٤٩ م) الذي سافر مع تلامذته إلى روما ،

---

[1]) طرسوس : تقع في آسيا الصغرى ، كان تعد من أجل الثغور الإسلامية في عهد العباسيين . حصلت حولها معارك ضارية بين العباسيين وبين الروم في عهد نقفور ، خاصة في سنة ٣٥٤هـ . انظر : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٦٢ ، ١٦٣ ، تأليف : كي لسترنج ، نقله إلى العربية بشير فرنسيس ، وكوركيس عواد .

وحصل على موافقة من البابويّة لإقامة رهبنة مبنيّة على التعاليم الكاثوليكيّة عام ١٧٠١م ، ولكن هذه الرهبنة وجدت معارضة قويّة من الكرسي الأرميني الأرثوذكسي ، وتعثّرت المفاوضات بينهما في الأعوام ١٧٠٢ ، ١٧٠٣ ، ١٧٠٤ م للوصول إلى حلٍّ سلمي ، فبدأت تتبلور رويداً رويداً فكرة الاستقلالية وإنشاء بطريركية كاثوليكيّة مستقلة ، ثم ترسخت وأصبحت ضرورية في نفوس الكاثوليك الأرمن وقد تحقق هذا في ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٧٤٠م وانتخب أسقف حلب (أبراهام اردزيفيان) بطريركاً ، ونال التثبيت من البابا بندكت (بندكتوس) الرابع عشر (١٧ آب ١٧٤٠ـ ٣ آيار ١٧٥٨م) في ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٧٤٢م ، ثُمّ نقل كُرسيّة الكاثوليكي المستقل عن الكنيسة الأرمينيّة إلى دير (الكريْم) التابع للرهبان الأنطونيين الأرمن[1] والكائن في جبل كسروان بلبنان ، هروباً من وطأة الكنيسة الأرمينيّة الأرثوذكسيّة الأم .

ثم جاء خلفه البطريرك يعقوب بطرس الثاني يسفيان ، فبنى ديراً مستقلاً لهم يقع على هضبة

---

[1]) الرهبنة الأنطونية الأرمينية :

تأسست هذه الرهبنة على يد هذا البطريرك (ابراهام أردزيفيان) عندما كان أسقفاً على مدينة حلب ، حيث أنّه شجّع أربعة إخوة حلبيين من عائلة مراديان للذهاب إلى لبنان والترهب عند الآباء الأنطونيين الموارنة في دير مار أنطونيوس قزحيا ، ثم ساعدهم لينشئوا رهبانية أنطوانية أرمينية مستقلة في عام ١٧٢٠ م فبنوا لهم ديراً في منطقة (الكرَيْم) في جبل كسروان بموازاته أيضاً .

ثم ازدهرت الرهبانية الأنطوانية، فبنوا ديراً آخر لهم في غزير، على اسم مار انطونيوس خشباو في عام ١٧٦٠م ، وتحوّل الديران إلى ملجأ للمضطهدين من أجل مذهبهم الكاثوليكي ، ونقطة استراحة للحجّاج الأرمن الذاهبين إلى القدس ، ثم بنوا الكنيسة الكبرى في عام ١٨٢٠ م ، ولكن الرهبان ما لبثوا أن انتقلوا إلى اسطنبول في عام ١٨٧٠ م ليتابعوا رسالتهم بين الأرمن المقيمين هناك ، ولكن خلافات نشأت بين أعضاء الرهبانية فتقلص عدد الرهبان فيها وشحّت الدعوات فألغيت في عام ١٩٢٣ م بأمر من الكرسي الرسولي البابويّ .

ومنذ ذلك التاريخ بقي دير مار انطونيوس خشباو مهجوراً ، إلى أن بادرت الرهبانية المارونية اللبنانية إلى اقتنائه في عام ١٩٨٦ م ، فرمّمته وأبرزت معالمه الأثرية ، وحوّلته إلى مقر الرئاسة العامة ، ولكنها حافظت على طابعه القديم ، وعلى جميع النقوشات المكتوبة باللغة الأرمينية ، وعلى جميع الأيقونات القديمة .

أما دير الكرَيْم فقد تخلت عنه الرهبانية الأنطوانية الأرمينية لتتمركز في منطقة غزير الواسعة ، فباعته للأب حنا حبيب مؤسس رهبانية المرسلين اللبنانيين ، وهو اليوم في عهدتهم وقد رمّموه ووسّعوا أرجاءه محافظين على معالمه الأرمينية القديمة . انظر : دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ٢/٣٣ — ٣٤ .

عالية من منطقة كسروان تدعى (بزمّار) وانتقل إليه عــام ١٧٥٠م، وتكوّنت حوله جمعية من الكهنة المرسلين ، ولا تزال تُعرف حتى اليوم باسم ((جمعية كهنة دير بزمّار البطريركية)) .

وانتظرت الطائفة الأرمينيّة الكاثوليكيّة حتى العام ١٨٣٠ م ليحصلوا على فرمان عثمــاني صدر في ٦ كانون الثاني (يناير) يعترف باستقلاليتها عن الطائفة الأرمينية الأرثوذكسيّة الأمّ ، وأصبح من ذلك الوقت للأرمن الكاثوليك بطريركاً في اسطنبول وبطريركاً في دير بزمّار .

وقد ازدهرت الكنيسة الأرمينية الكاثوليكية ازدهاراً كبيراً ، فأهتم كهنتها بــالأمور الرعوية ، وتشمل الطائفة ست عشرة أبرشية وتسع نيابات بطريركية وإرسالية في بولونيا وإرسالية في جيورجيا ، وأرمينيا الشمالية ، أما الأمور التربوية والثقافية فكانت تقع على عاتق الآباء المختارين، وعلى عاتق جمعيّة راهبات الحبل بلا دنس الــتي تكوّنــت عــام ١٨٤٧م ، كما ساهم الآباء اليسوعيون والفرنسسكان مع أتباع الطائفة في مجال التربية والتعليم الديني ، والخدمة الاجتماعية ، فأصبح للأرمن الكاثوليك مئات المــدارس وآلاف الطلاب في المدن والأرياف .

تؤمن بنفس عقائد الكنيسة الكاثوليكية الأم في روما إلا أنها أدخلــت في القــرن السابع عشر بعض التعديلات على نص القانون (النيقاوي) ، ولكنها عادت في آخــر القرن الماضي (القرن العشرين) وتخلّت عن هذه التعديلات ورجعت إلى النص المعتمــد عند البابويّة ، ولكنها تبنّت بعض الطقوس الوثنية التي كانت منتشرة في أرمينيا قبل دخول النصرانية إليها ، فعوضاً عن منعها ومحاربة الناس المتعلقين بهــا ، عمــدت إلى تنــصيرها وتعميدها فأدخلتها في صلب الرتب الدينية وأعطتها معاني نصرانية مثل : طقس إشــعال النار في وسط الكنيسة[1] ،.وطقس بركة العنب[2] .

---

[1]) طقس إشعال النار في وسط الكنيسة: يحصل هذا في عيد تقدمة المسيح إلى الهيكل، والالتفاف حول هذه النار ، وهذه النار مرتبطة بعيد النار التي كان يعبدها الأرمن قبل تنصيرهم . ولكنّهم جعلوا هذه النّار مُقدّسة ، واعتقدوها رمزاً للمسيح حيث أنه نور العالم عندهم . انظر : دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ٣٩/٢ ، وموسوعة الأديــان في العالم ، جزء الكنائس الشرقية القسم الثاني ، ص ٧١ .

[2]) طقس بركة العنب : وهذا العيد مرتبط بعيد آلهة الخمر والكرم عند الأرمن قبل تنصيرهم ،وهو يصادف في شهر آب (أغسطس) ويُدعى (نفاسارت)، فحافظت الكنيسة على هذه العادة الشعبية، وأدخلت بركة العنب في صميم الطقس الكنسي، بعد أن أعطته معنى خلاصياً ابتداءً من نوع الذي زرع الكرمة إلى المسيح الكرمة الحقيقية ، ومن=

الكنيسة الكاثوليكية الأرمينية في مصر :

يرجع تاريخ الأرمن الكاثوليك في مصر إلى عام ١٧٣٤ م ، حيث التأم شمل أربعين عائلة بالقاهرة وشيّدوا كنيسة صغيرة عام ١٧٣٧ م ، ومنذ سنة ١٧٥٣ م ، ابتدأ بطاركة الأرمن الكاثوليك بلبنان بتولي الرعاية الروحية لأبنائهم في مصر ، وعُيّن أول نائب بطريركي لهم في عام ١٨٢٠ م ، وفي عام ١٩٢٦ م افتتحت كاتدرائية القاهرة وبجوارها مبنى البطريركية بوسط البلد[١] .

=عُرس قانا الجليل الذي حوّل فيه يسوع الماء خمراً إلى العشاء الأخير حيث جعل من الخمرة رمزاً لدمه كما يزعمون في أناجيلهم . انظر : إلى المرجعين السابقين ، الصفحات نفسها .

وانظر في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية الأرمينية إلى: دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ،٢/١٥ – ٤٣، وموسوعة الأديان في العالم، جزء الكنائس الشرقية ، المجلد الثاني منه، ص٣١ – ٧٨، والطوائف المسيحية في مصر والعالم ، ص ١١٥ – ١١٨ ، ماهر يونان رفائيل ، كنائس المشرق ، ص ١٧٦ – ٢٠٥ ، د. عزت زكي .

[١]) الطوائف المسيحية في مصر والعالم ، ص ١١٨ ، ماهر يونان .

رابعً) طائفة الروم الملكيّة الكاثوليكية (الملكانية الكاثوليكية)[١] .

كنيسة الروم الملكيّة الكاثوليكية فرع عن طائفة الروم الملكيّة الأنطاكية التي اعترفت بمقرارات مجمع خلقدونية عام ٤٥١ م ، وهذا الفرع اتحد مع الكنيسة الكاثوليكية الأم في روما ، وكوّن سلطة مستقلة له في سنة ١٧٢٤ م ، وانتخبوا (سيرافيم طاناس) بطريركاً لهم باسم (كيرلّس السادس) وجرت الرسامة في دمشق في ٢٠ من أيلول سنة ١٧٢٤م، والغريب في أمر هذه الكنيسة أن البابا بندكت (بندكتوس) الثالث عشر (١٧٢٤ — ١٧٣٠م) تلكّأ في الاعتراف بهذا البطريرك كيرلّس السادس طيلة خمس سنوات إلى ١٥ آذار (مارس) سنة ١٧٢٩ م ، وعندما صدر قرار الكرسي الرسولي في روما في ذلك التاريخ بتثبيت كيرلّس السادس بطريركاً على أنطاكية الملكية أرفق هذا القرار بمراسيم عدّة منها منع اشتراك الكاثوليك في القدّاسات مع غير الكاثوليك ، فوافق البطريرك على كل

---

[١]) كنيسة الروم الملكيين الكاثوليك :

نشأت تسمية (الملكيّن) على فرع الطائفة الأنطاكيّة التي وافقت على قرارات مجمع خلقدونية ، أي منذ القرن الخامس الميلادي ، أطلقوه عليهم مخالفوهم من اليعاقبة القائلون بالطبيعة الواحدة ، أطلقوه عليهم ازدراء لهم لوقوفهم في صف الملك البيزنطي مرقيانوس (٤٥٠ — ٤٥٧ م) الذي كان يعاضد قرارات مجمع خلقدونية في وجه اللاّخلقدونيين أصحاب الطبيعة الواحدة ، ويقول العلامّة أبو الفتح الشهر ستاني : ((الملكانية أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها)) ، فيظهر من كلامه رحمه الله أنهم هم الذين سمّو أنفسهم بهذا الاسم ، لكن المراجع النصرانية تذهب إلى أن مخالفيهم من اليعاقبة هم الذين أطلقوا عليهم هذا الاسم .

أما تسميتهم ((الروم)) فهي تسمية حديثة ، إذ لم تكن معروفة عند المسلمين من قبل ، فالاسم الذي كان شائعاً هو ((الملكية)) أو ((الملكانية)) ، وقد استمر معروفاً حتى أوائل القرن الثامن عشر ، وسموا بالروم لأن كلمة (روم) مقتطعة من لفظة (رومانيين) الواردة في التواقيع السلطانية العثمانية نسبةً إلى الاسم الذي أطلق على القسطنطينية منذ تأسيسها (رومة الجديدة) فهي منتسبة إلى القسطنطينية ، ولكن البعض توهم أن المنتسبين إلى هذه الكنيسة هم من أصل إغريقي يوناني .

أما الجزء الأخير من الاسم ، وهو (الكاثوليك) فهو خاص بالفرع الذي التحق بالكنيسة الكاثوليكية في روما، واتحد معها وكان ذلك في سنة ١٧٢٤م، ثم عُرف الذين عارضوا هذا الإتحاد مع روما باسم (الروم الأرثوذكس)، واسقطوا عنهم لقب الملكيين .

أنظر : الملل والنحل ، ٢٦٦/١ ، أبي الفتح الشهرستاني ، تحقيق : عبد الأمير مهنا ، علي فاعور ، ودليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة،٤٨/٢، والإسلام والمسيحية، ص١٨٥، أليسكي جورافسكي، ترجمة: د. خلف محمد الجراد، والطوائف المسيحية في مصر والعالم ، ص ١٢٢ ، ماهر يونان رفائيل .

هذه المراسيم ، وأبرز قسمه بحفظها والعمل بموجبها أمام مندوب البابا الآب دوروثاس الكبوشي ، في احتفال كبير في كنيسة دير المخلّص في ١٤ نيسان (أبريل) عام ١٧٣٠م، وما يلفت النظر أيضاً أن البطريرك كيرلّس السادس قد غالى في الخضوع التام لروما ، وتعهد بمنع الكاثوليك من الاشتراك في القدّاسات مع الأرثوذكس ، فأدّى هذا إلى سلخ فريق كبير من الملكيين الكاثوليك عن إخوانهم وعائلاتهم وكنائس طائفتهم الأم الملكيّة ممّا جعلهم عرضه للاضطهادات .

وفي ٢٤ كانون الأول (ديسمبر) عام ١٧٣٤م أصدر البابا بندكت (بندكتوس) الرابع عشر (١٧ آب ١٧٣٠ــ ٣ أيار ١٧٥٨م) قراره دفاعاً عن الكنيسة الملكية الكاثوليكية ، يسمونها براءته الرسولية ، ونصها : ((لمّا قلّد الرب حقارتنا التي جعلها سياجاً لكرامة كنيسة الروم الملكيين الكاثوليك ، بل سوراً منيعاً لكرامتها يمنع تعدّي من كانت نفوسهم تسوّل لهم التعدّي عليها وعلى حقوقها لاعتبارهم أنها مستضعفة مضطهدة من سلطان الزمان ورجال دولته ومن بطاركة اليونان ومطارنتهم وأعيانهم)) .

وتتوّجت مساعي البابويّة ودولتيّ فرنسا والنمسا ، في سنة ١٧٤٥ م بصدور فرمان سلطاني يسمح لبطريرك كنيسة الروم الملكية الكاثوليكية ((كيرلّس السادس)) بإدارة شؤون كرسيّه بحرية ، إلاّ أنّ بطريرك الكرسي الأنطاكي الملكي سلفستر القبرصي تمكّن من إصدار فرمان سلطاني عثماني ينقض الفرمان السابق وفيه طرد كيرلّس السادس من دمشق ، فبدأ بذلك فصل جديد من فصول الاضطهاد ضد أتباع كنيسة الروم الملكية الكاثوليك ، فانتقل كيرلّس السادس إلى لبنان حيث مارس مهامه انطلاقاً من الدار البطريركية في دير المخلّص . وتابع عمله في إدارة شؤون الملكيين الكاثوليك .

توفي البطريرك كيرلّس في ٣٠ كانون الأول (ديسمبر) عام ١٧٥٩ م ، وقد شكّلت وفاته خطراً حقيقياً على استمرار البطريركية الكاثوليكية ، وهذا الخطر داخلياً وخارجياً ، فداخليّاً تجسّد في الخلافات التي نشبت حول الكرسي البطريركي ، وخارجياً قيام حملة قوية من الاضطهادات التي قام بها المعارضون للبطريركين الكاثوليكيين ، مما جعل البابويّة تتدخّل لوقف هذا الخطر عن البطريركيّة والدفاع عنها ، فعيّنت مكسيمس الثاني حكيم بطريركاً في أول آب (أغسطس) عام ١٧٦٠ م ، ثم عيّنت بعد وفاته في ١٥ تشرين

الثاني (نوفمبر) عام ١٧٦١ م (ثاودوسيوس الخامس دهان) ، وفي عهد البطريرك دهان صدر قرار عن مجمع انتشار الإيمان في ١٣ تموز (يوليو) سنة ١٧٧٢ م بموافقة البابا إكليمنت (إكليمنضوس) الرابع عشر (١٩ أيار ١٧٦٩ ــ ٢٢ أيلول ١٧٧٤ م) بضم الإسكندرية والقدس إلى ولاية البطريرك دهان .

ولكن نتج عن هذه الاضطهادات المتكررة القضاء على الروم الكاثوليك في أبرشيات حمص وطرابلس واللاذقية، فخسر الروم الكاثوليك معظم الكنائس والأوقاف والمدارس في سورية، أما حلب فقد صمدت أمام تلك الاضطهادات لذلك رسخت فيها الكثكلة وتأصّلت، وكذلك دمشق صمدت بمساعدة الرهبانية الفرنسسكانية والرهبان المخلّصين الذين خدموا في دمشق، أما في لبنان فقد صمدت الكثكلة في بعلبك وصيدا، وشكّل جبل لبنان والجليل السياج الواقي للطائفة .

وظلّت العلاقة بين الكرسي الأنطاكي الملكي (الكنيسة الأمّ) وبين الطائفة الجديدة المنشقة عنها طائفة الروم الكاثوليك بين مدّ وجزر حتى سنة ١٨٣٠ م أي طيلة قرن ونصف من الزمن ، حتى عيّن السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ – ١٨٣٩م) سنة ١٨٣٠م، ناظراً علمانياً ــ أي غير منخرط في الرتب الكنسيّة ــ من طائفة الأرمن الكاثوليك للاهتمام بشؤون الروم الكاثوليك ، بعد نجاح مساعي الحكومتين الفرنسية والنمساوية ، وفي العام التالي أي عام ١٨٣١ م تم تعيين كاهن من طائفة الأرمن يُدعى (أغوب تشوكوريان) عُرف بالبطريرك الأرمني لأنه أخضع لسلطته جميع الطوائف الكاثوليكية العثمانية ، ثُمّ بعد سنتين من ذلك بدأ الاستقلال التام للروم الكاثوليك بتعيين بطريرك خاص بها من أبنائها يُدعى مكسيمس الثالث مظلوم عام ١٨٣٣ م .

استقلال طائفة الروم الملكية الكاثوليكية :

في نفس السنة الذي تولى فيها البطريرك الكاثوليكي العام (أغوب تشوكوريان) مسئولاً عن جميع الكاثوليكيين العثمانيين عام ١٨٣١ م استطاع الجيش المصري بقيادة إبراهيم بن محمد علي باشا أن يسيطر على فلسطين ولبنان وسوريا ، وينتزعها من السلطنة العثمانية، وهنا وقّع الجيشان (المصري والعثماني) على معاهدة (كوتاهيه) عام ١٨٣٣م أقرّت فيها السلطنة العثمانية بسلطة محمد علي باشا على مصر وبلاد الشام .

كان من مساعدي إبراهيم باشا أحد الكاثوليك الملكيين يُدعى يوحنا البحري ، فعمل هذا الرجل على تحرير طائفته من بعض القيود وأن يرفع من شأنها ، وحصلت لـه أهم خطوة في ذلك الوقت ، وهي أنه تمّ تعيين بطريركاً على طائفة الروم الملكية الكاثوليكية من أبنائها وهو مكسيمس مظلوم أسقف حلب باسم (مكسيمس الثالث)، وكان ذلك في ٢٣ آذار (مارس) عام ١٨٣٣م ، ثُمّ حصل مكسيمس الثالث على موافقة مصرية وفرمان سلطاني في عام ١٨٣٧م تعطيه الإذن ببناء الكنائس ، ويسمح لأتباع كنيسة الروم الكاثوليكية بممارسة شعائرهم الدينية بحرية تامة ، وقبل تلك السنة ١٨٣٧ م بسنة واحدة أي في عام ١٨٣٦م في أول شباط (فبراير) حصل مكسيمس الثالث قرار التثبيت من البابا غريغوريوس (جريجوري) السادس عشر (٢ شباط ١٨٣١ ـ ١ حزيران ١٨٤٦م)، ولكن هذا التطور الملحوظ لوضع طائفة الروم الملكية الكاثوليكية لم يكن ليقنع البطريرك (النشيط المتحمس) مكسيمس الثالث، لأنه وإن أصبح المرجع الروحي الأعلى والأوحد (للطائفة) فإنه ظل في الحقل المدني، خاضعاً لسلطة الناظر الأرمني الكاثوليكي في الاستانه؛ لذلك ذهب مكسيمس الثالث إلى الاستانه في ٢٣ آب (أغسطس) من عام ١٨٤١م في وقت كانت فيه الإمبراطورية العثمانية قد استرجعت سلطتها على سوريا ولبنان وفلسطين من محمد علي باشا الذي انسحب إلى مصر ، للحصول على فرمان سلطاني يقضي بتحرير طائفة الروم الملكيّة الكاثوليكيّة من سلطة الكاهن البطريركي المدني ، والاعتراف بسلطته على طائفته ومنحه كل الامتيازات التي يتمتع بها البطاركة الآخرون .

نجح مكسيمس الثالث في مساعيه تلك عند السلطان عبد المجيد (١٨٣٩ — ١٨٦١م) في ٧ كانون الثاني (ديسمبّر) ١٨٤٨ م (١٢٦٣ هـ) ـ أي أنّ مساعيه تأخّر نجاحها سبع سنوات ـ ، كما أنّ السلطان عبد المجيد منحه نيشان الشرف المرصّع بحجارة من الماس كالذي يحصل عليه بطاركة القسطنطينية ، وكان ذلك في عام ١٨٥٤ م (١٢٧٠ هـ) ؛ وهكذا حقق البطريرك مكسيمس الثالث هدفه الأعلى القاضي باستقلال الروم الكاثوليك استقلالاً تاماً دينياً ومدنياً ومنحهم كياناً خاصاً بهم ، وجعل مركز البطريرك الملكي مماثلاً لكل الكراسي البطريركية الأخرى ، أرثوذكسية كانت أم كاثوليكية .

وكان من الأمور البارزة التي عملها مكسيمس الثالث في تنظيم الأمور الراعوية وحياة

ونظام طائفته أن عقد في بداية عهده في عام ١٨٣٥م مجمع في عين تراز درس فيه أوضاع طائفته بشكل عام قُرِّرت فيه مقررات عديدة تتعلق بعبادات هذه الطائفة وأسرارها على تعاليم الكرسي الرسولي في روما ، ورُفعت هذه المقررات إلى المقرّ البابوي الذي أقرّها سنة ١٨٤١م .

وبعد وفاة البطريرك مكسيمس الثالث ((مظلوم)) ، التأم سينودس طائفة الروم الملكية الكاثوليكية في دير المخلص في ٢٠ آذار (مارس) عام ١٨٥٦ م وعلى رأسهم القاصد الرسولي مبعوث البابويّة ، واسمه (بول برونوني) ، وهناك انتخب آباء المجمع رئيس أساقفة عكا والخليل المطران اكليمنضس بحوث ، وقد حصل على صك التثبيت من البابا بيوس التاسع (١٦ حزيران ١٨٤٦- ٧ شباط ١٨٧٨م) ، في ١٦ حزيران (يونيو) من العام نفسه، وفي ١٧ تشرين (نوفمبر) منه تسلّم الموافقة البابوية على لقب ((بطريرك أنطاكية والإسكندرية والقدس)) على كنيسة الروم الملكيين الكاثوليك .

ولم يرض كل أتباع الطائفة به بطريركاً ، فقامت معارضة قويّة ضده ، وقد قاد المعارضة في دمشق الأب يوحنا مساميري ، وفي الإسكندرية الأب جبرائيل جبارة ، وتبع ذلك انقسام في صفوف تابعي كنيسة الروم الملكية الكاثوليكية في كل من مصر ودمشق وصور وصيدا مما حدا بالبطريرك اكليمنضس بحوث بتقديم استقالته ، ولكن البابا بيوس التاسع رفض هذه الاستقالة وأمر البطريرك مزاولة مسؤوليته ، وفي نفس الوقت أجبر المعارضين على الطاعة بعدما ألغى مجمعا غير قانوني عقدوه في عين الزوق بالقرب من زحلة في ١٢ آب (أغسطس) عام ١٨٥٩ م .

فوقوف البابويّة مع البطريرك اكلمنضس بحوث جعل الخلاف يضمحل ؛ باستثناء قلة انضمت إلى الكنيسة الأرثوذكسية ، وأما المعارضة الإسكندرية فقد استمرت حتى وفاة قائدها عام ١٨٨٠م الأب جبرائيل جبارة ، في حين أن المعارضة الدمشقية انحازت بقيادة الأب يوحنا مساميري إلى الروم الأرثوذكس لكنها عادت على حضن الكنيسة الملكية الكاثوليكية في عهد البطريرك غريغوريوس يوسف سيّور عام ١٨٦٤م .

وبعد أن استتب الوئام في البطريركية ، وانضبط المعارضون ، اجتمع البطريرك اكليمنضس بحوث بأساقفته في ٢٤ أيلول (سبتمبر) عام ١٨٦٤م ، في كنيسة دير مار

يوحنا الشوير ، وأعلن استقالته النهائية ، وبعد هذه الاستقالة بخمسة أيام أي في ٢٩ أيلول (سبتمبر) اجتمع الأساقفة وانتخبوا المطران غريغوريوس يوسف سيّور ، مطران عكـا ، بطريركاً ، وأرسل البابا بيوس التاسع (١٦ حزيران ١٨٤٦ ـ ٧ شباط ١٨٧٨ م) صك التثبيت في ٢٧ آذار (مارس) عام ١٨٦٥م .

اهتم هذا البطريرك ببناء المدارس في كل أنحاء بطريركيته ، وفتح مدرسة للأحداث وصغار السن بجانب كل كنيسة لأنه يعتقد أنّه بدون المدرسة لا تُعمر الكنائس ، ووضع في ٩ تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٨٦٥ م حجر الأساس للمدرسة البطريركية في بيروت ، فتوافد إليها الطلبة من لبنان ومصر وفلسطين وسوريا والعراق ، كما أنه أمر بإعادة بناء المدرسة البطريركية في دمشق ، والتي كانت قد أُنشئت في عهد البطريرك مكسيمس الثالث ((مظلوم)) ، وتعرضت للحرق في المذبحة التي حصلت بين النصارى بعضهم البعض سنة ١٨٦٠ م .

وكذلك أهتم بتأسيس رعويات للعمل التنصيري والاجتماعي ، منها : الأخويات التقوية في دمشق ، وجمعية يوحنا الرحوم في الإسكندرية والقاهرة ، ودعم جمعية القديس منصور في دمشق وجمعية القديس جاور جيوس في خورنية باب المصلّى بدمشق عام ١٨٨١م، كما أنّه أهتم ببناء الكنائس بشكل ملحوظ، وأعاد نشاط إكليريكية عين تراز، وأعلى من شأن الطلاب الإكليريكيين حيث أرسلهم إلى روما وفرنسا لتلقي التخصص في كلياتها اللاّهوتية ، كما أنّه حوّل المدرسة (الصلاحية الشافعية الإسلامية) في القدس إلى إكليريكية باسم (إكليريكية القديسة حنة) بمساعدة السلطات الفرنسية وإعانة البابا لاون (ليو) الثالث عشر (٢٠ شباط ١٨٧٨ ـ ٢٠ تمّوز ١٩٠٣ م) ، وقد وقف معه في هذا المشروع المطران لافيجري (١٨٢٥ – ١٨٩٢ م) مطران رهبانية الآباء البيض حيث قاموا هم بالتدريس في هذه الإكليركية للطلاب من أبناء طائفة الروم الملكية الكاثوليكية ، واستطاع هذا البطريرك أيضاً أن يبني مدرسة إكليريكية بإدارة الآباء البيض في القدس وفي وسط أكثره من المسلمين عام ١٨٩٤م، وكذلك بنى مزاراً وكنيسة على طريق الجلجلة.

توفي هذا البطريرك غريغوريوس يوسف سيّور عام١٨٩٧م وعمره أربعة وسبعون سنة .

وقد كان لطائفة الروم الملكية الكاثوليكية اهتمامات دعوية وتنصيرية في محيطها

الإسلامي . ففي عهد البطريرك بطرس الرابع الجريجوري (١٨٩٨ — ١٩٠٢ م) تأسست مدرسة علميّة في القاهرة ، ومدرسة صناعية في سوريا ، ومدرسة علمية كبرى للبنات في بيروت ،وأخرى للبنات اليتامى ، وكُلّ هذه المدار تقبل أبناء المسلمين مع أبناء النصارى للدراسة فيها . وأسس دير للراهبات على نسق أديار الراهبات الإفرنجية ، وكنيسة كاتدرائية في بلدة بانياس باسم القديس بطرس الرسول ، كما أُنشئت معامل وطنية لنسج الأنسجة وصنع الأواني لتشغيل الشباب من النصارى والمسلمين .

وفي عهد البطريرك كيرلّس الثامن حجا (١٩٠٢ — ١٩١٦ م) تأسست أكبر جمعية تنصيرية في هذه الطائفة اسمها ((جمعية المرسلين البولسيّين)) بتاريخ ١٦ تموز (يوليو) عام ١٩٠٢ م ، وفي ١٩ آب (أغسطس) عام ١٩٠٣ م أرسل البطريرك حجا إلى هذه الجمعية يحثهم على الثبات في مقاصدهم التنصيرية وبذل النفس في سبيل ذلك ، كما تأسست أول مجلة لهم باسم ((المسرّة)) ، وظهر العدد الأول منها في مطلع حزيران (يوليو) عام ١٩١٠م ، واعتمدت في نهجها على نشر مقالات دينية تنصيرية ورعوية ومقالات علمية وأدبية ، ثم أن هذا البطريرك ((حجا)) أرسل إرسالية تنصيرية إلى السودان عام ١٩١٢ م .

وفي عهد البطريرك ديمتريوس الأوّل قاضي (١٩١٩ — ١٩٢٥ م) حصل اهتمام أكبر بالنساء فتكوّنت معاهد علمية نسوية في القاهرة والإسكندرية ودمشق وذلك في عام ١٩٢١ م ، وبُنيت أيضاً مدرستان في دمشق باسم القديس حاور جيوس واحده للبنات ، والثانية للأحداث في عام ١٩٢٠م ، وكنيستان وميتم في دمشق وكنيسة في السلط (شرقي الأردن) . ودار بطريركية في الإسكندرية .

وفي عهد البطريرك كيرلّس التاسع مغبغب (١٩٢٥ — ١٩٤٧ م) أُعتمدت وبكثافة وسيلة النشرات التنصيرية في أوساط المسلمين ، والنشرات الرعوية في أوساط النصارى ، كما أعتمد البطريرك مغبغب على اللقاءات والمقابلات والخطب في مقصودة ذلك ، وبنى عدداً كبيراً من الكنائس في لبنان وسوريا وفلسطين وشرقي الأردن ومصر والعراق ، وأهتم بإرساليات السودان ، وبناية الكنائس هناك حتى سُمي بـ((البطريرك البنّاء)) . وأسس أيضاً مرسلات ((سيدة المعونة الدائمة)) للآباء البولسيين التابعين

للكرسي البطريكي ، كما أنّه أهتم بالعمل في أوساط النساء والأطفال .

وفي عهد البطريرك مكسيمس الرابع الصائغ (١٩٤٧ – ١٩٦٧ م) تمّ انشأ عدداً من الكنائس والمدارس والإكليريكيات والمياتم في بطريركيات دمشق ، والإسكندرية والقدس، وتم تنشيط أبرشية اللاذقية ومصياف[1] ، وتم إنشاء الصندوق الطائفي العمومي لمساعدة الكهنة لمعوزين ، والأبرشيات الفقيرة ، ومساعدة مشاريع الكنيسة الملكية ، كما أهتم هذا البطريرك بإتباع طائفته في البلاد الغير العربية كألاميركيتن ، وإفريقيا ، فأفتتح لهم في متيهوين ماسيشوسيتس في ٣٠ أيار (مايو) عام ١٩٤٥ م إكليريكية خاصة بهم . وفي عهده تم تعيين إكسرخساً[2] على الملكيّن في الولايات المتحدة وهو الراهب الحلبي يسحينس نجمة ، أمّا في أمريكا الجنوبية فقد تمكّن هذا البطريرك ((مكسيمس الرابع الصائغ)) من تحريك موضوع التنظيم المستقل للشرقيين الكاثوليك في البرازيل حيث كانت له علاقة متميزة مع البابا بيوس الثاني عشر (٢ آذار ١٩٣٩ ـ ٩ تشرين الأوّل ١٩٥٨م) فما لبث البابا أن عيّن ثلاث نواب عامين لكردينال البرازيل (كامارا) : أحدهم على الكنيسة الأوكرانية ، وأحدهم على الكنيسة المارونية ، وأحدهم على الملكيين وهو ألياس كويتر ، وفي عهد البابا يوحنا الثالث والعشرين (٢٨ تشرين الأوّل ١٩٥٨ ـ ٣ حزيران ١٩٦٣م) ترقّى الأب كويتر إلى درجة الأسقف المساعد للكردينال كامارا . وكذلك في الأرجنتين وفنزويلا كان لهم تنظيم مستقل أمّا الحبشة فقد كانت علاقة البطريرك مكسيمس الرابع الصائغ ممتازة برئيسها النصراني الدكتاتور هيلاسيلاسي ، مما جعل وضع أتباع الطائفة الملكية الكاثوليكية من أحسن الأوضاع في الحبشة .

وفي عهد خلفه البطريرك الحالي مكسيمس الخامس حكيم (١٩٦٧م –). أنشئت سلسلة أخرى من المدارس والإكليريكيات في لبنان وسوريا ، وأبرزها إكليريكية القديسة حنّة كما أنه أنشأ عدداً من الكنائس والمؤسسات الاجتماعية . وأنشأ أيضاً

---

[1] مصياف : حصن حصين لفرقة الإسماعيليّة بالساحل الشامي ، ويُقال لها أيضاً : مصياب . انظر : معجم البلدان ١٤٤/٥، لشهاب الدين ياقوت الحموي .

[2] الأكسرخُس في الكنائس الشرقيّة « من يُدير » باسم البطريرك مكان ولاية يقع خارج البطريركيّة ، ويضمّ أبرشيّة واحدة أو أكثر . انظر « مُعجم الإيمان المسيحي » ص ٥٧ « الأب صُبحي حَموي اليسوعي .

أبرشيات في البلاد الغير العربية مما قوى جانب طائفته هناك مثل : البرازيل والمكسيك وفنزويلا وكندا واستراليا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وبلجيكا ، وكان ذلك بين عامي (١٩٧١ – ١٩٩٠ م) ، كما عمل على تأسيس اتحاد عالمي للروم الملكيين الكاثوليك (U.M.C.I) ، وكان أول انعقادات هذا الاتحاد في مونتريال بكندا بين (٥ ، ٧) أيار (مايو) عام ١٩٨٦ م .

هيكلية كنيسة الروم الملكيين الكاثوليك :

تتألف كنيسة الروم الملكية الكاثوليكية من : البطريرك ، ومصف الأساقفة ، والإكليروس ، والعلمانيين .

أولاً : البطريرك : هو رأس الكنيسة الملكية والرئيس الروحي الأعلى لها ، والممثل الشرعي لها ، يترأس مجلسهم الأعلى ويُسمّى (السنيودس) ، يختار الأساقفة بالتشاور مع آباء السنيودس، وهو الذي يُرسمهم، يعاونه مستشارون برتبة أساقفة معاونين بطريركيين .

وله نواب بطريركيون ينوبون عنه في إدارة الكراسي البطريركية التي تخضع لولايته ، وهي :

١) الكرسي الأنطاكي : مقرّه مدينة أنطاكية ، ثُمّ انتقل إلى دمشق على إثر المفاوضات التي حصلت بين الإمبراطور النصراني البيزنطي ميخائيل الرابع والسلطان المسلم المملوكي الظاهر بيبرس .

٢)كرسي دمشق : كان لهذا الكرسي رئاسه أسقفية تتبع له ثلاث عشرة أسقفية ، إلا أنه مع انتقال البطاركة إليها تحول مطرانها من رئيس أساقفة إلى وكيل بطريركي .

٣)كرسي الاسكندرية : وهي بطريركية قائمة بذاتها ، لا يتبعها أبرشيات ، فهي أبرشية واحدة مقرها في الاسكندرية والقاهرة معاً وتشمل ولايتي السودان وليبيا .

٤)كرسي أورشليم (القدس) .

ويتبع الكرسي البطريركي الملكي الكاثوليكي كذلك مقرّان في لبنان : الأوّل في عين تراز ، أُعد ليكون إكليركية ثم تحول في عهد البطريرك مكسيمس الرابع (الصائغ) إلى مقر صيفي للبطريركية، والثاني : في الربوة، حيث أنشأت البطريركية سنة ١٩٧٧م

إكليركية القديسة حنّة الكبرى ، وحولت جناحاً منها لإقامة البطريرك ودوائره .

ويتبع الكرسي البطريركي أيضاً ثلاث نيابات بطريركية ، هي : نيابة العراق ، ونيابة الكويت ، ونيابة اسطنبول .

ثانياً : مصف الأساقفة :

الأسقف هو الراعي الأول للأبرشية ، ورئيسها الروحي ، و هو القاضي ، والأب لأكليرس وأتباع أبرشيته .

وهناك نوعان من الأساقفة :

النوع الأول: المتروبوليت، وهو الأسقف المعين على مدينة رئيسة بالترتيب الكنسي ، وذلك مثل ما هو موجود في حمص، حلب، وصور، وبيروت، وطرسوس، ومصياف .

النوع الثاني : الأسقف المعين على أسقفية عادية، وذلك مثل ما هو موجود في عكا، وحيفا، والناصرة، والبقاع، وشرقي الأردن .

ثم تكوّن نوع ثالث ، وهي الكراسي المنشأة حديثا خصوصاً في بلاد الاغتراب ، إذ لم يكن لها وجود في تاريخ كنيسة الروم الملكية الكاثوليكية من قبل ، وتُسمى أبرشيات الاغتراب، وهي: أبرشية نيوتن وسائر الولايات المتحدة في عام ١٩٧٦ م ، أبرشية ساو باولو وسائر البرازيل في عام ١٩٧١م، أبرشية كندا ١٩٨٠م ، أبرشية أستراليا ١٩٨٧م ،أبرشية فنزويلا ١٩٩٦م.

ثالثا: رجال الإكليروس: أقيم رجال الإكيروس لمساعدة الأساقفة في مهامهم ووظائفهم .

والوضع الحالي لرجال الإكليروس في كنيسة الروم الملكية الكاثوليكية ، هو على النحو التالي:

أ) الكهنة : هم ((خدمة الرعايا)) ينقسمون إلى قسمين : كهنة متزوجين ، وكهنة متبتلين .

ب) الرهبان : يتوزعون على ثلاث رهبانيات قانونية وجمعية مرسلين ، على النحو التالي :

١) الرهبانية الباسيلية المخلّصيّة : تأسست سنة ١٦٨٣ م على يد مطران صيدا وصور الملكي افتيميوس الصيفي . وهي تضمّ مخطوطات ووثائق مهمة جداً تُعتبر من كنوز تراث الروم الملكيين الكاثوليكيين .

٢) الرهبانية الباسيليّة الشويريّة : أسسها جماعة من الرهبان الحلبيين سنة ١٧١١ م ، تحتوي على قسم مهم من تراث هذه الطائفة ، كما أنّها اختصت أول مطبعة في الشرق بالحرف العربي التي أسسها الشمّاس عبد الله الزاخر .

انقسمت هذه الرهبانيّة إلى قسمين ، وذلك في عام ١٨٢٩ م : الرهانية البلدية (الشويرية) ، والرهبانية الحلبية .

٣) الرهبانية الباسيلية الحلبية : وهي القسم المستقل عن الرهبانيّة السابقة الرهبانية الباسيليّة الشويريّة .

٤) جمعية المرسلين البولبسيّين : تأسست سنة ١٩٠٣ م على يد مطران بعلبك المستقيل جرمانس معقّد ، وهي أكثر الجمعيات اهتماماً بالتنصير ونشر النصرانية من خلال مطبعة ومكتبة ومجلة .

جـ) الراهبات : وعددها خمس ، وهي :

١) الراهبات المخلصيّات : بدأت الرهبانية على شكل راهبات محصّنات ، تحوّلن إلى راهبات مرسلات منذ سنة ١٩٤٩م، تاريخ تشكيل أول هيئة قانونية، وتحوّل اسمها إلى ((جمعية المرسلات المخلصيّات)) .

٢) الراهبات الشويريّات : تأسست الرهبانية الشويرية منذ عام ١٧٣٠ م على يد مجموعة من العابدات الحلبيّات ، وقد تأثرت الراهبات بانقسام الرهبانية الباسيليه إلى فرعين : شويري ، وحلبي ، فانقسمن بدورهنّ إلى : راهبات شويريات ، وراهبات حلبيات سنة ١٨٣٠ م .

وفي سنة ١٩٥٣ م صدر قرار بابا روما بيوس الثاني عشر (٢ آذار ١٩٣٩ — ٩ تشرين الأوّل ١٩٥٨م) بتحويل الرهبانية الشويريّة إلى جمعية خيرية مرسلة قائمة بذاتها.

٣) الراهبات الحلبيّات : نشأت عن انقسام الرهبانية الباسيلية السابقة ، وفي سنة ١٩٥٣ م تحولت إلى جمعية مرسلة كسابقتها على يد الأب أكاكيوس كوسا أمين سر اللجنة البابوية للكاثوليك الشرقيين .

٤) مرسلات سيدة المعونة الدائمة : تأسست سنة ١٩٣٦ م . وهي الرهبانية الوحيدة المتعلقة بالكرسي البطريركي مباشرة .

٥) راهبات سيدة الخدمة الصالحة : تأسست سنة ١٩٥٣ م على يد المطـران يوسف معلوف ، رئيس أساقفة بعلبك ، لتـأمين الخدمـة المترلية في الأديـرة والمطرانيات والمياتم والمآوي والمستشفيات وإدارة المدارس ولكن ضـمن حـدود أبرشية بعلبك فقط .

رابعاً : العلمانيون ، وهم دارسون متخرجون من المدارس البطريركية مهمتـهم الاهتمام بأبناء الرعايا الملكيين الكاثوليك على الصعيد الفكري والثقافي والتربوي والمهـني ولكن خارج الكنيسة .

ولقد كان لأبناء طائفة الروم الملكيين الكاثوليك دور كبير في إبراز ديانتهم النصرانية في أوساط المسلمين، وذلك من خلال تخصصات ومجالات عدة ، منها، في التاريخ [١] ، و في الأدب والشعر[٢]، والإخراج السينمائي[٣]، وفي الصحافة خاصة[٤] ، كما كان لهم نشاط بارز في الحوار النصراني الإسلامي[٥] .

---

[١]) وبرز منهم : ميخائيل الصباغ توفي سنة ١٨٦١م ، وقسطنطين الباشا توفي سنة ١٩٤٨م ، وحبيب الزيات توفي سنة ١٩٥٤م .

[٢]) وبرز منهم : المعلم بطرس كرامة توفي سنة ١٨٥١م ، و حبيب اليازجي توفي سـنة ١٨٧٠ م ، وناصـيف اليازجي توفي سنة ١٨٧١ م ، وخليل اليازجي توفي سنة ١٨٨٩ م ، وإبراهيم اليازجي تـوفي سـنة ١٩٠٦ م ، وخليل مطران توفي سنة ١٩٤٩ م .

[٣]) وبرز منهم : مارون بغدادي توفي سنة ١٩٩٣ م .

[٤]) وفي الصحافة برز منهم : سليم عنحوري مؤسس مجلة مرآة الشرق في سنة ١٨٧٩ م ، وأمين الشمّيل مؤسس مجلة الحقوق سنة ١٨٨٦ م ، جرجس ميخائيل نحاس مؤسس الجريدة المصرية سنة ١٨٨٨ م ، ونجيب حـاويش مؤسس مجلة النبراس سنة ١٨٩٥م، ونقولا بولاد مؤسس مجلة الغزالي سنة ١٨٩٦م، واسكندر شلهوب مؤسـس مجلة السلطانة سنة ١٨٩٧ م ، والعصر الجديد سنة ١٩٠٠م ، وسليم بك تقلا وبشارة بك تقلا مُؤسِسا سلسلة من الصحف والمجلات كالأهرام سنة ١٨٧٦ م ، وصدى الأهرام ، والبيراميد ، والعائلة المصرية ، وإبراهيم اليـازجي أسس في لبنان مجلة الطبيب ، وفي مصر مجلتي البيان والضياء ، وجورج اسحاق يارد مؤسس الـصحف التاليـة : الابتسام سنة ١٩٠١ م ، والسهام سنة ١٩٠٢ م ، والطغراء سنة ١٩٠٣ ، وخليل زينيّة مؤسس مجلة المصوَّر سنة ١٩٠٢ م ، وخليل مطران مؤسس الجوائب المصرية سنة ١٩٠٣ م ، وخليل البدوي توفي سنة ١٩٣٢ م مؤسـس جريدة الأحوال ، ومجلة الكنيسة الكاثوليكية ، ومجلة الفوائد ، وإميلي عبد المسيح مؤسسة مجلة مصر الفتاة سـنة ١٩٢١م .

[٥]) وأكثر من برز في هذا النشاط (الحوار النصراني الإسلامي): لويس ما سينيوس والآنسة ماري كحيل مـع نخبـة مـن=

=أصدقائهم ، إذ أسسوا ثلاث جمعيات فكرية تُعنى بالحوار ، وهي البدلية ، إخوان الصفا ، جمعية الإخاء الديني .

انظر في مراجع كنيسة الروم الملكية الكاثوليكية إلى كل من : دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، المجلد الثاني : الكنائس الشرقية الكاثوليكية ، ص ٤٧ – ١٢١ ، وموسوعة الأديان في العالم ، جزء الكنائس الشرقية (الجـــزء الأول) ص ١٤٩ – ١٥٥ ، ١٦٥ – ٢٢٦ ، والتوحيد والتثليث في حوار المسيحية والإسلام ، ص ٢٢٩ – ٢٤٣ ، ٢٥٤ ، ٢٦٩ ، والطوائف المسيحية في مصر والعالم ، ص ١٢٣ ، ماهر يونان ورفائيل ، والإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم ، ص ١٨٥ – ١٨٦ ، أليكسي جورافكسي ، ترجمة : د. خلف محمد الجراد .

خامساً) طائفة الأقباط الكاثوليك :

بدأ تثبيت الكثكلة في مصر في القرن السابع عشر الميلادي .

نعم استطاع الكاثوليك الخلقدونيّون دخول مصر في وقت مبكر جداً بعد مجمع خلقدونيّة (من ٨ تشرين الأوّل إلى مطلع تشرين الثاني ٤٥١ م) ، ولكن كان دخولا مضطرباً غير مستقر بسبب كثرة الأقباط الأرثوذكس ((اللاخلقدونيون)) الذين واجهوا العقيدة الخلقدونيّة بقوة .

فأحداث ونتائج المجمع الخلقدوني أدت إلى انقسام النصارى في مصر إلى قسمين :

القسم الأول : وهو الأكبر ، وهم عامة الأقباط (الأرثوذكس) ، الذين رفضوا العقيدة الخلقدونية القائلة بالطبيعتين في ربّهم يسوع المسيح ، وثبّتوا عقيدة مجمع أفسس الثاني عام ٤٤٩م ــ الذي لم يعتمده الكاثوليك ، وسمّوه بمجمع اللصوص أو القراصنة ــ القائلة بالطبيعة الواحدة لربّهم يسوع المسيح .

القسم الآخر : وهم قلة قليلة من الأقباط الذين ذهبوا إلى الاعتقاد بالعقيدة الخلقدونية ، وما أقرّته البابويّة ، فتسمّوا بالكاثوليك الأقباط ، ولكن هذه القلة من الأقباط أصبحت مضطهده ومعزولة عن مجتمع النصارى الأرثوذكسي في مصر .

إلاّ أنّ باباوات روما ، وهم المسؤولون عن الكاثوليك في العالم ، عملوا على النهوض بهذه القلة في مصر ، ولكن خطواتهم اتسمت بالبطء ، وبعدم التوفيق في كثير منها ، ومن تلك الخطوات : أن البابوية أشركوا الطائفة القبطية الكاثوليكية الصغيرة في مجمع القسطنطينيّة الثالث (المسكوني السادس) المنعقد بتاريخ ٧ تشرين الثاني ٦٨٠ ــ ١٦ أيلول ٦٨١ م ، وأيضاً في مجمع نيقية الثاني (المسكوني السابع) المنعقد بتاريخ ٢٤ أيلول ــ ٢٣ تشرين الأوّل ٧٨٧ م .

ثم كانت الخطوات الأكثر إيجابيّة في تدعيم الأقباط الكاثوليك ، وهو أنّ الكرسي الروماني أصدر أمره إلى الآباء الفرنسسكان كي يقيموا في مصر ، ويعملوا على تقوية ونماء القلة القليلة من الأقباط الكاثوليك . فابتدأت إرساليات آباء الفرنسسكان عام ١٢١٩ م فبنوا ديراً وكنيسة في مصر القديمة ، ودرب الجنيه بالموسكي ، وفي الإسكندرية كنيسة سانت كاترين ، ثُم تمّ إنشاء أكبر دير للآباء الفرنسسكان في ذلك الوقت عام

١٣٢٥ م بإمدادات من رئاسة مشيخة البندقية .

من خلال هذه الخطوات بداء الأقباط الكاثوليك يجدون لهم حامي و شوكة في وسط سيطرة الأقباط الأرثوذكس .

وفي القرن السادس عشر دخلت الامتيازات الأجنبية إلى مصر ، فبدأت الإرساليات التنصيرية تكثر في مصر ، وخاصة من جهة المرسلين الفرنسسكان الذين ركّزوا نشاطهم في صعيد مصر ، وكان لهم أيضاً نشاط في القاهرة ، وكذلك اليسوعيون (الجزويت) الذين ركّزوا نشاطهم في القاهرة ، فبدؤوا بمباشرة بناء الأديرة والكنائس الخاصة بهم ، وتوزيع الصدقات على الفقراء بشكل واسع ، والاهتمام بشكل خاص بأطفال الأقباط الكاثوليك ، بل أُرسل بعضهم إلى روما ، وهذا ما أفاد الكثكلة في مصر كثيراً ، فعندما رجع هؤلاء كوّنوا دفعة قوية للكاثوليكيين في مصر ، ومن أشهر هؤلاء الأنبا روفائيل الطوخي الذي أرسل في صغره إلى كلية نشر الإيمان في روما .

فأخذ يزداد عدد الأقباط الكاثوليك بهذه الخطوات ، ثُمّ ازدادت حريتهم ونشاطهم في مصر في عصر الاحتلال الفرنسي لمصر في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي .

وقد حصل أمر مهم لصالح الأقباط الكاثوليك عمل على تنظيمهم ، وهو أن الأنبا أثناسيوس أسقف أورشليم الأقباط الأرثوذكس أنضم إلى الأقباط الكاثوليك في ١٠ آب (أغسطس) عام ١٧٣٩م، فعيّنه البابا بندكت (بندكتوس) الرابع عشر (١٧ آب ١٧٤٠ ــ ٣ أيّار ١٧٥٨م) في ٤ آب (أغسطس) عام ١٧٤١م نائباً رسوليّاً لطائفة الأقباط الكاثوليك مما جعلهم في مصر أكثر تماسكاً، وعيّن البابا وكيلاً عاماً له الأب صالح مراغي، وهو من تلاميذ كلية انتشار الإيمان في عام ١٧٢٤م ، وكان هذا التعيين في سنة ١٧٤١م، ثم خلفه في إدارة الطائفة سنة ١٧٤٤م، ومنذ ذلك الوقت ظهرت ملامح الأقباط الكاثوليك كطائفة نصرانية ثبّتت أقدامها في مصر .

ومما زاد الأقباط الكاثوليك قوةً ومكانةً في مصر أن اعتنق الكثكلة كبير أقباط مصر الأرثوذكس ، وهو المعلم غالي في القرن التاسع عشر في عهد محمد علي حاكم مصر ، كما أنّ البابا لاون (ليو) الثالث عشر (٢٠ شباط ١٨٧٨ــ ٢٠ تمّوز ١٩٠٣م) اهتم بهم اهتماما كبيراً ، وتمثّل ذلك باستمرار إرساله البعثات الكاثوليكية ، كما أنّه أصدر

قراراً بتعيين بطريركية مستقلة لهذه الطائفة ، وذلك في ١٥ آذار (مارس) سنة ١٨٩٥م ، وأختار الأب جرجس مقار بطريركاً عليها ، وهو من خريجي جامعة القديس يوسف في بيروت التي يديرها الآباء اليسوعيون ، واتخذ هذا البطريرك لنفسه اسم (الأنبا كيرلّس مقار) .

وهذه القوة والوضوح بدأ منذ سنة ١٨٧١م عندما عهد مجمع انتشار الإيمان إلى الآباء اليسوعيين (الجزويت) في سوريا بتأسيس مدرسة إكليريكية للأقباط الكاثوليك بمصر ، والقيام بإدارتها ، فأُنشئت المدرسة الإكليريكيّة سنة ١٨٧٩م بالموسكي ، يتلقى فيها الطلبة دروسهم الأوّليّة ، ثم يُرسلون إلى مدرسة الآباء اليسوعيين الإكليريكية ببيروت التابعة لجامعة القديس يوسف ليدرسوا بها الفلسفة واللاهوت ، وفي سنة ١٨٨٩ م تم إنشاء مدرسة العائلة المقدسة عن طريق الجزويت أيضاً بالفجالة بالقاهرة ، وبوقفة قوية من البطريرك الجديد للطائفة الأنبا كيرلّس مقار تم تأسيس مدرسة إكليريكية للأقباط الكاثوليك في طهطا محافظة سوهاج في سنة ١٨٩٩ م ، ثم تأسست مدرسة إكليريكية بطنطا وانتقلت بعدها إلى المعهد الإكليريكي بالمعادي في سنة ١٩٤٦ م ، وهذا المعهد بناه الآباء الفرنسسكان في الجيزة لدراسة الفلسفة واللاهوت وبه مكتبة عظيمة .

وفي عهده أيضاً أنشأت أبرشيتان تابعتان للكرسي البطريركي للطائفة ، أحدهما أبرشية هيرمو يوليس (المنيا) ، وتعيّن عليها أسقفاً الأب يوسف صدفاوي الذي اتخذ لنفسه اسم الأنبا مكسيمس صدفاوي ، وثانيهما أبرشية طيبة (الأقصر) ، وتعيّن عليها أسقفاً الأب بولس قلادة برزي ، واتخذ لنفسه اسم الأنبا إغناطيوس برزي ، وتمت رسامتهما الأسقفية في ٢٩ آذار (مارس) سنة ١٨٩٦ م .

وتأسست أيضاً في عهده الكلية الإكليريكية في المنيا في ٧ أيار (مايو) سنة ١٨٩٥م، وعهد بإدارتها إلى الآباء اليسوعيين (الجزويت) ، كما بُنيت الدار البطريركية وكاتدرائية القيامة بالإسكندرية ، ووضع حجر الأساس للإكليريكية الكبرى بطهطا (محافظة سوهاج) في ٢٥ كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٩٧م، كما تم شراء مطبعة وحروف قبطية وعربية، طُبع فيها باللغتين القبطية والعربية الأناجيل والرسائل وكتب قداديسهم ، وابتدأ العمل في المطبعة في ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٨٩٩ م .

تمّ تجليس البطريرك الأنبا كيرلّيس مقار على الكرسي الإسكندري في الكاتدرائية الجديدة بتاريخ ٣١ تموز (يوليو) سنة ١٨٩٩ م ، واعترفت الحكومة المصرية به بطريركاً على الأقباط الكاثوليك في ٢٩ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٠٠ م ، على غرار البطريرك الأنبا كيرلّس الخامس بطريرك الأقباط الأرثوذكس .

إلاّ أنّ هُناك اضطرابات حصلت داخل طائفة الأقباط الكاثوليك على إثرها خلع بابا روما بيوس العاشر في ٣٠ أيار (مايو) سنة ١٩٠٨م البطريرك مقار وعيّن بدلاً عنه في إدارة الطائفة الكاثوليكيّة المصرية الأنبا مكسيمس صدفاوي مطران كرسي المنيا وخليفته الأنباء إغناطيوس برزي مطران كرسي طيبة (الأقصر) في ١٣حزيران (يونيو) عام ١٩٠٨م، وفي عهدهما تأسست أول رهبانية قبطية كاثوليكية رسوليّة ، هي رهبانية (راهبات قلب يسوع المصريات) في مدينة طهطا (محافظة سوهاج) في ٦ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١٣م، وتوفي الرجلان في سنة واحدة، عام ١٩٢٥م، فعيّنت البابويّة الأب مرقس خزام أسقفاً على كرسي طيبة (الأقصر)، ومدبّراً رسولياً للبطريركية، وعيّن الأب فرنسيس بسطورس أسقفاً على كرسي (المنيا)، وقبلا معاً الرسامة الأسقفة في كاتدرائية درب الجنينة في القاهرة بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٢٦م .

وفي ٩ آب (أغسطس) عام ١٩٤٧م عيّن البابا بيوس الثاني عشر (٢ آذار ١٩٣٩ ــ ٩ تشرين الأوّل ١٩٥٨ م) الأب مرقس خزام بطريركاً على الكرسي الإسكندري ، واتخذ لنفسه اسم (مرقس الثاني) ، وتمّ حفل تجليسه بطريركاً على الكرسي الإسكندري يوم ٧ آذار (مارس) سنة ١٩٤٨م بالدار البطريركية في كوبري القبة ، وعيّن معاوناً له الأب اللعازري إستيفي سيداروس الذي كان رئيساً للمعهد الإكليريكي الطائفي واتخذ اسم (إسطفانوس سيداروس) .

وفي تلك الأوقات انقسمت أبرشية طيبة (الأقصر) إلى أبرشيتين : أبرشية أسيوط، وتشمل محافظة أسيوط فقط ، وأبرشية طيبة (الأقصر) وتشمل محافظات سوهاج وقنا وأسوان .

وبعد وفاة البطريرك الأنبا مرقس الثاني في ٢ شباط (فبراير) عام ١٩٥٨م ، أُختير مساعده الأنبا إسطفانوس سيداروس خلفاً له في البطريركية القبطية الكاثوليكية في ٧

حزيران (يونيو) سنة ١٩٥٨ م ، وتم حفل تجليسه على البطريركية بكنيسة المعهد الإكليريكي بالمعادي في ٢٩ حزيران (يونيو) سنة ١٩٥٨ م ، واتخذ اسم الأنبا إسطفانوس الأول .

وقد تأسست في عهد هذا البطريرك (اسطفانوس الأول) كنيسة بالجيزة ، وأخرى بعزبة القصيرين ، وكاتدرائية القيامة بالإسكندرية ، وكنيسة العائلة المقدّسة بدرب الجنينة، وكنيسة العذراء بعين شمس . كما أنّه أمر بإجراء إصلاحات وترميمات في الكنائس التي سلّمها المرسلون الذين غادروا البلاد إلى طائفة الأقباط الكاثوليك . أمثال كنيسة السجود بشبرا . وفي المحلة الكبرى ، وفي طنطا وزفتى وشبين الكوم . وكنيسة الملاك ميخائيل بالإسكندرية ، وكذلك تم في عهده افتتاح اكليريكية صغرى بالإسكندرية لأبناء الوجه البحري . واكليريكية صغرى بطهطا لأبناء الوجه القبلي ، وقد اعتنى عناية خاصة بمدارس سان جورج في مصر الجديدة . ومدينة نصر ، وبمدرسة سان ميشيل بالإسكندرية . ومدرسة العناية الإلهية بالمنصورة ، وفي عهد تكوّنت رهبانية ((راهبات يسوع ومريم القبطيات)) في ٢١ آب (أغسطس) سنة ١٩٦٩ م ، وتأسست في عهده كذلك أبرشية الإسماعيلية في كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٨٣ م ، وأبرشية سوهاج منفصلة عن أبرشية طيبة (الأقصر) في أيار (مايو) سنة ١٩٨٣ م .

وقد حضر هذا البطريرك (إسطفانوس الأول) جلسات المجمع الفاتيكاني الثاني (المسكوني الحادي والعشرين) ١١ تشرين الأوّل ١٩٦٢ــ ٨ كانون الأوّل ١٩٦٥م . وقد منحه بابا روما بولس السادس رتبة الكاردينالية للكنيسة الجامعة في ٢٢ شباط (فبراير) عام ١٩٦٥م ، وهو أول من حمل هذا اللقب في طائفته الأقباط الكاثوليك .

ونظراً لكبر سن البطريرك إسطفانوس الأول ، واعتلال صحته عيّن البابا يوحنّا بولس الثاني (١٦ تشرين الأوّل ١٩٧٨ ــ ٢ أبريل ٢٠٠٥م) في ٢٤ شباط (فبراير) سنة ١٩٨٤ م نيافة الأنباء أندراوس غطاس مطران طيبة (الأقصر) مدبّراً رسولياً للبطريركية ، وفي ١٩ نيسان (أبريل) عام ١٩٨٦ م قدم البطريرك الأنبا إسطفانوس الأول استقالته من المهام البطريركية ، وفي ٩ حزيران (يونيو) عام ١٩٨٦ م أُنتخب الأنبا أندراوس غطاس بطريركاً للطائفة فأخذ لنفسه اسم ((اسطفانوس الثاني)) .

في عهد هذا البطريرك ((اسطفانوس الثاني غطاس)) تأسست مطرانية الأقصر، والدار البطريركية بالإسكندرية ، كما عمل على بناية وتجديد عشر كنائس وسكن للكهنة ، وأديرة الراهبات ، ومستوصفات ومشاغل ودور للتنمية ، وأماكن للمصيف في مرسى مطروح ، وتم تشييد دار القديس إسطفانوس لضيافة الكهنة المسنّين بالمعادي ، ودار للمسنين من العلمانيين بمنشية البَكْرِي في القاهرة .

كما أنّه أهتم اهتماماً خاصاً بالأقباط الكاثوليك في بلاد المهجر في نيويورك ، ونيوجرسي، ولوس أنجلوس في الولايات المتحدة الإمريكية، ومونتريال وتورنتوا في كندا، وسيدني وميلبورن في استراليا ، وفي باريس ، وفي روما .

وقام بتعيين لجنة من الكنيسة الكاثوليكية المصرية لترجمة ((مجموعة قوانين الكنائس الشرقية الكاثوليكية)) من اللاتينية إلى اللغة العربية ، وكذلك عيّن لجنة لتأليف الدليل العام للكنيسة الكاثوليكية في مصر بانتظام في اللغتين العربية والفرنسية[1] .

---

[1]) انظر إلى مراجع طائفة الأقباط الكاثوليكيّة : دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، المجلد الثاني : الكنائس الشرقية الكاثوليكية ، ص ١٧٢ – ١٩٤ ، وموسوعة الأديان في العالم ، المجلد الثاني : الكنائس الشرقية ، ص ١١١ – ١٢٢ ، والطوائف المسيحية في مصر والعالم ، ص ١٠٦ – ١١١ ، ماهر يونان رافائيل ، والإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم ، ص ١٨٦ – ١٨٧ ، أليكسي جورافسكي ، ترجمة : د. خلف الجراد ، وكنائس المشرق ، ص ٤٠ – ٤١ ، د. عزت زكي .

سادساً) الطائفة اللاتينيّة الأورشليميّة :

بدأ تكوين الطائفة اللاتينيّة في القدس عندما احتل الصليبيون القدس عام ١٠٩٩م، وذلك عندما وجد الصليبيون الكرسي الأورشليمي شاغراً ، حيث أنّ بطريركها سمعان الأورشليمي قد غادر القدس ومعه إكليريسه إلى قبرص ، فعيّن الصليبيون على كرسيّه بطريركاً منهم ، وأقاموا أساقفة ومجلساً بطريركياً مكوّناً من كهنة لُقّبوا بـ(قانونيّي) القبر المقدس ، واستمر هذا الوضع تحت إشراف باباوات روما ، والحملات الصليبية المتعاقبة على بيت المقدس ، حتى فتح القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي القدس عام ١١٨٧م ، فانتقل البطاركة اللاتين إلى عكا واستقروا فيها حتى عام ١٢٩١م ، وهي السنة التي فتح فيها الجيش المسلم المملوكي مدينة عكا ، فانتقل البطاركة اللاتين بعد ذلك إلى أوروبا حتى عام ١٨٤٨ م ، وفي تلك الفترة كان ضعف الخلافة الإسلامية العثمانيّة ، فتمكّنت الطائفة اللاّتينيّة الأورشليميّة بمساعدة الاستعمار ، وبقرار من البابا بيوس التاسع (١٦ حزيران ١٨٤٦ــ ٧ شباط ١٨٧٨ م) من الرجوع إلى القدس (أورشليم) .

في الفترة التي خرج البطاركة اللاّتين من القدس عندما حرّرها القائد صلاح الدين عام ١١٨٧ م من أيدي الصليبيين وانتقلوا إلى عكّا بدأت البابوية تُفكّر في كيفية إرجاع هذه الطائفة إلى القدس ، وطُرحت هذه الفكرة بقوة في عام ١٢١٥ م أثناء انعقاد المجمع اللاتراني الرابع (المسكوني الثاني عشر) ١١ ــ ٣٠ تشرين الثاني ١٢١٥م تحت رئاسة البابا إنوسنت (إنوشنتيوس) الثالث (٨ كانون الثاني ١١٩٨ ــ ١٦ تمّوز ١٢١٦م)، فأسندت المهمة إلى الرهبان الفرنسيسكان لتكوين رهبانيات في مدينة القدس ، وعلى إثر تجمعها تعود البطريركية اللاتينية في القدس ، فتكونت أول رهبانية فرنسسكانية عام ١٢١٩م ، وبهذا بدأ الفرنسسكان بتأمين حضور رُسم له أن يكون متواصلاً للكنيسة الكاثوليكية في القدس .

وفي عام ١٢٢٩م عقدت هدنة ، ولمدة عشر سنوات بين الإمبراطور النصراني فريدريك الثاني والملك المسلم الكامل الأيوبي كان بموجبها أنّ الصليبيين يعودون إلى القدس وبيت لحم والناصرة ، كانت من بين (١٢٢٩ — ١٢٤٠م) ، وهذه الهدنة زادت من نشاط عمل الفرنسسكان في إنشاء مجموعات كاثوليكية في القدس ، كما أنها فرصة

مؤقتة لكي يعود البطريرك اللاتيني المقيم في عكا إلى القدس ، و بانتهاء الهدنة رجع البطريرك اللاتيني إلى عكا بينما استمر الفرنسسكان في عملهم في القدس .

ولما فتح المسلمون المماليك مدينة عكا وحرّروها من أيدي الصليبيين عام ١٢٩١م انتقلت البطريركية اللاتينية منها إلى الغرب ، ومنذ ذلك الوقت أصبح منصب بطريرك القدس فخرياً يُمنح لأحد الأساقفة المقيمين في الغرب ، ولكنّ البابويّة استمرت في توصية الرهبان الفرنسسكان بالاستمرار في تثبيت الكثكلة في القدس الشريف ، خاصة البابا يوحنا الثاني والعشرين (٧ آب ١٣١٦ ــ ٤ كانون الأوّل ١٣٣٤م) فقد حرص هذا البابا أكثر من غيره في ذلك فقد أوصى في التاسع من نيسان (أبريل) عام ١٣٢٨م بأن يبعث رئيس الفرنسسكان الإقليمي المقيم في قبرص اثنين من رهبانه سنوياً إلى فلسطين ، كما أنه صدرت براءتان بابويتان في تثبيت حقوق الكنيسة الكاثوليكية في الأماكن المقدسة وذلك في عام ١٣٤٢م أثناء انعقاد مجمع فلورنسا ، ويعتبر الفرنسسكان هاتين البراءتين وثيقة تأسيسية لمجموعة أنشأتها وأسمتها ((حراسة الأراضي المقدسة)) ، وكان هدفها الأكبر هو تثبيت الكثكلة في الأراضي المقدسة ، وعدم الدخول في حروب ومناوشات مع المسلمين ، أهل الديار ، لذلك صدر في مجمع فلورنسا أيضاً قرار بابوي بجعل قائد فرقة ((حراسة الأراضي المقدسة)) مندوب بابوي في الأراضي المقدسة ورئيس مؤقت للكنيسة الكاثوليكية اللاتينية هناك ، ووقفت مع هذه الفرقة الدول النصرانية بوصية من البابويّة ، ومدت لها يد العون فزودتهم بالمال اللازم للاقتناء والبناء وتأمين الخدمات الاجتماعية ، وبالتوسط لدى حُكّام المسلمين للحفاظ على حقوق هذه الفرقة ومكتسباتها .

وقد امتدت صلاحيات قائد فرقة ((حراسة الأراضي المقدسة)) إلى سائر الكاثوليك المقيمين في فلسطين ، ما عدا الروم الكاثوليك في الجليل فكانوا تابعين لأسقفية صور .

استمر عمل الفرنسسكان متمثلاً في هذه الفرقة في تثبيت الكثكلة في الأراضي المقدسة وتحت إشراف باباوات روما إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي حيث أُعيد تأسيس البطريركية اللاتينية الأورشليمية .

لذا فإنّ المؤرخين الكاثوليك يعتبرون أنّ إعادة تأسيس البطريركية اللاتينية

الأورشليمية من أهم انجازات البابا بيوس التاسع (١٦ حزيران ١٨٤٦ — ٧ شباط ١٨٧٨م) ، ففي عام ١٨٤٧م أصدر البابا بيوس التاسع قراراً بتعيين يوسف فالرغا الجنوي الإيطالي (١٨٤٧ — ١٨٧٢م) بطريركاً على الكرسي البطريركي اللاتيني في القدس .

فبدأ البطريرك الجديد نشاطه في مدينة القدس الشريف بزيارة تجمعات رعاياه الكاثوليك هناك ، كما أنّه أولى كنائس الطائفة ومدارسها القليلة جل اهتماماته ، وبدأ يُشدّد على المرسلين الجدد الذين أتوا معه ، وعينهم الكرسي البابوي لمساعدته لكي يتعلّموا اللغة العربية لغة الشعب ، فبعث بهم إلى حريصا في لبنان لتعلم اللغة العربية .

وكان يُنادي دائماً بالاهتمام بالكاثوليك العرب ، وتكوين إكليروس عربي يستلم في المستقبل أمور هذه البطريركية اللاتينية من الإكليروس الأجنبي الحالي ، فبدأ بتأسيس إكليريكية تستقبل أبناء الأبرشية العرب وتهيؤهم لرسالة الكهنوت .

وجد البطريرك يوسف فالرغا مبتغاه في أول عربي كاثوليكي اسمه ((عبد الله كومنداري)) من بيت لحم رسّمه كاهناً ، وأرسله إلى روما لمواصلة دروسه الكهنوتيه ، ثم أرسل بعده بعشرة طلاّب لدراسة الكهنوت إلى الآباء اليسوعيين في غزير بلبنان في مدرستهم الإكليريكية لإعداد الكهنة .

افتتح هذا البطريرك في عام ١٨٥٢ م بالقدس المعهد الإكليريكي الذي كان يهدف إليه ، وفي عام ١٨٧٢ م أنشأ الكنيسة الكاتدرائية المرافقة والخاصة بالبطريركية ، لأن الكاتدرائية الرئيسية هي كنيسة القيامة وهي كاتدرائية عامة للبطاركة الثلاثة في المدينة المقدسة : اللاتيني والأرثوذكسي والأرمني .

كما أنه أسس إحدى عشرة رعية من أهمها : رعية بيت جالا قريبة من بيت لحم في سنة ١٨٥٤م ، ورعية في مدينة السلط شرق الأردن في عام ١٨٦٦م .

توفي البطريرك يوسف فالرغا في كانون الأول ١٨٧٢م في مدينة القدس ، فعيّن الكرسي البابوي خلفاً له على البطريركية اللاتينية البطريرك منصور براكو الإيطالي الذي كان من قبل مساعداً للبطريرك فالرغا ، وذلك في عام ١٨٧٣م ، وفي عهده أُنشئت أول مدرسة لمجموعة ((الإخوة المسيحيين ــ الفرير ــ)) في القدس عام ١٨٧٨م، بجوار دار

البطريركية ، ثم انتشرت مدارس هذه المجموعة في فلسطين ، ففي عام ١٨٨٢م تكوّنت مدرسة في يافا ، ثم في حيفا عام ١٨٨٣م ، ثم في بيت لحم عام ١٨٨٥ م ، وفي عام ١٨٩٢م فتحت مدرسة لإعداد المعلمين مقرها في بيت لحم ، وتمّ في عهده أيضاً إنشاء المعهد الدومينكاني لدراسات الكتاب المقدس في تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٨٩٠م وذلك في مدينة القدس .

كما تكوّنت في عهد هذا البطريرك منصور براكو أول جمعية رهبانية عربية محلية تسمت بجمعية (الراهبات الوردية) في ٧ تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٨٨٣م .

وتوفي البطريرك براكو في التاسع عشر من حزيران (يونيو) عام ١٨٨٩م فعّين الكرسي البابوي خلفاً له البطريرك ((لودوفيكو بيافي الإيطالي)) في الثامن من أيلول (سبتمبر) عام ١٨٨٩م .

أهتم البطريرك لودوفيكو بيافي بالعناية بما أنشأه سلفاه من رعايا ومدارس ، كما أنّه صرف جهوده في تأسيس المدارس إلى القرى والأرياف الفلسطينية ، وأسند هذه المهمة إلى جمعية ألمانية تُسمى ((كولن)) واشتُهرت باسم ((جمعية الأرض المقدسة)) .

جاء بعده البطريرك فيليب كماسي (١٩٠٧ – ١٩١٩م) ، وبعده البطريرك لويس بارلسينا (١٩٢٠ – ١٩٤٧م) ، ثم بعد وفاته بقي الكرسي البطريركي للطائفة اللاّتينيّة الأورشليميّة شاغراً ولمدة ثلاث سنوات من عام (١٩٤٧ – ١٩٥٠م) ، وكانت في تلك المدة تحت إدارة القاصد الرسولي (تستا) ، حتّى عيّن البابا بيوس الثاني عشر في عام ١٩٥٠م بطريركاً للطائفة اللاتينيّة ، هو البطريرك ألبرتو غوري (١٩٥٠ – ١٩٧٠م) ، وعَيَّنَ له نائبين بطريركيّين ، أحدهما في الجزء المحتل من فلسطين ، وهو الأب نعمة السمعان ، والآخر في شرق الأردن ، وهو الأب أنطون فرغاني .

ثم خلف البطريرك ألبرتو غوري على الكرسي البطريركي البطريرك يعقوب بلتريتي (١٩٧٠ – ١٩٨٧م) الذي أهتم كثيراً بالترجمة إلى اللغة العربية ، فترجمت في عهده كثيراً من الكتب النصرانية الكاثوليكية .

جاء بعده البطريرك ميشيل الصبّاح الذي قبل الرسامة الأسقفية من يد البابا يوحنا بولس الثاني في ٦ كانون الأول (يناير) عام ١٩٨٨م ، ويساعده خمسة مطارنة ، أحدهم

في القدس ، والثاني نائب بطريركي عام للأردن ، ويقيم في عمّان ، والثالث نائب بطريركي عام لدولة العدو الصهيوني ، ويقيم في الناصرة ، والرابع في قبرص ، والخامس نائب بطريركي خاص للجماعة الناطقة باللغة العبرية .

والبطريركية اللاتينية عضو في مجلس الأساقفة اللاتين في البلدان العربية ، ويضمّ هذا المجلس الأساقفة اللاتين في كلٍّ من الأردن وفلسطين المحتلّة وسوريا ولبنان والعراق ومصر والكويت وشبه الجزيرة العربية والصومال وجيبوتي .

والبطريركية اللاتينية عضو في مجلس رؤساء الكنائس الكاثوليكية في الأرض المقدسة، وعضو في مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك . وهي أيضاً مع سائر الكنائس الكاثوليكية عضو في مجلس كنائس الشرق الأوسط .

فالبطريركية اللاتينية الأورشليميّة في القرن العشرين أبرشية شرقية في كامل الشركة مع الكنيسة الكاثوليكية الجامعة [1] .

---

[1]) انظر إلى مراجع الطائفة اللاتينيّة الأورشليميّة : دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، المجلد الثاني ، الكنائس الشرقية الكاثوليكية ، ص ٢٤٧ — ٢٩٥، وموسوعة الأديان في العالم ، المجلد الأول ، الكنائس الشرقية ، ص ٥ — ٥٧ ، والطوائف المسيحية في مصر والعالم ، ماهر يونان رافائيل ، ص ١٤٠ — ١٤١ .

سابعاً) الكنيسة الأثيوبية الكاثوليكية :

كنيسة أثيوبيا الكاثوليكية ، هي فرع مشتق من الكنيسة الأثيوبية الأم ذات التوجه المونوفيزي الأرثوذكسي القائل بالطبيعة الواحدة للمسيح الخاضعة للكنيسة الأرثوذكسية القبطية ، وحصل هذا الانشقاق عن الكنيسة الأم بعد ما أفلح اليسوعيون في الدخول إلى الحبشة إبّان القرن السابع عشر ، ولكن هذه الإرساليات خفّت بشكل كبير منذ عام ١٦٣٨م عندما هاج أغلب القائلين بالطبيعة الواحدة على المرسلين الغربيين الذين نادوا بالقول بالطبيعتين وقتلوا بعض المرسلين الكبوشيين الغربيين .

ولكن عمل الإرساليات الغربية استأنفت ابتداءً من سنة ١٨٣٨م، وتمكّنوا عن طريق الأب اللّعازاري سبيتو من تأسيس أول مقر لهم في مدينة أدوا، ثم تمكّنوا أيضاً من تفعيل أكثر لنشاطهم عن طريق الأب غوستينو دي جاكوبس في مدينة أدوا السابقة وفي مدينة أخرى وهي تِفره، فوصل عدد الكاثوليك الأثيوبيين إلى خمسة آلاف .

قام الأب غوستينو بتأسيس إكليريكية، كان الهدف منها تحضير شبّان من السكان الأصليين للكهنوت الكاثوليكي، فرُسم منهم، سنة ١٨٥٢م خمسة عشر كاهناً كاثوليكياً.

كما أن العمل التنصيري الكاثوليكي في الحبشة دخلت فيه أيضاً إرساليّة كبوشيّة أخرى تُدعى (غالا) سنة ١٨٤٦م، فانتشر بذلك العمل الكاثوليكي في سائر الحبشة ففُتحت اكليريكية في (كافّا)، وفي سنة ١٨٨١م افتتح الأب توران شاني مؤسسة خيرية في هرار، وفي سنة ١٩١٥م أسس الأب ماري برنارد جمعية راهبات إثيوبيات، وفي سنة ١٩٣٧م أنشئت قصادة كاثوليكية في أديس أبابا، قوامها تسع إرساليات، وثلاث نيابات في مدينة أديس أبابا، ومدينة جمّة، ومدينة هرار ، وأربع مدّيريّات في مدينة دسّيه ، ومدينة غندار ، ومدينة نغليّة ، ومدينة تيغره ، أُلحقت بها سنة ١٩٤٠ م أثنتان في مدينة اندِبر ومدينة هوزانّة .

وفي سنة ١٩٦١م أصبحت الكنيسة الكاثوليكية في أثيوبيا مُقسَّمة إلى ثماني مقاطعات : مديرتيان في هوزانّة ونغليّة ، وثلاث نيابات في أسمره وجمّة وهرار ، وأبرشيتان في أديكرات وأسمرة ، وأبرشيّة رئيس الأساقفة في أديس أبابا .

وفي ١٢ شباط عام ١٩٣٠م كرّس البابا بيوس الحادي عشر (٦ شباط ١٩٢٢ —

١٠ شباط ١٩٣٩ م) الكلية الأثيوبية في الفاتيكان إلى كلّيّة حبريّة ، والـــتي كـــان قـــد أسسها البابا بندكت (بندكتوس) الخامس عشر (٣ أيلول ١٩١٤ ــ ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٢ م) سنة ١٩١٩م ، وعهد بإدارتها إلى الآباء الكبوشيين[١] .

[١]) انظر في مراجع الطائفة الكاثوليكيّة الأثيوبيّة إلى : دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، المجلد الثاني ، الكنائس الشرقية الكاثوليكية ، ص ٣٤٣ – ٣٦٢ ، والطوائف المسيحية في مصر والعالم ، مـــاهر يونـــان رافائيـــل ، ص ١١٥ ، وكنائس المشرق ، ص ٨٥ – ٥٩ ، د. عزت زكي .

ثامناً) الطائفة المارونيّة[1] :

وهي أكبر طائفة كاثوليكيّة في الشرق، بل إنّها الطائفة الكاثوليكيّة الشرقيّة الوحيدة التي لم يكن لها فرع أرثوذكسي اللاخلقدوني، المذهب المتركز في الشرق .

التعريف بالطائفة المارونيّة :

ذهب مؤرخو الطائفة المارونيّة إلى أنّ الموارنة، هم في امتداد جذورهم التاريخيّة ، من الكنعانيين والآراميين الساميين، دانوا بالعقيدة النصرانيّة منذ الأجيال الأولى لها، وانتسبوا إلى القدّيس مارون الناسك كأب روحي للطائفة[2] .

توفي مار مارون الناسك في عام ٤١٠م، وبعد وفاته بأربعين سنة احتدم الخلاف في مسألة طبيعة ربّهم يسوع المسيح، فانعقد على إثر ذلك الخلاف مجمع خلقدونيّة في ٨ تشرين الأوّل إلى مطلع تشرين الثاني من عام ٤٥١م، فأعلن أتباعه من الرهبان ، والذين يعيشون حول قبره في دير القورشيّة ، وهو دير خاص بهم ، أنّهم يتبعون عقيدة القول بالطبيعتين لربّهم يسوع المسيح مؤيدين الكنيسة الغربيّة الكاثوليكيّة ، والكنيسة القسطنطينيّة ، رادّين مذهب القول بالطبيعة الواحدة ، فأصبحوا من ذلك الوقت خلقدونيين بين أغلبيّة لا خلقدونيّة تابعوا الكنيسة الأرثوذكّسيّة المرقسيّة في الإسكندريّة .

والكنيسة المارونيّة هي تابعة للكرسي الأنطاكي، فهي من ضمن الكنائس الأنطاكيّة، التي تدّعي أن الرسول بطرس هو مؤسسها ، قبل أن ينتقل إلى روما ويؤسس الكرسي الرسولي هُناك .

وغداة انعقاد المجمع الخلقدوني، انقسمت الكنيسة الأنطاكيّة إلى شطرين بسبب

---

[1]) يقدّم فضيلة الشيخ يوسف بن سعيد الغامدي رسالة دكتوراه مفصّلة عن الطائفة المارونيّة عقيدةً وتاريخاً وعلاقتها بالطائفة الكاثوليكيّة الأم في روما ، من قسم العقيدة جامعة أم القرى . أسأل الله له التوفيق .

[2]) مار مارون الناسك ، راهب عاش وتنسّك فوق قمّة جبل قورش في دير هناك سُمّي بالقورشيّة في سوريا في النصف الأخير من القرن الرابع ، ذاع صيته فأصبح منسكه مزاراً ، اتصل به أشهر نُسّاك نصارى الشرق يوحنّا ذهبي الفمّ ، توفي مار مارون في سنة ٤١٠ م على أرجح الأقوال ، وعيده في ٩ شباط ، إليه يُنسب الموارنة ، وتلاميذ مار مارون هم رهبان دير مار مارون ال٣٥٠ الذين قتلهم المونوفيزيّون أصحاب الطبيعة الواحدة اللاّخلقدونيون بسبب ثباتهم على القول بالطبيعتين المذهب الخلقدوني ، وذلك في سنة ٥١٦ . انظر : معجم الإيمان المسيحي ، ص ٤٢٤ ، الأب صُبحي حموي اليسوعي .

النزاعات في طبيعة ربِّهم المسيح ، فكان اعتقاد الموارنة مع اعتقاد المجمع الخلقدوني، ممَّا اكسبهم محبة البابا لاون الأوّل في روما، والإمبراطور الروماني في قسطنطينيّة مرقيانوس، فعمَّر لهم عام ٤٥٢م، دير مار مارون، الذي هو مهد الكنيسة المارونيّة، والذي أصبح كما يقولون : ((القلعة الوطيدة الأركان للعقيدة الكاثوليكيّة بحسب التحديد الخلقدوني)) .

يوحنّا مارون ، واعتلاء عرش الكرسي الأنطاكي :

كانت الكنيسة المارونيّة قبل الفتح الإسلامي المبارك على أرض الشام، تابعة للكرسي الأنطاكي، الذي يعتليه بطريرك من طائفة الروم الملكيّة .

ولّما اضطر الروم إلى الخروج من أرض الشام على إثر الفتح الإسلامي في عام ٦٣٤م، خرج معهم أيضاً البطاركة الملكيّون، ولم يستطيعوا المكوث في أنطاكية ، ولجأ بعضهم إلى القسطنطينيّة واستقروا فيها نهائيّاً، ولم يبق لهم من رئاسة الكنيسة الأنطاكية سوى الاسم فقط، فانفصل أولئك البطاركة عن كرسيّهم في أنطاكية، وعن أبناء كنيستهم ورعاياهم الذين مكثوا في أنطاكية ومناطق سورية المترامية الأطراف .

ونتيجة لهذا الخلل، شُغر الكرسي الأنطاكي من بطريرك مُنتخب، بل كان الملوك البيزنطيون يُعيّنون بعض الأحيان بطاركة اسميين فقط للكرسي الأنطاكي، وكان هؤلاء يُقيمون في القسطنطينيّة، دون أن تطأ أقدامهم أرض البطريركية الأنطاكية .

وبسبب هذا الوضع للكرسي الأنطاكي، وما يقوم به ملوك بيزنطة من تعيين بطاريركة غير منتخبين[1]، قامت الكنيسة المارونيّة وأتباعها المنتشرون في مناطق سوريّة

---

[1]) وقد تعاقب على الكرسي الأنطاكي في تلك الفترة التي سبقت نشأة البطريركيّة المارونيّة :

١) مقدونيوس من ٦٤٠ حتى ٦٦٥ م ، أقام في القسطنطينيّة وحرّمه البابا مرتينس الأوّل ، لأنّه حمل بطريرك أنطاكية دون أن يكون بطريركاً شرعيّاً ، لم يتمكّن بسبب الحروب المتواصلة بين المسلمين والنصارى البيزنطيين من الدخول إلى أنطاكية ، فمات قبل تسلّم زمام سلطتها الروحيّة .

٢) مقاريوس من ٦٦٥ حتى ٦٨٠ ، أقام في القسطنطينيّة أيضاً ، وحرّمه المجمع المسكوني السادس المنعقد في القسطنطينيّة ٦٨٠ م ، لتمسّكه ببدعة المشيئة الواحدة ، فلم يتمكّن هو الآخر من الدخول إلى كرسي أنطاكيّة ، فأقاله المجمع وانتخب مكانه بطريركاً آخر يُدعى تاوفانس .

٣) تاوفانس من ٦٨٠ حتى ٦٨٥ م ، وهذا أيضاً ، بالرغم من شرعيّة انتخابه ، لم يتمكّن من دخول البطريركيّة الأنطاكيّة ومن تسلّم زمام أمورها وسلطتها الروحيّة، فظلّ في القسطنطينيّة حتى وفاته في أواخر ٦٨٥ .

انظر : دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، المجلّد الثاني ، الكنائس الشرقيّة الكاثوليكيّة ، ص ٣٠٣ .

بانتخاب رئيس كهنتهم في ذلك الوقت (أواخر سنة ٦٨٥ وأوائل سنة ٦٨٦م) المدعو يوحنّا مارون بطريركاً على الكرسي الأنطاكي .

يوحنّا مارون ، ومخالفة العقيدة الكاثوليكيّة في مشيئة ربّهم يسوع :

ذهبت الكاثوليك إلى القول بأن لربّهم يسوع المسيح مشيئتين، كما له طبيعتان ، ومن وثائقهم الاعتقاديّة في ذلك :

ما جاء في مجمع القسطنطينيّة الثالث (المسكوني السادس) ٧ تشرين الثاني ٧٨٠ — ١٦ أيلول ٦٨١م ، في الجلسة الثامنة عشرة ، في ١٦ أيلول ٦٨١م ، بعنوان ((الحكم على أصحاب المشيئة الواحدة)) ، ومِمَّا جاء فيها : ((... ونُعلن كذلك أنّ فيه ، بحسب تعاليم الآباء القديسين ، مشيئتين أو إرادتين طبيعيتين ، وفعلين طبيعيين ، بلا انقسام ولا تحوّل ، ولا تجزئة ولا اختلاط ...))[1] .

ولكن كان ليوحنّا مارون رئيس كهنوت الكنيسة المارونيّة رأي خالف فيه الكنيسة الكاثوليكيّة الأم في روما ، فذهب إلى أنّ لربِّهم يسوع المسيح طبيعتين ، طبيعة إلهيّة ، وطبيعة بشريّة ، إلاّ أنه بمشيئة واحدة ، هي مشيئة إلهيّة .

وكانت هذه العقيدة هي السبب في انفصال الكنيسة المارونيّة الكاثوليكيّة الشرقيّة ، عن الكنيسة الكاثوليكيّة الغربيّة الأم .

فعقد الكاثوليك الغربيون مجمع القسطنطينيّة الثالث (المسكوني السادس) لنبذ القول بالمشيئة الواحدة وتثبيت القول بالمشيئتين ، وإلقاء الحرم الكنسي على كل من خالف ذلك ، إلاّ أنّ الكنيسة المارونيّة، وأتباعها في الشام رفضوا قرارات الكاثوليكيين الغربيين، وتمسَّكوا بعقيدة أسقفهم في القول بالمشيئة الواحدة [2].

إلاّ أن العلاقة بين الكنيسة المارونيّة ، والكنيسة الكاثوليكيّة الأم ، بدأت بالرجوع مع

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ١٩٧ .

[2]) محاضرات في النصرانيّة ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ ، الشيخ محمد أبو زهرة ، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص ١٣٤ ، د. على عبد الواحد وافي ، المسيحيّة ، ص ١٦٨ ، د. أحمد شلبي، مناظرة بين الإسلام والنصرانيّة ، ص ٢٥٤ ، العقيدة النصرانيّة بين القرآن والإنجيل ١ / ٢١١ حسن الباش ، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ، ص ٢٢٤ ، د. رؤوف شلبي .

بداية قيام الكاثوليك الغربيين بالحروب الصليبية على بلاد المسلمين ، منذ عام ١٠٩٩م .

وقد أعلنت الكنيسة المارونيّة الطاعة في عهد بطريركها يوسف الجرجسي (١١٠٠ ـــ ١١٢٠م) ، الذي أرسل له البابا باسكال الثاني (١٤ آب ١٠٩٩ ـــ ٢١ كانون الثاني ١١١٨م) التاج والعصا ، كما أنّ البابا كاليكستوس الثاني (٢ شباط ١١١٩ ـــ ١٣ كانون الأوّل ١١٢٤م) أرسل له رسالة خصّه فيها باسم ((بطريرك إنطاكية)) ، وأرسلت الكنيسة المارونيّة في عام ١١٣١م وفداً من أساقفتها في عهد البطريرك غريغوريوس الثالث الحالاتي (١١٣٠ ـــ ١١٤١ م) ، إلى روما لمقابلة البابا إنوسنت (إنّوشنتيوس) الثاني (١٤ شباط ١١٣٠ ـــ ٢٤ أيلول ١١٤٣م) ، فأقسموا أمامه بالعودة للكنيسة الكاثوليكيّة الأم في كُلّ ما ذهبت إليه من أمور العقيدة ، خاصة مسألة القول بالمشيئتين لربّهم يسوع المسيح ـــ سبب الخلاف القديم بينهما ـــ وتوّجت العلاقة بين الكنيسة المارونيّة، والكنيسة الكاثوليكيّة الأم، بدعوة خاصة من بابا روما انوسنت (انوشنتيوس) الثالث إلى الأسقف الماروني البطريرك إرميا الثاني العميشيني (١١٩٩ ـــ ١٢٣٠م) لحضور المجمع المسكوني الثاني عشر (المجمع اللاتراني الرّابع ١١ ـــ ٣٠ تشرين الثاني ١٢١٥م) ، فحضر البطريرك الماروني بعض جلسات المجمع ، وكان أول بطريرك يزور مركز البابويّة . وقد عاد البطريرك الماروني إرميا الثاني من روما إلى لبنان ومعه رسالة غفران عن ما انحرفت به طائفته في عهد بطريركها الأوّل يوحنّا مارون في القول بالمشيئة الواحدة . فرجعت بهذا الكنيسة المارونية إلى الحظيرة البابويّة [1].

ومع الأيّام اتضح للبابويّة صدق علاقة الكنيسة المارونيّة بها ، مما حدا بالبابا أورجانيوس الرابع (٣ آذار ١٤٣١ ـــ ٢٣ شباط ١٤٤٧م) أنْ يدعو بطريرك الكنيسة المارونيّة يوحنّا الثامن الجاجي (١٤٠٤ ـــ ١٤٤٥م) لحضور جلسات مجمع فلورنسا (المسكوني السابع عشر) (شباط ١٤٣٩ ـــ آب ١٤٤٥م) ، فكلّف البطريرك الماروني رئيس الرهبان الفرنسسكان في بيروت في ذلك الوقت ، واسمه جون ، لحضور جلسات

---

[1]) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، الجزء الثاني بعنوان ((الكنائس الشرقيّة الكاثوليكيّة)) ، ص ٣٠٨ ، كتاب ((الطائفة المارونيّة)) ، ص ٤١ ، ٥٠ ، ١٣١ ، ضمن كتب موسوعة الأديان في العالم ، إشراف جميل مدبك ، الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ١ / ٢٤٥ ـــ ٢٤٧ .

مجمع فلورنسا نيابةً عنه ، وأن يحمل إليه بعد رجوعه من روما درع التثبيت البابوي للاعتراف به بطريركاً على أنطاكية وسائر المشرق الكاثوليكي ، وهذا ما حصل .

ويدل هذا على قوة علاقة الكنيسة المارونيّة بالبابويّة من جهة ، ومن جهة أخرى قوة علاقتها مع المنظمات الكاثوليكيّة العاملة في المشرق الإسلامي .

وتأكدت العلاقة أكثر بين الكنيسة المارونيّة والبابويّة ، عندما يئست البابويّة من إعادة العلاقة مع الكنيسة البيزنطيّة ، وأيقنت البابويّة عدم جدوى محاولات التوحيد بينها وبين الكنيسة البيزنطيّة ، خاصة في سنة ١٤٥٠م ، فمالت البابويّة أكثر للكنيسة المارونيّة وساعدها بكلّ ما تستطيع ، فأطلق باباوات روما تباعاً على رئيس الكنيسة المارونيّة بطريرك أنطاكية وسائر المشرق .

لذلك كان من توصيات المجمع التريدنتيني (المسكوني التاسع عشر) (١٣ كانون الأول ١٥٤٥ ـــ ٤ كانون الأول ١٥٦٣م) افتتاح مدرسة في روما تعتني بالطلاّب المارونيين والاعتناء بهم عقائديّاً وعلميّاً ، أو كما جاء ((كانت الغاية من تأسيسها تنشئة الطلاّب الموارنة على الروح الإكليركيّة الأصليّة وتدريبهم وتضلّعهم من العلوم اللاّهوتية المعاصرة))[1] .

وقد تمّ تنفيذ هذه التوصية في عهد البابا غريغوريوس الثالث عشر (١٣ أيار ١٥٧٢ ـــ ١٠ نيسان ١٥٨٥م) ببراءة رسوليّة تقضي بإنشاء مدرسة بابويّة مارونيّة في عاصمة الكثلكة روما لاستقبال الطلاّب الموارنة دون غيرهم وبإدارة الآباء اليسوعيين ، وذلك في ٢٧ حزيران عام ١٥٨٤م ، في عهد البطريرك الماروني سركيس بن يوحنّا الرزي البقوفي (١٥٨١ ـــ ١٥٩٧م)[2] .

ومن تمام الشراكة العضويّة بين البابويّة والكنيسة المارونيّة ، أن وقفت البابويّة مع الموارنة ضد الدولة الإسلاميّة العثمانيّة ، وكان ذلك في عهد البابا أوربان الثامن (٦ آب ١٦٢٣ ـــ ٢٩ تموز ١٦٤٤م) ، والبطريرك يوحنّا التاسع بن مخلوف الإهدني (١٦٠٨ ـــ ١٦٣٣م) وكان الرسول بينهما المطران الماروني ، والذي أصبح بطريركا فيما بعد

---

[1]) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، الجزء الثاني بعنوان ((الكنائس الشرقيّة الكاثوليكيّة)) ، ص ٣١٥ .

[2]) كتاب ((الطائفة المارونيّة)) ، ص ١١٤، ضمن كتب موسوعة الأديان في العالم ، إشراف جميل مدبك .

جرجس بن مخلوف بن عميرة الإهدني (١٦٣٣ ــ ١٦٤٤م)[١] .

الرهبانيات المارونيّة :

كان عام ١٧٣٦ ، في عهد البطريرك يوسف الخامس ضرغام الخازن (١٧٣٣ ــ ١٧٤٢م) ، بداية النشاط القوي للكنيسة المارونيّة في تكوين رهبانيات تابعة لها ، وفي السنة نفسها انعقد المجمع اللبناني الذي أقرّ الإصلاح في تنظيم الكنيسة المارونية .

وقد بدأ إصلاح الرهبانيات التابعة للكنيسة المارونيّة في ١٠ تشرين الثاني عام ١٦٩٥ مع تأسيس :

((الرهبانيّة الحلبيّة المارونيّة))، في السنة نفسها، بعناية البطريرك الماروني اسطفانوس الثاني الدويهي الكبير (١٦٧٠ ــ ١٧٠٤م)، والتي سُمِّيت في عام ١٧٠٦م باسم ((الرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة)) .

وقد أراد المؤسسون لهذه الرهبانيّة والأديرة التابعة لها أن تحكمها إدارة مركزيّة موحّدة، ولكلّ دير استقلاله الداخلي ورئيسه المحلي، لكنها جميعاً مرتبطة بعضها ببعض وخاضعة كلّها لسلطة واحدة، هي سلطة الرئيس العام ومجلسه الأعلى، وذلك خلافاً للأديرة المارونية قبل تاريخ ١٦٩٥م ، فكانت مستقلة بعضها عن بعض ، كلّ دير قائم بذاته .

ولكن نظام الإصلاح أبقى على الممارسات التقشفيّة التي كان يُمارسها الرهبان الموارنة الأقدمون ، فلم يُعدّل شيء منها .

وقد حصلت هذه الرهبانيّة على تثبيت من البابويّة في عهد البابا أكليمنضوس الثاني عشر(١٢ تموز ١٧٣٠ ــ ٦ شباط ١٧٤٠ م) في ٣١ آذار سنة ١٧٣٢م ، فتحوّلت هذه من رهبانيّة بطريركيّة إلى رهبانيّة حبريّة .

رهبانيّة مار أشعيا الأنطوانيّة :

تكوّنت هذه الرهبانيّة في ١٥ آب سنة ١٧٠٠م ، بعناية المطران جبرائيل الثاني البلوزاني ،

---

[١]) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، الجزء الثاني بعنوان ((الكنائس الشرقيّة الكاثوليكيّة) ، ص ٣١٦ .

قبل أن يُصبح بطريركاً للكنيسة المارونيّة (١٧٠٤ ــ ١٧٠٥م) ، أي أنها تكوّنت بعد (الرهبانيّة الحلبيّة ــ اللبنانيّة ــ المارونيّة) .

وقد حصلت هذه الرهبانيّة على التثبيت البابوي في عهد البابا أكليمنضوس الثاني عشر في ١٧ كانون الثاني سنة ١٧٤٠م ، وأصبحت ثاني رهبانيّة في الكنيسة المارونيّة ارتقت إلى رهبانيّة حبريّة .

جمعيّة الآباء المرسلين اللبنانيين :

أسس هذه الجمعيّة البطريرك يوسف الثامن حبيش (١٨٢٣ ــ ١٨٤٥م) في بداية عهده ، ولكن هذه الجمعيّة لم تُعمّر طويلاً ، حتى أعاد إنشائها مطران كنيسة الناصرة المارونيّة يوحنّا حبيب عام ١٨٦٥م . وقد ثبّت البطريرك الماروني بولس مبارك مسعد العشقوتي (١٨٥٤ ــ ١٨٩٠م) قوانينها .

جمعيّة راهبات العائلة المقدسة المارونيات :

وهذه الجمعيّة أوّل جمعيّة رهبانيّة نسائيّة في الطائفة المارونيّة . ويعدو الفضل في تأسيسها إلى البطريرك الياس الحويّك (١٨٩٩ ــ ١٩٣١م) عندما كان أسقفاً ونائباً بطريركيّاً ، أسسها سنة ١٨٩٥م . وقد أوضح أن غاية هذه الجمعيّة الاهتمام بالفتاة اللبنانيّة وتهذيبها وتربيتها وتثقيفها في المدارس والمؤسسات التربويّة ، وكذلك الاهتمام بالمرضى والعجزة في المستشفيات والمآوى ، إضافةً إلى الغاية الأساسيّة من الرهبنة ، وهي الصلاة وخلاص النفس ــ على حسب المعتقد الماروني الكاثوليكي ــ .

جمعيّة راهبات القديسة تريزيا الطفل يسوع المارونيّات :

أسس هذه الجمعيّة الأسقف أنطون عقل سنة ١٩٣٥م ، وأثبت قوانينها ورسومها البطريرك أنطون عريضة البشري (١٩٣٢ ــ ١٩٥٥م) ، فهي جمعيّة بطريركيّة ، غاية رسالتها في حقلي التعليم والتمريض « في المدارس والمستشفيات والمآوى » بالإضافة إلى الصلاة وخلاص النفس ــ على حسب المعتقد الماروني الكاثوليكي ــ .

جمعيّة الراهبات الأنطونيّات المارونيّات :

أسست هذه الجمعيّة النسائيّة رهبانية مار أشعيا الأنطوانيّة ، فهي فرعها النسائي ، البداية الفعليّة لها سنة ١٩٤٥م ، وفي ١٧ كانون الثاني سنة ١٩٥٨م ثبّت الكرسي الرسولي البابوي في روما

قوانينهنّ ورسومهنّ ، فأصبحن منظمة رهبانيّة حبريّة[1] .

((بطاركة الطائفة المارونيّة)) :

وصل عدد الذين تبوّؤوا السدة البطريركيّة في الطائفة المارونيّة إلى الخمسة والسبعين بطريركيّاً[2] ، هم :

١) مار يوحنا مارون ، أول بطريرك ماروني .

٢) قورش ابن أخت مار يوحنا مارون .

٣) جبرائيل (الأول) الذي سكن في كفرحي .

٤) يوحنا مارون (الثاني) ، الذي سكن دير سيدة يانوح .

٥) يوحنا من دُمَلْصا في بلاد جبيل .

٦) غريغوريوس (الأول) .

٧) أسطفانوس (الأول) .

٨) مرقس .

٩) أوسابيوس .

١٠) يوحنا (الثاني) ، وفي عهده انعقد المجمع القسطنطيني سنة (٨٩٦ م) .

١١) يشوع .

---

[1] انظر في ذكر جمعيّة رهبان ورهبانيات الطائفة المارونيّة إلى : كتاب ((الطائفة المارونيّة))، ص ١٠٥ ــ ١١٣، ضمن كتب موسوعة الأديان في العالم ، إشراف جميل مدبلك ، دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، الجزء الثاني بعنوان ((الكنائس الشرقيّة الكاثوليكيّة) ، ص ٣٣٣ ــ ٣٣٤ .

[2]) إن أول من وضع سلسلة البطاركة الموارنة هو المؤرخ البطريرك أسطفانوس الدويهي ، وذلك في نهاية القــرن السابع عشر ، وقد نشر هذه السلسلة المعلم رشيد الخوري الشرتوني سنة ١٨٩٨ م ، ثم وضع سلسلة أخرى كلٌّ من الأب يوحنا نطين الدرعوني الذي أصبح مطراناً فيما بعد ، و يوسف سمعان السمعاني حافظ المكتبة الفاتيكانية بروما ، والقس طوبيا العنيسي ، الراهب الحلبي الماروني ، والخور أسقف يوسف داغر . ثُمّ كانت السلسلة الأخير تلك التي وضعها الأب بولس صفير ، الراهب اللبناني الماروني ، حافظ المكتبة البطريركية في بكركي ، ونشرها في مجلة (الفصول) سنة ١٩٨٠م . انظر : كتاب ((الطائفة المارونيّة)) ، ص ٣٩، ضمن كتب موسوعة الأديان في العالم ، إشراف جميل مدبلك .

١٢) داود (الأول) .

١٣) غريغوريوس (الثاني) ، الذي كان في عصر العباسيين .

١٤) ثاوفيلكتوس ، أو (حبيب) .

١٥) يوشع (الثاني) ، ويُدعى أيضاً عيسى .

١٦) دوميطيوس (ضوميط) .

١٧) إسحق .

١٨) يوحنا (الثالث) .

١٩) سمعان ، أو (شمعون) .

٢٠) إرميا .

٢١) يوحنا (الرابع) .

٢٢) شمعون (الثاني) .

٢٣) شمعون (الثالث) .

٢٤) يوسف الجرجسي (١١٠٠ ـــ ١١٢٠) .

٢٥) بطرس (١١٢٠ ـــ ١١٣٠) ، سكن دير سيدة إيليج في ميفوق .

٢٦) غريغوريوس (الثالث) ، من حالات (١١٣٠ ـــ ١١٤١) .

٢٧) يعقوب من رامات (١١٤١ ـــ ١١٥١) .

٢٨) يوحنا (الخامس) اللحفدي (١١٥١ ـــ ١١٥٤) .

٢٩) بطرس (الثاني) ، (١١٥٤ ـــ ١١٧٣) ، سكن دير ميفوق .

٣٠) بطرس (الثالث) ، (١١٧٣ ـــ ؟) ، سكن دير ميفوق .

٣١) بطرس (الرابع) ، (؟ ـــ ١١٩٩) ، سكن دير ميفوق .

٣٢) إرميا (الثاني) العميشيتي (١١٩٩ ـــ ١٢٣٠) .

٣٣) دانيال من شامات (١٢٣٠ ـــ ١٢٣٩) .

٣٤) يوحنا (السادس) بطرس الجاجي (١٢٣٩ ـــ ١٢٤٥) .

٣٥) سمعان (الرابع) (١٢٤٥ ــــ ١٢٧٧) .

٣٦) يعقوب (الثاني) (١٢٧٧ ــــ ؟) .

٣٧) دانيال (الثاني) الحدشيتي (؟ ــــ ١٢٨٢) .

٣٨) لوقا من بنهران (١٢٨٢ ــــ ؟) .

٣٩) إرميا (الثالث) من دُمَلْصا (؟ ــــ ١٢٩٧) .

٤٠) شمعون (الخامس) (١٢٩٧ ــــ ١٣٣٩) .

٤١) يوحنا (السابع) العاقوري (١٣٣٩ ــــ ١٣٥٧) .

٤٢) جبرائيل (الثاني) من حجولا (١٣٥٧ ــــ ١٣٦٧) ، قُتل على يد الجيش المسلم المملوكي في طرابلس .

٤٣) داود (الثاني) وكان اسمه أساساً يوحنا (١٣٦٧ ــــ ١٤٠٤) .

٤٤) يوحنا (الثامن) الجاجي (١٤٠٤ ــــ ١٤٤٥) .

٤٥) يعقوب (الثالث) الحدثي (١٤٤٥ ــــ ١٤٦٨) .

٤٦) يوسف (الثاني) بطرس بن يعقوب الشهير بابن حسان من بلدة الحدث في الجبة (١٤٦٨ ــــ ١٤٩٢) .

٤٧) سمعان (السادس) بطرس بن داود بن يوسف بن حسان من بلدة الحدث في الجبة (١٤٩٤ ــــ ١٥٢٤) .

٤٨) موسى بطرس بن سعادة العكاري (١٥٢٤ ــــ ١٥٦٧) .

٤٩) مخايل بن يوحنا الرزي من قرية بقوفا (١٥٦٧ ــــ ١٥٨١) .

٥٠) سركيس بن يوحنا الرزي من قرية بقوفا (١٥٨١ ــــ ١٥٩٧) .

٥١) يوسف (الثالث) الري من قرية بقوفا (١٥٩٧ ــــ ١٦٠٨) .

٥٢) يوحنا (التاسع) بن مخلوف من إهدن (١٦٠٨ ــــ ١٦٣٣) .

٥٣) جرجس بن مخلوف بن عميرة الإهدني (١٦٣٣ ــــ ١٦٤٤) .

٥٤) يوسف (الرابع) ابن حليب من العاقورة (١٦٤٤ ــــ ١٦٤٨) .

٥٥) يوحنا (العاشر) البواب الصفراوي (١٦٤٨ ـــ ١٦٥٦) .

٥٦) جرجس (الثاني) السبعلي (١٦٥٧ ـــ ١٦٧٠) .

٥٧) اسطفانوس (الثاني) الدويهي الكبير (١٦٧٠ ـــ ١٧٠٤) .

٥٨) جبرائيل (الثاني) البلوزاني (١٧٠٤ ـــ ١٧٠٥) .

٥٩) يعقوب (الرابع) عواد الحصروني (١٧٠٥ ـــ ١٧٣٣) .

٦٠) يوسف (الخامس) ضرغام الخازن (١٧٣٣ ـــ ١٧٤٢) .

٦١) سمعان (السابع) عواد الحصروني (١٧٤٢ ـــ ١٧٥٦) .

٦٢) طوبيا الخازن من بقعاتة كنعان (١٧٥٦ ـــ ١٧٦٦) .

٦٣) يوسف (السادس) أسفطان من غوسطا (١٧٦٦ ـــ ١٧٩٣) .

٦٤) مخائيل (الثاني) فاضل من بيروت (١٧٩٣ ـــ ١٧٩٥) .

٦٥) فيليبس الجميل من بكيفا (١٧٩٥ ـــ ١٧٩٦) .

٦٦) يوسف (السابع) التيان من بيروت (١٧٩٦ ـــ ١٨٢٠) .

٦٧) يوحنا (الحادي عشر) الحلو من غوسطا (١٨٠٩ ـــ ١٨٢٣) .

٦٨) يوسف (الثامن) حبيش من ساحل علما (١٨٢٣ ـــ ١٨٤٥) .

٦٩) يوسف (التاسع) راجي الخازن العجلتوني (١٨٤٥ ـــ ١٨٥٤) .

٧٠) بولس مبارك مسعد من عشقوت (١٨٥٤ ـــ ١٨٩٠) .

٧١) يوحنا (الثاني عشر) الحاج من دلبتا (١٨٩٠ ـــ ١٨٩٨) .

٧٢) الياس الحويك من قرية حلتا ـ البترون (١٨٩٩ ـــ ١٩٣١) .

٧٣) أنطون عريضة من بشري (١٩٣٢ ـــ ١٩٥٥) .

٧٤) بولس (الثاني) المعوشي من جزين (١٩٥٥ ـــ ١٩٧٥) .

٧٥) أنطونيوس (الثاني) خريش من عين إبل (١٩٧٥ ـــ ١٩٨٥) .

٧٦) نصر الله صفير من ريفون (١٩٨٥م ـــ . . . .) .

الباب الثالث : عقائد الطائفة الكاثوليكيّة .

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأوّل : العقائد الأساسيّة الكبرى للطائفة الكاثوليكيّة .

الفصل الثاني : أسرار الكنيسة السبعة .

الفصل الثالث : عقائد أخرى للطائفة الكاثوليكية .

الفصل الأول : العقائد الأساسيّة الكبرى للطائفة الكاثوليكية .

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : عقيدة ألوهية المسيح عيسى ــ عليه السلام ــ .

المبحث الثاني : عقيدة التثليث .

المبحث الثالث : عقيدة الخطيئة الأصلية ، أو ((الجدّيّة)) الموروثة .

المبحث الرابع : عقيدتا الصلب والفداء .

المبحث الخامس : عقيدة قيامة المسيح ــ عليه السلام ــ وصعوده إلى السماء ، وجلوسه على يمين الرب أبيه .

المبحث الأول : عقيدة ألوهية المسيح عيسى[1] ــ عليه السلام ــ .

يعتقد الكاثوليك في عيسى ــ عليه السلام ــ أنه إله ابن إله، فعيسى عندهم هو الله الابن، وليس الله الآب ، مع أنّ الآب والابن واحد عندهم .[2]

يقول صاحب كتاب الأشعة اللاهوتية : ((وموضوع كلامنا هنا شخص الرب الأقدس المخلّص يسوع المسيح ، وهو ابن الله كلمة الآب المولود من الآب منذ الأزل ،

---

[1]) وقد ألّف بعض الباحثين المسلمين في الرد على عقيدة تأليه النصارى للمسيح عيسى عليه السلام ، ومن هذه الكتب التي بين يديّ : موقف ابن تيميّة من النصرانيّة ، ٣٠١ ــ ٤٥٨ ، رسالة دكتوراه مُقدّمة من الباحثة مريم بنت عبد الرحمن الزامل ، إظهار الحق ، ٣ / ٧٥١ ــ ٧٧٢ ، تحت عنوان (في إبطال الأدلّة النقلية على ألوهية المسيح) للعلاّمة رحمت الله الكيرانوي الهندي ، تحقيق الدكتور محمد أحمد ملكاوي ، الفارق بين المخلوق والخالق ، ص ٣٤٣ ــ ٣٦٩ ، للعلاّمة عبد الرحمن بن سليم البغدادي ، بين الإسلام والمسيحيّة ، ١٢٧ ــ ١٤٢ ، ١٧٨ ــ ١٨١ ، للعلاّمة أبي عبيدة الخزرجي ، المسيحيّة (النصرانيّة) ٩٨ ــ ١١٣ ، ساجد مير ، البحث الصريح في أيّما هو الدين الصحيح ، ٦٠ ــ ١٠٢ ، ١٠٥ ــ ١٢٢ ، للشيخ زيادة بن يحي الراسي ، تحقيق الدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف ، منحة القريب في الرد على عبّاد الصليب ، ١ / ٣٤٩ ــ ٣٩٩ ، للشيخ عبد العزيز بن حمد بن معمّر ، تحقيق الدكتور محمد بن عبد الله السّكاكر ، المختار في الرد على النصارى ، ٢٨ ــ ٣٥ ، لأبي عثمان الجاحظ ، تحقيق الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي ، التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسين بولس ويوحنّا ، الكتاب بكامله في الرد على تأليه النصارى للمسيح عيسى عليه السلام ، تأليف سعد رستم ، الله واحد أم ثالوث ، الكتاب بكامله في الرد على تأليه النصارى للمسيح عيسى عليه السلام ، تأليف الدكتور محمد مجدي مرجان ، النّصرانيّة من التوحيد إلى التثليث ، ٢٢٧ ــ ٢٣٩ ، ٢٤٧ ــ ٢٨٠ ، ٢٩٩ ــ ٣٠٢ ، رسالة ماجستير مقدّمة من الباحث الدكتور محمد أحمد الحاج ، المسيحيّة بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها ، ١٧٧ ــ ١٨٤ ، ٣٢١ ــ ٣٢٨ ، رسالة ماجستير مُقدّمة من الباحث الدكتور عبد المنعم فؤاد ، موقف اليهود والنّصارى من المسيح عليه السلام وإبطال شُبهاتهم حَوله ، ٣٠٥ ــ ٣٤٠ ، رسالة دكتوراه مُقدّمة من الباحثة الدكتوره سارة بنت حامد العبادي ، بشريّة المسيح ونُبوّة محمد في نصوص كتب العَهدَين ، ١٧ ــ ٧٩ ، ٩٥ ــ ١٢٦ ، للدكتور محمد أحمد ملكاوي ، رسائل روحيّة ورؤيَةٌ نقديّة لتأليه المسيح ، ٢٠ ــ ٣٣ ، ٣٤ ــ ٤٥ ، للدكتورة زينب عبد العزيز ، المسيح والتثليث ، ٧٥ ــ ١٠٣ ، الدكتور محمد وصفي ، النصرانيّة في الميزان ، ١٥٥ ــ ٢٨٦ ، ٣٢٧ ــ ٣٦٤ ، ٣٧٠ ــ ٣٧٤ ، المستشار محمد عزت الطهطاوي ، الرد على أصناف النصارى ، ٤٨ ــ ٧٠ ، وقد جعل المؤلف العلاّمة علي بن ربن الطبري الرد عبارة عن مسائل ، وسمّاها المسكتات ، وهي ست مسائل مسكتة ، تم من ٩٩ ــ ١٠٦ ، المسيح إنسان أم إله ، ١٤٢ ــ ١٨٢ ، الدكتور محمد مجدي مرجان ، سيّدنا عيسى بشر رسول وليس إلهاً في التوراة والإنجيل والقرآن ، ٨٤ ــ ١٠٧ ، أحمد السيّد الجندي ، عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحيّة ، ١٤٤ ــ ١٥٢ ، تحت عنوان (قضية المسيح والكلمة logos) ، حسني يوسف الأطير .

[2]) على ضفاف الحقيقة ، ص ٣٠٠ ، للدكتور الكاثوليكي خليل كفوري .

وهو إله حق أزلي أبدي ... اتخذ طبيعة الإنسان في مستودع البتول المباركة من جوهرها فكان له الطبيعتان الكاملتان أعني اللاهوت والناسوت ... مسيح واحد إله حق وإنسان حق تألم حقاً وصلب ومات وقبر ليصالح أباه معنا ويكون ذبيحة لا عن الخطيئة الأصليّة فقط بل عن خطايا البشر الفعلية أيضاً))[١] .

والاعتقاد بألوهية المسيح عيسى ــ عليه السلام ــ ، وأنّ لاهوته هو لاهوت الآب ، وأزليته مثله، فعندهم هو مولود من الآب قبل كل الدهور ومساوي للآب في الجوهر، هو اعتقاد الطوائف النصرانيّة المُثلِّثة الكبرى، والتي تدور عليها جميع اعتقاداتهم وطقوسهم[٢] .

وقد استدل النصارى على زعمهم ألوهية المسيح عيسى ــ عليه السلام ــ بنصوص وردت في كتابهم المقدس ((العهد الجديد)) ، خاصة رسائل اليهودي المتنصِّر بولس ، والإنجيل الرابع الذي تتبع مؤلفه في تحريره خُطى بولس ، والمنسوب إلى يوحنّا بن زبدي أحد حواري المسيح عيسى ــ عليه السلام ــ ، ومن أهم تلك النصوص عندهم :

ما ورد في بداية الإنجيل الرابع ، إنجيل يوحنّا ، ((في البدءِ كان الكلمةُ ، والكلمةُ كان عند الله ، وكان الكلمة الله ... والكلمةُ صار جسداً وحَلَّ بيننا ورأينا مجدَه))[٣] ، ما ورد في الإنجيل نفسه أيضاً على لسان المسيح عيسى عليه السلام: ((أنا والآب واحد))[٤]، ((أنّ الآب فيّ وأنا فيه))[٥] ، ((الذي رآني فقد رأى الآب))[٦] . وقال بولس في رسالته لأهل كُولُوسِّي عن المسيح عيسى عليه السلام : ((فإنّه فيه يَحُلُّ كُلُّ مِلءِ اللاّهُوتِ جسَديّاً))[٧] . وقال بولس أيضاً في رسالته لأهل روميّة ((ولَهُمُ الآباءُ ومِنْهُمُ

[١]) الأشعة اللاهوتية في مبادىء التعاليم المسيحية ، ٧٦ ، نيافة الدكتور مول .

[٢]) الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية ، ص ١٢ ، ١٣ ، القس إبراهيم عبد السيد ، راعي كنيسة مار جرجس بحدائق المعادي .

[٣]) إنجيل يوحنّا ١ : ١ــ٢ ، ١٤ .

[٤]) إنجيل يوحنّا ١٠ : ٣٠ .

[٥]) يوحنّا ١٠ : ٣٨ .

[٦]) يوحنّا ١٤ : ٩ .

[٧]) كُولُوسِّي ٢ : ٩ .

المسيحُ حسب الجسدِ الكائنُ على الكلّ إلهاً مُباركاً إلى الأبدِ آمين))[1]

ما ورد في عهدهم الجديد أن المسيح هو ابن الله [redacted] وهذه البنوة عندهم لا يُفهم منها إلا أنها تَدُلّ على ألوهية المسيح عيسى ـــ عليه السلام ـــ ، ومن ذلك ما ورد في إنجيل متى : ((فأجاب سمعان بن بطرس ، وقال : أنت هو المسيح ابنُ الله الحيّ ، فأجاب يسوع وقال له : طُوبى لك يا سمعان بن يونان))[2] ، وجاء في إنجيل يوحنّا : ((فسمع يسوع أنّهم أخرَجُوهُ فوجدَه وقال له : أتؤمن بابن الله . أجاب ذاك وقال من هو يا سيّدُ لِأُومن به فقال له يسوعُ قدْ رأيتَهُ والذي يتكلمّ معك هو هو))[3] ، وجاء في رسالة بولس إلى أهل غلاطيّة : ((ولكنْ لَمّا جاء مِلءُ الزمانِ أرسلَ اللهُ ابْنَهُ موْلُوداً من امْرأةٍ موْلُوداً تحتَ النّامُوسِ))[4] .

وجاء القول بألوهية المسيح عيسى ـــ عليه السلام ـــ في نص وثيقة مجمع نيقية الأول ((الأول المسكوني)) في حزيران ـــ ٢٥ آب ٣٢٥ م :

((إعلان إيمان نيقية [redacted] ١٩ حزيران ٣٢٥ ، نص الصيغة التي نقلها أوسابيوس وأثناسيوس وباسيليوس الكبير ، ترجمة النص اللاتيني :

نؤمن بإله واحد، آب قدير خالق كُل ما يُرى و ما لا يُرى . وبربنا الواحد يسوع المسيح ابن الله المولود الوحيد من الآب، أي من جوهر الآب، إله من إله ، نور من نور، إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق ، واحد في الجوهر مع الآب ، الذي به خلق كُل شيء ما في السماء و ما في الأرض ...))[5] .

وكذا جاء في مجمع القسطنطينية الأوّل ((المجمع المسكوني الثاني)) في أيّار ـــ ٣٠ تموز عام ٣٨١ م : ((قانون إيمان القسطنطينية ، عن النص اللاتيني : ((أومن بإله واحد ، آب قدير ، خالق السماء والأرض ، كل ما يُرى و ما لا يُرى . وبرب واحد يسوع

---

[1]) روميّة ٩ : [redacted] .

[2]) متى ١٦ : ١٦ ـــ ١٧ .

[3]) يوحنّا ٩ : ٣٥ ـــ ٣٧ .

[4]) غلاطية ٤ : [redacted] .

[5]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها [redacted] ١ / ٤٤ .

المسيح ابن الله الوحيد ، المولود من الآب قبل الدهور ، إله من إله ، نور من نور ، إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر، الذي كان به كل شيء...))[١] .

وذهب الكاثوليك أن المسيح ـــ عليه السلام ـــ اتحدت فيه طبيعتان و مشيئتان متميزتان ، وقد تقررت هذه العقيدة بوضوح عند الكاثوليكية في المجمع الخلقيدوني ((المسكوني الرابع)) [من ٨ تشرين الأوّل إلى مطلع تشرين الثاني ٤٥١ م] ، فقد جاء في جلسته الخامسة ، في ٢٢ تشرين الأوّل ٤٥١ م ، : ((قانون الإيمان الخلقيدوني ، الطبيعتان في المسيح : ... ولكن بما أن الذين يحاولون رفض تعليم الحقيقة بهرطقاتهم الخاصّة قد أوجدوا بدعاً ، فتجرأ بعضهم ... على رفض كلمة أُمّ الله بالنسبة إلى العذراء ، والآخرون يُدخلون امتزاجاً واختلاطاً ، ويتصوّرون بحماقة أن الجسد والألوهية لا يكوّنان إلاّ طبيعة واحدة ، ويقولون برعونة إن طبيعة الابن الإلهية بسبب الاختلاط ، هي قابلة للألم .

لذلك فإن هذا المجمع المسكوني الكبير والمقدّس المعقود الآن ، قد أراد إقصاء كل مسعى لهم يناهض الحقيقة ، معلّماً العقيدة الثابتة المعلنة منذ البدء ، فحدّد أوّلاً ضرورة إبقاء إيمان الآباء الثلاث مئة والثمانية عشر مصوناً .

... ذات المسيح الواحد ، ابن ، رب ، وحيد ، معروف في طبيعتين ، بلا اختلاط ، ولا تحوّل ، بلا انقسام ولا انفصال ، دون أي إلغاء لاختلاف الطبيعتين بسبب الاتحاد ، بل بالحريّ مع احتفاظ كل طبيعة بخاصيّتها متلاقيتين في شخص واحد ، في أقنوم واحد ، مسيح لا يتجزّأ أو لا يتقسّم في شخصين، بل هو ذات الابن الواحد، وحيد، إله كلمة، الرب يسوع المسيح ، كما علّم الأنبياء عنه منذ زمن طويل ، وكما علّمنا يسوع المسيح نفسه ، ونقله إلينا قانون الآباء))[٢] .

وقد كتب البابا لاون الأوّل الكبير ((٢٩ أيلول سنة ٤٤٠م ـــ ١٠ تشرين الثاني ٤٦١م)) رسالة يذكر فيها عقيدة الطبيعتين في المسيح عليه السلام ، وأنّها هي المعتقد

[١]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ٥٧ .

[٢]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ١٠٣ ، ١٠٤ .

الكاثوليكي الصحيح ، استناداً على مقرارات المجمع الخلقيدوني ، أرسلها في حزيران سنة ٤٥٣م إلى رهبان فلسطين ، وفي ١٧ آب سنة ٤٥٨م إلى الإمبراطور البيزنطي لاون الأول، ومما جاء فيها :

((إذن حتى لو كان في الربّ الوحيد يسوع المسيح الابن الحقيقي لله ، والابن الحقيقي للإنسان ، شخص واحد للكلمة وللجسد ، يقوم ، دون انفصال ولا انقسام ، بأعمال مشتركة ، يجب مع ذلك أن تُفهم جيداً الأعمال نفسها . ويجب التأمّل بإيمان صادق في ما رُفعت إليه ضعة الجسد، وفي ما أُحدرت إليه رفعة اللاهوت، في ما لا يعمله الجسد دون الكلمة، و ما لا يعمله الكلمة دون الجسد .

وإن كان لا يوجد قط، منذ البداية حين الكلمة صار جسداً في بطن العذراء، أي انقسام بين الصورتين، وكانت الأعمال كُلّها في كل لحظة لشخص واحد، على مدى نمو الجسد، فلا نخلطنّ بالمزج ما عُمل دون انقسام، بل لندرك بصفة الأفعال ما يخص كل صورة ...

إذن وإن كان الربّ يسوع المسيح واحداً، فيه ذات الشخص الواحد، أي شخص اللاهوت الواحد والناسوت الواحد ، فنحن نعترف بأن ما منحه الله من رفعة، كما يقول معلّم الأمم ، وما أنعم عليه من اسم يفوق كل اسم إنما يعود إلى تلك الصورة التي كان يجب أن تُعنى بزيادة مثل هذا التمجيد الكبير . ففي صورة الله كان الابن مساوياً للآب، وبين الذي وَلَد والمولود الوحيد لم يكن تمييز في الجوهر، ولا أي اختلاف في الجلالة . ولم يخسر الكلمة، بسرّ الجسد، شيئاً كان يجب أن يعود إليه بعطية الآب . ولكن صورة العبد، التي أتم بها اللاهوت المنزّه رحمته العظيمة ، هي الضعة البشرية التي رُفعت إلى مجد القدرة الإلهيّة، مرتبطة منذ حبل العذراء، بوحدة وثيقة جداً، حتى أن الأمور الإلهية لم تتمّ دون الإنسان، ولا الأمور البشرية دون الله))[1] .

ووجه البابا هونوريوس الأوّل ((٢٧ تشرين الأوّل ٦٢٥م ـــ ١٢ تشرين الأوّل ٦٣٨م)) رسالة إلى البطريرك سرجيوس القسطنطيني في عام ٦٣٤م ، يوضح له فيها

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ١٠٩ ، ١١٠ .

مسألة المشيئتان والفعلان في المسيح، ومما جاء فيها : ((سنصل بقيـادة الله إلى مقيـاس الإيمان الصحيح الذي نشره رسل الحقيقة بقاعدة الأسفار المقدّسة . فنعترف بأنّ الـربّ يسوع المسيح ، الوسيط بين الله والبشر [رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ٢ : ■] قد فعل ما هو إلهيّ بوساطة الناسوت المتّحد بكلمة الله بحسب الطبيعة ، وأنه هو نفسه فعل ما هو بشريّ بوساطة الجسد الذي اتخذه على وجه فريد لا يوصف، يملأه اللاهوت بتميُّـز بدون اختلاط ولا تحوّل ... بحيث يُعرف بجلاء أنّ الجسد القابل للآلام اتحد باللاهوت ، وبقيت التمايز بين الطبيعتين على وجه عجيب ...

لذلك نعترف أيضاً بإرادة واحدة في ربنا يسوع المسيح، لأن طبيعتنا لا الخطيئة ، قد اتخذها حقاً اللاهوت، أي الطبيعة التي خُلقت قبل الخطيئة لا تلك التي أُفسدت بالمعصية.

فالمسيح ... الذي حُبل به بالروح القدس بدون خطيئة ، قد وُلد كذلك بدون خطيئة من العذراء القدّيسة والطاهرة ، أم الله ، بدون أي اتصال بالطبيعة المفسودة ... إذ لم يكن في أعضائها شريعة أخرى ، ولا إرادة متميّزة ومناقضة للمخلّص ، لأنه وُلد وهـو غـير خاضع لشريعة الحالة البشرية ...

أن يكون الربّ يسوع المسيح، ابن الله وكلمته، ((الذي به كُلّ شيء كُـون)) [يوحنّا ١ : ٣] هو نفسه الفاعل الوحيد لاهوتياً وناسوتياً ، أمرٌ تـدل عليـه بوضـوح الأسفار المقدسة بجملتها ...))[١] .

وفُصلت أيضاً مسألة الطبيعيتين والمشيئتين، على زعمهم، في المسيح عيـسى عليـه السلام في قرارات مجمعيّة ورسائل بابوية عديدة ، منها ما جاء في رسالة خاصة من البابوية إلى الأباطرة والملوك النصارى في ٢٧ آذار ٦٨٠م، في عهد البابا أغاثون ((٢٧حزيـران ٦٧٨م ـــ ١٠ كانون الثاني ٦٨١م))، ومما جاء فيها: ((... نشرح ، وفقاً لما نُقـل في الإنجيل ، كلّ ما يخصّ الربّ الوحيد نفسه ، فادينا يسوع المسيح ، بـوجهين : أي إننـا نعلن طبيعتيه ، الإلهية والبشرية ، اللتين منهما وفيهما يوجد أيضاً بَعْد الاتحـاد الجـدير بالعجب وغير المنفصلين . ونعترف كذلك بأن كلّ واحدة من هـاتين الطبيعـتين لهـا

---

[١]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ١٦٨ ، ١٦٩ .

خُصيصتها الطبيعيّة : فالإلهية لها كل ما هو إلهي ، والبشرية لها كل ما هو بشري ، ما خلا الخطيئة . ونعترف بأن الاثنتين تخصّان الإله الواحد ذاته ، الكلمة المتجسدة أي الذي صار إنسان ، بلا اختلاط ، ولا انفصال ، ولا تحوّل ...

ولكننا عندما نعترف بطيعتين ومشيئتين وفعلين طبيعيين في ربّنا الوحيد يسوع المسيح، لا نقول إنهما متعاكسان أو متعارضان ... أو كأنهما منفصلان في شخصين أو أقنومين .

ولكننا نقول : كما أن ليسوع المسيح نفسه طبيعتين، كذلك له أيضاً في ذاته مشيئتان وفعلان طبيعيّان ، أي أن له المشيئة والفعل الإلهي بالاشتراك منذ الأزل مع الآب الواحد معه في الجوهر، وان المشيئة والفعل البشري قد اتخذهما زمنياً منّا مع طبيعتنا ... وأنّ كلاً من هاتين الطبيعتين كامل، وكلّ ما يعود إلى خصائص الطبيعتين نعترف به كأنّه يُعطى مرّتين، إذ إن ربّنا يسوع المسيح نفسه هو إله كامل كما هو إنسان من طبيعتين كما في طبيعتين ...))[١] .

ووردت هذه العقيدة أيضاً بالتفصيل وفي موضوع الرد على أصحاب المشيئة الواحدة، في مجمع القسطنطينية الثالث ((المسكوني السادس)) من ٧ تشرين الثاني ٦٨٠ م إلى ١٦ أيلول ٦٨١ م ، في جلسته الثامنة عشرة ، في ١٦ أيلول ٦٨١ م ، ومما جاء فيه : ((يحدّد هذا المجمع ويُعلن بالإجماع ربّنا يسوع المسيح ، إلهنا الحقيقي ، والواحد من الثالوث المقدّس الواحدِ في الجوهر والمحيي ، كاملاً في اللاهوت ، وكاملاً هو ذاته بالناموس ، إلهاً حقّاً وإنساناً حقاً ، وهو ذاته من نفس عاقلة ومن جسد ، واحداً في الجوهر مع الآب في اللاهوت ، وواحداً معنا هو ذاته بالناموس ، شبيهاً بنا في كُل شيء ما خلا الخطيئة [الرسالة إلى العبرانيين ٤ : ٥] .

وُلد من الآب قبل الدهور باللاهوت، وفي الأزمنة الأخيرة، هو ذاته، لأجلنا ولأجل خلاصنا، من الروح القدس ومن مريم العذراء ، وهذه هي بكل حقّ وفي الحقيقة والدة الله بالناسوت . وهو مسيح بذاته، ابن، ورب، وحيد، في طبيعتين بلا اختلاط، ولا تحوّل، ولا انفصال، ولا انقسام . وبما أن اختلاف الطبيعتين لا يُلغيه الاتحادُ أبداً، تبقى بالحري كل

---

[١]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ١٩٢ ، ١٩٣ .

طبيعة مصونة ومتساوقة إلى شخص واحد وأقنوم واحد . فليس هو مُجزَّءًا ولا مقسّماً إلى شخصين، ولكنّه بذاته الابن الوحيد، كلمة الله، الرب يسوع المسيح ...

ونعلن كذلك أنّ فيه، بحسب تعليم الآباء القديسين، مشيئتين أو إرادتين طبيعيتين، وفعلين طبيعيين، بلا انقسام ولا تحوّل، ولا تجزئة و لا اختلاط . والإرادتان الطبيعيّتان ليستا، كما يقول الهراطقة المنافقون، متعارضتين ، حاشا . ولكن إرادته البشرية تتبع إرادته الإلهيّة والقديرة، ولا تقاومها وتتصدّى لها، بل بالحريّ تخضع لها ... فكما يُقال عن جسده، وكما هو حقاً، إنه جسد الله الكلمة، كذلك يُقال عن إرادة جسده الطبيعية، وهي حقاً كذلك، إنها إرادة الله الكلمة الخاصة، كما يُعلن هو نفسه ذلك : ((إنّي نزلتُ من السماء لا لعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني)) [يوحنّا ٦ : ٣٨] . فهو يُعلن أن إرادة جسده تخصّه ، لأن الجسد صار خاصّته . فكما أن جسده الحيّ والجزيل القداسة والطاهر، لم يُلغَ بالتألّه، بل بقي ضمن حدوده ومفهومه الخاصّ، كذلك إرادتُه البشرية لم تُلغَ بالتألّه، بل بالحريّ قد صينت ... فنقول بان له طبيعتين ساطعتين في أقنومه الوحيد . وبه قد أظهر طول وجوده بحسب تدبيره ، معجزاته والآمه ، لا بالمظهر بل بالحقيقة ... والاختلاف الطبيعي في هذا الأقنوم الوحيد ذاته يُعرف بأن كلّ واحدة من الطبيعتين تريد وتعمل ما هو خاصّتها بالاشتراك مع الأخرى . لذلك نمجّد إرادتين وعملين طبيعيّين متساوقين معاً في سبيل خلاص الجنس البشري))[1] .

وهذا المفهوم الذي ذهب إليه الكاثوليك تكرر تأكيده في عدة قرارات من مجامع كاثوليكية مختلفة ، محلية وعامة مسكونية ،

منها : في عهد البابا بندكتوس الثاني ((٢٦ حزيران ٦٨٤ م — ٨ أيار ٦٨٥ م)) ، في مجمع طليطلة الرابع عشر ، ١٤ — ٢٠ تشرين الثاني ٦٨٤ م[2] .

ومنها : في عهد البابا نيقولاوس الأوّل ((٢٤ نيسان ٥٨٥ م — ١٣ تشرين الثاني ٨٦٧ م)) ، في مجمع روما في عام ٨٦٢ م ، وقد تكرر فيه قولهم : ((ربّنا يسوع المسيح ، الإله وابن الله ، قد قاسى عذاب الصليب بالجسد فقط ، ولكنّه بقي غير متألم

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ١٩٦ — ١٩٨ .

[2]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ٢٠٠ .

بلاهوته))[١] .

ومنها : في عهد الباب بيوس السادس ((١٥ شباط ١٧٧٥ــ ٢٩ آب ١٧٩٩م))، في دستور عام وضعته البابوية لأتباعها المؤمنين بالعقيدة الكاثوليكية ، ووضع هذا الدستور العام في ٢٨ آب ١٧٩٤م[٢] .

ومنها : في عهد البابا بيوس الثاني عشر ((٢ آذار ١٩٣٩م ــ ٩ تشرين الأول ١٩٥٨ م)) ، في رسالة عامة وضعتها البابوية لأتباعها في ٨ أيلول ١٩٥١م ، جزء منها عُنون له بـ ((ناسوت المسيح))[٣] .

ومنها : في عهد البابا بولس السادس ((٢١ حزيران ١٩٦٣م ــ ٦ آب ١٩٧٨م))، في إعلان من إعلانات مجمع عقيدة الإيمان ، في ٢١ شباط ١٩٧٢م ، في الرد على ((أضاليل حديثه في شأن المسيح والثالوث))[٤] .

وكما علّمته الكنيسة الكاثوليكة ، في مسألة : ألوهية المسيح ، وأن له طبيعتان وإرادتان ((مشيئتان)) ، أن :

((نؤمن ونعترف بأن يسوع الناصريّ، المولود من فتاة من إسرائيل، في بيت لحم، في عهد الملك هيرودس الكبير والإمبراطور أوغسطس قيصر الأول، نجّار الصّنعة، الذي مات مصلوباً في أورشليم إبّان حكم الوالي بُنطس بيلاطس، ومُلك الإمبراطور تيباريوس، هو ابن الله الأزليُّ المتأنّس، وبأنّه ((خرج من الله)) [يوحنّا ١٣: ٣]، و ((نزل من السماء)) [يوحنّا ٣: ١٣، ٦: ٣٣]، وأتى في الجسد [رسالة يوحنّا الأولى ٤: ٢]، لأن ((الكلمة صار جسداً وسكن في ما بيننا، وقد شاهدنا مجدَه، مجداً من الآب لابنه الوحيد ...[يوحنّا ١: ١٤]))[٥] .

((إنَّ الحادثَ الوحيد والفريد جداً لتجسّد ابن الله لا يعني أن يسوعَ المسيحَ إلـهٌ في

---

[١]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ٢٢٥ .

[٢]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ٥٥٦ ، ٥٧٦ .

[٣]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ٢ / ٨٦٨ .

[٤]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ٢ / ١٠٨٩ .

[٥]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ١٤١ .

قسم منه وإنسانٌ في قسم آخر، ولا أنه نتيجةُ المزيج المُبهم للعنصرَين الإلهيّ والإنسانيّ. لقد صار إنساناً حقّاً وبقيَ إلهاً حقّاً . يسوعُ المسيحُ هو إلهٌ حقٌّ وإنسانٌ حقٌّ . هذه الحقيقة الإيمانيّة اضطُرّت الكنيسة إلى أن تُدافع عنها وتوضحها خلال القرون الأولى في وجه هرطقات كانت تزوّرها .

... أصحاب الطبيعة الواحدة يذهبون إلى أنّ الطبيعة البشريّة توقّف وجودها في المسيح كطبيعة بشريّة عندما تلبّسَ بها شخصةُ الإلهيُّ كابنِ لله . وتجاه هذه البدعة اعترف مجمع خلقيدونية المسكونيُّ الرابع ، في سنة ٤٥١ م :

((على أثر الآباء القدّيسين نُعلّم بالإجماع الاعترافَ بابن واحدٍ هو هو، سيّدُنا يسوعُ المسيح . هو هو الكاملُ في اللاهوت ، والكاملُ في الناسوت، هو هو إلهٌ حقٌّ وإنسانٌ حقٌّ، المركّب من نفسٍ عاقلة ومن جسد، الذي جوهره جوهرُ الآب من حيثُ اللاهوت، وجوهره جوهرنا من حيث الناسوت، الذي ((يشبهنا في كلّ شيء ما عدا الخطيئة)) [الرسالة إلى العبرانيين ٤ : ١٥] ، الذي ولده الآب قبل جميع الدهور من حيثُ الألوهه، وفي هذه الأيّام الأخيرة وُلِد من مريم البتول، والدة الإله، من حيثُ الناسوت، لأجلنا ولأجل خلاصنا .

واحدٌ هو، وهو نفسُه المسيحُ والربُّ والابنُ الوحيد، الذي يجب أن نعترف به في طبيعتين، غير مختلطتين، وغير متغيّرتين، ولا منقسمتين، ولا مُنفصلتين. إن اختلاف الطبيعتين لم يُلغِهِ اتحادُهما، بل بالحريّ احتفظت كلٌّ واحدة بميزاتها، واجتمعت كلُّها في شخصٍ واحد وأقنوم واحد ... الكنيسة تعترف هكذا أن المسيح إلهٌ حقّاً وانسانٌ حقّاً بغير انفصال . إنّه حقّاً ابنُ الله الذي صار إنساناً، أخاً لنا، وذلك من غير أن يتوقّف عن أن يكون إلهاً ...))[1] .

و ((اعترفت الكنيسة في المجمع المسكوني السادس [مجمع القسطنطينية الثالث من ٧ تشرين الثاني ٧٨٠م إلى ١٦ أيلول ٦٨١ م] بأنّ للمسيح إرادتَين وفعلين طبيعيَّين، إلهي وبشريّ، لا مُتعَارضين، بل مُتعاونين، بحيثُ إنّ الكلمة المتجسّد أراد بشريّاً، في طاعة أبيه،

---

[1]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ١٥٣ — ١٥٥ .

كلّ ما أقرَّهُ إلهيّاً مع الآب والروح القدس من أجل خلاصنا . إن إرادة المسيح البشريّة ((تتبعُ إرادته الإلهيّة، بدون أن تكون مُعيقة و لا معارضةً لها، بل بالحريّ بخضوعها لهذه الإرادة الكلّيّة القدرة))[1] .

((إنّ شهادتنا القائلة " نؤمن بربّ واحد يسوع المسيح " هي ، على ما يتبين من إعلاها عينه ، قلبُ قانون الإيمان المسيحيّ . إنها المركزُ الذي يشعّ على كلّ الجهات والذي منه تتّخذُ شهاداتُ الإيمان الأخرى موقعها[2] ... يقول بولس لأهل روميّة ((لأنّكَ إن اعترفتَ بفمك أنّ يسوع هو ربّ ، وآمنت في قلبك أنّ الله قد أقامه من بين الموات ، فإنك تخلص))[3] .

((إن أقوال الكتاب المقدّس وقانون إيمان الكنيسة قد توسّع فيها التعليم الكنسي المتوارَث في عقيدة الإيمان القائلة إنّ يسوع المسيح هو إلهٌ حقيقيّ وإنسانٌ حقيقيّ . وقد صاغَ هذه الحقيقية الأساسيّة من حقائق خلاصنا المجمعُ المسكونيّ الرابع ، مجمع خلقيدونية عام ٤٥١ م ... على النحو التالي : ((واحد هو ، وهو نفسه تامّ في اللاهوت وتام في الناسوت، إله حقيقي وإنسان حقيقيّ ... مساو لنا في الجوهر بحسب ناسوته ... إننا نعترف بمن هو واحد وهو نفسُه المسيح ... القائمُ في طبيعتين متّحدتين من دون اختلاط و لا تحوّل و لا انقسام و لا انفصال)) .

وقد اقرّ المجمعُ المسكونيّ الخامس ، مجمع القسطنطينيّة الثاني عام ٥٥٣م ، الصيغة النهائيّة التي تقول إنّ المسيح هو شخصٌ واحد في طبيعتين ، ثمّ أوضحَ مجمعُ القسطنطينيّة الثالث عام ٦٨٠ــ٦٨١م ، أنّ وحدة الله والإنسان هذه في يسوع المسيح لا تُزيلُ سيئاً من إنسانيّة يسوع ، ولا تجرحها ، ولا تُنقصها ، ولا تقلّلها . واتخاذ الإرادةُ الإلهيّة الإرادةَ البشريّة لا يُلغي الحريّةَ البشريّة بل يُلغي محدوديّتها ويبلغُ بها إلى الكمال ...))[4] .

---

[1]) التعليم المسيحي لكنيسة الكاثوليكية ، ص ١٥٧ .

[2]) المسيحية في عقائدها ، ص ١٦٤ .

[3]) رسالة بولس إلى أهل روميّة ١٠ : ٩ .

[4]) المسيحيّة في عقائدها ، التعليم المسيحي الكاثوليكي ، ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

خلاف النصارى في طبيعة ربّهم يسوع المسيح :

موضوع طبيعة ربّ النصارى المزعوم ، موضوع خطير في تاريخ الكنيسة، فقد كان سبب انقسامها إلى طائفتين كبيرتين الكاثوليكيّة الغربية ، والأرثوذكسيّة المرقسيّة القبطيّة منذ الثلث الأول من القرن الخامس وبسببه انعقد مجمع ((أفسس الثاني))، في ٨ أغسطس (آب) عام ٤٤٩م ، والذي قررّ عقيدة القول بالطبيعة الواحدة لربّهم يسوع المسيح ، عقيدة الكنيسة الأرثوذكسيّة المرقسيّة ، والذي رفضته الكنيسة الكاثوليكيّة وأسمته ((مجمع اللصوص، ومجمع القراصنة))، مِمّا جعل الكاثوليك يعقدون مجمعاً مضاداً له ، وهو مجمع ((خلقدونيّة)) ، في ٨ أكتوبر (تشرين الأول) عام ٤٥١م ، وتقرّر فيه عقيدة القول بالطبيعتين لربّهم يسوع المسيح ، عقيدة الكنيسة الكاثوليكيّة . ومنذ ذلك الوقت شهدت الكنيسة الانفصال الحقيقي بين الكنيسة الكاثوليكيّة الغربيّة ((الخلقدونيّة)) ومن سار في فلكها بعد ذلك كالروم الأرثوذكس البيزنطيين والبروتستانت ، والكنيسة الأرثوذكسيّة المرقسيّة القبطيّة ((اللاخلقدونيّة)) ومن سار في فلكها كالسريان اللاّخلقدونيين[1] .

وقد ذهبت الكنيسة الكاثوليكيّة في طبيعة ربّه يسوع المسيح إلى ما مر ذكره ، أما الكنيسة الأرثوذكسيّة المرقسيّة القبطيّة فقد ذهبت إلى أنّ ربَّهم يسوع المسيح ، قد ((اتحد لاهوته مع ناسوته بغير اختلاط و لا امتزاج و لا تغيير إذ لم يعد له طبيعتان منفصلتان بعد الاتحاد))[2] .

ويقول بابا الكنيسة الأرثوذكسيّة المرقسيّة القبطيّة البابا شنودة الثالث (بابا الإسكندريّة وسائر أقاليم الكرازة المرقسيّة) ، في بيان عقيدتهم في طبيعة ربّهم يسوع المسيح : ((السيد المسيح هو الإله الكلمة المتجسد، له لاهوت كامل، وناسوت كامل،

---

[1]) انظر في ذلك « إلى : دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة » ١ / ١٢٨ ـــ ١٣٠ ، الأب جان كُمبي ، أوروبا والمسيحيّة (الألفيّة الأولى) » ١ / ١٢٢ ـــ ١٣١ ، يان دوبراتشينسكي « موجز تاريخ المسيحيّة » ص ٢٩٣ ـــ ٣٠٦ ، الأنبا ديوسقورس أسقف المتوفيّة « تاريخ الفكر المسيحي ٣ / ٢١١ ـــ ٢٩٠ ، الدكتور القس حنّا الخضري » وفيه أدق التفاصيل في أحداث هاذين المجمعين .

[2]) الفروق العقيديّة بين المذاهب المسيحيّة » ص ١٤ » للقس إبراهيم عبد السيّد ، راعي كنيسة مار جرجس بحدائق المعادي .

ولاهوته متحد بناسوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ، اتحاداً كاملاً أقنوميّاً جوهرياً ، تعجز اللغة أن تُعبّر عنه ، حتى قيل عنه إنّه سرّ عظيم .

وهذا الاتحاد دائم لا ينفصل مطلقاً ولا يفترق ، نقول عنه في القدّاس الإلهي ((إن لاهوته لم يُفارق ناسوته لحظةً واحدةً ولا طرفة عين)) .

الطبيعة اللاهوتيّة (الله الكلمة) اتحدت بالطبيعة الناسوتيّة التي أخذها الكلمة (اللوجوس) من العذراء مريم بعمل الروح القدس . الروح القدس طهّر وقدّس مستودع العذراء طهارة كاملة حتى لا يرث المولود منها شيئاً من الخطية الأصليّة ، وكوّن من دمائها جسداً اتحد به ابن الله الوحيد . وقد تم هذا الاتحاد منذ اللحظة الأولى للحبل المقدس في رحم السيدة العذراء .

وباتحاد الطبيعتين الإلهيّة والبشريّة داخل رحم السيّدة العذراء تكوّنت منهما طبيعة واحدة هي طبيعة الله الكلمة المُتجسّد))[1] .

وقد عقد الانباء الأرثوذكسي المرقسي ((الأسقف العام)) غريغوريوس في كتابه ((اللاهوت المقارن)) فصلاً ، في إثبات القول بطبيعة واحدة ومشيئة واحدة لربّهم يسوع المسيح، ورد فيه على العقيدة الكاثوليكيّة في قولها بالطبيعتين، ومِمّا قاله في ذلك:

((إن التعبير القائل بطبيعتين متحدتين للسيد المسيح — وهو التعبير الذي تقول به الكنيسة الخلقدونيّة — تعبير خطر لأنه يشتمل على معانٍ ، أو على الأقل على احتمالات بمعاني ، تتعارض مع حقائق ديانتنا المسيحيّة :

١) إنّه يتضمن الثنائيّة في السيد المسيح . والثنائيّة نوع من الافتراق والانفصال بين لاهوت السيّد المسيح وناسوته .

٢) إنّه يحمل التصريح أنّ هناك طبيعتين للسيّد المسيح ، كانتا مفترقتين ثُمّ اجتمعتا معاً . وهذا يفتح السبيل للمذهب النسطوري[2] بعينه ، وهو المذهب الذي ترفضه الكنائس الخلقدونيّة ، نفسها رفضاً باتاً ، وتعتبره هرطقة فاسدة .

---

[1]) طبيعة المسيح ، ص ٧ ، البابا شنودة الثالث .

[2]) المذهب النسطوري، هو: المذهب القائل بأن المسيح عيسى — عليه السلام — ذو طبيعتين متميزتين في شخصه، الطبيعة الإلهيّة، والطبيعة البشريّة، طبيعتان متميزتان الواحدة عن الأخرى، وأن يسوع الناصري هو ابن الله ، =

٣) إن تعبير (الطبيعتين المتحدتين) تعبير هادم لقضيّة الفداء والخلاص الـذي قام به السيد المسيح من أجل الجنس البشري . لأنه إذا كانـت للـسيّد المـسيح طبيعتان بعد الاتحاد ، فمن المنطقي أنّ عمل الفداء قام به جسد السيّد المـسيح ، لأنه هو الذي وقع عليه الصلب . وعلى ذلك ففداء المسيح ليست له أيّ قوّة على خلاص الجنس البشري ، إذ يكون الذي مات من أجل العالم هو إنسان فقط ، مع أن الفداء يأخذ قيمته في أن الذي صُلب عنّا هو بعينه الكلمة المتجـسّد حقّـاً إن اللاهوت لم يتألم بآلام الصليب التي وقعت على ناسوت المسيح ، ولكنّ اللاهوت هو الذي أعطى فعل الصلب قيمته اللانهائية لفداء جميع أفراد النوع الإنساني .

٤) إن تعبير المتحدتين لا يستطيع أن يُفسّر اعتقـاد الكنيـسة الكاثوليكيّـة والكنائس الأرثوذكسيّة الخلقدونيّة ، في أنّ القديسة مريم والدة الإله ... فلو كان في المسيح طبيعتان لكانت العذراء والدة الإنسان يسوع فقط ...))[1] .

=وهو ابن الإنسان، ابن مريم . ومريم ليست هي أصل ومصدر اللاهوت، بل هي والدة الإنسان يسوع الناصري . والمذهب النسطوري أتباع نسطور أسقف القسطنطينيّة في عام ٤٢٨ م ، ومن أقوال نسطور في أثناء انعقاد مجمع أفسس الأول ، عام ٤٣١م : ((لا أدري كيف أدعو الله من كان طفلاً عمره شهران أو ثلاثة . لهذا فإني بريء من دمكم ، ولن أكون بينكم من الآن فصاعداً)) .انظر في ذلك ، إلى : دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ١ / ١٢٦ — ١٢٧ ، الأب جان كُمبي ، أوروبا والمسيحيّة (الألفيّة الأولى) ، ١ / ١١٥—١١٧ ، يان دويراتشينسكي ، تاريخ الفكر المسيحي ٣ / ٣٦—٤٢ ، الدكتور القس حنّا الخضري .

[1]) اللاهوت المقارن ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، للمتنيح الأنبا غريغوريوس ، الأسقف العام للدراسات العليا اللاهوتيّة والثقافة القبطيّة والبحث العلمي .

المبحث الثاني : عقيدة التثليث[1] .

عقيدة التثليث عقيدة أساسية جداً في الإيمان النصراني، بل بها يتميّز النصراني عن غيره ممن يدعون أن ديانتهم آتيه وموحى بها من السماء، ومع أهمية هذه العقيدة عندهم، فهي القاعدة الأساسية لديانتهم، إلا أنهم يشترطون في الإيمان بها عدم مناقشة العقل فيها، فتؤخذ هكذا مُسلّمة بدون مناقشة أو استدلال عقلي على صحّتها، فهذه العقيدة عندهم ((تعليم يسمو على العقل البشري))[2]، وعندهم أن عقيدة التثليث ((ليس بموضوع عقائديّ بقدر ما هو موضوع إيمانيّ، هو موضوع إيمان الكنيسة))[3] فلا يصلح أن يخضع للمناقشة العقلية، أو الاستدلال العقلي .

والغريب العجيب أن هذه العقيدة المحورية عند النصارى لم تكتمل صياغتها إلا في آخر القرن الرابع الميلادي في مجمع القسطنطينية الأوّل ((المجمع المسكوني الثاني)) في آيّار

---

[1]) وقد ألّف بعض الباحثين المسلمين في الرد على عقيدة التثليث عند النصارى ، ومن هذه الكتب التي بين يديّ : موقف ابن تيميّة من النصرانيّة ، ٢ / ٥٤٧ ــ ٦٤٠ ، رسالة دكتوراه مُقدّمة من الباحثة الدكتوره مريم بنت عبد الرحمن الزامل ، إظهار الحق ، ٣ / ٦٨١ ــ ٧٥٠ ، الباب الرابع تحت عنوان (في إبطال التثليث) للعلاّمة رحمت الله الكيرانوي الهندي ، تحقيق الدكتور محمد أحمد ملكاوي ، النصرانيّة من التوحيد إلى التثليث ، ٩٥ ــ ١٦١ ، ١٩٥ ــ ٢٢٦ ، ٢٤١ ــ ٢٤٦ ، رسالة ماجستير مقدّمة من الباحث الدكتور محمد أحمد الحاج ، المسيحيّة بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها ، ٢٠٦ ــ ٣٢١ ، رسالة ماجستير مُقدّمة من الباحث الدكتور عبد المنعم فؤاد ، موقف اليهود والنّصارى من المسيح عليه السلام وإبطال شُبهاتهم حَوله ، ٣٤٣ ــ ٣٨٦ ، رسالة دكتوراه مُقدّمة من الباحثة الدكتوره سارة بنت حامد العبادي ، بشريّة المسيح ونُبوّة محمد في نصوص كتب العَهدَين ، ١٧ ــ ٤٥ ، ٨١ ــ ٩٤ ، للدكتور محمد أحمد ملكاوي ، العقائد الوثنيّة في الديانة النصرانيّة ، ٥٣ ــ ٧١ ، محمد بن طاهر التنير البيروتي ، المسيح والتثليث ، ١٠٥ ــ ١٤٤ ، الدكتور محمد وصفي ، البحث عن الحقيقة الكبرى ، ٤٠٨ ــ ٤٣٢ ، عصام قصّاب ، الإسلام والأديان الأخرى ، ٩١ ــ ٩٧ ، تحت عنوان ((روايات التثليث)) اللواء أحمد عبد الوهاب ، النصرانيّة في الميزان ، ٢٨٧ ــ ٣٢٤ ، المستشار محمّد عزت الطهطاوي ، حوار الأديان في الأندلس لأبي العباس القرطبي، ١٣ ــ ٣٢، تحقيق أحمد حجازي السقا، الله جلّ جلاله بين التثليث والتوحيد ، ١٥ ــ ٤٧ ، السفير محمد أمين جبر ، النصرانيّة في ميزان العقل والإسلام ، ٢٨١ ــ ٢٩٦، محمد سليم القاضلي، حقيقة عيسى المسيح ، ٢٣ ــ ٢٩ ، الدكتور محمد علي الخولي .

[2]) الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية ، ص١٢ ، القس إبراهيم عبد السيد ، راعي كنيسة مار جرجس بحدائق المعادي .

[3]) من أنت أيتها الكنيسة ؟ ص ٢٢ ، الأب فاضل سيداروس .

ـــ٣٠ تموز عام ٣٨١م، حيث أن روح القدس لم يُؤلّه في مجمع نقيه عام ٣٢٥م، حيث أُقتصر التأليه فيه على الله وسمّوه الآب، وعلى المسيح عيسى عليه السلام وسمّوه الابن، وإنّما أُلّه روح القدس في المجمع الذي بعده، وهو مجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨١م، فبقرارات هذين المجمعين تكوّنت عند النصارى فكرة التثليث، الذي يجب على كُلّ نصراني أن يُسلّم بها ولا يُناقشها عقلياً أو يطلب على صحتها دليلاً من أي نوع، فهي عقيدة خارجه عن التصور والعقل البشريين .

وعندما أراد النصارى أن يُوضحوا هذه العقيدة من الناحية العقلية والتفسيرية أتوا بالعجائب، ومن ذلك ما قاله القس الإنجليزي الدكتور مول في كتابه الأشعة اللاهوتية: ((إن الأسفار المقدسة لم تقتصر على إعلان التوحيد بل أعلنت لنا التثليث أيضاً فإنه على ما في تلك الأسفار أن الله واحد مستحق أعظم العبادة والمحبة وانه يطلب ذلك بغَيْرة مُقدسة ولكنها تُبين أن الذي يستحق ذلك ليس بإقنوم واحد وان تلك الأقانيم هي الإله الواحد ، فلنسلّم بهذين الأمرين ثمّ نُقابل ونساو بينهما وهما يجتمعان في التعليم الكاثوليكي تعليم التثليث المقدّس والتسليم بالأمرين ...

إن الله الأزلي الأبدي الذي هو محبة واحد بوحدانية لا تماثلها وحدانية ، ولكن له نسبة داخلية في نفسه فهو ببعض الاعتبارات واحد وباعتبار آخر ثلاثة . ثلاثة أقانيم متفقون كل الاتفاق في الإرادة والعمل ، وبينهم أكمل المعرفة والإرادة والمحبة ، ولكل طبيعة إلهية كاملة ، وكل منهم إله حق في الصفات لا في العدد ، وكل منهم واحد واجب الوجود أزلي مع الاخر ، ولكنّهم ليسوا ثلاثة آلهة ، ولا كل منهم عين الآخر إنّما هم ثلاثة أقانيم))[1].

ويقول المنصّر الدكتور زكريا استاورو ، في شرحه لهذه العقيدة ، ومحاولة تبسيطها للعقول : ((... في المعمودية نرى الثلاثة أقانيم موجودة ، [مرقس١: ٩ــ١١][2] ، وفي

---

[1]) الأشعة اللاهوتية في مبادئ التعاليم المسيحية ، ٣١ ، ٣٢ ، نيافة الدكتور مول مطران دورهم .

[2]) ونصه : ((وفي تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل واعتمد من يوحنّا في الأردن. وللوقت وهو صاعد من الماء رأى السموات قد انشقت والروح مثل الحمامة نازلاً عليه . وكان صوت من السموات أنت الحبيب الذي به سررت)) مرقس ١ : ٩ــ١١ .

المعموديّة المسيحية قال الرب ((عمدوهم باسم (وليس بأسماء) الآب والابن وروح القدس)) [متى ١٨ : ١٩] ، ومثل هذا نجده كثيراً [1]... تذكر أن ١×١×١ = ١ ، وليس ١+١+١ ، والروح القدس هو روح الآب [متى ١٠ : ٢٠] وروح الابن ((ثُمّ بما أنّكم أبناءٌ أرسل اللهُ رُوح ابنه إلى قُلُوبكم صارخاً يا أبا الآب)) [الرسالة إلى غلاطية ٤ : ٦]، وهذا معناه أنه في الآب والابن إذن ١×١×١))[2] .

و لا شك أن هذه الكلمات من متخصصيهم لقصد تفسير هذه العقيدة الأساسية ((التثليث)) عند النصارى تزيد غموضها غموضاً ، لذا هي عقيدة عندهم تُوخذ هكذا مسلّمة لا مجال لتفسيرها وعقلها، فسبحان ربّي أشهد لا إله إلاّ هو أحدٌ أحد فردٌ صمدٌ، لم يلد و لم يولد ، وأشهد أن محمداً وعيسى عبدان لله ورسولان من عنده .

وقد أقرت المجامع المسكونيّة قرارات في تعليم عقيدة التثليث ــ الثالوث المقدّس عندهم ــ ، وألزمت بالتسليم لهذه العقيدة والخضوع لها بدون مناقشات عقلية ، أو استفسارات لمعرفة الكيفية المقبولة التي من خلالها يقتنع بها الأتباع ، فيجب أن تُوخذ هكذا بالتسليم والخضوع التامين . ومن هذه القرارات المجمعيّة ، عندهم ، ما يلي :

التبلور الأول لعقيدة التثليث عند النصارى كان في مجمع القسطنطينية الأوّل (المجمع المسكوني الثاني) ، آيار ــ ٣٠ تموز ٣٨١ ، وممّا جاء فيه : ((نؤمن بإله واحد ، آب قدير ، خالق السماء والأرض كلّ ما يُرى وما لا يُرى ... وبرب واحد يسوع المسيح ، ابن الله الوحيد ، المولود من الآب قبل كل الدهور ، نور من نور ، إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق ، مساوٍ للآب في الجوهر ... وبالروح القدس الرب المحيي ، المنبثق من الآب والابن ، المسجود له والممجد مع الآب والابن ، الذي نطق بالانبياء))[3] .

وفي عهد البابا أنستاسيوس الأوّل (٢٧ تشرين الثاني ، ٣٩٩ ــ ٤٠٢) في مجمع

---

[1]) كما في [رسالة بولس الثانية لأهل كورنثوس ١٣ : ١٤]، [لوقا ١: ٣٥]، [يوحنّا ١٤: ١٢ــ١٧]، [أعمال الرسل ٤ : ٢٩ ــ ٣١]، [رسالة بولس الأولى لأهل كورنثوس ١٢: ٤ــ٦]، [رسالة بولس لأهل أفسس٤: ٤ــ٦]، [الرسالة إلى العبرانيين١٠: ٩ــ١٥] ، [يهوذا ٤٠] ، [رؤيا يوحنّا٤:١ــ٥] .

[2]) أساسيات مسيحية ، ص ٦٠ ت ٦١ ، الدكتور زكريا استاورو .

[3]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ص ٥٧ ــ ٥٨ .

طُليطلة الأوّل ، أيلول ٤٠٠ م ، وممّا جاء فيه : ((نؤمن بالإله الواحد الحقيقي، الآب والابن والروح القدس، خالق ما يُرى وما لا يُرى، الذي به كان كُلّ شيء في السماء وعلى الأرض، هذا هو الإله الوحيد، وهذا هو الثالوث الوحيد ذو الاسم الإلهي (الجوهر الإلهي) . ولكن الآب ليس هو الابن نفسه، ولكن له ابن ليس هو الآب . الابن ليس هو الآب ولكنه ابن الله من ذات طبيعة الآب . والروح هو المعزّي الذي ليس هو الآب نفسه ولا الابن، ولكنه ينبثق من الآب والابن . فالآب إذن غير مولود، والابن مولود، والمعزّي غير مولود ولكنّه ينبثق من الآب والابن))[1] .

وفي عهد البابا لاون الأوّل الكبير (٢٩ أيلول سنة ٤٤٠م ـــ ١٠ تشرين الثاني ٤٦١م) أرسلت البابوية رسالة تعليمية توضيحية إلى توربيبوس أسقف استورغا، في ٢١ تموز ٤٤٧ ، وممّا جاء فيها : ((الإيمان الكاثوليكي يعترف بوحدة الجوهر في الثالوث الإلهي اعترافاً قويّاً يجعله يُؤمن أن الآب والابن والروح القدس غير منقسمين، غير متمازجين، أزليّون بغير زمان، متساوون بلا اختلاف، إذ ليست وحدة الأشخاص وإنّما وحدة الجوهر التي تُحقّق وحدة الثالوث))[2] .

وفي عهد البابا هورمِسْداس (٢٠ تمّوز ٥١٤ ـــ ٦ آب ٥٢٣) ، في رسالة بابوية إلى الأمبراطور يوستينوس ، في ٢٦ آذار ٥٢١ م ، جاء فيها عن عقيدة التثليث : ((واحد هو الثالوث، وليس متعدّداً بالعدَد، ولا ينمو بالزيادة، ولا يمكن إدراكه بالعقل، وما هو الله لا يمكن تفريقه بالفصل . فمن يستطيع إذن محاولة إدخال تقسيم منافق إلى سرّ هذا الجوهر السرمديّ الذي لا يُستقصى، والذي لا تقدر أية طبيعة حتى في الخلائق غير المنظورة أن تكتشفه، وإرجاع خفايا السرّ الإلهي إلى حساب على الطريقة البشرية؟ لنسجُد للآب والابن والروح القدس، جوهر الثالوث الذي هو بوضوح غير متميّز، وغير مدرك ويُعجِز البيان . ولئن قبل العقلُ فيه العدد بالنسبة إلى الأقانيم فالوحدة في الجوهر لا تقبله))[3] .

---

[1] الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ص ٦٧ .

[2] الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ٩٧ .

[3] الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١/ ١٣١ .

وفي عهد البابا هونوريوس الأوّل (٢٧ تشرين الأوّل ٦٢٥ ــ ١٢ تشرين الأوّل ٦٣٨ م) « في مجمع طُليطلة الرابع، الذي بدأ في « كانون الثاني ٦٣٣ ، الفصل الأول منه ، (إعلان إيمان بالثالوث وبالمسيح) ، وممّا جاء فيه : ((إنّنا نعترف على حسب الأسفار الإلهيّة والعقيدة التي تقبّلناها من الآباء القدّيسين، أنّ الآب والابن والروح القدس لهم لاهوت وجوهر واحد . وفي إيماننا بالثالوث المتعدّد الأقانيم وكلامنا على الوحدة في اللاهوت لا نجعل بين الأقانيم اختلاطاً ولا في الجوهر انفصالاً . نقول إنّ الله لم يصنعه ولم يلده أحد . ونقول إن الابن لم يصنعه الآب ولكنّه وَلَده . ونعترف بأنّ الروح القدس لم يُصنع ولم يولد ولكنّه ينبثق من الآب والابن))[١] .

وهذه العقيدة الكاثوليكية تكرر تأكيدها في عدة قرارات من مجامع كاثوليكية مختلفة، محلية وعامة مسكونية :

منها : في عهد البابا يوحنّا الثالث (١٧ تمّوز ٥٦١ ــ ١٣ تمّوز ٥٧٤ م) « في مجمع براغا في البرتغال ، في آيار ٥٦١ ، في الرد على من أنكر هذه العقيدة (الهراطقة « والمنافقون عندهم)[٢] .

ومنها : في عهد البابا بيلاجيوس الثاني (٢٦ تشرين الثاني ٥٧٩ ــ شباط ٥٩٠م)، في مجمع طليطلة ، في ٨ آيار ٥٨٩ م . وقد اهتم هذا المجمع كثيراً بمسألة انبثاق الروح القدس من الآب والابن[٣] .

ومنها : في عهد البابا أدريوداتوس الثاني (١١ نيسان ٦٧٢ ــ ١٧حزيران ٦٧٦م)، في مجمع طليطلة الثاني، الذي بدأ في ٧ تشرين الثاني ٦٧٥م ، في قرار عنون بـ ((شهادة إيمان))[٤] .

ومنها : في عهد الباب أغاثون (٢٧ حزيران ٦٧٨ ــ ١٠ كانون الثاني ٦٨١ م)،

---

[١]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ١٦٧ .

[٢]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ١٥٧ .

[٣]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها « ١ / ١٦١ .

[٤]) الكنيسة الكاثوليكة في وثائقها « ١ / ١٨٣ .

في رسالة خاصة بالثالوث الإلهي أرسلت إلى الأباطرة » في ٢٧ آذار ٦٨٠م [1] .

وقد ركّزت البابوية في تعليمها لأتباعها على ضرورة الإيمان بعقيدة التثليث ، وقد حاولت تفسيرها لهم ، وبيان أنها أكثر المسائل الإيمانية التي يجب التسليم بها، وممّا جاء في تعليمها ، لذلك :

((المسيحيّون يُعمّدون " باسم " الآب والابن والروح القدس، لا " بأسماء " هؤلاء لأنه لا يوجد إلاّ إلهٌ واحد، الآبُ الكليُّ القدرة، وابنُه الوحيد والروحُ القدس : الثالوث القدّوس .

سرّ الثالوث القدّوس هو السرّ المركزيُّ في الإيمان وفي الحياة المسيحية . إنّه سرُّ الله في ذاته . وهو من ثَمَّ أصلُ سائر أسرار الإيمان، والنُّورُ الذي ينيرها . إنّه العقيدة الأساسيّة والجوهريّة الأكثر أهميّةً في هرَميّة حقائق الإيمان . ليس تاريخ الخلاص كلّه سوى تاريخ الطريقة والوسائل التي اعتمدها الله الحقُّ والواحد، الآبُ والابنُ والروحُ القدس ، ليكشف عن ذاته ويتصالح هو والبشر الذين يتحوّلون عن الخطيئة، ويضمّهم إليه))[2] .

((الثالوث سرُّ إيمان بالمعنى الدقيق، أحدُ الأسرار الخفيّة في الله، والتي لا يمكن أن تُعرف إذا لم يُوحَ بها من فوق . والحقيقة أنّ الله ترك آثاراً لكيانه الثالوثيّ في عمله الخَلْقيّ، وفي وَحيِه طيَّ العهد القديم . ولكنّ صميم كيانه، ثالوثاً مُقدّساً، هو سرّ لا يستطيع أن يدركه العقلُ البشريُّ المجرّد ...))[3] .

((الإيمان الرسوليّ في شأن الروح القدس اعتُرِف به في المجمع المسكوني الثاني، سنة٣٨١م، في القسطنطينية: ((نُؤمن بالروح القدس الربّ المحيي المنبثق من الآب)) . وهكذا ترى الكنيسة في الآب ينبوع الألوهية كلّها ومصدَرها . ومع ذلك فليس المصدر الأزليُّ للروح القدس بغير رابط بمصدر الابن : ((الروح القدس، الأقنوم الثالث من الثالوث، هو الله، واحد ومساوٍ للآب والابن ، جوهرٌ واحدٌ وطبيعة واحدٌ ... ومع ذلك لا نقول إنه روح الآب فقط ، بل روح الآب والابن معاً)) . قانون إيمان الكنيسة الصادر

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ١٩١ .

[2]) التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكية ، ص ٩٣ .

[3]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ٩٤ .

عن مجمع القسطنطينية المسكونيّ يعترف قائلاً : ((مع الآب والابن يُعبَد العبادةَ نفسَها ويُمجَّد المجيدَ نفسَه))[١] .

((الثالوث واحد. إننا لا نعترف بثلاثة آلهة، بل بإلهٍ واحدٍ بثلاثة أقانيم: ((الثالوث الأحديّ الجوهر)) . فالأقانيم الإلهيّة لا يتقاسمون الألوهيّة الواحدة ، ولكنّ كلّ واحد منهم هو الله كاملاً : ((الآب هو ذاتُ ما هو الابن ، والابن هو ذاتُ ما هو الآب ، والآب والابن هما ذاتُ ما هو الروح القدس ، أي إلهٌ واحدٌ بالطبيعة)) . ((كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة هو هذه الحقيقة أي الجوهر ، والطبيعة الإلهيّة)) .

الأقانيم الإلهية متميّزون تميُّزاً حقيقيّاً في ما بينهم . ((الله واحدٌ ولكنّه غيرُ متوحِّد . " آب " ، " ابن " ، " روح قدس " ليسوا مجرَّد أسماءٍ دالّة على كيفيّاتٍ للكائن الإلهيّ، إذ إنّهم متميّزون تميّزاً حقيقيّاً في ما بينهم : ((الذي هو الابن ليس الآب ، والذي هو الآب ليس الابن ، ولا الروح القدس هو الآب أو الابن)) . إنهم متميّزون فيما بينهم بعلاقات مصدرهم: ((الآب هو الذي يلد، والابن هو المولود، والروح القدس هو الذي ينبثق)). الوحدة الإلهيّة ثلاثيّة .

الأقانيم الإلهيّة ذو علاقة بعضهم ببعض ، فالتميُّز الحقيقيّ القائم بين الأقانيم لا يُقسِّم الوحدة الإلهيّة ، يقوم فقط في العلاقات التي تُرجِعُ بعضهم إلى بعض : ((في أسماء الأقانيم النسبيّة ، يُرجَعُ الآبُ إلى الابن ، والابنُ إلى الآب ، والروحُ القدسُ إليهما كليهما ، عندما يجري الكلامُ على هؤلاء الأقانيم الثلاثة باعتبار العلاقات ، فالإيمان مع ذلك يبقى اعترافاً بطبيعة واحدة أو جوهر واحد)) . وهكذا ((فكلُّ شيءٍ واحد فيهم حيثما لا يوجد اعتراضٌ للعلاقة)) . ((بسبب هذه الوحدة، الآبُ كلُّه في الابن، وكلُّه في الروح القدس، الابنُ كلُّه في الآب، وكلُّه في الروح القدس، الروح القدس كلُّه في الآب، وكلُّه في الابن))[٢] .

((التدبير الإلهي كلّه عملٌ مشترَكٌ بين الأقانيم الثلاثة الإلهيّة . فكما أنّه ليس للثالوث إلاّ الطبيعة الواحدة ذاتها ، فليس له إلا العمل الواحد ذاته . ((ليس الآب والابن والروح

---

[١]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ٩٦ .

[٢]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ٩٨ ، ٩٩ .

القدس ثلاثة مبادئ للخلائق بل مبدأ واحد)) ، ومع ذلك فكُلّ أقنوم إلهيّ يعمل العمل المشترك وفقاً لميزته الشخصيّة . وهكذا فالكنيسة تعترف، في عقب العهد الجديد: ((بالله الآب الذي منه كلُّ شيء ، وبالربِّ يسوع المسيح الذي له كلُّ شيء ، وبالروح القدس الذي فيه كلُّ شيء ...))[1] .

((الإيمان الكاثوليكيّ يقوم بما يلي : عبادة إله واحد في الثالوث ، والثالوث في الوحدة، بغير خَلْطٍ للأقانيم، وبغير تقسيم للجوهر : إذ إنّ للآب أقنومَه، وللابن أقنومَه، وللروح القدس أقنومه؛ ولكنْ للآب والابن والروح القدس الألوهةُ واحدة، والمجد واحد، والسيادة واحدة في أزليّتها))[2] .

وبعد بيان عقيدة الكنيسة الكاثوليكيّة في مسألة التثليث ، أذكر مسألة في تثليث النصارى كانت سبباً رئيساً في انشقاق الكنائس الخلقدونيّة بعضها عن بعض ، بين الكنيسة الكاثوليكيّة الرومانيّة اللاتينيّة والكنيسة الأرثوذكسيّة الرومانيّة اليونانيّة القسطنطينيّة البيزنطيّة ، وهذه المسألة هي : انبثاق أقنوم الروح القدس ، هل : من الآب والابن ، كما يعتقد الكاثوليك (الخلقدونيون) ، أو من الآب وحده كما يعتقد الروم الأرثوذكس (الخلقدونيون) ، توافقاً مع الكنيسة الأرثوذكسيّة المرقسيّة القبطيّة (اللاخلقدونيّة) .

فقد ظلّت الكنيستان ـــ الكنيسة الكاثوليكيّة في روما ، والكنيسة الأرثوذكسيّة الرومانيّة في القسطنطينيّة ـــ متفقتين في عقائدهما ، خاصة في أكبر المسائل منها ، وهي القول بأن لربّهم المسيح يسوع طبيعتان ومشيئتان ، إلى أن حصل خلاف بينهما في مسألة انبثاق أقنوم الروح القدس ، في منتصف القرن التاسع ، في عهد فوتيوس بطريرك القسطنطينيّة وبابا روما نيقولاوس الأوّل (من ٨٥٨ إلى ٨٨٦ م) ، وفي هذه السنوات وضع بطريرك القسطنطينيّة كتاباً عن الروح القدس هاجم فيه الكنيسة الكاثوليكيّة في الغرب لكونها أضافت لفظة ((الابن)) في انبثاق روح القدس منذ قانون الإيمان في المجمع

---

[1]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ١٠٠ .

[2]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ١٠١ .

القسطنطيني الأوّل (المجمع المسكوني الثاني) في ٣٠ تموز ٣٨١م ، وما بعده من المجامع ، ولم يخضع الكاثوليك لنداآت كنيسته ، مُعتبراً بأن الروح القدس منبثق من الآب والابن ، هو إعلان لمبدأين في الثالوث الأقدس في حين أن الآب وحده هو مبدأ الابن والـروح ، لذلك إن كان هناك من إضافة إلى قانون الإيمان فيجب القول "" الروح القدس المنبثق من الآب وحده "".

وعلى إثر رأي بطريرك القسطنطينيّة في انبثاق روح القدس من الآب فقط دون الابن أمر بابا روما هدريانوس الثاني (١٤ كانون الأول ٨٦٧ ــ ١٤ كانون الأوّل ٨٧٢م) بعقد مجمع في القسطنطينيّة نفسها ، هو الرابع فيها ، وهو المجمع المـسكوني الثـامن (٥ تشرين الأوّل ٨٦٩ ــ ٢٨ شباط ٨٧٠)، أُصدر فيه بطلان عقيدة بطريرك القسطنطينيّة، وإلقاء الحُرم الكنسي عليه ، وتثبيت عقيدة أن روح القدس منبثق من الآب والابن معـاً . ولكن وبعد تسع سنوات من ذلك المجمع استطاع بطريرك القسطنطينيّة ــ بعد أن خفت سُلطة البابويّة الرومانيّة الكاثوليكيّة على الامبراطور البيزنطـي ــ أن يعقـد مجمعـاً في القسطنطينيّة في عام ٨٧٩ م ، أبطل فيه قـرارات البابويّـة الكاثوليكيّـة في مجمعهـم القسطنطيني الرابع ، وأثبت الحرمان الكنسي على بابا روما الكاثوليكي ، وثبّت عقيدة أن الروح القدس منبثق من الآب فقط ، تابعاً في ذلك عقيدة الكنيسة الأرثوذكسيّة المرقـسيّة القبطيّة . وبهذه العقيدة في انبثاق الروح القدس حصل الانشقاق الديني بين القـسطنطينيّة البيزنطيّة اليونانيّة ((كنيسة الروم الأرثوذكس))، وبين روما اللاتينيّة الغربيّة ((كنيـسة الروم الكاثوليك))[١] .

---

[١]) انظر إلى: الروم وصلاتهم بالعرب، ٢ / ٩ ــ ١٢، الدكتور اسد رستم ، الطوائف المسيحية في مصر والعالم ، ص ٦٨ ــ ٧٢ ، ماهر يونان ، الأسفار المُقدّسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص ١٣٥ ، الدكتور علـي عبـد الواحد وافي .

المبحث الثالث : عقيدة الخطيئة الأصلية ، أو ((الجدّيّة)) الموروثة .

والمقصود بهذه الخطيئة، هي معصية آدم حيث أكل من الشجرة التي نهاه الله عن أكلها، فاستجاب بذلك لوسوسة الشيطان وإغوائه[1] .

---

[1]) وهذه الخطيئة ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم ، وذكر الله أيضاً أن آدم عليه السلام تاب منها ، وأن الله قبل منه هذه التوبة ، فقال تعالى في هذه المسألة { وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) } سورة البقرة الآيات ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧، وقال سبحانه أيضاً { وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٢) قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) } سورة الأعراف من الآية ١٩ إلى الآية ٢٣، وقال تعالى أيضاً { وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً (١١٥) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (١١٦) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (١١٩) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى (١٢٠) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٢) } سورة طه من الآية ١١٥ إلى الآية ١٢٢.

ومن خلال هذه الآيات الكريمات يتبين أن الله تعالى أباح لآدم وحواء كل شيء في الجنة إلا أنه استثنى من هذا الجواز شجرة عيّنها لهما ، وأمرهما أن لا يأكلا منها بل ألا يقربوها ، وفي الوقت نفسه حذّرهما من كيد الشيطان ، وأظهر لهما عداوة الشيطان ، وما ينوي بهما من شر ومكيدة ، إلا أن آدم عليه السلام نسي و ضعف عزمه فعصى أمر الله تعالى واتبع الشيطان ، ووقعت حواء في الذي وقع فيه آدم من أكل الشجرة المحرمة ، فعاتبهما الله ووبخهما على معصيتهما لأمره ، وإتباعهما لكيد إبليس وغوايته ، مما زاد في ندمهما على ما قدمت أيديهما ، فتوجها إلى الله سبحانه تائبين طالبين المغفرة ، فقبل سبحانه توبتهما وعفى عنهما بفضله ومنته فإنه هو التواب الرحيم .

فلمّا قدر الله تعالى لآدم وحواء أن ينزلا إلى الأرض لم يحملا معهما ثقل تلك المعصية لأن الله قد غفر لهما ، ولم تكن تلك المعصية هي التي أنزلتهما إلى الأرض ، بل قدّر الله لهما مسبقاً أن يكونا من أهل الأرض ، قال تعالى { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً } سورة البقرة الآية ٣٠ ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : ((احتج آدم وموسى . فقال موسى : يا آدم أنت أبونا خيّبتنا وأخرجتنا من الجنّة. فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخطّ لك بيده، أتلومني على أمر قدّره الله عليّ قبل أن =

فعند النصارى أن معصية آدم هذه أثّرت في ذريته ، في جميع البشر ، من بعده إلى أن افتداهم المسيح منها وخلّصهم من تبعاتها ، ولكن هذا الخلاص عندهم متوقف على اعتراف الإنسان بألوهية المسيح ، وفدائه للبشرية وتحمله لآلام الصلب من اجلهم .

وأول من نادى بهذا الفهم لهذه العقيدة ونشرها بين أتباع عيسى عليه السلام بعد رفعه ، اليهودي المتنصّر بولس ((شاؤل)) .

فقد قال في رسالته إلى أهل روميّة ((بإنسان واحد دخلت الخطيّةُ إلى العالم وبالخطيّة الموتُ وهكذا اجتاز الموتُ إلى جميع النّاس إذ أخطأ الجميع ، فإنه حتى الناموس كانت الخطيّةُ في العالم ، على أن الخطيّة لا تُحسب إن لم يكن ناموس ، لكن قد ملك الموتُ من آدم إلى موسى وذلك على الذين لم يُخطِئوا على شبه تعدّي آدم الذي هو مثال الآتي))[1] .

=يخلُقني بأربعين سنة . فقال النبي صلى الله عليه وسلّم فحجّ آدم موسى)) وفي رواية أن آدم قال لموسى: فتلومُني على أمرٍ قُدّر عليّ قبل أن أُخلق)) ، صحيح مسلم : كتاب القدر ، باب احتجاج آدم وموسى عليهما السلام ، ح ٢٦٥٢ ، ٢٦٥٣ ، ص ٢٠٤٢ ، ٢٠٤٣ ، اعتناء محمد فؤاد عبد الباقي . فكانت الحجة لآدم على موسى لأن الله سبحانه وتعالى قد كتب أن آدم وذريته يعيشون في الأرض وقد خلقهم لذلك ؛كما مر في آية سورة البقرة . فآدم عليه السلام نبي يتمتع بنعمة الاجتباء قال تعالى { وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٢) } سورة طه الآيتان ١٢١ و ١٢٢ ، وفضل الاصطفاء ، قال تعالى { إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤) }، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت يا نبي الله فأي الأنبياء كان أول ؟ قال : آدم عليه السلام . قال : قلت يا نبي الله أو نبي كان آدم ؟ قال : نعم نبي مُكلّم ...)) من حديث طويل أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/٣٦٥ .

فمعصية آدم انتهت بعد توبته ولم تورّث لذريته ، فليس لهذه المعصية أي علاقة برضى الله علينا أو غضبه ، فقد قال تعالى { مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } سورة الإسراء الآية ١٥ .

وقد ألّف بعض الباحثين المسلمين في الرد على عقيدة النصارى في معصية أكل آدم عليه السلام من الشجرة ، ومن هذه الكتب : الخطيئة الأولى بين اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام (دراسة مقارنه) ، رسالة دكتوراه مُقدّمة من الباحثة الدكتوره أميمة بنت أحمد الجلاهمة ، وموقف ابن تيميّة من النصرانيّة ، ٢ / ٦٧٥ ــ ٦٧٩ ، رسالة دكتوراه مقدّمة من الباحثة الدكتوره مريم بنت عبد الرحمن الزامل ، ومسيحيّون أم بولسيون ، ص ٣٢ ــ ٣٤ ، تحت عنوان خطيئة آدم وحواء ، د. محمد نادر عفيفي ، وحقيقة عيسى المسيح ، ص ٤١ ــ ٤٥ ، في الفصل الرابع تحت عنوان (بطلان الاعتقاد بالخطيئة الموروثة) ، د. محمد علي الخولي ، والنصرانيّة في ميزان العقل والإسلام ، ص ٥٧ ــ ٦٨ ، محمد سليم القاضلي .

[1]) رسالة بولس إلى رومية ٥ : ١٢ــ١٤ .

وجاء في كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية [١] عن هذه العقيدة في مقاطع تعليمية متتابعة ، بعضها ، على النحو التالي :

ـــ الكتاب المقدّس بيّن عواقب هذه المعصية الأولى المأسويّة . فقد فَقَدَ آدم وحواءُ حالاً حالة البرارة الأصلية ... .

ـــ ... وبسبب الإنسان أُخضعت الخليقة لعبوديّة الفساد . وأخيراً فإن العاقبة التي أُنبِئَ بها بصراحة لمعصية الإنسان ستتحقق ((سيعود الإنسانُ إلى الأرض التي أُخذ منها))، وهكذا دخل الموتُ في تاريخ البشرية .

ـــ جميع البشر متورّطون في خطيئة آدم ، القديس بولس يُثبت ذلك : ((جُعل الكثيرون (أي جميع البشر) خطأةً بمعصية إنسان واحد)) (رسالته إلى أهل روميّة ٥ : ١٩) ، ((كما أنها بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم ، وبالخطيئة الموت ، وهكذا احتاز الموت إلى جميع الناس لأن جميعهم قد خطئوا)) (رسالته إلى أهل روميّة ٥ : ١٢) .

ـــ كيف أصبحت خطيئة آدم خطيئة ذرّيّتهِ كُلّها ؟ الجنس البشري كُلّه في آدم ((كأنّه الجسد الواحد لإنسانٍ واحد)) . وبسبب ((وحدة الجنس البشري هذه)) جميع البشرُ داخلون في خطيئة آدم ، كما أنهم داخلون جميعاً في تبرير المسيح . ومع ذلك فإن انتقال الخطيئة الأصليّة سرٌّ لا نستطيع إدراكه إدراكاً تامّاً . إلا أنّنا نعلم عن طريق الوحي أن آدم نال القداسة والبرارة الأصليّتين ، لا له وحده ، بل للطبيعة البشرية كُلّها : وبانقياد آدم وحوّاء للمجرّب ، ارتكبا خطيئة شخصيّة ، ولكن هذه الخطيئة انتقل أثرها إلى الطبيعة البشريّة التي سينقلانها وهما في حالة سقوط . إنها خطيئة ستنتقلُ إلى جميع البشر عن طريق التفشّي ، أي بنقل طبيعة بشريّة مجرّدة من القداسة والبرارة الأصليّتين . ولهذا فالخطيئة الأصليّة مدعوّة ((خطيئة)) على سبيل المشابهة : إنها خطيئة ((موروثة)) لا ((مرتكبة)) ،

---

[١]) وكتاب ((التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية)) كتاب وضعه الفاتيكان باللغة اللاتينية لتفصيل العقائد الكاثوليكية الأساسية ، واستمر تحريره من سنة ١٩٨٦ إلى سنة ١٩٩٢م ، في عهد بابا روما السابق بولس يوحنا الثاني وكان على رأس المشرفين لصياغة هذا الكتاب هو بابا روما الحالي بندكت السادس عشر ، وكان في ذلك الوقت هو الكاردينال جوزيف راتسنغر ، نقله إلى العربية كل من : المتروبوليت حبيب باشا ، والمطران يوحنّا منصور ، المطران كيرلّس سليم بسترس ، الأب حنّا الفاخوري .

حالة لا فِعل .

ـــ في كون آدم الإنسانَ الأول ، أضاع بخطيئته القداسةَ والبرارة الأصليّتين اللتين كان قد نالهما من الله ، ليس فقط لنفسه ، بل لجميع البشر .

ـــ لقد أورث آدمُ وحواء ذرّيّتَهُما الطبيعة البشرية مجروحةً بخطيئتهما الأولى ، ومن ثم مجرّدة من القداسة والبرارة الأصليّتين . وهذا الحرمان يُسمّى ((خطيئة أصلية)) .

ـــ نَتج عن الخطيئة الأصليّة أنّ الطبيعة البشريّة أُضعِفت في قواها، وأُخضِعت للجهل، والألم وسيطرة الموت ، ومالت إلى الخطيئة (وهذا الميل يُسمّى شهوة) .

ـــ فنحن نعتقد ، مع المجمع التريدنتيني ، أن الخطيئة الأصليّة تنتقل مع الطبيعة البشرية ((لا تقليداً بل انتشاراً)) ، وهي هكذا ((خاصة بكل واحد))))[١] .

وقد كانت قرارات المجامع المسكونية الكاثوليكية في تثبيت عقيدة الخطيئة الأصـــلية على ما قرَّرَه بولس ، وعلى النحو التالي :

ـــ في عهد البابا زوسيموس ١٨ آذار ٤١٧ ـــ ٢٦ كانون الأول ٤١٨ م .

ففي مجمع قرطاجة الخامس عشر (أو السادس عشر) الذي ابتدأ في أوّل أيار ٤١٨ ، أُصدرت وثيقة تأكيد لعقيدة الخطيئة الأصلية ضد تعليم فرقة البلاجيّين النـــاكرين لأثـــر معصية آدم عليه السلام على البشر ، فجاء فيها ((رُسم جميع الأساقفة الملتئمين في مجمع قرطاجة المقدس أن من يقول أن آدم الإنسان الأول قد خُلق فانياً ، بحيث كان لا بد له أن يموت سواء خطِئ أو لم يخطئ ، أي أن مغادرة الجسد لا تكون نتيجة للخطيئة وإنّما من ضرورات الطبيعة ، فليكن مُبْسلا))[٢] .

وفي رسالة بعثت بها البابوية إلى الكنائس الشرقية التابعة لها بين حزيران وآب ســـنة ٤١٨م ((بُعث بها إلى مصر والقسطنطينية وتسالونيكي وأورشليم)) ، وفيها : ((الرّب

---

[١]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ١٣٤ ـــ ١٣٩ .

وهكذا قرر كتاب ((المسيحية في عقائدها)) في شأن الخطيئة الأصليّة ، ص ١٤٨ ـــ ١٥٦ ، وهو كتاب في التعليم المسيحي الكاثوليكي ، تحرير لجنة علميّة مصرحة من قبل الفاتيكان رأسها في بعض فترات عملها الكاردينال جوزيف راتسنغر ، إلى يناير كانون الثاني ١٩٨٢م ، وهو البابا الحالي بندكت السادس عشر ، نقلــه إلى العربيــة المطران كيرلّس سليم بسترس رئيس أساقفة بعلبك وتوابعها للروم الملكيّين الكاثوليك .

[٢]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ١/ ٧٥ .

آمين في كل أقواله (مزامير ١٤٤، ١٣) ، ومعموديّته في حقيقتها وكلماتها ، أي بما يجري فيها ، بالاعتراف بالإيمان وبمغفرة الخطايا الحقيقة ، تحوي الملء نفسه لكل جنس ، وكُل سنّ ، وكل حالة بشريّة ، فلا أحد يصبح حُرّاً إلا إذا كان عبداً للخطيئة ولا يُدعى مخلَّصاً إلا من كان قبلاً سجيناً حقيقياً للخطيئة ، كما كُتب : ((إن حرركم الابن كنتم في الحقيقة أحراراً)) (يوحنا ٨ : ٣٦) . فبه نولد ثانية بالروح ، وبه نصلب للعالم ، بموته مزّق صكّ الموت الذي ورثناه بالتناسل ، والذي بآدم دخل فينا جميعاً ونقل إلى كل نفس (رسالة بولس إلى أهل كورنثوس ٢ ، ١٤) ، والذي يخضع له كل مولود بلا استثناء قبل أن يحرّر بالمعمودية))[1] .

ــ في عهد البابا شلستينوس الأول : ١٠ أيلول ٤٢٢ ــ ٢٧ تمّوز ٤٣٢ م .

صدرت وثيقة من البابوية ، وفيها : ((في معصية آدم أضاع النّاس كلّهم قدرتهم الطبيعيّة وبراءتهم ، ولا يستطيع أحد بإرادته الحرّة ، الصعود من عمق هذا الخراب ، إن لم ترفعه الله الرحوم ، على حسب قول البابا إنوشينتيوس السعيد الذكر ، في رسالته إلى مجمع قرطاجة : ((لقد عانى الإنسان قديماً من جراء إرادته الحرّة ، باستعماله خيراته بطيش ، فسقط وغرق في أعماق المعصية ، دون أن يجد ما يمكّنه من الخروج منها . ولولا أن مجيء المسيح ، الذي أزال كل خطيئة سابقة بتطهير الولادة الثانية ، في غسل المعمودية ، قد أنتشله من بعد بنعمته ، لبَقِيَ رازحاً تحت عبء هذا الخراب، بخديعة حريته إلى الأبد))[2].

ــ في عهد البابا فيلكس الثالث : ١٢ تمّوز ٥٢٦ ــ ٢٢ أيلول ٥٣٠ م :

في مجمع أورانج الثاني، الذي بدأ في ٣ تمّوز سنة ٥٢٩ م، وفيه عن الخطيئة الأصلية :

((من قال إن الإنسان ، بخطيئة آدم ، لم ((يتغيّر إلى حالة أسوأ)) (عن أوغسطينوس) بجملته ، جسداً ونفساً ، ومن يعتقد أن الجسد وحده صار عُرضة للفساد ، فيما بقيت حرية النفس سالمة ، فقد وقع في خديعة بيلاجيوس ، مخالفاً قول الكتاب : ((النفس التي تخطئ هي تموت)) [حزقيال ١٨ : ٢٠] و ((أما تعلمون أن من تجعلون له أنفسكم

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ١ / ٧٨ .

[2]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ١ / ٨٢ .

عبيداً للطاعة ، إنما تكونون عبيداً لمن تطيعون؟)) [رسالة بولس إلى أهل روميّة ٦: ١٦] و((إن المرء عبد لمن غلبه)) [رسالة بطرس الثانية ٢ : ١٩] .

ومن قال أن معصية آدم آذته هو وحدَه لا نسلَه ، وإن الموت الجسدي وحده ، أي عقوبة الخطيئة ، لا الخطيئة أي موتَ النفس ، هو ما انتقل بإنسان واحد إلى الجنس البشري كلّه ، فذلك ينسب إلى الله ما يُخالف العدل ، ويناقض قول الرسول : ((غنها بإنسان واحد دخلت الخطيئة العالم ، وبالخطيئة الموت ، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس ، لأن جميعهم قد خطئوا فيه)) [رسالة بولس إلى أهل روميّة ٥ : ١٢] (عن أوغسطينوس))) [1] .

ــ في عهد البابا بولس الثالث : ١٣ تشرين الأول ١٥٣٤ــ ١٠ تشرين الثاني ١٥٤٩م .

ابتدأ انعقاد المجمع التريدنتيني ((المسكوني التاسع عشر)) في ١٣ كانون الأول ١٥٤٥ــ ٤ كانون الأول ١٥٦٤م، وجاء في الجلسة الخامسة منه، في ١٧ حزيران ١٥٤٦م : مرسوم في الخطيئة الأصليّة ، ومما جاء فيه : ((إذا لم يعترف أحدٌ بأن الإنسان الأول ، آدم ، بعدما خالف وصيّة الله في الفردوس ، فقدَ حالاً القداسة والبرارة اللّتين أُقيمَ فيهما ، وجلب الإهانة التي قامت على تلك المخالفة ، غضبَ الله وسخطَهُ ، ومن ثَمَّ الموت الذي كان الله قد هدّده به ، ومع الموت الأسر في قبضة من ((أصبح له سلطان الموت ، أعني إبليس [الرسالة إلى العبرانيين ٢: ١٤] ، وأنه بالإهانة التي قامت على هذه المخالفة تحوّل آدم كلّياً ، بنفسه وجسده ، إلى حالة أدنى ، فليكن محروماً .

إذا أثبت أحدٌ أن مخالفة آدم لم تجلب الضرر إلاّ عليه وحده دُون ذريّته ، وأنه فقد القداسة والبرارة التي منحه إيّاها الله ، وانحصر ذلك الفقدانُ فيه دوننا ، أو أنه ، وقد تلطّخ بخطيئة المعصية ، لم ينقل إلا الموت وعقوبات الجسد البشريّ كلّه ، إلاّ الخطيئة التي هي موت النفس ، فليكن محروماً ، لأنه يُناقض الرسول [2] الذي يقول : ((بإنسان واحد

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ١ / ١٣٢ ، ١٣٣ .

[2]) ويقصدون بالرسول ، بولس ((شاؤل اليهودي)) المُتنصرّ .

دخلت الخطيئة إلى العالم ، وبالخطيئة الموت ، وهكذا اجتاز الموتُ إلى جميع النـــاس لأنّ جميعهم قد خطئوا)) [رسالة بولس إلى أهل روميّة ٥ : ١٢]))[١] .

ويتضح من أقوال بولس والوثائق البابوية وقرارات المجامع المسكونية أن الإيمان بخطيئة آدم عليه السلام في أكله من الشجرة وتأثير هذه الخطيئة على كل البشر ـــ كما يـــزعم النصارى ـــ ظهر أثره واضحاً في أربع من عقائد النصارى ، وهي : عقيدة ألوهية المسيح ـــ عليه السلام ـــ ، وعقيدة الفداء ، والمعمودية ، والقول بعالمية النصرانية . ويتضح ذلك بما يلي من أقوال ، ومقررات :

ـــ ذكر بولس أن الناس لا يستطيعون أن يتخلّصوا من آثار خطيئة آدم ((الخطيئـــة الأصلية)) إلا بالإيمان بيسوع المسيح أنه مُخلّصهم وفاديهم ، فقال في رسالته إلى أهـــل غلاطية : ((لكنّ الكتاب أغلق على الكلّ تحت الخطيّة لِيُعطى الموعد من إيمان يـــسوع المسيح للذين يُؤمنون))[٢] ، وقال ـــ أيضاً ـــ في رسالته إلى أهل روميّـــة ((كمـــا هـــو مكتوب أنّه ليس بارٌّ ولا واحد ... الجميع زاغوا وفسدوا معاً ، ليس من يعمل صـــلاحاً ليس ولا واحد ... وأمّا الآن وقد ظهر برُّ الله بدون الناموس مشهوداً لهُ مـــن النـــاموس والأنبياء ، برُّ الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كُلِّ وعلى كُلِّ الذين يؤمنون ، لأنه لا فرق ، إذ الجميع أخطؤوا وأعوزهم مجدُ الله ، متبررين مجاناً بنعمته بالفداءِ الذي بيسوع المـــسيح الذي قدَّمه اللهُ كفارةً بالإيمان بدمهِ لإظهار برِّه من أجل الصفح))[٣] .

يقول وليم باركلي في شرحه لتلك النصوص : ((يوضح بولس أن البشر وجـــدوا أنفسهم متورطين مع آدم في حالة ليس لهم منها فكاك ، فقد قيدت الخطيّة البشر ، بـــلا أمل في النجاة ، ولكن المسيح جاء ومعه الإنقاذ والتحرير والخلاص بما فعله، وبما أعطاه، مكّن الإنسان من الهروب من حالة اليأس التي سيطرت عليه بسبب الخطيّة ... صحيح إن

---

[١]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ٣٨٨ .

[٢]) رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٣ : ٢٢ .

[٣]) رسالة بولس إلى أهل روميّة ٣ : ١٠ ، ١٢ ، ٢١ ـــ ٢٥ .

الخطيّة حطمت حياة الإنسان ، لكن المسيح جاء لينقذ))[١] .

ــ وممّا علّمته الكنيسة الكاثوليكيّة ، في ذلك ــ أيضاً ــ ، أنّ :

((الكتابُ المقدّس يُثبت الأثر المشؤوم للذي يدعوه يسوعُ ((من البدءِ قتّال الناس)) [يوحنا ٨ : ٤٤] ، والذي حاول أن يحوّل يسوعَ نفسَه عن الرسالة التي تقبّلها من الآب [متى ٤ : ١ ــ ١١] . ((ولهذا ظهر ابنُ الله : لينتقضَ أعمال إبليس)) [رسالة يوحنا الأولى ٣ : ٨] . وأفظع نتائج أعماله كان الإغراء الكاذب الذي جرّ الإنسان إلى عصيان الله)) .

((قد قابل الرسول بولس شموليّة الخطيئة والموت بشموليّة الخلاص بالمسيح : ((كما أنه بزلّةٍ واحدة كان القضاء على جميع الناس ، كذلك ببرٍّ واحد (بر المسيح) يكون لجميع الناس تبريرُ الحياة)) (رسالته إلى أهل روميّة ٥ : ١٨))) .

((لقد اتبعت الكنيسة القديس بولس ، فعلّمت دائماً أنّ الشقاء العارم الذي يهبطُ البشر ، وميلهم إلى الشرّ و إلى الموت لا يُفهمان بمعزل عن علاقتهم بخطيئة آدم ، وبواقع أنه أورثنا خطيئةً نُولد حاملينَ وزرها وهي موت النفس . وانطلاقاً من هذا اليقين العقائدي تمنح الكنيسةُ المعمودية لمغفرة الخطايا ، حتى للأطفال الصّغار الذين لم يرتكبوا خطيئة شخصية)) .

((وإن كان كل إنسان مخصوصاً بالخطيئة الأصليّة ، فإنها ليست ذات طابع شخصيّ عند أي من أبناء آدم . إنها حرمان من القداسة والبرارة الأصليّتين ، ولكنّ الطبيعة البشريّة ليست منفسدة انفساداً كاملاً : لقد جُرحت في قواها الطبيّعية الخاصّة ، وأخضعت للجهل والألم وسلطان الموت ، ومالت إلى الخطيئة (وهذا الميل إلى الشر يُسمّى شهوة). والمعموديّة بمنحها حياة نعمة المسيح ، تمحو الخطيئة الأصليّة وتردُّ الإنسان إلى الله ...))

((عقيدة الخطيئة الأصليّة ــ مقرونة بعقيدة فداء المسيح ــ تُخوِّلُ نظرة تمييز واضح في شأن موقع الإنسان وعمله في العالم . بخطيئة الأبوين الأوّلين اكتسب الشيطانُ شبه سيطرة على الإنسان ، وإن لبث هذا حرّاً . الخطيئة الأصليّة تجرُّ العبوديّة تحت سلطان ذاك

---

[١]) تفسير العهد الجديد ، تفسير رسالة روميّة ، ص ١٨٧ ، وليم باركلي أستاذ العهد الجديد بجامعة جلاسجو ، ترجمة الدكتور القس منيس عبد النور .

الذي بيده سُلطان الموت ، أعني إبليس . تجاهُل كون الإنسان ذا طبيعة مجروحة ، ميّالة إلى الشرّ، يُفسح المجال لأضاليل جسيمة في موضوع التربية ، والسياسة ، والعمل الاجتماعي، والأخلاق)) .

((الله لم يتخلّ عن الإنسان بعد سقوطه . فهو بعكس ذلك « يدعوه ويبشّره ، بطريقة سريّة » بالتغلب على الشرّ وبإقالته من عثرته . هذا المقطع من سفر التكوين سُمّي ((مقدمة الإنجيل)) لأنّه البشرى الأولى بالمسيح الفادي، البشرى بصراعٍ بين الحيّة والمرأة، وبالانتصار النهائيّ لنسل هذه المرأة)) .

((ولكن لماذا لم يمنع اللهُ الإنسان الأول من أن يُخطئ ؟ يجيب عن ذلك القديس لاون الكبير : ((نعمة المسيح التي لا توصف وهبتنا خيراتٍ أعظم من تلك التي كان حسدُ إبليس قد انتزعها منّا)) . والقديس توما الكويني يقول : ((لا شيء يمنع من أن تكون الطبيعة البشريّة قد أُعدت لغايةٍ أرفع من الخطيئة . فإن الله يسمح بأن تحصُل الشرور لكي يستخرج منها خيراً أعظم . من هنا قول القديس بولس : ((حيث كثرت الخطيئة طفحت النعمة)) [رسالته إلى أهل روميّة ٥ : ٢٠] . ومن هنا يقال في بركة شمعة الفصح : ((يا للخطيئة السعيدة التي استحقت هكذا فادياً وبمثل هذه العظمة)) [١] .

((... فبيسوع المسيح وحدَه اتّضحت لنا شموليّةُ الخطيئة ، واتّضح لنا طابَعُها الجذريّ . يسوع المسيح وحده كشف لنا وضعَنا الحقيقيّ في الخلاص كما في الهلاك . وهكذا تبيّنت بوضوح شموليّةُ قدرةِ الخطيئة التي تسود على البشريّة بمثابةِ قدرةِ الموت . غير أنّ معرفة شموليّة الخطيئة ليست سوى الناحية السلبيّة لشموليّة الخلاص في يسوع المسيح . إن كان بإمكاننا القول أنْ لا خلاص خارج يسوع المسيح ، فما ذلك إلاّ لأنّنا نعرف أن الخلاص أُعطي لنا في يسوع المسيح من أجل الجميع))[٢] .

((... وهذه الخطيئة الأصليّة تُمحى محواً حقيقياً باستحقاق يسوع المسيح . فالمعمودية هي ولادة جديدة حقيقيّة ، بها نحن البشر نخلعُ الإنسانَ العتيقَ ونلبسُ الإنسانَ الجديدَ المخلوق على صورة الله [رسالة بولس إلى أهل أفسس ٤ : ٢٢ ، رسالة بولس

---

[١]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية » ص ١٣٣ — ١٣٩ .

[٢]) التعليم المسيحي الكاثوليكي (المسيحيّة في عقائدها) ، ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

إلى أهل كولوسي ٣ : ٩ـــ١٠] أمّا الشهوة الباقية بعد المعموديّة فليست الخطيئة عينَها بل هي تبعتُها))[1] .

((... الخطيئة الأصليّة ، في نظر العقيدة الكاثوليكيّة ، هي حالةُ عدم خلاص يوجَدُ فيها الإنسانُ والبشريّة . وهذا يعني أنّ ماضي الإنسان انطلاقاً من علاقته بالأجيال السالفة لا يمكن أن ينتج منه مستقبلُه الحقيقيّ، أعني الشركةَ مع الله. هكذا يفتقرُ الإنسان إلى اكتماله الحقيقيّ، أي القداسة والبرارة ومشاركة حياة الله . ... لذلك يجب ألاّ نفصل العلاقة بـين التعلـيم في شموليّة الخطيئة وبين ما يدعوه بولس الرسول شموليّة الخلاص في يسوع المسيح ... إنّ أهمّ مـا يقصده التعليم بشأن الخطيئة الأصليّة هو أن يدلّنا على يسوع المسيح الـذي هـو المخلّـص الأوحد))[2] .

ـــ جاء في المجمع التريدنتيني ((المسكوني التاسع عشر)) ، في جلـسته الخامـسة في ١٧ حزيران ١٥٤٦م ، مرسوم في الخطيئة الأصليّة : ((إذا أثبت أحدٌ أنّ خطيئة آدم هذه ـــ وهي واحدةٌ في مصدرها ، ومنقولةٌ بالوراثة لا بالتمثّل ، هي خطيئة كل واحد ـــ تُزال بقوى الطبيعة البشريّة ، أو بعلاج غير استحقاق الوسيط الوحيد ، سيّدنا يسوع المسيح ، الذي صالحنا مع الله بدمه [رسالة بولس إلى أهل روميّة ٥ : ٩] ، وصارَ لنا حكمةً وبِراً وقداسةً [رسالة بـولس إلى أهل كورونثوس ١ : ٣٠] ، أو إذا أنكر أنّ استحقاق يسوع المسيح هذا ينـال البـالغين والأطفال بسرّ المعموديّة الممنوح حسب صيغة الكنيسة واستعمالها : فليكن محرومـاً . إذ ((ليس تحت السماء اسمٌ آخرُ أُعطيَ في الناس، به ينبغي أن تخلص)) [أعمال الرسـل ٤ : ١٢]، ومن ثَمّ هذه الكلمة ((ها هو ذا حملُ الله الذي يرفعُ خطيئة العـالم)) [يوحنـا ١: ٢٩] ، وهذه ((أنتم الذين ، اعتمدوا للمسيح ، قد لبستم المسيح)) [رسالة بولس إلى أهل غلاطيـة ٣: ٢٧] .

... وإذا أنكر أحدٌ أن جُرم الخطيئة الأصليّة قد غُفِر بنعمة سيّدنا يسوع المسيح الـتي تمنحهـا المعمودية ، أو إذا أثبت أنّ كلّ ما له في الحقيقة طابع خطيئة لا يُزالُ كلّياً ، ولكنّه يُشطب فقط أو لا يُحسَب : فليكن محروماً))[3] .

---

[1]) التعليم المسيحي الكاثوليكي (المسيحيّة في عقائدها) ، ص ١٥١ .

[2]) المسيحية في عقائدها ، التعليم المسيحي الكاثوليكي ، ١٥٣، ١٥٥ .

[3]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ٣٨٨ ، ٣٨٩ .

المبحث الرابع : عقيدتا الصلب والفداء[1] .

وتُسمى عند النصارى ((موت يسوع المسيح الخلاصي))، أو ((موت يسوع المسيح الفدائي على الصليب)).

وهذه العقيدة من أهم العقائد عند النصارى جميعاً ؛ بل يرون أن رسالة أناجيلهم الأربعة وما يلحقها من رسائل تدور حول حدثٍ تاريخي واحدٍ فريدٍ هو موت يسوع على الصليب فداءً لهم وكفّارةً لخطاياهم، قال كاتب الرسالة إلى العبرانيين، ((لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المُقَدَّسِينَ))[2] . وعندهم أن في هذا النص تجتمع عبارتان غايةً في القوة والأهمية : (أكمل) ؛ و إلى (الأبد) ؛ وعند النصارى أنهما تُشيران إلى ذبيحة تستوعب احتياجات البشر جميعاً، بل يمتد تأثيرها في اعتقاد النصارى خلال الزمن وعبر

---

[1]) وقد ألّف بعض الباحثين المسلمين في الرد على عقيدتي الصلب والفداء عند النصارى ، ومن هذه الكتب التي بين يديّ : موقف ابن تيميّة من النصرانيّة ، ٢ / ٥٤٧ ــ ٦٤٠ ، رسالة دكتوراه مُقدَّمة من الباحثة الدكتوره مريم بنت عبد الرحمن الزامل ، منحة القريب في الرد على عبّاد الصليب ، ١ / ٢١٧ ــ ٢٢٥ ، للشيخ عبد العزيز بن حمد بن معمَّر ؛ تحقيق الدكتور محمد بن عبد الله السُّكاكر ، مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والأوهام ، للداعية أحمد ديدات ، موقف اليهود والنَّصارى من المسيح عليه السلام وإبطال شُبهاتهم حَوله ، ٤٢١ ــ ٤٦٨ ، رسالة دكتوراه مُقدَّمة من الباحثة الدكتوره سارة بنت حامد العبادي ، الانتصارات الإسلاميّة في كشف شُبه النصرانيّة ؛ ١ / ٣٤٣ ــ ٣٥٩ ، للعلاّمة سليمان بن عبد القوي الطوفي الصرصري ، تحقيق الدكتور سالم بن محمد القرني ، هل المسيح هو الله ؛ ١٦٧ ــ ٢٢٧ ، الدكتور ممدوح جاد ، المسيح إنسان أم إله ، ١١٠ ــ ١٤١ ، الدكتور محمد مجدي مرجان ، المسيح في مصادر العقائد المسيحيّة ، ٢٧١ ــ ٢٨٢ ، أحمد عبد الوهاب ، المسيح والتثليث ، ١٤٦ ــ ١٧٩ ، الدكتور محمد وصفي ، سيّدنا عيسى بشر رسول وليس إلهاً في التوراة والإنجيل والقرآن ، ١٠٩ ــ ١٢٢ ، أحمد السيّد الجندي ، مناظرة بين الداعية أحمد ديدات ؛ وفاويد كلارك بعنوان ((هل مات المسيح على الصليب)) ، ترجمة على الجوهر ، النصرانيّة في ميزان العقل والإسلام ، ٦٩ ــ ٨٢ ، محمد سليم القاضلي ، العقائد الوثنية في الديانة النصرانيّة ، ٧٣ ــ ٨٣ ، ٩١ ــ ١٠٤ ، محمد بن طاهر التنير البيروتي ؛ المسيحيّة الحقّة كما جاء بها المسيح ، ٢٠١ ــ ٣٥٩ ؛ علاء أبوبكر ، حقيقة عيسى المسيح ، ٤٧ ــ ٦٩ ، الدكتور محمد علي الخولي ؛ البحث عن الحقيقة الكبرى ، ٤٣٢ ــ ٤٦٤ ، عصام قصّاب ؛ بين الإسلام والمسيحيّة ؛ ١٥٨ ــ ١٧٨ ، للعلاّمة أبي عبيدة الخزرجي ؛ تحقيق الدكتور محمد شامة ؛ مريم والمسيح عليهما السلام ؛ ٢٢٨ ــ ٢٣٩ ، للشيخ محمد متولّي الشعراوي ، المسيحيّة (النصرانيّة) ، ١٣٣ ــ ١٦٤ ؛ للأستاذ ساجد مير ؛ الإسلام والأديان الأخرى ؛ ٩٨ ــ ١٠٨ ؛ تحت عنوان ((روايات الصلب)) ؛ اللواء أحمد عبد الوهاب .

[2]) الرسالة إلى العبرانيين ، ١٠ : ١٤ .

الأبدية ، زعموا [١].

والنصارى يعتقدون أن عيسى ــ عليه السلام ــ صُلب على عهد بيلاطس البنطي، وتألم، وقبر، ومات، ونزل إلى الجحيم بالصليب، وأتمّ الخلاص للبشرية كُلّها [٢].

فهم يعتقدون أن الشر الذي تستحقه البشرية بسبب خطيئة آدم ثمّ بسبب أخطائهم الشخصيّة قد وُضع على يسوع ــ المسيح عيسى عليه السلام ــ ، وبالمقابل فإن الخير الذي يستحقه يسوع ــ المسيح عيسى عليه السلام ــ قُدّم لمن آمن به ربّاً مُخلّصاً ، فالنصارى يرون أن الله عمل هذا دون أن يُساوم على عدالته الأزليّة الأبدية، فكُلّ هذا عندهم نابع من نعمة الله التي لا تُسبر أعماقها، ولا تُفسر منطقيّاً وعقليّاً على أساس مبدأ السبب والنتيجة [٣].

فعند النصارى أن ((الصليب وسيلة الرب لفداء البشر)) [٤] .

ومن النصوص التي استدل بها النصارى على عقيدتيّ الصلب والفداء في كُتبهم المقدّسة ــ الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها ــ :

((وَلَمَّا أَكْمَلَ يَسُوعُ هَذِهِ الأَقْوَالَ كُلَّهَا، قَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: تَعْلَمُونَ أَنَّهُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ يَكُونُ الْفِصْحُ. وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ لِيُصْلَبَ)) [٥] .

((فأخذَ عسكرُ الوالي يسُوعَ إلى دار الولايةِ وجمعوا عليه كُلَّ الكتيبةِ ، فعرَّوهُ وألبسُوهُ رداءً قُرمزيّاً ، وضَفَرُوا إكليلاً من شَوكٍ ووضَعُوهُ على رأسِهِ وقَصَبَةً في يمينِه ، وكانوا يجْثُونَ قُدَّامَهُ ويستهزِئُون به قائلينَ السلامُ يا مَلِكَ اليهودِ ، وبَصقُوا عليه وأخذُوا القصَبَةَ وضَرَبُوهُ على رأسِهِ ، وبعدما استهزؤوا بهِ نَزَعُوا عنْهُ الرِداءَ وألبسُوهُ ثيَابَهُ ومضَوْا به للصَّلْبِ . وفيما هم خَارِجُونَ وَجَدُوا إنساناً قيرَوَانيّاً اسمهُ سِمعَان فسخَّرُوهُ ليحملَ

---

[١]) المبادلة الإلهية العظمى » ص ٥ ، ديريك برنس (أحد معلمي كتابهم المقدس في العالم » له أكثر من ثلاثين كتاباً في ذلك) .

[٢]) الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية ، ص ١٤ ، القس إبراهيم عبد السيد » راعي كنيسة مار جرجس بحدائق المعادي .

[٣]) المبادلة الإلهيّة العظمى » ص ٩ ــ ١٠ ، ديريك برنس .

[٤]) اللاهوت المقارن » ١/ ٢٠ ، البابا شنودة الثالث ، بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية .

[٥]) متى ٢٦ : ١ــ ٢ .

صليبَهُ . ولمّا أتوْا إلى مَوضعٍ يُقالُ لَهُ جُلْجُثَةُ وهوَ المسمَّى مَوضعِ الجُمْجُمَةِ ... ومِن الساعَةِ السَّادسة كانَتْ ظُلْمَةٌ على كُلِّ الأرضِ إلى السّاعَةِ التاسعةِ . ونحو السّاعةِ التاسعةِ صَـرَخَ يسُوعُ بِصوْتٍ عَظِيمٍ قائلاً إيلي إيلي لَمَا شَبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركْتَني))[١] .

((... فأخذوا يسوعَ ومَضوْا به ، فَخرجَ وهو حاملٌ صَليبَهُ إلى الموضعِ الذي يُقالُ لَهُ موضعُ الجُمْجُمةِ ويُقالُ لَهُ بالعبرانية جُلْجُثَةُ ، حيثُ صَلَبُوه))[٢] .

ونُقل في كتبهم المقدسة أن بطرس قال لجمع من اليهود الساكنين في أورشليم ـــ القدس ـــ عندما حدّثهم عن يســوع النّاصري : ((هذا أخذتمُوهُ مُسلَّماً بِمشُورَةِ اللهِ المحتُومةِ وعِلمه السابقِ وبأيدي أثمَةٍ صَلَبْتمُوهُ وقَتلْتمُوهُ))[٣] .

وقال بولس لأهل روميّة : ((إذ الجميعُ أخطؤوا وأعوزَهُم مجدُ الله ، متبرّرينَ مجّاناً بنعمته بالفداءِ الذي بيسوع المسيحِ الذي قَدّمَهُ اللهُ كفّارةً بالإيمانِ بدَمِهِ لإظهارِ برِّهِ مِن أجلِ الصَّفْحِ))[٤] .

وقال بولس لأهل كولوسي : ((وإذ كنتُمْ أمواتاً في الخطايا وغَلَفِ جسَدِكُم أحياكُم مَعَهُ مُسامحاً لكُمْ بجميعِ الخطايا ، إذ مَحَا الصَّكَّ الذي علينا في الفرائضِ الذي كانَ ضِدّاً لنا وَقدْ رَفعَهُ من الوسَطِ مُسمِّراً إيّاهُ بالصليبِ))[٥] .

---

[١]) متى ٢٧ : ٢٧ ـــ ٣٣ ، ٤٥ ـــ ٤٦ .

[٢]) يوحنّا ١٩ : ١٧ ـــ ١٨ .

والملاحظ أن رواية متى في من ((هو الذي حمل الصليب ؟)) ، مختلفة عن رواية يوحنّا ، وهي رواية وصف لحدث لا تحتمل روايات متعددة ، فالاختلاف في روايات الخبر الواحد يدل على دخول الكذب فيه ، ولا محالة ، ثُمّ كيف يعلم يسوع ـــ المسيح عليه السلام ـــ أنّه نزل من السماء لإجل أن يتعرض للمهانة والصلب والقتل لكي يُكفر عن خطايا البشر ، ثمّ في اللحظة الحاسمة لهذا الغرض يصيح ويطلب من الذي أرسله أن ينقذه ولا يتركه تحت سلطة وعذاب أعدائه من الرومان واليهود ، اعتقد أنه هذا أمر غريب ومريب ، فإمّا أن يسوع لا يعلم ما سيحصل له لذلك تفاجأ وخاف من نهاية رآها بعينيه فطلب من الذي أرسله أن يتقذه ويحميه ، أو أنّه أنتدب لمهمة لم يُومن بها ، ولم يقتنع بها ، ولم يخترها ، بل فُرضت عليه فرضاً وأُجبر عليها لذلك لّما رآى النهاية، التي لا يُريدها، بعينيه لم يصبر عليها وصاح في الذي أرسله أن ينقذه من هذه النهاية المخيفة .

[٣]) أعمال الرسل ٢ : ٢٢ ـــ ٢٣ .

[٤]) رسالة بولس لأهل روميّة ٣ : ٢٣ ـــ ٢٥ .

[٥]) رسالة بولس إلى أهل كُولُوسِي ٢ : ١٣ ـــ ١٤ .

وجاء في الرسالة إلى العبرانيين : ((وليس بدَمِ تُيُوسٍ وَعُجُول بلْ بِدَمِ نَفسه دخَلَ مرَّةً واحدةً إلى الأقدَاسِ فَوَجَدَ فداءً أبديّاً... دمُ المسيحِ الذي بِرُمحٍ أزَليٍّ قدَّمَ نَفسَهُ لله))[1] .

وجاء في رؤيا يوحنّا اللاّهوتي: ((ومن يسوع المسيح ... الذي أحبّنا وقد غسّلنا من خطايانا بدمه))[2] .

وقد أقرت المجامع المسكونيّة قرارات في تعليم عقيدتي الصلب والفداء، فهي الأصل في تعاليم النصارى، لذلك لم يخلو منها قرار من قرارات مجامعهم إمّا عرضاً أو قصداً، ومن أشهر هذه القرارات، عندهم ، ما يلي :

ما في نص وثيقة مجمع نيقية الأول ((الأول المسكوني)) في حزيران ـــ ٢٥ آب ٣٢٥ م :

((إعلان إيمان نيقية ، ١٩ حزيران ٣٢٥ ، نص الصيغة التي نقلها أوسابيوس وأثناسيوس وباسيليوس الكبير ، ترجمة النص اللاتيني :

... الذي لأجلنا نحن البشر، ولأجل خلاصنا، نزل وتجسّد وتألم ...))[3] . والحديث عن يسوع ـــ المسيح عيسى عليه السلام ـــ .

وكذا جاء في مجمع القسطنطينية الأوّل (المجمع المسكوني الثاني) في أيّار ـــ ٣٠ تموز عام ٣٨١ م : ((قانون إيمان القسطنطينية ، عن النص اللاتيني : ((... الذي لأجلنا نحن البشر ولأجل خلاصنا نزل من السماء وتجسّد ... وتأنس ، وصُلب عنّا على عهد بونتيوس بيلاطس، وتألّم ودُفن ...))[4] .

في عهد البابا فيجيليوس (١١ تشرين ٥٣٧ ـــ ٧ حزيران ٥٥٥ م) ، في رسالة أرسلتها البابوية إلى مجموع شعب الله ، في ٥ شباط ٥٥٢ م ، وجاء فيها : ((... تألم ابن الله لأجلنا ، وصُلب في الجسد ، ومات في الجسد ...))[5] .

---

[1]) الرسالة إلى العبرانيين ٩ : ١٢ ، ١٤ .

[2]) رؤيا يوحنّا اللاّهوتي ١: ٥ .

[3]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ٤٤ .

[4]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ٥٧ .

[5]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ١٤٥ .

وفي عهد البابا أديوداتوس الثاني (١١ نيسان ٦٧٢ــ ١٧ حزيران ٦٧٦م) ، في مجمع طليطلة الثاني ، في ٧ تشرين الثاني ٦٧٥م ، في قرارا أسموه ((شهادة الإيمان)) ، وفي : ((... نؤمن أنه، في صورة الجسد التي اتخذها، وبحسب حقيقة الإنجيل، قد حُبل به بلا خطيئة، ووُلد بلا خطيئة، ومات بلا خطيئة، هو الذي وحده " جعل نفسه خطيئة من أجلنا " [رسالة بولس الثانية لأهل كورنثوس ٥: ٢١]، أي ذبيحة لأجل خطايانا .

ومع ذلك تألم لأجلنا ، وبقي لاهوته مصوناً، وحُكم عليه بالموت ، ومات على الصليب موتاً حقيقاً في الجسد ، وفي اليوم الثالث نهض من القبر وقد أقامته قدرتُه الذاتية))[1] .

وفي عهد نيقولاوس الأوّل (٢٤ نيسان ٨٥٥ ــ ١٣ تشرين الثاني ٨٦٧م) ، في مجمع روما عام ٨٦٢ م ، وجاء فيه : ((يجب حقّاً أن نعتقد تماماً أنّ ربّنا يسوع المسيح، الإله وابنَ الله، قد قاسى عذاب الصليب بالجسد فقط، ولكنّه بقي غيرَ متألم بلاهوته، كما تُعلّم السلطة الرسولية، وعقيدةُ الآباء القديسين))[2] .

وهذه العقيدة تكرر تأكيدها في عدة قرارات من مجامع كاثوليكية مختلفة، محلية وعامة مسكونية :

منها : في عهد الباب مرتينيوس الأوّل (٥ تمّوز ٦٤٩ ــ نُفي في ١٧ حزيران ٦٥٣م ــ توفي في ١٦ أيلول ٦٥٥ م) ، في المجمع اللاتيراني المحلي ٥ ــ ٣١ تشرين الأوّل ٦٤٩م ، في الجلسة الخامسة منه ، في ٣١ تشرين الأوّل ٦٤٩م ، قرار سُمّي بشهادة الإيمان ، الجزء الثاني منه بعنوان ((قوانين))[3] .

ومنها: في عهد البابا إنّوشنتيوس (إنوسنت) الثالث (٨كانون الثاني ١١٩٨ــ ١٦ تمّوز ١٢١٦م)، في المجمع اللاتيراني الرّابع (المسكوني الثاني عشر) (١١ــــ ٣ تشرين الثاني ١٢١٥م)، في الفصل الأول منه ، في بيان الإيمان الكاثوليكيّ[4] .

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ١٩٠ .

[2]) الكنيسة الكاثوليكة في وثائقها ، ١ / ٢٢٥ .

[3]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ١٧٣ ــ ١٧٤ .

[4]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ٢٧٥ ــ ٢٧٦ .

ومنها : في المجمع التريدنتيني (المسكوني التاسع عشر) (١٣ كانون الأول ١٥٤٥ ــ ٤ كانون الأول ١٥٦٣م)، والذي ابتدأ انعقاده في عهد البابا بولس الثالث (١٣ تشرين الأول ١٥٣٤م ــ ١٠ تشرين الأول ١٥٤٩ م)، وفي جلسته السادسة (١٣ كانون الثاني ١٥٤٧م) مرسوم في ((التبرير)) ، الفصل الثاني منه بعنوان ((تدبير الخلاص وسرّ مجيء المسيح))[١] .

ومنها : في عهد البابا يوحنّا بولس الثاني (١٦ تشرين الأول ١٩٧٨م ــ ٢ إبريل ٢٠٠٥م)، في رسالة بابوية عامّة (٤ آذار ١٩٧٩م) ، الفصل الأول منها بعنوان ((البعد البشري لسرّ الفداء))[٢] .

فركّزت البابوية في تعليمها لأتباعها على ضرورة الإيمان بعقيدتي الصلب والفداء فعليهما يقوم أصل اعتقادهم، فقد جاء في كتاب بيان التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية :

في فصل بعنوان ((قوانين الإيمان)) أو ((الاعتراف بالإيمان المسيحي))، المقال الرابع منه، بعنوان ((يسوع المسيح تألّم في عهد بنطيوس بيلاطس، وصُلبَ، ومات، ودُفن)) ، الفقرة الثانية بعنوان ((يسوع مات مصلوباً)) :

الفقرة ((١)) بعنوان ((محاكمة يسوع))، وممّا جاء فيها : ((الكنيسة، في تعليم عقيدتها وفي شهادة قدّيسيها، لم تنس أن الخطأة أنفسَهم كانوا الأسباب والوسائل في كُلّ ما عاناه الفادي الإلهيّ من مشاقّ . فانطلاقاً من انّ خطايانا تُنالُ المسيح نفسه، لا تتردد الكنيسة في أن تعزوَ إلى المسيحيّين المسؤولية الأشدّ خطورةً في عذاب يسوع، المسؤولية التي طالما أثقلوا بها كاهلَ اليهود وحدَهم : ((ينبغي نَعُدَّ مسؤولينَ عن هذه الجريمة الفظيعة أولئك الذين لا يزالون يسقطون في خطاياهم . وبما أنّ آثامنا هي أدّت بسيدنا يسوع المسيح إلى عذاب الصّليب، فمن الثابت أن أولئك الذين ينغمسون في الفساد وفي الشرّ " يعيدون بأنفسهم صلبَ ابن الله ويُشهّرونه " [رسالة إلى العبرانيين ٦: ٦] ...)) ، ويقول

---

[١]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ٣٩١ .

[٢]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ٢ / ١١١٤ .

القديس فرانسيس الأسّيزي : ((والأبالسة ليسوا هم الذين صلبوه؛ بل أنت بالاشتراك معهم صلبتَهُ وتصلبُه أيضاً بتمتُّعك بالرذائل والآثام))[1] .

والفقرة ((٢)) بعنوان ((موت المسيح الفدائيّ في تصميم الخلاص الإلهيّ)) ، وممّا جاء فيها : ((موتُ يسوعَ العنيف لم يكن نتيجة الصُدفة في اتفاق سيئ للأحوال . إنه في سرّ تصميم الله، كما يُفسّرهُ القديس بطرس لليهود في خطابه الأول يوم العنصرة : ((لقد أسلم بحسب تصميم الله المحدَّد وسابق عليه)) [أعمال الرسل ٢ : ٢٣] . فهذا الكلامُ الكتابيّ لا يعني أنّ الذين أسلموا يسوع لم يكونوا إلاّ منفّذين صاغرين لُمخطّط سابقٍ خطّه الله ... .

هذا التصميم الإلهيّ للخلاص بقتل " العبد " ، " الصدّيق " أنبأ به في السابق الكتابُ المُقدّس على أنّه سرُّ فداءٍ شامل، أي سرّ افتداءٍ يُحرّر البشر من عبوديّة الخطيئة . فالقديس بولس يُعلن في اعتراف إيمانيّ يقول : ((أن المسيح مات من أجل خطايانا على ما في الكتب)) [الرسالة الأولى لأهل كورنثوس١٥ :٣] فموت الفدائيّ يتممّ بنوع خاصّ نُبوءة العبد المتألّم. ويسوعُ نفسُه عَرضَ معنى حياته وموته على ضوء العبد المتالم [متى ٢٠ : ٢٨] ...))[2] .

((عندما يُسلِّم اللهُ ابنَه من أجل خطايانا يُظهِر أنّ تصميمَهُ في شأننا تصميمُ محبّةٍ عطوفٌ يسبق كلّ استحقاق نستحقُّه : ((على هذا تقومُ المحبّة، لا أنا نحنُ أحْبَبْنا الله ، بل هو نفسُه أحبّنا وأرسلَ ابنه كفّارةً عن خطايانا)) [الرسالة الأولى ليوحنا ٤ : ١٠] . ((والله قد برهنَ على محبّته لنا بأنّ المسيحَ قد ماتَ عنّا ونحن بعدُ خطأة))[رسالة بولس لأهل روميّة ٥: ٨]))[3].

كما أنّه من تعاليم الكنيسة الكاثوليكيّة في هذه العقيدة :

((منذ أيّام العهد الجديد يُعَدُّ الصليب علامةَ الخلاص المميَّزة . ونحن منذ معموديتنا نوسم بإشارة الصليب؛ وفي إشارة الصليب ننال باستمرار بركة الله ... لذلك فكلمة الصليب هي، في نظر بولس الرسول، موجزُ البشارة المسيحيّة بأجمعها ...))[4] .

((" إرادة الله الخلاصيّة " ، إنّ موت يسوع الشائن على الصليب كان في نظر اليهود دينونة من قبل الله لعنة ((المسيح افتدانا من لعنة النّامُوس إذ صارَ لعنةً لأجلنا لأنّه مكتوب

---

[1]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

[2]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ١٩٣ ، ١٩٤ .

[3]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ١٩٥ .

[4]) المسيحية في عقائدها ، التعليم المسيحي الكاثوليكي ، ص ٢٠٩ .

ملعونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ على خشبةٍ [رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٣: ١٣] ، وفي نظر الرومانيّين عاراً ومدعاةً للاحتقار والسّخرية ... . يكتبُ بولس : ((لأنّ اليهود يسألُونَ آياتٍ واليُونانيّينَ يَطلبُونَ حكمةً، نحنُ نَكرِزُ بمسيحٍ مصلُوبٍ لليهودِ عثرةً وجهالة للأمم)) [رسالة بولس الأُولى إلى أهل كُورنثيوس ١: ٢٢ ، ٢٣][1] ... ولكن وراء ذلك تقُـوم إرادةُ الله ، وتـصميم الله الخلاصيّ، بل محبة الله . لقد رأت في طريق يسوع عبر الألم والموت أمراً إلهيّاً " لا بد منـه " [متى ٨ : ٣١ ، لوقا ٢٤ : ٧ ، ٢٦ ، ٤٤][2] .

((إنّ معنى موت يسوع على أنه ألَمٌ ممثِّلٌ لنا قد اندرج في أقدم تقليد للجماعة الكنسيّة [رسالة بولس الأُولى إلى أهل كُورِنثيوس ١٥: ٣] ، وتبنّاه العهد الجديد باستمرار وتَعمّق فيه [يوحنّا ١٠ : ١٥ ، رسالة يوحنّا الأولى ٤ : ١٠ ، رسالة بطـرس الأولى ٢ : ٢١ـــ ٢٥ ، رسالة بولس الأولى إلى أهل تيموثاوس] . وقد تبنّى بولس بنوع خاصّ فكرة التمثيل وتكلّـم على تبادل بين يسوع المسيح وبيننا . ويذهب بعيداً في هذه الفكرة فيقول إنّ يسوع قد صـار لعنةً من أجلنا [رسالة بولس الأُولى إلى أهل غلاطيّة ٣: ١٣] ، إن الذي لم يعرف الخطيئة قد جُعل خطيئةً من أجلنا، لكي نصير نحن به برّاً لله [رسالة بولس الثانية إلى أهل كُورِنثيوس ٥ : ٢١] ... فيسوع المسيح هو آدم الجديد الذي لَخص في شخصه كلّ الجنس البشريّ ووحّده من جديد مع الله))[3] .

---

[1]) وفي الطبعة البروتستنتية المتداولة في السوق ، تحت إشراف دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، جاء نـص الفقرة ، ((لأنّ اليهود يسألُونَ آيةً واليُونانيّينَ يَطلُبونَ حِكمةً، ولكنّنا نحنُ نَكرِزُ بالمسيح مصلُوباً لليهـودِ عثـرةً ولليونانيّين جهالةً)) . ولا شك أن هذا اختلاف في اللفظ والمعنى في كتابهم المقدس ، فهل بـولس يـتكلم عـن اليونانيين فقط أم عن كل الأمم ، ثمّ هل اليهود طَلبُوا منه آيةً واحدةً ، أو عدة آيات . أمر عجيب أن يكون كتاب موحى به من السماء فيه مثل هذه الاختلافات .

[2]) المسيحية في عقائدها ، التعليم المسيحي الكاثوليكي ، ص ٢١٣ ، ٢١٤ .

[3]) المسيحية في عقائدها ، التعليم المسيحي الكاثوليكي ، ص ٢١٦ .

المبحث الخامس : عقيدة قيامة المسيح ـ عليه السلام ـ وصعوده إلى السماء ، وجلوسه على يمين الرب أبيه[١] .

يعتقد النصارى المثلّثة ، أن المسيح عليه السلام بعد صلبه ودفنه ـ على زعمهم ـ قام من بين الأموات في اليوم الثالث وصعد إلى السموات « وجلس على يمين الله ((الآب أبيه))[٢] .

ويقولون : لأنه لم يكن من الممكن أن يسود الموت عليه ، وذلك بعد أن أكمل عمل الفداء الذي أتى من السماء للقيام به[٣] .

فعند الكاثوليك، وباقي الطوائف النصرانيّة المثلثة، عقيدة قيامة المسيح، ليس إيماناً يُضافُ إلى الإيمان، بل هو جوهر الإيمان عندهم[٤]، وتنبني عليه مسائل مهمة في عقيدتهم ، منها : أن قيامته من قبره ورفعه إلى السماء دلالة على أُلوهيته [٥] ـ بزعمهم ـ ((... ولكنّ سِرَّ بنوّته الإلهية لم ينكشف تماماً للتلاميذ إلاّ في المسيح القائم من الأموات، والمرتفع

---

[١]) وقد ألّف بعض الباحثين المسلمين في الرد على عقيدة قيامة المسيح ـ عليه السلام ـ وصعوده إلى السماء ، وجلوسه على يمين الرب أبيه عند النصارى ، ومن هذه الكتب التي بين يديّ : هل المسيح هو الله ، ١٧٤ ـ ١٩٠ « الدكتور ممدوح جاد ، الكتب السماويّة وشروط صحتها ، ٤٨٩ ـ ٤٩٣ ، ٥٦٧ ـ ٥٦٨ ، عبد الوهاب عبد السلام طويلة ، المسيح في مصادر العقائد المسيحيّة ، ص ٢٨٣ ـ ٣٠٩ ، اللواء أحمد عبد الوهاب ، مناظرة بين الإسلام والنصرانيّة ، ١٢٧ ـ ١٤٦ ، تحريف رسالة المسيح عبر التاريخ ، ٣٧٤ ـ ٣٧٧ ، بسمة أحمد جستنيّة ، العقيدة النصرانيّة بين القرآن والأناجيل ، ٢ / ١٢٦ ـ ١٣٩ ، حسن الباشا ، العقائد الوثنيّة في الديانة النصرانيّة « ١٥٥ ـ ١٦٣ « محمد بن طاهر التنير البيروتي ، المسيحيّة الحقة كما جاء بها المسيح « ٣٢٨ ـ ٣٥١ ، علاء أبوبكر « البحث عن الحقيقة الكبرى ، ٤٥٧ ـ ٤٦٣ « عصام القصّاب ، الإسلام والأديان الأخرى ، ١٠٩ ـ ١١٧ ، الملحق رقم (٣) تحت عنوان (روايات القيامة) ، و الملحق رقم (٤) تحت عنوان (روايات الظهور) ، اللواء أحمد عبد الوهاب .

[٢]) المسيحية في عقائدها (التعليم المسيحي الكاثوليكي) ، ص ٢٣٨ « الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية ، ص ١٤ ، القس إبراهيم عبد السيد ، راعي كنيسة مار جرجس بحدائق المعادي .

[٣]) قيامة المسيح والأدلة على صدقها « ص ٣ « بقلم الباحث النصراني عوض سمعان .

[٤]) المسيحية في عقائدها (التعليم المسيحي الكاثوليكي) « ص ٢٣٥ .

[٥]) المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم ، ص ٩٩١ ، الدكتور الخوري بولس الفغالي .

وهذا من الأمور الغريبة عند النصارى في أن عذاب شخص وإهانته وصلبه ودفنه تحت التراب من علامات ألوهيته وربوبيته على الخلق ومسكه زمام أمور الكون ، سبحانك هذا بهتان عظيم .

لدى الله والمُعطى سُلطةً إلهيّةً ... كلُّ ألقاب السيادة وأسماء الكرامة، التي عبّرت فيها الكنيسة الأولى عن إيمانها بشخص يسوع المسيح (المسيح، الرب، ابن الله، عبد الله، الخ) تستقي قوّتها وتكتسب معناها من الإيمان بالقيامة . فالقيامة هي المصدر الينبوع للعقيدة المُتعلّقة بالمسيح ... إن يسوع بارتفاعه إلى السماء، ضابطُ الكون وسيّد العالم الذي يسود الأموات والأحياء ((لهذا ماتَ المسيحُ وقامَ وعاشَ لِكَيْ يَسُودَ على الأحياءِ والأمواتِ))[رسالة بولس إلى أهل روميّة ١٤: ٩]))[١] .

ومنها : أن بإثبات قيامة المسيح عندهم من القبر، إثبات القيامة العامة لكل المخلوقات في آخر الزمان، وبدون إثبات قيامته الخاصة لا تثبت عندهم القيامة العامة [٢] .

يقول بولس ((ولكنِ الآنَ قد قامَ المسيحُ من الأمواتِ وصارَ باكُورةَ الرّاقدين . فإنَّهُ إذِ الموتُ بإنسانٍ ، بإنسانٍ أيضاً قيامةُ الأمواتِ))[٣] .

بل يذهب النصارى إلى أن قيامة المسيح ـ عليه السلام ـ من قبره ، لا يكفل فقط القيامة العامة المقبلة ، بل يجعل أيضاً من القيامة أمراً واقعاً آنيّاً بحيث أن المُعمَّدين يجلسون منذ الآن عن يمين الله[٤] .

يقول بولس : ((فَدُفِنّا معَهُ بالمعموديَّةِ للموتِ حتَّى كما أُقيمَ المسيحُ من الأمواتِ بمجدِ الآبِ هكذا نَسْلُكُ نَحنُ أيضاً في جِدَّةِ الحياةِ ، لأنَّهُ إنْ كُنّا قد صِرْنا مُتَّحِدِينَ مَعَهُ بِشِبْهِ مَوْتِهِ نَصيرُ أيضاً بِقيامتِهِ))[٥] .

وقال أيضاً: ((... نحنُ أمواتٌ بالخطَايَا أحيَانَا معَ المسيحِ بالنِّعمةِ أنْتُمْ مُخلَّصُونَ ، وأقَامَنَا مَعَهُ وأجْلَسَنَا مَعهُ في السَّماويَّاتِ في المسِيحِ يسُوعَ))[٦] .

وقال أيضاً : ((فإنْ كُنْتُمْ قَد قُمْتُمْ معَ المسيحِ فَاطْلُبُوا ما فَوْقُ حيثُ المسيحُ جالسٌ

---

[١]) المسيحية في عقائدها (التعليم المسيحي الكاثوليكي) ، ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ .

[٢]) المسيحية في عقائدها (التعليم المسيحي الكاثوليكي) ، ص ٢٣٤ ، المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم ، ص٩٩٠ ، الدكتور الخوري بولس الفغالي .

[٣]) رسالة بولس الأولى لأهل كُورنثُوس ١٥ : ٢٠ ، ٢١ .

[٤]) المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم ، ص٩٩٠ ، الدكتور الخوري بولس الفغالي .

[٥]) رسالة بولس إلى أهل روميّة ٦ : ٤ ، ٥ .

[٦]) رسالة بولس إلى أهل أَفَسُس ٢ : ٥ ، ٦ .

عَنْ يَمِينِ اللهِ))[1] .

ومنها : أنّه كما حمل آدم الموت إلى جميع البشر، صار المسيح بقيامته ينبوع حياة لكل البشر ، فقد دشّن المسيح بموته وقيامته حياة جديد للجميع ، فالمسيح هو آدم الجديد عندهم[2] .

يقول بولس: ((لأنّهُ كمَا في آدمَ يموتُ الجميعُ هكذا في المسيحِ سيُحيَا الجميع))[3] .

وهذه العقيدة المهمة عند النصارى ، بل هي ((أساس الإيمان المسيحي ، وهي مع بشارة الصليب قلبُ هذا الإيمان))[4] كان أساس إثباتها وجود القبر الذي زُعِم أن المسيح ـ عليه السلام ـ دُفن فيه فارغاً بدون جُثة ربهم الابن، وعلى شهادة امرأة .

جاء في إنجيل يوحنّا : ((وَفِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ مِنَ الأُسْبُوعِ، بَكَّرَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ إِلَى قَبْرِ يَسُوعَ، وَكَانَ الظَّلاَمُ لاَيَزَالُ مُخَيِّماً، فَرَأَتِ الْحَجَرَ قَدْ رُفِعَ عَنْ بَابِ الْقَبْرِ. فَأَسْرَعَتْ وَجَاءَتْ إِلَى سِمْعَانَ بُطْرُسَ وَالتِّلْمِيذِ الآخَرِ الَّذِي كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ وَقَالَتْ لَهُمَا: «أَخَذُوا الرَّبَّ مِنَ الْقَبْرِ، وَلاَ نَدْرِي أَيْنَ وَضَعُوهُ!» فَخَرَجَ بُطْرُسُ وَالتِّلْمِيذُ الآخَرُ وَتَوَجَّهَا إِلَى الْقَبْرِ. وَكَانَا يَرْكُضَانِ مَعاً. وَلكِنَّ التِّلْمِيذَ الآخَرَ سَبَقَ بُطْرُسَ فَوَصَلَ إِلَى الْقَبْرِ قَبْلَهُ، وَانْحَنَى فَرَأَى الأَكْفَانَ مُلْقَاةً عَلَى الأَرْضِ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ. ثُمَّ وَصَلَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ فِي إِثْرِهِ إِلَى الْقَبْرِ وَدَخَلَهُ، فَرَأَى أَيْضاً الأَكْفَانَ مُلْقَاةً عَلَى الأَرْضِ. وَالْمِنْدِيلُ الَّذِي كَانَ عَلَى رَأْسِ يَسُوعَ وَجَدَهُ مَلْفُوفاً وَحْدَهُ فِي مَكَانٍ مُنْفَصِلٍ عَنِ الأَكْفَانِ. عِنْدَ ذَلِكَ دَخَلَ التِّلْمِيذُ الآخَرُ، الَّذِي كَانَ قَدْ وَصَلَ إِلَى الْقَبْرِ أَوَّلاً، وَرَأَى فَآمَنَ. فَإِنَّ التَّلاَمِيذَ لَمْ يَكُونُوا حَتَّى ذَلِكَ الْوَقْتِ قَدْ فَهِمُوا أَنَّ الْكِتَابَ تَنَبَّأَ بِأَنَّهُ لاَبُدَّ أَنْ يَقُومَ مِنْ بَيْنِ الأَمْوَاتِ. ثُمَّ رَجَعَ التِّلْمِيذَانِ إِلَى بَيْتِهِمَا ، أَمَّا مَرْيَمُ فَظَلَّتْ وَاقِفَةً فِي الْخَارِجِ تَبْكِي عِنْدَ الْقَبْرِ. وَفِيمَا هِيَ تَبْكِي، انْحَنَتْ إِلَى الْقَبْرِ. فَرَأَتْ مَلاَكَيْنِ بِثِيَابٍ بِيضٍ، جَالِسَيْنِ حَيْثُ كَانَ جُثْمَانُ يَسُوعَ مَوْضُوعاً، وَاحِداً عِنْدَ الرَّأْسِ وَالآخَرَ عِنْدَ الْقَدَمَيْنِ. فَسَأَلاَهَا: «يَاامْرَأَةُ، لِمَاذَا تَبْكِينَ؟» أَجَابَتْ: «أَخَذُوا سَيِّدِي،

---

[1]) رسالة بولس إلى أهل كُولُوسِي ٣ : ١ .

[2]) المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم ، ص٩٩٠ ، ٩٩١ ، الدكتور الخوري بولس الفغالي .

[3]) رسالة بولس الأولى لأهل كُورِنْثُوس ١٥ : ٢٢ .

[4]) المسيحية في عقائدها (التعليم المسيحي الكاثوليكي) ، ص ٢٢٥ .

وَلا أَدْرِي أَيْنَ وَضَعُوهُ». قَالَتْ هَذَا وَالْتَفَتَتْ إِلَى الْوَرَاءِ، فَرَأَتْ يَسُوعَ وَاقِفاً، وَلكِنَّهَا لَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ يَسُوعُ. فَسَأَلَهَا: «يَاامْرَأَةُ، لِمَاذَا تَبْكِينَ؟ عَمَّنْ تَبْحَثِينَ؟» فَظَنَّتْ أَنَّهُ الْبُسْتَانِيُّ، فَقَالَتْ لَهُ: «يَاسَيِّدُ، إِنْ كُنْتَ أَنْتَ قَدْ أَخَذْتَهُ فَقُلْ لِي أَيْنَ وَضَعْتَهُ لآخُذَهُ». فَنَادَاهَا يَسُوعُ: «يَامَرْيَمُ!» فَالْتَفَتَتْ وَهَتَفَتْ بِالْعِبْرِيَّةِ: «رَبُّونِي»، أَيْ: يَامُعَلِّمُ. فَقَالَ لَهَا: «لاَ تُمْسِكِي بِي! فَإِنِّي لَمْ أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى الآبِ، بَلِ اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي سَأَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ، وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ!» فَرَجَعَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَبَشَّرَتِ التَّلاَمِيذَ قَائِلَةً: «إِنِّي رَأَيْتُ الرَّبَّ!» وَأَخْبَرَتْهُمْ بِمَا قَالَ لَهَا))[1] .

ولو أنّ ربَّهم المقبور انتظر حتى يجتمع على قبره تلامذته ومن يعبدونه ثُمّ قام من قبره أمام نظر الجميع لكان أفضل وأوثق من أن يقوم من قبره أمام نظر امرأة واحدة فقط قد تُتهم بخللٍ في العقل أو زيغ في البصر !! .

ومما جاء في تعليم البابوية لأهميّة هذه العقيدة ، في كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ما يلي :

في فصل بعنوان ((قوانين الإيمان)) أو ((الاعتراف بالإيمان المسيحي))، المقال الخامس بعنوان: ((يسوع المسيح انحدر إلى الجحيم، في اليوم الثّالثِ قامَ من الموتى))، جاء في مقدمة المقال: ((وقانون إيمان الرسل يعترف في مادّةٍ إيمانيّةٍ واحدة بانحدار المسيح إلى الجحيم وقيامته من الموتى في اليوم الثالث، لأنه في فصحه فجّر الحياة من أعماق الموت))[2] .

وفي الفقرة الثانية من المقال السابق، بعنوان: ((في اليوم الثالث قام من الموتى))، ومما جاء فيه : ((قيامةُ المسيح هي الحقيقةُ القمّة لإيماننا بالمسيح ، وهي التي اعتقدها وعاشتها الجماعةُ المسيحيّةُ الأولى حقيقةً رئيسيّةً ، وتناقلها التقليد على أنها أساسية ، وأثبتتها وثائق العهد الجديد ، وكُرز بها على أنها مع الصليب جزءٌ جوهريٌّ من السرّ الفِصحيّ : " المسيح قام من بين الأموات، ووطىء الموت بالموت، ووهب الحياة للذين في القبور"))[3] .

" القيامة ــ عمل الثالوث الأقدس " : ((قيامة المسيح هي حقيقةٌ إيمانيّة في كونها

---

[1]) انجيل يوحنّا ٢٠ : ١ــ ١٩ .

[2]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ٢٠٥ .

[3]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ٢٠٨ .

تدخُّلاً سامياً من الله نفسه في الخلق وفي التاريخ، فيها يعمل الأقانيم الثلاثة الإلهيّة معاً، كما يُظهرون ميزاتهم الخاصّة . لقد جرت بقدرة الآب الذي " أقام " [أعمال الرسل ٢: ٢٤] المسيح، ابنَه، وأدخل هكذا، على وجهٍ كامل، ناسوته ــ مع جسده ــ في الثالوث. فقد كُشِف نهائيّاً عن يسوع على أنه " المقام بحسب روح القداسة، في قدرة ابن الله، بقيامته من الموات " [رسالة بولس إلى أهل روميّة ١: ٤] . والقديس بولس يشدّد على ظهور قدرة الله في عمل الروح القدس الذي أحيا ناسوتَ يسوع المائت، ودعاه إلى حالة الربوبيّة المجيدة))[1] .

((حقيقة ألوهة يسوع تثبتُها القيامة . لقد قال : ((إذا ما رفعتُم ابن البشر فعندئذٍ تعرفون أنّي أنا هو)) [يوحنّا ٨ : ٢٨] . فقيامة المصلوب برهنت على أنّه هو في الحقيقة " الكائن "، ابنُ الله والله نفسُه ..))[2] .

((قيامة المسيح ــ والمسيح القائم بنفسه ــ هي مبدأٌ وينبوعُ قيامتنا الآتية : ((إنّ المسيح قد قام من بين الأموات باكورةً للراقدين ... فكما أنّ في آدم يموت الجميع، كذلك أيضاً في المسيح سيحيا الجميع)) [رسالة بولس الأولى لأهل كورنثيوس ١٥ : ٢٠ ــ ٢٢] ...))[3] .

وقد أقرت المجامع المسكونيّة الكاثوليكية قرارات في تعليم عقيدة قيامة المسيح من بين الأموات بعد ثلاثة أيّام من دفنه ــ على زعمهم ــ ثُمّ صعوده بعد أربعين يوماً إلى السماء ، وجلوسه على يمين أبيه ، ومن أشهر هذه الوثائق ، مايلي :

ما في نص وثيقة بجمع نيقية الأول ((الأول المسكوني)) في حزيران ــ ٢٥ آب ٣٢٥ م :

((إعلان إيمان نيقية ، ١٩ حزيران ٣٢٥ ، نص الصيغة التي نقلها أوسابيوس وأثناسيوس وباسيليوس الكبير ، ترجمة النص اللاتيني :

الذي لأجل خلاصنا، نزل وتجسّد وتأنّس وتألم، وقام في اليوم الثالث، وصعد إلى

---

[1]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ٢١٢ .

[2]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ٢١٣ .

[3]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ٢١٤ .

السماوات، وسيأتي ليدين الأحياء والأموات))[١] .

وكذا جاء في مجمع القسطنطينية الأوّل (المجمع المسكوني الثاني) في أيّار ـــ ٣٠ تموز عام ٣٨١ م : ((قانون إيمان القسطنطينية ، عن النص اللاتيني : ((... الذي لأجلنا نحن البشر ولأجل خلاصنا نزل من السماء وتجسّد ... وتأنس ، وصُلب عنّا على عهد بونتيوس بيلاطس، وتألّم ودُفن، وقام في اليوم الثالث بحسب الكتب، وصعد إلى السماوات))[٢] .

في عهد البابا أنستاسيوس الأوّل (٢٧ تشرين الثاني ٣٩٩ ـــ ٤٠٢ م) ، في مجمع طُليطلة الأوّل ، في أيلول ٤٠٠ م ، ومما جاء فيه : ((... ربّنا يسوع المسيح لم يكن له جسد وهميّ، أو شكلي فقط في الظاهر، بل كامل وحقيقي ، جاع وعطش، وتعذّب وبكى وشعر بكل جراح الجسد ، واحتمل كل اهانات الجسد ، وأخيراً صُلب على يد اليهود ومات ودُفن وقام في اليوم الثالث، وبعد ذلك تكلّم مع التلاميذ، وفي اليوم الأربعين بعد القيامة صعد إلى السماوات))[٣] .

في عهد الباب مرتينيوس الأوّل (، تموز ٦٤٩ ـــ نُفي في ١٧ حزيران ٦٥٣م ، توفّي في ١٦ أيلول ٦٥٥م) ، المجمع اللاتيراني المحلي (٥ـــ ٣١ تشرين الأوّل ٦٤٩ م)، في الجلسة الخامسة ، ٣١ تشرين الأوّل ٦٤٩م، قرار سُمّي بشهادة الإيمان ، الجزء الثاني منه بعنوان ((قوانين)) ، ومّما جاء فيه : ((بأنّ واحداً من الثالوث، ذي الجوهر الواحد والمعبود، الله الكلمة نفسه، قد نزل من السماء، وتجسّد من الروح القدس ومن مريم الدائمة البتوليّة، وتأنس في الجسد، وصُلب لأجلنا، ودُفن، وقام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وهو يجلس عن يمين الآب ...))[٤] .

في عهد البابا لاون التاسع (١٢ شباط ١٠٤٩م ـــ ١٩ نيسان ١٠٥٤م) ، في رسالة بابوية إلى بطرس بطريرك أنطاكية، ١٣ نيسان ١٠٥٣م ، سُمّيت بشهادة الإيمان ،

---

[١]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ٤٤ .

[٢]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١/ ٥٧ .

[٣]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ٦٧ .

[٤]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ١٧٤ ، ١٧٥ .

ومما جاء فيها : ((... ابن الله في طبيعتين، غير قابل الألم والموت إلهاً، ومع ذلك فقد تألّم إنساناً من أجلنا ومن أجل خلاصنا آلاماً جسديّة حقيقيّة ودُفن، وقام من بين الأموات في اليوم الثالث قيامةً حقيقيّة في الجسد؛ ولكي يُثبت هذه القيامة أكل مع التلاميذ، لا لحاجةٍ إلى الغذاء، بل بإرادته وقدرته فقط؛ وفي اليوم الأربعينَ بعد القيامة صعِدَ إلى السماء بالجسد الذي قام به وبروحه، وهو يجلسُ إلى يمين الآب))[1] .

في عهد البابا غريغوريوس العاشر (١ أيلول ١٢٧١ــ ١٠كانون الثاني ١٢٧٦م)، في مجمع ليون الثاني (المسكوني الرابع عشر) ٧ أيّار ــ ١٧ تموز ١٢٧٤ ، في الجلسة الرابعة منه في ٦ حزيران ١٢٧٤ م، ومما جاء فيها : ((نؤمن بابن الله، المولودِ من الآب أزليّاً ... في طبيعتين، ومن طبيعتين، إلهيّة وإنسانيّة، في وحدةِ شخصٍ واحد، غير قابل الألم والموت بلاهوته ، ولكنّه بناسوته تألّم بجسده آلاماً حقيقيّة من أجلنا ومن أجل خلاصنا، مات، ودُفن، وانحدرَ إلى الجحيم، وفي اليوم الثالث قام من بين الأموات، قام بجسده قيامةً حقيقيّة؛ واربعين يوماً بعد قيامته صعد إلى السماء بجسده المنبعثِ وروحه، وهو يجلس إلى يمين الله الآب، من حيث سيأتي ليدين الأحياء والأموات ...))[2] .

وهذه العقيدة تكرر تأكيدها في عدة قرارات من مجامع كاثوليكية مختلفة، محلية وعامة مسكونية :

منها : في عهد البابا فيجيليوس (١١ تشرين ٥٣٧ ــ ٧ حزيران ٥٥٥ م) ، في رسالة من البابوية إلى مجموع الطائفة الكاثوليكية ، في ٥ شباط ٥٥٢م[3] .

منها : في عهد البابا بيلاجيوس الأول (١٦ نيسان ٥٥٦ ــ ٣ آذار ٥٦١ م) ، في رسالة بابوية في ٣ شباط ٥٥٧م[4] .

منها : في عهد البابا هونوريوس الأوّل (٢٧ تشرين الأوّل ٦٢٥ ــ ١٢ تشرين

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ٢٣٨ .

[2]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ٢٩٤ .

[3]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ١٤٥ .

[4]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ١٥٤ .

الأوّل ٦٣٨ م ، في مجمع طليطلة الرابع ، في ■ كانون الثاني ٦٣٣م[1] .

منها : في عهد البابا بيوس الرابع (٢٥ كانون الأول ١٥٥٩ ـــ ٩ كـــانون الأول ١٥٦٥م) ، براءة بابوية في ١٣ تشرين الثاني ١٥٦٤م ، سُمّي بقانون إيمان تريدنتيني[2] .

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ١٦٧ .

[2]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ٤٦٠ .

الفصل الثاني : أسرار الكنيسة السبعة .

((التمهيد)) :

إن كلمة " سرّ " عند النصارى لها معان ، وأكثر هذه المعاني شيوعاً عندهم ، أنّ السر يُراد به كُلّ شيء مقدس وغير منظور[١] ، واستدلوا على ذلك بنصوص من كتبهم المقدسة ، من هذه النصوص : ((سرّ الرب لخائفيه))[٢] ، ((لتعرفوا أسرار ملكوت السموات))[٣]، ((بالروح يتكلّم بأسرار))[٤] ، ((هذا السرّ عظيم))[٥] .

والسرّ الكنسي عند النصارى ، معناه : ((نعمة غير منظورة يحصل عليها النصراني بممارسة طقس ظاهر ذي علاقة بها على يد كاهن شرعي))[٦] .

وعبّرت الكنيسة الكاثوليكية عن الأسرار ، بقولها:((هي تلك الصور المعبّرة عن نعمة الله ومحبّته . إنها ، بحسب تعليم القديس أوغسطينوس، كلمةُ الله التي صارت منظورة. وهي أيضاً من جهة أخرى، بحسب القديس توما الأكوينيّ ، علامات بها نعترف بإيماننا . وقد قال المجمع الفاتيكانيّ الثاني عن الأسرار إنّها لا تفترض الإيمان وحسب، ولكنّها تُغذّيه أيضاً وتقوّيه وتعبّر عنه . " ولذلك دُعيَت أسرارَ الإيمان "))[٧] .

وقالت الكنيسة الكاثوليكية أيضاً : ((إنّ سرّ الله للبشر، السرّ الذي فيه ظهرت نعمة الله في كلّ ملئها، هو يسوع المسيح . ومن ثمّ فيسوع المسيح هو السرُّ الأصليّ ، الذي منه تتّخذُ كلُّ الأسرار امتدادَها وحقيقتَها الواقعيّة . فالكنيسة تُدركُ نفسَها، على غِرار بولس الرسول، خادمةَ يسوع المسيح ووكيلةَ أسرار الله [رسالة بولس الأولى لأهل كورنثوس ٤ : ١] . ولذلك فهي لا تستطيعُ أن تُنشئ أسراراً بقوّتها الخاصّة . إنّ إنشاء الأسرار لا

---

[١]) أسرار الكنيسة السبعة ، ص ٥ ، الأرشيد ياكون حبيب جرجس .

[٢]) مزامير ٢٥ : ١٤ .

[٣]) متى ١٣ : ١١ ، لوقا ٨ : ١٠ .

[٤]) رسالة بولس الأولى لأهل كورنثوس ١٤ : ٢ .

[٥]) رسالة بولس لأهل أفسس ٥ : ٣٢ .

[٦]) أسرار الكنيسة السبعة ، ص ٦ ، الأرشيد ياكون حبيب جرجس .

[٧]) المسيحية في عقائدها ((التعليم المسيحي الكاثوليكي)) ، ص ٣٥٨ .

يمكن أن يعود إلاّ ليسوع المسيح، الوسيط الوحيد بين الله والنّاس [رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ٢: ٥] . ومن ثمّ فعقيدة الكنيسة الملزمة ، هي : أنّ كل أسرار العهد الجديد أنشأها يسوع المسيح))[١] .

ولكن الكنيسة الكاثوليكية رجعت ووضّحت أن الأسرار كونّها يسوع المسيح بنيّته ، وليس بفعله المباشر ، لأنّه حاضر حضوراً روحيّاً في الكنيسة ، فممّا قالته في ذلك : ((... هذه العقيدة ـــ وهي أنّ الأسرار أنشأها يسوع المسيح ـــ لا تعني أن يسوع المسيح أنشأ كلّ الأسرار بوجهٍ صريحٍ في أثناء حياته على الأرض، كما هي الحال في سرّ الإفخارستيّا . فالتأسيس الصريح يُمكن أيضاً أن يكون قد تمّ على يد الربّ القائم من بين الأموات كما هي الحال في المعموديّة . لا حاجة لنا في كُلّ حالة إلى التفكير بكلمة تأسيس صريحة أو بفعل تأسيس صريح من قِبل يسوع . ومع ذلك فعندما تنطلق الكنيسة من أنّ كلّ الأسرار تنطبق على نيّة يسوع المسيح ، فما ذلك إلاّ لأنّ يسوع المسيح حاضرٌ حضوراً دائماً بروحه في الكنيسة، لإتمام عمله الخلاصيّ الذي أجراه مرّةً وعلى نحو نهائيّ، وجعله عملاً حاليّاً . لذلك لا يمكننا أن نتوقّع مسبّقاً أن يضع يسوعُ نفسه كلّ تفاصيل الطقوس؛ يكفي أن تكون الأسرار في طبيعتها العامّة متأصّلةً في كلّ عمل الخلاص الذي أجراه يسوع المسيح))[٢] .

ولكن جاء في وثيقة بابويّة في عهد البابا بيوس الثاني عشر (٢ آذار ١٩٣٩ـــ ٩ تشرين الأول ١٩٥٨م)، بِمُسمّى ((الدستور الرسولي)) في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٤٧م، تحت عنوان ((مادّة سرّ الكهنوت وصورته)) ، أن أسرار الكنيسة كُلّها من وضع المسيح مباشرة، ومِما جاء فيها : ((... إن أسرار الشريعة الجديدة السبعة ، أنشأها المسيح ربّنا، والكنيسة لا سُلْطانَ لها على "جوهر الأسرار" أي على ما رسم المسيح نفسه ، بشهادة مصادر الوحي الإلهي ...))[٣] .

وذهبت أكبر الطوائف النصرانية المُثلّثة ((الكاثوليكية والأرثوذكسية)) إلى أن عدد

---

[١]) المسيحية في عقائدها ((التعليم المسيحي الكاثوليكي)) ، ص ٣٥٨ .

[٢]) المسيحية في عقائدها ((التعليم المسيحي الكاثوليكي)) ، ص ٣٦٠ .

[٣]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ٢ / ٨٤٧ .

أسرار الكنيسة ، سبعة أسرار ، وهي : سرّ المعموديّة ، وسر المسحة المقدسة أو الميرون (التثبيت) ، وسر الشكر أو الأفخارستيا (العشاء الربّاني) ، وسرّ التوبة أو الاعتراف ، وسرّ مسحة المرضى ، وسرّ الكهنوت ، وسرّ الزواج[١] .

وذهبوا إلى أن عدد الأسرار سبعة لوجود أدلة على ذلك ، وهي :

١) من شهادة الكتاب ، فإنه وإن لم يذكر عددها صريحاً إلا أنه أوضح كل سرّ منها على حدة مبيناً تأسيسه من الرب يسوع ، وفعله وشروطه .

٢) شهادة التقليد ، فإنّ هناك أقوالاً من جميع آباء الكنيسة في كل العصور الأولى تثبت اعتقاد الكنيسة وتسليمها الأسرار السبعة .

٣) شهادة الاتفاق العام بين جميع الكنائس الشرقية والغربية . ومع وجود الاختلاف بينها في أمور كثيرة . فإنها في هذا التعليم على اتفاق تام . وهذا أكبر دليل على أن التعليم بالأسرار السبعة تسليم رسولي تسلّمته الكنيسة منذ ابتدائها، و لم تأخذه من كنيسة أخرى بدليل وجوده في الكنائس قبل انشقاقها.

٤) لأن الأسرار السبعة التي تُمنح بها مواهب الروح القدس ونعمه كافية ومناسبة لحاجات الإنسان اللازمة له في حياته . فكما أن الإنسان يولد ميلاداً جسدياً هكذا بالمعمودية يولد ميلاداً روحياً ثانياً .-والمولود يحتاج إلى قوى تُثبّته في حياته فينال هذه القوة بتثبيته بسرّ الميرون . ولشدة حاجته إلى طعام روحي يُغذية فقد وهب له سرّ الشركة الغذاء والشراب الروحي ، وبما أنه عرضة للخطأ والأمراض فقد أُعطي له سرّ التوبة لمغفرة خطاياه ، وسرّ المسحة لامراضه الجسدية وضعفاته النفسية ، وبسرّ الزيجة يُقدس رباط الزواج لحفظ أعضاء الكنيسة ونموها بواسطة الولادة الطبيعية ، ولحاجة الكنيسة إلى رعاة ومُعلّمين

---

[١]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص٣٧٤، والمسيحية في عقائدها ((التعليم المسيحي الكاثوليكي)) ، ص ٣٦١ ، وأسرار الكنيسة السبعة، ص٦، الأرشيدياكون حبيب جرجس، والفروق العقيديّة بين المذاهب المسيحية ، ص ٢٢ ، القس إبراهيم عبدالسيد، راعي كنيسة مارجرجس بحدائق المعادي .

ومُدَبِّرين وخُدَّام لخدمة الأسرار ، ورعاية الشعب أُعطي سرّ الكهنوت . فمن ذلك يتضح أن الأسرار ملائمة وموافقة لحاجات الإنسان .

٥) أن الأسرار سبعة لا أقل ولا أكثر مقابلة لمواهب الروح السبعة [أشعياء ١١ : ٢]، وللمنارات الذهبية السبع [رؤيا يوحنّا ١ : ١٢ و ١٣]، وللكواكب السبعة التي كان السيد ضابطاً إيّاها بيده [رؤيا يوحنّا ١ : ١٦]، وللأختام السبعة التي كان مختوماً بها الكتاب الذي رآه النبي في يمين الجالس على العرش [رؤيا يوحنّا ٥ : ١] وللأبواق السبعة التي أعطيت بعد فتح الكتاب السرّي [رؤيا يوحنّا ٨ : ١ و ٢]، ولا يخفى أن عدد سبعة مشهور في الكتاب، وهو دليل الكمال ، فالأسرار السبعة هي الأعمدة التي نحتتها الحكمة في بيتها [الأمثال ٩ : ١][1].

ولكنّ الملاحظ والغريب أنّه في أهميّة أسرار الكنيسة عند النصارى لم يأت التعبير الصريح عن عددها " والتعليم الملائم لهذا العدد " ــ على حسب تعبيرهم ــ إلاّ في القرن الثاني عشر الميلادي ، وقد صار هذا منذ ذلك الزمن تعليمَ الكنيسة الصريح : ((في كنيسة يسوع المسيح هناك سبعةُ أسرار أنشأها يسوع المسيح : المعموديّة ، التثبيت ، الإفخارستيّا ، التوبة ، مسحة المرضى ، سرّ الكهنوت ، وسرّ الزواج))[2] .

ومن الوثائق التي صدرت عن البابوية في ذكر هذه الأسرار وبيان أهميّتها ، ما صدر في عهد البابا أوجانيوس الرابع [٣ آذار١٤٣١ ــ ٢٣ شباط ١٤٤٧م] ، في مجمع فلورنسا ((المسكوني السابع عشر)) [شباط ١٤٣٩ ــ آب ١٤٤٥م] ، في وثيقة بعنوان " براءة في الاتّحاد مع الأرمن " في ٢٢ تشرين الثاني ١٤٣٩م ، ومما جاء فيها: ((خامساً : لخّصنا حقيقة أسرار الكنيسة ... في الصيغة الموجزة التالية : ((أسرارُ الناموسِ الجديد سبعة هي : المعموديّة ، والتثبيت ، والأفخارستيا ، والتّوبة ، ومسْحة المرضى ،

---

[1]) أسرار الكنيسة السبعة ، ص ١٩ ــ ٢١ ، الأرشيدياكون حبيب جرجس .

[2]) المسيحية في عقائدها ((التعليم المسيحي الكاثوليكي)) ، ص ٣٦١ ، وانظر : قصة الحضارة، (عصر الإيمان) ١٦ / ١٤ ، وِل ديورانت .

والكهنوت ، والزواج .

الأسرار الخمسةُ الأولى للكمالِ الروحيّ عند كل إنسان في ذاته ، والاثنانِ الأخيرانِ لأجل السُّلوكِ والتكاثر في الكنيسة كلها . فبالمعموديّة نولدُ روحيّاً ، وبالتثبيت ننمو في النعمة ونتقوّى بالإيمان . وإذ نولدُ من جديد ونتقوّى نتغذى بغذاءِ الفخارستيّا الإلهيّة . وإذا سقطنا بالخطيئة في مرضٍ نفسيّ نشفى روحيّاً بالتّوبة ، وبمسحة المرضى روحيّاً وجسديّاً على ما تقتضيه حالة النفس . أما بالكهنوت فالكنيسة تُساسُ وتتكاثر روحيّاً ، وبالزواج تنمو جسديّاً .

جميع هذه الأسرار تُجرَى بثلاثةِ أمورٍ تتكون منها : أشياء تُعدُّ مادَّهَا ، وأقوال تُعدّ صورتَها ، وخادم السرّ وهو ينوي أن يفعلَ ما تفعلهُ الكنيسةُ . إذا نقضَ أحدَ هذه المقوّمات لم يتمَّ السرُّ .

ثلاثةٌ من هذه الأسرار ، أعني المعموديّة والتثبيتَ والكهنوتَ ، تَطْبَع النفس بطابعٍ خاصّ ، أي بعلامة روحيّةٍ لا تُمحى ، وتُميّزها من سائر الأسرار . ولهذا فهي لا تُكرّر في الشخص الواحد . أما الأربعة الباقية فليس لها طابعٌ خاصّ وهي قابلة التكرار))[1] .

فالأسرار الكنسيّة السبعة ، بموجب التعليم الكاثوليكي ، هي علامات الخلاص والنعمة عندهم، وتهبُ النعمةَ بفعل تتميمه السرّ، وهي : صور اللقاء مع يسوع المسيح، كما أنها في اعتقادهم تهب لهم محبّة الله ، ففيها كما يزعمون الآب نفسُه يشاركهم بيسوع المسيح في الروح القدس ، كما أنّ هذه الأسرار السبعة ، كما يعتقدون ، تُشاركهم في وظائف يسوع المسيح ورسالته "وتُسمى هذه عندهم بالوسم الأسراريّ " ، وتُشركهم أيضاً في حياته " وتُسمى هذه عندهم بالنعمة الأسراريّة "[2].

وهذه الأسرار الكنسيّة السبعة سمتها جماعيّة، فهي عندهم ليست أعمالاً فردية خاصة، بل هي احتفالات ليترجيّة تقومُ بها الكنيسة نفسها[3] .

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ٣٤٩ ـــ ٣٥٣ .

[2]) المسيحية في عقائدها ((التعليم المسيحي الكاثوليكي)) ، ص ٣٦٤ ـــ ٣٦٥ .

[3]) المسيحية في عقائدها ((التعليم المسيحي الكاثوليكي)) ، ص ٣٦٧ .

وقد قسّمت الكنيسة الكاثوليكية هذه الأسرار السبعة إلى ثلاث مجموعات ، وهي :

المجموعة الأولى باسم : أسرار التنشئة المسيحية ، وتتكون من : سرّ المعموديّة ، وسرّ التثبيت ، وسرّ الإفخاستيا .

فعند النصارى أن هذه المجموعة من الأسرار تُرسي ركائز كلّ حياة نصرانيّة ، فجاء في خطاب من البابا بولس السادس [٢١ حزيران ١٩٦٣ ــ ٦ آب ١٩٧٨ م] بعنوان " مشاركون في الطبيعة الإلهية " ، جاء فيه : ((الاشتراك في الطبيعة الإلهيّة الذي هو عطيّة من عطايا نعمة المسيح على البشر، فيه بعض الشّبه مع مصدر الحياة الطبيعيّة ونموّها ودعمها . فالمؤمنون يولّدون بالمعموديّة ولادة ثانية، ويتقوّون بسرّ التثبيت، ويتناولون في الأفخارستيا، خبز الحياة الأبديّة . وهكذا بواسطة هذه الأسرار التي تُدخل إلى الحياة المسيحية يحظى المؤمنون، أكثر فأكثر، بثروات الحياة الإلهيّة ويتقدّمون نحو كمال المحبة))[١].

والمجموعة الثانية باسم : أسرار الشفاء ، وتتكون من : سرّ التوبة ، وسرّ مسحة المرضى .

وعند النصارى أنّ أسرار التنشئة المسيحية ــ وهي تلك التي مر ذكرها ــ تمنح الإنسان حياة المسيح الجديدة، ولكنّ هذه الحياة ، في اعتقادهم، أنّهم يحمِلونها في ((آنية من خزف))[٢]، فهي عندهم حياة لا تزال الآن ((مستترة مع المسيح في الله))[٣]، فهم، كما في اعتقاهم، أنهم لا يزالون في مسكنهم الأرضيّ[٤] المُعرَّض للعذاب والمرض والموت ، فهذه الحياة التي دخلها النصراني واعتقد من خلالها أنه أصبح من أبناء الله يمكن عندهم أن تَضعُف بل أن تَتلَف بالخطيئة ، لذلك قالوا : ((أنّ الرب يسوع المسيح ، طبيب نفوسنا وأجسادنا الذي غفر للمقعد خطاياه وأعاد إليه صحّة الأبدان ، أراد لكنيسته أن تواصل ، في قوّة الروح القدس ، عمل الشفاء والخلاص حتى لأعضائها أنفسهم . وهذا ما يهدف

---

[١]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ٣٧٥ ، والكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ٢ / ٩٠٦ .

[٢]) رسالة بولس الثانية لأهل كورنثوس ٤ : ٧ .

[٣]) رسالة بولس لأهل كولوسي ٣ : ٣ .

[٤]) رسالة بولس الثانية لأهل كورنثوس ٥ : ١ .

إليه سرّا الشفاء : سرّ التوبة وسرّ مسحة المرضى))[١] .

والمجموعة الثالثة باسم : أسرار خدمة الشركة ، وتتكون من : سرّ الكَهَنوت ، وسرّ الزواج .

وتعتقد الكنيسة الكاثوليكية أن هدف هذين السرّين خلاص الآخرين ، فهما يُخلّصان الفرد ، ولكن من خلال خدمة الآخرين ، ويخوّلان المؤمنين رسالة خاصّة في الكنيسة ، ويساعدان في بناء شعب الله [٢].

---

[١]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ٤٢٩ .

[٢]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ٤٥٩ .

المبحث الأول : سرّ المعموديّة .

وهو السرّ الأول من أسرار الكنيسة السبعة ، وهو من أسرار المجموعة الأولى المسمّاه، بأسرار ((التنشئة المسيحية))، وعدد هذه المجموعة ، ثلاثة أسرار، هو أوّلها .

أهمية المعمودية عند النصارى :

المعمودية عند النصارى ، هي ركيزة حياتهم النصرانيّة كلّها ، واندماجها في الروح القدس ، وهي الباب الذي يوصل إلى الأسرار الأخرى . فبالمعمودية « يُعتقون من الخطيئة التي يؤمنون بها ، ويولدون ميلاداً ثانياً في إلههم » ويصيرون بها أعضاءً ليسوعهم المسيح « فالمعموديّة » هي سرّ الإيمان عندهم ، وسرّ ولادتهم الجديدة بعد عتقهم بها من الخطيئة الأصليّة [1].

ومن الوثائق التي صدرت عن البابوية في بيان أهميّة هذا السرّ ((المعموديّة)) ، ما صدر في عهد البابا أوجانيوس الرابع [٣ آذار١٤٣١ ـــ ٢٣ شباط ١٤٤٧م] ، في مجمع فلورنسا ((المسكوني السابع عشر)) [شباط ١٤٣٩ ـــ آب ١٤٤٥م]، فمما جاء فيه: ((المركزُ الأوّلُ بين الأسرارِ لِلْمعموديّة، باب الحياة الروحيّة، فبها نُصبحُ أعضاء المسيح وجسد الكنيسة . وبما أنه بالإنسان الأول دخل الموتُ في الجميع [رسالة بولس إلى أهل روميّة ٥ : ١٢] ، فلا نستطيع على حدّ ما قال الحقّ ، دخولَ ملكوت السماوات [يوحنّا ٣ : ٥] ، إذا لم نولد بالماءِ والروح))[2] .

وتعتقد الكنيسة أن الاعتراف بيسوع المسيح قد ارتبط منذ البدء بالمعموديّة باسم يسوع المسيح « وذلك عندما بشّر بطرس الرسول ـــ كما في كتابهم المقدّس ـــ » بعد حلول الروح القدس « بأنّ المصلوب هو الربّ المسيح ، وقال لهم : ((توبوا ، وليعتمدْ كلُّ واحدٍ منكم باسم يسوع المسيح لمغفرة خطاياكم ، فتناولوا موهبةَ الروح القدس)) [أعمال الرسل ٢ : ٣٧ ت ٣٨] لذلك كان اعتقادهم في المعموديّة أنها المدخل إلى كيانهم

---

[1]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ٣٧٥ .

[2]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ٣٤٩ ـــ ٣٥٣ .

المسيحي بمجمله وأساسه [١] .

وسُمي هذا السرّ بالمعمودية نظراً إلى الطقس الأساسي الذي يتحقّق به : فالتعميد هو ((التغطيس))، أو ((التغويص)) في الماء يرمز إلى دفن الموعوظ في موت المسيح وخروجه، بالقيامة معه [٢] ، " خليقة جديدة "[٣] .

ولسرّ المعموديّة عندهم أسماء أخرى يطلقونها عليه ، وهي :

((غسل الميلاد الثاني والتجديد بالروح القدوس))[٤] ، لأنه يلهم ويُحقّق هذا الميلاد من الماء والروح الذي بدونه ((لا يستطيع أحد أن يدخل ملكوت الله))[٥] .

((استنارة)) ، لأنّ الذين يتلقّون هذا التعليم في الكرازة يستنير به ذهنهم . فعندما يتلقّى المُعمَّد الكلمة ، ((النّور الحقيقي المنير كلّ إنسان))[٦] يُصبح ((بعدما أُنير))[٧] ، ((ابناً للنور))[٨] ، بل يصبح هو نفسه ((نوراً))[٩] .

فالمعموديّة عندهم ، هي ((أجمل وأبهى عطيّة من عطايا الله نُسمّيها عطيّة ونعمة ومسحة واستنارة وثوب عدم الفساد وغسل الميلاد الثاني ، وختماً وكلّ ما هو أنفس النفائس . فهي عطيّة لأنها تُمنح للذين لا يأتون بشيء ، وهي نعمة لأنها تعطي حتى للمذنبين ، وتغطيس لأن الخطيئة تُدفن في الماء ، ومسحة لأنّها مقدّسة وملكيّة ، واستنارة لأنّها ضياء سنيّ ، وثوب لأنّها تستر خِزينا ، وغُسل لأنّها تُطهّر ، وختم لأنّها تحمينا ولأنّها علامة سيادة الله))[١٠] .

---

[١]) المسيحية في عقائدها (التعليم المسيحي الكاثوليكي) ، ص ٣٧٤ .

[٢]) رسالة بولس إلى أهل روميّة ٦ : ٣ـ٤ ، رسالة بولس إلى أهل كولوسي ٢ : ١٢ .

[٣]) رسالة بولس الثانية لأهل كورنثوس ٥ : ١٥ ، رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٦ : ١٥ .

[٤]) رسالة بولس إلى تيطس ٣ : ٥ .

[٥]) يوحنّا ٣ : ٥ .

[٦]) يوحنّا ١ : ٩ .

[٧]) رسالة بولس إلى العبرانيين ١٠ : ٣٢ .

[٨]) رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي ٥ : ٥ .

[٩]) رسالة بولس إلى أهل أفسس ٥ : ٨ .

[١٠]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ٣٧٦ .

وعند النصارى أنّ أول من عُمّد هو إلههم المسيح يسوع ، وقد تعمّد على يد يوحنّا المعمدان في نهر الأردن[١] ، جاء في إنجيل متى ((حينئذٍ جاءَ يسُوعُ من الجليلِ إلى الأردن إلى يُوحنّا ليعتمدَ منهُ))[٢] .

فالنصارى يقولون : ((لقد خضع ربّنا بملء رضاه لمعموديّة القديس يوحنّا المُعدّة للخطأة ، وذلك لكي يُتمّ كلّ بر[٣] ، فجاء صنيع يسوع هذا على " تلاشيه "[٤] ، وإذا بالروح الذي كان يرفّ على وجه المياه ، في بدء الخليقة الأولى[٥] ، يهبط على المسيح إيذاناً بالخليقة الجديدة ، وإذا بالآب يُعلن يسوع ابنه الحبيب[٦] . وبفصحه ، فجّر المسيح لجميع الناس ينابيع المعموديّة . والواقع أنّه عندما تحدّث عن آلامه التي كان مزمعاً أن يُكابدها في أورشليم ، إنّما تحدّث عن " معموديّة " كان عليه أن يقبلها[٧] . وما الدم والماء اللذان خرجا من جنب يسوع المطعون ، وهو على الصليب[٨] ، سوى رمزين للمعموديّة والأفخارستيّا ، سرّي الحياة الجديدة[٩] . فأصبح ، من ثمّ ، ممكناً أن ((يولَد الإنسان من الماء والروح)) ليدخل ملكوت الله [يوحنّا ٣ : ٥]))[١٠] .

---

[١]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ٣٧٧ .

[٢]) متى ٣ : ١٣ .

[٣]) لوقا ١٢ : ٥ .

[٤]) رسالة بولس إلى أهل فيلبي ٢ : ٧ .

[٥]) كما يعتقد النصارى أن ذلك موجود في سفر التكوين ١ : ٢ .

وفي عُرف التقليد الإيمانيّ الكنسيّ — عندهم — أنّ هناك صوَراً وعلامات تُنبئُ بالمعموديّة منذ العهد القديم — فيما يعتقد النصارى — فقد رأت الكنيسة في رفرفة روح الله الخالق على المياه الأولى ، وفي نجاة فلك نوح من ماء الطوفان ، وفي إنقاذ إسرائيل بعبور البحر الأحمر ، دلائل على حقيقة المعموديّة ومعناها . انظر : المسيحية في عقائدها (التعليم المسيحي الكاثوليكي) ص ٣٧٣ .

[٦]) متى ٣ : ١٦ — ١٧ .

[٧]) مرقس ١٠ : ٣٨ ، لوقا ١٢ : ٥٠ .

[٨]) يوحنّا ١٩ : ٣٤ .

[٩]) رسالة يوحنّا الأولى ٥ : ٦ — ٨ .

[١٠]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ٣٧٨ .

بماذا تقوم المعموديّة ؟

تقوم المعموديّة بالماء ، وهذا الماء المعتَمَد به يُقدّس، عندهم، عندئذٍ بصلاة استدعاء للروح القدس " في اللحظة ذاتها، أو في ليلة الفصح "، تُطلب فيها الكنيسة إلى الله أن تحلّ على هذا الماء، بواسطة ابنه، قوة الروح القدس، فيولد المعمّدون فيها " من الماء والروح " [يوحنّا ٣ : ٥] .

يُشار أولاً بالصليب ، في مطلع الاحتفال ، بالمعموديّة ، ويقصدون بذلك ، إشارةً إلى المسيح ، والذي يرمز عندهم إلى عقيدتهم في الفداء في أن المسيح ــ على زعمهم ــ استحق لهم نعمة الفداء بصلبه . ثُمّ تُتلى بعض التقاسيم على المرشّح للمعموديّة ، ويُمسَح بزيت الموعوظين ، أو يضع المحتفل يده عليه ، ويَكْفر صراحة بالشيطان .

ثُمّ يلي ذلك الطقسُ الأساسيُّ في المعموديّة ، أي التعميد نفسه الذي يعني ويحقّق ــ في اعتقادهم ــ موت الإنسان وولوجه في حياة الثالوث الأقدس ، متصوّراً بصورة المسيح في سرّه الفُصحيّ .

وعند الكاثوليك أنّ المعموديّة تتمّ بأعمق معانيها بالتغطيس ثلاثاً على رأس المتعمّد ((ولكنّ المعموديّة يُمكن أن تُمنَح، تبعاً لتقليد عريق، بصبّ الماء ثلاثاً على رأس المتعمّد))[1] .

وعند الكاثوليك اللاتين ، يقول المُعمِّد ، وهو يصبّ الماء ثلاثاً على المتعمِّد : ((يا فلان أُعمِّدك باسم الآب والابن والروح القدس))، وعند الشرقيين يوجَّه المتعمد جهة الشرق، ويتلو عليه الكاهن عبارة التعميد : ((يُعمَّد عبد الله (فلان) باسم الآب والابن والروح القدس))، وعند ذكر كلّ من الأقانيم الثلاثة، يُغطسه في الماء وينتشله[2] ــ فالماء عندهم بهذه الطريق يُعبّر عن ثمرة المعموديّة المزدوجة التي يُؤمنون بها[3] : أولاً : التطهير من الخطيئة[4]، فهي تُحلّهم ، كما يعتقدون ، من رباط مصير جميع الناس الوخيم ، الذي

---

[1]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ٣٨١ .

[2]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ٣٨١ .

[3]) المسيحيّة في عقائدها (التعليم المسيحي الكاثوليكي) ، ص ٣٧٥ .

[4]) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ٦ : ١١ ، أعمال الرسل ٢٢ : ١٦ .

جعلهم تحت سُلطان الخطيئة الأصلية وتغفر لهم الخطايا الشخصيّة حتى ذلـك الحـين .

ثانياً : منح الحياة الجديدة[١] ـــ .

ثمّ بعد ذلك يُمسح المُعَمَّد بزيت مُقدَّس ـــ عندهم ـــ يُقدسه الأسـقف ، وهـذه المسحه بذلك الزيت ، هو الذي يُسمّى بسرّ التثبيت ، كما سيمر توضيحه ، إن شاء الله تعالى ، ثُمّ يلبس المُعَمَّد ثوباً أبيضاً ، يقول النصارى : يرمز هذا إلى أن المتعمد قد لـبس المسيح، ونهض مع المسيح ، والشمعة المسرجة أمامه من شمعة الفصح، ترمز إلى أنّ المسيح قد أنار المتعَمِد " حديداً "، يُعطى هذه الشمعة مع قول المُعمِّد له : ((تقبّل نور المسيح)). فالمتعمِّدون بهذه الطريقة، عندهم، هم مُعمَّدون في المسيح هم ((نور العالم)) [متى ٥ : ١٤] ، ويصبح المُعمَّد بهذا ابن الله في ابنه الوحيد ، وبإمكانه أن يتلو صلاة أبنـاء الله : الأبانا [٢] .

من هذا المعنى الخلاصيّ الشامل تنتج ضرورةُ المعموديّة للخلاص . فقد جاء في إنجيل

---

[١]) رسالة بولس إلى تيطس ٣ : ٥ .

[٢]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص٣٨٢ ، المسيحية في عقائدها ((التعليم المسيحي الكاثوليكي)) ، ص ٣٧٤ ، ٣٧٥ .

وهذه الصلاة ((أبانا الذي في السماء ...)) يسمِّيها النصارى الصلاة الربانيّة ، وهي أساسيه عندهم جميعاً ، قالوا : أن ربهم يسوع المسيح قد نطق بها مرتين : الأولى في عظته على الجبل ، عند الحديث عن الصلاة ، دون أن يسأله أحد . وقد دونها متى في الإصحاح السادس من إنجيله ، والثانية بعد أن فرغ من الصلاة في إحدى المرات في مكان ما ، ورأى بعض التلاميذ في صلاته ما لم يعلموها من قبل ، فقالوا له : علّمن أن نُصلي كما علّم يوحنّا أيضاً تلاميذه . وقد ذكرها لوقا في الإصحاح الحادي عشر من إنجيله .

لفظ متى في إنجيله في الإصحاح السادس من الفقرة التاسعة إلى الفقرة الثالثة عشر : ((فَصَلُّوا أَنْتُمْ مِثْلَ هَـذِهِ الصَّلاَةِ: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ! لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ! لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ عَلَى الأَرْضِ كَمَا هِـيَ فِـي السَّمَاءِ! خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا الْيَوْمَ! وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا! وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ، لَكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ، لأَنَّ لَكَ الْمُلْكَ وَالْقُوَّةَ وَالْمَجْدَ إِلَى الأَبَدِ. آمِين)) .

ولفظ إنجيل لوقا في الإصحاح الحادي عشر من الفقرة الثانية إلى الفقرة الرابعة : ((فَقَالَ لَهُـمْ: عِنْـدَمَا تُصَلُّونَ، قُولُوا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ! لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ، لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ. خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا كُلَّ يَوْمٍ؛ وَاغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا، لأَنَّنَا نَحْنُ أَيْضاً نَغْفِرُ لِكُلِّ مَنْ يُـذْنِبُ إِلَيْنَـا؛ وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ لكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ!)) .

مرقس : ((من آمن واعتمد يُخلّص ، ومن لا يؤمن يُقضَ عليه))[١] ، وفي إنجيل يوحنّا : ((لا يقدرُ أحدٌ أن يدخلَ ملكوتَ السماوات، ما لم يولدْ من الماء والروح))[٢] .

وقد ورد هذا السرّ " المعمودية " ، وذكر أهميته ، وبما يكون ، وكيفيته للبالغين والأطفال ، في كثيرٍ من وثائق البابوية وكنائسها ، ومن هذه الوثائق :

في عهد البابا نيقولاوس الأوّل (٢٤ نيسان ٨٥٥ ـــ ١٣ تشرين الثاني ٨٦٧ م) ، في مجمع روما المنعقد في ٨٦٢ م ، وجاء فيه عن مفعول المعموديّة : ((كلُّ الذين يقولون إن الذين وُلدوا ثانية من ينبوع المعموديّة الجزيلة القداسة، مؤمنين بالآب والابن والروح القدس، لم يُغسلوا من الخطيئة الأصلية، فليكونوا مُبسلين))[٣] .

وفي عهد البابا إنّوسنت ((إنّوشنتيوس)) الثالث (٨ كانون الثاني ١١٩٨ ـــ ١٦ تمّوز ١٢١٦ م) ، في رسالة بابوية إلى إمبرتوس أسقف أرل أواخر ١٢٠١ م ، بعنوان ((أثر المعموديّة ، ولا سيما الختم)) ، ومما جاء فيها : ((يقولون بأنّ المعموديّة للأطفال غير مُجدية ... ونحن نُجيب بأنّ العِمَاد حلّ محلّ الختان ... ولهذا ، فكما أنّ نفسَ المختون لم تكن مقطوعة من شعبها [تكوين ١٧ : ١٤] ، كذلك الذي يعود إلى الولادة بالماء والروح القدس يحصُلُ على الدخول في ملكوت السموات [يوحنّا ٣ : ٥].
... بسرِّ المعموديّة المصبوغِ بدم المسيح ، غُفِرت الخطيئة وأصبحتِ الطريق سالكةً إلى ملكوت السماوات الذي فتحَ دمُ المسيح بابَهُ لمؤمنيه بكل محبّةٍ ورحمة ...))[٤] .

وكذلك في عهد البابا إنّوسنت الثالث ، في رسالة بابوية إلى توريّاس رئيس أساقفة تروندهايم (نروج) أوّل آذار ١٢٠٦ م ، سُمّيت باسم ((مادة المعموديّة)) ، وممّا جاء فيها : ((.. أنّه لا بُدّ في العِماد من أمرَينِ هما ((الكلامُ والمادةُ)) ، على حدّ ما قالت الحقيقة الإلهيّة بالنسبة إلى الكلام : ((اذهبُوا في العالم أجمع ، وعمّدوا جميعَ الأُمم باسم الآب والابن والروح القدُس)) [متى ٢٨ : ١٩ ، مرقس ١٦ : ١٥] ، وعلى حدّ ما

[١]) مرقس ١٦ : ١٦ .
[٢]) يوحنّا ٣ : ٥ .
[٣]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ٢٢٥ .
[٤]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ٢٦٥ ـــ ٢٦٦ .

قالت بالنسبة إلى المادّة : ((من لم يُولَد من الماء والروح لا يدخل ملكوت السماوت)) [يوحنّا ٣ : ٥] ، فيجبُ عليك أن لا تشُكَّ في كَوْن المعموديّة لم تحصُلْ للذين أُغفِلَ عندهم الأمران، ولا للذين أُغفِل عندهم أمرٌ واحدٌ منهما[1] .

وفي المجمع التريدنتيني ((المسكوني التاسع عشر)) ١٣ كانون الأول ١٥٤٥ـــ ٤ كانون الأول ١٥٦٣ م ، الذي بدأ في عهد البابا بولس الثالث (١٣ تشرين الأول ١٥٣٤ ـــ ١٠ تشرين الثاني ١٥٤٩ م) ، في الجلسة السابعة من المجمع في ٣ آذار ١٥٤٧م ، ((مرسوم في الأسرار)) ، وفيه ((قوانين في شأن سرّ المعموديّة)) ، وممّا جاء فيه :

إذا قال أحدٌ إن الماء الحقيقيّ والطبيعيّ ليس ضروريّاً للمعموديّة ، فحمل على المعنى المجازي كلام المسيح ((مالم يُولد من الماء والروح)) [يوحنّا ٣ : ٥] : فليكن محروماً.

إذا قال أحد إنّ المعموديّة أمرٌ حُرٌّ ، أي ليس ضروريّة للخلاص : فليكن محروماً .

إذا قال أحدٌ إنّ المعموديّة الحقيقيّة التي مُنحت بحسب الطُّقوس يجب تكرارها للمؤمن الذي جحَد إيمانَ المسيح ، إذا اهتدى وتاب : فليكن محروماً .

إذا قال أحدٌ إنه يجبُ أن لا يُعمّد أحدٌ إلاّ متى بلغ عمرَ المسيح عند اعتماده ، أو عند الوفاة : فليكن محروماً[2].

وفي عهد البابا بيوس التاسع (١٦ حزيران ١٨٤٦ ـــ ٧ شباط ١٨٧٨ م) ، وفي إرشاد المجمع المُقدّس للنائب الرسوليّ في تشي كيانغ في ١ آب ١٨٦٠م ، بعنوان ((القبول القانوني للمعموديّة)) ، وممّا جاء فيه : ((... من الأكيد أن القبول القانوني للمعموديّة يقتضي استعدادات ثلاثة : الإيمان ، والندامة ، ونيّة القبول .

فلا ريب في ضرورة الإيمان الذي يجب أن يتعلّم منه البالغ ما يكفي على قدر ذهنه ، على أسرار الديانة المسيحيّة ، والذي يجب أن يعتقده اعتقاداً راسخاً . و كذلك ضرورة الندامة التي بها يجب أن يتوجّع من جراء خطاياه ويستثير أيضاً الندامة الكاملة أو غير الكاملة ، ومطلوبة ثالثاً بالضرورة النيّةُ أو الإرادة لقبول هذا السرّ ، وإذا فُقدت لا يوسم

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ٢٦٩ ـــ ٢٧٠ .

[2]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ٤٠٩ ـــ ٤١٠ .

البالغ بوسم المعموديّة .

فالإيمان والندامة مطلوبان من البالغ حتّى يتقبّل السرّ على وجه جائز . ويحصل على ثمرة السرّ . أمّا النيّة فهي ضرورية لكي يحصل عليه على وجه صحيح ، بحيث أن البالغ الذي يُعمّد بدون إيمان وندامة ، يُعمّد عماداً غير جائز ولكنّه صحيح ، وبالعكس من يُعمّد بدون إرادة قبول السرّ فعماده غير جائز وغير صحيح))[1] .

كما جاء ذكر أهميّة سرّ المعموديّة وتقدمها على باقي أسرار الكنيسة المقدسة عند النصارى ، في المجمع الفاتيكاني الثاني ((المسكوني الحادي والعشرون)) ١١ تشرين الأوّل ١٩٦٢ ـــ ٨ كانون الأوّل ١٩٦٥ م ، في الجلسة الخامسة العلنيّة في ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٤م ، تحت عنوان ((دستور عقائدي في الكنيسة)) ، في الفصل الأول منه ، بعنوان ((سرُّ الكنيسة)) تحت الجزئية المسمّاه ((الكنيسة جسد المسيح السرّي))[2] .

وقد اهتمت البابوية في وثائقها بذكر معموديّة الأطفال ، وممّا جاء من تلك الوثائق في ذلك ، ما يلي :

في عهد البابا زوسيموس (١٨ آذار ٤١٧ ـــ ٢٦ كانون الأوّل ٤١٨ م) ، في مجمع قرطاجة الذي ابتدأ في أوّل آيار ٤١٨ م ، وممّا جاء فيه : ((... إن من يُنكر ضرورة المعموديّة للصغار الخارجين حديثاً من بطون أمهاتهم ، أو يقول إنهم يُعمّدون لمغفرة الخطايا ، ولكن ليس فيهم أثر من خطيئة آدم ، يَكْفُرُ بغسل الميلاد الثاني . وينتج من ذلك أن صيغة المعموديّة عندهم " لمغفرة الخطايا " لا تُفهم فَهماً صحيحا بل خاطئاً ، فليكن مُبسلاً . إذ لا يُمكن فهم ما يقوله الرسول بوجه آخر : ((لأنه بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم ، وبالخطيئة الموت ، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع النّاس ، لأنّهم جميعاً خطئوا به)) [روميّة ١٥ : ١٢] ، إلا كما فهمته دائماً الكنيسة الكاثوليكيّة المنتشرة في كُلّ الأرض . فبسبب قاعدة الإيمان هذه ، حتى الصغار الذين لا يقدرون أيضاً على ارتكاب أي خطيئة بأنفسهم يُعمّدون أيضاً لمغفرة الخطايا ، حتى يطهّر الميلاد الثاني

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ٦١١ ـــ ٦١٢ .

[2]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ٢ / ٩٢٨ .

فيهم ما جلبه لهم الميلاد الأوّل))[١] .

رسالة بابويّة إلى أسقف كليرمون في عهد البابا اسكندر الثاني (٧ أيلول ١١٥٩ — ٣٠ آب ١١٨١م) ، وفي أثناء انعقاد المجمع اللاتراني الثالث ((المسكوني الحادي عشر)) (٥ — ١٩ آذار ١١٧٩م) ، وجاء في الرسالة ما يتعلق بالأطفال : ((إذا غطّسَ أحدٌ طفلاً ثلاث مرّات في الماء باسم الآب والابن والروح القدس ، آمين ، ولم يَقُل : ((إنّي أُعمِّدك باسم الآب والابن والروح القدس ، آمين)) فالطفل لم يُعمّد .

ولكن في شأن من يشكّ في كونهم اعتمدوا ، يُعمَّدون بصيغة يُقدَّم لها بالقول : ((إذا كنتَ معمَّداً لا أُعمِّدك ، ولكن إذا كُنتَ غير معمَّدٍ بعدُ فإني أُعمِّدك ... إلخ))[٢] .

وفي المجمع التريدنتيني ((المسكوني التاسع عشر)) ١٣ كانون الأول ١٥٤٥ — ٤ كانون الأول ١٥٦٣ م ، الذي بدأ في عهد البابا بولس الثالث (١٣ تشرين الأول ١٥٣٤ — ١٠ تشرين الثاني ١٥٤٩ م) ، في الجلسة السابعة من المجمع في ٣ آذار ١٥٤٧م ، ((مرسوم في الأسرار)) ، وفيه ((قوانين في شأن سرّ المعموديّة)) ، وممّا جاء فيه عن مسالة تعميد الأطفال :

((إذا قال أحدٌ إنّ الأطفالَ ، لا يجوز أن يُعدّوا من المؤمنين بعد نيلهم المعموديّة ، لكونهم لم يعملوا فعلَ إيمان ، ولهذا يجبُ إعادةُ معموديّتهم عندما يبلغون سنّ التمييز ، أو من الأفضل إرجاء معموديّتهم ، وذلك خيرٌ من تعميدهم في إيمان الكنيسة وحده ، هم الذين لا يؤمنون بفعل إيمان شخصيّ : فليكن محروماً))[٣] .

وفي عهد البابا يوحنّا بولس الثاني (١٦ تشرين الأوّل ١٩٧٨— ٢ إبريل ٢٠٠٥م)، في رسالة بابوية تعليميّة من مجمع عقيدة الإيمان ، في ٢٠ تشرين الأوّل ١٩٨٠ م ، بعنوان ((معموديّة الأولاد الصغار)) ، وجاء فيها : ((... لقد فهمت الكنيسة دوماً كلام يسوع لنيقودمس بهذا المعنى : " أنّ الأولاد الصغار يجب أن لا يُحرموا من المعموديّة " . فهذا الكلام له من الصيغة العامة والمطلقة ما جعل الآباء يحفظونه كأساس لضرورة

---

[١]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٧٦ .

[٢]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ٢٥٥ .

[٣]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ٤١٠ .

المعموديّة ، والسلطة التعليميّة تطبقه صراحة على معموديّة الأولاد الصغار : فهذا السرّ هو، لهم أيضاً، المدخل إلى شعب الله ، وباب الخلاص الشخصي .

وهكذا أظهرت الكنيسة بعقيدتها وممارستها أنّها لا تعرف وسيلة أخرى غير المعموديّة لتؤمن للأولاد الصغار الدخول في السعادة الأبدية ...

وكون الأولاد الصغار لا يزالون عاجزين عن إعلان إيمانهم بأنفسهم لا يمنع الكنيسة من منحهم هذا السرّ « إذ إنهم يعمّدون ، في الحقيقة « في إيمانها هي ...))[1] .

وذُكرت في الوثائق الكاثوليكيّة مسألة عقائدية مهمة من عقائدهم في مسألة تعميد الأطفال، ولكن قد خالف الكاثوليك أنفسهم في اعتقادهم بها، فقد قالوا أنّها غير جائزة، ولكنّها صحيحة ، والأولى تركها وعدم العمل بها، وهي : تعميد الأطفالَ خلافاً لإرادة أبويهم « أي أن الطفل إذا لم يكن نصرانيًا ووالديه ليسا نصرانيين فلا يجوز تعميد هذا الطفل بدون موافقة والديه على تعميده ودخوله في النصرانيّة .

فقد جاء في عهد البابا أوربانوس الثامن (٦ آب ١٦٢٣ ـــ ٢٩ تمّوز ١٦٤٤م) في مرسوم من المجمع المقدّس ، في ٢٣ تموز ١٦٣٩م ، عنوانه ((تعميد الأولاد خلافاً لإرادة الوالدين)) ، ومّما جاء فيه : ((في شأن المعموديّة التي مُنحت للابنة العبرانية ألغيريتا، وهي في الثالثة من العمر على وجه التقريب .. خلافاً لإرادة الوالدين ، رأى الكرادلة أن الابنة الصغيرة قد عُمّدت على وجه صحيح إذا توفّرت المادة والصيغة والنية، وثبّت المعموديّة شاهد . فالمعموديّة صحيحة والسّمة مطبوعة إذا عُمّد الأولاد فعلاً، وإن كان من الواجب ألاّ يُعمّد الأولاد خلافاً لإرادة والديهم . ... لأنه ، وإن كانت النيّة حسنة ، فالوسائل غير صالحة . و لاسيّما أن براءة يوليوس الثالث ما زالت نافذة، وهي تفرض غرامة ألف دوق والتوقيف على من يعمّدون أولاد العبرانيين خلافاً لإرادة والديهم))[2] .

وفي عهد البابا بندكتوس الرابع عشر (١٧ آب ١٧٤٠ ـــ ٣ آيار ١٧٥٨ م) ، في رسالة بابوية بعنوان ((تعميد الأولاد خلافاً لإرادة والديهم)) في ٢٨ شباط ١٧٤٧م . ومّما جاء فيها : ((... إن السلطان الأعلى هو ما درجت عليه الكنيسة ، ويجب الحرص

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها « ١ / ١١١٩ .

[2]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها « ١ / ٤٧٩ ـــ ٤٨٠ .

على التمسك به في كل شيء . والكنيسة لم تدرج أبداً على هذا العُرف : أن يُعمّد أولاد اليهود رغماً عن أهلهم . ... وإن أولاد غير المؤمنين إذا لم يبلغوا بعد سنّ الرشد هم بحكم الشرع الطبيعي تحت وصاية والديهم ما داموا غير قادرين على الاضطلاع بأمورهم ... فيكون مخالفاً للعدل الطبيعي أن يُعمَّد هؤلاء الأولاد رغماً عن أهلهم ، كما لو عُمِّد إنسان راشد رغماً عنه ، ويكون ذلك خَطِراً ...))[1] .

كما أن البابوية في وثائقها اهتمت بتعميد المسلمين لإخراجهم من دينهم الإسلامي ، وإدخالهم في الدين النصراني عن طريق التعميد ، فقد جاء في جواب المجمع المقدس بتاريخ ٣٠ آذار ١٨٩٨م ، في رسالة بعنوان ((الإيمان والنيّة المطلوبة للمعموديّة)) ، في عهد البابا لاون الثالث عشر (٢٠ شباط ١٨٧٨ ــ ٢٠ تمّوز ١٩٠٣ م) ، وممّا جاء فيها :

((سؤال : هل يستطيع مرسل أن يمنح المعموديّة، في حال الإشراف على الموت، لمحمّديّ راشد يُفترض أنّه حُسن النيّة في أضاليله ؟

فإذا كان لا يزال كامل الوعي، فحرِّضه فقط على التأسف (على خطاياه)، وعلى الثقة، من غير أن يتكلّم أبداً على أسرارنا خشية أن لا يؤمن بها .

[أمّا] إذا كانوا في ما سبق قد أعطوا دلائل على أنّهم يُريدون المعموديّة ، أو كانوا في حالتهم الحاضرة قد أظهروا هذا الاستعداد عينه ، بإشارة أو بطريقة أخرى ، فبالإمكان تعميدهم بلا شرط ، ما دام المرسل قد حكم بذلك هكذا آخذاً بالحسبان كلّ الظروف))[2] .

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ٥٤٤ ــ ٥٤٥ .

ولكن هذا التحذير من الكنيسة في المنع من تعميد أطفال غير النصارى لم يلق آذاناً صاغية من النصارى ، فلقد اختطف النصارى أولاد المسلمين بطرق الاختطاف الكثيرة، من سرقة للأطفال، وإغراء لآبائهم بالمال والتعليم، وأخذهم منهم، ثُمّ تحويلهم إلى نصارى، وتعميدهم، وهم صغار لم يصلوا حتى إلى سن السابعة أو أقل أو أكثر بقليل ، كما ستتضح هذه المسألة للقارىء الكريم ــ إن شاء الله ــ في فصل التنصير من الباب الأخير من هذه الرسالة .

[2]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ٢ / ٧١٣ ، ٧١٤ .

المبحث الثاني : سرّ التثبيت، أو "سرّ المسحة بالزيت المُقدس، الميرون".

وهذا هو السرّ الثاني من أسرار المجموعة الأولى المُسمّاه ((أسرار التنشئة المسيحية))، أو ((الأسرار المدخِلة إلى الحياة المسيحية)) ، والتي يرى النصارى وجوب المحافظة على وحدتها ، وهي "" المعموديّة ، والتثبيت ، والأفخارستيا ""[1] ، وقد أُضحت هذه العلاقة في المجمع الفاتيكاني الثاني ((المسكوني الحادي والعشرون)) ١١ تشرين الأوّل ١٩٦٢ ــ ٨ كانون الأوّل ١٩٦٥ م ، في الجلسة الخامسة العلنيّة في ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٤م ، تحت عنوان ((دستور عقائدي في الكنيسة))، في الفصل الثاني منه، بعنوان ((شعب الله))[٢] .

فسرّ التثبيت، عند النصارى، له أهمية من ثلاث نواحٍ :

الناحية الأولى : أنّه يطبع في نفس المُعمَّد ختماً روحيّاً لا يُمحى ، وهو رسم التثبيت ، كعلامةٍ دائمة تدُلُّ على أن يسوع المسيح قد اتخذ الخاضعين لهذا السرّ لخدمته ، فختم الروح القدس هذا ، هو علامةُ الانتماء الكامل في المسيح والتطوّع لخدمته على الدوام ، لذلك لا يجوزُ تقبّل سرّ التثبيت إلاّ مرّةً واحدةً ، على غرار سرّ المعموديّة .

الناحية الثانية : أنّه امتداد ، وتقوية بقدرة الروح القدس في المعموديّة ، فهو مرتبطٌ ارتباطاً وثيقاً بالمعموديّة ، فبه تقوى وتُكمَّل .

الناحية الثالثة : يكون به الارتباط الحميم بالكنيسة ، فبه يرتبط المُعمّدون بالكنيسة على وجه أكمل ، فيكونون شهوداً حقيقيين بربّهم المسيح[٣] .

تاريخ سرّ التثبيت :

يعتقد النصارى أن أنبياء العهد القديم أنبؤوا بأن روح الرب ستحلُّ على الماسيّا المرتقب[٤] ، لتحقيق رسالته الخلاصيّة[١] ، وهبوط روح الرب ، وهو الروح القدس ، على

---

[١]) المسيحية في عقائدها ((التعليم المسيحي الكاثوليكي)) ، ص ٣٨٣ .

[٢]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ٢ / ٩٣٢ .

[٣]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ٣٩٢ ، والمسيحيّة في عقائدها ، ص ٣٨٤ .

[٤]) أشعياء ١١ : ٢ .

يسوع ، عندما اعتمد ربّهم يسوع على يد يوحنّا المعمدان ابن زكريا ، فكان هذا ، عند النصارى دليل على أنّ ربّهم يسوع هو الماسيّا « ابن الله[٢] » وقد كان من قبل حُبل به بالروح القدس ، فحياتُه كلّها ورسالته كلّها قد تحقّقتا في ملء الشركة مع الروح القدس الذي أفاضه الآب عليه بغير حساب[٣] .

ثُمّ إنّ النصارى يعتقدون أنّ ملء الروح هذا لا يجوز أن يكون مقتصراً على يسوع " الماسيّا عندهم "، بل لابد أن يعُمّ جميع المؤمنين بالرب يسوع " الشعب الماسيويّ بأسره"[٤]، خاصة وأن يسوع المسيح قد وعد بأن يفيض الروح القدس على المؤمنين به[٥] ، وقد تمّ ذلك « في اعتقادهم ، أولاً يوم الفصح[٦] ، ثُمّ بطريق أسطع « يوم العنصرة[٧] ، وبهذا امتلأ حواري المسيح وتلامذته " الرسل " من الروح القدس ، وابتدؤوا يُعلنون ، كما يعتقد النصارى « ((عجائب الله))[٨] ، بسبب هذا الفيض من الروح القدس ، وصرّح بطرس أنّ إفاضة الروح القدس إنّما هي علامة الأزمنة الماسيويّة[٩] ، لذلك ذهب النصارى أن الذين آمنوا بكرازة رسل المسيح وقبلوا المعموديّة نالوا هم أيضاً الروح القدس[١٠] .

ويرى التقليد الكاثوليكي أنّه منذ الحين ، أخذ الرسل يضعون الأيدي على المعتمدين حديثاً ، امتثالاً لإرادة المسيح ، ويمنحونهم موهبة الروح القدس مكمّلة نعمة المعموديّة[١١] ، وقد اعتبر بولس في رسالته إلى العبرانيين أنّ المعموديّات ، ووضع الأيادي من أساسيات

---

[١]) لوقا ٤ : ١٦ ـــ ٢٢ ، خاصة الفقرة رقم ثمانية عشر من الإصحاح الرابع ، أشعياء ٦١ : ١ .

[٢]) متى ٣ : ١٣ ـــ ١٧ ، يوحنّا ١ : ٣٣ ـــ ٣٤ .

[٣]) يوحنّا ٣ : ٤٣ .

[٤]) حزقيال ٣٦ : ٢٥ ـــ ٢٧ ، يوئيل ٣ : ١ـــ٢ .

[٥]) لوقا ١٢: ١٢ ، يوحنّا ٣ : ٥ـــ٨ ، ٧ : ٣٧ـــ٣٩ ، ١٦ : ٧ـــ١٥ ، أعمال الرُّسل ١ :٨ .

[٦]) يوحنّا ٢٠ : ٢٢ .

[٧]) أعمال الرُّسل ٢ : ١ ـــ ٤ .

[٨]) أعمال الرُّسل ٢ : ١١ .

[٩]) أعمال الرسل ٢ : ١٧ ـــ ١٨ .

[١٠]) أعمال الرُّسل ٢ : ٣٨ .

[١١]) أعمال الرُّسل ٨ : ١٥ ـــ ١٧ .

تعليمهم النصرانيّ، مع الإيمان بالله، وقيامة ربّهم من الأموات ودينونيّته الأبدية للخلق[1].

ثُمّ أن الكنيسة ، بعد ذلك أضافت إلى وضع الأيادي على المُعمَّدين ، مسحة بزيت مُقدّس عنها ، مُعطّر ، يُسمّى ((الميرون)) ، ترى أنها ترمز إلى موهبة الروح القدس .

وذهبت الكنيسة أنّ هذه المسحة تُفسّر اسم " المسيحيّ " أي " الممسوح " والمُستوحى من اسم المسيح نفسه الذي ((مسحه الله بالروح القدس))[2] .

فعند الكنيسة أن وضع اليد يعني الامتلاك ، وفي الوقت عينه البركةَ ومنح السلطةَ ، كما أنّ المسحة بالزيت المُقدّس تعني التطهير والتقوية ، ومنح السلطة والبهاء ، ومعنى عند الكنيسة أن المُثبّت يصير بكامله للمسيح والكنيسة .

لذا يُسمّى هذا السرّ في الغرب اللاتيني " الكاثوليكي " ((سرّ التثبيت)) أي يُثبت المعموديّة، وفي الوقت عينه يوطّد النعمة العماديّة، ثُمّ أنّهم يرون أنّ محور هذا السرّ ، هو ، في وضع اليد على المُعمَّد ، ويُسمّى في الشرق، ((سرّ المسحة))، أي المسحة بالزيت المُقدّس ، أو الميرون ، ثُمّ أنّهم يرون أنّ محور هذا السرّ ، هو في المسحة على المُعمَّد .

ولكنّ الطريقتان ــ المسحة ، وضع الميرون على الجبين ، مع وضع اليد ــ أُوصي باشتراكهما ، مع قول المُعمِّد : ((تقبّلْ ختمَ موهبة الله ، الروح القدس)) في تثبيت المُعمَّد ، وذلك بقرار صارم من البابا بولس السادس (٢١ حزيران ١٩٦٣ ــ ٦ آب ١٩٧٨م) في سنة ١٩٧١م[3].

فسرّ التثبيت، هو عبارة عن وضع يد الأسقف على جبين المُعمَّد، ثم مسحه بزيت مُقدّس عندهم، يُباركه الأسقف ، وهو المقصود بالميرون ، كما جاء في بعض وثائق البابوية ، ومنها ما جاء في عهد البابا إنّوشنتيوس (انوسنت) الثالث (٨ كانون الثاني ١١٩٨ــ ١٦ تمّوز ١٢١٦)، في رسالة إلى باسيليوس أسقف ترنوفو (بلغاريا)، ٢٥ شباط

---

[1]) الرسالة إلى العبرانيين ٦ : ٢ .

[2]) أعمال الرُسل ١٠ : ٣٨ .

[3]) انظر ، في ذلك إلى : التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ٣٩٢ ــ ٣٩٣ ، والمسيحية في عقائدها ((التعليم المسيحي الكاثوليكي)) ص ٣٨٤ــ٣٨٥ ، الفروق العقيديّة بين المذاهب المسيحيّة ، ص ٢٢ ، القس إبراهيم عبد السيّد .

١٢٠٤م، بعنوان ((خادم سرّ التثبيت))، وممّا جاء فيها: ((بالميرون الذي يوضعُ على الجبهة يُراد وضعُ الأيدي ، ويُقال له أيضاً التثبيت ، لأنّ الروح القُدس يُعطي به للإنماء والتّقوية))[1] ، وقبلها مباشرة صلاةٌ يتلوها الأسقف وهو باسط يديه، يرى النصارى أنّها صلاة تُمثّل توضيحاً لمفهوم السرّ الشامل، وكلماتها :

((أيّها الآب الفائق الصلاح ، أبو ربّنا يسوع المسيح ، أُنظرْ إلى هؤلاء المُعمّدين الذين نضع أيدينا عليهم : لقد أعتقتَهم من الخطيئة بالمعموديّة ووهبتَهم أن يُولَدوا ثانية من الماء والروح . أفضِ الآن عليهم روحكَ القدوس، حسب وعدك . أعطهم ملء الروح الذي نزل على ابنك يسوع : روح الحكمة والفهم، روح المشورة و القوة، روح المعرفة والمحبة البنويّة . املأهم من روح مخافة الله ، بيسوع ربّنا)) .

وهنالك صيغة أُخرى لتلك الصلاة ، وهي : ((أيّها الإله القدير، يا أبا ربّنا يسوع المسيح، لقد حرّرت هؤلاء المسيحيّين في المعموديّة من ذنب آدم، ومنحتهم بالماء والروح القُدس حياةً جديدةً. نطلب إليك أن ترسلَ عليهم الروح القدس، ليكون لهم عوناً، أعطهم روحَ الحكمة والفَهم والمشورة والمعرفة والقوّة، روح التقوى، ومخافة الله، بربّنا يسوع المسيح))[2] .

متى يُعطى هذا السرّ ؟

في القرون النصرانيّة الأولى كان سرّ التثبيت يُمنح عادةً ، مع المعموديّة ، في حفلة واحدة، مكوّناً معها ((سرّاً مزدوجاً)) .

ولكن مع كثرة المعموديّات، خاصة للأطفال، في كُلّ أوقات السنة ، وتكاثُر عدد الرّعايا ، وتضخم الأبرشيّات ، في الغرب ، وبسبب الرغبة المنصوص عليها عند البابويّة ، في أن تُحصر حفلة تتويج المعموديّة بالتثبيت في الأسقف ، مع عدم استطاعة الأسقف الحضور في كُلّ حفلات المعموديّة ، بدأت عادة الفصل بين السرّين بمسافة زمنية .

أمّا الكنائس الشرقيّة فقد ظلت على إقامة السرّين متحدين ، بحيث بات الكاهن المُعمّد

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ٢٦٩ .

[2]) المسيحيّة في عقائدها ((التعليم المسيحي الكاثوليكي)) ، ص ٣٨٦ .

هو الذي يمنح سرّ التثبيت ، ولكن لا يجوز لهذا الكاهن أن يمسح إلاّ " بالميرون " الـذي يُقدِّسه الأُسقف[١] .

وهناك وثائق بابوية ترى أن الزيت الممسوح به لا يُقدِّسْه إلا الأسقف ، فهو الخـادم الأصيل لسرِّ التثبيت، ومن هذه الوثائق :

في عهد البابا أنستاسيوس الأوّل (٢٧ تشرين الثاني ٣٩٩ ـ ٤٠٢ م) ، في مجمـع طُليطلة الأول ، في أيلول ٤٠٠م ، وثيقة بعنوان ((صُنع الميرون)) ، ومِمّا جاء فيها :

(((١) ... لا أحد غير الأسقف يصنع الميرون، ولأنه يُقال إن كهنـة يـصنعونه في بعض الأماكن أو في بعض الأقاليم، طاب لنا منذ اليوم أن لا يَصنع الميرون ويوزعه علـى الابرشيات أحدٌ غير الأسقف ، بحيث يُوفد من كل كنيسة إلى الأسقف قبل يوم الفـصح شمامسة انجيليون أو رسائليون ، للتمكّن من التصرّف في الميرون الـذي صـنعه ووزّعـه الأسقف في يوم الفصح .

(٢) لا ريب أن للأسقف الحق في صنع الميرون في كل وقت ، ودون علم الأسـقف يجب الاّ يُفعل شيء على الإطلاق . وقد قُضي بأن لا يدهن الشماس الإنجيلي بـالميرون ، ولكن الكاهن يقوم بذلك في غياب الأسقف ، وفي حضوره إذا وكل إليه ذلك))[٢] .

في عهد البابا أوشينتيوس الأوّل (٢١ كانون الأوّل ٤٠٢ ـــ ١٢ آذار ٤١٧ م)، في رسالة إلى دشينتيوس أسقف جوبيو في ١٩ آذار ٤١٦م ، ومّما جاء فيها : ((من الواضح في شأن ختم (تثبيت) الأولاد أنه لا يسوغ أن يقوم به غير الأسقف . فالكهنة وإن كانوا من رتبة ثانية ، ليس لهم درجة الحبريّة العليا . وضرورة حصر الحبرية في الأساقفة وحدهم للختم أو ليؤتوا الروح القدس ، ثابتة ليس فقط بعبارة الكنيسة وإنما أيضاً بهذا الموضع من أعمال الرسل الذي جاء فيه أن بطرس ويوحنّا أُرسلا ليؤتيا الروح القدس الّذين قد عُمِّدوا [أعمال الرسل ٨ : ١٤ ـــ ١٧] . فالكهنة يسوغ لهم عندما يعمِّدون دون أسـقف أو في حضور أسقف ، أن يمسحوا المعمَّدين بالميرون الذي قدّسه الأسقف))[٣] .

---

[١]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٣٩٣ ـــ ٣٩٤ .

[٢]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ٦٦ .

[٣]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ٧٢ .

وما جاء في عهد البابا إنوشنتيوس (انوسنت) الثالث (٨ كانون الثاني ١١٩٨ــ ١٦ تمّوز ١٢١٦)، في رسالة إلى باسيليوس أسقف ترنوفو (بلغاريا)، ٢٥ شباط ١٢٠٤م، بعنوان ((خادم سرّ التثبيت))، وممّا جاء فيها : ((... فهذا الميرون لا يمكن أن يقوم به إلاّ الكاهنُ الأعظم ، أي الأسقف ، لأنه عن الرُّسل وحدَهم ، الذين يخلفهم الأساقفة، قيل إنّهم يمنحون الروح القدس بوضع الأيدي . [أعمال الرسل ٨ : ١٤ ــ ٢٥]))[١] .

وكذلك أيضاً في عهد البابا اكليمنضوس السادس (٧ أيار ١٣٤٢ ــ ٦ كانون الأوّل ١٣٥٢ م) ، في رسالة بابوية إلى ميخيتار، جاثليق الأرمن ٢٩ أيلول ١٣٥١، جزء منها بعنوان ((مادة التثبيت وخادمه))[٢] .

مسألة سنّ التثبيت بالنسبة للأطفال :

يؤجّل التثبيت بعد معموديّة الأطفال إلى سنّ التمييز ، وعند الكنيسة سنّ التمييز ، هو سنّ الثانية عشر ، فالكنيسة ترى أنّ في هذه السنّ يستطيع الولد أن يُدرك الكثير من معاني سرّ التثبيت ويتمّمَها ، ويمكنه بالتالي أن يطلب هذا السرّ بوجه واع ، وفي هذه السنّ يبدأ بالانفصال عن عالم الطفولة وعن الإيمان الصبياني، يخطو، في اعتقاد الكنيسة، الخطوات الأولى نحو الإيمان الواعي، فيستطيع أن يتقبل كواجب مُلقىً على عاتقه الوصيّةَ الرئيسة، وصيّة محبّة الله، ومحبّة القريب، ويُطبّقَها، ويمكنه أيضاً أن يقوم بخدمة الكنيسة، بطريقة مناسبة له .

إلاّ أن هناك أصواتاً كاثوليكيّة ترى أن يكون سنّ التثبيت حوالي السبع سنوات، وترى غيرَها أن يُمنحَ سرُّ التثبيت لشبّان بالغين، ليكون ذلك في سنّ يستطيعون فيه أن يختاروا اختياراً مستقلاً ونهائياً يسوع المسيح والكنيسة[٣] .

---

[١]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ٢٦٩ .

[٢]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ١ / ٣٢٦ .

[٣]) المسيحية في عقائدها ((التعليم المسيحي الكاثوليكي)) ، ص ٣٨٧ ، ٣٨٨ .

المبحث الثالث : سرّ الإفخارستيّا .

وهذا هو السرّ الثالث من أسرار المجموعة الأولى المُسمّاه ((أسرار التنشئة المسيحية))، أو ((الأسرار المدخِلة إلى الحياة المسيحية)) ، والتي يرى النصارى وجوب المحافظة على وحدتها ، وهي "" المعموديّة ، والتثبيت ، والأفخارستيا ""[1] ، وقد أُضحت هذه العلاقة في المجمع الفاتيكاني الثاني ((المسكوني الحادي والعشرون)) ١١ تشرين الأوّل ١٩٦٢ ـــ ٨ كانون الأوّل ١٩٦٥ م ، في الجلسة الخامسة العلنيّة في ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٤م ، تحت عنوان ((دستور عقائدي في الكنيسة))، في الفصل الثاني منه، بعنوان ((شعب الله))[2] .

وسرّ الإفخارستيا ، له قداسة عالية عند النصارى ، ومن أهميته عندهم :

١) أنّ الإفخارستيا، منبع الحياة النصرانية والكنسيّة وذروتها، فقد كان من تعاليم الكنيسة في بيان تلك الأهمّيّة : ((فالأسرار وجميع الخِدَم الكنسيّة والمهامّ الرسوليّة مرتبطة كلّها بالإفخارستيا ومترتّبة عليها . ذلك بأنّ الإفخارستيّا تحتوي على كنز الكنيسة الروحيّ بأجمعه، أي على المسيح بالذات فصحنا))، ((شركة الحياة مع الله ووحدة شعب الله هُما قوام الكنيسة، وإليهما ترمز الإفخارستيا وبها تتحقّقان. والإفخارستيّا هي قمّة العمل الذي به يُقدّس الله العالم في المسيح ، كما أنّها ذروة العبادات التي يرفعها الناس إلى المسيح ، وبه إلى الآب في الروح القدس))[3] .

ومن الوثائق البابويّة في هذا ، ما جاء في عهد البابا لاون الثالث عشر (٢٠ شباط ١٨٧٨ ـــ ٢٠ تمّوز ١٩٠٣م) ، في رسالة بابويّة عامة في ٢٨ أيار ١٩٠٢م ، بعنوان ((المسيح الإفخارستيّا حياة الإنسان)) ، تحت عنوان فرعي ((الصلة بين الإفخارستيّا والكنيسة وشركة القديسين)) ، ومّما جاء فيها : ((... إن سرّ الإفخارستيّا هو بمثابة روح الكنيسة . فإليه يرجع كمال النعمة الكهنوتيّة بمختلف درجات الرسامة . بل منه

---

[1]) المسيحية في عقائدها ((التعليم المسيحي الكاثوليكي)) ، ص ٣٨٣ .

[2]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ٢ / ٩٣٢ .

[3]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ .

تستقي الكنيسة وتحوز كُلّ قوتها ومجدها ، وجميع كنوز النِعم الإلهيّة وجميع الخيرات . لذلك تخصّص أعظم الجهد بتهيئة قلوب المؤمنين وقيادتها إلى اتحاد حميم بالمسيح بفعل سرّ جسده ودمه))[١] .

وكذلك جاء في إحدى وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني ((المسكوني الحادي والعشرين)) ١١ تشرين الأوّل ١٩٦٢ــ ٨ كانون الأوّل ١٩٦٥م، في عهد البابا بولس السادس ((٢١ حزيران ١٩٦٣ــ ٦ آب ١٩٧٨م))، في الجلسة الثالثة العلنيّة، ٤ كانون الأوّل ١٩٦٣م ، دستور في الليتورجيّا المقدّسة ، في الفصل الأوّل : مبادئٌ عامّة لأحل إحياء الليترجيّا وتطويرها ، في الجزء الأوّل منه ، بعنوان : طبيعة الليترجيّا وأهميّتها في حياة الكنيسة ، تحت عنوان فرعي ((الليترجيّا أوج حياة الكنيسة ومنبعها))[٢] .

٢) أنّ الإفخارستيا ، علامةٌ سابقة لوليمة العرس السماويّة ، جاء في رؤيا يوحنّا: ((وَأَمْلَى عَلَيَّ الْمَلاَكُ أَنْ أَكْتُبَ: «طُوبَى لِلْمَدْعُوِّينَ إِلَى وَلِيمَةِ عُرْسِ الْحَمَلِ». ثُمَّ قَالَ: «اللهُ نَفْسُهُ يَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ الْحَقَّ»))[٣] ، فعند النصارى أنّ ولائم ربّهم يسوع المسيح في حياته على الأرض وعشائه الأخير وولائمَ الجماعة الأولى الإفخارستيّة تقعُ كُلّها في ظل علامة مجيء ملكوت الله . لذلك فإنّ كُلّ احتفال إفخارستي عند النصارى يتسم بطابع القيامة ، فهم ومنذ أيّام كنسيتهم الأولى يحتفلون بالإفخارستيّا يوم الأحد، على أنّه اليوم الذي قام فيه ربّهم يسوع من بين الأموات، كما يذكرون ذلك في صلواتهم الإفخارستيّة، مثل قولهم في إحداها : ((يا أيّها الوليمة المُقدّسة التي تُصيّر المسيحَ طعامَنا، وتحيي ذكرى آلامه، وتُفعِم بالنعمة نفسنا وتُعطينا عربون الحياة الآتية)) ، كما أنّه ورد في إنجيل متى ، أنّ ربّهم يسوع قال لتلاميذه : ((عَلَى أَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي لاَ أَشْرَبُ بَعْدَ الْيَوْمِ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ هَذَا حَتَّى يَأْتِيَ الْيَوْمُ الَّذي فِيهِ أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ جَدِيداً فِي مَلَكُوتِ

---

[١]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ٢ / ٧٢٣ .

[٢]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ٢ / ٩١١ .

[٣]) رؤيا يوحنّا ١٩ : ٩ .

أبي))[١] ، ومن ثمّ فإنّ الإفخارستيا عند النصارى هي استعجال للإشتراك في الوليمة السماويّة وتذوّق مسبّق للمجد الآتي[٢] .

ومن الوثائق البابويّة في ذلك ، ما جاء في المجمع الفاتيكاني الثاني ((المسكوني الحادي والعشرون)) (١١ تشرين الأوّل ١٩٦٢ ــ ٨ كانون الأوّل ١٩٦٥م) ، في عهد البابا بولس السادس (٢١ حزيران ١٩٦٣ ــ ٦ آب ١٩٧٨م) ، في الجلسة الثالثة العلنيّة في ٤ كانون الأوّل ١٩٦٣م ، في الفصل الثاني ن بعنوان ((سرُّ الإفخارستيّا))، وتحت عنوان فرعي ((القُدّاس والسرّ الفصحيّ))، وقد جاء فيها: ((إنّ مُخلّصنا وَضعَ ، في العشاءِ الأخيرِ ، ليلة أُسْلِمَ ذبيحةَ جسدِه ودمِه الإفخارستيّة لكي تستمرّ بها ذبيحةُ الصليب على مرِّ الأجيال ، إلى أن يجيءَ ، ولكي يُودِعَ الكنيسةَ، عروسَه الحبيبةَ ذِكرى مَوتِه وقيامته : سرَّ تقوى ، وعلامةَ وَحدةٍ ، ورِباطَ مَحبّةٍ ، ووليمةً فَصحيّةً يؤكل فيها المسيحُ ، وتمتلِيءُ فيها النفسُ بالنعمة ، ونُعطى عربونَ المجدِ الآتي))[٣] .

٣) في الإفخارستيا يحتفل النصارى بالتحرير الفُصْحي من قوّة الموت وبعطيّة الحياة الجديدة الأبديّة ، فالإفخارستيا عند النصارى هي اكثر من مجرّد طعام إنها " ذبيحة التسبيح " ، كما في رسالة بولس إلى العبرانيين : ((فَبِالْمَسِيحِ، رَئِيسِ كَهَنَتِنَا، لِنُقَرِّبْ لله دَائِماً ذَبِيحَةَ الْحَمْدِ وَالتَّسْبِيحِ، أَيِ الثِّمَارَ الَّتِي تُنْتِجُهَا أَفْوَاهُنَا الْمُعْتَرِفَةُ بِاسْمِهِ))[٤] ، فهي تُمثّل عندهم ذبح ربّهم المسيح على الصليب ((ذبيحة الصليب)) ، أي تجعلها ماثلة أمامهم لأنها تُذكرهم بها ، وتؤتيهم ثمار ذبح ربّهم على الصليب ، وهي ((الفداء ، التدبير الخلاصي)) ، والتي يظهر في كلماتها التأسيسية ، في قول ربّهم المسيح : ((فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي لاَ أَشْرَبُ مِنْ نَتَاجِ الْكَرْمَةِ حَتَّى يَأْتِيَ مَلَكُوتُ اللهِ!» وَإِذْ أَخَذَ رَغِيفاً، شَكَرَ، وَكَسَّرَ، وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً:

---

[١]) متى ٢٦ : ٢٩ .

[٢]) المسيحيّة في عقائدها ((التعليم المسيحي الكاثوليكي)) ، ص ٣٩٠ ، ٣٩١ ، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٢٤ .

[٣]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ٢ / ٩٢٣ .

[٤]) عبرانيين ١٣ : ١٥ .

«هَذَا جَسَدِي الَّذِي يُبْذَلُ لأَجْلِكُمْ. هَذَا افْعَلُوهُ لِذِكْرِي!» وَكَذلِكَ أَخَذَ الْكَأْسَ أَيْضاً بَعْدَ الْعَشَاءِ، وَقَالَ: «هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي الَّذِي يُسْفَكُ لأَجْلِكُمْ))[١] ، وكما تُعلّم الكنيسة بقولها : ((إنّ المسيح إلهنا وربّنا قرّب ذاته لله الآب مرّة واحدة ، ومات شفيعاً لنا على الصليب لُيحقق لنا فداءً أبديّاً))، ولكن عندهم، أنّ موته لم يضع حدّاً لكهنوته[٢]، فقد أراد في عشائه الأخير، في ((الليلة التي أُسلِم فيها)) [الرسالة الأولى لأهل كورنثوس ١١ : ٢٣] أن يُورّث كنيسته ، عروسه الحبيبه ، ذبيحة مرئية ، حيث تتمثّل الذبيحة الدمويّة التي كان لا بدّ أن تتمّ مرة واحدة على الصليب ، كما في اعتقادهم ، والتي سوف تظل ذكراها عندهم مستمرّة إلى نهاية الدهور [الرسالة الأولى لأهل كورنثوس ١١ : ٢٣] ، ومفعولها الخلاصي جارياً لفداء الخطايا التي يقترفها النصارى كُلّ يوم . فالإفخارستيا عندهم متمثّلة في ذبيحة القُدّاس عملٌ إسراري يستحضر ذبيحة الصليب ، جاء في تعليم الكنيسة : ((فثمّة ذبيحة واحدة ، وهي هي نفسها ، وثمّة واحدٌ ، وهو نفسُه يُقرّبُ اليوم بوساطة الكاهن ، كما قرّب ذاته آنذاك على الصليب ، وما يختلف إنّما هو طريقةُ التقديم))[٣].

ومن الوثائق البابويّة في ذلك ما جاء في عهد البابا بيوس الثاني عشر (٢ آذار ١٩٣٩ ـــ ٩ تشرين الأوّل ١٩٥٨م) ، في رسالة بابويّة عامة في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٤٧م ، بعنوان ((العناصر الأساسيّة التي تتألف منها الليتورجيا)) ، وتحتَ عنوان فرعي ((جوهر الذبيحة الإفخارستيّة)) ، وممّا جاء فيها : ((... فذبيحة القدّاس ليست مجرّد ذكرى بسيطة لآلام يسوع المسيح وموته، بل هي ذبيحة حقيقية، بالمعنى الصحيح، بها يفعل

---

[١]) إنجيل لوقا ٢٢ : ١٩ ــ ٢٠ .

[٢]) واقتبست الكنيسة ذلك من رسالة بولس إلى العبرانيين ٧ : ٢٤ ، ٢٧ ، فجاء فيها : ((٢٤وَأَمَّا الْمَسِيحُ، فَلأَنَّهُ حَيٌّ إِلَى الأَبَدِ، فَهُوَ يَبْقَى صَاحِبَ كَهَنُوتٍ لاَ يَزُولُ! ... ٢٧وَهُوَ لاَ يَحْتَاجُ إِلَى مَا كَانَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ قَدِيماً كُلُّ رَئِيسِ كَهَنَةٍ: أَنْ يُقَدِّمَ الذَّبَائِحَ يَوْمِيّاً لِلتَّكْفِيرِ عَنْ خَطَايَاهُ الْخَاصَّةِ أَوَّلاً، ثُمَّ عَنْ خَطَايَا الشَّعْبِ، وَذلِكَ لأَنَّهُ كَفَّرَ عَنْ خَطَايَاهُمْ مَرَّةً وَاحِدَةً، حِينَ قَدَّمَ نَفْسَهُ عَنْهُمْ.)) .

[٣]) المسيحيّة في عقائدها ((التعليم المسيحي الكاثوليكي)) ، ص ٣٩١ ، ٤٠٠ ، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤١٢ .

الكاهن الأعظم بذبيحة غير دمويّة، ما فعل على الصليب، بتقديم ذاته للآب الأزلي ذبيحة مرضية جدّاً ...))[١] .

وقبلها ما جاء في عهد البابا أوربانوس الرابع (٢٩ آب ١٢٦١ ـــ ٢ تشرين الأوّل ١٢٦٤م) ، بعنوان ((الإفخارستيّا ذكرى المسيح))، في ١١ آب ١٢٦٤م[٢].

٤) في الإفخارستيا وحدة الجسد السرّي، فهي التي تصنع الكنيسة . فيعتقد النصارى أنّ الذين ينالون الإفخارستيّا يتّحدون بربّهم المسيح اتّحاداً وثيقاً . ومن ثمّ ، فالمسيح ربّهم يجعلهم متّحدين بجميع المؤمنين به ربّاً وفادياً في جسد واحد، أي الكنيسة، ففي المناولة الإفخارستيّة ، عندهم ، تُجدِّد وتُقوّي وتُعمِّق هذا الاندماج في الكنيسة الذي تحقق لهم بسرّ المعموديّة . فجاء في تعليم الكنيسة: ((بالمعموديّة دُعينا إلى أن نكون جسداً واحداً ، وبالإفخارستيّا تتحقق هذه الدعوة ، كما جاء في كلام بولس: ((أَلَيْسَتْ كَأْسُ الْبَرَكَةِ الَّتِي نُبَارِكُهَا هِيَ شَرِكَةَ دَمِ الْمَسِيحِ؟ أَوَ لَيْسَ رَغِيفُ الْخُبْزِ الَّذِي نَكْسِرُهُ هُوَ الاشْتِرَاكُ فِي جَسَدِ الْمَسِيحِ؟ فَإِنَّنَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ رَغِيفٌ وَاحِدٌ، أَيْ جَسَدٌ وَاحِدٌ، لأَنَّنَا جَمِيعاً نَشْتَرِكُ فِي الرَّغِيفِ الْوَاحِدِ))[٣] . ومن تعليم الكنيسة ، أيضاً : ((إنّ ثمرة تقبّل الإفخارستيّا في المناولة هي خصوصاً الاتحاد العميق بيسوع المسيح . بتناول الأشكال الإفخارستيّة يأتي المسيح بكامله ليقيمَ فينا ، ونحن بكاملنا نُقيم فيه ، ((من يأكُلُ جسدي ويشربُ دمي يثبتُ فيّ وأنا فيه)) [يوحنّا ٦ : ٥٦]))[٤] .

جاء ذلك في وثيقة بابوية ، في عهد البابا بيوس الرابع (٢٥ كانون الأول ١٥٥٩ ـــ ٩ كانون الأول ١٥٦٥م) ، في متابعة للمجمع التريدنتيني ، الجلسة ٢٢ في ١٧ أيلول ١٥٦٢م، بعنوان ((تعليم وقوانين في شأن ذبيحة القدّاس))، في الفصل السابع ، تحت عنوان ((الماء الممزوج بالخمر)) ، وفيها : ((والمجمع المقدس يُنذرُ بأنّ الكنيسة رسَمت

---

[١]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ٢ / ٨٤٣ .

[٢]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٢٩١ .

[٣]) رسالة بولس الأولى لأهل كورنثوس ١٠ : ١٦ ـــ ١٧ .

[٤]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ٤٢١ .

للكهنة بأن يمزجوا ماءً بالخمر الذي يُقدَّم في الكأس ، إذ أنّه من المعتقد أنّ السيّد المسيح قد فعل كذلك ، كما أنّه سال من جبينه دمٌ وماء (يوحنّا ١٩ : ٣٤) ، وهذا ما يُذكّر به المذبحُ في هذا السرّ . وبما أن المياه في رؤيا يوحنّا ترمز إلى الشعوب (رؤيا يوحنا ١٧ : ١٥) فالمزيج يُمثّل اتحادَ الشعب المؤمن مع المسيح الذي هو رأسُه))[١] .

وهذا الاتحاد بالمسيح الذي يعتقده النصارى مرتبط ارتباطاً شديداً بمغفرة الخطايا ، فالإفخارستيا لا تستطيع أن تضمهم إلى المسيح ربّهم ، من دون أن تطهرهم من خطاياهم السالفة ، وتحفظهم من خطاياهم الآتية ، جاء في تعليم الكنيسة : ((كلّ مرّة نتناوله ، نُخبر بموت الرب[٢]. فعندما نُبشّر بموت الرّب، نُبشّر بمغفرة الخطايا . وإذا كان كّل مرة يُراق دَمُه ، إنّما يُراقُ لمغفرة الخطايا ، فعليّ أن أتناوله دائماً لكي يصفح دائماً عن خطاياي . فأنا الذي يرتكب الخطيئة دائماً ، أحتاج دائماً إلى علاج))[٣] .

تسميات متعددة لسرّ الإفخارستيا :

١) الإفخارستيّا، وسُمّي هذا السرّ بالإفخارستيا منذ القرن الثاني الميلادي، ومعناه: ((صلاة شكر)) ، أو ((أداء شكر لله)) ، ففيه يُقدِّم النصارى ، لله الآب التسبيح والشكر عن كُلّ ما وهبهم إيّاه في الخلق والخلاص بذبح ابنه على الصليب من أجل خلاصهم ، ومن ثمّ فالإفخارستيا تعني ((الخلاص والحياة في عبادة الله وتمجيده)) ، ويتضح ذلك أكثر في ألفاظ ختام الصلاة الإفخارستيّة، وهي ((به ومعه وفيه، لكَ، أيّها الإله، الآبُ القدير، في وحدة الروح القدس، كُلّ تمجيد وإكرام، الآن وإلى الأبد)).

ويُقال أيضاً : المحفل الإفخارستيّ : وذلك بأنّ الإفخارستيّا يُحتفل بها في جماعة المؤمنين النصارى ، وهي التعبير المرئي للكنيسة[٤] .

---

[١]) الكنيسة الكاثولكيّة في وثائقها ، ١ / ٤٤٢ .

[٢]) رسالة بولس الأولى لأهل كورنثوس ١١ : ٢٦ .

[٣]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ٤٢١ ، ٤٢٢ ، المسيحيّة في عقائدها ((التعليم المسيحي الكاثوليكي)) ، ص ٣٩٨ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢ .

[٤]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص٤٠٢، ٤٠٤، المسيحيّة في عقائدها ((التعليم المسيحي الكاثوليكي))، ص ٣٩١ ، ٣٩٢ .

٢) مائدة الرّب : فالإفخارستيا تُذكّر النصارى بالعشاء الذي تناوله ربُّهم بصحبة تلاميذه، عشية الآمه، والذي في صبيحتها قُتل ربُّهم على الصليب، لذلك تُسمّى عندهم أيضاً ((مائدة عُرس الحمل)) في أُورشليم السماويّة، والتي تأتي الإفخارستيّا الأرضية استباقاً لها[١] .

٣) كسر الخبز : وهذه عادة كانت مرعيّة في الموائد اليهوديّة ، كان يسوع يَعمد إليها، عند بركة الخبز وتوزيعه، بصفته المتقدّم في المائدة[٢] ، وقد عمد إليها في العشاء الأخير[٣] ، وبكسر الخبز عرف التلاميذ ربّهم بعد قيامته من الأموات[٤] .

وهذه العبارة ((كسر الخبز)) استخدمها النصارى الأوّلون للدلالة على اجتماعاتهم الإفخارستيّة[٥]، وهم يُعبِّرون بذلك عن أنّ جميع الذين يتناولون من هذا الخبز الواحد المكسور، أي المسيح ــ فعند النصارى أنّ هذا هو جسد المسيح، وهي مسألة إسراريّة، إيمانيّة، وليست عقلية[٦] ــ يدخُلون في الشركة معه ولا يعودون يؤلّفون سُوى جسدا واحدا معه[٧] ، ولهذا الاشتراك التي يعتقده النصارى سُمِّيت الإفخارستيا أيضاً باسم ((الشركة))[٨] .

٤) الذبيحة المُقدّسة : لأن الإفخارستيّا ، عند النصارى ، تُحسّد في الحاضر الذبيحة الوحيدة ، في اعتقاهم ، وهي : ذبيحة المسيح المخلّص ، وتتضمن تقدمة الكنيسة .

وتُسمَّى أيضاً ((ذبيحة القُدّاس المُقدَّسة))، و ((ذبيحة التسبيح))[٩] ، و ((الذبيحة الروحيّة)) و ((الذبيحة الطاهرة)) ، وذلك لأنّها عند النصارى تُكمِّل وتفوق ذبائح

---

[١]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٠٣ .

[٢]) متى ١٤ : ١٩ ، ١٥ : ٣٦ ، مرقس ٨ : ٦ ، ١٩ .

[٣]) متى ٢٦ : ٢٦ ، رسالة بولس الأولى لأهل كورنثوس ١١ : ٢٤ .

[٤]) لوقا ٢٤ : ١٣ ــ ٣٥ .

[٥]) أعمال الرُّسل ٢ : ٤٢ ، ٤٦ ، ٢٠ : ٧ ، ١١ .

[٦]) المسيحيّة في عقائدها ((التعليم المسيحي الكاثوليكي)) ، ص ٣٩٤ .

[٧]) رسالة بولس الأولى لأهل كورنثوس ١٠ : ١٦ ــ ١٧ .

[٨]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ٤٠٤ .

[٩]) رسالة بولس إلى العبرانيين ١٣ : ١٥ .

العهد القديم كلّها[١] .

٥) الليترجيّا الإلهيّة المقدّسة : لأن ليترجيّا الكنيسة كلّها تجد محورها وعبارتها الأبلغ في الاحتفال بهذا السرّ . وبهذا المعنى أيضاً يُسمّيها النصارى ((الاحتفال بالأسرار المُقدّسة))، وكذلك ((السرّ الأقدس)) ، لأن الإفخارستيّا هي سرّ الأسرار[٢] .

٦) القُدّاس : لأن الليترجيّا التي يتمّ فيها سرّ الخلاص تنتهي بإرسال المشتركين فيها ليحققوا إرادته تعالى في حياتهم اليوميّة[٣] .

البداية التاريخيّة لسرّ الإفخارستيا :

يقول النصارى ، كما جاء في إنجيل يوحنّا ، أنّ ربّهم المسيح لّما عرف أنّ ساعته قد حانت ليمضي من هذا العالم ويعود إلى أبيه ، قام عن الطعام وغسل أقدام تلاميذه وأعطاهم وصيّة الحب[٤] .

---

[١]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٠٤ .

[٢]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٠٤ .

[٣]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٠٤ .

[٤]) يقول يوحنّا في إنجيله ١٣ : ١ ــ ١٧ : ((وَقُبَيْلَ عِيدِ الْفِصْحِ، وَيَسُوعُ عَالِمٌ أَنَّ سَاعَتَهُ قَدْ حَانَتْ لِيَرْحَلَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ إِلَى الآبِ، فَإِذْ كَانَ قَدْ أَحَبَّ خَاصَّتَهُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ، أَحَبَّهُمُ الآنَ أَقْصَى الْمَحَبَّةِ: ٢فَفِي أَثْنَاءِ الْعَشَاءِ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ قَدْ وَضَعَ فِي قَلْبِ يَهُوذَا بْنِ سِمْعَانَ الإِسْخَرْيُوطِيِّ أَنْ يَخُونَ يَسُوعَ، ٣وَكَانَ يَسُوعُ عَالِماً أَنَّ الآبَ قَدْ جَعَلَ كُلَّ شَيْءٍ فِي يَدَيْهِ وَأَنَّهُ مِنَ اللهِ خَرَجَ وَإِلَى اللهِ سَيَعُودُ، ٤نَهَضَ عَنْ مَائِدَةِ الْعَشَاءِ، وَخَلَعَ رِدَاءَهُ وَأَخَذَ مِنْشَفَةً لَفَّهَا عَلَى وَسَطِهِ، ٥ثُمَّ صَبَّ مَاءً فِي وِعَاءٍ لِلْغَسْلِ، وَبَدَأَ يَغْسِلُ أَقْدَامَ التَّلاَمِيذِ وَيَمْسَحُهَا بِالْمِنْشَفَةِ الَّتِي عَلَى وَسَطِهِ. ٦فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى سِمْعَانَ بُطْرُسَ، قَالَ لَهُ سِمْعَانُ: «يَاسَيِّدُ، أَنْتَ تَغْسِلُ قَدَمَيَّ!» ٧فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ الآنَ لاَ تَفْهَمُ مَا أَعْمَلُهُ، وَلكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ». ٨وَلكِنَّ بُطْرُسَ أَصَرَّ قَائِلاً: «لاَ، لَنْ تَغْسِلَ قَدَمَيَّ أَبَداً!» فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنْ كُنْتُ لاَ أَغْسِلُكَ، فَلاَ يَكُونُ لَكَ نَصِيبٌ مَعِي!» ٩عِنْدَئِذٍ قَالَ لَهُ سِمْعَانُ بُطْرُسُ: «يَاسَيِّدُ، لاَ قَدَمَيَّ فَقَطْ، بَلْ يَدَيَّ وَرَأْسِي أَيْضاً!» ١٠فَقَالَ يَسُوعُ: «مَنِ اغْتَسَلَ صَارَ كُلُّهُ نَقِيّاً، وَلاَ يَحْتَاجُ إِلاَّ لِغَسْلِ قَدَمَيْهِ. وَأَنْتُمْ أَنْقِيَاءُ، وَلكِنْ لَيْسَ كُلُّكُمْ». ١١فَإِنَّ يَسُوعَ كَانَ يَعْلَمُ مَنِ الَّذِي سَيَخُونُهُ، وَلِذلِكَ قَالَ: «لَسْتُمْ كُلُّكُمْ أَنْقِيَاءَ» ١٢وَبَعْدَمَا انْتَهَى مِنْ غَسْلِ أَقْدَامِهِمْ، أَخَذَ رِدَاءَهُ وَاتَّكَأَ مِنْ جَدِيدٍ، وَسَأَلَهُمْ: «أَفَهِمْتُمْ مَا عَمِلْتُهُ لَكُمْ؟ ١٣أَنْتُمْ تَدْعُونَنِي مُعَلِّماً وَسَيِّداً، وَقَدْ صَدَقْتُمْ، فَأَنَا كَذَلِكَ. ١٤فَإِنْ كُنْتُ، وَأَنَا السَّيِّدُ وَالْمُعَلِّمُ، قَدْ غَسَلْتُ أَقْدَامَكُمْ، فَعَلَيْكُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً أَنْ يَغْسِلَ بَعْضُكُمْ أَقْدَامَ بَعْضٍ. ١٥فَقَدْ قَدَّمْتُ لَكُمْ مِثَالاً لِكَيْ تَعْمَلُوا مِثْلَ مَا عَمِلْتُ أَنَا لَكُمْ. ١٦اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ، وَلاَ رَسُولٌ أَعْظَمَ مِنْ مُرْسِلِهِ. ١٧فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ هَذَا، فَطُوبَى لَكُمْ إِذَا عَمِلْتُمْ بِهِ)) .

ويعتقد النصارى أنّ ربَّهم لكي يُورثهم عربون هذا الحب ، ويظلّ أبداً معهم ، ويشركهم في فصحه ، وضع الإفخارستيّا تذكاراً لموته وقيامته ، وأمر رُسلَه بأن يُقيموها إلى يوم رجعته ، جاعلاً إيّاهم كهنة العهد الجديد .

وقد ذكرت كُتبهم المقدَّسة خبر إقامة الإفخارستيّا[1] ، وفي بعضها يُعلن المسيح نفسه خُبز الحياة النازل من السماء ، كما في إنجيل يوحنّا[2] .

وذهب النصارى إلى أنّه عندما احتفل يسوع بالعشاء الأخير مع رُسله أثناء الطعام الفُصحيّ ، أضفى على الفصح اليهوديّ معناه النهائيّ . فانتقاله إلى أبيه ، بموته وقيامته ،

---

[1]) في إنجيل متى ٢٦ : ٢٦ ـــ ٢٩ ((٢٦وَبَيْنَمَا كَانُوا يَأْكُلُونَ، أَخَذَ يَسُوعُ رَغِيفاً، وَبَارَكَ، وَكَسَّرَ وَأَعْطَى التَّلاَمِيذَ وَقَالَ: «خُذُوا، كُلُوا: هَذَا هُوَ جَسَدِي!» ٢٧ثُمَّ أَخَذَ الْكَأْسَ، وَشَكَرَ، وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: «اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ. ٢٨فَإِنَّ هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ وَالَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا. ٢٩عَلَى أَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي لاَ أَشْرَبُ بَعْدَ الْيَوْمِ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ هَذَا حَتَّى يَأْتِيَ الْيَوْمُ الَّذِي فِيهِ أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ جَدِيداً فِي مَلَكُوتِ أَبِي» .

وفي إنجيل مرقس ١٤ : ٢٢ ـــ ٢٥ ((٢٢وَبَيْنَمَا كَانُوا يَأْكُلُونَ، أَخَذَ يَسُوعُ رَغِيفاً، وَبَارَكَ، وَكَسَّرَ، وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: «خُذُوا: هَذَا هُوَ جَسَدِي». ٢٣ثُمَّ أَخَذَ الْكَأْسَ، وَشَكَرَ، وَأَعْطَاهُمْ، فَشَرِبُوا مِنْهَا كُلُّهُمْ، ٢٤وَقَالَ لَهُمْ: «هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ وَالَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ. ٢٥الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ أَشْرَبُ بَعْدُ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ أَبَداً، إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي أَشْرَبُهُ فِيهِ جَدِيداً فِي مَلَكُوتِ اللهِ» .

وفي إنجيل لوقا : ((١٤وَلَمَّا حَانَتِ السَّاعَةُ، اتَّكَأَ وَمَعَهُ الرُّسُلُ، ١٥وَقَالَ لَهُمْ: «اشْتَهَيْتُ بِشَوْقٍ أَنْ آكُلَ هَذَا الْفِصْحَ مَعَكُمْ قَبْلَ أَنْ أَتَأَلَّمَ. ١٦فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: لَنْ آكُلَ مِنْهُ بَعْدُ، حَتَّى يَتَحَقَّقَ فِي مَلَكُوتِ اللهِ». ١٧وَإِذْ تَنَاوَلَ كَأْساً وَشَكَرَ، قَالَ: «خُذُوا هَذِهِ وَاقْتَسِمُوهَا بَيْنَكُمْ. ١٨فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي لاَ أَشْرَبُ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ حَتَّى يَأْتِيَ مَلَكُوتُ اللهِ!» ١٩وَإِذْ أَخَذَ رَغِيفاً، شَكَرَ، وَكَسَّرَ، وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: «هَذَا جَسَدِي الَّذِي يُبْذَلُ لأَجْلِكُمْ. هَذَا افْعَلُوهُ لِذِكْرِي!» ٢٠وَكَذَلِكَ أَخَذَ الْكَأْسَ أَيْضاً بَعْدَ الْعَشَاءِ، وَقَالَ: «هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي الَّذِي يُسْفَكُ لأَجْلِكُمْ)) .

[2]) ((٢٨فَسَأَلُوهُ: «مَاذَا نَفْعَلُ لِنَعْمَلَ مَا يَطْلُبُهُ اللهُ ؟» ٢٩أَجَابَ يَسُوعُ: «الْعَمَلُ الَّذِي يَطْلُبُهُ اللهُ هُوَ أَنْ تُؤْمِنُوا بِمَنْ أَرْسَلَهُ». ٣٠فَقَالُوا لَهُ: «مَا الآيَةُ الَّتِي تَعْمَلُهَا لِنَرَاهَا وَنُؤْمِنَ بِكَ؟ مَاذَا تَقْدِرُ أَنْ تَعْمَلَ؟ ٣١فَإِنَّ آبَاءَنَا أَكَلُوا الْمَنَّ فِي الْبَرِّيَّةِ كَمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ: أَعْطَاهُمْ مَنَّ السَّمَاءِ خُبْزاً لِيَأْكُلُوا »
٣٢فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مُوسَى لَمْ يُعْطِكُمْ خُبْزاً مِنَ السَّمَاءِ، وَإِنَّمَا أَبِي هُوَ الَّذِي يُعْطِيكُمُ الآنَ خُبْزَ السَّمَاءِ الْحَقِيقِيَّ، ٣٣فَخُبْزُ اللهِ هُوَ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ الْوَاهِبُ حَيَاةً لِلْعَالَمِ». ٣٤قَالُوا لَهُ: «يَاسَيِّدُ، أَعْطِنَا فِي كُلِّ حِينٍ هَذَا الْخُبْزَ». ٣٥فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. فَالَّذِي يُقْبِلُ إِلَيَّ لاَ يَجُوعُ، وَالَّذِي يُؤْمِنُ بِي لاَ يَعْطَشُ أَبَداً)) يوحنّا ٦ : ٢٨ ـــ ٣٥ .

وهو الفصح الجديد ، قد تمّ قبل أوانه في العشاء ، ونحتفل به في الإفخارستيّا التي تُكمل الفصح اليهوديّ وتستبق فصح الكنيسة الأخير » في مجد الملكوت[1] .

ويرى النصارى أنّ وصيّة يسوع لهم بتكرار أفعاله وأقواله ، إلى أن يجيء ، لا تقتصر على أن يتذكّروه ويتذكّروا ما قام به ، بل تهدف إلى أن يتولّى الرسل وخلفاؤهم الاحتفال الليترجيّ بتذكار المسيح : حياته وموته وقيامته وتشفّعه إلى الآب .

وقد ظلت الكنيسة » منذ البدء ، وفيّة لوصية ربّها » كما تعتقد . فقد قيل في كنيسة أورشليم: ((وَكَانَ الْجَمِيعُ يُدَاوِمُونَ عَلَى تَلَقِّي تَعْلِيمِ الرُّسُلِ، وَعَلَى حَيَاةِ الشَّرِكَةِ، وَكَسْرِ الْخُبْزِ، وَالصَّلَوَاتِ ... وَيُدَاوِمُونَ عَلَى الْحُضُورِ إِلَى الْهَيْكَلِ يَوْمِيّاً بِقَلْبٍ وَاحِدٍ، وَيَكْسِرُونَ الْخُبْزَ فِي الْبُيُوتِ، وَيَتَنَاوَلُونَ الطَّعَامَ مَعاً بِابْتِهَاجٍ وَبَسَاطَةِ قَلْبٍ))[2] . وكانت الجماعات النصرانيّة الأولى تلتئم خصوصاً في اليوم الأوّل من الأسبوع ، أي يوم الأحد » يوم ربّ النصارى ، والذي قام فيه يسوع " ليكسروا الخبز "[3] ، ومن اقوال أساقفة الكنيسة منذ القرن الثاني الميلادي » في تعظيم يوم الأحد : ((أن يكون الإنسانُ مسيحياً يعني أن يعيش بموجب يوم الأحد))، ((أمّا يوم الأحد فنجتمع فيه كلّنا، لأنّه اليوم الأوّل الذي فيه خلق الله العالَمَ بتحويل الظلمة والمادّة الأصليّة، ولأن يسوع المسيح مخلّصنا، في هذا اليوم، قام من الأموات)) . وقد بقي هذا الأمر إلى أيام النصارى الحاليّة، فالاحتفال بالإفخارستيا يومَ الأحد هو التعبيرُ الأهمّ عن حياتهم النصرانيّة، بنفس الهيكليّة الأوليّة، وتظل هي محور حياة الكنيسة ، إلى أن يجيء ربّهم ومخلّصهم ((فإنّكم كُلَّما أكلْتُم هذا الخُبْزَ وشَرِبْتُمْ هذهِ الكأسَ تُخْبِرُون بموتِ الرَّبِّ إلى أنْ يَجِيءَ))[4]، كما يعتقدون[5] .

---

[1]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ .

[2]) أعمال الرُّسل ٢ : ٤٢ ، ٤٦ .

[3]) أعمال الرُّسل ٢٠ : ٧ ، رؤيا يوحنّا ١ : ١٠ .

[4]) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١١ : ٢٦ .

[5]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية » ص ٤٠٦ ـــ ٤٠٨ ، المسيحيّة في عقائدها ((التعليم المسيحي الكاثوليكيّ)) ، ص ٣٨٨ .

الخبز والخمر في الاحتفال الإفخارستيّ ، وحقيقة حضور المسيح :

المناولة في الاحتفال الإفخارستيّ بالخبز والخمر ، هو الأساس في هذا السرِّ ، وهو صلبه ، وقاعدته ، ولا يكون إلاّ بهما .

جاء في تعليم الكنيسة : ((في صُلب الاحتفال بالإفخارستيّا، نجد الخبز والخمر اللذين يتحوّلان ، بكلمات المسيح واستدعاء الروح القدس ، إلى جسد المسيح ودمه . وتستمرّ الكنيسة ، طاعتها لأمر الرب ، في تجديد ما صنعه في عشيّة آلامه ، تذكاراً له ، إلى أن يعود في مجده : " أخذ خبزاً ... " " أخذ الكأس المملوءة خمراً " . عندما يصير الخبز والخمر سرّيّاً جسد المسيح ودمه ، فهما لا ينفكّان يرمزان ، في الوقت نفسه ، إلى جودة الخليقة . وهكذا في صلاة التقدمة، نشكر للخالق عطيّة الخبز والخمر، ثمرة جهد الإنسان. ولكنّنا نشكر له أوّلاً " ثمرة الأرض " ، " وثمرة الكرمة " ، وهما من عطايا الخالق . وترى الكنيسة في قربان ملكيصادق، الملك الكاهن، الذي ((قَدَّمَ خبزاً وخمراً)) [تكوين ١٤ : ١٨] صورة مسبقةً لقربانها .

وفي العهد القديم كان الخبز والخمر يُقدَّمان قرباناً من بواكير الأرض ، علامة اعتراف بالخالق . ولكنهما اكتسبا ، في قرائن سفر الخروج ، مغزىً جديداً : فالخبز الفطير ، الذي يتناوله بنو إسرائيل كلّ سنة في عيد الفصح يذكّرهم بخروجهم ، على عجل ، من عبوديّة أرض مصر ، وأمّا ذكرى المنّ في البريّة فهي تعيد إلى أذهان بني إسرائيل دائماً أنّهم يَحيوْن من خبز كلام الله في مواعيده . ((كأس البركة)) [رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١٠ : ١٦] التي يختتم بها اليهود الوليمة الفصحيّة تضفي على فرح العيد ونشوة الخمر، معنى أُخرويّاً نابعاً من ذاك الترقّب الماسيوي لأورشليم الجديدة . لقد أضفى يسوع ، بإقامته الإفخارستيّا ، معنى جديداً على بركة الخبز والكأس))[1] .

والكنيسة تؤمن بأنّ يسوع المسيح يحضر حضوراً حقيقياً أثناء إقامة سرّ الإفخارستيا ، وذلك في أشكال الخبز والخمر ، وتعتقد أن هذا الإيمان مرتكز على قول مرقس في إنجيله : أن يسوع المسيح قال : " هذا هو جسدي ، هذا هو دمي " ، ((وَبَيْنَمَا كَانُوا يَأْكُلُونَ، أَخَذَ

---

[1]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٠٥ .

يَسُوعُ رَغِيفاً، وَبَارَكَ، وَكَسَّرَ، وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: «خُذُوا: هَذَا هُوَ جَسَدِي». ثُمَّ أَخَذَ الْكَأْسَ، وَشَكَرَ، وَأَعْطَاهُمْ، فَشَرِبُوا مِنْهَا كُلُّهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ: «هَذَا هُوَ دَمِي))[١] .

وتعتقد الكنيسة أن استحضار ربهم الابن يسوع المسيح في الحفل الإفخارستيّ ليس عملاً سحريّاً أو آليّاً . بل يتم من خلال صلاة استدعاء ربّهم الروح القدس ـــ وهي الصلاة الثانية في المحفل ـــ ، والتي تُرفع باسم يسوع المسيح إلى ربهم الله الآب . وكلمات هذه الصلاة التي يقرأها الكاهن : ((أرسلْ روحَكَ القدّوس على هذه القرابين وقدّسها ، لكي تصيرَ لنا جسدَ ودمَ ابنك يسوع المسيح ربّنا))[٢] .

و ((تعلّم الكنيسةُ وتعترفُ علناً وبدون تراجع أنّ ربّنا يسوعَ المسيح ، الإله الحقيقيّ والإنسان الحقيقيّ ، بعد تكريس الخبز والخمر ، هو حاضرٌ حضوراً حقيقيّاً وجوهريّاً في أشكال هذه الأشياء المنظورة .

بتكريس الخبز والخمر يتمُّ تحوّلُ جوهرِ الخبز بكامله إلى جوهر جسد المسيح ربّنا ، وجوهر الخمر بكامله إلى جوهر دمه . وهذا التحوّل تدعوه الكنيسة بحقّ وبالمعنى الحصريّ للفظة تحوّلاً جوهريّاً))[٣] .

وبهذه الطريقة الفريدة في حضور ربّهم يسوع المسيح في الأشكال الإفخارستيّة ، رفعت هذا السرّ فوق جميع الأسرار ، ((فسرّ الإفخارستيّا الأقدس يحتوي حقّاً وحقيقيّاً وجوهريّاً جسد ربّنا يسوع المسيح ودمه مع نفسه وألوهيته ، ومن ثمّ ، فهو يحتوي المسيح كلّه كاملاً . ومن أقوال قدّيسي الكنيسة في هذا الإيمان ، ما صرّح به يوحنا الذهبيّ الفمّ بقوله : ((ليس الإنسان هو الذي يحوّل القرابين إلى جسد المسيح ودمه ، بل المسيح نفسه الذي صُلب لأجلنا . الكاهن، صورة المسيح، ينطبق بهذه الكلمات ولكنّ الفعل والنعمة هما من الله . يقول : " هذا هو جسدي"، وهذه الكلمة تحوّل القرابين))، ويقول أمبروسيوس في شأن هذا التحوّل : ((لنقتنع أن هذا ليس من فعل الطبيعة بل من فعل التقديس بالبركة ، وأن قوة البركة تتفوّق على الطبيعة))[٤] .

وقد أكدت البابوية في وثائقها المتعددة هذه العقيدة ، ومن ذلك :

---

[١]) مرقس ١٤ : ٢٢ ـــ ٢٤ .

[٢]) المسيحيّة في عقائدها ((التعليم المسيحي الكاثوليكيّ))، ص ٣٩٤، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص٤١٠ .

[٣]) المسيحيّة في عقائدها ((التعليم المسيحي الكاثوليكيّ)) ، ص ٣٩٦ .

[٤]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤١٦ .

في عهد البابا غريغوريوس السابع (٢٢ نيسان ١٠٧٣ ـــ ٢٥ أيّار ١٠٨٥) ، في مجمع رومة ، في ١١ شباط ١٠٧٩م ، وثيقة تحت عنوان ((حضور المسيح في الإفخارستيا)) ، ومّما جاء فيها : ((... أنّ الخبز والخمر اللذين على المذبح ، قد تحوّلا جوهريّاً ، بسرِّ الصلاة المُقدَّسة وبأقوال فادينا ، إلى جسد سيّدنا يسوع المسيح الحقيقي والذاتيّ والمحيي ، وإلى دمه ، وأنّهما ، بعد التقديس ، جسدُ المسيح الحقيقيّ ، الذي ولدَ من العذراء ، والذي ، وهو المُقدَّمُ لخلاصِ العالم ، رُفع على الصليب ، والذي يجلس إلى يمين الآب ، وكذلك دمُ المسيح الحقيقي الذي سال من جَنْبه ، لا بطريقة التّصوّر المجازيّ وقوّةِ السرّ ، بل بطبيعته الخاصّه وفي حقيقة الجوهر))[1] .

وفي عهد البابا يوليوس الثالث (٧ شباط ١٥٥٠ ـــ ٢٣ آذار ١٥٥٥م) ، في المجمع التريدنتيني ، في الجلسة ١٣ ، ١١ تشرين الأوّل ١٥٥١م ، مرسوم في سرِّ الإفخارستيا ، في الفصل الأوّل منه بعنوان ((الحضور الحقيقي لسيّدنا يسوع المسيح في سرِّ الإفخارستيّا الأقدس)) ، ومِمَّا جاء فيه : ((يُعلّم المجمعُ المُقدّس ويُعلن أولاً ، في وضوح وفي غير مُداورة ، أنّ في سرِّ الإفخارستيّا المُقدَّسة بعد تقديس الخبز والخمر ، سيّدنا يسوع المسيح ، الإله الحقّ والإنسان الحق ، حاضراً حضوراً حقيقيّاً وجوهريّاً تحت شكليّ هاتين الحقيقيتين الحِسّيّتين . وليس هناك مخالفة بين كون مخلّصنا نفسه جالساً أبداً في السماوات إلى يمين الآب ، بوجود يفوقُ الطبيعة ، وكونه حاضراً حضوراً سرّياً وجوهريّاً في أماكن متعدّدة ، بوجود نكاد لا نستطيع التعبير عنه بألفاظ ، ونستطيع مع ذلك معرفة أنه ممكنٌ عند الله ، ونؤمن بذلك إيماناً مستمراً [متى ١٩ : ٢٦ ، لوقا ١٨ : ٢٧] بقدرتنا العقليّة يُنيرها الإيمان))[2] .

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٢٤٣ .

[2]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٤١٢ .

المبحث الرابع : سرّ التوبة ، ((الاعتراف ، أو المصالحة)) .

وهو السرّ الأول ، من أسرار المجموعة الثانية ، المسمّاه ((أسرار الشفاء)) ، والتي تتكون من سرّين ، وهما : سرّ التوبة ، وسرّ مسحة المرضى .

أهميّة سرّ التوبة عند النصارى :

١) أنّ هذا السرّ هبة ومنحة من الله الآب إلى من آمن بفداء الله الابن ، ثُمّ وقع في خطايا يوميّة، قد تُبعده عن الشراكة مع الله الابن . جاء في تعليم الكنيسة: ((بالمعموديّة والتثبيت نصير خليقةً جديدة ، وبالإفخارستيا نتّحدُ اتّحاداً حميماً بيسوع المسيح وواحدُنا بالآخر . ومع ذلك نُختبرُ باستمرار أنّنا نبقى دون ما يطلبُه منّا يسوع المسيح ، بل نعملُ ما يُناقضُ ما نحن عليه كمسيحيّين وما تقتضيه منّا إرادةُ الله ، وهذا الاختيار يؤلمنا . فبدلاً من أن ننقادَ لروح المسيح ، نتبع على الدوام ((روح هذا العالم)) . ومع ذلك فرحمةُ الله هي أعظمُ من كلّ خطيئةٍ وذنب . ومن ثمّ يُقدّم الله للذين سقطوا من بعد المعموديّة في خطايا ثقيلة إمكانيّة ثانيةً للارتداد والنعمة ، وهي سرُّ التوبة . وكثيراً ما دعا هذا السرَّ آباءُ الكنيسة معموديّةً ثانية شاقّة، وخشبةَ خلاص ثانيةً بعد كسر السفينة من جرّاء الخطيئة))[1]. وجاء أيضاً ((... فالارتدادُ ــ أي التوبة ــ ليس عملاً يمكننا القيام به بأنفسنا ، إنّما هو هبةٌ من الله ، إنّه نعمة التمكّن من البدء من جديد . يجب أن يلتفتَ اللهُ أوّلاً إلى الإنسان برحمته ونعمته ، ليتمكّن الإنسان من أن يتوجّه إلى الله . ومن ثمّ فالارتداد ــ أي التوبة ــ لا يعني أن نجعلَ الله يُغيّرُ رأيه ليمنحَنا المصالحة ، إنّما هو جوابُنا نحن لله الذي يبادرُنا بالمصالحة . إنّ عملَ المصالحة النّهائي قد جرى بسفك يسوع دمَه ((من أجل الكثيرين لمغفرة الخطايا))[2] . ومن ثمّ فالله هو الذي في يسوع المسيح، في صليبه وقيامته، قد صالَح العالَم مع نفسه بوجهٍ نهائيّ[3]))[1] .

---

[1]) المسيحيّة في عقائدها ((التعليم المسيحي الكاثوليكي)) ، ص ٤١١ .

[2]) متى ٢٦ : ٢٨ .

[3]) رسالة بولس الثانية لأهل كورنثوس ٥ : ١٨ ــ ١٩ .

وجاء في رسالة بابويّة بتاريخ ١١ حزيران ٤٥٢م ، بعنوان ((سرّ التوبة)) ، عقب المجمع الخلقدوني الذي اختتمت أعماله في مطلع تشرين الثاني ٤٥١م ، وفي عهد البابا لاون الأوّل الكبير ((٢٩ أيلول سنة ٤٤٠ ــ ١٠ تشرين الثاني ٤٦١م)) ، ومِمّا جاء فيها : ((إنّ رحمة الله المُتعدِّدة الأشكال قد عالجت خطايا البشر مُعالجة تجعل رجاء الحياة الأبديّة يعود ، لا بنعمة المعموديّة فحسب ، وإنّما بدواء التوبة أيضاً، فيستطيع الذين دنّسوا مواهب الولادة الجديدة، إذا ما أقرّوا بذنوبهم، أن يبلغوا إلى نيل مغفرتها ...))[٢].

وجاء هذا التعليم أيضاً في وثيقة من وثائق المجمع التريدنتيني (المسكوني التاسع عشر) ــ الطويل ــ من ١٣ كانون الأوّل ١٥٤٥ ــ ٤ كانون الأوّل ١٥٦٣م ، وهي من وثائقه في عهد بابا روما يوليوس الثالث (٧ شباط ١٥٥٠ ــ ٢٣ آذار ١٥٥٥م) ، في الجلسة الرابعة عشر منه ، في ٢٥ تشرين الثاني ١٥٥١م ، تحت مُسمّى ((تعليم في سرّ التوبة))[٣] .

١) أن سرّ التوبة عند النصارى يمنحهم صفح الله الآب ، ويُعيد الشركة معه ، ومع الله الابن ، ويُحقق المصالحة بين الخطاة وبين الكنيسة .

جاء في تعليم الكنيسة : ((الخطيئة هي أوّلاً إهانة لله وقطعٌ للشركة معه . وهي ، في الوقت نفسه ، مساس بالشركة . ومن ثم فالارتداد ــ أي التوبة ــ يستنزل علينا صفح الله ، ويحقّق المصالحة مع الكنيسة ، في آنٍ واحد . وهذا ما يوحيه ويُحقّقه ، ليترجيّاً ، سرُّ التوبة والمصالحة))[٤] .

ومن الوثائق البابوية في ذلك ما جاء في المجمع الفاتيكاني الثاني (المسكوني الحادي والعشرون) ١١ تشرين الأوّل ١٩٦٢ــ ٨ كانون الأوّل ١٩٦٥م ، في الجلسة الخامسة العلنيّة ، ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٤ ، تحت عنوان ((دستور عقائدي في الكنيسة)) ، في الفصل الثاني ، بعنوان ((شعبُ الله)) ، وتحت عنوان فرعي منه ((ممارسة الكهنوت

---

[١] المسيحيّة في عقائدها ((التعليم المسيحي الكاثوليكي)) ، ص ٤١٣ .

[٢] الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ١٠٧ .

[٣] الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٤١٩ .

[٤] التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٣٤ .

المُشترك في الأسرار)) ، ومِمّا جاء فيها : ((إنّ الذين يقبلون على سرِّ التوبة يُصيبون من رحمةِ الله مغفرةَ الاهانةِ التي أهانوه بها ، ويتصالحون في الوقت نفسه مع الكنيسة التي جرّحوها بخطيئتهم ، والتي تسعى بمحبتها ومثالها وصلاتها في سبيل توبتهم ...))[١] .

أسماء هذا السرّ :

١) سرّ التوبة ، لأنّه ، في اعتقاد النصارى ، يُكرّس مسعىً شخصيّاً وكنسيّاً ، مسعى اهتداء وتوبة وتكفير يقوم به المسيحي الخاطئ .

٢) سرّ الهداية ، لأنّه في اعتقاد النصارى أنّه ((يُحقق سرّيّاً دعوة يسوع إلى الارتداد ، أي العودة إلى الآب الذي ابتعدنا عنه بالخطيئة)) .

٣) سرّ الاعتراف ، ففي اعتقاد النصارى أنّ الإقرار والاعتراف بالخطايا أمام الكاهن هو عنصر جوهريّ من عناصر هذا السرّ . فالاعتراف عندهم أي تسبيح حمد لقداسة الله وشفقته على الإنسان الخاطئ .

٤) سرّ الغفران ، فالنصارى عندهم ، أنّ الله يمنّ على الخاطئ بالغفران والسلام بواسطة الحلّ السرّي الذي يمنحه الكاهن .

٥) سرّ المصالحة ، فهو عند النصارى يمنح الخاطئ حبّ الله إله المصالحة ((تصالحوا مع الله))[٢] . وكُلّ من يحيا بحبّ الله الرحيم ، بوسعه أن يُلبّي نداء الرّب ((اذهبْ أوّلاً وصالح أخاك)) [متى ٥ : ٢٤][٣].

أصل سرّ التوبة :

الله الآب عند النصارى ، هو ، وحده يملك سلطان مغفرة الخطايا ، جاء في مرقس ((من يقدِر أن يغفر الخطايا إلاّ الله وحدَه))[٤] ، وقد نقل هذا السلطان إلى الله الابن يسوع المسيح ، فهو يقول عن نفسه كما عند مرقس ((أنّ لابن الإنسان سُلطاناً على الأرض أن

---

[١]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٩٣٥ .

[٢]) رسالة بولس الثانية لأهل كورنثوس ٥ : ٢٠ .

[٣]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٣٠ .

[٤]) مرقس ٢ : ٧ .

يغفر الخطايا))[١]، ويمارس هذا السلطان الإلهي كما عند مرقس ((مغفورةٌ لك خطاياك))[٢] ، وقد أعطى هذا السلطان للناس ، وذلك على ما ورد في إنجيل متى ((... فلمّا رأى الجموع تعجّبوا ومجّدوا اللهَ الذي أعطى النَّاسَ سُلطاناً مِثلَ هذا))[٣] ، وكانت هذه العطيّة من المسيح بصفة خاصة لرسله وتلامذته ، كما جاء في كلام بولس : ((وَلكِنَّ الْكُلَّ مِنَ اللهِ، الَّذِي صَالَحَنَا لِنَفْسِهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَأَعْطَانَا خِدْمَةَ الْمُصَالَحَةِ. أَيْ إِنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحاً الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ، وَوَاضِعاً فِينَا كَلِمَةَ الْمُصَالَحَةِ))[٤] ، وكما جاء في إنجيل يوحنّا أن يسوع المسيح قال لهم : ((فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضاً: «سَلاَمٌ لَكُمْ! كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ أُرْسِلُكُمْ أَنَا». وَلَمَّا قَالَ هذَا نَفَخَ وَقَالَ لَهُمُ: «اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ. مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ، وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ»))[٥]، وكذلك قوله لبطرس:((وَأُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، فَكُلُّ مَا تَرْبِطُهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطاً فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاوَاتِ))[٦] .

وترى الكنيسة أنّها الوارثة الحقيقية لهذا السلطان ، وهو مغفرة الخطايا ، وذلك من خلال ((سرّ التوبة)) ، ولأنها تزعم أنّها الوارثة لكل ما كان خاص برسل الله الابن وتلامذته . جاء في تعليم الكنيسة : ((لقد أعطى الرب الرسل ما له من سُلطان خاصّ على مغفرة الخطايا ، وأعطاهم أيضاً السلطة لإجراء مُصالحة الخطاة مع الكنيسة . هذا الطابع الكنسي في مهمّتهم ينعكس خصوصاً في الكلمة التي وجّهها المسيح رسميّاً إلى سمعان بطرس : ((سأُعطيك مفاتيح ملكوت السموات . فما ربطته في الأرض رُبط في السماوات ، وما حللته في الأرض حُلّ في السماوت)) [متى ١٦ : ١٩] . مهمة الربط والحل هذه التي أُعطيت لبطرس ، قد أُعطيت أيضاً لهيئة الرسل متّحدين برئيسهم [متى

[١]) مرقس ٢ : ١٠ .

[٢]) مرقس ٢ : ٥ ، لوقا ٧ : ٤٨ .

[٣]) متى ٩ : ٨ .

[٤]) رسالة بولس الثانية لأهل كورنثوس ٥ : ١٨ — ١٩ .

[٥]) يوحنّا ٢٠ : ٢١ — ٢٣ .

[٦]) متى ١٦ : ١٩ .

١٨ : ١٨ ؛ ٢٨ : ١٦ ــ ٢٠][1] ، وتعني لفظتا الحلّ والربط : أنّ من تعزلونه من شركتكم يُعزَل من شركته مع الله ، وأنّ من تقبلونه ثانيةً في شركتكم ، يقبله الله أيضاً في شركته . فالمصالحة مع الكنيسة لا تنفصل عن المصالحة مع الله))[2] .

وجاء هذا التعليم الكنسي في عدة وثائق بابويّة ، وهو أن الكنيسة الوارثة الحقيقيّة لمغفرة الخطايا ، ومن هذه الوثائق :

أ) بتاريخ ١١ حزيران ٤٥٢م، بعنوان ((سرّ التوبة))، عقب المجمع الخلقدوني الذي اختتمت أعماله في مطلع تشرين الثاني ٤٥١م ، في عهد البابا لاون الأوّل الكبير ((٢٩ أيلول سنة ٤٤٠ ــ ١٠ تشرين الثاني ٤٦١م)) ، وممّا جاء فيها : ((وصلاح الله يُجري المُعالجة على هذا الوجه : بأن لا تُنال المغفرة من الله إلاّ بتضرعات الكهنة . لقد نقل " الوسيط بين الله والنّاس الإنسان المسيح يسوع " [رسالة بولس الأولى لأهل تسالونيكي ٢ : ٥] إلى رؤساء الكنيسة هذا السلطان ، ليمنحوا التوبة للخطأة المُعترفين ، ويقبلوهم، عندما يتطهّرون بتكفير خلاصيّ، في شركة الأسرار، بفتح باب المصالحة))[3].

ب) بتاريخ ١٣ أيّار ٤٩٥م، في مجمع منعقد بروما، في عهد البابا جيلازيوس الأوّل (١آذار٤٩٢ ــ ٢١ تشرين الثاني ٤٩٦م)، بعنوان ((سُلْطان الكنيسة لمغفرة الخطايا))[4].

ج) بتاريخ ٩ تشرين الثاني ١٥١٨م بعنوان ((الغفرانات)) ، عقب المجمع اللاتراني الخامس (المسكوني الثامن عشر) ٣ أيّار ١٥١٢ ــ ١٦ آذار ١٥١٧ م ، في عهد البابا لاون العاشر (١١ آذار ١٥١٣ ــ ١ كانون الأوّل ١٥٢١م) ، في الرد على مارتن لوثر

---

[1]) والنصّان من متى ، هما : ١٨ : ١٨ ((فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَا تَرْبِطُونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ قَدْ رُبِطَ فِي السَّمَاءِ، وَمَا تَحُلُّونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ قَدْ حُلَّ فِي السَّمَاءِ)) ، ٢٨ : ١٦ ــ ٢٠ ((وَأَمَّا التَّلاَمِيذُ الأَحَدَ عَشَرَ، فَذَهَبُوا إِلَى مِنْطَقَةِ الْجَلِيلِ، إِلَى الْجَبَلِ الَّذِي عَيَّنَهُ لَهُمْ يَسُوعُ. فَلَمَّا رَأَوْهُ، سَجَدُوا لَهُ. وَلكِنَّ بَعْضَهُمْ شَكُّوا، فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلاً: دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ. فَاذْهَبُوا إِذَنْ، وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ ، وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ؛ وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا بِكُلِّ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْتِهَاءِ الزَّمَانِ)) .

[2]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٣٥ .

[3]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ١٠٧ .

[4]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ١١٩ .

في إنكاره لمسألة مغفرة الخطايا بواسطة الكنيسة والبابا [١] .

د) في آخر جلسة من جلسات المجمع التريدنتيني (المسكوني التاسع عشر) ـ الطويل ـ بتاريخ ٤ كانون الأوّل ١٥٦٣م ، في عهد البابا بيوس الرابع (٢٥ كانون الأول ١٥٥٩ـ ٩ كانون الأوّل ١٥٦٥م ، مرسوم في شأن الغفرانات[٢] .

وعند النصارى أن بنيةَ هذا السرّ الأساسيّة قد حافظت على ناحيتين جوهريّتين، الناحية الأولى : في فعل الارتداد الإنساني ـ أي التوبة ـ الذي يتمُّ بفضل النعمة، والذي يتضمَّنُ الندامةَ والإقرارَ والتعويض، وهذا ما يُسمّى عندهم ((مادة سرّ التوبة))، والناحية الثانية : في عمل الكنيسة ، أي في مغفرة الخطايا التي تمنحها ، باسم يسوع المسيح ، الجماعةُ الكنسيّة برعاية الأسقف والكاهن ، فتحدِّدُ أشكالَ التعويض الضروريّة ، وتُصلّي من أجل الخاطئ وتتوبُ معه ، وهذه الحلّة من الأسقف أو الكاهن تُشكلّ صورةَ سرّ التوبة ، لتُعلنَ أخيراً قبولَه في الشركة الكنسيّة الكامله ومسامحة خطاياه ، وهذا ما يُسمّى ((ثمرة سرّ التوبة)) [٣] .

عناصر سرّ التوبة :

ولسرّ التوبة عندهم عنصران لابد من توفرهما حتى يتحقق هذا السرّ في اعتقاد النصارى ، جاء ذكرهما في وثيقة من وثائق المجمع التريدنتيني (المسكوني التاسع عشر) ـ الطويل ـ من ١٣ كانون الأوّل ١٥٤٥ ـ ٤ كانون الأوّل ١٥٦٣م ، وهي من وثائقه في عهد بابا روما يوليوس الثالث (٧ شباط ١٥٥٠ـ ٢٣ آذار ١٥٥٥م) ، في الجلسة الرابعة عشر منه ، في ٢٥ تشرين الثاني ١٥٥١م ، تحت مُسمّى ((تعليم في سرّ التوبة)) في الفصل الثالث ((أقسام السرِّ وثمارُه)) ، ومِمّا جاء فيها : ((.. أمّا ما هو بمثابة مادّة هذا السرّ ، فهي أفعالُ المعترفِ نفسه ، أيّ الندامة ، والاعتراف ، والكفّارة ...)) [٤] ،

---

[١]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٣٧٨ .

[٢]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٤٥٦ .

[٣]) المسيحيّة في عقائدها ((التعليم المسيحي الكاثوليكي)) ، ص ٤١٧ ، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٣٦ .

[٤]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٤٢١ .

والعنصران هما :

١) الندامة ، وفي تعليم الكنيسة أن الندامة هي الخطوة الأولى التي تتصدّر أفعال التائب، فهي ((ألم النفس وكره للخطيئة وعزم على ألاّ نعود إليها من بعد))، وهي عندهم تنقسم إلى قسمين :

الأولى : تُسمّى ((ندامة المحبّة)) ، وهي ندامة كاملة ، تصدر عن حب للإله ((الله الآب ، والله الابن ، والله الروح القدس)) ، وهذه الندامة قادرة على مغفرة الخطايا اليوميّة ، وتمنحُ أيضاً مغفرة الخطايا الثقيلة المُميتة ، إذا رافقها القصد الثابت بالتقرّب واللجوء إلى سرّ الإعتراف في أقرب فرصة ممكنة للنادم .

الثانية : تُسمّى ((ندامة الخوف)) ، وهي ندامة ناقصة ، أيضاً هي عطيّة من الله ، وحفز من الروح القدس ، يُولّدها اعتبار بشاعة الخطيئة ، والخوف من العقاب الأبديّ وسائر العواقب التي تُهدّد الخاطئ[1] .

ووُضّحت هذان القسمان للندامة في وثيقة من وثائق المجمع التريدنتيني (المسكوني التاسع عشر) في الجلسة الرابعة عشر منه ، في ٢٥ تشرين الثاني ١٥٥١م ، تحت مُسمّى ((تعليم في سرّ التوبة)) في الفصل الرابع عن ((النّدامة)) ، ومِمّا جاء فيه : ((النّدامةُ التي تحتلّ المكانَ الأوّلَ بين أفعال المعترِف ... وإلى ذلك يُعلّم المجمع المقدّس أنّ هذه النّدامة قد تُصبحُ كاملةً بالمحبّة فتُصالِح الإنسان مع الله قبل التقبُّل الفعليّ لهذا السرّ ... ، والندامة غير الكامِلة التي تُسمّى توبة الخوف، لأنها تنشأ إمّا عن تصوّر لشناعة الخطيئة ، وإمّا عن خوفٍ من جهنّم ومن العقوبات ...))[2] .

٢) الإقرار بالذنب ((الاعتراف بالخطايا))، فتعتقد الكنيسة أنّ الإقرار بالذنب للكاهن، هو جزء جوهريّ في سرّ التوبة، فهي تُعلّم أن ((على التائبين أن يعدّدوا، في الاعتراف، كُلّ الخطايا المميتة التي يتذكّروها ، بعد محاسبة للنفس متقنة ، حتى وإن كانت هذه

---

[1]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٣٨ ، التعليم المسيحي الكاثوليكي ((المسيحيّة في عقائدها)) ، ص ٤١٨ .

[2]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٤٢٢ ـــ ٤٢٣ .

الخطايا حميمة جداً ...))[1] .

و تعتقد الكنيسة أيضاً أنّ الإقرار بالذنب له من النّاحية الإنسانيّة المحضة مفعول محرِّر ومُصالح، فبه يقفُ الإنسانُ بإزاء ماضيه ويتحمَّل مسؤوليّة ما اقترفه، وفي الوقت ذاته، تعتقد الكنيسة أيضاً، أنّ هذا الإقرار يفتح للمعترف ثانية على ربهم وعلى جماعة الكنيسة.

لهذا ذهبت الكنيسة أنّه لا يُمكن للتائب الاستغناء عن الاعتراف بالذنب إذا أراد ــ كما تُعلِّم الكنيسة لمتبوعيها ــ أنّ يُسلِّم الخاطئ أمره لحكم نعمة الله[2] .

وذُكر هذا العنصر في وثيقة من وثائق المجمع التريدنتيني (المسكوني التاسع عشر) في الجلسة الرابعة عشر منه ، في ٢٥ تشرين الثاني ١٥٥١م ، تحت مُسمَّى ((تعليم في سر التوبة)) في الفصل الخامس عن ((الاعتراف)) ، وممّا جاء فيه : ((... أنّ الاعتراف الكامل بالخطايا هو من وضع الربّ[3] ، وأنّه حق إلهيّ ضروريٌّ على جميع الذين سقطوا بعد المعموديّة ...))[4] .

وتُلزم الكنيسة الكاثوليكيّة مؤمنيها ، متى بلغ أحدُهم ((سنّ التمييز ملزَمٌ بالاعتراف بخطاياه اعترافاً صحيحاً على الأقلّ مرة في السنة)) ، لكنّ الاعتراف بالخطايا اليوميّة ، تُسمِّيها الكنيسة ((الخطايا العرضيّة)) ، ليس إلزامياً في عقيدة الكنيسة الكاثوليكيّة ، والسبب في ذلك ، كما تعتقد الكنيسة ، أنّ هذه الخطايا اليوميّة لا تفصل شراكتهم مع الله ربّهم[5] ، إلاّ أن الكنيسة الكاثوليكيّة تُحبّذه بشدة ، فهي تُعلِّم مؤمنيها أنّ ((

---

[1]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٣٨ .

[2]) التعليم المسيحي الكاثوليكي ((المسيحيّة في عقائدها)) ، ص ٤١٨ .

[3]) أي من كلام عيسى في اعتقادهم ، جاء ذلك في رسالة يعقوب ٥ : ١٦ ((لِيَعْتَرِفْ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لأَخِيهِ بِزَلاَّتِهِ، وَصَلُّوا بَعْضُكُمْ لأَجْلِ بَعْضٍ، حَتَّى تُشْفَوْا. إِنَّ الصَّلاَةَ الْحَارَّةَ الَّتِي يَرْفَعُهَا الْبَارُّ لَهَا فَعَّالِيَّةٌ عَظِيمَةٌ)) ، وفي رسالة يوحنّا الأولى ١ : ٩ ((وَلكِنْ، إِنِ اعْتَرَفْنَا لله بِخَطَايَانَا، فَهُوَ جَدِيرٌ بِالثِّقَة وَعَادِلٌ، يَغْفِرُ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ)) ، وفي إنجيل لوقا ٥ : ١٤ ((...فَأَوْصَاهُ: «لاَ تُخْبِرْ أَحَداً، بَلِ اذْهَبْ وَاعْرِضْ نَفْسَكَ عَلَى الْكَاهِنِ، وَقَدِّمْ لِقَاءَ تَطْهِيرِكَ مَا أَمَرَ بِهِ مُوسَى، فَيَكُونَ ذلِكَ شَهَادَةً لَهُمْ)) ، و١٧ : ١٤ ــ ١٦ ((فَرَآهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ: «اذْهَبُوا وَاعْرِضُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الْكَهَنَةِ!» وَفِيمَا كَانُوا ذَاهِبِينَ، طَهُرُوا ، فَلَمَّا رَأَى وَاحِدٌ مِنْهُمْ أَنَّهُ قَدْ طَهَرَ، عَادَ وَهُوَ يُمَجِّدُ اللهَ بِصَوْتٍ عَالٍ، وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ عِنْدَ قَدَمَيْهِ مُقَدِّماً لَهُ الشُّكْرَ)) .

[4]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٤٢٣ .

[5]) التعليم المسيحي الكاثوليكي ((المسيحيّة في عقائدها)) ، ص ٤١٨ .

الاعتراف المنتظم بخطايانا العرضيّة يساعدنا في تهذيب ضميرنا ، ومكافحة ميولنا الرديئة ، والتماس البُرء من المسيح ، والتقدّم في حياة الروح))[١] .

ثُمَّ هناك عندهم ما يُسمّى بثمرة التوبة ، والتي يُؤتيها ويهبُها روحُ القدس ، وهو الدليل عليها ، وتُعرف هذه الثمرة ((بالتعويض))[٢] ، أو ((بالكفّارة)) ، والتي تُعلّم الكنيسة فيها ، أنّه يجب على الكاهن المعرّف أن يفرضها على التائب بعد أن يُراعي وضعه ، ويتوخّى مصلحته الروحيّة ، وتتناسب قدر الإمكان مع خطورة الخطايا المرتكبة وطبيعتها، فقد تكون صلاة ، أو قياما بأعمال روحيّة ، أو خدمة للقريب ، أو تقشفات طوعيّة ، أو تضحيات ...[٣] ، ثُمّ أن هذه الثمرة عند الكنيسة يجب أن تُصحّح قدر الإمكان وبالطريقة الملائمة ، الضرر الذي ألحقتهُ الخطيئة أو الشكّ الذي أثارته (مثلاً بإعادة الشيء المسروق ، وإرجاع الصيت الحسن للآخرين)[٤] .

وذُكرت هذه المسألة في وثيقة من وثائق المجمع التريدنتيني (المسكوني التاسع عشر) في الجلسة الرابعة عشر منه ، في ٢٥ تشرين الثاني ١٥٥١م ، تحت مُسمَّى ((تعليم في سرِّ التوبة)) في الفصل الثامن ((ضرورة الكفّارة وثمرتها)) ، ومِمّا جاء فيها : ((... ومن الموافق أن لا تغفرَ الرحمةُ الإلهيةُ خطايانا بدون أيّ كفّارة ... فلا شك أنّ هذه العقوبات التكفيريّة تُبعد جدّاً عن الخطيئة ، وتُكبّح كالمكابح ، وتجعل التائبين أشدّ فطنة واحتياطاً في المستقبل ؛ إنّها ايضاً علاجٌ لمخلّفات الخطيئة ...))[٥] .

وجاء في التعليم الكنسي الكاثوليكي، أنّ هناك ثلاث صيغ ممكنة للاحتفال بسرّ التوبة:

الصيغة الأولى : الاحتفال بالمصالحة للأفراد، وفيها تُمنح الحلّة من قبل الكاهن للتائب، والمُسمَّاه بالحلّة الفرديّة ، وصيغتها : ((أحلّك من خطايك ، باسم الآب والابن والروح القدس)) .

---

[١]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٣٩ .

[٢]) التعليم المسيحي الكاثوليكي ((المسيحية في عقائدها)) ، ص ٤١٩ .

[٣]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٤٠ .

[٤]) التعليم المسيحي الكاثوليكي ((المسيحيّة في عقائدها)) ، ص ٤١٩ .

[٥]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٤٢٨ .

الصيغة الثانيّة : الاحتفال الاجتماعيّ بالمصالحة مقروناً بالإقرار الفرديّ والحلّة الفرديّة .

الصيغة الثالثة : الاحتفال الاجتماعيّ بالمصالحة مقروناً بالاعتراف الجماعيّ والحلّة الجماعيّة[1] ، وهذه الصيغة يُلجأ إليها في أوقات الحاجة الماسّة « وتطرأ في حال خطر موت داهم لا يتيح للكاهن أو للكهنة ما يكفي من الوقت للاستماع إلى اعتراف كلّ تائب بمفرده « وأيضاً عندما لا يتوفّر عدد المعرّفين لتلبية جمهور التائبين ، والاستماع ، بالطريقة المفروضة ، إلى اعترافاتهم الفرديّة في وقت معقول [2].

---

[1]) التعليم المسيحي الكاثوليكي ((المسيحيّة في عقائدها)) ، ص ٤٢٠ .

[2]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٤٦ .

المبحث الخامس : سرّ مسحة المرضى .

وهو السرّ الثاني ، من أسرار المجموعة الثانية ، المسمّاه ((أسرار الشفاء)) ، والتي تتكون من سرّين ، وهما : سرّ التوبة ، وسرّ مسحة المرضى .

ومن تعاليم الكنيسة في شأن هذا السرّ ((بالمسحة المُقدّسة المقرونة بصلاة الكهنة ، الكنيسة كُلّها تشفع بالمرضى لدى الربّ الذي تألّم وتمجّد ليعزّيهم ويخلّصهم ، وتحثّهم على أفضل من ذلك : أن يشتركوا اشتراكاً طوعيّاً في آلام المسيح وموته ، فيؤدّوا بذلك قسطهم في ما يعود على شعب الله بالخير))[1] .

وتعتقد الكنيسة أنّ أفضل وسيلة أسراريّة للعناية بخلاص المرضى ، هي : سرّ مسحة المرضى[2] ، وأنّ ((الكنيسة تؤمن وتعترف بوجود سرّ من الأسرار السبعة ، يهدف خصوصاً إلى مساندة المبتلين بالمرض ، وهو مسحة المرضى))[3] .

ومِمّا جاء في وثائق الكنيسة الكاثوليكية من الإيمان والاعتراف بهذا السرّ :

في عهد البابا لاون الرابع (١٠ نيسان ٨٤٧ ــ ١٧ تمّوز ٨٥٥م)، في مجمع بافيه، عام ٨٥٠م ، بعنوان ((سرّ مسحة المرضى)) ، ومِمّا جاء فيها : ((هذا السرُّ الخلاصي ... يجب أن تعرفه الشعوب بكرازة حكيمة ، فهو سرٌّ عظيم ومرغوب كثيراً . إذا التُمِس في الإيمان ، تُغفر به الخطايا ، وبعدها أيضاً تثوب الصحة الجسديّة))[4] .

وكذلك في وثيقة من وثائق المجمع التريدنتيني (المسكوني التاسع عشر) في الجلسة الرابعة عشر منه ، في ٢٥ تشرين الثاني ١٥٥١م ، تحت مُسمًّى ((تعليم في سرّ مسحة المرضى)) في (التمهيد) ، ومِمّا جاء فيها : ((لقد استحسن المجمعُ المقدّس أن يُضيف إلى التعليم السابق في التوبة ما يلي في موضوع سرّ مسحة المرضى، الذي رأى الآباء أنّه إتمامٌ، ليس لسرّ التوبة وحسب، بل لكلّ الحياة المسيحيّة أيضاً، التي يجب أن تكون توبةً

---

[1]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٤٦ .

[2]) التعليم المسيحي الكاثوليكي ((المسيحيّة في عقائدها)) ، ص ٤٢٥ .

[3]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٥٢ .

[4]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٢١٩ .

متواصلة))[١] .

أهمّيّة سرّ مسحة المرضى عند النصارى :

في اعتقاد الكنيسة أن سرّ مسحة المرضى تكمن أهمّيّته في أُمور عديدة :

أ) أنّه موهبة وعطيّة خاصة من الروح القدس : للتغلب على الصعاب التي تلازم حالة المرض الثقيل أو وهن الشيخوخة ، وتُجدِّد الثقة والإيمان بثالوثهم المقدس، وتقوّي النفس في مواجهة وساوس الشيطان واجتذاب النفس إلى اليأس والجزع والموت، وشفاء نفس المريض، وشفاء جسده أيضاً إذا كانت تلك مشيئة ربّهم ((وإن كان قد اقترف خطايا، تُغْفر له))[٢] .

جاء ذلك في وثيقة من وثائق المجمع التريدنتيني (المسكوني التاسع عشر) في الجلسة الرابعة عشر منه ، في ٢٥ تشرين الثاني ١٥٥١م ، تحت مُسمًّى ((تعليم في سرِّ مسحة المرضى)) في (الفصل الأول) ، ومِمّا جاء فيها : ((... فالحقيقة هي نعمةُ الروح القدس هذه التي تمحو مسحتُها الخطايا ، كما تمحو عواقب الخطايا ، وهي تُريح وتُقوّي نفسَ المريض باعثة فيه الثقة في الرحمة الإلهيّة))[٣] .

ب) الاتّحاد بآلام المسيح : فهذا السرّ يُعطي المريض من القوة والموهبة ما يُمكّنه من الاتحاد بآلام المسيح اتّحاداً أوثق .

جاء في وثيقة من وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني (المسكوني الحادي والعشرون) ١١ تشرين الأوّل ١٩٦٢ـــ ٨ كانون الأوّل ١٩٦٥م، في الجلسة الخامسة العلنيّة، ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٤، تحت عنوان ((دستور عقائدي في الكنيسة))، في الفصل الثاني، بعنوان ((شعبُ الله)) ، وتحت عنوان فرعي منه ((ممارسة الكهنوت المُشترك في الأسرار)) ، ومِمّا جاء فيها : ((... وأمّا بالمسحة المقدّسةِ المقرونة بصلاة الكهنة فالكنيسة بأسرها تشفعُ في المرضى لدى الربِّ المتألّم والمُمجَّدِ ، لِيعزّيَهم ويُخلّصهم [رسالة يعقوب ٥ : ١٤ ـــ ١٦] ؛ وإلى ذلك تحرّضهم على الإسهام بالاشتراك التلقائي في آلآم المسيح وموته

---

[١]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٤٢٩ .

[٢]) رسالة يعقوب ٥ : ١٥ .

[٣]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٤٣٠ .

[رسالة بولس إلى أهل روميّة ٨: ١٧، رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس ٢: ١١ــ١٢، رسالة بطرس الأولى ٤ : ١٣] ...))[1] .

ج) تأهب للعبور الأخير : يُسمّى هذا السرّ ((بسرّ المتنقلين ، أو المائتين)) ، فهو على اعتقاد الكنيسة : يمنح حُجّة ، للمشرفين على التروح من هذه الحياة .

جاء ذلك في وثيقة من وثائق المجمع التريدنتيني (المسكوني التاسع عشر) في الجلسة الرابعة عشر منه ، في ٢٥ تشرين الثاني ١٥٥١م ، تحت مُسمّى ((تعليم في سرّ مسحة المرضى)) في (الفصل الثالث) ، وممّا جاء فيها : ((... ومن المُقرّر أيضاً أن تُعطى هذه المسحة للمرضى ، ولاسيّما أولئك الذين هم في خطر شديد يُنذر بنهاية الحياة ؛ ولهذا دُعي هذا السرُّ أيضاً بسرّ المائتين))[2] .

جاء في تعليم الكنيسة في هذه الأهميّة ((إنّ مسحة المرضى تُتمّ شَبَهَنا بموت المسيح وقيامته ، كما ابتدأت المعموديّة بذلك ، وتُتوّج المسحات المُقدّسة التي تتخلّل مختلف مراحل الحياة المسيحيّة : فمسحة المعموديّة تُثبّت فينا الحياة الجديدة ، ومسحة التثبيت أو الميرون تقوّينا في جهاد هذه الحياة . وأمّا المسحة الأخيرة فتُحصّن نهاية حياتنا الأرضيّة بسور متين ، تأهّباً للصراعات الأخيرة قبل دخولنا بيت الآب))[3] .

أساس سرّ مسحة المرضى :

يرتكز سرّ مسحة المرضى ، كما تعتقد الكنيسة ، على موقف ربِّهم يسوع ــ عيسى عليه السلام ــ الشامل من المرضى .

جاء ذلك في وثيقة من وثائق المجمع التريدنتيني (المسكوني التاسع عشر) في الجلسة الرابعة عشر منه ، في ٢٥ تشرين الثاني ١٥٥١م ، تحت مُسمّى ((تعليم في سرّ مسحة المرضى)) في (الفصل الأول) ، وممّا جاء فيها : ((هذه المسحةُ المقدّسة للمرضى وضعها سيّدنا المسيح سرّاً حقيقيّاً من أسرار العهد الجديد [مرقس٦ : ٧ ــ ١٣]))[4].

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ٢ / ٩٣٥ .

[2]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٤٣١ .

[3]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٥٥ ــ ٤٥٦ .

[4]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٤٣٠ .

ومما جاء من تعليم الكنيسة في ذلك : ((شفقة المسيح على الأرض وشفاؤه كثيرين بعلل من كُلّ نوع[١] ، هما الدليل الساطع على أنّ الله قد افتقد شعبه [لوقــا ٧ : ١٦] ، وأنّ ملكوت الله قد أضحى قريباً جداً . ولم يكن يسوع ليملك سُلطان الشفاء وحسب ، بل سلطان مغفرة الخطايا أيضاً[٢] ، لقد جاء ليبرئ الإنسان كلّه ، جسداً وروحــاً ، إنّــه الطبيب الذي يحتاجه المرضى[٣] . وقد أوغلت به شفقته على كل المعذبين إلى حدّ التماهي وإيّاهم ((كنتُ مريضاً فعدتموني)) [متى ٢٥ : ٣٦] . هذه المحبة التي آثر بها الــسُّقماء ما زالت توقظ لدى المسيحيين ، عبر الأجيال، تنبّهاً خاصاً لجميع المُعذبين جسماً وروحاً ، وهي مصدر الجهود المتواصلة للتخفيف عنهم .

وكثــيراً مــا كان يســوع يطلب الإيمان مــن المرضى[٤] ، ويستــعين بوســائل

---

[١]) جاء في إنجيل متى ٤ : ٢٣ ــ ٢٥ : ((وَكَانَ يَسُوعُ يَتَنَقَّلُ فِي مِنْطَقَةِ الْجَلِيلِ كُلِّهَا، يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِ الْيَهُودِ، وَيُنَادِي بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ، وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَعِلَّةٍ فِي الشَّعْبِ، فَذَاعَ صِيتُهُ فِي سُورِيَّةَ كُلِّهَا. فَحَمَلَ إِلَيْهِ النَّاسُ مَرْضَاهُمُ الْمُعَانِينَ مِنَ الأَمْرَاضِ وَالأَوْجَاعِ عَلَى اخْتِلاَفِهَا، وَالْمَسْكُونِينَ بِالشَّيَاطِينِ، وَالْمَصْرُوعِينَ، وَالْمَشْلُولِينَ، فَشَفَاهُمْ جَمِيعاً . فَتَبِعَتْهُ جُمُوعٌ كَبِيرَةٌ مِنْ مَنَاطِقِ الْجَلِيلِ ، وَالْمُدُنِ الْعَشْرِ ، وَأُورُشَلِيمَ ، وَالْيَهُودِيَّةِ ، وَمَا وَرَاءَ الأُرْدُنِّ)) .

[٢]) مرقس ٢ : ٥ ــ ١٢ : ((فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيمَانَهُمْ، قَالَ لِلْمَشْلُولِ: «يَابُنَيَّ، قَدْ غُفِرَتْ لَكَ خَطَايَاكَ!» وَكَانَ بَيْنَ الْجَالِسِينَ بَعْضُ الْكَتَبَةِ، فَأَخَذُوا يُفَكِّرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ: «لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ هَذَا الرَّجُلُ هَكَذَا؟ إِنَّهُ يُجَدِّفُ! مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ؟» وَفِي الْحَالِ أَدْرَكَ يَسُوعُ بِرُوحِهِ مَا يُفَكِّرُونَ فِيهِ فِي قُلُوبِهِمْ، فَسَأَلَهُمْ: «لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِهَذَا الأَمْرِ فِي قُلُوبِكُمْ؟ أَيُّ الأَمْرَيْنِ أَسْهَلُ أَنْ يُقَالَ لِلْمَشْلُولِ: قَدْ غُفِرَتْ لَكَ خَطَايَاكَ، أَوْ أَنْ يُقَالَ لَهُ: قُمِ احْمِلْ فِرَاشَكَ وَامْشِ؟ وَلكِنِّي قُلْتُ ذلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ لابْنِ الإِنْسَانِ عَلَى الأَرْضِ سُلْطَةَ غُفْرَانِ الْخَطَايَا». ثُمَّ قَالَ لِلْمَشْلُولِ: «لَكَ أَقُولُ: قُمِ احْمِلْ فِرَاشَكَ، وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ!» فَقَامَ فِي الْحَالِ، وَحَمَلَ فِرَاشَهُ، وَمَشَى أَمَامَ الْجَمِيعِ. فَذُهِلُوا جَمِيعاً وَعَظَّمُوا اللهَ قَائِلِينَ: «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هَذَا قَطُّ»)) .

[٣]) مرقس ٢ : ١٧ ((فَسَمِعَ يَسُوعُ، وَأَجَابَ: «لَيْسَ الأَصِحَّاءُ هُمُ الْمُحْتَاجُونَ إِلَى الطَّبِيبِ، بَلِ الْمَرْضَى. مَا جِئْتُ لأَدْعُوَ أَبْرَاراً بَلْ خَاطِئِينَ »)) .

[٤]) مرقس ٥ : ٣٤ ــ ٣٦ ((فَقَالَ لَهَا: «يَاابْنَةُ، إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ. فَاذْهَبِي بِسَلاَمٍ وَتَعَافَيْ مِنْ عِلَّتِكِ» وَبَيْنَمَا يَسُوعُ يَتَكَلَّمُ، جَاءَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَيْتِ رَئِيسِ الْمَجْمَعِ قَائِلِينَ: «ابْنَتُكَ قَدْ مَاتَتْ. فَلِمَاذَا تُكَلِّفُ الْمُعَلِّمَ بَعْــدُ؟» وَلكِنَّ يَسُوعَ، مَا إِنْ سَمِعَ بِذلِكَ الْخَبَرِ، حَتَّى قَالَ لِرَئِيسِ الْمَجْمَعِ: «لاَ تَخَفْ؛ آمِنْ فَقَطْ!»)) ، وأيضاً ٩ : ٢٣ ((٢٣فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «بَلْ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ تَقْدِرُ أَنْ تُؤْمِنَ، فَكُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَدَى الْمُؤْمِنِ!»)) .

حسيّة للشفاء : الريق ووضع اليدين[١] ، والطين والغسل[٢] . وكان المرضى يُحـاولون أن يلمسوه[٣] ، ((لأن قوة كانت تخرج منه وتُبرئ الجميع)) [لوقا ٦ : ١٩] . هكـذا لا يزال المسيح يمسّنا بواسطة الأسرار ليشفينا))[٤] .

ثُمّ أنّ يسوع انتدب تلامذته ليحملوا هذا السر من بعده، وذلك بعد قيامته بعد صلبه ، على حسب ما تعتقد الكنيسة، ((وينتدبهم الربّ ثانية، من بعد قيامته، لهذه الرسـالة : ((وهذه الآيات تتبع المؤمنين ... باسمي ... يضعون أيديهم على المرضـى فيـبرأون))[٥]، ويثبتها بالآيات التي تصنعها الكنيسة باستدعاء اسمه[٦]))[٧] .

وتعتقد الكنيسة أنّها الوريثة الحقيقة لهذه السرّ من ربّها يسوع ، خاصة مع قوله الذي

---

[١]) مرقس ٧ : ٣٢ ــ ٣٦ ((٣٢فَأَحْضَرُوا إِلَيْهِ أَصَمَّ مَعْقُودَ اللِّسَانِ، وَتَوَسَّلُوا إِلَيْهِ أَنْ يَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ. ٣٣فَانْفَرَدَ بِهِ بَعِيداً عَنِ الْجَمْعِ. وَوَضَعَ إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيِ الرَّجُلِ، ثُمَّ تَفَلَ وَلَمَسَ لِسَانَهُ، ٣٤وَرَفَعَ نَظَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَتَنَهَّدَ وَقَالَ لَهُ: «إِفَّـثَا!» أَيِ انْفَتِحْ. ٣٥وَفِي الْحَالِ انْفَتَحَتْ أُذُنَاهُ وَانْحَلَّتْ عُقْدَةُ لِسَانِهِ، وَتَكَلَّمَ بِطَلاَقَةٍ. ٣٦وَأَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يُخْبِرُوا أَحَداً بِذلِكَ. وَلَكِـنْ كُلَّمَا أَوْصَاهُمْ أَكْثَرَ، كَانُوا يُكْثِرُونَ مِنْ إِعْلاَنِ الْخَبَرِ)) ، ٨ : ٢٢ ــ ٢٥ : ((٢٢وَجَاءُوا إِلَى بَلْدَةِ بَيْتِ صَـيْدَا، فَأَحْـضَرَ بَعْضُهُمْ إِلَيْهِ أَعْمَى وَتَوَسَّلُوا إِلَيْهِ أَنْ يَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ. ٢٣فَأَمْسَكَ بِيَدِ الأَعْمَى وَاقْتَادَهُ إِلَى خَارِجِ الْقَرْيَةِ، وَبَعْدَمَا تَفَلَ عَلَى عَيْنَيْهِ، وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ وَسَأَلَهُ: «هَلْ تَرَى شَيْئاً؟» ٢٤فَتَطَلَّعَ، وَقَالَ: «أَرَى أُنَاساً، كَأَنَّهُمْ أَشْجَارٌ، يَمْشُونَ». ٢٥فَوَضَعَ يَدَيْهِ ثَانِيَـةً عَلَى عَيْنَيْهِ، فَتَطَلَّعَ بِانْتِبَاهٍ، وَعَادَ صَحِيحاً يَرَى كُلَّ شَيْءٍ وَاضِحاً)) .

[٢]) يوحنّا ٩ : ٦ ــ ١٥ : ((قَالَ هَذَا، وَتَفَلَ فِي التُّرَابِ، وَجَبَلَ مِنَ التُّفْلِ طِيناً، ثُمَّ وَضَعَهُ عَلَى عَيْنَيِ الأَعْمَى، وَقَالَ لَهُ: «اذْهَبِ اغْتَسِلْ فِي بِرْكَةِ سِلْوَامَ» (أَيِ الرَّسُولِ). فَذَهَبَ وَاغْتَسَلَ وَعَادَ بَصِيراً .
فَتَسَاءَلَ الْجِيرَانُ وَالَّذِينَ كَانُوا يَرَوْنَهُ مِنْ قَبْلُ يَسْتَعْطِي: «أَلَيْسَ هَذَا هُوَ نَفْسَهُ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ لِيَسْتَعْطِيَ؟» قَالَ بَعْضُهُمْ: «هَذَا هُوَ». وَآخَرُونَ: «لاَ ... وَلكِنَّهُ يُشْبِهُهُ!» أَمَّا هُوَ فَرَدَّ قَائِلاً: «بَلْ أَنَا هُوَ!» فَقَالُوا لَهُ: «وَكَيْفَ انْفَتَحَتْ عَيْنَاكَ؟» أَجَابَ: «الرَّجُلُ الَّذِي اسْمُهُ يَسُوعُ جَبَلَ طِيناً دَهَنَ بِهِ عَيْنَيَّ، وَقَالَ لِيَ: اذْهَبْ إِلَى بِرْكَةِ سِلْوَامَ وَاغْتَسِلْ فِيهَا. فَذَهَبْتُ وَاغْتَسَلْتُ فَأَبْصَرْتُ!» فَسَأَلُوهُ: «وَأَيْنَ هُوَ الآنَ؟» فَقَالَ: «لاَ أَعْرِفُ »
فَذَهَبُوا بِالرَّجُلِ الَّذِي كَانَ أَعْمَى إِلَى الْفَرِّيسِيِّينَ. وَكَانَ الْيَوْمُ الَّذِي جَبَلَ فِيهِ يَسُوعُ الطِّينَ وَفَتَحَ عَيْنَيِ الأَعْمَى، يَوْمَ سَبْتٍ. فَسَأَلَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ أَيْضاً كَيْفَ أَبْصَرَ. فَأَجَابَ: «وَضَعَ طِيناً عَلَى عَيْنَيَّ، وَاغْتَسَلْتُ، وَهَا أَنَا أُبْصِرُ!» .

[٣]) مرقس ٣ : ١٠ ((١٠لأَنَّهُ كَانَ قَدْ شَفَى كَثِيرِينَ، فَصَارَ كُلُّ مَنْ بِهِ مَرَضٌ يُسَارِعُ إِلَيْهِ لِيَلْمِـسَهُ)) ، مـرقس ٦ : ٥٦ ((٥٦وَأَيْنَمَا دَخَلَ، إِلَى الْقُرَى أَوِ الْمُدُنِ أَوِ الْمَزَارِعِ، وَضَعُوا الْمَرْضَى فِي السَّاحَاتِ الْعَامَّةِ، مُتَوَسِّلِينَ إِلَيْهِ أَنْ يَلْمِـسُوا وَلَـوْ طَرَفَ رِدَائِهِ. فَكَانَ كُلُّ مَنْ يَلْمِسُهُ يُشْفَى)) .

[٤]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٥٠ ، ٤٥١ .

[٥]) مرقس ١٦ : ١٧ ــ ١٨ .

[٦]) أعمال الرسل ٩ : ٣٤ ؛ ١٤ : ٣ .

[٧]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤١٥ .

ذكره متى في إنجيله ((اشفوا مرضى))[١] ، ورسالة يعقوب في الحث على ذلك أيضاً ، وفيها : ((وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً، فَلْيَسْتَدْعِ شُيُوخَ الْكَنِيسَةِ لِيُصَلُّوا مِنْ أَجْلِهِ وَيَدْهُنُوهُ بِزَيْتٍ بِاسْمِ الرَّبِّ. فَالصَّلاَةُ الْمَرْفُوعَةُ بِإِيمَانٍ تَشْفِي الْمَرِيضَ، إِذْ يُعِيدُ الرَّبُّ إِلَيْهِ الصِّحَّةَ. وَإِنْ كَانَ مَرَضُهُ بِسَبَبِ خَطِيئَةٍ مَا، يَغْفِرُهَا الرَّبُّ لَهُ))[٢] .

لذلك جاء في تعليم الكنيسة : ((هذه المُهمّة ، تلقّتها الكنيسة من الربّ وتسعى إلى تحقيقها بكلّ ما توفّره للمرضى من وسائل العناية ، وما ترافقهم به من أدعية وتشفّعات . إنّها تؤمن بحضور المسيح الحيّ ، طبيب النفوس والأجساد . هذا الحضور يفعل فعله بطريقة خاصة عبر الأسرار ، وخصوصاً عبر الإفخارستيّا ، وهي الخبز الذي يُعطي الحياة الأبديّة [٣] ، والذي يُلمح القديس بولس إلى علاقته بالصحّة البدنيّة[٤]))[٥] .

لمن يُعطى سرّ مسحة المرضى ؟

جاء في تعليم الكنيسة ، أنّ ((الذين يُعطَون هذا السرّ هم المؤمنون الذين يوجدون، بسبب مرض ثقيل ، أو الضعف الناتج عن الشيخوخة ، في وضع صحّيّ يبدأ بتهديد حياتهم))[٦] ، و ((أخذت الكنيسة تقصر مسحة المرضى، أكثر فأكثر، على المشرفين على الموت . سُمّيت (بالمسحة الأخيرة) ، ولكن الليترجيّا، بالرغم من هذا التطوّر، لم تكفّ يوماً عن الصلاة إلى الربّ ليردّ إلى المريض عافيته، إذا كان ذلك مفيداً لخلاصه))[٧] .

---

[١]) متى ١٠ : ٨ .

[٢]) رسالة يعقوب ٥ : ١٤ ـــ ١٥ .

[٣]) يوحنّا ٦ : ٥٤ ـــ ٥٨ ((مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي، فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ، لأَنَّ جَسَدِي هُوَ الطَّعَامُ الْحَقِيقِيُّ، وَدَمِي هُوَ الشَّرَابُ الْحَقِيقِيُّ. وَكُلُّ مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي، يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ. وَكَمَا أَنِّي أَحْيَا بِالآبِ الْحَيِّ الَّذِي أَرْسَلَنِي، فَكَذلِكَ يَحْيَا بِي مَنْ يَأْكُلُنِي. هَذَا هُوَ الْخُبْزُ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، وَهُوَ لَيْسَ كَالْمَنِّ الَّذِي أَكَلَهُ آبَاؤُكُمْ ثُمَّ مَاتُوا. فَالَّذِي يَأْكُلُ هَذَا الْخُبْزَ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ)) .

[٤]) رسالة بولس الأولى لأهل كورنثوس ١١ : ٣ .

[٥]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٥٢ .

[٦]) التعليم المسيحي الكاثوليكي ((المسيحيّة في عقائدها)) ، ص ٤٢٧ .

[٧]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٥٢ .

جاء في وثيقة من وثائق المجمع التريدنتيني (المسكوني التاسع عشر) في الجلسة الرابعة عشر منه، في ٢٥ تشرين الثاني ١٥٥١م، تحت مُسمًّى ((تعليم في سرِّ مسحة المرضى)) في (الفصل الثالث)، ((... ومن المُقرّر أيضاً أن تُعطى هذه المسحة للمرضى ، ولاسيّما أولئك الذين هم في خطر شديد يُنذر بنهاية الحياة))[1] .

أمّا بالنسبة لو استعاد المريض عافيته بعد قبوله سرّ المسحة ، فإنّ تعليم الكنيسة ، يُجيز له ((كُلّما جدَّ عليه مرض خطير، أن يقبل هذا السرّ ثانية. وحتى في غضون ذات المرض، يُمكن تكرار هذا السرّ إذا تفاقم المرض. ويتعيّن قبول سرّ المرضى قبل الإقبال على عمليّة جراحيّة خطيرة . ويصحّ هذا الإجراء نفسه للمسنّين الذين تتدهور صحّتهم))[2] .

كيفية القيام بسرِّ مسحة المرضى ؟ .

جاء في وثائق البابوية ((الدستور الرسولي)) في ((مسحة المرضى المقدسة)) الصادر في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٧٢ ، في أعقاب المجمع الفاتيكاني الثاني ، في عهد بابا روما بولس السادس (٢١ حزيران ١٩٦٣ ـــ ٦ آب ١٩٧٨م) ، قد قرّر اعتماد القواعد التالية ، في الطقس الروماني : ((يُمنح سرّ مسحة المرضى للمرضى المخطرين ، فيُدهَنون على جبهتهم ويديهم بزيت مبارك حسب الأصول ـــ زيت زيتون أو أيّ زيت آخر مستخرج من النبات ـــ مع القول مرّة واحدة : ((بهذه المسحة المقدّسة ، يشدّدك الربّ العظيم الرحمة بنعمة الروح القدس، ويُخلّصك وينهضك، بعد أن يُحرّرك من خطاياك))[3] .

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٤٣١ .

[2]) المرجع السابق ، ص ٤٥٣ .

[3]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ٤٥٣ .

وترى الكنيسة أنّ المسحة بالزيت يُمكن أن يكون لها في ذاتها معان كثيرة . وفي صدد ما نحن فيه ، كما أنّ الزيتُ في العهد القديم وسيلةً منتشرة انتشاراً واسعاً للعلاج والشفاء ، ولا يزال هذا حتّى في أيّامنا .

يسوعُ نفسه ، بقدر ما يمكننا أن نستخلص من الأناجيل ، لم يستعمل المسحةَ بالزيت ، بيد أنّه استخدمَ في بعض الأحيان ، رمزاً آخر ، إذ وضع على المرضى بعضاً من ريقه (مرقس ٧ : ٣٢ ـــ ٣٣ ؛ ٨ : ٢٣ ، يوحنّا ٩ : ٦) . ولكنّ تلاميذ يسوع استخدموا مسحَ المرضى بالزيت ، وذلك منذ حياتهم مع يسوع (مرقس ٦ : ١٣) . وعندما تبنّت الجماعات

ووردت الصيغة أيضاً بلفظ : ((فليغفر لك الربّ بهذه لمسحة المقدّسة جميع ما اقترفت . آمين)) وذلك في مرسوم المجمع المقدّس بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٠٦ ، في عهد البابا بيوس العاشر (٤ آب ١٩٠٣ ـــ ٢٠ آب ١٩١٤م)[1] .

وفي ((مادة مسحة المرضى)) ، جاء في عهد البابا غريغوريوس السادس عشر (٢ شباط ١٨٣١ ـــ ١ حزيران ١٨٤٦) ، في جواب المجمع المقدّس، ١٤ أيلول ١٨٤٢ : ((مقولة : يُمكن منح سرّ مسحة المرضى على وجه صحيح بزيت لم تُقدّسه بركة أسقف . إعلان المجمع المُقدّس : المقولة متهوّرة وقريبة من الضلال))[2] .

ثُمّ أن مسحة المرضى ، ككُلّ الأسرار ، يُحتفَل بها ليترجيًا وجماعيًا ، سواء أفي الأسرة أقيمت أم في المستشفى أم في الكنيسة، لمريض واحد أو لمجموعة من السقماء، وأن يُحتفل بها في إطار الافخارستيّا ، تذكار فصح الرب . ويمكن أن يسبق المسحة سرُّ التوبة ويعقبها سرّ الإفخارستيّا ((فاعتقاد الكنيسة أن سرّ الإفخارستيّا باعتباره سرّ فصح المسيح، يجب أن يكون آخر سرّ نقبله في ختام رحلتنا الأرضيّة، والزاد الذي يتيح لهم العبور إلى الحياة الأبديّة))[3] .

الكنسيّة الأولى هذا الاستعمال ، لم يكن قصدُها اللجوءَ إلى وسيلة عجيبة تعملُ بوجه سحريّ . فالمسحةُ بالزيت تقترنُ بالصلاة باسم الربّ ، وبذلك تدلُّ بوجه رمزيّ على خلاص المريض وإنهاضه من قبل الله . =

= أمّا حركة وضع اليد الرمزيّة، فإن الكنيسة ترى أن المسيح قد استخدمها مع المرضى (مرقس ٦ : ٥، متى ٨ : ٣ ، لوقا ٤ : ٤٠) . وعهد فيها أيضاً إلى تلاميذه (مرقس ١٦ : ١٨) ، وهؤلاء استخدموها بدورهم (أعمال الرسل ٩ : ١٢ ، ١٧ ، ٢٨ : ٨) . وترى أيضاً أن وضع اليد يمكن أن يكون له في ذاته معان كثيرة . أمّا في هذا السياق ، فبفعل كونه بادرةً إنسانيّة والتفاتةً مسيحيّة وعلامةَ مشاركة وتعزية وتشجيع ، هو عملُ بركة يصف الخلاصَ الذي يمنحه السرّ ، كما تعتقد الكنيسة . انظر : التعليم المسيحي الكاثوليكي ((المسيحيّة في عقائدها)) ، ص ٤٢٦ .

[1]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٧٢٩ .

[2]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٥٩٨ .

[3]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٥٤ .

المبحث السادس : سرّ الكهنوت .

سرّ الكهنوت ، هو السرّ الأول في مجموعة ((أسرار خدمة الشركة)) ، أمّا السرّ الثاني من هذه المجموعة ((سرّ الزواج)) ، فتعقد الكنيسة أنّهما يُساهمان أيضاً في خلاص الفرد النصراني ، ولكن من خلال خدمة الآخرين .

((سرّ الكهنوت)) :

سرّ الكهنوت في تعليم الكنيسة ((هو السرّ الذي يكفل استمرار الرسالة التي وكلها المسيح إلى تلاميذه حتى منتهى الأزمنة، فهو سرّ الخدمة الرسوليّة، ويتضمن ثلاث رُتَب : الأسقفيّة ، والكهنوت ، والشمّاسيّة ، وهو لا يُمنح إلا مرة واحدة ، كما هي الحال في المعموديّة والتثبيت ، لأنّه وسمٌ روحيٌّ لا يُبلى ، ولا يُمكن ، من ثمّ ، أن يتكرّر ، ولا أن يُمنَح بطريقة وقتيّة))[1] .

وجاء في وثيقة من وثائق المجمع التريدنتيني (المسكوني التاسع عشر) ـ الطويل ـ من ١٣ كانون الأوّل ١٥٤٥ ـ ٤ كانون الأوّل ١٥٦٣م ، وهي من وثائقه في عهد بابا روما بيوس الرابع (٢٥ كانون الأول ١٥٥٩ـ ٩ كانون الأول ١٥٦٥م) ، في الجلسة الثالثة والعشرين منه ، في ١٥ تّموز ١٥٦٣م، تحت مُسمّى ((تعليم وقوانين في سرّ الكهنوت)) ، في الفصل الثالث ((سرّيّة الكهنوت)) ، وممّا جاء فيه : ((بما أن شهادة الكتاب المُقدّس ، والتقليد الرسوليّ ، واتفاق الآباء تُظهِر بوضوح أن الرسامة المُقدّسة ، الممنوحة بكلماتٍ وعلاماتٍ خارجيّة تُعطي النعمة ، فليس لأحدٍ أن يشكَّ في أن الكهنوت هو في الحقيقة أحدُ أسرارِ الكنيسة المُقدّسة السَّبعة ، فالرسول بولس يقول : ((لا تُهْمِل الموهبةَ التي فيكَ المُعْطاةَ لك بالنبوّة مع وضع أيدي المشيخة))[2]، وقال أيضاً: ((أُذكِّرك أن تُضْرِمَ أيضاً موهبةَ الله التي فيكَ بِوضع يديَّ ، لأن الله لم يُعطِنا رُوحَ الفشلِ بل

---

[1]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٦٠ ، ٤٧٢ .

[2]) رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ٤ : ١٤ .

روحَ القوّةِ والمحبّةِ والنُّصحِ[1]))[2].

أهميّة سرّ الكهنوت عند النصارى :

١) أنّ سرّ الكهنوت في اعتقاد الكنيسة يجعل الكاهن على صورة ربّهم المسيح ، بنعمة خاصة من ربّهم الروح القدس ، ليصير أداة للمسيح لأجل كنيسته . بالرسامة يُصبح الكاهن أهلاً لأن يُمثّل المسيح رأس الكنيسة في وظائفه .

٢) سرّ الكهنوت يهبُ نعمةَ روح القدس للمُسام ، والتي من خلالها يستطيع ممارسة الواجبات المنوطة به ، وعلى رأسها الكرازة بالإنجيل[3] .

جاء في وثيقة من وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني (المسكوني الحادي والعشرون) ١١ تشرين الأوّل ١٩٦٢ــ ٨ كانون الأوّل ١٩٦٥م، في الجلسة الخامسة العلنيّة، ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٤، تحت عنوان ((دستور عقائدي في الكنيسة))، في الفصل الثاني، بعنوان ((شعبُ الله)) ، وتحت عنوان فرعي منه ((ممارسة الكهنوت المُشترك في الأسرار)) ، وممّا جاء فيها : ((... وأمّا الذين يتّشحُون، من المؤمنين، بكرامة الكهنوتِ المُقدّس فقد أُقيموا ليرعَوا الكنيسة بالكلمةِ ونعمةِ الله، باسم المسيح))[4] .

واضع سرّ الكهنوت في اعتقاد النصارى :

تعتقد الكنيسة أنّ واضع سرّ الكهنوت هو ربّها ومُخلّصها يسوع المسيح .

جاء في وثيقة من وثائق المجمع التريدنتيني (المسكوني التاسع عشر) ، في الجلسة الثالثة والعشرين منه ، في ١٥ تمّوز ١٥٦٣م، تحت مُسمّى ((تعليم وقوانين في سرّ الكهنوت)) ، في الفصل الأول ((إنشاء كهنوت جديد)) ، وممّا جاء فيه : ((... هذا الكهنوت أنشأه مُخلّصنا ، وللرُّسل ، وخلفائهم في الكهنوتِ أُعطيت سُلْطةُ تقديس جسده ودمه ، وتقديمهما ، ومَنْحهما ، سلطة حلّ الخطايا وربطها . هذا ما توضحه

---

[1]) رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس ١ : ٦ .

[2]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٤٤٦ .

[3]) المرجع السابق، ص٤٧٣ ، التعليم المسيحي الكاثوليكي ((المسيحيّة في عقائدها))، ص ٤٣٤، ٤٣٥ .

[4]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ٢ / ٩٣٥ .

الكتب المُقدّسة ، وما علّمه أبداً تقليدُ الكنيسة الكاثوليكيّة))[1] .

وجاء في وثيقة بابويّة في عهد بابا روما بيوس الثاني عشر (٢ آذار ١٩٣٩ ـــ ٩ تشرين الأول ١٩٥٨م) ، تحت عنوان ((الدستور الرسولي)) في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٤٧م ، بعنوان ((مادّة سرّ الكهنوت وصورته)) : ((إنّ سرّ الكهنوت، الذي أنشأه المسيح ربّنا، والذي يُنقل السلطان الروحي ، وتُمنح النعمة للقيام بطريقة نظامية بالمهام الكنسيّة ، تعترف الكنيسة الكاثوليكيّة بأنه واحد وانّه هو نفسه للكنيسة جمعاء))[2] .

الدرجات الثلاث في سرِّ الكهنوت :

إن ممارسة الخدمة بوسامة سرّ الكهنوت في الكنيسة الكاثوليكيّة موزّعة على درجات ثلاث : أساقفة ، وكهنة ، وشمامسة[3] .

جاء في وثيقة من وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني (المسكوني الحادي والعشرون) ، في الجلسة الخامسة العلنيّة، ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٤، تحت عنوان ((دستور عقائدي في الكنيسة))، في الفصل الثالث، بعنوان ((نظامُ السُّلطةِ في الكنيسةِ ولا سيّما الأسقفيّة))، وتحت عنوان فرعي منه ((الأساقفة خلفاء الرسل)) ، وممّا جاء فيها : ((... فهكذا إذن تسلَّمَ الأساقفةُ خِدمة الجماعة الراعويّة يُعاونُهم الكهنةُ والشمامسة، ويرئسون، بالنيابة عن الله، القطيعَ الذين هم رُعاتُه، بسلطة التعليم، وكهنوت العبادة المُقدّسة))[4].

والعقيدة الكاثوليكيّة تُقرّ أنّ ثمّة درجتين تُشاركان في خدمة كهنوت المسيح ، وهما : الأسقفيّة والكهنوت . وأمّا الرتبة الشمّاسيّة فتهدف إلى مُساعدتهما وخدمتهما ، ولذا فلفظة الكهنوت لا تنطبق ، في الاستعمال الراهن ، إلاّ على الأساقفة والكهنة ، لا على الشمامسة .

إلاّ أنّ العقيدة الكاثوليكيّة تُعلّم أنّ درجتَي المشاركة الكهنوتيّة (الأسقفيّة والكهنوتيّة) ودرجة الخدمة (الشمّاسيّة) ، تُمنح كلُّها بواسطة سرٍّ واحد هو ((سرّ الرسامة)) ، أو

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٤٤٥ .

[2]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ٢ / ٨٤٧ .

[3]) التعليم المسيحي الكاثوليكي ((المسيحيّة في عقائدها)) ، ص ٤٣٢ .

[4]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ٢ / ٩٤٣ .

سرّ الرتبة فجاء في تعليم الكنيسة : ((على الجميع أن يُجلّوا الشمامسةَ إجلالَهم للمسيح يسوع ، وكذلك الأسقفَ أيضاً الذي هو صورة الآب، والكهنة على أنّهم محفل الله ومجمع الرسل؛ بدونهم يتعذّر الكلام عن الكنيسة))[1] .

أولاً : السيامة الأسقفيّة (ملء سرّ الكهنوت) .

وظيفة الأُسقفيّة بشهادة التقليد الكنسي منذ أيّامه الأولى ، تحتلّ المرتبة الأولى بين الخدَم المختلفة التي تُمارَس في الكنيسة ، فترى الكنيسة أنّ الأساقفة بتسلسُلهم في خلافة متصلة من بداية العهد الكنسي ، فسائل ينتقل بها الزرع الرسولي ، كما جاء ذلك في وثيقة من وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني (المسكوني الحادي والعشرون) ١١ تشرين الأوّل ١٩٦٢ـــ ٨ كانون الأوّل ١٩٦٥م، في الجلسة الخامسة العلنيّة، ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٤، تحت عنوان ((دستور عقائدي في الكنيسة))، في الفصل الثالث، بعنوان ((نظامُ السُّلطةِ في الكنيسة ولا سيّما الأسقفيّة)) ، وتحت عنوان فرعي منه ((الأساقفة خلفاء الرُّسل))[2] .

ويُعلّم المجمع الفاتيكاني الثاني، أيضاً، أنّ السيامة الأسقفيّة تُعطي ملء سرّ الكهنوت، لأنّ الأساقفة يقومون ، كما في اعتقاد الكنيسة ، بطريقة ساميّة ومرئيّة ، مقام ربُّهم المسيح نفسهُ في كونه مُعلّماً وراعياً وحبْراً[3].

وفي كيْفيّة سيامة الأسقف : أن يضع أسقف روما الأكبر يده فوق رأس الأسقف الجديد ، ويتلو عليه بعض الكلمات ، وهذه عندهم ((صلاة التكريس))، وهي: ((أيّها الآب الذي يعرف القلوب ، هب خادِمكَ الذي اخترتَه للأُسقفيّة ، أن يرعى قطيعكَ المُقدَّس ويُمارِس لديكَ الكهنوت الأعظم بلا لوم ، ويخدِمك ليلاً ونهاراً . وليجعل وجهَكَ

---

[1]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٦٥ .

[2]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ٢ / ٩٤٣ .

[3]) وذلك في وثيقة من وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني (المسكوني الحادي والعشرون) ١١ تشرين الأوّل ١٩٦٢ـــ ٨ كانون الأوّل ١٩٦٥م، في الجلسة الخامسة العلنيّة، ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٤، تحت عنوان ((دستور عقائدي في الكنيسة))، في الفصل الثالث، بعنوان ((نظامُ السُّلطةِ في الكنيسة ولا سيّما الأسقفيّة)) ، وتحت عنوان فرعي منه ((الأساقفة خلفاء الرُّسل)) ، انظر : الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ٢ / ٩٤٤ .

دوماً متعطّفاً ويُقرِّب تقادمَ كنيستك المقدسة . ولتكن له ، بقوّة روح الكهنوت الأعظم ، سلطة العفو عن الخطايا ، بحسب وصيّتك ، وليوزِّع الوظائف حسب أمرك ، وليحلّ من كل قيد بقوّة السلطة التي أوليتَها رُسُلَك ، وليُرضِك بوداعته وعِفّة قلبه ، ويقدم لك طيّباً ذكيّاً ، بابنك يسوع المسيح)) .

وهناك صلاة افتتاحيّة لصلاة التكريس ، ولسيامة الأسقف ، ومن كلماتها : ((اللهمّ يا أبا ربّنا يسوع المسيح ... بدأتَ تُكوّن كنيستك طَوالَ زمن العهد القديم ، منذ البدء أعددتَ الشعب المُتحدِّر من إبراهيم ليكون شعباً مُقدّساً؛ لقد أقمتَ لهم رؤساء وكهنة، ودبّرتَ لهم دائماً من يقوم بخدمة مذبحك)) .

ثُمّ يُمسح رأس الأسقف الجديد بالميرون المقدّس ، ويوضع الإنجيل فوق رأسه ، ويُسلّم الشارات الأُسقفيّة (الخَاتم ، والتاج ، وعصا الرعاية) .

وهذه الطريقة في الرسامة كانت في لاهوت القرون الوسطى حيث يشترك في الرّسامة ، وضع الأيدي مع باقي الطقوس مثل تسليم الشارات ، ولكن تغيّرت طريقة الرسامة هذه في عهد البابا بيوس الثاني (٢ آذار ١٩٣٩ ــ ٩ تشرين الأول ١٩٥٨م) في دستور رسولي صادر في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٤٧م، بعنوان ((مادّة سرّ الكهنوت وصورته))، وذُكر فيه الاقتصار في الرسامة على وضع الأيدي مع صلاة مختصرة : ((... المادة في الرّسامة أو التكريس الأسقفي، هي وضع يدي الأسقف المكرِّس ... والمُقتضى لصحة الرّسامة هو التالي : "" أتمّ في عبدك كمال خدمتك ، وقدّس الذي تزين بحلل الشرف الأسمى بندى المسْحة السماويّة ""))[1] .

وفي سيامة الأسقف الجديد يشترك مع أسقف روما أكثر من أُسقف ، ثُمّ يتولّى تولية كاملة بصفته نائباً للمسيح شؤون الكنيسة الخاصة به التي وُكِلت إليه [2] .

ثانياً : رسامة الكهنة ((معاوني الأساقفة)) .

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ٢ / ٨٤٩٠ .

[2]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٦١ ، ٤٦٦ ، ٤٧٠ ، ٤٧٣ ، التعليم المسيحي الكاثوليكي ، ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ .

تعتقد الكنيسة أنّ وظيفة الأساقفة الرعائيّة انتقلت إلى الكهنة ، وإنّما بدرجة أقلّ ، فقد أقيم هؤلاء في الكهنوت أعواناً للأساقفة ، وبحكم اتحاد الكهنة بالدرجة الأسقفيّة ، فهم يشتركون مع الأساقفة في السلطة التي يبني ربّهم المسيح بها جسده ويُقدّسه ويسوسه، لذلك فإنّ كهنوت الكهنة يُعطى بواسطة سرٍّ خاص يَسِمُهُم بوَسْمٍ مميَّز ، بمسحة ربّهم الروح القدس ، فيُصيّرهم على شبه ربّهم المسيح بكونه الكاهن الأعظم ، ويُمكّنهم ذلك من العمل باسمه فيُكرّزوا بالإنجيل ، ويكونوا رعاة لأهل ملّتهم ، ويُقيموا لهم شعائرهم الدينيّة ، ولكنّهم لا يملكون مهمة الحبريّة العليا ، وهم أيضاً يخضعون للأساقفة في مُمارسة سُلْطتهم ، إلاّ إنّهم متّحدون معهم في الكرامة الكهنوتيّة ، كما ورد ذلك في وثيقة من وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني (المسكوني الحادي والعشرون) ١١ تشرين الأوّل ١٩٦٢ــ ٨ كانون الأوّل ١٩٦٥م، في الجلسة الخامسة العلنيّة، ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٤، تحت عنوان ((دستور عقائدي في الكنيسة))، في الفصل الثالث، بعنوان ((نظامُ السُّلطةِ في الكنيسة ولا سيّما الأسقفيّة)) ، وتحت عنوان فرعي منه ((الكهنة في علاقاتهم بالمسيح والأساقفة والشعب المسيحي))[1] .

وفي كيفيّة رسامة الكاهن : أن يضع الأسقف يده على رأس الكاهن الجديد ، ويقرأ صلاة التكريس الخاصة بتعيين الكهنة الجدد ، وهي : ((أيّها الربّ أملأ من ارتضيتَ أن ترفعه إلى الدرجة الكهنوتيّة ، من نعمة الروح القدس ، ليكون أهلاً لأن يقف ، بلا لوم ، أمام مذبحك ، ويُبشر بإنجيل ملكوتك ويُتِمَّ خدمة كلمة حقّكَ ، ويُقرِّب لك تقادم وذبائح روحيّة ، ويُجدد شعبك بغسل الميلاد الثاني ، فيلاقيَ إلهنا العظيم ومخلّصنا يسوع المسيح ، ابنك الوحيد ، في مجيئه الثاني ، وينالَ من لدن رحمتك التي لا حدّ لها ، مكافأة قيامه بمهامّ رتبته قياماً حسناً)) .

وهناك صلاة افتتاحيّة لرسامة الكهنة ، قبل صلاة التكريس ، ومن كلماتها : ((أيّها الرّب الآب القدوس ، لقد أقمت منذ زمن العهد القديم ، في شبه إيذان بالأسرار الآتية ، أحباراً عِظاماً يرعون شعبك ويتولّون قيادتهم ، ولكنّك اخترت أيضا رِجالاً آخرين

[1]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ٢ / ٩٥٣ ، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ٤٦٧ .

أشركتَهم في خدمتهم وساعدوهم في مُهمّتهم . وهكذا اخترتَ سبعين رجلاً مملوئين حكمة وأفرغت عليهم الروح الذي أعطيته لموسى ، وأشركت أبناء هارون في بَركة التكريس التي نالها أبوهم))[1] .

ثُمّ يُمسح بالزيت المقدّس ، وتُسلّم له الأواني المُقدّسة (الكأس والصينيّة)[2] .

وهذه الطريقة في الرسامة كانت في لاهوت القرون الوسطى حيث يشترك في الرّسامة ، وضع الأيدي مع باقي الطقوس مثل تسليم الأواني المقدّسة ، ولكن تغيّرت طريقة الرسامة هذه في عهد البابا بيوس الثاني (٢ آذار ١٩٣٩ ـــ ٩ تشرين الأول ١٩٥٨م) في دستور رسولي صادر في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٤٧م، بعنوان ((مادّة سرّ الكهنوت وصورته))، وذُكر فيه الاقتصار في الرسامة على وضع الأيدي مع صلاة مختصرة : ((وفي الرّسامة الكهنوتيّة ، المادة هي الوضع الأول ليدي الأسقف ... والمقتضى لصحة الرّسامة ، هو التالي "" نسألك أيّها الآب القدير ، امنح لعبدك الحاضر هنا كرامة الكهنوت . جدِّد في قلبه روح القداسة حتّى يحفظ خدمة الرّسامة الثانية التي نالها منك ، ويُعزّز بمثل سلوكه الأخلاق الحسنة))[3] .

و نظام الكنيسة في درجتي المشاركة الكهنوتيّة ((الأسقفيّة ، و الكهنوتيّة)) أنّ المُسام لا يكون لوحده ، بل ينضمُّ إلى جماعة .

فالأساقفة ، بسيامتهم ، ينضمّون إلى الخدمة الأسقفيّة ، إلى هيئة تضمّ جميع الأساقفة الذين هم على الشركة مع البابا وفي رعايته .

والكهنة ينضمّون إلى هيئة كهنة الأبرشيّة بإدارة الأسقف ، ولا يستطيع الكهنة ممارسة خدمتهم إلاّ بالاتحاد بالأسقف والشركة معه[4] .

ثالثاً : رسالة الشمامسة ((للخدمة)) .

---

[1]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٦٢ ، ٤٧٣ .

[2]) التعليم المسيحي الكاثوليكي ((المسيحيّة في عقائدها)) ، ص ٤٣٤ .

[3]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ٢ / ٨٤٩ ،

[4]) التعليم المسيحي الكاثوليكي ((المسيحيّة في عقائدها)) ، ص ٤٣٥ .

في الدرجة الدنيا من درجات الرُّتب المُقدّسة ؛ يوجد الشمامسة ، والذين رُسِموا لا بقصد الكهنوت بل بقصد الخدمة .

ويشترك الشمامسة اشتراكاً واضحاً في أعمال الكنيسة ، فمن صلاحيّاتهم أن يُعاونوا الأسقف والكهنة في إقامة أسرار الكنيسة ، ولا سيّما الاحتفال بالافخارستيا وتوزيعها ، وأن يحضروا عقد الزواج ويُباركوه ، ويُعلنوا الإنجيل ويعظوا ؛ ويرأسوا صلاة الجنازة ...، كما ورد ذلك في وثيقة من وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني (المسكوني الحادي والعشرون) ١١ تشرين الأوّل ١٩٦٢ــ ٨ كانون الأوّل ١٩٦٥م، في الجلسة الخامسة العلنيّــة، ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٤، تحت عنوان ((دستور عقائدي في الكنيسة))، في الفصل الثالــث، بعنوان ((نظامُ السُّلطةِ في الكنيسة ولا سيّما الأسقفيّة)) ، وتحت عنوان فرعي منــه ((الشمامسة)) [١] .

وفي كيْفيّة رسامة الشمّاس : يضع الأسقف يده على رأس الشمّاس الجديد ، ويُسلّم له كتاب الإنجيل [٢] .

وهذه الطريقة في الرسامة كانت في لاهوت القرون الوســطى حيــث يــشترك في الرّسامة ، وضع الأيدي مع باقي الطقوس مثل تسليم الأنجيل ، ولكن تغيّــرت طريقــة الرسامة هذه في عهد البابا بيوس الثاني (٢ آذار ١٩٣٩ ـــ ٩ تــشرين الأول ١٩٥٨م) في دستور رسولي صادر في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٤٧م، بعنوان ((مادّة ســرّ الكهنــوت وصورته))، وذُكر فيه الاقتصار في الرسامة على وضع الأيدي مع صلاة مختصرة : ((وفي الرّسامة الشمّاسيّة ، المادّة هي وضع يدي الأسقف ... والمقتضى لصحة الرّسامة ، هـــو ما يلي : "" نسألك أيّها السيّد ؛ أرسل إليه ، الروح القدس حتّى يتقوّى بمواهب نعمتك المُسبّعة الأشكال ليتمّ بأمانة خدمتك "")) [٣] .

المؤهلون لسرّ الكهنوت :

---

[١]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ٢ / ٩٥٥ ؛ التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٦٨ ـــ ٤٦٩ .

[٢]) التعليم المسيحي الكاثوليكي ((المسيحيّة في عقائدها)) ؛ ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ .

[٣]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ٢ / ٨٤٨ .

في الكنيسة الكاثوليكيّة ترتبط سيامة الأسقف والكاهن ، باستثناء الشمامسة ، باعتناق العزوبيّة ، وتُعبّر عنها : بالتزام الحياة من دون زواج وفي العفّة الكاملة ، وتعتقد الكنيسة أنّ ذلك لأجل ملكوت السموات[١] .

غير أنّ هذا لم يصبح نظاماً عاماً في الكنيسة الكاثوليكيّة إلاّ في القرن الحادي عشر الميلادي ، وقد تبنّى المجمع الفاتيكانيّ الثاني هذا النظام وأثبته .

فالعزوبة ، بحسب كلام المجمع ، تناسب الكهنوت من وجوه عديدة :

أ) فالعزوبة التي يختارها الكاهن هي من أجل ملكوت السموات .

ب) هي علامة مُميّزة للإقتداء بالمسيح ، الذي عاش هو نفسه في العزوبة .

ج) فيها التكرّس لخدمة يسوع المسيح وديانته بدون ما انقسام .

د) هي علامة بذل الذات الكامل من أجل ربّهم ومن يتبعهم في ديانتهم من النصارى، وعلامة على حياتهم الجديدة التي يؤمنون بها، والعالم الآتي الذي يعتقدون فيه[٢].

---

[١]) جاء في انجيل متى : في حوار بين يسوع وتلامذته ، وممّا جاء فيه : ((... فَقَالَ لَهُ تَلاَمِيذُهُ: «إِنْ كَانَتْ هَكَذَا حَالَةُ الزَّوْجِ مَعَ الزَّوْجَةِ، فَعَدَمُ الزَّوَاجِ أَفْضَلُ!» فَأَجَابَهُمْ: «هَذَا الْكَلاَمُ لاَ يَقْبَلُهُ الْجَمِيعُ، بَلِ الَّذِينَ أُنْعِمَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ. فَإِنَّ بَعْضَ الْخِصْيَانِ يُولَدُونَ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ خِصْيَاناً؛ وَبَعْضُهُمْ قَدْ خَصَاهُمُ النَّاسُ؛ وَغَيْرُهُمْ قَدْ خَصَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْ أَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ هَذَا، فَلْيَقْبَلْهُ)) .

وانظر أيضاً في الوثائق البابويّة التالية :

أ) وثيقة من وثائق المجمع التريدنتيني (المسكوني التاسع عشر) ــ الطويل ــ (١٣ كانون الأول١٥٤٥ ــ ٤ كانون الأول١٥٦٣م) ، في الجلسة الرابعة والعشرين ١١ تشرين الثاني ١٥٦٣م ، تحت عنوان (تعليم وقوانين في سرّ الزواج)، الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها،١ / ٤٥١ ،

ب) وثيقة في عهد البابا بيوس الثاني عشر (٢ آذار ١٩٣٩ ــ ٩ تشرين الأوّل ١٩٥٨م) في الدستور الرسولي بعنوان ((قيمة الزواج والبتوليّة)) بتاريخ ٢٥ آذار ١٩٥٤م ، الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ٢ / ٨٧٠ .

[٢]) التعليم المسيحي الكاثوليكي ((المسيحيّة في عقائدها)) ، ص ٤٣٦ ، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٧١ .

المبحث السابع : سرّ الزواج .

سرّ الزواج ، هو السرّ الثاني ، بعد سرّ الكهنوت في مجموعة ((أسرار خدمة الشركة)) ، فتعتقد الكنيسة أنّهما يُساهمان أيضاً في خلاص الفرد النصراني ، ولكن من خلال خدمة الآخرين .

((سرّ الزواج)) :

جاء في تعليم الكنيسة ، أنّ ((عهد الزواج الذي به تقوم بين رجل وامرأة شركة تشمل الحياة كلّها، وتهدف، من طبيعتها، إلى خير الزوجين وإلى إنجاب البنين وتربيتهم، قد رقّاه المسيح الربّ ، بين المعمّدين ، إلى كرامة سرّ))[1] .

جاء في وثيقة من وثائق المجمع التريدنتيني (المسكوني التاسع عشر) ــ الطويل ــ (١٣ كانون الأول ١٥٤٥ ــ ٤ كانون الأول ١٥٦٣م) ، في الجلسة الرابعة والعشرين ١١ تشرين الثاني ١٥٦٣م ، تحت عنوان (تعليم وقوانين في سرّ الزواج) ، وممّا جاء فيها : ((... بما أنّ الزّواج في العهد الإنجيليّ يتفوّق في النعمة ، بالمسيح ، على زوجات الناموس القديم ، فبحقٍّ علّمَ أبداً الآباء القدّيسون ، والمجامع ، وتقليد الكنيسة الجامعة ، أنّ من الواجب عدَّهُ من أسرار العهد الجديد))[2] .

وجاء أيضاً في الوثيقة نفسها : ((إذا قال أحدٌ بأنّ الزواج ليس في الحقيقة احدَ أسرار الناموس الإنجيليّ السّبعة التي أنشأها المسيح ربُّنا ، ولكنّه أمرٌ اختلقَهُ البشرُ ، وأنّه لا يمنح النعمة : فليكن محروماً)) .

والكنيسة تُولي أهمّيّة كُبرى لحضور يسوع المسيح حفلة زواج في قانا، وترى فيه تثبيتاً لجودة الزواج وإيذاناً بأنّ الزواج سوف يكون آية فعّالة من آيات حضور المسيح[3] .

---

[1]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٧٧ .

[2]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٤٤٩ .

[3]) انظر : إنجيل يوحنّا في ذكره لعرس قانا ٢ : ١ ــ ١١ : ((وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ كَانَ عُرْسٌ فِي قَانَا بِمِنْطَقَةِ الْجَلِيلِ، وَكَانَتْ هُنَاكَ أُمُّ يَسُوعَ. وَدُعِيَ إِلَى الْعُرْسِ أَيْضاً يَسُوعُ وَتَلاَمِيذُهُ. فَلَمَّا نَفِدَتِ الْخَمْرُ، قَالَتْ أُمُّ يَسُوعَ لَهُ:

أهميّة سرّ الزواج عند النصارى :

أ) أنّ الزواج ، هو من وضع الله الآب نفسه « فالدعوة إلى الزواج منقوشة في طبيعة الرجل والمرأة كما خرجا من يد الخالق » فهو ليس مؤسسة إنسانيّة محضة .

جاء في وثيقة بابويّة في عهد بابا روما بيوس الحادي عشر (٦ شباط ١٩٢٢ — ١٠ شباط ١٩٣٩م)، بعنوان ((الوضع الإلهي للزواج)) في ٣١ كانون الأول ١٩٣٠م، ما يلي : ((... أن الزواج لم يضعه البشر ولم يُحدِّدوه ، بل الله . وليس على يـد البشر، ولكن على يد صانع الطبيعة نفسه ومُحدِّد الطبيعة، المسيح الرَّب، جُعلت للزواج شرائعه، وثُبت ورُفع))[1] .

ب) ترى الكنيسة ، أنّه بحسب كرازة يسوع ، فإن الزواج ، هو من صـميم نظـام الخلق والخلاص ، معاً ، فيحذر بالعروسين أن يستعدّا للاحتفال لزفافهمـا بقبـول سـرّ التوبة .

فقد أراد يسوع — عروس الكنيسة ، و مُخلّص البشر ، كما تعتقد الكنيـسة — أن يُلاقي النصارى في سرِّ الزواج . فبه يُعطَون القوة ويتبادلوا الصفح ، ويحمل بعضهم أثقال بعض ، ويخضع بعضهم لبعض « كما جاء في رسالة بولس إلى أهل أفسس[2] .

«لَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ خَمْرٌ!» فَأَجَابَهَا: «مَا شَأْنُكِ بِي يَاامْرَأَةُ؟ سَاعَتِي لَمْ تَأْتِ بَعْدُ!» فَقَالَتْ أُمُّهُ لِلْخَدَمِ: «افْعَلُوا كُلَّ مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ». وَكَانَتْ هُنَاكَ سِتَّةُ أَجْرَانٍ حَجَرِيَّةٍ، يَسْتَعْمِلُ الْيَهُودُ مَاءَهَا لِلتَّطَهُّرِ، يَسَعُ الْوَاحِدُ مِنْهَا مَا بَيْنَ مِكْيَالَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةٍ (أَيْ مَا بَيْنَ ثَمَانِينَ إِلَى مِئَةٍ وَعِشْرِينَ لِتْراً). فَقَالَ يَسُوعُ لِلْخَدَمِ: «امْلأُوا الأَجْرَانَ مَاءً». فَمَلأُوهَا حَتَّى كَادَتْ-تَفِيضُ. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «وَالآنَ اغْرِفُوا مِنْهَا وَقَدِّمُوا إِلَى رَئِيسِ الْوَلِيمَةِ!» فَفَعَلُوا. وَلَمَّا ذَاقَ رَئِيسُ الْوَلِيمَةِ الْمَاءَ الَّذِي كَانَ قَدْ تَحَوَّلَ إِلَى خَمْرٍ، وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ مَصْدَرَهُ، أَمَّا الْخَدَمُ الَّذِينَ قَدَّمُوهُ فَكَانُوا يَعْرِفُونَ، اسْتَدْعَى الْعَرِيسَ، وَقَالَ لَهُ: «النَّاسُ جَمِيعاً يُقَدِّمُونَ الْخَمْرَ الْجَيِّدَةَ أَوَّلاً، وَبَعْدَ أَنْ يَسْكَرَ الضُّيُوفُ يُقَدِّمُونَ لَهُمْ مَا كَانَ دُونَهَا جُودَةً. أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ أَبْقَيْتَ الْخَمْرَ الْجَيِّدَةَ حَتَّى الآنَ » . هَذِهِ الْمُعْجِزَةُ هِيَ الآيَةُ الأُولَى الَّتِي أَجْرَاهَا يَسُوعُ فِي قَانَا بِالْجَلِيلِ، وَأَظْهَرَ مَجْدَهُ، فَآمَنَ بِهِ تَلاَمِيذُهُ)) انظر : التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، ص ٤٨٠ .

[1]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها » ٢ / ٧٩٣ .

[2]) ومن هذه الرسالة البولسيّة : ((لِذَلِكَ لاَ تَكُونُوا أَغْبِيَاءَ، بَلِ افْهَمُوا مَا هِيَ مَشِيئَةُ الرَّبِّ. لاَ تَسْكَرُوا بِـالْخَمْرِ، فَفِيهَا الْخَلاَعَةُ، وَإِنَّمَا امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ، مُحَدِّثِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَنَاشِيدَ رُوحِيَّةٍ، مُرَنِّمِينَ وَمُـرَتِّلِينَ بِقُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ؛ رَافِعِينَ الشُّكْرَ كُلَّ حِينٍ وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ لِلهِ وَالآبِ، بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ؛ خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ فِي مَخَافَةِ الْمَسِيحِ)) . إلى أهل أُفسس » : ١٧ — ٢١ .

جاء في وثيقة بابويّة في عهد بابا روما يوحنّا بولس الثاني (من ١٦ تشرين الأوّل ١٩٧٨ ــ ٢ أبريل ٢٠٠٥م)، سُمِّيت بالإرشاد الرسولي في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٨١م، تحت عنوان ((الزوجان شاهدان للخلاص)) ما يلي : ((... فالأزواج إذن « بالنسبة إلى الكنيسة ، تذكيرٌ مستمرٌّ بما حدث على الصليب . إنهم شهود أحدهم للآخر وللأولاد على الخلاص الذي يجعلهما السرُّ شريكين فيه . فالزواج، ككُلِّ سرّ، استذكار لحدث الخلاص ...))[1] .

ج) تصف الكنيسة عهد الزواج بين الرجل والمرأة على أنه صورة للعهد بين المسيح والكنيسة ، وذلك استناداً لقول بولس : ((أَيَّتُهَا الزَّوْجَاتُ، اخْضَعْنَ لأَزْوَاجِكُنَّ، كَمَا لِلرَّبِّ. فَإِنَّ الزَّوْجَ هُوَ رَأْسُ الزَّوْجَةِ كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً هُوَ رَأْسُ الْكَنِيسَةِ (جَسَدِهِ)، وَهُوَ نَفْسُهُ مُخَلِّصُ الْجَسَدِ. فَكَمَا أَنَّ الْكَنِيسَةَ قَدْ أُخْضِعَتْ لِلْمَسِيحِ، فَكَذلِكَ الزَّوْجَاتُ أَيْضاً لأَزْوَاجِهِنَّ، فِي كُلِّ شَيْءٍ. أَيُّهَا الأَزْوَاجُ، أَحِبُّوا زَوْجَاتِكُمْ مِثْلَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ الْكَنِيسَةَ وَبَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا، لِكَيْ يُقَدِّسَهَا مُطَهِّراً إِيَّاهَا بِغَسْلِ الْمَاءِ، بِالْكَلِمَةِ، حَتَّى يَزُفَّهَا إِلَى نَفْسِهِ كَنِيسَةً بَهِيَّةً لاَ يَشُوبُهَا عَيْبٌ أَوْ تَجَعُّدٌ أَوْ أَيَّةُ نَقِيصَةٍ مُشَابِهَةٍ بَلْ تَكُونُ مُقَدَّسَةً خَالِيَةً مِنَ الْعُيُوبِ. عَلَى هَذَا الْمِثَالِ يَجِبُ عَلَى الأَزْوَاجِ أَنْ يُحِبُّوا زَوْجَاتِهِمْ كَأَجْسَادِهِمْ. إِنَّ مَنْ يُحِبُّ زَوْجَتَهُ، يُحِبُّ نَفْسَهُ. فَلاَ أَحَدَ يُبْغِضُ جَسَدَهُ الْبَتَّةَ، بَلْ يُغَذِّيهِ وَيَعْتَنِي بِهِ، كَمَا يُعَامِلُ الْمَسِيحُ أَيْضاً الْكَنِيسَةَ. فَإِنَّنَا نَحْنُ أَعْضَاءُ جَسَدِهِ. لِذَلِكَ يَسْتَقِلُّ الزَّوْجُ عَنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، وَيَتَّحِدُ بِزَوْجَتِهِ، فَيَصِيرُ الاثْنَانِ جَسَداً وَاحِداً. هَذَا السِّرُّ عَظِيمٌ وَلَكِنَّنِي أُشِيرُ بِهِ إِلَى الْمَسِيحِ وَالْكَنِيسَةِ!))[2] .

علامة الزواج الأسراري :

علامة الزواج الأسراري عند الكنيسة ، هي الفعل الشخصي الحُرّ ، الذي فيه يهبُ

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها « ٢ / ١١٢٨ .

[2]) رسالة بولس إلى أهل أفسس « : ٢٧ ــ ٣٢ ، وانظر في ذلك إلى وثيقة من وثائق المجمع التريدنتيني (المسكوني التاسع عشر) ــ الطويل ــ (١٣ كانون الأول ١٥٤٥ ــ ٤ كانون الأول ١٥٦٣م) « في الجلسة الرابعة والعشرين ١١ تشرين الثاني ١٥٦٣م « تحت عنوان (تعليم وقوانين في سرِّ الزواج) ، الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٤٤٩ .

الزوجان أحدُهما ذاته للآخر ، ويتقبّل أحدُهما الآخر ، لذلك فالعروسان في نظر الكنيسة الكاثوليكيّة ، هما اللذان يمنحان السرّ أحدهما الآخر بإعلان إرادتهما الزواج (قول "نعم"؛ الرّضى) ، ((أقبَلُكِ زوجةً لي ...)) ، ((أقبلكَ زوجاً لي ...)) .

فالكاهن أو الشمّاس الذي يحضر حفلة الزواج، يتقبّل رضى الزوجين باسم الكنيسة، ويمنحهما بركة الكنيسة .

فتعتقد الكنيسة أنّ ميثاق الزوجين يندمج في الميثاق القائم بين الله والبشر ن فالمحبّة الإلهيّة هي التي تحتضن هذا الزواج ، ثُمّ إن حضور الخادم الكنسي والشاهدين ، في اعتقاد الكنيسة ، يعبّر بطريقة مرئيّة عن أن الزواج هو حقيقة كنسيّة ، فيُحدر أن يُحتفل بـه في إطار ليترجيّ علنيّ [1].

جاء في وثيقة من وثائق المجمع التريدنتيني (المسكوني التاسع عشر) ـ الطويـل ـ (١٣ كانون الأول ١٥٤٥ ـ ٤ كانون الأول ١٥٦٣م) ، في الجلسة الرابعة والعشرين ١١ تشرين الثاني ١٥٦٣م ، تحت عنوان (قوانين في شان إصلاح الزواج) ، ومِمّا جاء فيها : ((... يُعلن في أثناء القُدّاس أمام الجميع بين من يُعقَدُ . وبعد القيام بالنّداءات يُصارُ إلى الاحتفال بالزّواج أمام الكنيسة إذا لم يعترض أيّ مانع شرعيّ ، وبعد توجيه السـؤال إلى الرجل والمرأة واتّضاح الرضى المتبادَل بينهما يقول الكاهن : ((أنّي أقرنكما بالزواج باسم الآب والابن والروح القدس)) .

وجاء في الوثيقة نفسها : ((أمّا من يُقدِمون على عقد زَواج في غير حضور الكاهن أو الأسقف المحلّيّ ، وأمام شاهدين أو ثلاثة ، فالمجمع المُقدّس يُعلن أنّهم غيرُ أهلٍ البتّة لأن يقوموا بهذا العقد ، ويرسمُ أن مثل هذه العقود غيرُ صحيحة وباطلةٌ كما أنّ هذا القـرار يبطلها ويُلغيها)) [2] .

تعدّد الزوجات :

---

[1]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٧ ، التعليم المسيحي الكاثوليكي ((المسيحيّة في عقائدها)) ، ص ٤٣٩ ـ ٤٤١ .

[2]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٤٥٣ .

تُحرِّم الكنيسة مسألة تعدّد الزوجات ، فجاء في تعليمها : ((المساواة في الكرامة الشخصيّة التي يجب الاعتراف بها للمرأة وللرجل ، في نطاق الحُبِّ المتبادَل والكامل ، تُظهِر بوضوح وحدةَ الزواج التي ثبّتها السيد المسيح ، وتعدّد الزوجات ينقض هذه المساواة في الكرامة ، ويُناقض الحبّ الزوجيّ في وحدانيّته ومُطلقيَّته))[١] .

جاء في وثيقة من وثائق المجمع التريدنتيني (المسكوني التاسع عشر)، في الجلسة الرابعة والعشرين ١١ تشرين الثاني ١٥٦٣م، تحت عنوان (قوانين في شان سرِّ الزواج)، ومِمّا جاء فيها : ((إذا قال أحدٌ بأنّه يحقّ للمسيحيين أن يتخذوا عدّةَ زوجاتٍ معاً ، وأن ذلك لم يمنعه أيُّ شرعٍ إلهيّ فليكن محروماً))[٢] .

منع الطلاق في الكنيسة الكاثوليكيّة :

ترى الكنيسة الكاثوليكيّة أن من عناصر الزواج الأساسيّة ((أمانته التي لا تنحل))[٣].

وتُعلِّم الكنيسة أنّه ((قد علّم المسيح ، بلا مواربه ، في كرازته ، المعنى الأصيل لاتّحاد الرجل والمرأة ، كما أراده الخالق منذ البدء : فالسَّماح بتطليق المرأة ، في شريعة موسى ، ما كان سوى تساهل أملته ((قسوة القلب))[٤] . فاتحاد الرجل والمرأة في الزواج لا يقبل الانفصام ، لأنّ الله نفسه قد أقرّه ((فلا يُفرِّق الإنسان ما جمعه الله)) [مـتى ١٩: ٦] . ... هذا الاتحاد الحميم، بصفته عطاءً مُتبادَلاً بين شخصين، وإذا أنضاف إليه خير البنين، يقتضي من الزوجين أمانةً تامّة، وارتباط الواحد بالآخر ارتباطاً لا ينفصم))[٥] .

ومن وثائق البابويّة في تقرير منع الطلاق ، وثيقة من وثائق المجمع التريدنتيني (المسكوني التاسع عشر) ــ الطويل ــ (١٣ كانون الأول ١٥٤٥ ــ ٤ كانون الأول ١٥٦٣م) ، في الجلسة الزابعة والعشرين ١١ تشرين الثاني ١٥٦٣م ، تحت عنوان (تعليم

---

[١]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٨٩ .

[٢]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٤٥٠ .

[٣]) التعليم المسيحي الكاثوليكي ((المسيحيّة في عقائدها)) ، ص ٤٤٦ .

[٤]) كما في إنجيل متى : ((... فَسَأَلُوهُ: «فَلِمَاذَا أَوْصَى مُوسَى بِأَنْ تُعْطَى الزَّوْجَةُ وَثِيقَةَ طَلاَقٍ فَتُطَلَّقُ؟» أَجَابَ : « بِسَبَبِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ، سَمَحَ لَكُمْ مُوسَى بِتَطْلِيقِ زَوْجَاتِكُمْ. وَلَكِنَّ الأَمْرَ لَمْ يَكُنْ هكَذَا مُنْذُ الْبَدْءِ)) ١٩: ٧-٨ .

[٥]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٤٨٠ ، ٤٨٩ .

وقوانين في سرِّ الزواج)[١] ، وكذلك ما جاء في وثيقة بابويّة في عهد بابا روما يوحنّا بولس الثاني (من ١٦ تشرين الأوّل ١٩٧٨ ـــ ٢ ابريل ٢٠٠٥م) ، سُمِّيت بالإرشاد الرسولي في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٨١م ، تحت عنوان ((الزوجان شاهدان للخلاص))[٢] .

ولم تُثبت الكنيسة الكاثوليكيّة الطلاق بين أتباعها إلاّ في حالة الخيانة الزوجيّة ((الزنى)) ، ومن وثائق البابويّة في هذه المسألة ، ما جاء في عهد البابا اسكندر الثاني (٧ أيلول ١١٥٩ ـــ ٣٠ آب ١١٨١م)، في المجمع اللاتراني الثالث (المسكوني الحادي عشر) (٥ ـــ ١٩ أو ٢٢) آذار ١١٧٩م) ، في الجلسة الثالثة (١٩ أو ٢٢ آذار) ، بعنوان ((رابط الزواج)) ، وفيها : ((أنّه لا يجوز للرجل أن يُطلّق امرأته إلا لزنى [متى ، : ٣٢[٣] ١٩: ٩[٤]]))[٥]، وكذلك في وثيقة بابوية في عهد البابا انّوشنتيوس ((انوسنت)) الثالث (٨ كانون الثاني ١١٩٨ ـــ ١٦ تمّوز ١٢١٦م))، في رسالة إلى أسقف طبريا، أوائل ١٢٠١م[٦]، وكذلك ما جاء في وثيقة بابويّة في عهد بابا روما بيوس الحادي عشر (٦ شباط ١٩٢٢ـــ ١٠ شباط ١٩٣٩م)بعنوان ((الطلاق)) في٣١ كانون الأول١٩٣٠م[٧] .

---

[١]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٤٤٩ .

[٢]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ٢ / ١١٢٨ .

[٣]) ((... أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَنْ طَلَّقَ زَوْجَتَهُ لِغَيْرِ عِلَّةِ الزِّنَى، فَهُوَ يَجْعَلُهَا تَرْتَكِبُ الزِّنَى. وَمَنْ تَزَوَّجَ بِمُطَلَّقَة، فَهُوَ يَرْتَكِبُ الزِّنَى)) .

[٤]) ((... وَلكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ الَّذِي يُطَلِّقُ زَوْجَتَهُ لِغَيْرِ عِلَّةِ الزِّنَى، وَيَتَزَوَّجُ بِغَيْرِهَا، فَإِنَّهُ يَرْتَكِبُ الزِّنَى. وَالَّذِي يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقَة، يَرْتَكِبُ الزِّنَى)) .

[٥]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٢٥٤ .

[٦]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٢٦٥ .

[٧]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ٢ / ٨٠٣ .

الفصل الثالث : عقائد أخرى للطائفة الكاثوليكية .

وفي هذا المبحث سأتكلّم إن شاء الله عن عقائد أخرى للكنيسة الكاثوليكيّة ، وهـي كالتالي :

أولاً : عقيدهم في مريم البتول ، أم عيسى عليه السلام ، المُصطفاة والمُطهّرة .

أ) أنّ مريم ((والدة الإله)) .

يعتقد الكاثوليك أن مريم ، هي العذراء ، ((والدة الإله)) ، اختارها الـرّب ((الله الآب))، لتكون أُماً لابنه ((الله الابن))، كما أنّها عندهم أيضاً هي، أمّ لكل من يؤمن بأن مولودها ((الله الابن)) نزل وصُلب فداءً للبشريّة، أي أنّها أم للنصارى المُثلثة[1] ، وقد أطلق عليها لوقا في إنجيله ((أمّ الرّب))[2] ، و((أم ابن الله))[3] .

---

[1]) التعليم المسيحي الكاثوليكي ، ((المسيحيّة في عقائدها)) ، ص ١٨٩ ، ١٩٤ .

[2]) ((وَلَمَّا سَمِعَتْ أَلِيصَابَاتُ سَلاَمَ مَرْيَمَ، قَفَزَ الْجَنِينُ دَاخِلَ بَطْنِهَا. وَامْتَلأَتْ أَلِيصَابَاتُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَهَتَفَتْ بِصَوْتٍ عَالٍ قَائِلَةً: «مُبَارَكَةٌ أَنْتِ بَيْنَ النِّسَاءِ! وَمُبَارَكَةٌ ثَمَرَةُ بَطْنِكِ! فَمِنْ أَيْنَ لِي هَذَا: أَنْ تَأْتِيَ إِلَيَّ أُمُّ رَبِّي؟ فَإِنَّهُ مَا إِنْ وَقَعَ صَوْتُ سَلاَمِكِ فِي أُذُنَيَّ حَتَّى قَفَزَ الْجَنِينُ ابْتِهَاجاً فِي بَطْنِي: فَطُوبَى لِلَّتِي آمَنَتْ أَنَّهُ سَيَتِمُّ مَا قِيلَ لَهَا مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ»)) لوقا ١ : ٤١ ــ ٤٥ .

[3]) جاء في إنجيل لوقا : ((وَفِي شَهْرِهَا السَّادِسِ، أُرْسِلَ الْمَلاَكُ جِبْرَائِيلُ مِنْ قِبَلِ اللهِ إِلَى مَدِينَةٍ بِالْجَلِيلِ اسْـمُهَا النَّاصِرَةُ، إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُلٍ اسْمُهُ يُوسُفُ، مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ، وَاسْمُ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمُ. فَدَخَلَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لَهَـا: «سَلاَمٌ، أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! الرَّبُّ مَعَكِ: مُبَارَكَةٌ أَنْتِ بَيْنَ النِّسَاءِ». فَاضْطَرَبَتْ لِكَلاَمِ الْمَلاَكِ، وَسَاءَلَتْ نَفْسَهَا: «مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ التَّحِيَّةُ!» فَقَالَ لَهَا الْمَلاَكُ: «لاَ تَخَافِي يَامَرْيَمُ، فَإِنَّكِ قَدْ نِلْتِ نِعْمَةً عِنْـدَ اللهِ! وَهَـا أَنْـتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْناً، وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. إِنَّهُ يَكُونُ عَظِيماً، وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيَمْنَحُهُ الرَّبُّ الإِلهُ عَرْشَ دَاوُدَ أَبِيـهِ، فَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ، وَلَنْ يَكُونَ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ» .
فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلاَكِ: «كَيْفَ يَحْدُثُ هَذَا، وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلاً؟» فَأَجَابَهَا الْمَلاَكُ: «الرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُدْرَةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ. لِذلِكَ أَيْضاً فَالْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ)) ١: ٢٦ ــ ٣٥.

وكذلك جاء في رسالة رسولهم بولس إلى أهل غلاطيّة ، قوله : ((ولكنْ لمّا جاء ملءُ الزمانِ أرسلَ اللهُ ابْنَـهُ مولُوداً من امرأةٍ)) ، ٤ : ٤ .

وكانت هذه العقيدة ، وهي « أنّ مريم ((والدة الإله » أو ، أُمّ الله)) ، قد تقررت في الأيام الأولى للنصرانيّة المُثلّثة » في مجمع أفسس الأول (المسكوني الثالث) ٢٢ حزيران ــ أيلول ٤٣١ ، في جلسة الكيرلّيسيين الأولى » في رسالة كيرلّس الاسكندري الثانية إلى نسطوريوس » والتي كُتبت بين ٢٦ كانون الثاني ، و٢٤ شباط سنة ٤٣٠م ، وتُليت على المجمع وأثبتها آباؤهم ، تحت مُسمّى ((تجسّد ابن الله))[١] .

وجاء في تعليم الكنيسة الكاثوليكيّة : ((أنّ لقب التكريم "" والدة الإلـه "" نُلاقيه للمرّة الأولى في صلاة تعودُ إلى حوالي السنة ٣٠٠م ، وحتى اليوم لا نزال نتلو الصلاة ذاتها » : ((يا والدة الإله القدّيسة، لقد لجأنا إلى حنانك وحمايتك، فلا تُعرضي عن ابتهالاتنا في المحن، بل نجّينا في كُلّ وقت من جميع المخاطر، أيتها العذراء المباركة والجديرة بالمديح، يا سيّدتنا وشفيعتنا ونصيرتنا، قودينا إلى ابنك، توسّطي بنا لدى ابنك، ضعينا أمام ابنك))[٢] .

ومن خلال هذه العقيدة، في أنّ مريم، هي والدة الإله، جعل النصارى مريم باب الخلاص لجميع الذين ينتمون إلى ربّهم يسوع المسيح، الذي حملت به، فأساس مهام مريم، عندهم، هي، قيادتها لهم إلى ربّهم يسوع المسيح ابنها؛ لذلك هي تُدعى في الكنيسة بألقاب مختلفة، فهي : المحامية ، والنصيرة ، والظهيرة ، والشفيعة ، والوسيطة "وسيطة كل النعم"[٣]، ويظهر هذا بنوع خاصّ في الجزء الأخير من صلاة ((السلام عليك يا مريم)) ــ المشهورة جداً عند النصارى ــ : ((يا قدّيسة مريم ، يا والدة الإله ، صلّي لأجلنا نحن الخُطأة » الآن وفي ساعة موتنا))[٤] .

ب) عقيدة بتوليّة مريم الدائمة .

---

[١]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها » ١ / ٨٧ .

[٢]) التعليم المسيحي الكاثوليكي ، ((المسيحيّة في عقائدها)) ، ص ١٩٥ .

[٣]) كما جاء ذلك في وثيقة بابويّة في عهد بابا روما لاون الثالث عشر (٢٠ شباط ١٨٧٨ ــ ٢٠ تموز ١٩٠٣)، بعنوان ((مريم وسيطة النّعم)) بتاريخ ٢٢ أيلول ١٨٩١ م ، انظر : الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها، ٢ / ٦٩١ .

[٤]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٢٩٩ » ٣٠٠ ، التعليم المسيحي الكاثوليكي ، ((المسيحيّة في عقائدها)) ، ص ١٩٦ .

فالكنيسة الكاثوليكيّة تُثبتُ هذه العقيدة ، أنّ مريم بقيت بتولاً ليس قبل الولادة وحسب ، بل في الولادة ، وبعد الولادة ، وأثبت هذه العقيدة المجمع القسطنطيني الثاني (المسكوني الخامس) ٥ أيّار — ٢ حزيران ٥٥٣، في الجلسة الثامنة، منه بمُسمّى ((قوانين)) في ٢ حزيران ٥٥٣م ، تحت عنوان ((الحكم بالحرم على الفصول الثلاثة))[١] .

ج) عقيدة الحبل بلا دنس .

فهذه العقيدة كاثوليكيّة خاصة ، ومن أهمّ العقائد المريميّة عند الكاثوليك .

ظهر الخلاف بين الكاثوليك في الإيمان بهذه العقيدة في عهد بابا روما سيكستوس الرابع (٩ آب ١٤٧١ — ١٢ آب ١٤٨٤م) ، فقد كان هذا البابا يؤيّد هذه العقيدة ضد بعض الدومنيكان الكاثوليك ، وقد نشرت البابويّة وثيقة تأييد البابا سيكستوس لهذه العقيدة ، في دستور بعنوان ((الحبَل بمريم بلا دنس)) في تاريخ ٤ أيلول ١٤٨٣م ، ثُمّ جدّد بابا روما اسكندر السابع (٧ نيسان ١٦٥٥ — ٢٢ آيار ١٦٦٧م) تأييد المقام البابوي لهذه العقيدة في رسالة بابويّة مختصرة في كانون الأوّل بعنوان ((الحبل الطاهر بمريم)) ، ولكنّ الخلاف داخل الطائفة الكاثوليكيّة في شأن هذه العقيدة لم يُحلّ إلاّ في عهد البابا اكليمنضوس الحادي عشر (٢٣ تشرين الثاني ١٧٠٠ — ١٩ آذار ١٧٢١م) ، في دستور نُشر في ٦ كانون الأوّل ١٧٠٨ ، وثبتت هذه العقيدة رسميّاً على كُلّ الكاثوليك ، وحُدِّدَ معناها في عهد البابا بيوس التاسع (١٦ حُزيران ١٧٤٦ — ٧ شباط ١٨٧٨م) في براءة بابويّة من شقين ، الشق الأوّل بعنوان ((سموّ مريم عموماً)) ، والشق الثاني

---

[١]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ١٤٧ .

وعقيدة أم مريم ((والدة الإله ، أو أم الله)) ، وعقيدة ((بتوليّة مريم الدائمة)) عند الكاثوليك وباقي الطوائف الخلقدونية ، هما أيضاً عن الأرثوذكس الأقباط وباقي الطوائف اللاخلقدونيّة ، وخالف في ذلك البروتستانت ، فأنكروا عليها لقب أم الله ، اكتفاءً بأنها أم المسيح ، كما أنكروا دوام بتوليتها بعد ولادتها ، بل بالغت بعض الطوائف البروتستنتيّة في تحقيرها رضي الله عنها . انظر : الفروق العقيديّة بين المذاهب المسيحيّة ، ص٣٣،٣٢، القس إبراهيم عبد السيد، راعي كنيسة مار جرجس بحدائق المعادي، الطوائف المسيحيّة في مصر والعالم، ص ٨٣، ماهر يونان .

بعنوان ((تحديد الحبل الطاهر)) ، بتاريخ ٨ كانون الأوّل ١٨٥٤م[1] .

وممّا جاء في تلك البراءة البابويّة ، في القسم الأوّل منها : ((لقد اختار الله الذي يفوق الوصف ... منذ البدء وقبل الدهور لابنه الوحيد أمّاً يولد منها بعد التجسّد في ملء الأزمنة السعيد ، وأظهر لها وهيأ من الحب فوق كل الخلائق ما جعله يضع فيها ، على وجه فريد ، أعظم مرضاته ، لذلك غرف من كنز ألوهيّته وآتاها ، أكثر من جميع الأرواح الملائكيّة وجميع القديسين ، غزير نعمه السماويّة ، ما وفّر لها ، إذ عُصمت من دنس أيّ خطيئة وزُيّنت بالجمال والكمال ...)) .

وفي القسم الثاني منها ، ما يلي : ((... إكراماً للثالوث المُقدّس غير المنقسم ، ولمجد العذراء أمّ الله وفخرها ، ورفع شأن الإيمان الكاثوليكيّ ونمو الديانة المسيحيّة .

بسلطان ربّنا يسوع المسيح ، والرسوليّن المغبوطين بطرس وبولس ، وبسلطاننا نحن ، نُعلِن ونُقرّ ونُحدّد أن العقيدة التي تقول بأن العذراء مريم المغبوطة ، قد عُصِمت من كُلّ دنس للخطيئة الأصليّة ، منذ اللحظة الأولى للحبل بها ، بنعمة وحظوة خاصّة من الله القدير ، نظراً إلى استحقاقات يسوع المسيح مُخلّص الجنس البشري ، هي عقيدة أوحى بها الله ، وهكذا يجب أن يعتقدها كلّ المؤمنين بثبات وفي كُلّ حين .

لذلك إذا وُجد ــ لا سمح الله ــ مَن يتفكّرون بما يُخالِف ما حدّدناه ، فليعلموا ويعرفوا أنهم يقضون على أنفسهم بحكمهم الذاتيّ ، ويغرقون في ما يتعلّق بالإيمان ، وينفصلون عن وحدة الكنيسة ، وأنّهم ، علاوة على ذلك ، وبالفعل نفسه ، يستوجبون العقوبات القانونيّة إذا تجاسروا على إظهار ما يُفكّرون به في داخلهم بالكلام ، أو الكتابة ، أو أيّ علامة خارجيّة))[2] .

وتُفسّر الكنيسة الكاثوليكيّة ، هذه العقيدة ، بأنّ المقصود قولُه أنّ مريم كانت ، منذ اللحظة الأولى لتكوينها ، حُرّة من الخطيئة الأصليّة . فلم يُحبَل بها كسائر النّاس في حالةٍ من البعد عن الله ، بل أحاطت بها منذ البدء محبّةُ الله ونعمتُه . لذلك عاشت أيضاً في حياتها الشخصيّة اللاحقة من دون أيّ خطيئة شخصيّة ، إنّها كُلّيّة القداسة منذ البدء ،

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٣٧٠ ، ٣٧٣ ، ٤٨٣ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ .

[2]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٦٠٥ ــ ٦٠٧ .

فائقة القداسة على كُلّ صعيد [1].

علماً أن الكنيسة الكاثوليكيّة تعترف ((أن هذه العقيدة (الحبل بلا دنس) لا يتضمّنها الكتاب المقدس إلاّ على نحو غير مباشرٍ وبوجه استنتاجي ، فهي نتاج نظرة إيمانيّة شاملة للشهادات الكتابيّة في مريم ولمكانتها في تاريخ الخلاص ، وليس من أقوال كتابيّة خاصّة))[2] .

د) عقيدة انتقال مريم بجسدها إلى السماء .

تُعلّم الكنيسة الكاثوليكيّة في شأن هذه العقيدة ، بقولها : ((... أخيراً فإنّ العذراء الطاهرة ، بعد أنْ عصمها الله من كُلّ صلة بالخطيئة الأصليّة ، وطوت شوط حياتها الأرضيّة ، نُقلت جسداً وروحاً إلى مجد السَّماءِ ، وأعلنها الرّبُّ سُلطانةَ الكون بذلك أكثر ما يكون الشبه بابنها ، ربّ الأرباب ، وقاهر الخطيئة والموت))[3] .

وتعترف الكنيسة الكاثوليكيّة ((أن هذه العقيدة لا ترتكز على شهادات كتابيّة مباشرة ؛ إلاّ أن التقليد يشهد لهذه الحقيقة الإيمانيّة منذ القرن السادس ، أوّل الأمر في روايات أسطوريّة ليس لها أيّ قيمة تاريخيّة ، ولكنّها تُعبّر عن اعتقاد إيمانيّ . وقد وافقت الكنيسة على هذا الاعتقاد الإيمانيّ على مرّ الأجيال ، كما يظهر من خلال عيد "" انتقال مريم العذراء إلى السماء "" في ١٥ آب ، والذي انتشر منذ القرن الخامس الميلادي . فهي ليست عقيدة جديدة في مضمونها ، وإنّما تقليد يعود إلى أجيال كثيرة ، متأصّل في مجمل الكتاب المُقدّس الذي يتضمّنه ، وإن كان على نحو غير مباشر))[4] .

---

[1]) التعليم المسيحي الكاثوليكي ، ((المسيحيّة في عقائدها)) ، ص ٢٠٥ .

وتنكر الكنيسة الأرثوذكسيّة المرقسيّة القبطيّة اللاخلقدونيّة ومن تبعها من الكنائس، عقيدة الحبل بلا دنس، يقول الأنبا غريغوريوس الأسقف العام في الكنيسة الأرثوذكسيّة، في كتابه اللاهوت المقارن ، ص٣٥٦ : ((إننا= =معشر الأرثوذكس نُنكر على الكاثوليك اعتقادهم بأن القديسة مريم قد حُبل بها بلا دنس ، فالعذراء لم يُحبل بها بلا دنس ، ولكنّها حبلت بالمسيح بلا دنس ، بعد أن حلّ الروح القدس عليها وطهّر أحشائها لحلول كلمة الله فيها ...)) .

[2]) التعليم المسيحي الكاثوليكي ، ((المسيحيّة في عقائدها)) ، ص ٢٠٣ .

[3]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، ص ٢٩٩ .

[4]) التعليم المسيحي الكاثوليكي ، ((المسيحيّة في عقائدها)) ، ص ٢٠٦ .

وقد ثبتت هذه العقيدة ووجب الإيمان بها على كُلّ الكاثوليك ، في عهد بابا روما بيوس الثاني عشر (٢ آذار ١٩٣٩ ــ ٩ تشرين الأوّل ١٩٥٨م) ، بدستور رسولي في ١ تشرين الثاني ١٩٥٠ م ، بعنوان ((تحديد انتقال مريم إلى السماء)) ، وممّا جاء فيه : ((... لا بدّ خُصوصاً من التذكّر أن مريم ، منذ القرن الثاني ، يقدّمها الآباء القدّيسون كحواء الجديدة ، الخاضعة بلا ريب لآدم الثاني ، ولكنّها وثيقة الاتحاد به ... أمّ الله الجليلة القدر ، المتحدة منذ الأبد بيسوع المسيح ، بطريقة سريّة ، الطاهرة تماماً في حبَلِها ، والعذراء النقيّة جدّاً في أمومتها الإلهيّة ، الرفيقة الكريمة للفادي الإلهي الذي أحرز ظفراً كاملاً على الموت وعواقبه ، قد حصلت أخيراً ، كتتويج أسمى لامتيازاتها ، علة أن تُحفظ من فساد القبر ، ومثل ابنها ، بعد الغلبة على الموت ، أن تُرفع بالجسد والنفس إلى المجد في أعلى السماوات ، لتشرق هناك كملكة إلى يمين ابنها ملك الدهور الذي لا يموت .

بسلطان ربّنا يسوع المسيح والرسولين المغبوطين بطرس وبولس، وبسلطاننا الخاص، نُثبِت ، ونُعلِن ونُحدِّد، كعقيدة أوحى بها الله، أنّ مريم أمّ الله الكليّة الطهر، مريم الدائمة البتوليّة، بعد أن أنهت حياتها على الأرض، قد رُفِعت بجسدِها ونفسها إلى المجد السماوي.

وبالتالي إذا تجرّأ أحدٌ ، لا سمح الله ، ووضع بإرادته موضع الشكّ ما حدّدناه ، فليعلم أنّه تخلّى كُليّاً عن الإيمان الإلهي والكاثوليكي))[1] .

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ٢ / ٨٦٧ .

ثانياً : عقيدة المطهر .

هي عقيدة كاثوليكيّة خاصة ، مفهومها عندهم « أنّ (المطهر) مكان تذهب إليه نفوس الأموات التي لها بعض الهفوات والخطايا الصغيرة وبعض السيئات ، أي أنها لم تطهر بأعمالها في الحياة التطهير الكامل بالحسنات ، ولم تمتلىء كُلّياً من محبّة الله « وتبلغ سعادتها الكاملة بطاعة الله ، فلم تُوصِلْهم أعمالهم المختلطة من الخير والشر إلى الشراكة الحقيقية والقداسة الضروريّة لدخول ملكوت السموات مع الملائكة والقديسين ، لأجل ذلك فإنّ الله يجعل هذه النفوس تنال التطهير والتنقية قبل الدينونة الأخيرة العامة ، فيُعذّبها بنار مُطهِّرة ومُنقِّية ومُقدِّسة في مكان ليس هو جهنّم الذي يدخلها الذين كفروا بالرب يسوع المسيح وبفدائه للبشرية « وإنّما هو دون ذلك فيه عذاب يُسمّى ((عذاب المحبّة المُنقّي)) « وبعد انتهاء فترتهم تلك ينتقلون إلى ملكوت السماء مع ربّهم يسوع والملائكة والقديسين والمؤمنين .

لذلك كان من تعليم الكنيسة الكاثوليكيّة لأتباعها الأحياء أن يُساعدوا هؤلاء الأموات لكي يتجاوزا فترة ((المطهر)) بأسرع وقت عن طريق أفعال الخير المُقدَّمة لهم عن طرق الصلاة والصدقات والغفرانات وأعمال التوبة وخصوصاً عن طريق الذبائح المُقدَّمة في الاحتفالات الإفخارستيّة[1] .

وكان من تعليم الكنيسة في ذلك قولها : ((لنمُدّ لهم العون ونذكرهم . إن كان أبناء أيوب قد تطهّروا بذبيحة أبيهم[2] ، لِمَ نشكّ بأنّ تقادمنا لأجل الراقدين تجلب لهم بعض التعزية ؟ فلا نتردّد إذن في مُساعدة الذين رحلوا وتقدمة صلواتٍ لأجلِهم))[3] .

---

[1]) التعليم المسيحي الكاثوليكي ، ((المسيحيّة في عقائدها)) ، ص ٤٨٠ ــ ٤٨٢ ، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة « ص ٣١٧ ــ ٣١٨ « الطوائف للمسيحيّة في مصر والعالم ، ص ٧٢ « هاني يونان روفائيل .

[2]) سفر أيوب ١ / ٥ .

[3]) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة « ص ٣١٨ .

وكذلك من تعليمها أيضاً : ((ثمّة مكانٌ للتنقية ، والأنفس الموجودةُ هناك تؤازرُها صلاةُ المؤمنين ، ولاسيّما ذبيحةُ الهيكل المرضيّةُ لدى الله))[1] .

وقد أثبتت الكنيسة الكاثوليكيّة عقيدة ((المطْهَرْ)) وحُدِّدت معناها في عدة مجامع كاثوليكيّة ، من أهمها :

١) مجمع ليون الثاني (المسكوني الرابع عشر) ٧ أيار ـــ ١٧ تمّوز ١٢٧٤م ، في عهد البابا غريغوريوس العاشر (١ أيلول ١٢٧١ ـــ ١٠ كانون الثاني ١٢٧٦م) .

في الجلسة الرابعة ، ٦ حزيران ١٢٧٤م ، من ضمن ما نُقش فيها ، مسألة ((مصير الموتى)) ، فجاء في بيان هذه المسألة : ((لئن ماتوا في البرارة ، بعد توبةٍ حقيقيّةٍ ، وقبل القيام بالتكفير المُثمِر عمّا اقترفوه وأهملوه ، فنفوسهم تُطهَّر بعد الموت بعقوباتٍ مُطهِّرة ومُبرِّرة ... وفي سبيل تخفيف هذه العقوبات تنفعُ شفاعاتُ المؤمنين الأحياءِ ، أي ذبيحة القُدّاس ، والصلوات ، والصَّدقات وأعمال البرّ الأخرى التي اعتاد المؤمنون أن يعملوها لمؤمنينَ آخرينَ بحسب أنظمةِ الكنيسةِ .

في شأن نفوس الذين بعدَ نيلهم المعموديّة المُقدّسة ، لم يقترفوا أيّ خطيئة ، والذين أيضاً بعد اقترافهم الخطيئة تطهّروا ، سواءٌ كانوا بعدُ في الجسد ، أو تعرّوا منه ، فنفوسهم تُقبَلُ حالاً في السماءِ .

في شأن الذين يموتون في حال الخطيئة المُميتة ، أو مع الخطيئة الأصليّة وحدها ، فنفوسُهم تنحدر حالاً إلى جهنّمَ حيثُ تنال عقوباتٍ غيرَ متساويةٍ))[2] .

٢) مجمع فلورنسا (المسكوني السابع عشر) ٢٦ شباط ١٤٣٩ ـــ آب ١٤٤٥ ، في عهد البابا أوجانيوس الرابع (٣ آذار ١٤٣١ ـــ ٢٣ شباط ١٤٤٧م) .

في وثيقة من وثائقة بمُسمّى ((براءة في الاتحاد مع اليونانيين)) ٦ تمّوز ١٤٣٩م ، في جزء منها بعنوان ((مصير الموتى)) ، وممّا جاء فيها : ((كذلك إذا كان الذين يتوبونَ توبةً صحيحة ، يموتون في محبّة الله ، قبل التكفير عن خطاياهم التي اقترفوها بالفعل أو

[1]) التعليم المسيحي الكاثوليكي (المسيحيّة في عقائدها) ، ص ٤٨١ .

[2]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٢٩٥ .

بالإهمال، بثمارٍ جديرة بتوبتهم ، فإن نفوسهم تتطهّر بعد موهم بآلام تطهيريّة ، ولكي يتخلّصوا من مثل هذه الآلام تفيدهم معوناتُ المؤمنين الأحياء ، من قدّاساتٍ، وصلوات، وصدقات ، وأعمال تقوى أُخرى يقوم بها عادةً المؤمنون من أجل مؤمنين آخرين بحسب قرارات الكنيسة .

وتقوى الذين بعد تقبّلهم المعموديّة لم يتلطخوا قطّ بالخطيئة ، وكذلك نفوس الذين بعد تلطّخهم بالخطيئة ، سواء كانوا بعدُ في أجسادهم أو تعرّوا منها ، تطهّروا على ما سبق القول ، هذه النفوس تُقبلُ حالاً في السّماء وتُشاهدُ اللهَ الثالوث والواحد في ذاته كما هو ، مشاهدةً واضحةً ، ولكن على درجاتٍ ، وفق استحقاقِ كُلٍّ منها .

أمّا نفوسُ الذين يموتون في حال الخطيئة المميتة أو الخطيئة الأصليّة فقط ، فإنّها تنحدر حالاً إلى الجحيم ، ولكنّها تُعاقبُ بعقوباتٍ غير متساوية))[1] .

٣) المجمع التريدنتيني (المسكوني التاسع عشر) ـــ الطويـــل ـــ ١٣ كـــانون الأوّل ١٥٤٥ ـــ ٤ كانون الأوّل ١٥٦٣م ، في الجلسة الخامسة والعشرين ، المنعقدة بتاريخ ٣ ، و٤ كانون الأوّل ١٥٦٣م ، في أحد مواضيعها ، بعنوان ((مرسوم في المطهر)) بتاريخ ٣ كانون الأوّل ١٥٦٣م ، وممّا جاء فيها : ((الكنيسة الكاثوليكيّة بوحي مـــن الـــروح القدس ، وانطلاقاً من الكتاب المُقدّس وتقليد الآباء القديم ، علّمت في المجامع المُقدَّســة ، وأخيراً في هذا المجمع المسكوني ، أنّه يُوجد مطهر ، وأنّ النفوس المقيمة فيه تجدُ عوْناً لها في أعمال برّ المؤمنين ، ولا سيّما في ذبيحة الهيكل التي تجد عند الله رضاً خاصّاً . والمجمـــع المُقدّس يطلب من الأساقفة أن يبذلوا قصارى جهدهم لجعل عقيدة المطهر السليمة ، التي نقلها الآباء القدّيسون والمجامع المُقدَّسة ، موضوع إيمان المؤمنين ، يحفظونهـــا ، وتكـــون منتشِرة ومُعْلنة في كُلِّ مكان))[2] .

٤) المجمع الفاتيكاني الثاني (المسكوني الحادي والعشرون) ١١ تشرين الأوّل ١٩٦٢ ـــ ٨ كانون الأوّل ١٩٦٥م ، جلسة في عهد البابا بولس السادس (٢١ حزيران ١٩٦٣

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٣٥٠ .

[2]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٤٥٣ .

ـــ ٦ آب ١٩٧٨ م) ، وهي الجلسة الخامسة العلنيّة بتاريخ ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٤م ، دستور عقائدي في الكنيسة ، في الفصل السابع ، بمُسمًّى (طابع كنيسةَ الأرض الأسخطولوجيّ واتحادُها بكنيسة السَّماء) ، في موضوعين ، الموضوع الأوّل بعنوان ((علاقات كنيسة الأرض بكنيسة السماء)) ، ومِمّا جاء فيه عن المطهر ، في مسألة نفع صدقات الأحياء عن الأموات : ((... قد حَوَّطت ذكرَ الأموات ، مُنذُ الأزمنةِ المسيحيّةِ الأولى ، بكثيرٍ من التقوى ، إذ قرَّبت أيضاً لأجلِهم قرابينَ العبادة ، لأنَّ ((فكرةَ الصلاةِ لأجلِ الأموات ليُحلُّوا من خطاياهم ، فكرةٌ مقدسةٌ تقويّـة)) ، والموضوع الثاني ((توجيهات رعائية)) ، ومِمَّا جاء فيه عن المطهر : ((إنّ الإيمان الخَليقَ بالاحترام ، إيمانَ آبائنا بشركة الحياةِ بيننا وبين إخوتنا الذين قد بلغوا المجدَ السماوي ، أو لم يزالوا في مرحلة التّطهيرِ بعد الموت ، يتلقّاه المجمع المُقدّس ببالغ التقوى))[1] .

وكانت تبرّر الكنيسة الكاثوليكيّة إيمانها بهذه العقيدة ((المطهر)) ، بقولها : ((هذا لا يعني أن يسوع المسيح لم يفعل ، بآلامه وموته ، ما كان كافياً لخلاصنا . بل بالحريّ فعل أكثر ما يجب فعله ، وتركَ لنا أن نُشاركَ في تحقيق عمله الخلاصيّ ، بحيثُ يُتاحُ لنا أن نعملَ بعضَ الشيءِ عِوضاً من الآخرين ولأجل خلاصهم))[2] .

وعقيدة المطهر ، عقيدة كاثوليكيّة محضة ، رفضتها الكنيسة الأرثوذكسيّة المرقسية ، وكذلك الروم الأرثوذكس البيزنطيون ، والطائفة البروتستنتيّة .

وقد كتب البابا شنودة الثالث بابا الاسكندريّة وسائر أقاليم الكرازة المرقسيّة كتاباً ، ذكر فيه بطلان هذه العقيدة ، وأنّها ضد عقيدة كفّارة المسيح وفدائه لخطايا كل البشر ابتداءً من خطيئة آدم الأولى ، وضد عقيدة الخلاص ، فدم المسيح هو الذي طهّر كل النصارى من أخطائهم ـــ على حسب اعتقادهم ـــ ، وأن عقيدة المطهر عند الأرثوذكس ، أيضاً ، ضد سرّ التوبة (الاعتراف) ، وضد سرّ الكهنوت ، المانحان للمغفرة .

ثُمّ ذكر البابا شنودة الثالث ، أيضاً ، في الرد على عقيدة المطهر : أن الكتاب المقدّس

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ٢ / ٩٦٩ ، ٩٧١ .

[2]) التعليم المسيحي الكاثوليكي (المسيحيّة في عقائدها) ، ص ٤٨٢ .

كله ، من أوّل سفر التكوين إلى آخر سفر الرؤيا ، لا تجد فيه عبارة المطهر ، ولم تُعرف عند الكاثوليك ـــ على حسب قوله ـــ إلاّ في القرن الثالث عشر ، ولم تثبت إلاّ في القرن الخامس عشر[1] .

ويقول الأنباء غريغوريوس (الأسقف الأرثوذكسي العام) ، في رده على عقيدة المطهر : ((ولكنّنا لا نؤمن بنار تتطهّر فيها أرواح الموتى ، ذلك أنّ ناراً مهما تكن صورها لن تقوى على تطهير النفس من خطاياها ، وإلاّ يكون موت المسيح عن حياة العالم عبثاً ولغواً وباطلاً . وإنّما التطهير بدم المسيح الفادي واستحقاقاته الخلاصيّة بالكفّارة والفداء الذي قام به عن طريق الصليب . وليس لنا من حاجة إلى مطهر آخر لأن دم المسيح يطهرنا من كل خطيئة ، وكما أن الأرواح الآن تنتظر يوم الدينونة العام ، فلن ينالها عذاب من نار إلاّ بعد تتلبّس بأجسامها بعد القيامة والحساب))[2] .

---

[1]) لماذا نرفض المطهر ؟ البابا شنودة الثالث ، ص ١٧ ـــ ١٨ ، والنظر إلى مجمل الكتاب .

[2]) اللاهوت المقارن ، ص ٣٥٦ ، الأنبا غريغوريوس ، أسقف عام للدراسات اللاهوتيّة والثقافة القبطيّة والبحث العلمي .

ثالثاً : عصمة البابا .

منذ بداية تكوين كراسي الكنائس النصرانيّة ، احتل كرسي روما مكانة استثنائية بينها ، ويرجع ذلك إلى أمرين مهمين ، أولهما : زعم أساقفتها أن كُرسيّهم أسسه الحواري بطرس، ورسول النصارى بولس[١]، ثانيهما : أن روما عاصمة الإمبراطوريّة الرومانيّة في عهودها الأولى، فلها مكانة سياسيّة كبيرة بين مناطق العالم في ذلك الوقت.

وهناك وثائق بابويّة قديمة قدّمت الكرسي الروماني ، ومن ذلك ما جاء في عهد البابا يوليوس الأوّل (٦ شباط ٣٣٧ ــ ١٢ نيسان ٣٥٢م) ، في رسالة إلى الكرسي الإنطاكي بعنوان ((أوّليّة الكرسي الروماني)) ، وكانت الرسالة في سنة ٣٤١م[٢] .

وكذلك ما قُرِّر في مجمع سرديقة في بلغاريا عام ٣٤٣م ، تحت إشراف مندوبي البابا يوليوس الأوّل ، وجاء فيه ترتيب الكنائس ، وأوّليّة الكرسي الروماني عليها ، بل ووجوب الرجوع إليه إذا حصل خلاف فيما بينها[٣] .

وفي عهد البابا سيريوس (كانون الأوّل ٣٨٤ ، وقيل كانون الثاني ٣٨٥ ــ ٢٦ تشرين الثاني ٣٩٩ م) ، في رسالة بابوية بتاريخ ١٠ شباط ٣٨٥م ، تحت عنوان ((أوّليّة أسقف روما وسلطته العقيديّة))[٤] .

وفي عهد البابا أوشينتيوس الأوّل (٢١ كانون الأوّل ٤٠٢ ــ ١٢ آذار ٤١٧م) ، في رسالة مزدوجة إلى أساقفة مجمع قرطاجة ، وأساقفة مجمع ميلاف ، في تاريخ ٢٧ كانون الثاني ٤١٧م ، بعنوان ((أوّليّة الكرسي الروماني))[٥] .

وقد ذكرت البابويّة ترتيب الكراسي الكنائسيّة ، أو كما يُسمّونها ((الكراسي

---

[١]) وقد ناقشت هذه المسألة في الباب الأول من الرسالة ، انظر ص ٦٥ .
[٢]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٤٦ .
[٣]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٤٧ .
[٤]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٦٣ .
[٥]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٧٣ .

الرسوليّة)) بعد كُرّسيّها ، ومن ضمن وثائقها في ذلك ما ورد في عهد هادريان (هدريانوس) الثاني (١٤ كانون الأوّل ٨٦٧ ــ ١٤ كانون الأوّل ٨٧٢ م) ، أثناء انعقاد المجمع القسطنطيني الرابع (المسكوني الثامن) (٥ تشرين الأوّل ٨٦٩ ــ ٢٨ شباط ٨٧٠ م) ، في الجلسة العاشرة ، من جلساته ، في ٢٨ شباط ٨٧٠ ، تحت مُسمّى عام ((قوانين)) ، ثُمّ مسمّى خاص بالوثيقة ((أوّليّة الكرسي الروماني بين الكراسي البطريركيّة)) ، ومِمّا جاء فيها : ((... أوّلاً بابا رومة القديمة الجزيل القداسة ، ثُمّ بطريرك القسطنطينيّة ، ثُمّ بطاركة الإسكندريّة وإنطاكيّة وأورشليم ...))[1] .

وأيضاً ما ورد في عهد البابا انوسنت (إنّوشنتيوس) الثالث (٨ كانون الثاني ١١٩٨ ــ ١٦ تمّوز ١٢١٦ م) ، أثناء انعقاد المجمع اللاتراني الرّابع (المسكوني الثاني عشر) (١١ ــ ٣٠ تشرين الثاني ١٢١٥ م) ، في الفصل الخامس من مقرراته ، تحت عنوان ((كرامة البطريرك ، أوّليّة الكرسيّ الروماني)) ، ومِمّا جاء فيه : ((فيما نُجدّد الامتيازات القديمة للكراسي البطريركيّة ، وبموافقة المجمّع العام المقدّس ، نأمر بما يلي : بعد الكنيسة الرومانيّة التي ، بتدبير الربّ ، تملك أوّليّة السلطة العاديّة على جميع الكنائس الأخرى ، على أنّها أُمُّ جميع المسيحيّين ومُعلّمتهم ، يكون لكنيسة القسطنطينيّة المركز الأوّل ، ولكنيسة الإسكندريّة المركز الثاني ، ولكنيسة أنطاكيّة المركز الثالث ، ولكنيسة أورشليم المركزُ الرابع))[2] .

وتعاظمت عند الكاثوليك هذه الأولويّة للكرسي الروماني إلى أن تحوّلت إلى سلطان

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٢٣٤ .

[2]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٢٨٠ .

علماً أنّ هناك وثيقة بابويّة ، أُختلف في تحديد تاريخها ، إلاّ أنّهم رجّحوا أنّها كُتبت في عهد البابا جيلازيوس الأوّل (١ آذار ٤٩٢ ــ ٢١ تشرين الثاني ٤٩٦م)، تحت عنوان ((أوّليّة الكرسي الروماني)) ، وفي عام ٤٩٥م ، أغفلت هذه الوثيقة الكرسي الكنسي في القسطنطينيّة ، واعترفت فقط بالكرسي الروماني ، ثُمّ الإسكندري ، ثُمّ الأنطاكي ، و مِمّا جاء فيها : ((... فالأول إذن هو كرسيُّ القديس بطرس ، الكنيسة الرومانيّة ، التي لا كَلَف فيها ولا غَضْن ولا شيء مثل ذلك ، أمّا الكرسي الثاني فقد قُدِّس في الإسكندريّة على اسم المغبوط بطرس على يد التلميذ والإنجيلي مرقص ، والكرسيّ الثالث للقديس بطرس شُرِّف في إنطاكيّة إذ أنّه سكن فيها قبل مجيئه إلى روما)) . أنظر : الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ١٢١ .

مقدّس للأسقف الجالس على ذلك الكرسي ، أسقف روما أو ((بابا الكاثوليك)) ، وفي مقدّمة هذا السلطان المقدّس العصمة البابويّة ، ومغفرة الخطايا .

ومن أوّل الوثائق البابويّة في ذلك ، ما كان في عهد البابا زوسيموس (١٨ آذار ٤١٧ ـــ ٢٦ كانون الأوّل ٤١٨م) ، في رسالة بابويّة من البابا مباشرة إلى مجمع قرطاجة في ٢١ آذار ٤١٨م ، بعنوان ((سلطان أسقف روما العقيدي)) ، ومِمَّا جاء فيها : ((وإن كان تقليد الآباء قد أقرّ للكرسي الرسولي بسلطان لم يتجرأ معه أحد على منازعة حكمه ، وحفظ ذلك دائماً بقوانين وقواعد ، وأظهر النظام الكنسي النافذ إلى اليوم بشرائعه، لاسم بطرس، الذي يتنزّل هو نفسه منه، الاحترام اللائق ... بطرس إذن أصل ذلك السلطان، بحيث أثبتت جميع مراسيم الأولين اللاحقة أن الشرائع والأعراف البشريّة والإلهيّة تثبّت الكنيسة الرومانيّة التي لا تجهلون أنّنا نسوسها ونملك سلطان اسمها ...))[1] .

وكذلك جاء في عهد البابا بونيفاتيوس الأوّل (٢٩ كانون الأوّل ٤١٨ ـــ ٤ أيلول ٤٢٢م) ، في رسالة بابويّة من البابا مباشرة إلى روفس أسقف تسّالية في ١١ آذار ٤٢٢م بعنوان ((أوّليّة الكرسي الروماني)) ، جاء فيها : ((... لقد وجّهنا إلى مجمع كورنثس كتابات يفهم بها جميع الأخوة إنه ينبغي ألاّ يكون حكمنا موضوع نقاش ، فما أُذن قط إعادة النظر في مارسمه الكرسي الرسولي))[2] .

وجاء ذلك بوضوح في المجمع المسكوني الرابع ، مجمع خلقدونيّة (من ٨ تشرين الأوّل إلى مطلع تشرين الثاني ٤٥١ م) في عهد البابا لاون الأوّل الكبير (٢٩ أيلول سنة ٤٤٠ ـــ ١٠ تشرين الثاني ٤٦١م) ، فقد صرّح الآباء المجتمعون في المجمع ، بقولهم ((تكلّم بطرس بفم لاون)) ، فقد جاء من أقوال البابا لاون في العظة الرابعة من عظاته ، قبل المجمع : ((... قيل لبطرس : ((سأعطيك مفاتيح ملكوت السموات)) فمن المؤكّد أن حق ممارسة هذا السلطان قد انتقل أيضاً إلى باقي الرسل ، وامتد التأسيس الذي نشأ من هذا الوعد إلى جميع أمراء الكنيسة ...))[3] .

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٧٥ .

[2]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٧٩ .

[3]) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ ، الأب جان كُمبّي .

وجاء ذلك أيضاً في رسالة بابوية من لاون الأوّل الكبير إلى ثيوذورس أسقف فريجوس بفرنسا في ١١ حزيران ٤٥٢ م بعنوان ((سرّ التوبة)) ، ومِمّا جاء فيها : ((وصلاح الله يُجري المعالجة على هذا الوجه : بأن لا تُنال المغفرة من الله إلاّ بتضرعات الكهنة . لقد نقل ((الوسيط بين الله والنّاس الإنسان المسيح يسوع)) [رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ٢ : ٥] إلى رؤساء الكنيسة هذا السلطان ، ليمنحوا التوبة للخطأة المعترفين ، ويقبلوهم))[1] .

وكذلك في عهد البابا أكليمنت (أكليمنضوس) السادس (٧ أيار ١٣٤٢ — ٦ كانون الأوّل ١٣٥٢م) ، وثيقة بابويّة ، عبارة عن رسالة من البابا إلى ميخيتار ، جاثليق الأرمن ، في ٢٩ أيلول ١٣٥١م ، ومِمّا جاء فيها : ((... هل آمنت وتؤمن بأن الحبر الرومانيّ وحده يستطيع إنشاء القوانين العامّة المقدّسة ومنح الغفرانات الكاملة ...))[2] .

وقد شُدِّد وأُكِّد على أولويّة الكرسي الروماني وعلى سلطان البابا المُقدَّس في المجمع الفاتيكاني الأوّل (المسكوني العشرون) من ٨ كانون الأوّل ١٨٦٩ إلى ٢٠ تشرين الأوّل ١٨٧٠ م ، فقد جاء ذلك في الجلسة الرابعة بتاريخ ١٨ تمّوز ١٨٧٠م ، تحت عنوان ((الدستور العقديّ الأوّل في كنيسة المسيح ، في أربعة فصول منها ، الفصل الأول بعنوان ((إنشاء الأوّليّة الرسوليّة في القديس بطرس))، والفصل الثاني ((ديمومة أوّليّة بطرس))، والفصل الثالث بعنوان ((سلطان أوّليّة الحبر الرومانيّة وطبيعتها)) ، والفصل الرابع بعنوان ((السلطان التعليمي للحبر الروماني)) .

ومِمّا جاء في الفصل الثالث : ((... لذلك ، فاعتماداً على شهادات الكتب المُقدّسة الواضحة ، وانسجاماً مع المراسيم التي حدّدها بصراحة سلفاؤنا ، الأحبار الرومانيّون ، والمجامع العامة ، نُجدِّد تحديد مجمع فلورنسا المسكوني ، الذي فرض على المؤمنين أن يؤمنوا ((بأنّ الكرسيّ الرسوليّ المقدّس ، والحبر الروماني ، لهما الأوليّة على المسكونة كلها ، وأنّ الحبر الروماني نفسه هو خليفة بطرس المغبوط ، رئيس الرسل ونائب المسيح الحقيقي ، رأس الكنيسة جمعاء ، أبو جميع المسيحيّين ومعلّمهم . وأنّ ربّنا يسوع المسيح

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ١٠٧ .

[2]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٣٢٥ .

قد منحه ، في شخص بطرس المغبوط ، السلطان الكامل لرعاية وإدارة وسياسة الكنيسة الجامعة ، كما ورد في أعمال المجامع المسكونيّة وفي القوانين المقدّسة ...)) .

ومِمَّا جاء في الفصل الرابع : ((... لذلك نتمسك بأمانة التقليد الوارد منذ بدء الإيمان المسيحيّ لمجد الله مُخلّصنا ، ورفع شأن الديانة الكاثوليكيّة وخلاص الشعب المسيحيّ ، ونعلم بموافقة المجمع المُقدّس ، كعقيدة أوحى بها الله .

أن الحبر الروماني ، عندما يتكلّم رسميّاً (من على المنبر) ، أي عندما يحدد ، وهو يقوم بمهمته كراع ومُعلّم لجميع المسيحيّين ، بسلطانه الرسوليّ الأسمى ، أنّه من واجب الكنيسة جمعاء التمسك بعقيدة في موضوع الإيمان أو الأخلاق ، فهو يتمتّع ، بفعل العون الإلهيّ ، الذي وعد به في شخص القديس بطرس ، بتلك العصمة التي أراد الفادي الإلهيّ أن تكون للكنيسة عندما تُحدِّد عقيدة في الإيمان والأخلاق . وبالتالي ، تكون تحديدات الحبر الروماني هذه غير قابلة للإصلاح بذاتها ، وليس بفعل موافقة الكنيسة))[1] .

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٦٤٤ — ٦٥١ .

وهناك ترجمة أخرى لتلك الأسطر من الفصل الرابع من الجلسة العاشرة في المجمع الفاتيكاني الأوّل ، ذُكرت في كتاب المسيحيّة في عقائدها ((التعليم المسيحي الكاثوليكي)) ، ترجمها إلى العربيّة المطران كيرلّس سَليم بسترس (رئيس أساقفة بعلبك وتوابعها للرّوم الملكيين الكاثوليك)) ، وفيها : ((إن الحبر الرومانيّ ، عندما يتكلّم بسلطانه التعليميّ الأعلى (من على السدة)، أي عندما يُمارس وظيفته كراع ومعلّم لجميع المسيحيّين، فيعلن بقرار مطلق، بسلطانه الرسوليّ الأعلى ، أنّ عقيدةً ما في الإيمان أو الأخلاق يجب اعتناقها من قبل الكنيسة جمعاء ، فإنّه يتمتّعُ ، بفضل العون الإلهيّ الذي وُعِد به في شخص القدّيس بطرس ، بالعصمة التي شاء الفادي الإلهيّ أن يُمدَّ بها كنيسته لكي تُحدِّدَ تحديداً مُطلقاً التعليمَ المتعلّقَ بشؤون الإيمان والأخلاق . وإنّ قرارات الحبر الرومانيّ النهائيّة هذه لا تقبل التعديل ، وذلك بقوّة ذاتها ، لا بقوّة قبول الكنيسة لها)) ، ص ٣٤٤ .

وقد استغلّ بعض الباباوات هذه العقيدة في قداسة كرسيّه ، إلى محاولة الجمع بين السلطة الدينيّة والسلطة الدنيويّة ، ومن أوائل هؤلاء البابا سيمّاخوس (٢٢ تشرين الثاني ٤٩٨ — ١٩ تموز ٥١٤ م) ، فجاء في رسالة بعثها إلى الإمبراطور أنستاسيوس الأوّل (بين سنتي ٥٠٦ و ٥١٢ م) ، عنوانها ((السلطان الأسمى المزدوج على الأرض)) ، ومِمَّا جاء فيها : ((لنقارن إذن جلال الإمبراطور وجلال الحبر : إنّهما يختلفان فقط بمقدار كون الأوّل يُعنى بالشؤون البشريّة والثاني يُعنى بالإلهيّة . أنت أيّها الإمبراطور ، قد نلت المعموديّة من الحَبْر ، وأخذت منه الأسرار ، ومنه تطلب الصلاة ، وترجو البركة ، وتسأل الكفّارة . وبالجملة ، أنت تتولى الإنسانيّات ، وهو يجعلك تُشارك في الإلهيّات . فكرامته إذن مساوية إن لم تكن أسمى ...)) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ١٢٨ .

ومنهم أيضاً البابا انوسنت (إنّوشنتيوس) الثالث (٨ كانون الثاني ١١٩٨ — ١٦ تموز ١٢١٦ م) ، فجاء في

فتلك الوثائق البابويّة تربط أوّليّة ولاية البابا ربطاً وثيقاً بعقيدة عصمة وظيفته ، فأوّليّة وظيفة بطرس وعصمتها في اعتقاد الكاثوليك ؛ هي أساس أوّليّة البابا ؛ وأساس عصمته .

إلاّ أنّ المجمع الفاتيكاني الثاني (المسكوني الحادي والعشرون) ١١ تشرين الأوّل ١٩٦٢ــ ٨ كانون الأوّل ١٩٦٥م، وإن كان قد أثبت أوليّة الحبر الروماني، وعصمته، وذلك في جلسته الخامسة العلنيّة بتاريخ ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٤م ، تحت مسمّى ((دستور عقائدي))، في الفصل الثالث ((نظام السُّلطة في الكنيسة ولا سيّما الأسقفيّة))، وممّا جاء فيه : ((وهذا المجمع المُقدّس ، الذي يترسّمُ خطوات المجمع الفاتيكاني الأوّل ، يُعلّمُ ويُعلنُ معه أنّ يسوع المسيح الراعي الأبدي قد بنى الكنيسةَ المُقدّسةَ بإرساله الرسلَ كما أنّهُ هو نفسه قد أرسله الآب [إنجيل يوحنّا ٢٠ : ٢١]، وأراد أن يكونَ خلفاؤُهم، أي الأساقفة ؛ رُعاةً في كنيسته إلى منتهى الدهر . ولكن ، لكي يكفلَ للأسقفيّة نفسها الوَحدةَ وعدمَ التجزُّؤ جعل الطوباوي بطرسَ على رأسِ الرسل الآخرين ؛ وجعل فيه المبدأَ والأساس الدائمَ المنظورَ لوَحدةِ الإيمان والشركة .

وهذا التعليمُ العقائديّ بشأن أوّليّة الحبر الروماني وسُلطانه التعليميّ المعصوم ، من حيثُ إنشاؤُهما واستمرارُهما وقوتُهما وغايتُهما ؛ يتبنّاه المجمع المُقدّس ، ويُعلنُه ثانيةً على

رسالة بعثها إلى القنصل أشربوس من فلورنسا في ٣٠ تشرين الأوّل ١١٩٨م، بعنوان ((السلطة العليا المزدوجة على الأرض)) ، وممّا جاء فيها : ((كما أنّ الله ، خالق الكون كلّه ، جعل في فلك السماء نيّرين كبيرَين ، الأكبر لسلطان النهار، والأصغر لسلطان الليل، كذلك جعل في فلك الكنيسة الجامعة التي تُدعى ((سماء)) رتبتَين عظيمتين ـ كُبرى ، كما للنهار ، ترعى النفوس، وأخرى أصغر منها، كما لليالي، ترعى الأجساد ، وهما السلطة الحبريّة والسلطة المَلكيّة .

وإلى ذلك ؛ فكما أنّ القمر يتلقّى النّور من الشمس ، وهو في الحقيقة أصغر منها ، سواء كان في حجمه أو في صفته، وسواء كان في منزلته أو في أثره، يتلقّى السلطان الملكيّ من السلطة الحبريّة رونقَ رُتبته؛ فمقدار ما يُثبت عليها نظره يتألّق بنورٍ أعظم، وبمقدار ما يميل عنها بنظره يفقدُ رونقه))، الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها، ١/ ٢٥٧.

وعلى رأس هؤلاء الباباوات ؛ الذين استغلوا العقيدة في قداسة كراسيهم الكنسيّة للجمع بين السلطتين الدينيّة والدنيويّة ؛ البابا غريوريوس السابع (٢٢ نيسان ١٠٧٣ ــ ٢٥ آيار ١٠٨٥ م) .

وقد تكلّمت على مسألة محاولة بعض الباباوات الكاثوليكيين في الجمع بين السلطتين الدينيّة والدنيويّة ؛ وضربت أمثلة فيها نوع تفصيل على ذلك في الباب الأوّل من البحث من ص ٨٧ ؛ وأحببت هُنا أن أربط بين اعتقادهم في قداسة كراسيهم ؛ ومحاولة مطالبة بعضهم ــ استغلالاً لهذه العقيدة ــ بامتلاك السلطة الدنيويّة أيضاً .

جميع المؤمنين عقيدةً إيمانيّةً ثابتةً))[1] .

فإنّه أدرج عقيدة عصمة البابا " الحبر الروماني " في إطار أوسع ، إطار مسؤوليّة الهيئة الأسقفية جمعاء وعصمتها في التعاليم الكنسيّة ، في العقيدة والأخلاق .

فالهيئة الأسقفيّة ، بالاتحاد مع البابا ، وليس بمعزل عنه ، أيضاً لها هذه القداسة ، لها السلطان الأعلى والكامل على الكنيسة كُلّها .

جاء في جلسته الخامسة العلنيّة بتاريخ ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٤م ، تحت مُسمّى ((دستور عقائدي))، في الفصل الثالث ((نظام السُّلطة في الكنيسة ولا سيّما الأسقفيّة))، تحت عنوان ((الهيئة الأسقفيّة ورأسها)) ومِمَّا جاء فيه : ((... بيد أن الهيئة الأسقفيّة ، أو الجسم الأسقفيّ ، لا سلطانَ لها ما لم نتصوّرها متحدةً بالحبر الروماني خليفةِ بطرس ، اتحادَها برأسها محتفظاً بسُلطانه الرئاسيّ الأعلى كاملاً على الجميع سواء كانوا رُعاةً أم مؤمنين . ذلك الحبر الروماني ، بِحُكم مُهمّته كنائب للمسيح وراعٍ للكنيسة كلّها ، يملك في الكنيسة السُلطانَ الكاملَ الأعلى الجامع ، ولَه أن يُمارسَه على الدوام وبدون ما قيد . وأمّا الهيئةُ الأسقفيّةُ التي تَخلفُ الهيئةَ الرسوليةَ في سُلطانِ التعليم والتدبير الرعوي ، بل فيها يستمرّ الجسمُ الرسوليّ على الدوام ، هي أيضاً ، بالاتحاد مع الحبر الروماني رئيسها — وليس أبداً بمعزلٍ عن هذا الرئيس — تملكُ السلطانَ الأعلى والكاملَ على الكنيسةِ كُلّها ، وإنّما لا يُمكنُ أن تُزاولَه إلا بموافقة الحبر الروماني . فالربُّ قد جعل من سمعانَ وحدَه صخرةً لكنيسته ، وله وحدَه سلّمَ مفاتيحَها [متى ١٦ : ١٨ — ١٩] ، وأقامَه راعياً لقطيعه كلّه [يوحنّا ٢١ : ١٥ وما بعده] ، بيد أنّ مُهمةَ الحلّ والربطِ التي أُعطيت لبطرس [متى ١٦ : ١٩] قد أُعطيت أيضاً ، ولا شك ، لهيئة الرسل متحّدين برئيسهم ؛ وهذه الهيئةُ المؤلّفةُ من عديدين تُعبِّرُ عن التنوع والشمول في شعب الله ، وبتجمّعها تحت رأسٍ واحدٍ تعبّرُ عن الوحدة في قطيعِ المسيح))[2] .

كما أنّه جاء في الجلسةِ الخامسة نفسها ، وفي الفصل الثالث نفسه ، تحت عنوان فرعي ((وظيفة الأساقفة التعليميّة))، ومِمَّا جاء : ((... ولئن يكن الأساقفة لا يتمتعون،

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ٢ / ٩٤٢ .

[2]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ٢ / ٩٤٥ .

منفردين ، بامتياز العصمة ، فإنّهم ، على ذلك — وإن كانوا منتشرين في العالم ولكن مُتّحدين في ما بينهم ومع خليفةِ بطرس بِرباط الشركة — إذا اتفقُوا على التعليم ، بوجه صحيح ، بأنّ عقيدة تتعلّقُ بالإيمان والآداب تلزمُ بوجه مُطلق ، فتعليمُهم إذ ذاك تعليمُ المسيح يعبّرون عنه بِعصمة .

إن هذه العصمة التي شاء الفادي الإلهي أن يَمُدَّ بها كنيستَه لكي تُحدِّدَ التعليم المُتعلّق بشؤون الإيمان والآداب ، إنّما تتسعُ اتساعَ مُستودعِ الوحي الإلهي بالذات الذي يجب الحفاظ عليه بقداسة ، وعرضِه بأمانة . وهذه العصمة يتمتّعُ بها الحبر الروماني ، رئيس هيئة الأساقفة ... لذلك يُقال بحقٍ في التحديدات التي يلفظها إنّها بقوةِ ذاتها لا بقوةِ قَبولِ الكنيسة لها ، لا تقبل التعديل ، لأنّها صدرت بمعُونةِ الروح القدس التي وُعدَ بها في شخص القديس بطرس ، ولا يعوزُها من ثم موافقةُ الغير ، ولا يُمكن أن تكونَ موضعَ استئنافٍ إلى محكمةٍ أخرى . ذلك بأنّ الحبرَ الروماني لا يُصدرُ الحُكمَ بصفةِ كونه شخصاً منفرداً ، وإنّما يَعرضُ عقيدةَ الإيمان الكاثوليكيّ ويذودُ عنها بصفة كونِه للكنيسةِ الجامعة هو المُعلّم الأعلى الذي يستقرُ فيه ، بصفة فريدة ، امتيازُ العصمة الذي هو امتيازُ الكنيسة بالذات . والعصمة التي وُعدت بها الكنيسةُ مستقرة أيضاً في هيئةِ الأساقفة عندما تُمارسُ سُلطانَها التعليمي الأعلى بالاتحاد مع خليفة بطرس))[1] .

استغلّ كثير من الباباوات ، خاصة بابوات العصور الوسطى ، إيمان الشعوب الغربيّة الكاثوليكيّة بهذه العقيدة ، عقيدة عصمة منزلتهم الأسقفيّة ، وما يترتب عليها من مغفرة الخطايا ، فأصدروا أوراقاً لمن أراد من أولئك المتبوعين فيها البشرى لهم بمغفرة خطاياهم ، والوعد لهم بالخلاص والسعادة الأبديّة ، سمّوها ((صكوك الغفران)) ، مقابل مبلغٍ من المال تُدفع للكنيسة ، أو خدمة معيّنة يقومون بها للكنيسة كالدفاع عنها مثلاً ، أو توجيههم لقتال أعدائها ، كقتال المسلمين إبّان الحروب الصليبية مثلاً ، وتنفيذ مطامعها الدنيويّة .

تقول كارين آرمسترونغ : ((الغفران عُرف كاثوليكيّ مُعقّد اتسم ببالغ الأهمّية أثناء

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ٢ / ٩٤٩ .

الحملات الصليبيّة . فعن طريق بعض الإجراءات المُعيّنة ، كان الباباوات يمنّون على الكاثوليك بوسيلة للتخفيف من العقوبة المؤقتة التي ستنزل بهم نتيجة الذنوب والخطايا التي ارتكبوها في الحياة الدنيا ...))[1] .

وقد ذكرت بعض الوثائق البابويّة في هذه المسالة ، عند كلامي عن سرّ التوبة ، أحد أسرار الكنيسة السبعة ، وهنا أذكر وثيقة بابويّة ردت على اعتراضات مارتن لوثر على منحها صكوك غفران لمن طلبها من أتباعها النصارى ، وهذه الوثيقة كُتبت في أعقاب المجمع اللاتراني الخامس (المسكوني الثامن عشر) ٣ أيار ١٥١٢ ـــ ١٦ آذار ١٥١٧ م ، وفي عهد البابا نفسه ، لاون العاشر (١١ آذار ١٥١٣ ـــ ١ كانون الأوّل ١٥٢١ م) ، تحت مُسمّى ((جواب على مقالات مارتن لوثر)) في ٩ تشرين الثاني ١٥١٨ ، بعنوان ((الغفرانات)) ، ومِمَّا جاء فيها : ((الحبر الرومانيُّ ، خليفة بطرس ، الذي أُلقيت إليه سلطةُ المفاتيح ، ونائب المسيح يسوع على الأرض ، بقوّة سلطة المفاتيح التي تفتح ملكوت السموات ينزعها ما يحول دون ذلك في المؤمنين ، أعني الخطيئة وعقوبة الخطايا الفعليّة : الخطيئة بسرّ التوبة ، والعقوبة الزمنيّة ، على حسب العدالة الإلهيّة ، بغفران الكنيسة ، فالحبر الرومانيُّ يستطيع ، لأسباب سديدة ، أن يمنح هؤلاء المؤمنين ، أعضاء المسيح برابط المحبّة ، في هذه الحياة أو في المَطهر ، غفرانات مستمدّة من فيض استحقاقاتِ المسيح والقدّيسين . فعندما يمنح بسلطته الرسوليّة الغفران للأحياء والأموات، يوزّع، على عادته، كنزَ استحقاقاتِ يسوع المسيح والقدّيسين ، جاعلاً الغفران بالحلّ (الاعتراف) ، أو على سبيل التوسُّل .

ولهذا فجميع الذين نالوا هذا الغفرانَ ، سواء كانوا أحياءً أو أمواتاً ، قد تحرّروا من العقوبة الزّمنيّة ، الناجمة ، بموجب العدل الإلهي ، عن خطاياهم الحاليّة بقدر الغفران الممنوح أو المكتَسب .

وإنّنا نقرّر ، بسلطتنا الرسوليّة وبمضمون هذه الرسالة أنّه هكذا يجب أن يكون التفكير والوعظ تحت طائلة الحرم المسبق))[2] .

---

[1]) الحرب المُقدّسة (الحملات الصليبيّة وأثرها على العالم اليوم) ، ص ٦٨٩ ، كارين آرمسترونغ .

[2]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٣٧٨ .

فهذه العقيدة لا شك أنّها مهزلة في تاريخ الديانات، وفي اعتقادات النّاس وسعيهم للخلاص .

فإذا كان الرسل و الأنبياء على جلالة قدرهم عند الله تعالى ، لا يستطيعون القيام بهذا الفعل ــ مغفرة خطايا البشر ــ ففيه تعدٍّ واضح لبعض خصائص الرب سبحانه ؛ فكيف بأولئك الباباوات ، الذين لو وضعناهم في ميزان الدين الحق لرأينا مدى كفرهم وشركهم بالله تعالى ، فهم رأس فئة من الناس في التاريخ يزعمون أنّ لله ولداً وشريكاً ، هو عيسى ــ عليه السلام ــ ، تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً .

ثُمّ ((ما بالك حين يكون الأمر لا عن نية حقيقية في التوبة يعلمُها البابا ، بل عن مبلغ من المال ؟! بل ما بالك والمال ــ في أكثر الأحيان ــ ليس مدفوعاً لله على سبيل الصدقة للفقراء والمساكين ، ممّا يقبله الله من المؤمنين ويحط به من خطاياهم ؛ وإنّما هو لشراء الصك كما تشتري أي سلعة معروضة في الأسواق ، والمال يذهب إلى خزائن البابوات والكرادلة حتى يكتنزوا بالذهب والفضة التي يكترونها ، ولا يذهب إلى مستحقيه من الفقراء والمساكين ؟! .

ومع أنّها مهزلة مضحكة ــ ومكشوفة ــ فقد ظلت قائمة في المجتمع الأوربي ــ مجتمع الظلمات ــ فترة غير قصيرة من الوقت ، واتسع نطاقها وكثرت أرباحها حتى فاضت عن مطامع قداسة البابا ، فتنازل عن شيء من الفائض لكبار أعوانه ؛ فصرّح لهم بإصدار صكوك لحسابهم ؛ استرضاء لهم واستعانة منه بهم في جلائل الأعمال))[1] .

وقد كانت عقيدة عصمة البابا ، وما تعلّق بها من إصدار البابويّة لصكوك الغفران ، السبب الأعظم في خروج فئة من النصارى الغربيين على طاعة البابويّة ؛ وما تدعو إليه من علوّ مترلتها وعِظم سلطانها .

وقد ظهر شأن هذه الاعتراضات ؛ في القرن الرابع عشر الميلادي ((عصر النهضة الأوروبيّة)) ، منذ ظهور الفيلسوف الانجليزي وليم أوكهام (١٢٨٠ ــ ١٣٤٩ م) ، فكان يُنادي بأنّ البابوات والمجامع المُقدّسة غير معصومة ، مع أنّه كان يحترم سُلطتهما

[1]) مذاهب فكريّة معاصرة ، ص ٦٥ ، ٦٦ ، للأستاذ الكبير محمد قطب .

الدينيّة ، يقول عنه مارتن لوثر : ((لا شك أنّه القائد ، بل هو أمهر فلاسفة العصر الوسيط))[١] .

ثُمّ تبعه في ذلك معاصرة الفيلسوف الإيطالي مارسيليوس البادوفي (١٢٩٠ — ١٣٤٣ م) ، فقد هاجم سُلّطة البابويّة المعصومة ، وحقها الإلهي المزعوم بعنف ، وأكثر حدّة من أوكهام ، فقد كان فيلسوفاً أكثر منه لاهوتياً .

وكان يُنادي بأن بطرس لم يكن في رتبة أعلى من باقي الرسل ، وأن دور البابويّة ونظامها الإكليروسي منحصر في القيادة الدينيّة ، وتعليم العقيدة الموجودة في الكتاب المقدّس[٢] .

ثُمّ تتابع دور المعترضين من النصارى الغربيين على عقيدة العصمة البابويّة ، حتى حلّ زمن انفصلت فيه مجموعة كبيرة منهم عن البابويّة ، وطائفتها الكاثوليكيّة ، وكوّنوا طائفة جديدة سُمّيت الطائفة المنشقة ، أو الطائفة ((البروتستنتيّة)) ، وعلى رأس أولئك رجل يُدعى مارتن لوثر (١٤٨٣ — ١٥٤٦م)[٣]، وذلك في بداية القرن السادس عشر الميلادي.

وجد ماران لوثر، في قضية الغفرانات، فرصة ينتهزها لإعلان اعتراضه على البابويّة، فرفض عصمة البابا، والغفرانات التي تصدرها الكنيسة، وسمّى ذلك بالاطمئنان الكاذب التي تدّعيه البابويّة لتلك الصكوك ، فقد كان يؤمن برأي بولس أن الإنسان يبرّر بالإيمان بمعزل عن أعمال الشريعة [٤]، وقد كان يُناقش كثيراً حول مسألة تكدّس الأموال في خزائن البابويّة وكنائسها بسبب بيع تلك الصكوك ، وقد صرّح في عام ١٥١٩ بقوله : ((أكاد

---

[١]) تاريخ الكنيسة ، ٤ / ٦٥ ، الدكتور القس جون لوريمر ، ترجمة عزرا مرجان .

[٢]) المرجع السابق ، ٤ / ٦٦ ، لوريمر .

[٣]) مارتن لوثر : وُلد في ١٠ نوفمبر سنة ١٤٨٣م في مدينة أيسليبن بمقاطعة ساكس الألمانيّة ، في عائلة فقيرة ، عاش طفولة خشنة ، وآمن كثيراً بالقصص الحافلة بالشياطين . في سنة ١٥٠٥م على أثر صدمة نفسيّة سبّبها خوفه من الموت والهلاك ، دخل دير نسّاك القديس أوغسطينيس في ايرفورت ، وعاش فيه عيشة الناسك الخشنة ، وعقب إتمام الدراسات الفلسفيّة واللاهوتيّة رُسّم كاهناً . بدأ لوثر منهجه في الاعتراضات على البابويّة وتوجهاتها في ٣١ / ١٠ / ١٥١٧ م . انظر : دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص ٢٣١ ، الأب جان كُمّبي ، وتاريخ الكنيسة ، ٤ / ١٠٠ — ١١١ ، الدكتور القس جون لوريمر .

[٤]) روميّة ٣: ٢٤ — ٢٨، غلاطيّة ٢: ١٦،وانظر في هذه المسألة صفحات التمهيد من هذه الرسالة ٣٤ .

لا أشك في أنّ البابا هو المسيح الدجّال))[١] .

ولا أشك في أنّ هذه الثورة على عقيدة عصمة البابا ، وما ترتب عليها من بيع صكوك لمغفرة الخطايا ، كانت بسبب احتكاك الغرب النصراني بالشرق الإسلامي طوال قرنين من الزمن من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر في فترة الحملات الصليبية على الأمة الإسلامية ، فكان نتاج هذا الاحتكاك تنوير العقليّة النصرانيّة ، ومن ثمّ اكتشافها أخطاء كنسيّة ضخمة كانت الكنيسة تُعلّمها لهم ، ومن هذه الأخطاء عقيدة عصمة البابا ، وما يترتب عليها من أمور تقديسيّة مزعومة[٢] .

---

[١]) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ، الأب جان كُمبي . وانظر بأكثر تفصيلاً إلى كتاب : تاريخ الكنيسة ، ٤ / ١١٣ ـ ١٤٣ ، الدكتور القس جون لوريمر ، أوروبا والمسيحيّة ، الجزء الثالث بعنوان ((تمـزّقُ الكنيسة)) ، من ص ٢٥٣ إلى ص ٢٦٦ ، يان دوبراتشيتسكي ، ترجمة : الدكتور كيرو لحدو .

[٢]) الفكر الإسلامي الحديث وصلتُهُ بالاستعمار الغربي ، ص ١٩ ، الدكتور محمد البهي .

رابعاً : تقديس الصور والتماثيل ((الإيقونات))[١] .

تعتقد الطائفة الكاثوليكيّة بوجوب تقديس صور ربّهم المسيح، ووالدته، وقدّيسهم، وإكرامها ، وتعليقها ، والوقوف أمامها .

فهي عندهم علامة للحب ، ووسيلة للذكرى ، تقوّي العبادة ؛ لأنها تشرك العين في العبادة ، وتُذكّر الإنسان بمشاهد تقوّيه مهمة .

كتمثال ربّهم المصلوب ، فيرون أنّه يُذكّرهم بسرِّ الفداء ، وصور القيامة والصعود والبشارة ، وصور العذراء المختلفة ... يعتقدون في هذا كلّه ترسيخاً لمبادئ إيمانهم ، وفضائل قدّيسهم ، وتشجيعهم على الاقتداء بهم ليشاركوهم في مجدهم الذي يعتقدونه[٢] .

كما أنّهم يرون أنّ هذه الصور والتماثيل ((الإيقونات)) لغة للتعليم ، خاصة لتعليم الأطفال والبسطاء ، فهي ((لها دور تعليمي هام فالطفل يرى مثلاً الصليب وصور المسيح المصلوب فيسأل عنها وتكون بداية لمعرفة المسيح))[٣] .

وقد وردت وثائق بابويّة في الحث على إكرام الصور والتماثيل لقدّيسيهم ، من أوائل تلك الوثائق ، ما كُتبت في عهد البابا غريغوريوس الأوّل الكبير (٣ أيلول ٥٩٠ — ٢٠ آذار ٦٠٤ م) ، في رسالة إلى سيرينوس أسقف مرسيليا في تشرين الأوّل سنة ٦٠٠ م[٤] ، وجاء فيها : ((لقد بلغنا ... أنّك حطمت صور القدّيسين ، مستنداً إلى شبه عذر بأنّها يجب ألاّ تُعبَد . إنّنا نثني كُلَّ الثناء على تحريمك عبادتها ، ولكنّنا نلوم على تحطيمها ...

---

[١]) الإيقونة : لفظ يوناني ، معناه الصورة أو الرسم ، وهو يستعمل في المصطلحات الدينيّة للإشارة إلى صورة القديسين . انظر : الروم وصلاتهم بالعرب ، ١ / ٣٠٢ ، الدكتور أسد رستم .

[٢]) على ضفاف الحقيقة ، ص ٤٨٤ ، للدكتور خليل كفوري .

[٣]) الطوائف المسيحيّة في مصر والعالم ، ص ١٦٩ ، ماهر يونان رفائيل .

[٤]) وقد كان الجدل والصراع قائماً منذ القرن الرابع الميلادي حول مسألة تقديس وإكرام الصور والتماثيل ((الإيقونات)) ، فقد حرّم مجمع كاثوليكي محلّي ، وهو مجمع ألفيرة في إسبانيا ، حرّم إقامة الصور في الكنائس ، وظهر في نفس القرن الأسقف القبرصي ابيفانيوس وكان من المعارضين لتقديس الصور ، فقد مزّق ستاراً في الكنيسة لأنه كان يحمل صورة ربّهم يسوع وبعض قدّيسيهم ، كما أنّه في القرن الخامس ظهر منع تكريم الصور في بعض كنائس سوريا ، وفي القرن السادس ضجّت كنائس إنطاكيّة مستنكرة إكرام الإيقونات ، وفي هذا القرن أيضاً حرّم أسقف مرسيليا إقامة الإيقونات في الكنائس ، فأرسل إليه البابا غريغوريوس الأوّل الرسالة المدوّنة في المتن أعلى الصفحة . انظر : الروم وصلتهم بالعرب ، ١ / ٣٠٤ .

فعبادة صورة شيء ، وشيء آخر التعلّم مِمَّا ترويه الصورة ما يجب أن نَعبد . لأنّ ما تُمثّله الأسفار لمن يعرف القراءة تحقّقه الصورة للسذّج الذين ينظرون إليها ، إذ يرى فيها الجهّال ما يجب أن يتمسّكوا به ، ويقرأ فيها من لا يعرف الحروف . لذلك تقوم الصورة بالنسبة إلى الشعوب خصوصاً مقام القراءة . فإذا أراد أحد أن يصنع صوراً لا تمنعه أبداً ...))[1] .

ثُمّ أنّ أهم المجامع في إظهار عقيدة تقديس الصور والتماثيل ((الإيقونات)) بالنسبة للكاثوليك ، كان مجمع نيقيّة الثاني (المسكوني السابع) ٢٤ أيلول ــ ٢٣ تشرين الأوّل ٧٨٧م ، في عهد البابا أدريان (أدريانوس) الأوّل (٩ شباط ٧٧٢ ــ ٢٥ كانون الأوّل ٧٩٥ م) ــ فقد كان انعقاده على إثر صراع قوي بين فريقين ، فريق مؤمن بتقديس الإيقونات ، وآخر يمنع ذلك ، والحزبان متمثّلان في طائفة الروم الأرثوذكس ، حزب مع الطائفة الكاثوليكيّة وهم المؤيدون ، والآخر ضد ذلك[2] ــ .

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ١٦٤ .

[2]) ويُقسّم المورخون هذا الصراع إلى مدتين ، الأولى : من سنة ٧٢٦ حتى سنة ٧٨٠ ، وتنتهي بالمجمع المسكوني السابع ((نقيّة الثاني)) ، والمدة الثانية : من سنة ٨١٣ حتى سنة ٨٤٣ م أي قبل انعقاد المجمع المسكوني الثامن ((القسطنطينيّة الرابع)) .

ففي سنة ٧٢٥ أو ٧٢٦ م أصدر الإمبراطور البيزنطي لاوون الثالث أمره بحضر تكريم الإيقونات ، فتمّ إنزال تمثال ربّهم يسوع من على باب القصر الإمبراطوري ، فاعترض عليه البطريرك جرمانوس ، ولكن بدون فائــدة ، فاندلعت ثورة على قرارات الإمبراطور في حظر تكريم الإيقونات اشتركت فيها النساء اشتراكاً فعليّاً ، فكــان رد الإمبراطور عنيفاً فسقط عدد من القتلى . وفي سنة ٧٣٠ أصدر لاوون أمراً أشدّ مــن الأوّل فقاومــه البطريــرك جرمانوس واحتج عليه ، فأهانه لاوون وعزله ونصب مكانه بطريرك يؤيّده في عقيدته بمنع إكرام الإيقونات . وهنا أرسل له بابا الكاثوليك غريغوريوس الثاني (١٩ أيار ٧١٥ ــ ١١ شباط ٧٣١م) رسالة في سنة يوضّح له العقيدة الصحيحة في ذلك ، وهي وجوب إكرام الإيقونات (الصور والتماثيل) ، فلم يهتم الإمبراطور برسالة البابا ، فعقد البابا الذي خلفه ، وهو غريغوريوس الثالث (١٨ أذار ٧٣١ ــ ٢٨ تشرين ٧٤١ م) مجمعاً محليّاً في سنة ٧٣٢م حرّم مكافحي الإيقونات، فأصدر الإمبراطور أوامره بقطع كل صلة للكنائس الخاضعة لسلطته الإداريّة عن ســلطة بابا روما الدينيّة. ثُمّ جاء بعده ابنه الإمبراطور قسطنطين الخامس إلى منصّة الحكم عام ٧٤١م ، فشرع في اضطهاد محبّي الإيقونات ، وعقد مجمعاً في سنة ٧٥٤م فأوجب إخراج الإيقونات من الكنائس والبيوت وقطع كل أسقف أو كاهن أو شمّاس وقضى على كُلّ راهب أو علماني يقول بالإيقونات أن يُحاكم أمام المحاكم المدنيّة بتهمة معاداة الله والمعتقدات الموروثة عن الآباء .

=

=وفي سنة ٧٧٥م توفي قسطنطين الخامس فخلفه ابنه لاوون الرابع، وكان أيضاً معادياً للإيقونات، وبعد خمس سنين خلفه ابنه قسطنطين السادس وله من العمر خمس سنين، فتولّت امه ايرينه زمام الحكم باسمه وكانت من محبّي الإيقونات ، ونجحت في تغيير البطريرك إلى أحد مؤيديها في عقيدة إكرام الإيقونات ، وهو طراسيوس ، وفي عهده اجتمع المجمع السكوني السابع ((نيقيّة الثاني)) في عام ٧٨٧ م بعناية بابا روما أدريان الأوّل .

وفي جلسته الثانية قرئت رسالة بابا روما إلى أساقفة المجمع خاصة البطريرك طراسيوس ، وفيها الأمر بإعادة الإيقونات ، وفي الجلسة الثالثة قرئت رسالة البطريرك إلى المجتمعين ، وأجاب عن أسئلتهم في مسألة الإيقونات ، وفي الجلسة الرابعة اعترف آباء المجمع بوجوب تكريم الإيقونات وقبّلوها ، وألغوا قرارات مجمع عام ٧٥٤م و التي حرّمت الإيقونات ، وفي الجلسة السابعة كتب اعتراف الإيمان وحدّد فيه المجمع وجوب تقبيل الإيقونات والسجود الإكرامي لها . وبهذا انتهت الفترة الأولى من الصراع الذي أنشأه بعض إمبراطورات الدولة الرومانيّة في القسطنطينيّة .

والفترة الثانيّة كانت من سنة ٨١٣ حتى سنة ٨٤٣ م أي قبل انعقاد المجمع المسكوني الثامن ((القسطنطينيّة الرابع)) ، في ٥ تشرين الأوّل ٨٦٩ ـــ ٢٨ شباط ٨٧٠ م .

فبدأت الفترة الثانية في الصراع منذ عهد الإمبراطور لاوون الخامس ابن نيقفور الأوّل (٨١٣ ـــ ٨٢٠ م) فقد كان معادياً أشد من أبيه لتكريم الإيقونات ، بل كان يرى أنّ ما حلّ بالدولة الرومانيّة من ضعف ، وما أحدق بها من خطر إنّما نشأ عن العودة إلى تكريم الإيقونات . وأعاد قرارات مجمع عام ٧٥٤م في منع تكريم الإيقونات . وفي ربيع عام ٨١٥ م أمر بإلقاء القبض على البطريرك نيقيفوروس وكان من محبّي الإيقونات ، وعيّن بدلاً عنه ثيودوتوس . ثُمّ كان عهد خليفته ميخائيل الثاني عام ٨٢٠م ، فخفف الضغط على مُحبّي الإيقونات ، فصدر أوامره بمنع كل مشادة حول الإيقونات ، واستدعى من المنفى جميع المبعدين بسبب الإيقونات في عهد لاوون الخامس منذ عام ٨١٣م ، خاصة عندما قامت ثورة لصالح محبّي الإيقونات عام ٨٢١م ، ممّا جعلت الإمبراطور يقف محايداً . ثُمّ كان عهد خليفته ، ثيوفيلوس الأوّل (٨٢٩ ـــ ٨٤٢ م) ، وكان من أعداء الإيقونات ، وعيّن بطريركاً على الكرسي القسطنطيني من مبغضي الإيقونات اسمه يوحنّا الكاتب . ثُمّ كان عهد خليفته ، ابنه ميخائيل الثالث (٨٤٢ ـــ ٨٦٧ م) ، وقد استلم الإمبراطوريّة وهوابن السادسة من العمر ، فكانت وصيّته امه ثيودورة ، وقد كانت من محبّي الإيقونات ، واختارت في مجلس الوصاية مستشارين يؤمنوا معها بالإيقونات ، وأبعدت يوحنّا الكاتب من سدة البطريركيّة ، وعيّنت بدلاً عنه متوذيوس وكان من مناصري الإيقونات .

دعت ثيودورة مع بطريركها الجديد إلى مجمع عام ٨٤٣ م، فوافق المجمع على قرارات المجمع المسكوني السابع، وبعد انتهاء المجمع من السنة نفسها في أوّل أحد من الصوم الكبير نُصبت الإيقونات المُكرّمة في كنيسة الحكمة ، وأصبح ذلك اليوم ، ومازال عند معتقدي عقيدة تقديس الصور والتماثيل (الإيقونات) عيداً سنويّاً لرفعها وانتصارها لتمجيد الإيقونات . وبعد المجمع أصدر البطاركة الثلاثة في المشرق (خريستيفورس الاسكندري ، وأيوب الانطاكي ، وباسيليوس الأورشليمي) بياناً مشتركاً بوجوب حماية الايقونات وتكريمها .

انظر : الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ، ص ٣٠٢ ـــ ٣٢٧ ، الدكتور أسد رستم . وبتوسع إلى كتاب (حرب في الكنائس) للدكتور أسد رستم .

وكانت من أهم جلسات المجمع في شأن الإيقونات ، الجلسة السابعة ، بتاريخ ١٣ تشرين الأول ٧٨٧م، بعنوان ((تحديدات في شأن الأيقونات المُقدَّسة))، ومِمَّا جاء فيها: ((إنّنا ، ونحن سائرون على الطريق الملكيّة ، ومعتمدون على التعليم الإلهيّ الملهم لآبائنا القديسين ، ولتقليد الكنيسة الكاثوليكيّة ، الذي نعلمُ أنّه من الروح القدس الساكنِ فيها ، نُقرِّر هذا بكلّ ما أمكن من الدِّقّة والصحّة : كما هو الأمر بالنسبة إلى تمثيل الصليب الثمين والمحيي، فلتوضَع الإيقوناتُ المُكرّمة والمُقدّسة ، المصنوعةُ من فسيفساء أو من مادة أخرى لائقة ، في كنائس الله المقدّسة ، على الأشياء والألبسة المكرّسة ، على الجدران والألواح ، في المنازل وعلى الطرقات : إيقونة ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح ، وإيقونة سيّدتنا المُنزّهة عن الدنس والدة الله القديمة ، وإيقونات الملائكة الجديرين بالاحترام ، وجميع القدّيسين والأبرار .

إذ كُلّما رأيناهم مُمثَّلين في الإيقونة ، وحدّقنا في إيقوناتهم ، حَمَلَنا ذلك على أن نتذكّر ونُحبَّ النماذجَ الأصليّة ، وأن نُقدِّم لهم التحيّات والإكرام ، لا العبادةَ الحقيقة الخاصة بإيماننا ، التي تليق بالطبيعة الإلهيّة وحدَها ، ولكن كما يجري بالنسبة إلى تمثيل الصليب المجيد المحيي ، والأناجيل المُقدّسة ، وكُلّ الأشياء الأخرى المكرّسة . ويُكرِّمون بالتبخير وإضاءة الأنوار على عادة تقوى الأقدمين ، إذ إن الإكرام الذي تُكرّم به الإيقونة يعود إلى النموذج الأصلي ، وهكذا يُثبّت تعليمُ الآباء القديسين ، وتقليدُ الكنيسة الكاثوليكيّة ...

إن الذين يتجرّؤون على أن يُفكّروا أو يُعلِّموا بخلاف ذلك، أو يزدروا تقاليدَ الكنيسة، جرياً على منهاج الهراطقة الملاعين ، أو أن ينبذوا أحدَ الأشياء المُكرّسة المُقدّمة للكنيسة، من أناجيل ، وتمثيل للصليب ، ولوحةٍ أو ذخائرَ مُقدّسة لشهيد ، أو أن يتخيّلوا أساليبَ ملتوية وخادعة ليهدموا بعض ما في تقاليد الكنيسة الكاثوليكيّة الشرعيّة ، أو أيضاً لكي تُباح الأشياءُ المُقدّسة لاستعمال غريب ، هؤلاء جميعاً ، إذا كانوا أساقفة أو من الإكليروس فنأمر بحَطّهم ، وبإقصائهم إذا كانوا رهباناً أو علمانيين))[1] .

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٢١٢ .

وجاء أيضاً في الجلسة الثامنة منه، في آخر يوم لانعقاده، ٢٣ تشرين الأوّل ٧٨٧م، تحت عنوان ((عن الإيقونات ، وناسوت المسيح ، وتقليد الكنيسة)) ، ومِمَّا جاء فيها : ((نقبل الإيقونات المكرّمة . ومن لا يرون ذلك نخضعهم للحُرم ... من لا يقبل أن يُرسَم بالإيقونات ما جاء في الإنجيل فليكن مُبسَلاً . من لا يقبل هذه الإيقونات التي صُنعت على اسم الرّب وقدّيسيه ، فليكن مُبسَلاً ...))[1] .

ومن هذه الوثائق البابويّة أيضاً ، ما كان في مجمع القسطنطينيّة الرابع (المسكوني الثامن) ٥ تشرين الأوّل ٨٦٩ ــ ٢٨ شباط ٨٧٠ م ، في الجلسة العاشرة ، في اليوم الأخير من انعقاده ، تحت مُسمّى ((قوانين)) ، بعنوان فرعي ((تكريم الإيقونات)) ، وجاء فيها : ((نرسم أنّ الإيقونات لربّنا يسوع المسيح محرِّر جميع الناس ومُخلّصهم ، يجب أن يكون لها الإكرام نفسه الذي لكتاب الأناجيل المُقدَّسة .

فكما أنّنا بالكلام الذي يتألف من مقاطع يتضمّنها الكتاب نصل كلُّنا إلى الخلاص ، كذلك بالتأثير الذي تُحدثه هذه الإيقونات بألوانها، يجني الجميع، علماء كانوا أو جُهلاء، فائدة مِمَّا يقع تحت أنظارهم، فما يُقال بالمقاطع، تُعْلِنه الكتابة التي بالألوان وتُعلي شأنه.

ومن اللائق ، انسجاماً مع العقل والتقليد الأقدم ، وبسبب الشرف ، إذ يُرجَع إلى الأمثلة نفسها ، أن تُكرّم الإيقونات وأن تُحَلّ مثل كتاب الأناجيل المُقدّسة وصورة الصليب الثمين .

فمن لا يُكرِّم إذن إيقونة المسيح المُخلِّص ، لن يرى هيئته عندما يأتي في مجدِ أبيه ، ليُمَجِّد القدّيسين [رسالة بولس الثانية لأهل تسالونيكي ١ : ١٠]، فليكن غريباً عن شركته وعن مجده .

ويكون كذلك لمن لا يُكرِّم إيقونة مريم أمّه الطاهرة ووالدة الإله . ونرسم أيضاً إيقونات الملائكة القديسين ، كما يُمثّلهم الكتاب الإلهي بالكلام . نُكرِّم ونُحلّ أيضاً إيقونات الرسل الجديرين بالكثير من المديح ، والأنبياء والشهداء ، والرجال القديسين وجميع القديسين .

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٢١٤ .

والذين لا يسلكون هكذا فليُبسلهم الآبُ والابن والروح القدس))[١] .

وكذلك في المجمع التريدنتيني (المسكوني التاسع عشر) ــ الطويل ــ ١٣ كانون الأوّل ١٥٤٥ ــ ٤ كانون الأوّل ١٥٦٣ م ، في جلسته الخامسة والعشرين بتاريخ ٣ و ٤ كانون الأوّل ١٥٦٣ م ، بقرار ــ طويل ــ ((مرسوم في الدعاء إلى القديسين وإكرامهم وذخائرهم، وفي الإيقونات)) بتاريخ ٣ كانون الأوّل ١٥٦٣م، ومِمَّا جاء فيه: ((المجمع المُقدّس بأمر جميع الأساقفة وسائر من أُسندت إليهم مُهمّةُ التعليم والإرشاد بأن يبذُلوا قصارهم في تلقين المؤمنين ، وفق مسلك الكنيسة الكاثوليكيّة والرسوليّة الذي سلكتهُ منذ فجر المسيحيّة، ووفقَ الشعورِ العامّ للآباء القدّيسين، وقرارات المجامع المُقدّسة، موضوع ... تكريم الذخائر ، واستعمال الإيقونات ... .

والذين يقولون بأنّه يجب أن لا تُكرّم ذخائر القديسين ، أو أنّه من العبث أن يُكرّمها المؤمنون هي وسائر التذكارات المُقدّسة ... هؤلاء جميعاً يجب أن يُشجَبوا والكنيسة قد شجبتهُم قديماً ولا تزال تشجُبهم اليوم .

وإلى ذلك يجب اقتناءُ وحفظ إيقونات المسيح ، والعذراء مريم والدة الإله ، وسائر القديسين ، ولا سيّما في الكنائس ، وتقديمُ الإكرام الواجب لها ؛ لا أنّنا نعتقد أنّ فيها بعض الإلوهية ، أو بعض القوّة التي تدعو إلى تكريمها ، أو أننا نُريد أن نسألها شيئاً ، أو أن نضع ثقتنا في الإيقونات كما كان يفعل قديماً الوثنيّون الذين كان رجاؤهم في الأصنام ، ولكنّ التكريم الذي نحوطها به يعود إلى المُثُل الأصليين الذين تُمثّلهم هذه الإيقونات . وهكذا فمن خلال الإيقونات التي نُقبّلها ، والتي أمامنا نكشف عن رؤوسنا ونركع ، نعبد المسيح ونُكرّم القديسين الذين تُمثّلهم . هذا ما حددته قراراتُ المجامع ، ولا سيّما مجمع نيقية الثاني ، ضد محاربي الإيقونات .

وليُعلّم الأساقفةُ بعناية أنّه ، بتاريخ أسرارِ فدائنا مُمَثّلة في رسوم أو في ما أشبه ذلك يزداد الشعب علماً وثباتاً في حقائق الإيمان التي يجب أن يتذكّرها ويُجلّها دائماً . وإنه ليُجتنى ثمرٌ عظيم من جميع الإيقونات المُقدّسة ، لا لأن الشعب يثقفُ منها الحسنات

---

[١]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٢٣٢ .

والمواهب التي يقدِّمها له المسيح فقط ، ولكن لكون مُعجزات الله التي تجري على يد القدّيسين والقدوة الخلاصيّة التي يُقدّمها هؤلاء أيضاً تُصبح ماثلةً أمام عيون المؤمنين .... وإذا علّم أحدٌ أو رأى خلافَ هذه القرارات : فليكن محروماً))[1] .

وعقيدة تمجيد الصور والتماثيل (الإيقونات)، كما أنّها عقيدة الطائفة الكاثوليكيّة، وآخر ما انتهت إليه طائفة الروم الأرثوذكس اليونانيين ، كذلك هي عقيدة طائفة الأرثوذكسيّة المرقسيّة القبطيّة . وخالف في هذه العقيدة الطوائف البروتستانتيّة ، فهم يرون أنّ هذه العقيدة ضد الوصيّة التي ذُكرت في التوراة[2] ، وهي : ((لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مِمَّا في السماء من فوق ، وما في الأرض من تحت ، وما في الماء من تحت الأرض . لا تسجد لهنّ ولا تعبدهنّ))[3] .

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ، ١ / ٤٥٣ ـــ ٤٥٥ .

[2]) اللاهوت المقارن ، ص ١٧٠ ، للبابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسيّة .

[3]) خروج ٢٠ : ٤ ـــ ٥ ، تثنية ٥ : ٨ ـــ ٩ .

الباب الرابع : أثر الطائفة الكاثوليكية على العالم الإسلامي ،

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الحروب الصليبية قديماً وحديثاً .

الفصل الثاني : الغزو الفكري .

الفصل الثالث : التنصير .

الفصل الأول : الحروب الصليبية قديماً وحديثاً :

إن المطّلع على التاريخ الغربي الأوربي يجد الكره والحقد الصليبي على الأمة الإسلامية منذ أن استقام أمر المسلمين في الفتوحات الدولية المبكرة من تاريخهم المبارك .

وقد كان للبابوية ورجال كنائسها وأتباعها من المنصِّرين الدور الأساس في إذكاء الحقد الصليبي بين العساكر والشعوب الأوروبية على الإسلام والمسلمين[١] .

ومن أوائل باباوات روما الذين حملوا لواء نشر الكره والحقد الصليبي على الأمة الإسلامية هو البابا هادريان (أدريانوس) الأول (٩ شباط ٧٧٢ ــ ٢٥ كانون الأول ٧٩٥م) عندما حث الامبراطور شارلمان عام ٧٧٨م على مواجهة المسلمين في الأندلس[٢].

وهذا البابا لاون (ليو) الرابع (١٠ نيسان ٨٤٧ ــ ١٧ تمّوز ٨٥٥م) قد نادى في عام ٨٤٨م أنّ كل من حارب المسلمين ومات في الدفاع عن الصليب فله الخلاص ((وهكذا ربط ليو الرابع بين الحرب ضد المسلمين ومفهوم الخلاص)) [٣] ، مما جعل لندائه وطلبه قتال المسلمين صدى عظيماً في نفوس نصارى الغرب ؛ وذلك عندما تمكن المسلمون من إحكام السيطرة على جزيرة صقلّية بقيادة الفقيه المجاهد أسد بن الفرات وخلفائه من القادة المغاوير محمد بن أبي الجواري وإبراهيم بن عبد الله بن الأغلب ، وحاذى بعدها المسلمون الشاطئ الإيطالي الغربي ؛ ورست قواهم عند مصب نهر التيبر ، حيث تقع روما ؛ فانتفض بابا روما ليو الرابع لهذا النصر الإسلامي وعمل على تعبئة عامة النصارى ضد المسلمين ، مما كان لهذه التعبئة الأثر السيئ في قلوب نصارى الغرب جهة المسلمين [٤] .

وارتفعت نبرات العداء ضد الإسلام والمسلمين في عهدي البابوين يوحنا الثامن (١٤ كانون الأوّل ٨٧٢ ــ ١٦ كانون الأوّل ٨٨٢ م) ، واسكندر الثاني (١ تشرين الأوّل

---

[١]) علماً بأن النصارى الذين لم يصل إليهم التأثير البابوي الكاثوليكي ــ كنصارى المشرق ــ عاشوا في ظل الحكومة الإسلامية وبين ظهراني المسلمين فترات هي من أزهى فترات النصارى في العالم أجمع،والتاريخ يشهد بهذا .

[٢]) العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى ، ص ٥١ ، د. جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ص ١٥٧، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

[٣]) الخلفية الإيديولوجية للحروب الصليبية (دراسة عن الحملة الصليبية الأولى) ، ص ٢١ ؛ د. قاسم عبده قاسم .

[٤]) الحروب الصليبية ؛ ص١٧، ارنست باركر، فتح صقلّية، ص٧٢ – ٧٣، ٨٦ – ٨٧، د. شوقي أبو خليل .

١٠٦١ ــ ٢١ نيسان ١٠٧٣ م) ، فيوحنا الثامن ألحّ وشدّد في سنة ٨٧٦م على الامبراطور شارل الأصلع للقيام بحملة ضد المسلمين ، وبيّن له أنه بدون هذا الهجوم على المسلمين قد تتعرض ((الديانة المسيحية والمجد الامبراطوري للخطر))[1] .

وفي معرض إجابة بابا روما يوحنا الثامن على سؤال طرحته مجموعة من الأساقفة حول ما إذا كان أولئك الذين يموتون في حروبهم ضد المسلمين ودفاعاً عن الديانة النصرانية سينالون الغفران، أجاب البابا بأنّه من المؤكد أن أولئك سينالون الغفران[2] .

وهذا البابا اسكندر الثاني حث النصارى في سنة ١٠٦٠م على قتال المسلمين ، وفي سنة ١٠٦٣م منح المحاربين النصارى الذين يقاتلون مسلمي الأندلس غفراناً وإعفاءً من التوبة ، وعدّ قتالهم للمسلمين بمثابة تكفير عن خطاياهم وفي ذلك الوقت أرسل خطاباً إلى أسقف مدينة ناربون الإسبانيّة يستثني فيه ذبح المسلمين من التحريم الكنسي العام للقتل، كما وضح بخطاباته مساندته للنصارى في حروبهم ضد المسلمين ، وأرسل خطاباً إلى رجال الكنيسة في مدينة فولتيرنو الإسبانيّة كشف فيه عن المكاسب الروحية التي يمكن للمشاركين في الحرب أن يحصلوا عليها ، إذ يقول : ((بتأكيد بابوي نحث أولئك الذين قرروا الذهاب إلى أسبانيا على أن يولوا جل انتباههم لإنجاز مهمتهم بنصيحة مقدسة ، فإننا بسلطة الحواريين المقدسين ، بطرس وبولس ، نعفيهم من توبتهم ونمنحهم الغفران لخطاياهم ، على حين تصحبهم صلواتنا))[3] .

وتمكّن الشعور بكره المسلمين والحقد عليهم في قلوب نصارى أوروبا في عهد بابا روما غريغوريوس (جريجوري) السابع (٢٢ نيسان ١٠٧٣ ــ ٢٥ أيار ١٠٨٥م)، وظهر هذا الشعور عملياً في الحملة الصليبية الأولى (أول حملة صليبية مرقمة في التاريخ ضد المسلمين) عندما دعا إليها بابا روما أوربان الثاني في عام ١٠٩٥م، حيث يظهر فيها

---

[1] الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية (دراسة عن الحملة الصليبية الأولى) ص ٢١، دكتور قاسم عبده قاسم .

[2] المرجع السابق ، ص ٢٢ ، د. قاسم عبده قاسم .

[3] الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية ، ص ٢٣ ، د. قاسم عبده قاسم ، الحروب الصليبية ص١٨ ارنست باركر ، ترجمة السيد الباز العريني .

وفيما بعدها من الحملات أن ((البابوات واصلوا تشجيع هذه المفارز الكنسية))[١] .

فجريجوري السابع هو المبتكر الحقيقي لفكرة الحرب المقدسة في العصور الوسطى ضد الإسلام والمسلمين؛ فهو لم يتحدث مثل أسلافه من البابوات عن الحروب الدفاعية ولكن تحدث عن الحروب الهجومية من أجل توسيع رقعة العالم النصراني ، ((لقد وصف بأنه أحد الذين ساهموا في الصياغة الأساسية للأيديولوجية الصليبية))[٢] .

فقد دعا هذا البابا جريجوري السابع من بداية عهده عام ١٠٧٣م، عامة الناس في كل أنحاء أوروبا إلى تشكيل ميليشيا دعاها ((فرسان القديس بطرس)) تكون مرتبطة بالبابا، وقد طلب في عام ١٠٧٤م من هذه الميليشيات السير شرقاً نحو بيزنطة والهجوم على المسلمين ــ الذين كان ينعتهم دائماً بالكفار ــ ، وتحرير الروم من أيديهم ، وأي شخص من جنوده يموت في هذه الحملة سوف يُثاب ثواباً أبدياً ، وبعد أن يقهروا المسلمين في آسيا الصغرى يجب عليهم أن يزحفوا على فلسطين ويحرروا بيت المقدس،[٣] فقد أرسل هذا البابا في ٢ فبراير سنة ١٠٧٤م نداء إلى الشعوب النصرانيّة لقتال المسلمين ، ثُمَّ أتبعه بنداء آخر في أول من مارس سنة ١٠٧٤م يحثّهم فيه على القدوم لنجدة الامبراطورية اليونانية (البيزنطية) التي يهددها المسلمون الذين تقدموا إلى أسوار القسطنطينية .

وأرسل خطاباً بتاريخ ٧ ديسمبر سنة ١٠٧٤م ، إلى الامبراطور هنري الرابع الألماني ، يخبره أنه مستعد بنفسه للسير لإنقاذ البيزنطيين وتخليص الضريح المقدس ، وأن يقوم الامبراطور برعاية شئون الكنيسة في غيابه[٤] .

وقد عمل بفاعلية للحث على إرسال تعزيزات عسكرية إلى الأندلس المسلمة لحرب

---

[١]) الحرب المقدسة ، ص ٩٩ ، كارين آرمسترونغ ، ترجمة : سامي الكعكي .

[٢]) الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية ، ص ٢٥ ، د. قاسم عبده قاسم .

[٣]) الحرب المقدسة ، ص ٩٩ — ١٠٠ ، كارين آرمسترونغ ، ترجمة : سامي الكعكي .

ولكن ظروف هذا البابا جريجوري السابع (هيلدبراند) من حروبه مع ملوك أوروبا وطمعه في التوسع الإقطاعي وطلبه للسلطة الزمنية حالت دون توجه هذه الحملة إلى الشرق الإسلامي .

[٤]) الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية ، ص ٢٦ ، د. قاسم عبده قاسم .

المسلمين والهجوم على ديارهم هناك .[1]

فهذه الأعمال التي قام بها بابا روما (جريجوري السابع) والنداءات التي أرسلها إلى أتباع كنسيته في العالم الغربي والشعوب الأوروبية وحكامهم لتحريضهم على قتال المسلمين جعلت الكره والحقد الصليبي على الإسلام والمسلمين في ازدياد وصعود حتى يمكن القول إن أوربا كرَّست كل قواها لمحاربة الإسلام والمسلمين في كل مكان يستطيعون فيه ذلك ، ومنه بدأت وولدت فكرة الحروب الصليبية المرقّمة تاريخياً على بلاد المسلمين وخاصةً الأراضي المقدسة .

ثم كان التطبيق العملي للكره الأوروبي والحقد الصليبي على الإسلام والمسلمين في عهد البابا أوربان الثاني (١٢ آذار ١٠٨٨ــ ٢٩ تمّوز ١٠٩٩ م) ، لذلك عد المؤرخون نداء أوربان الثاني في عام ١٠٩٥م إلى شن حرب أوروبية صليبية عامة على المسلمين واحتلال أراضيهم خاصة أرض فلسطين المباركة هو أول قيام لحرب صليبية هجومية حقيقيّة على البلاد الإسلامية ، والتي عُنون لها بالحملة الصليبية الأولى وتبعها حملات صليبية على البلاد الإسلامية منظمة ومرقمة بدأت من عام ١٠٩٥م إلى عام ١٢٩١م .

فكل الهجمات الصليبية المنظمة على العالم الإسلامي، والتي يسميها المؤرخون ((بالحروب الصليبية في القرون الوسطى))،كان للكنيسة الكاثوليكية في الغرب، وعلى رأسها البابوية الدور الفعَّال في توجيهها والسيطرة عليها ، فهي التي دعت إليها وأمدتها بتأييدها المادي والمعنوي، وهي التي شجعت المحاربين من كافة الأجناس والفئات على الاشتراك فيها مقدّمة كافة التسهيلات اللازمة لكل من ينخرط فيها ، ويحمل الصليب ، وهي التي سمحت للجماعات الرهبانية العسكرية القيام بالدور الموكول إليها في الأراضي المقدسة ، وكان يمثلها في كل حملة صليبية مندوب بابوي يُعيَّن من قِبَلها[2] .

إن تلك الهجمات الصليبية أتاحت للبابوية الفرصة العظيمة لنفث حقدها الصليبي الدفين على الإسلام والمسلمين فحاولت جاهدة بكل ما أُوتيت من وسائل أن تُجيِّش الغرب

---

[1]) تلك الحروب التي يُسميها التاريخ الغربي بحرب الاسترداد في أسبانيا . انظر الحروب الصليبية (صراع الشرق والغرب) » ص ٣٤ ، رنيه كروسيه » ترجمة : أحمد ايش .

[2]) العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى » ٦٨/١ ، دكتور جوزيف نسيم يوسف .

النصراني ضد الأمة الإسلامية ، فقد تمسكت بدعوى نشرها في العالم النصراني بأسره وعلى مدى عقود طويلة من السنين أنّ كل من يشترك في هذه الحملات سوف ينال الخلاص الأبدي والغفران التام عن آثامه وخطاياه مما جعل لندائها بين الشعوب النصرانية الأثر البعيد .

الحملة الصليبية الأولى :

أول تلك الحملات الصليبية المنظمة والمرقمة على العالم الإسلامي كانت في عهد بابا روما أوربان الثاني، فقد دعا هذا البابا إلى عقد مجمع ديني كنسي عام في مدينة كلير مونت الفرنسية، وقد انعقد هذا المجمع في ١٨ نوفمبر / تشرين الثاني من عام ١٠٩٥م واستمرت مداولاته حتى يوم ٢٧ من الشهر نفسه، وشارك في أعماله ما يزيد عن ٢٥٠ من رعاة الأسقفيات في العالم الغربي أكثرهم من رجال الدين الفرنسيين .

وكانت اللحظة التي أعطت هذا المجمع مكانته الخاصة في التاريخ في نهاية يومه التاسع الموافق ٢٧ من نوفمبر سنة ١٠٩٥م، ففي ذلك اليوم احتمع العدد الغفير من رجال الدين والعلمانيين وطبقات الشعب الأغنياء والفقراء في قطعة أرض فضاء خارج مقر انعقاد المجمع للاستماع إلى خطبة البابا أوربان الثاني، فقام هذا البابا بإلقاء خطاب حماسي شديد اللهجة أظهر فيه حقده الدفين على الإسلام والمسلمين وذكر أن المسلمين وعلى رأسهم السلاجقة باتوا خطراً على الوجود المسيحي (النصراني) في الشرق وأن الحجاج النصارى إلى الأماكن المقدسة يتعرضون إلى مضايقات من المسلمين بل إلى القتل والتعذيب وأنهم انتهكوا حرمة الكنائس المقدسة في الأراضي المقدسة واستولوا على مدينة أنطاكية ـــ وهي عندهم مدينة القديس بطرس ـــ » وفي كلمات أخرى مثيرة للمشاعر ناشد بابا روما أوربان الثاني في هذه الخطبة كل الشعوب المسيحية أغنياءها وفقراءها فرسانها وجنودها وشبابها لمساعدة إخوانهم النصارى في الشرق وإنقاذ القبر المقدس من عبث المسلمين ، وذكر أنّ هذه الحرب على الأمة الإسلامية إنما هي (إرادة الله) » وما انتهى البابا من خطابه الحماسي المتطرف الإرهابي ضد الأمة الإسلامية حتى كانت الصيحة الكبرى التي

أطلقتها الجماهير التي استمعت لخطابه، هي(إن الله يريدها)(Deus Lo volt) [١] .

تلك الصرخة التي تجاوبت أصداءها على مر القرون ضد الأمة الإسلامية والمسلمين في كل مكان ، و لم يكد البابا أوربان الثاني يفرغ من خطبته التي دعا فيها لمحاربة المسلمين ، حتى جثا أدهمار أسقف بوي الفرنسيّة أمام قدمي البابا راجياً أن يكون له شرف المساهمة في الحرب المقدسة ضد المسلمين ؛ وبذلك صار ذلك الأسقف أول من افتتح قائمة المتطوعين ، واختاره البابا أوربان الثاني مندوباً بابوياً في الحملة الأولى [٢] .

ثم تبعه الكونت ريموند الرابع أمير مدينة تولوز الفرنسيّة مخبراً البابا استعداده التام ، ومن معه من الفرسان لتلبية النداء والسير في ركابه نحو الأراضي المقدسة [٣] .

وقد بذل البابا أوربان الثاني جهوداً متواصلة لحشد الإمكانات ، من خلال التحركات الواسعة التي بذلها في الأراضي الأوربيّة ، فلم يكتف بما قاله في مدينة كليرمونت ، وإنما أخذ يتنقل بين المدن والبلدان داعياً للحرب الصليبية ، فعقد في كثير من المدن الأوربيّة مجامع متعدِّدة مصطحباً معه الأمير الفرنسي ريموند الرابع ، وذلك من ديسمبر ١٠٩٥ إلى يوليه ١٠٩٦م ؛ مما يثبت أن هذا الأمير قام مع البابا بدور جذري في الإعداد للحملة الصليبية المنظمة الأولى، حيث إنّه هو الذي نبّه البابا إلى ضرورة الاعتماد على مساندة قوة بحرية لتنفيذ مشروع الحرب الصليبية ، فأرسل البابا أوربان الثاني مبعوثين إلى جنوا طالباً مشاركتهما في المشروع الصليبي الكبير فاستجاب الجنويّون لدعوة البابا فأعدوا اثني عشرة سفينة حربية ، وناقلة كبيرة لمساندة الحملة ، كما أنه قام بإرسال دعوات مكتوبة أخرى إلى باقي المدن والمملكات الغربية النصرانية [٤] .

وبعد تجوال كبير عاد البابا أوربان الثاني إلى إيطاليا في أواخر سنة ١٠٩٦م بعد أن

---

[١]) أوروبا والمسيحية، الجزء الثاني (المرحلة الصليبية)، ص٦٩، يان دوبرا تشينسكي، تاريخ الحملات الصليبية ، ١٩/١ — ٢٠ ، إتش . إ . ماير ، مختصر تاريخ الكنيسة ، ص ٢٥٨ — ٢٥٩ ، أندرو ملر .
هذه العبارة (Deus Lo volt) باللغة اللاتينية ، وترجمتها بالفرنسية (Dieu le veult) ، انظر : الحروب الصليبية صراع الشرق والغرب ، ص ٣٦ ، رنيه كروسيه ، ترجمة : أحمد ايش .

[٢]) الحركة الصليبية ، ١٠٦/١ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

[٣]) نبلاء ودراويش (تاريخ الحروب الصليبية) ، ص ٦٥ ، د. إسماعيل نوري الربيعي .

[٤]) تاريخ الحملات الصليبية ،٢٠/١ — ٢١ ، إتش ماير ، الحركة الصليبية ، ١٠٧/١ ، د. سعيد عاشور .

تأكد من نجاح مشروعه الصليبي؛ إذ أقبل بعض الأمراء وكثير من الناس على المشاركة في الحركة الجديدة ، ليس فقط من البلدان القريبة ــ مثل فرنسا وإيطاليا وأسبانيا ــ بل أيضاً من البلدان البعيدة مثل : اسكتلندا والدانمارك وغيرهما[١] .

هذا بالإضافة إلى الجهود الحثيثة التي بذلها القساوسة في مختلف أنحاء الغرب الأوروبي الذين توجهوا بكل ثقلهم نحو الحث على ضرورة المساهمة في هذه الحرب ، تحت دعوى قدسيتها ، من خلال المواعظ التي كانوا يلقونها على رعاياهم[٢] .

على رأس هؤلاء الدعاة رجل فرنسي متطرف يُدعى (بطرس الناسك) ويُدعى أيضاً (بطرس الصغير) ، ((طوبته الكنيسة ورفعته إلى مصاف القديسين بعد تلك الحملة))[٣] .

ذكر المؤرخون الغربيون النصارى أنه في سنة ١٠٩٣م زار هذا الرجل (بطرس الناسك) بيت القدس ، فوجد أن المسلمين يحكمون الأراضي المقدسة فأوعز إليه شمعون بطريرك أورشليم (بيت المقدس) أن يُكلِّم البابا في شأن نصارى المشرق فوعده بطرس بأنه سيحرك أوروبا الحربية لتقوم بجانبه ضد المسلمين[٤] .

وقد كان بطرس الناسك من الذين ساعدوا البابا أوربان الثاني وعملوا على نشر دعوته في العالم الغربي بشكل كبير جداً[٥] .

---

[١]) الحركة الصليبية ، ١٠٧/١ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

[٢]) نبلاء ودراويش (تاريخ الحروب الصليبية) ، ص ٦٥ ، د. إسماعيل نوري الربيعي .

[٣]) أوروبا المسيحية ، الجزء الثاني ص ٧٥ ، (المرحلة الصليبية) يان دوبرا تشينسكي ، ترجمة : د. كبرو لحدو .

[٤]) وقيل أنّ بطرس هذا سمع صوت ربه (يسوع) وهو واقف بجانب الهيكل يناديه قائلاً له : ((قم يا بطرس وأعلن ضيقات شعبي هو ذا قد جاءت الساعة لإنقاذ عبيدي واسترداد الأماكن المقدسة)) . وإن مثل هذه الروايات والأساطير قد ذاعت في الغرب طوال عصر الحروب الصليبية وفيها من إثارة الشعور والهمم الشيء الكثير ، حتى أن الشعراء كانوا يكسون قصصهم في تلك العصور باللون الصليبي الذي كان يقوم على دعامتين هامتين هما الحرب والدين . انظر : مختصر تاريخ الكنيسة، ص ٢٥٨، أندرو ملر، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، ٥٥/١ ، د. جوزيف نسيم يوسف .

[٥]) فخرج بطرس الناسك يجوب إيطاليا وفرنسا وما حولها من أقاليم ((يقال في وصفه إنه كان قصير القامة ، نحيف القوام قمحي اللون ، ولكن ذا عينين كأنهما من نار أخذ يجول ممتطياً بغلاً بصليب في يده ، حاسر الرأس وعاري القدمين ، مرتدياً ثوباً طويلاً وممتطياً بحبل ، وفوق الكل عباءة ناسك من أشد الأقمشة خشونة)) . مختصر تاريخ الكنيسة ص ٢٥٨ ، أندرو ملر .

أخذ يتنقل من مكان لآخر حاثاً الأمير والحقير والغني والفقير في الكنائس والطرقات في الميادين والأسواق ؛ وقد ضرب على كل وتر حساس : عزة النفس ، محبة الإخوة النصارى في الشرق خاصة في الأراضي المقدسة ، كراهية المسلمين الكفار الملاحدة ، تدنيس الأراضي التي شرفها الفادي ((وفي وقت قصير رجع إلى البابا مؤكداً له أن أقواله قوبلت بحماس شديد في كل مكان، حتى إنه بالكاد استطاع أن يمنع السامعين من تقلد السلاح في الحال والسير وراءه إلى الأراضي المقدسة))[1] .

وفي الوقت الذي كان بطرس الناسك ماضياً في دعوته في الغرب الأوروبي ظهر زعيم آخر من زعماء العامة اسمه والتر الملقب بالمفلس[2] .

وصار السباق واضحاً بين بطرس الناسك ووالتر المفلس في الدعوة إلى الحملة الصليبية ضد المسلمين[3] .

---

[1]) مختصر تاريخ الكنيسة ، ص ٢٥٨ ، أندرو ملر .

[2]) الحركة الصليبية ، ١٠٩/١ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

[3]) نبلاء ودراويش (تاريخ الحروب الصليبية) ، ص ٨٢ ، د. إسماعيل نوري الربيعي .

وانقسمت الحملة الصليبية الأولى إلى قسمين ، القسم الأول ويشمل الحملة الشعبية أو حملة العامة ، والقسم الثاني يشمل حملة الأمراء أو الحملة النظامية .

والحملة الشعبية كانت بمثابة طلائع للحملة النظامية فهي خمس جموع ضمت الفقراء والفلاحين والرهبان رجالاً ونساءً حتى الأطفال من الفرنسيين والإيطاليين والألمان وغيرهم وعلى رأس هذه الحملة بطرس الناسك ووالتر المفلس في يوليو عام ١٠٩٦م، ثم تبعتهم الحملة النظامية من الأمراء والفرسان في شهر أغسطس عام ١٠٩٦م ؛ وتكونت من خمسة جيوش اتفقت على الالتقاء والتجمع في القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية ، فكان جيش بقيادة الأمير هيو كونت فرماندو شقيق فيليب ملك فرنسا وصل القسطنطينية في شهر نوفمبر ١٠٩٦م ؛ وجيش ثانٍ بقيادة جودفري بوايون ـ دوق اللورين السفلى ـ وشقيقه بلدوين ووصل القسطنطينية في ديسمبر ١٠٩٦م ، وجيش ثالث مكون من نورمان جنوب إيطاليا وكانت بقيادة الأمير بوهيموند بن جويسكاريد ووصلت الحملة النورمانية إلى القسطنطينية في إبريل عام ١٠٩٧م، وجيش رابع بقيادة الأمير ريموند الرابع الصنجيل كونت تولوز ؛ ومركيز بروفانس ، ويرافقه المندوب البابوي ادهيمار أسقف بوي ، ووصل إلى القسطنطينية أواخر شهر أبريل ١٠٩٧م، وأخيراً وصل الجيش الفرنسي في شهر مايو ١٠٩٧م بقيادة روبرت أمير نورمانديا وصهره إيتين (ستيفن) أمير بلو .

استطاع بلدوين بشطر من جيش أخيه في شهر مارس سنة ١٠٩٨م من امتلاك الرُها وتأسيس أول إمارة صليبية فيها ، في ٢٨ يونيه ١٠٩٨م تمكن الجيش الصليبي من السيطرة على أنطاكية فتكونت بهذا إمارة صليبية ثانية ؛ =

لقد استطاعت البابوية ودعاتها في عهد أوربان الثاني التأثير على الغـرب الأوروبي في زيادة الحقد الصليبي على العالم الإسلامي، بل هاجمته في قلب أراضيه الإسلامية واستولت على بقعة غالية من موطنه بيت المقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

ولقد نجحت البابويّة في توحيد الصف الكاثوليكي النصراني بالرغم من تعدد لغـات شعبه واختلاف عاداته وسلوكياته، ولم تكن لتنجح البابوية في عهد بابا روما أوربان الثاني في فكرتها الصليبية تلك ((لو لم تكن متوافقة مع حركة المجتمع ، هذا التوافق بين الفكـر والواقع ، بين التبرير الأخلاقي للحرب وحركة المجتمع))[1] ؛ حيث إن البابوية في القـرن الحادي عشر قد بدأت بحركات كاثوليكية لإحياء الدين النصراني في الغرب الكاثوليكي ، وعلى رأس هذه الحركات: الحركة الكلونية والتي تربى فيها البابا أوربان الثاني نفسه[2] .

لذلك كان الغرب النصراني في ذلك الوقت يغزو قلب العالم الإسلامي ولأول مرة في تاريخه الصليبي ، وهو مفعم بالتدين العدواني للحروب المقدسة عنده هذا التـدين الـذي سيطبع بطابعه كل أوجه تعامل نصارى الغرب مع مسلمي الشرق ، بل مع كُلّ المسلمين في بقاع الأرض في المستقبل .

كان هذا البابا أوربان الثاني من وقت اعتلائه الكرسي البابوي عام ١٠٨٨م، وهـو

=ثم تابع الصليبيون زحفهم جنوباً إلى بيت المقدس ، واحتلوا في طريقهم العديد من المدن على الساحل الـشامي وتمكنوا أخيراً من اقتحام بيت المقدس واستباحته ، وأحدثوا بالمسلمين فيها مذبحة رهيبة ثم اختاروا (جـود فـري) حاكما على بيت المقدس في ٢٢ يوليو ١٠٩٩م .

ويبدو أن الصليبيين لم يصادفوا صعوبات كبيرة في الاستيلاء على بقية مدن فلسطين لما كان فيه المسلمون من تفكك وانحدار في ذلك الوقت حيث كان المسئول عن المسلمين حينها الدولة الفاطمية الشيعية ، فاستولى الصليبيون على بيت لحم واللد والرملة ويافا فأسرع أهالي نابلس إلى الاستسلام وأرسلوا وفداً إلى الصليبيين يدعونهم لتـسلّم المدينة ، وحصل ذلك في أواخر شهر يوليو سنة ١٠٩٩م .

انظر إلى : العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسـطى ص٨٥ ـ ٩٢ ، الدكتور عادل زيتون ، الحروب الصليبية ، ص ٢٥ ـ ٣٨ ، أرنست باركر ، وبتوسع إلى : الحركة الصليبية في العصور الوسطى ١/ ١١٥ـ ٢١٧ ، الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور .

[1]) الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية، ص٢٨، د. قاسم عبده قاسم .

[2]) انظر : في الحركة الكلونية إلى ص ١١٩ من هذا البحث .

يعمل على توجيه الفرسان والمتطوعين الغربيين لحرب المسلمين في الأندلس المسلمة [1]، فقد شدد على أن ((أي شخص يريد القيام بحج تكفيري إلى أورشليم عليه أن يستعيض عن ذلك بفترة من العمل من أجل حروب الاسترداد الإسبانية)) [2] .

والذي يظهر لمتتبع الأحداث في ذلك الوقت أن الحملة الصليبية الأولى هي انعكاس عدواني انتهازي للغرب الصليبي وللبابا أوربان الثاني لما حصل للجيوش الصليبية من تقدم في حروبها ضد المسلمين على أرض الأندلس المسلمة، فتحسّر الغرب الصليبي للهجوم على المسلمين في مواطنه الأصلية لتفككهم السياسي وتصارعهم المذهبي لوجود الدولة الفاطمية العبيدية الشيعيّة ، وتفكك الحاجز الأول لأراضي المسلمين وهي الدولة السلجوقية .

وقد ربط عُمدة المؤرخين أبو الحسن ابن الأثير بين حروب النصارى ضد المسلمين في الأندلس بحروبهم ضد المسلمين في الشام والأراضي المقدسة بنشوة الانتصار الغربي الصليبي على المسلمين في ذلك الوقت فقد قال : ((كان ابتداء ظهور دولة الفرنج واشتداد أمرهم وخروجهم إلى بلاد الإسلام واستيلائهم على بعضها سنة ثمان وسبعين وأربعمائة فملكوا مدينة طليطلة وغيرها من بلاد الأندلس، ثم قصدوا سنة أربع وثمانين وأربعمائة جزيرة صقلية وملكوها، وتطرقوا إلى أطراف إفريقية ملكوا منها شيئا، فلما كان سنة تسعين وأربعمائة خرجوا إلى بلاد الشام)) [3] .

ثم كان بابا روما باسكال الثاني (١٤آب ١٠٩٩ــ ٢١كانون الثاني ١١١٨م) خليفة البابا أوربان الثاني ، فقد عمل هذا البابا على تقوية الممالك الصليبية في العالم الإسلامي خاصةً المملكة الصليبية ببيت المقدس، مع عمله في تقوية نصارى الأندلس في مواجهة المسلمين هناك، فقد أقنع ملك النرويج سيجورد بتكوين حملة صليبية تتجه إلى مساعدة الصليبين في الأندلس ثم تتجه بعدها إلى بيت المقدس، فقامت هذه الحملة الصليبية النرويجية بتنفيذ ذلك المشروع الصليبي ، وكانت بقيادة ملكها سيجورد وانطلقت في خط سيرها المرسوم لها عام ١١٠٧م بموافقة البابا باسكال الثاني ، وقد تكونت هذه الحملة

---

[1]) يُسميها المؤرخون الغربيون « حروب الاسترداد الإسبانية .

[2]) الحرب المقدسة : ص ١٠٣ ، كارين آرمسترونغ ، ترجمة : سامي الكعكي .

[3]) الكامل في التاريخ « ٩/١٣ » أحداث سنة ٤٩١هـ « لأبي الحسن ابن الأثير الجوزي .

الصليبية النرويجية من أسطول بحري ضخم يتكون من سبعين سفينة تحمل على ظهرها أعداداً ضخمة من المقاتلين بلغ عشرة آلاف مقاتل ، وصلت الحملة إلى شمال غرب الأندلس في خريف عام ١١٠٨م ، وخاض معركة حربية مع المسلمين هناك وتمكن من إخضاع قلعة حصينة لحكمه في مدينة Gintna وهي الآن جزء من البرتغال وعملوا على تنصير المسلمين بالقوة في تلك المدينة وقتلوا كل الذين امتنعوا عن الدخول في النصرانية[١].

وقد انتصر في مواقع كثيرة من بلاد الأندلس المسلمة من أهمها لشبونة، ((ومن المفيد أن نلاحظ أن ذلك الملك النرويجي عمل على محاربة المسلمين في الأندلس سواءً في غرب الأندلس أو في الجزائر الشرقية ، كما حاربهم فيما بعد في بلاد الشام عندما وصل إلى مملكة بيت المقدس الصليبية على نحو عكس الارتباط الوثيق بين الحركة الصليبية في غرب البحر المتوسط وشرقه))[٢] .

وصلت الحملة النرويجية إلى جزيرة صقلية جنوب إيطاليا – التي انتزعها النورمان من المسلمين عام (١٠٩٠م/ ٤٨٤هـ) – وقد استقبلت بالحفاوة وزودت من نصارى صقلية بالمؤنة الكافية لمواصلة سيرها إلى بلاد الشام، وصلت هذه الحملة الصليبية النرويجية إلى ميناء يافا في صيف عام (١١١٠م / ٥٠٤هـ) استقبلها ملك مملكة بيت المقدس الصليبية بلدوين الأول وتعمد الملك النرويجي سيجورد في مياه نهر الأردن[٣] .

ولا شك في أن هذه الحملة الصليبية النرويجية إحدى حلقات الدعم العسكري الأوروبي للوجود الصليبي في بلاد الشام .

فقد تمكنت هذه الحملة الصليبية النرويجية مع عساكر المملكة الصليبية في بيت المقدس من انتزاع بعض المدن والمراكز الساحلية في المنطقة ، والتي لا تزال آنذاك تحت قبضة

---

[١]) وتكشف هذه الحادثة عن الطابع التنصيري في سياسة ذلك الملك النرويجي سيجورد شأنه في ذلك شأن غيره من ملوك الغرب الأوروبي في توسيع رقعة العالم النصراني **Christendom** بزيادة عدد معتنقيها حتى بالوسائل القسرية ، وليس بخاف أن الجانب التنصيري كان من أهم أهداف الحملات الصليبية قديماً وحديثاً من وقت شروع النصارى في الخروج من قارتهم الأوروبية ودخولهم إلى الحلبات الدولية .

[٢]) الحروب الصليبية (دراسة تاريخية ونقدية) ، ص ١٩ ، محمد مؤنس عوض .

[٣]) حيث إن لمياه نهر الأردن قداسة عالية عند النصارى لعقيدتهم أن يوحنا المعمدان قد عمّد المسيح عيسى – عليه السلام – بمياه ذلك النهر . أنظر : متى ٣ : ١٣ — ١٧ .

المسلمين ابتداءً من مدينة صيدا ، وقد كسبت المملكة الصليبية في بيت المقدس غنائم ضخمة ، ومكاسب كبيرة انتزعتها من أيدي المسلمين بفضل تلك الحملة الصليبية النرويجية ، ووقوف البابا باسكال الثاني مع هذا التعاون الصليبي بعضه مع بعض في محيط إسلامي يتمتع بكثافة سكانية عالية ــ ولكنهم في ذلك الوقت غُثاءٌ كغثاء السيل ــ ، فامتلكت تلك المملكة الصليبية رقعة شاسعة من الأرض ، امتدت من بيروت حتى العريش الواقعة على حدود مصر باستثناء أقل القليل من المناطق التابعة للمسلمين كعسقلان وصور[1] .

وهذا الضعف الذي عاشه المسلمون في تلك الفترة زاد من أطماع الصليبيين في باقي بلاد الشام ثم مصر بطريقة كان لها أثرها الكبير على مسار الصراع الصليبي الإسلامي فيما بعد هذه الحملة الصليبية .

وهذه الحملة الصليبية النرويجية المدعومة من البابا باسكال الثاني حملة من سلسلة حملات صليبية قادمة من الغرب الصليبي إلى الأراضي المقدسة وما حولها وإلى بلاد الأندلس المسلمة في ذلك الوقت .

بعد أن اطمأن الغرب الصليبي ــ وعلى رأسه البابوية على وضع النصارى في الشرق الإسلامي ، والأراضي المقدسة بعد الحملة الصليبية الأولى ، وما تبعها من حملات صغيرة متعاونة ، ووجود الفرسان الصليبيين ((الداوية ، والتيتونية ، والأسبتارية)) في منطقة الأراضي المقدسة ، ودفاعها عن الممتلكات الصليبية النصرانية هناك ــ اتجه الغرب الصليبي النصراني ليحل بكل ثقله في المناطق الإسلامية في الأندلس ويهاجم المسلمين هناك .

وكذلك البابا كاليكستوس (كالكستس) الثاني (٢ شباط ١١١٩ ــ ١٣ كانون الأول ١١٢٤ م) ، والبابا إنّوشنتيوس (أنوسنت) الثاني (١٤ شباط ١١٣٠ ــ ٢٤ أيلول ١١٤٣ م) ، فقد أعلنا كما أعلن الباباوات من قبلهم الحروب الصليبية ضد المسلمين في الأندلس . وأصبح في عهودهم من المألوف أن يأذنوا لملوك الأسبان استعمال أموال الكنائس لمحاربة المسلمين هناك كما أن البعثات الصليبية الواردة من شمال أوروبا

---

[1]) انظر : الحروب الصليبية ، دراسات تاريخية ونقدية ، ص ٧ ــ ٤١ ، محمد مؤنس عوض ، تاريخ الحروب الصليبية ، ٢/١٥٠ــ ١٥١ ، ستيفن رنسيمان .

(انجلترا وألمانيا وهولندا) أصبحت تُعين الأسبان في حروبهم ضد المسلمين في الأندلس .

فأصبحت الجيوش الصليبية النصرانية تتألف من جناحين، الجناح الأيمن متوجه إلى الأندلس المسلمة لقتال المسلمين هناك ، وبهذا تعرضت الأندلس لغزو واستيطان من قبل جميع نصارى أوروبا، أما الجناح الأيسر للجيوش الصليبية النصرانية فكان متوجهاً لقتال المسلمين على امتداد البحر المتوسط والشام والأراضي المقدسة خاصة [1] .

ومن أشهر ملوك النصارى الأسبان ألفونسو الأول ملك مملكة أرغون والذي كان يُسمى بـ(المحارب) (١١٠٤م ـ ١١٣٤م) ، (٤٩٨ هـ ـ ٥٢٨هـ) ، الذي تكاتفت معه البابوية فقد حثت نصارى أوروبا لمساعدته في حروبه ضد المسلمين في الأندلس ، فقد أسس هذا الملك الصليبي منظمات دينية عسكرية في مملكة أرغون قامت بنفس الدور الذي قامت به منظمات فرسان الداوية والاسبتارية في بلاد الشام [2] .

أخذ ألفونسو (المحارب) من وقت أن كان ولي عهد لمملكة أرغون يشن حملاته العسكرية في جوف الأندلس ، ثم شرق وجنوب الأندلس ، وذلك بمساعدة حملات صليبية من أوروبا وعلى عين البابوية ، وبهذا تأثرت سياسة الملك ألفونسو الأول (المحارب) بالروح الصليبية الدينية ، والتي هدفت إلى طرد المسلمين من بلاد الأندلس ، والوصول إلى مملكته – خاصة – حتى ساحل البحر المتوسط ، ثم قيادته لحملة صليبية متجهة إلى الأراضي المقدسة لمساعدة المماليك الصليبيين هناك، وأيضاً إرساله لحملة صليبية إلى جنوب فرنسا لحماية أملاك ومصالح بعض الصليبيين أثناء غيابهم في الأراضي المقدسة [3] .

---

[1]) تاريخ الحروب الصليبية ، ٤٠١/٢ ، ستيفن رنسيمان ، حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة ، ص ٦٦ ، د. جميل عبد الله المصري .

[2]) العلاقات الإسلامية المسيحية في إسبانيا (عهد الملك ألفونسو الأول) ، ص ٧ ، د. نادية موسى صالح .

يقول المؤرخ ابن الأثير عن ألفونسو الأول : (كان أشد ملوك الفرنج بأساً ، وأكثرهم تجرداً لحرب المسلمين وأعظمهم صبراً) ، الكامل في التاريخ، ٣٤/١١، وعُرف ألفونسو الأوّل في المصادر الإسلامية بابن ردمير، انظر: العلاقات الإسلاميّة المسيحيّة في إسبانيا ، د. نادية موسى صالح ، ص ٩ .

[3]) العلاقات الإسلامية والمسيحية في أسبانيا (عهد الملك ألفونسو الأول) ص ١٠ ، د. نادية موسى صالح ، أوروبا العصور الوسطى ، الجزء الأول ، التاريخ السياسي ، ص ٥٤٩ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

سقطت كثير من المدن الإسلامية في بلاد الأندلس في أيدي الصليبيين[١]، بعد ما استتب لهم الأمر في بلاد الشام والأراضي المقدسة بعد انتصارهم على المسلمين في الحملة الصليبية الأولى وتكوينهم لممالكهم الصليبية في بلاد الشام .

وبهذا لم تحل سنة ١١٤٥م ـــ وهي سنة وصول خبر فتح المسلمين لبعض المدن التي استولى عليها النصارى الصليبيون من أيدي المسلمين وعلى رأسها المملكة الصليبية في الرها إلى آذان البابا أوجانيوس الثالث (١٥ شباط ١١٤٥ ـــ ٨ تمّوز ١١٥٣م) ـــ حتى سارت الأمور على نحو يروق للصليبيين في بلاد الأندلس المسلمة[٢] .

تلك السنة ١١٤٥م ، والتي تمكنت فيها الجيوش الصليبية من كثير من المدن الإسلامية في الأندلس هي السنة نفسها التي أزعجت الغرب الصليبي وعلى رأسها البابوية من وصول خبر أوضاعهم السيئة في بلاد المشرق الإسلامي حيث تمكن المجاهد المسلم عماد الدين زنكي من فتح المملكة الصليبية وإسقاطها في الرها وحصونهم المجاورة لها في عام (٥٣٩هـ / ١١٤٤م)[٣] .

الحملة الصليبية الثانية :

دفع نبأ سقوط الرها ـــ هي الآن مدينة أورفا التركيّة ـــ البابا أوجانيوس الثالث

---

[١])فاستطاع الصليبيون أن يستولوا على طليطلة من أيدي المسلمين عام ١٠٨٥م في آخر عهد البابا جريجوري السابع . واستولوا على سرقسطة المسلمة عام ١١١٨م في عهد البابا باسكال الثاني ، ومن نتائج سقوط سرقسطة انهيار كثير من المدن الإسلامية واستيلاء الصليبيين عليها من أهمها مدينة تطلية وطوسونه ، وقد انهزم المرابطون المسلمون في معركة كتندة عام (١١٢٠م / ٥١٤هـ) ، وعلى إثر انتصار الصليبين بقيادة ألفونسو الأول (المحارب) سقطت مدن إسلامية كثيرة منها مدن كتندة ودروقه وقلعة أيوب وبعض المدن الواقعة على غربي شلون وشلوقة ، وفي عهد البابا أنوسنت الثاني خاصة في عام ١١٣٢م شن الصليبيون حملات متواصلة على المسلمين في بلاد الأندلس المسلمة بلغت ذروتها في سنة ١١٤٧م في عهد البابا أوجانيوس الثالث ـــ أثناء استعداده للحملة الصليبية الثانية إلى بلاد الشام والأراضي المقدسة ـــ حتى وصلت إلى أبواب قرطبة المسلمة .

أنظر : تاريخ الحروب الصليبية ، ٤٠١/٢ ، ستيفن رنسيمان ، أوروبا العصور الوسطى ، الجزء الأول (التاريخ السياسي) ص ٥٤٥ — ٥٥٠ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور . وانظر بتوسع : العلاقات الإسلامية المسيحية في أسبانيا ، الفصل الثالث والرابع (بالتفصيل) ، د. نادية موسى صالح .

[٢]) تاريخ الحروب الصليبية ، ٤٠٢/٢ ، ستيفن رنسيمان ، ترجمة : د. السيد الباز العريني .

[٣]) الكامل في التاريخ ، ٣٣١/٩ ، (أحداث سنة ٥٣٩هـ) ، العلامة ابن الأثير الجزري .

للدعوة لشن حملة صليبية جديدة[١]، فقد كانت أوّل إمارة أسسها الصليبيون في بلاد المسلمين ، فجاء سقوطها إيذاناً بترنح البناء الصليبي في المنطقة الذي نجحت الحملة الصليبية الأولى في إقامته ، لذلك أدركت البابوية أنها إن لم تسارع إلى ترميم ذلك البناء ومساندته فإنه لن يلبث أن ينهار[٢] ، غير أن الاستجابة لنداء البابا أوجانيوس الثالث من جهة الشعوب الأوروبية ابتداءً كانت مخيبة لآمال البابوية[٣]؛ لأن سقوط مملكتهم في الرها أضعفت روحهم المعنوية في بداية الأمر فانهارت دعامة من دعائمهم الصليبية في المشرق الإسلامي فأفقدتهم الثقة في نفوسهم وبين صفوفهم[٤]، وهذه الأمور السلبية التي وجدها البابا أوجانيوس الثالث في نفوس صليبيّي الغرب جعلته ينشط في دعوته للحرب الصليبية ضد المسلمين وإذكاء الحقد والكراهية ضدهم في قلوب نصارى الغرب كافة .

عمد البابا إلى إرسال مبعوثيه في عموم أوروبا لإثارة حماسهم ومشاعرهم الصليبية ضد المسلمين ، وكان الأبرز في مجال تلك الدعوة الأسقف برنارد أسقف دير كليرفو في فرنسا [٥]، ((وكان برنارد رجلاً ذا نفوذ هائل وشهرة عظيمة ، أخذ يجوب البلاد متنقلاً من مكان إلى مكان ، مصوراً بكل ما أُوتي من فصاحة وبيان آلام المسيحيين في الشرق ورجاسات أعدائهم — أي المسلمين — في الأراضي المقدسة ذاكراً بعض الانتصارات التي حازتها جيوشهم هناك))[٦] .

وكان أول ما قام به أنه : ((خاطب حشداً كبيراً من البارونات الفرنسيين في مدينة فيزيلية يوم ٣١ آذار / مارس ١١٤٦م ، وأقنعهم بأن سقوط الرها ليس بكارثة ، بل هو

---

[١]) أوروبا والمسيحية ، الجزء الثاني (المرحلة الصليبية) ص١١٣، يان دويرا تشينسكي، الحروب الصليبيّة (صراع الشرق والغرب) ، ص ٦٥ ، رنيه كروسيه .

[٢]) الحركة الصليبية ، ٤٨٥/١ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

[٣]) الحرب المقدسة (الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم) ص ٢٥٣ ، كارين آرمسترونغ ، تاريخ الحملات الصليبية ١٣٥/١ ، إتش . إ. ماير .

[٤]) الجهاد ضد الصليبين في الشرق الإسلامي ، ص ٢٣٨ ، مسفر بن سالم الغامدي .

[٥]) مختصر تاريخ الكنيسة ، ص ٢٦٥ ، أندرو ملر ، تاريخ الحروب الصليبية ، ٤٠٦/٢ ، ستيفن رنسيمان ، نبلاء ودراويش (تاريخ الحروب الصليبية) ص ١٠٦ ، د. إسماعيل نوري الربيعي .

[٦]) مختصر تاريخ الكنيسة ، ص ٢٦٥ ، أندرو ملر .

جزء من خطة الرب المقدَّرة ، لا بل إن الرب سمح لزنكي أو حتى دفعه إلى الاستيلاء على الرها كي يمنح المسيحيين فرصة مذهلة ، ولسوف يكون مع شعبه في حملته الصليبية الجديدة، التي هي تجل للحب الإلهي وأحد أعظم الأحداث شأناً في التاريخ الخلاصي، وعندما أنهى برنارد خطابه في حضور الملك (لويس السابع) في فيزيله حدثت جلبة مقدسة فخرّ الملك ساجداً على ركبتيه وتناول شارة الصليب وتبعه في ذلك حشد هائل جداً من كل طبقات المجتمع حتى إن المخزون من شارات الصليب الجاهزة نفذ بسرعة اضطر معه برنارد إلى تمزيق ردائه إلى شرائط ومناولتها للحشود الصاخبة)) [1] .

ويقول رنسيمان في هذا التفاعل الصليبي لقتال المسلمين في ديارهم الإسلامية بعد ما أنهى برنارد خطبته الشهيرة في فيزيليه الفرنسية : ((ولم يلبث سامعوه أن وقعوا تحت سحر بيانه فأخذ الناس يصيحون طالبين الصلبان، إذ هتفوا ((أعطونا الصلبان)) ولم يمض إلاَّ وقت قصير حتى نفذ كل القماش الذي سبق إعداده، لتخاط منه الصلبان، وعندئذ خلع القديس برنارد أرديته الخارجية، وطلب تقطيعها وحياكتها صلباناً، وظل برنارد ومساعدوه حتى المساء، يخيطون الصلبان لأولئك الذين ازداد عددهم، والذين وطنوا أنفسهم على الاشتراك في الحرب الصليبية)) [2] .

وكان أول من استجاب لنداءات البابا أوجانيوس الثالث والأسقف برنارد هو ملك فرنسا لويس السابع وعدد كبير من أشراف مملكته . [3]

وطيلة أسابيع تلت يوم الحملة المشهور ٣١ آذار / مارس ١١٤٦م تنقل الأسقف برنارد ومعه بعض رجالات البابوية معهم خطابات من البابا أوجانيوس الثالث إلى كل فرنسا وما استطاعوا أن يصلوا إليه من أرجاء أوروبا، وكان من أشهر أيام تطواف هذه

---

[1]) وقد علّلت كارين آرمسترونغ هذا التفاعل مع خطاب برنارد : ((أن في ذلك الوقت كان برنارد أقوى شخصية في أوروبا ، فكان ملك فرنسا طوع بنانه ، وكان البابا عضواً في أخويته الدينية ، وقدرٌ كبير من قوته ونفوذه كان يُعزى في الواقع إلى فصاحته الكاريزمية » وقد كتب معاصر له يقول إن مظهره الروحي ونحوله الشديد كانا كفيلين بإقناع جمهوره حتى قبل أن ينبس ببنت شفة)) . انظر: الحرب المقدسة (الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم) ، ص ٢٥٣ ، كارين آرمسترونغ ، ترجمة : سامي الكعكي .

[2]) تاريخ الحروب الصليبية ، ٤٠٧/٢ ، رنسيمان ، ترجمة : د. السيد الباز العريني .

[3]) مختصر تاريخ الكنيسة ، ص ٢٦٥ ، أندرو ملر .

الحملة البابوية لحث أوروبا على حملة صليبية جديدة منظمة ضد المسلمين في سنة ١١٤٦م، حيث انعقد مؤتمر لنبلاء الامبراطورية الألمانية في سبيرا الألمانيّة ، وكان الأسقف برنارد ومن معه في الحملة البابوية تلك متواجدين في ذلك المؤتمر ، فألقى الأسقف برنارد موعظة حماسية ألهبت مشاعر الحضور وخاصة الإمبراطور الألماني كونراد الثالث فقرر الاشتراك في تلك الحملة الصليبية، كما أقرت في الوقت ذاته حملة صليبية أخرى على المسلمين السلاف تلبية لرغبة أصحاب النفوذ الألمان [1] .

وبعد أن اتضحت معالم هذه الحملة الصليبية الجديدة من ناحية العدة والعتاد اجتمع البابا أوجانيوس الثالث بقادتها وجنودها وناشدهم عاداً إياهم أبناءه المخلصين في ولائهم للصليب أن يدافعوا عن الأرض التي ظفر بها الآباء الشجعان ، وأنه يدعوهم كمسيحيين للحرب من أجل الكنيسة في الشرق ، لينالوا غفران الخطايا ، ويعملوا على تعزيز مكانة النصرانية في العالم .

وقد ذهب هذا البابا في مسألة الغفران الكنسي للمشاركة في هذه الحملة الصليبية أبعد مما ذهب إليه سلفه أوربان الثاني في الحملة الصليبية الأولى قبل خمسين سنة ، وقد طمأن البابا أوجانيوس الثالث المشاركين في هذه الحملة الصليبية على المسلمين وأكد لهم حماية الكنيسة لزوجاتهم وأطفالهم وممتلكاتهم ، كما قد تم إعفاء المشاركين في هذه الحملة من دفع فوائد عن الأموال التي اقترضوها من قبل [2] .

انطلقت الحملة الصليبية الثانية عام ١١٤٧م متجهة إلى المشرق الإسلامي ، وهي تتألف من جيشين كبيرين أكثر جنودهما من أكبر ثلاث دول في الغرب الأوروبي (فرنسا وألمانيا وإيطاليا)، ويقودهما أكبر عاهلين في العالم الكاثوليكي؛ هما : كونراد الثالث امبراطور ألمانيا ولويس السابع ملك فرنسا[3] .

ثم تبعهم جيش صليبي ثالث أكثره من الجنود الإنجليز ، وكان يتأهب السير بحراً إلى فلسطين فغادرت السفن انجلترا في نفس السنة ١١٤٧م، واتجه هذا الجيش الانجليزي إلى

---

[1]) أوروبا والمسيحية ، المرحلة الصليبية ١١٤/٢ ، يان دوبرا تشينسكي ، ترجمة : د. كيرو لحلو .

[2]) تاريخ الحملات الصليبية ، ١٣٧/١ — ١٣٨ ، إتش . إ. ماير ، تعريب : د. محمد فتحي الشاعر .

[3]) الحركة الصليبية ، ٤٨٩/١ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، مختصر تاريخ الكنيسة ، ص ٢٦٥ ، أندرو ملر .

سواحل البرتغال لمساعدة ملك البرتغال الفونسو هنري في قتاله ضد المسلمين ، وفعلاً اشترك هذا الجيش مع الجيش البرتغالي ، وبدأوا حصار لشبونة العاصمة الإسلامية المحلية، فاستبسل المسلمون في الدفاع عن مدينتهم، ولم يستسلموا إلا بعد محاصرة دامت أربعة أشهر بشرط الإبقاء على حياة رجالها المسلمين وأمتعتهم، ولم يلبث الصليبيون أن نقضوا هذه الشروط وانغمسوا في إجراء مذبحة رهيبة بالمسلمين، وبعدها أصبحت لشبونة منذ ذلك الحين عاصمة المملكة البرتغالية الناشئة [1] .

وكما أن الصليبين الوافدين من انجلترا وما جاورها ساهموا في قتال المسلمين وطردهم من لشبونة، فكذلك ساعد الصليبيون القادمون من فرنسا كونت برشلونة ((وبروفانس ديموند برنجار)) في قتاله ضد المسلمين، كما هو الحال في أغلب الحملات الصليبية التي تستطيع أن تجمع بين قتال المسلمين في الغرب وقتالهم في الشرق .

هذا في حين مد فرسان الداوية والاسبتارية نشاطهم إلى وادي نهر أبرو بأسبانيا فضلاً عن الشام ، ولم تلبث هيئة الرهبان السسترشيان أن أقامت لها مركزاً سنة ١١٤٩م في أسبانيا حيث كونوا قوة حربية للدفاع عن مكتسباتهم الصليبية ضد أي هجمة إسلامية متوقعة هذه من جهة ، ومن جهة أخرى القيام بهجمات ابتدائية ضد المدن والأقاليم الإسلامية [2] .

وبعد أن أنهى الجيش الانجليزي مهمته في مساعدة ملك البرتغال باستيلائه على مدينة لشبونة الإسلامية ، واصل زحفه نحو فلسطين للحاق بالحملة الصليبية الثانية هناك .

أتت الحملة الصليبية الثانية إلى الشرق لاسترداد الرها من أيدي المسلمين ، ولتثبيت دعائم الإمارات الصليبية وحصونها الباقية في الشرق ، والتي ضُغطت من هجمات المسلمين عليها ، خاصة من جهة عماد الدين زنكي ، وولديه سيف الدين غازي ، ونور الدين محمود .

ولكن هذه الحملة الصليبية باءت بالفشل فلم يكن المسلمون على نفس الحالة التي

---

[1]) تاريخ الحروب الصليبية ، ٢/٤١٥ – ٤١٦ ، ستيفن رنسيمان ، ترجمة : د. السيد الباز العريني ، أوروبا العصور الوسطى ، الجزء الأول ، التاريخ السياسي ، ص ٥٥٠ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

[2]) أوروبا العصور الوسطى ، الجزء الأول ، التاريخ السياسي ، ص ٥٥٠ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

كانوا عليها اثناء الحملة الصليبية الأولى قبل خمسين سنة ـ من سنة ١٠٩٩م إلى سنة ١١٤٨م ـ من وجود صراعات مذهبية وانشقاقات عسكرية، بل كانوا في حالة جيدة من الاستعداد لمواجهة أي حملة صليبية جديدة آتية من الغرب أو من الشرق ، خاصة استعدادات القائد المسلم نور الدين محمود زنكي الذي كان في قمة حماسه الديني فعمل على توحيد المسلمين ضد النصارى الصليبيين ، وكان يؤمن أن الوحدة في العقيدة هي أساس الوحدة السياسية ، فاتخذ إجراءات صارمة ضد الشيعة ، وشجع كل فكرة يمكن أن تساعد في العمل على النهوض بالمذهب السني وتعميقه [1] .

ففشلت هذه الحملة الصليبية الثانية وعجزت عن تحقيق أي هدف من أهدافها ، يقول أندرو ملر : ((إن تاريخ الحملة الصليبية الثانية في الأراضي المقدسة لهو أكثر إيلاماً وأشد خزياً ، ففي عام ١١٤٩م رجع كونراد ولويس إلى أوروبا بأفراد قلائل من الجيش العرمرم الذي كان معهما، فما الذي حلّ بالآخرين؟ إن عظام هؤلاء المساكين كانت تُرى ملقاة على رمال الطرق والصحاري التي مروا فيها، فمليون من الأنفس البشرية ذهبت ضحية في بحر سنتين أو أقل ، وارتفعت أصوات التذمر والحنق ضد برنارد بصفته الكاهن الذي كان السبب في هذه الحملة المشئومة بواسطة وعظه ونبوءاته ومعجزاته)) [2] .

ويعد فشل الحملة الصليبية الثانية نقطة تحول في تاريخ الصليبيين في جزء مهم من بلاد المسلمين، إذ أن سقوط الرها أتم المرحلة الأولى في الإفاقة الإسلامية [3]، ثم تبعها الانهيار الكبير للصليبيين في هذه الحملة الفاشلة بكل المقاييس، فأدت إلى عكس النتائج التي رمت إليه، فانحطت هيبة الصليبيين ومكانتهم بالشام وازداد نفوذ المسلمين وارتفعت روحهم المعنوية، واتضح للمسلمين أن خشيتهم من الصليبيين ما كانت إلا أوهاماً كاذبة، وعلموا تماماً أن الصليبيين أضعف من أن يقوموا بجهد جدي ضدهم [4]، بشرط تجمعهم تحت راية الجهاد في سبيل الله وتوحيد صفوفهم من الناحية العقائدية والسياسية وهذا ما نجح فيه

---

[1]) تاريخ الحملات الصليبية ، ١/١٥٥ ، إتش . إ . ماير ، تعريب : د. محمد فتحي الشاعر (بتصرف) .

[2]) مختصر تاريخ الكنيسة ، ص ٢٦٥ ، أندور ملر .

[3]) تاريخ الحروب الصليبية ، ٢/٤٦٧ ، ستيفن رنسيمان ، تعريب : د. السيد الباز العريني .

[4]) الحركة الصليبية ، ١/٤٩٦ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

المجاهد المسلم نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي ؛ لذا نجح ــ رحمه الله ــ في فتح ما تبقى في يد الصليبيين من إمارة الرها ، وما حولها .

وفي سنة (٥٤٣هـ / ١١٤٨م) التقى نور الدين محمود بجموع الصليبيين الذين كانوا يريدون قصد حلب والبلاد التابعة لها ، فالتقى بهم بمكان اسمه (يغري) واقتتلوا قتالاً شديداً أجلت المعركة عن انهزام الصليبيين، وقتل كثير منهم، وأسر جماعة من مقدميهم، ولم ينج من الصليبيين إلا القليل ، وأرسل من الغنيمة والأسارى إلى أخيه سيف الدين غازي بالموصل وإلى الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله والسلطان السلجوقي مسعود بن محمد بن ملكشاه [1] ، ثم وجه جهوده نحو الإمارة الصليبية في أنطاكية وذلك في سنة (٥٤٤هـ / ١١٤٩م)، وقد انتصر نور الدين على أمير أنطاكية ريموند في ٢٩ يونيه سنة ١١٤٩م وأوقع في الجيش الصليبي مقتلة عظيمة وقد كان من جملة القتلى ريموند نفسه وعلي بن وفا زعيم الباطنية الذي كان مرافقاً للصليبيين [2] .

أمام هذا الفشل العريض الذي حلّ بالحملة الصليبية الثانية وانتصارات الجيش الإسلامي وفتحه لمعاقل الصليبيين اهتزت البابوية وكل الغرب الأوروبي ، مما حدا بالنصارى إساءة الظن بكل حركة صليبية، وترتب على ذلك أن ضاعت سدى جهود البابا أوجانيوس الثالث والأسقف برنارد في الإعداد لحملة صليبية جديدة سنة ١١٥٠م[3].

ومن أهم المنظمات الدينية العسكرية التي حث هذا البابا على تكوينها في أسبانيا لقتال

---

[1]) مكان هذه المعركة المذلة للصليبيين اسمه (يغري) وقيل (بغراس)، وهي مدينة في لحف جبل اللكام بينها وبين انطاكية أربعة فراسخ على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب، وقد أكثر الشعراء من مدح نور الدين على إثر هذه المعركة، ومما مُدح به قول الشاعر ابن القيسراني :

وكيف لا يثنى على عيشنا الـ ... محمود والسلطان محمود

وصارم الإسلام لا ينثني ... إلا وشلو الكفر مقدود

مكارم لم تك موجودة ... إلا ونور الدين موجود

وكم له من وقعة يومها ... عند الملوك الكفر مشهود

انظر : الكامل في التاريخ ، ٣٥٦/٩ ، أحداث سنة (٥٤٣هـ) لابن الأثير ، الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي ، ص ٢٥٦ ، مسفر بن سالم الغامدي ، الحركة الصليبية ، ٤٩٦/١ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

[2]) الحركة الصليبية ، ٤٩٧/١ – ٤٩٨ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

[3]) الحروب الصليبية، ص٧٧، أرنست باركر ، ترجمة : د. السيد الباز العريني .

المسلمين هي منظمة القديس جوليان في سنة ١١٥٢م، والتي تحول اسمها في عام ١٢١٨م إلى منظمة القنطرة بعد أن استولى الصليبيون في الأندلس على بلدة القنطرة الواقعة على نهر تاجه من أيدي المسلمين[١] .

ومن الباباوات الذين كانت لهم جهود واضحة في حث الصليبيين على قتال المسلمين في الغرب والشرق البابا اسكندر الثالث (٧ أيلول ١١٥٩ـ ٣٠ آب ١١٨١م) ، والذي يعد من أطول باباوات روما اعتلاء لعرش البابوية ، وكان هذا البابا – اسكندر الثالث – من أشد باباوات روما اهتماماً بالمنظمات الدينية العسكرية وتوجيهها لقتال المسلمين في الشرق والغرب؛ فقد اهتم اهتماماً خاصاً بالمنظمات الدينية العسكرية في الأراضي المقدسة ، وعلى رأسها وأقواها الاسبتارية والداوية والتيوتونية .

كما نشأت في عهده منظمات دينية عسكرية في بلاد الأندلس الإسلامية لبث الرعب والقلق في قلوب المسلمين ، ومن أخطر هذه المنظمات في قتال المسلمين هناك منظمة (سنتياجو) الذي وضع بذرتها البابا اسكندر الثالث، واشتد عودها وقويت في عهد البابا إنّوشنتيوس (إنوسنت) الثالث (٨ كانون الثاني ١١٩٨ ــ ١٦ تمّوز ١٢١٦م)[٢] .

ويرجع اهتمام البابويّة لإنشاء مثل هذه المنظمات الدينية العسكرية لضمان ولائها الديني والسياسي الحربي لمقامها ، وتوجهات باباواتها .

ولسوء علاقة البابا اسكندر الثالث مع الامبراطور فردريك بربروسيا (الأول) فقد فشلت حملة أراد أن ينظمها في عام ١١٦٩م متجهة إلى فلسطين ، وكانت هذه الحملة يعقد عليها النصارى في الأراضي المقدسة آمالاً عريضة لكبح جماح التقدم الإسلامي[٣] .

إلاّ أنّ هناك شائعات انتشرت في فلسطين أن البابا اسكندر الثالث يعزم توجيه حملة صليبية إليها عام ١١٧٧م بقيادة لويس السابع ملك فرنسا وهنري الثاني ملك إنجلترا، غير أنه لم يصل إلى فلسطين في سبتمبر ١١٧٧م إلاّ أمير واحد من الغرب، هو فيليب فلاندر، ولكن كان معه عدد كبير من الأتباع ، وكان مساعداً قوياً للصليبيين في قتالهم ضد

---

[١]) أوروبا العصور الوسطى ، (التاريخ السياسي)، ١ / ٥٥٠ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

[٢]) أوروبا العصور الوسطى ، ٥٥٠/١، تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي، ص ٢٨٧ ، د. خاشع المعاضيدي .

[٣]) تاريخ الحروب الصليبية ، ٦٢٠/٣ ، ستيفن رنسيمان : ترجمة د. السيد الباز العريني .

المسلمين[1] .

ومن أجرأ الهجمات الصليبية تلك التي قام بها مغامر فرنسي ذاع صيته في أنطاكية اسمه (رُنو دي شايتون) ، فقد استطاع أن يتحكّم في الطريق الواصل بين سورية ومصر وذلك في عام ١١٨١م ، كما أنّه في نفس العام أغار على قافلة الحج المتوجهة إلى مكة وسلبها ، ثم أنشأ أسطولاً بحرياً عام ١١٨٢م ، هدف به أن يهجم على مكة والمدينة ، فأجج بذلك العمل معاني السخط البالغ في ضمائر الأمة الإسلامية ، فسارع إليه المجاهد المسلم صلاح الدين يوسف الأيوبي وألحق به خسائر فادحة ، ثم انطلق فحاصر الصليبيين في إمارة الكرك والتي تقع إلى الجنوب الشرقي من البحر الميت وذلك في كانون الأول من عام ١١٨٤م[2] .

وبهذا ضاق الحال على الصليبيين في الشام بتكاتف المسلمين تحت قيادة القائد صلاح الدين ، ففي نفس السنة التي حاصر فيها صلاح الدين إمارة الكرك أرسل الصليبيون وفداً رفيع المستوى إلى أوروبا يتكون من هرقل بطريرك بيت المقدس، وأرنولد توروجا رئيس رهبان فرسان الداوية وروجر مولين رئيس رهبان فرسان الاسبتارية من أجل حشد القوى لمواجهة الظروف غير المؤاتية التي باتوا يعانون منها، والخسائر المتلاحقة، التي صارت تواجههم، وقد تمكن الوفد من مقابلة البابا لوسيوس الثالث (١ أيلول ١١٨١ ـــ ٢٥ تشرين الثاني ١١٨٥) ، وشرحوا له الموقف المتدهور ، وقابلوا أيضا الامبراطور الألماني فردريك بربروسا الأول ووعد الوفد بإرسال حملة صليبية لإنقاذ الصليبيين في الشام ، إلا أن تفاقم المشاكل بين البابوية والامبراطور حال دون إرسال تلك الحملة المقررة[3] .

وكانت القاضية التي خاف منها الصليبيون من أن تحل بهم ، وقد حلّت ، واهتزت لها أركان البابوية ذعراً وهلعا وكل العالم الغربي الصليبي من ملوك وأمراء وشعوب ألا وهي

---

[1]) المرجع السابق ، ٣/٦٦٨ — ٦٧١ ، ستيفن رنسيمان .

[2]) الحروب الصليبية (صراع الشرق والغرب) » ص٧٣، رنيه كروسيه، ترجمة : أحمد ايش ، الحروب الصليبية، ص ٨٢ ، أرنست باركر » ترجمة : د. السيد الباز العريني .

[3]) نبلاء ودراويش (تاريخ الحروب الصليبية)، ص١٢٣، د. اسماعيل نوري الربيعي، تاريخ الحملات الصليبية، ١٨٧/١ ، إتش . إ. ماير ، تعريب : د. محمد فتحي الشاعر .

انتصار القائد المسلم صلاح الدين يوسف الأيوبي في معركة حطين الشهيرة (ربيع الآخر ٥٨٣هـ / مايو ١١٨٧م) والتي مهدت للمسلمين التقدم بثبات نحو بيت المقدس واسترداده من أيدي الصليبيين ، وكان دخول صلاح الدين ــ فاتحاً منتصراً ــ إلى بيت المقدس في السابع والعشرين من شهر رجب عام ٥٨٣هـ الموافق ١٢ أكتوبر من عام ١١٨٧م .

((كانت حطين أعظم من مجرد نصر حربي أحرزه المسلمون ، لقد كانت في حقيقة أمرها بشيراً بنجاح المسلمين في القضاء على أكبر حركة استعمارية شهدها العالم في العصور الوسطى)) [1] .

وأيضاً فإن معركة حطين أزالت الرهبة التي صنعها الصليبيون لأنفسهم في قلوب المسلمين ، فقد نتج عن هذه المعركة العظيمة أسر ملك الإمارة الصليبية لبيت المقدس جاي لوزجنان وأمير الكرك – الذي فشل في مهاجمة مكة والمدينة والذي كان يعترض قوافل الحجاج من جهة الطريق بين سورية ومصر ، قتله صلاح الدين بيده بعد ما وقع في الأسر – ومقدم فرسان الداوية ومجموعة من فرسانه وكذلك مجموعة من فرسان الإستبارية، وكثر القتل والأسر في الصليبيين ، فكان من يرى القتلى لا يظن أن المسلمين أسروا أحداً ، ومن يرى الأسرى لا يظن أن المسلمين قتلوا أحداً [2] .

ويرى بعض المؤرخين الغربيين أن صمود الإمارات الصليبية قرابة قرن من الزمان لم يكن وليد قوتها بقدر ما كان نتيجة ضعف القوى الإسلامية وتفككها في منطقة الشرق الأدنى وبخاصة في مصر والشام [3] .

أوصل جوزياس رئيس أساقفة صور ــ المبعوث الرسمي للصليبيين ــ إلى البابا أروبان الثالث (٢٥ تشرين الثاني ١١٨٥ ــ ٢٠ تشرين الأوّل ١١٨٧م) خبر فتح القائد المسلم صلاح الدين لبيت المقدس وإسقاطه للمملكة الصليبية هناك[4]، فكان وقوع الخبر على

---

[1]) الحركة الصليبية ، ٦٣٧/٢ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

[2]) الكامل في التاريخ ، ١٤٨/١٠ ، أحداث سنة (٥٨٣هـ) ، لابن الأثير الجزري .

[3]) الحركة الصليبية ، ٦٣٧/٢ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

[4]) أوروبا والمسيحية ، (المرحلة الصليبية) ، ١٥١/٢ ، يان دويرا تشينسكي .

البابا أوربان الثالث كالصاعقة فمات كمداً في ٢٠ أكتوبر عام ١١٨٧م [1] .

اعتلى عرش البابوية بعد أوربان الثالث، جريجوري الثامن ١١٨٧م، والذي توفي بعد شهرين من هذا التنصيب أي في ١٧ ديسمبر سنة ١١٨٧م وفي هذه الفترة الوجيزة من بابويته عمل جاهداً لجمع القوى الصليبية في العالم الغربي وحثها على غزو المسلمين في ديارهم والاستيلاء مرة أخرى على بيت المقدس .

فأرسل منشوره البابوي إلى جميع حكام الغرب الأوروبي وشعوبهم يدعوهم إلى بذل كل الجهود لإعداد حملة صليبية ثالثة متجهة إلى الأراضي المقدسة ، وأعلن في هذا المنشور البابوي فرض هدنة بين حكام الغرب المتحاربين فيما بينهم ولمدة سبع سنين ، ومنح الغفران لكل من يشارك في هذه الحملة الصليبية الجديدة ، كما دعا النصارى جميعا لصوم كل يوم جمعة لمدة خمس سنين، والامتناع عن تناول اللحم يومي الأربعاء والسبت، وفرض على نفسه وأهل بيته وجميع الكرادلة وأسرهم – زيادة على ما فرضه – صيام كل يوم إثنين [2] .

ووزعت البابوية مع المنشور البابوي لبعث الروح الصليبية القتالية في نفوس نصارى الغرب لوحة كبيرة بها صورة مدينة بيت المقدس وكنيسة القيامة وفيها ما قالوا إنه قبر السيد المسيح ، وصوروا عليه فرساً عليه فارس مسلم وقد وطئ هذا القبر ، وكان رجال الكنيسة يحملون هذه الصورة وينادون بالويل فهاجت خلائق لا يحصى عددهم [3] .

الحملة الصليبية الثالثة :

توفي البابا جريجوري الثامن بعد توجيه هذا المنشور البابوي، فخلفه على البابوية إكليمنضوس (إكليمنت) الثالث في ٢٠ ديسمبر عام ١١٨٧م ـــ ١١٩١ م، قام البابا الجديد بنشاط ملحوظ لبث الروح الصليبية للدعوة إلى الحملة الجديدة ، فأرسل رئيس

---

[1]) تاريخ الحروب الصليبية ، ٢١/٣ ، ستيفن رنسيمان .

[2]) تاريخ الحروب الصليبية ، ٢٢/٣ ، ستيفن رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ١٤٧ ، د. محمود سعيد عمران ، أوروبا والمسيحية (المرحلة الصليبية) ١٥١/٢ ، يان دوبرا تشينسكي ، نبلاء ودراويش (تاريخ الحروب الصليبية) ، ص ١٢٤ ، د. إسماعيل نوري الربيعي .

[3]) تاريخ الحروب الصليبية ، ص ١٤٧ ، د. محمود سعيد عمران .

أساقفة صور جوزياس إلى شمال الألب ، وأرسل الكاردينال الألباني هنري للتوفيق بين ملك إنجلترا وملك فرنسا وتسوية الخلافات بينهما وحثهما للمشاركة في هذه الحملة الجديدة، ونجح في ذلك فأعلن الملكان انضمامهما للحملة الصليبية وسط ابتهاج شعبي وذلك في الحادي والعشرين من يناير عام ١١٨٨م ، كما أن رئيس أساقفة كانتربري بلدوين قام بنشاط شُبّه بنفس النشاط الذي قام به برنارد في الحملة الصليبية الثانية ، وفي ألمانيا كان الإقبال شعبياً للمشاركة في هذه الحملة ، وأعلن الامبراطور الألماني فردريك بربروسيا (الأول) في أبريل عام ١١٨٩م المشاركة في هذه الحملة الصليبية ، وبهذا حظيت هذه الحملة الصليبية الثالثة بقيادات لم تتوافر لأي حملة أخرى – قبلها ولا بعدها – فقد خرج الامبراطور الألماني فردريك الأول ، والملك الفرنسي فيليب أوغسطس ، والملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد في زعامة هذه الحملة [1] .

ولكن نتائج هذه الحملة الصليبية الكبيرة كانت مخيبة لأمال البابوية والشعوب الصليبية من ورائها؛ فما استطاعت الاستيلاء على بيت المقدس ، وأقصى ما نجحت فيه هو نزع عكا من أيدي المسلمين ، وتقوية المدن الساحلية التي احتلها الصليبيون من قبل والممتدة من عكا إلى يافا ، وقيام هدنة بين الصليبيين والمسلمين لمدة ثلاث سنوات بوقف القتال فيما بينهم وأن يسمح للنصارى بزيارة بيت المقدس وللمسلمين استخدام الشريط الساحلي الواقع تحت سيطرة الصليبيين [2] .

أدت نتائج الحملة الصليبية الثالثة الضئيلة إلى إقناع الامبراطور الألماني هنري السادس (١١٩٠ – ١١٩٧م) للقيام بحملة صليبية جديدة ، وتأكدت هذه المحاولات عندما استطاع هذا الامبراطور فرض سيطرته على جنوب إيطاليا وصقلية عام ١١٩٤م في عهد البابا سلستين الثالث (١١٩١ – ١١٩٨م) ، فتوجه جزء من قواته نحو صيدا وبيروت

---

[1]) تاريخ الحملات الصليبية ، ١٨٩/١ ، إتش . إ . ماير ، تاريخ الحروب الصليبية ص ١٤٧ – ١٤٨ ، د. محمود سعيد عمران، مختصر تاريخ الكنيسة ، ص٢٦٦، أندرو ملر ، تاريخ الحروب الصليبية ، ٢٣/٣ ، رنسيمان، أوروبا والمسيحية ، ١٥١/٢ ، دوبرا تشينسكي .

[2]) قصة الحضارة ، ١٥ / ٤٦ ، ول ديورانت ، مختصر تاريخ الكنيسة ، ص ٢٦٦ ، أندرو ملر ، موسوعة تاريخ العالم ، ٧٠٢/٢ ، وليام لانجر .

ليتم احتلالها في تشرين الأول/ أكتوبر ١١٩٧م، إلا أن وفاة الامبراطور هنري السادس في ٢٨ سبتمبر ١١٩٧م أفشل هذه الحملة وعطلها[١] .

وفي فترة تلك الأحداث الواقعة في الأرض المقدسة وما حولها كانت هناك مواجهات قوية في بلاد الأندلس المسلمة بين المسلمين والصليبيين ، حيث إن الصراع بينهما دخل في مرحلة حساسة وحاسمة وقوية فلم يعد الصراع ((مجرد حروب محلية متفرقة بين زعماء الفريقين وإنما أصبح صراعاً عاماً شاملاً بين حضارتين متباينتين ، وديانتين مختلفتين ، ظلا يتقاسمان النفوذ ويتنازعان السيادة على ذلك الركن الجنوبي الغربي من أوروبا طوال عدة قرون))[٢] .

فهذا الخليفة الموحدي أبو يوسف يعقوب المنصور يواجه ملك البرتغال دون بيدرو ابن ألفونسو هنريكي ومن معه من أساطيل الصليبيين الألمان والإنجليز ، فكان الصراع بين الجيش الإسلامي ، والجيوش الصليبيّة سجالاً ولمدّة عامين (٥٨٥هـ ـــ ٥٨٦ / ١١٨٩م ـــ ١١٩٠م) ، حتى تمكّن المسلمون من وقف تقدّم جيوش النصارى غرب الأندلس في عام ٥٨٧هـ ، ١١٩١م[٣] .

هدأت الحروب في الأندلس بضعة أعوام بعد انتصار الخليفة الموحدي أبي يوسف على جيوش النصارى المشترك إلا أن الكنيسة في قشتالة في عام ١١٩٥م ، وعلى رأسها أسقفها (مارتن دي بسيرجا) في طليطلة شرعت في زرع الحقد والبغض وتأجيج صدور النصارى الأسبان ضد المسلمين وعمل هذه الأسقف على الإعداد لحملة صليبية كبيرة في الأندلس ضد المسلمين بالتنسيق مع القوة السياسية والعسكرية النصرانية الحاكمة في قشتالة وما حولها وعلى رأسهم الملك ألفونسو الثامن وبتأييد من البابا في روما سلستين الثالث .

---

[١]) نبلاء ودراويش (تاريخ الحروب الصليبية) ، ص ١٢٨ ـــ ١٢٩ ، د. إسماعيل الربيعي ، تاريخ الحروب الصليبية ، ٣/١٧٧ ـــ ١٨٠ ، ستيفن رنسيمان ، تاريخ أوروبا (العصور الوسطى) ص ٥٤٩، د. السيد الباز العريني ، تاريخ الحملات الصليبية ، ١/٢٠٥ ، إتش . إ . ماير .

[٢]) أوروبا العصور الوسطى ، الجزء الأول (التاريخ السياسي) ، ص ٥٥١ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

[٣]) الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود ، ص ٢٦٣ ، د. عصام محمد شبارو ، موقعة الأرك ، ص ٤٨ ، د. شوقي أبو خليل ، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ص ٢٨٧ ، د. خليل إبراهيم السامرائي وآخرون .

توجهت هذه الحملة الصليبية لتدمير مدن المسلمين وقراهم وسبي المسلمين العزل رجالاً ونساءً وقتل قسم كبير منهم وزحفت هذه الحملة الصليبية إلى أقصى جنوب الأندلس وهم يتابعون العبث والتخريب .

وعندما تمكنت هذه الحملة الصليبية من بعض المدن الإسلامية أراد ملك قشتالة ألفونسو الثامن أن يستمر في حروبه مع المسلمين ويصل إلى أبعد من ذلك فطلب العون من ملكي ليون ونبارة، واستنفر ملوك المقاطعات الإسبانيّة، وكذلك باقي الدول الأوروبيّة، واستصرخ البابا في روما سلستين الثالث، فقدمت إليه جيوش من فرنسا وألمانيا وهولندا وغيرها من الديار الأوروبية يقودها فرسان ذوو خبرة عسكرية طويلة وتجربة ماهرة في الحروب ضد المسلمين حتى قُدِّرت القوات الأوروبية بـ(مئة وخمسين ألف جندي) .

في هذا التجمع الصليبي النصراني المخيف على وضع المسلمين في الأندلس تأهب أبو يوسف يعقوب المنصور لملاقاة هذه الجيوش الصليبية دفاعاً عن المسلمين فدوت صيحات الجهاد الإسلامي في بلاد الأندلس الإسلامية وفي جميع أنحاء المغرب من مدينة سلا على المحيط الأطلسي حتى برقة شرقاً على حدود مصر ضد النصارى الذين غدوا خطراً على الإسلام، وزادت الحميةَالإسلامية لمقابلة الصليبيين النصارى الأخبارُ التي وصلت من الأراضي المقدسة عن سلسلة انتصارات صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين، فأحيت هذه الأخبار قلوب المسلمين في الأندلس والمغرب وطهرت قلوبهم وتعلقوا بالشهادة في سبيل الله .

قاد أمير الموحدين أبو يوسف المنصور هذا الجيش الإسلامي لمواجهة الجيوش الصليبية النصرانية وهو يعلم أن الجيوش الصليبية تفوق جيشه بثلاثة أضعاف ولكن حب رفع راية الإسلام عالية والدفاع عن المسلمين وأعراضهم ألغت كل هواجس الخوف من كثرة الأعداء فقابلهم في موقع يسمى (الأرك) وهو حصن على بعد عشرين كيلو متر إلى الشمال الغربي من قلعة مشهورة تسمى (رباح) وهي نقطة الحدود بين قشتالة والأندلس، وفي صباح يوم التاسع من شعبان عام (٥٩١هـ / ٨ يوليه ١١٩٥م) كانت موقعة الأرك الفاصلة والحاسمة بين الجيش الإسلامي والجيوش الصليبية انتصر فيها الموحدون المسلمون

على النصارى الصليبيين وألحقوا بهم هزيمة منكرة ذكرتهم بمعركة حطين على أرض فلسطين وعاد أبو يوسف المنصور إلى إشبيليه، فدخلها دخول الفاتحين يوم الأحد السابع والعشرين من شعبان عام (٥٩١هـ / ١١٩٥م) ، وهذا ما شجعه في أوائل سنة (٥٩٢هـ / ١١٩٦م) بغزوة جديدة في قلب الأراضي النصرانية ، فانطلق فاتحاً عدة حصون وقلاع، حتى وصل إلى أبواب طليطلة عاصمة مملكة قشتالة فتحصّن ألفونسو وجيشه بعاصمته و لم يجرؤ أن يحارب المسلمين في ميدان مكشوف نظراً لهبوط معنويات جنده بعد موقعة الأرك، واستطاع القائد المجاهد الموحدي أبو يوسف يعقوب المنصور أن يفرق بين ممالك النصارى بعقد أحلاف معها مما اضطر ملك قشتالة ألفونسو الثامن إلى طلب هدنة مع المسلمين ولمدة عشر سنوات[1] .

وهذه الهزائم المتتالية التي لحقت بالصليبيين في المشرق والمغرب على أيدي المسلمين ابتداء من موقعة حطين في عام (٥٨٣هـ / ١١٨٧م) ومروراً بفشل الحملة الصليبية الثالثة الضخمة والتي اشترك فيها ملوك النصارى الكبار (الإيطالي والفرنسي والإنكليزي) عام (١١٨٩ ـــ ١١٩٢م) والتي لم تف بآمال البابوية وكذلك فشل الحملة الصليبية التي قام بها الامبراطور الألماني هنري السادس عام ١١٩٧م ، والهزائم المتتالية للصليبيين في الأندلس وعلى رأسها هزيمتهم في موقعة الأرك عام (٥٩١هـ / ١١٩٥م) وخضوع ملحوظ لملوك النصارى في الأندلس لدولة الموحدين خاصة ما بين سنتي (١١٩٥ ـــ ١١٩٨م) كل هذا أشعل نار القهر والعداوة والحقد في قلب البابوية وكنائسها والشعوب الصليبية على الأمة الإسلامية .

في ذلك الوقت المشحون بالعداوة لكل ما هو إسلامي اعتلى العرش البابوي إنّوشنتيوس (انوسنت) الثالث (٨ كانون الثاني ١١٩٨ ـــ ١٦ تمّوز ١٢١٦م) ، وهو

---

[1]) تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الأفريقي ، ص ٣٧٤ ـــ ٣٨٣ ، د. علي محمد الصلابي ، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود ، ص ٢٦٢ ـــ ٢٦٦ ، د. عصام محمد شبارو ، موقعة الأرك ص ٤٨ ـــ ٦٧ ، د. شوقي أبو خليل ، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ص ٢٨٦ ـــ ٢٨٨ ، د. خليل إبراهيم السامرائي وآخرين ، أوروبا العصور الوسطى ، ٥٥١/١ ، التاريخ السياسي ، د.سعيد عبد الفتاح عاشور .

يحمل في قلبه كل الكره والعداوة للمسلمين في كل مكان .

((كان أنوسنت صليبياً متعصباً، شرع بالتخطيط لحملة صليبية جديدة بغية الإستيلاء مرة أخرى على بيت المقدس من أيدي المسلمين))[١].

كما كان له الريادة في إثارة حماسة الصليبيين في الأندلس المسلمة بعد خفوتها في قلوب النصارى هناك بسبب انتصارات المسلمين عليهم ، وقد شجع أنوسنت الثالث جماعات عديدة من الدول الغربيّة للمشاركة في الحروب ضد المسلمين في الأندلس كما كان له الفضل في تقوية أشهر منظمة دينية حربية واجهت المسلمين في الأندلس وهي منظمة (سنتياجو) ، كما أنه عمل على تقوية الطابع الديني الصليبي للحروب في الأندلس وجعلها لا تقل أهمية في نظر الغربيين الأوروبيين عن الحروب الصليبية في الأراضي المقدسة في المشرق[٢] .

((فانوسنت الثالث ، طوال بابويته الحافلة بالأحداث جعل الحرب الصليبية هدفه الأساسي وحاول أن يعيد لها ما اشتهرت به من قبل من أساس ديني وأن يخضعها لإشراف البابا وتوجيهه))[٣] .

فبابا روما أنوسنت الثالث يعد من أشهر المتعصبين لديانته النصرانية وأبغضهم كرهاً ومقتاً للإسلام والمسلمين[٤] .

وعندما انتخب أنوسنت الثالث بابا في عام ١١٩٨م اتخذ من قوة الكرسي البابوي منعطفاً مصيرياً وكان هذا المنعطف هو إلزام جميع النصارى بالحرب ضد المسلمين باسم المسيح عليه السلام، وعد ذلك واجباً، وأنه من على كرسيه البابوي سيوجه هذه المعارك ضد الإسلام والمسلمين في المشرق والمغرب، وعد جميع ملوك أوروبا رجالاً تابعين للكرسي البابوي فقط؛ حيث جعل نفسه الرئيس الأعلى والأب الروحي الديني والدنيوي

---

[١]) الحروب المقدسة ، ص ٤٥٥ ، كارين آرمسترونغ ، ترجمة : سامي الكعكي .

[٢]) أوروبا العصور الوسطى ، ١/٥٥٠ ، ٥٥١ ، التاريخ السياسي ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور . تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي ، ص ٢٨٧ ، د. خاشع المعاضيدي وآخرين .

[٣]) الحروب الصليبية ، ص ٩٦ ، أرنست باركر ، ترجمة الدكتور السيد الباز العريني .

[٤]) تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ، السياسة الصليبية للبابا أنوسنت الثالث ، ص ٦ ، د. عبد اللطيف عبد الهادي السيد .

للنصارى في ذلك العصر [١] .

أول عمل قام به أنوسنت الثالث لمقابلة المسلمين في المشرق والمغرب أنه سوى كافة مشاكل الممالك الأوروبية ليسودها السلام كي يتمكن من تسخير كافة القوى الأوروبية في مواجهة المسلمين ليمحوا عن الصليبيين آثار هزيمتهم في معركة حطين في بيت المقدس وفي معركة الأرك في الأندلس ، فأرسل كتاباً إلى نصارى البندقية يطلب منهم أن لا يبيعوا أو يتبادلوا مع المسلمين المواد الاستراتيجية كالسفن والسلاح والحديد وغير ذلك من المواد ذات التأثير الفعال في الحروب وإلاّ تعرضوا لغضب الكنيسة وتوقيع أشد العقاب عليهم [٢] .

كما أنه كتب في عام ١١٩٩م إلى بطريرك بيت المقدس (إيمار موناكو) يطلب منه تقريراً مفصلا عن الحالة في بلاد الشام مع تدعيم هذا التقرير بكافة البيانات التي تتعلق بالحكام المسلمين وطبيعة العلاقات بين بعضهم البعض، كما طلب نفس الشيء في عام ١٢١٣م من الداوية والاسبتارية، ويبدو أن هذه التقارير كانت ترسل إليه من آن لآخر، وتشتمل هذه التقارير على معلومات على جانب كبير من الأهمية تضمنت النواحي السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والعسكرية الخاصة بالمسلمين [٣] .

ثم إن أنوسنت الثالث أمر بإرسال الجنود والمغامرين من جميع الفئات المحكوم عليهم في جرائم حرب إلى الأراضي المقدسة ، وشجعهم على نهب وسرقة كل ما هو نفيس من المسلمين ، ووعد بمنحهم البركات ودخول الجنة إن قاموا بأعمال النهب والسرقة والإغارة على المسلمين [٤] .

واستعمل بصورة واضحة الأساقفة والديريين وكبار رجال الكنيسة في تحريك الشعوب الأوروبية ضد المسلمين، كما أنه اهتم بضمان وقوف المدن التجارية الكبرى كجنوى

---

[١]) مفاتيح أورشليم القدس (حملتان صليبيتان على مصر) ، ص ٥٠ ـــ ٥١ ، ريمون ستانبلوي .

[٢]) تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٢٠٥ ـــ ٢٠٦ ، د. محمود سعيد عمران .

[٣]) والجانب الخطير في هذه التقارير هو الجانب العسكري ، فتحدث عن بعض البلدان المصرية والمسافة بين بعضها البعض، ومما تناولته هذه التقارير مدينة دمياط بالتفصيل عن عدد أبراجها وأسوارها وبرج السلسلة وكيفية دخول السفن إلى دمياط التي كانت مفتاح مصر آنذاك . انظر : المرجع السابق ، ص ٢٠٦ ، د. محمود عمران .

[٤]) مفاتيح أورشليم القدس (حملتان صليبيتان على مصر) ، ص ٥١ ، ريمون ستانبلوي .

والبندقية وبيزة إلى جانبه وفي خدمة دعواه ، ومع أنه كان يرفض الاعتراف بمكانة العلمانيين الكبار من رجال السياسة إلا أنه لم يستطع أن يتجاهل ضرورة مساهمتهم المالية في الحملة الصليبية الرابعة والحملات الأخرى التي ينوي إنشاءها، كما أنه أعلن أنّه هو وكرادلته وكوادره الكهنوتية سوف يدفعون العُشر من دخولهم في سبيل تجهيز تلك الحملات الصليبية ـــ ويلاحظ أن هذه هي أول ضريبة مالية رسمية في تاريخ الكنيسة ـــ [١] .

الحملة الصليبيّة الرابعة :

ولم يكد يحل ربيع سنة ١٢٠٠م حتى تم الإعداد لحملة صليبية جديدة ، وتركز الإعداد الكبير في فرنسا، لذلك تعتبر الحملة الصليبية الرابعة كالحملة الصليبية الأولى حملة فرنسية في معظمها فأعضاؤها البارزون من الأمراء الفرنسيين[٢] .

وأشهر دعاة هذه الحملة الصليبية من الوعاظ: فولك نيللي الرحّالة الذي طالما سعى لإثارة حرب صليبية ـــ وهو أكبر مبشر للبابا في فرنسا ـــ ، وكذلك مارتن رئيس دير بايريس كان له الأثر الأكبر في ألمانيا ، كما كان لأسقف أوتون وأسقف هالبرشتات أثر كبير في إثارة الحماسة الصليبية ضد المسلمين في شمال إيطاليا ثم الأراضي المنخفضة (هولندا)[٣] .

وقلد البابا أنوسنت الثالث إمرة هذه الحملة الصليبية رجلاً يدعى بونيفاس دومونفرا، وهذا الرجل من عائلة صليبية حاقدة على المسلمين ، فأبوه كان قد استقر في بيت المقدس في آخر أيامه وكانت له جهود صليبية ضد المسلمين ، وأخوه وليم كان مربياً لملك بيت المقدس الصغير بالدوين الخامس ، وأخوه الأخر كونراد قاد المقاومة الصليبية في مدينة صور بعد هزيمة الصليبيين في موقعة حطين[٤] .

---

[١]) في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (السياسة الصليبية للبابا أنوسنت الثالث) ص ١٤ ـــ ١٥ ، د. عبد اللطيف عبد الهادي السيد .

[٢]) الحروب الصليبية ، ص ٩٦ ، أرنست باركر ، ترجمة : الدكتور السيد الباز العريني .

[٣]) تاريخ الحروب الصليبية ، ٣/١٩٩ ـــ ٢٠٠ ، ستيفن رنسيمان ، ترجمة : الدكتور السيد الباز العريني .

[٤]) الحرب المقدسة ، ص ٤٥٦ ، كارين آرمسترونغ ، ترجمة : سامي الكعكي .

وبعد مداولات بين أمراء الحملة وقادالها مع البابا أنوسنت الثالث اقتنعوا جميعا أن يتجهوا بها إلى مصر أولاً ثم بيت المقدس بعد ذلك ، واختارت هذه الحملة أن تتوجه إلى مصر أخذاً برأي الملك ريتشارد قلب الأسد الإنجليزي وملك بيت المقدس الأسبق — قبل سقوطها في معركة حطين — حيث إنهما عدّا أن مصر مركز المقاومة الحقيقي ضد الصليبيين بالشام والمخزن الكبير الذي استمد منه الأيوبيون مواردهم البشرية والمادية في محاربة الصليبيين، هذا فضلا عن أن إعادة توحيد الدولة الأيوبية تحت زعامة الملك العادل الأيوبي جعل من الخطورة على الصليبيين أن يتوجهوا نحو حصار بيت المقدس، فيعرّضوا أنفسهم للوقوع بين فكي الكماشة، أي بين قوات العادل التي تخرج من مصر وتلك التي تنفذ من دمشق[1] .

على أن مهاجمة مصر لابد من توجيهها عن طريق البحر ، وذلك لأن سوريا كانت بأيدي المسلمين ، ومن ثم تعتبر الحملة الصليبية الرابعة حملة بحرية ، شأنها في ذلك شأن الحملة الصليبية الثالثة[2] .

ولكن هذه الحملة الصليبية انحرفت وجهتها من مصر إلى القسطنطينية؛ وذلك بسبب ثورة نشبت في القسطنطينية أطاحت بالامبراطور إسحاق الثاني فلجأ ابنه إلكسيوس إلى الغرب طالباً المساعدة من البابا أنوسنت الثالث وإعادته لعرش أبيه عارضاً في مقابل ذلك إخضاع الكنيسة الشرقية للبابوية وتقديم عشرة آلاف جندي للمساهمة في حملتهم على مصر ومن ثم بيت المقدس .

وقد لقيت مهاجمة بيزنطة (القسطنطينية) التأييد من معظم كبار المسئولين الأوروبيين وفي مقدمتهم البابا أنوسنت الثالث نفسه على هذا المشروع طالما أنه يحقق فكرة البابوية العالمية في توحيد الكنيستين الشرقية والغربية تحت سيادة الكرسي البابوي الكاثوليكي في

---

[1]) الحركة الصليبية ، ٧٣٤/٢ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي ، ص ١٨١ ، د. علي عبد الحليم محمود ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ٧٦٦/٥ ، د. أحمد شلبي .

[2]) الحروب الصليبية ، ص ٩٧ ، ارسنت باركر ، ترجمة : الدكتور السيد الباز العريني .

روما بعد قطيعة بينهما من سنة ١٠٥٤م[١] .

اتجهت الحملة الصليبية الرابعة إلى القسطنطينية واستولت عليها في الثالث عشر من إبريل عام ١٢٠٤م ، وقامت بتخريبها والعدوان على أهلها ونهبها ، حتى قيل :((ليس لنهب القسطنطينية مثيل في التاريخ))[٢] .

وتمنى ـــ في وقتها ـــ النصارى البيزنطيون أن لو كانت القسطنطينية قد وقعت في أيدي المسلمين ، ولم تقع في أيدي النصارى الغربيين[٣] .

كتب الامبراطور الروماني اللاتيني الجالس على العرش البيزنطي (بلدوين فلاندر) إلى البابا أنوسنت الثالث يعلمه بفتح القسطنطينية وبارتقائه عرشها ويؤكد خضوعه للسدة البابوية في روما[٤] .

وبهذا صارت هذه الحملة الصليبية الموجهة أصلاً إلى بلاد المسلمين للاستيلاء على بيت المقدس، عنواناً لزوال الامبراطورية البيزنطية ، وأضيفت كإحدى الإمارات إلى ما بيد الصليبيين في الشام وبقوا فيها أكثر من نصف قرن (١٢٠٤ـــ ١٢٦١م)؛ وبهذا أصبحت كراهية النصارى الأرثوذكس اليونانيين للنصارى اللاتين الكاثوليك عنصراً جوهريا في الوعي الوطني البيزنطي الأرثوذكسي .

ولهذا فضل كثير من الأرثوذكس اليونانيين الخضوع للمسلمين الأتراك لما يجدونه عند المسلمين من تسامح وحرية في ممارسة شعائرهم النصرانية من أن يخضعوا للنصارى الكاثوليك[٥] .

---

[١]) تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٢١٦ ـــ ٢١٧ ، د. محمود سعيد عمران ، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي ، ص ١٨١ ، د. علي عبد الحليم محمود .

[٢]) تاريخ الحروب الصليبية ، ٣/٢٢٢ ، ستيفن رنسيمان ، ترجمة : الدكتور السيد الباز العريني .

[٣]) تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٢١٧ ، د. محمود سعيد عمران ، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي ، ص ١٨١ ، د. علي عبد الحليم محمود ، أوروبا والمسيحية ، ٢/١٧٧ ، (المرحلة الصليبية) يان دوبرا تشنسكي .

[٤]) الروم وصلاتهم بالعرب ، ٢/١٨٠ ، د. أسد رستم .

[٥]) أوروبا وفلسطين (من الحروب الصليبية حتى اليوم) ، ص ٤٨ ، الدكتور بشارة خضر ، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٨٦ ، د. مفيد الزايدي .

لم يستفد البابا أنوسنت الثالث من هذه الحملة في حروبه ضد المسلمين والاستيلاء على بيت المقدس من أيديهم ، فبدأت فكرة التجهيز لحملة صليبية خاصة متجهة إلى بيت المقدس تراوده منذ عام ١٢٠٨م [1] .

وكان هذا البابا يُحرِّض الصليبيين في الشام لقتال المسلمين إذا وجدوا إلى ذلك سبيلاً؛ فلم تنقطع المناوشات والحروب الصغيرة بين الصليبيين والمسلمين في تلك الفترة، فكان الفرسان الأسبتارية يقومون بهجمات متكررة على مدينة حمص خاصة بين سنتي (١٢٠٤ــ ١٢٠٥م) ، حتى استطاع الملك العادل الأيوبي في ردّ تلك الهجمات الصليبية على مدينة حمص وأوقفها وذلك في عام (١٢٠٧م / ٦٠٤هـ) [2] .

كما استولى بعض قراصنة الصليبيين من قبرص على عدة سفن مصرية وأسروا ما فيها فغضب الملك العادل الأيوبي فخرج إليهم ورد ما اغتصبوه وذلك في سنة (١٢٠٧م ـــ ٦٠٤هـ) ، ثم هدد مملكة الصليبيين في عكا وطرابلس وكثرت مناوشاته ضدهم ، فطلب الوصي على مملكة الصليبيين في عكا بوهيمند الرابع صاحب طرابلس من العادل الأيوبي الصلح لمدة ست سنوات (١٢١١ ـــ ١٢١٧م) فوافق العادل الأيوبي على هذه الهدنة .

على أنّ حنا دي إبلين قد عمل على ألاّ يُضيِّع سنوات الهدنة مع المسلمين سدى وإنما أخذ يعمل على تصفية مشاكل الصليبيين الداخلية ، ويُمنّيهم بمشروعه لغزو مصر ، كما أنّه أرسل الرسل إلى البابا أنوسنت الثالث يطلب منه إعداد حملة جديدة بحيث تصل إلى الشرق عند انتهاء الهدنة [3] .

- يقول ستيفن رنسيمان : ((وفي تلك الأثناء انغرست بذور الكراهية بين العالمين المسيحي في الشرق والغرب . فما كان لدى البابا أنوسنت من آمال رائعة ، وما ادعاه الصليبيون من مفاخرات خادعة بأنهم أنموا الانشقاق ، ووحدوا الكنيستين كل ذلك لم يتحقق . . . إن الحركة الصليبية زادت في مرارة العلاقات بينهما)) . تاريخ الحروب الصليبية ، ٢٣٥/٣ ، ترجمة : الدكتور السيد الباز العريني .

[1]) الحروب الصليبية ، ص ١٠٤ ، أرنست باركر ، ترجمة : الدكتور السيد الباز العريني .

[2]) الحركة الصليبية ، ٧٤٥/٢ ـــ ٧٤٦ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي ، ص ١٨ ـــ ١٨٣ ، د. علي عبد الحليم محمود .

[3]) الحركة الصليبية ، ٧٤٥/٢ ـــ ٧٥٢ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي ، ص ١٨٢ ـــ ١٨٣ ، د. علي عبد الحليم محمود .

حملة الأطفال :

في تلك الفترة قامت الدعوة إلى حملة صليبية في الغرب عام ١٢١٢م ، وهذه الحملة تعد من أغرب الحملات التي شهدها تاريخ الحركة الصليبية ، وهي (حملة الأطفال) أو (حملة الصبيان) ولا شك أنّ هذه الحملة الغربية تُبيّن بوضوح إلى أيّ مدى وصلت الكراهية والحقد عند الغرب ضد المسلمين ؛ فالتأجيج الديني الصليبي الذي استخدمته البابوية ضد الإسلام والمسلمين قد عمّ كل أوروبا ، وأثّر على فئات المجتمع الغربي على اختلاف طبقاته وأعماره .

وتتلخص هذه الحملة أن غلاماً يدعى ستيفان في الثانية عشرة من عمره من فندوم الفرنسية ، قال : إنّ المسيح قد جاءه في رؤيا وكلّفه بحمل الصليب إلى الأرض المقدسة ، وكان لأقواله الغريبة تأثير على طبقة الأولاد من عمره في أعظم نواحي أوروبا ؛ فاجتمع حوله العدد الكبير منهم بلغ الثلاثين ألفا من الأطفال تتراوح أعمارهم بين العاشرة والثانية عشر ، وزاد هذا العدد إلى أن وصل إلى التسعين ألفا ، وأخذوا يسيرون إلى فلسطين متوقعين أنهم سيقهرون المسلمين بترتيل الأناشيد وترديد الصلوات .

ولكن سرعان ما تلاشت وحدة هذه المجموعة بعد وقت قصير من خروجها من فندوم الفرنسية ؛ فمات كثير منهم جوعا وتعبا ، وآخرون منهم ذهبوا ضحية لغدر أصحاب السفن من أبناء دينهم النصارى الذين وعدوهم بتوصيلهم إلى شواطئ فلسطين ــ خاصة تجار مرسيليا الفرنسية ــ فنُقل باقي الصبية على متن سبع سفن انطلاقا من مرسيليا ، وبعد مرور سنة شاع في أوروبا خبر غرق اثنتين من السفن ، فيما تم بيع بقية الصبية في أسواق النخاسة في مصر والجزائر وباقي دول شمال أفريقيا[1] .

يقول أندرو ملر : ((هكذا كان هوس ذلك الزمان وجنونه ، حتى أنّه بدلا من منع تلك الحركة أعلن البابا أن غَيرة هؤلاء الغلمان أخجلت برود الآباء وجمودهم))[2] .

---

[1]) أوروبا والمسيحية ؛ ٢/١٩٧ ؛ (المرحلة الصليبية) يان دوبرا تشينسكي ، ترجمة : د. كيرو لحلو ؛ مختصر تاريخ الكنيسة ، ص ٢٦٧ ، أندرو ملر ، الحركة الصليبية ، ٢/٧٥٣ ــ ٧٥٤ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، نبلاء ودروايش (تاريخ الحروب الصليبية) ؛ ص ١٤٤ ــ ١٤٥ ، د. إسماعيل نوري الربيعي .

[2]) مختصر تاريخ الكنيسة ؛ ص ٢٦٧ ؛ أندرو ملر .

ثم إن البابا أنوسنت الثالث بدأ دعوته لطلب انعقاد المجمع الكنسي المسكوني الثاني عشر (اللاتيراني الرابع ١١ ــ ٣٠ تشرين الثاني ١٢١٥ م) مزامنة مع طلبه للإعلان عن حملة صليبية جديدة متجهة إلى الأراضي المقدسة ومصر، وكانت تلك الدعوات في عام ١٢١٣م[١] .

استمرت بذلك دعاية البابا أنوسنت الثالث المعادية للإسلام، وهذه المرة من خلال تركيزه على حث جهود العامة من الناس، واستنهاض الهمم للمشاركة في الحملة الصليبية، داعياً فيها جميع النصارى من مختلف الفئات والطبقات، حتى إنه لم يتورع عن استخدام الخرافة والادعاء بأن الإسلام سينتهي في غضون سنوات قليلة مُحرِّفاً بعض نبوءات العهد القديم[٢] .

افتتح المجمع المسكوني اللاتيراني الرابع في أواخر سنة ١٢١٥م بعدد ضخم من المشتركين من أساقفة ورؤساء أديرة، تحدث البابا أنوسنت الثالث في الجلسة الأولى عن أحوال النصارى في بيت المقدس وتمكّن المسلمين منهم، ثم نهض بعده بطريرك بيت المقدس يتكلم عن ضرورة تدخل جيش صليبي قوي لكسر شوكة المسلمين، وبعد كلمته بادر المجتمعون في المجمع إلى تأكيد ضرورة إرسال حملة صليبية إلى بلاد المقدس، والتأكيد من جديد على ما يُبذل للصليبيين من حقوق وامتيازات، وإلى تدبير تمويل الحملة، ورأوا أن الأفضل أن تجتمع الحملة في صقلية كيما تبحر إلى الشرق في أول يونيه سنة ١٢١٧م ، وتكون الوجهة مباشرة إلى مصر فهي بوابة بلاد المقدس[٣] .

ولكي يضمن البابا أنوسنت الثالث تنفيذ هذه القرارات، وقيام الحملة في الموعد المحدد، قام بإرسال الدعاة والمبشرين للدعوة لها في كافة أرجاء أوروبا، فبرز في فرنسا الأسقف جاك دي فتري الذي يعد أشهر من قام بالدعوة للحملة، حتى عيّنه البابا أسقفاً لمدينة عكا في عام ١٢١٦م، وخلفه في فرنسا سيمون أسقف مدينة صور سابقاً، كما

---

[١]) تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٢٢٧ ، د. محمود سعيد عمران .

[٢]) نبلاء ودراويش (تاريخ الحملة الصليبية) ، ص ١٤٥ ، د. إسماعيل نوري الربيعي .

[٣]) تاريخ الحروب الصليبية ، ٢٥٧/٣ ، ستيفن رنسيمان ، أوروبا والمسيحية ، ١٩٣/٢ ، يان دوبرا تشينسكي ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٢٢٧ ــ ٢٣٠ ، د. محمود سعيد عمران .

شارك في الدعوة للحملة في فرنسا الكاردينال جريفاس والذي ركّز جهـوده في طبقـة البارونات الفرنسيين، ودعوة ملك فرنسا فيليب أوغسطس وابنه لويس، كما أن رئـيس الآباء الدوميناك شارك بنفسه للدعوة إلى هذه الحملة الصليبية ، وبرز في ألمانيـا بعـض الأساقفة ورؤساء الأديرة ، وكان أعظمهم جهدا أسقف بادبنورن بألمانيا الأسقف أوليفر سكولاستك ، فأعجب البابا بجهده فعيّنه كاتبا للمندوب البابوي في الحملة ، وقام ستيفن لانجتون رئيس أساقفة كانتربري في انجلترا بجهود كبيرة في تعبئـة الـشعب الإنجليـزي للمشاركة في هذه الحملة ، كما طاف الدعاة والوعّاظ كل أوروبـا لحـث الـشعوب النصرانية الصليبية في المشاركة في قتال المسلمين والاستيلاء على بيت المقدس .

وكان القول المشترك بين هؤلاء الدعاة والوعاظ الصليبيين في دعوتهم أن القوة الإلهية قد وعدتهم بالنصر على المسلمين واسترداد بيت المقدس من أيديهم ، وأن البابـا نفـسه سيتوجه على رأس هذه الحملة ، كما أظهرت الكنائس الكاثوليكية في أوروبـا الأقـوال بقصص خرافية وأساطير ونشرتها بين الشعوب الأوروبية ؛ لتحريك شـعورهم الـديني الصليبي ضد المسلمين ــ مما يبين كيف كانت البابوية وكنائسها في ذلك الوقت متسلطة على عقول الشعوب الأوروبية ومصائرها تُحرّكها كيف شاءت ــ .

ولقوة هذه التعبئة الصليبية ضد المسلمين ، والحث على قتالهم كان البابـا أنوسـنت الثالث واثقا من النصر على المسلمين ، والاستيلاء على بيت المقدس فكتب إلى الـسلطان العادل الأيوبي يُحذّره مما سوف يحل عليه وعلى المسلمين ، ويطلب منه أن يتنازل بهـدوء عن بيت المقدس ، فلا يزال معه فسحة من الوقت[1] .

ومع قوة البابا أنوسنت الثالث في أوروبا وهيمنته حتى على ملوكها إلا أنه لم يتحقق له حلمه الذي طالما سعى إليه وطمع به ، وهو استيلاؤه على بيت المقدس مـن أيـدي المسلمين، فمات محطم القلب منكوداً بسبب تمسك المسلمين بالقدس الشريف .

أما بالنسبة لجهود أنوسنت الثالث في قتال المسلمين في الأندلس الإسلامية ، فهذا البابا كان شديد العداوة للمسلمين أينما كانوا ، فلم تكن تسنح له الفرصة إلا انتهزها في دعوة

---

[1]) تاريخ الحروب الصليبية، ص٢٣٢ ــــ ٢٣٦، د. محمود سعيد عمران، وتاريخ الحروب الصليبية ٢٥٨/٣، ستيفن رنسيمان ، وأوروبا والمسيحية ، ١٩٧/٢ ، يان دويرا تسيتسكي .

النصارى لقتال المسلمين ، فقد دعا المماليك الصليبية في الأندلس لطرح عداواتها جانبا وأن تجتمع وتوحد كلمتها لتتمكن من احتلال أراضي المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية (الأندلس) .

فدعا إلى حملة صليبية موحدة في عام ١٢١١م ضد المسلمين، ونجحت جهود هذا البابا أنوسنت الثالث في نفخ روح الحقد في النصارى على المسلمين ، فطلب من أساقفة جنوب فرنسا بأن يعظوا رعاياهم بأن يسيروا بأنفسهم وأموالهم لمؤازرة ملك قشتالة ألفونسو الثامن ، وأعلن البابا أن كل من يشارك في هذه الحملة الصليبية ضد المسلمين سيُمنح الغفران التام .

اجتمع في طليطلة عاصمة قشتالة في مطلع عام (٦٠٩هـ / ١٢١٢م) حشود هائلة من الصليبيين ، ومنهم جنود من مملكة أراغون والبرتغال ومن مدينة ليون وفرسان رباح وفرسان سنتياغو الأسبانيتين وفرسان الداوية والاسبتارية المقدسيتين وبعض أساقفة فرنسا وإيطاليا وأساقفة قشتالة بقيادة ملك قشتالة ألفونسو الثامن .

التقى هذا الحشد الهائل من الصليبيين مع الجيش الإسلامي قرب بلدة تولوسا في حصن أموي يُسمى (العقاب) في ١٥ صفر ٦٠٩هـ الموافق ١٧ تموز يوليو ١٢١٢م فدارت معركة من أعنف المعارك أسفرت عن انتصار ذلك الحشد الهائل من الصليبيين على الجيش الإسلامي، جعلت الخليفة الموحدي أبو عبد الله محمد الناصر يفرّ مهزوما نحو إشبيلية ثم يعبر مضيق جبل طارق نحو مراكش .

بدأت وطأت النصارى تشتد بعد معركة العقاب على المسلمين ، وتسهلت لهم مع تفكك المسلمين وعدم اجتماع كلمتهم أن يحتلوا الأراضي الإسلامية، ويسقطوا الإمارات الإسلامية إمارة تلو الأخرى [1] .

الحملة الصليبية الخامسة :

تولى العرش البابوي بعد أنوسنت الثالث الكاردينال سينسيو سافيللي باسم

---

[1]) معركة العقاب ، ص ٢٨ ــ ٣٥ ، ٣٩ ــ ٤٨ ، د. شوقي أبو خليل ، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الأفريقي ، ص ٣٩٧ ــ ٤٠٥ ، د. على محمد الصلابي ، الأندلس ص ٢٦٧ ــ ٢٦٩ ، د. عصام محمد شبارو ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٢١٣ ، د. محمود سعيد عمران .

هونوريوس الثالث (١٨ تمّوز ١٢١٦ ــ ١٨ آذار ١٢٢٧م) ، وكان الهدف الأول الذي وضعه البابا الجديد نصب عينيه هو وضع الحملة الصليبية التي دعا إليها المجمع اللاتيراني الرابع حيز التنفيذ [1] .

تحركت الحملة الصليبية الخامسة قاصدة مصر ــ للأسباب التي ذكرت في الحملة الرابعة ــ في أواخر سنة ١٢١٧م ، وتجمعت القوات الصليبية القادمة مع القوات الصليبية التي كانت في عكا ، وتوجهت مجتمعة إلى دمياط في مصر في ٢٧ مايو سنة ١٢١٨م، وكان زعيم الحملة حنا دي برين ملك مملكة بيت المقدس في عكا ، وكان معه المندوب البابوي الكاردينال بلاجيوس بعد أن تم الاتفاق مع ملك سلاجقة الروم بمهاجمة حلب .

وقد استطاعت الجيوش الصليبية من احتلال قلعة برج السلاسل المسؤولة عن حماية مدينة دمياط ((قفل الديار المصرية)) في ٢٥ آب / أغسطس عام ١٢١٨م ، وفي ذلك الوقت وصلت تعزيزات بحرية مشتركة من إيطاليا وفرنسا وإنجلترا وأسبانيا .

وبهذا تمكن الصليبيون من إحكام السيطرة على دمياط ودخولها في ٥ تشرين الثاني نوفمبر عام ١٢١٩م [2] .

كانت الجيوش الصليبية في حالة أكثر استعدادا واستقرارا من الجيش الإسلامي ، حيث إن مصر كانت تحت حكم السلطان العادل الأيوبي الذي لم يلبث أن مات في مطلع هذه الحملة وآل الحكم بعده في مصر إلى ابنه الكامل ، ولكن الملك الكامل قابل في مطلع عهده ألواناً من المصاعب كان لها أثر كبير في إضعاف قوة المسلمين، ومنها : أن المغول كانوا قد بدءوا زحفهم تجاه العالم الإسلامي في ذلك الوقت فأسقطوا خوارزم وبلاد ما وراء النهر ومعظم بلاد فارس وبدؤوا يوغلون تجاه بغداد ، مما قسَّم الجهود الإسلامية وفتّ في عضد المسلمين ، يضاف إلى ذلك أن الصليبيين اتصلوا بملك الحبشة النصراني ليتعاون

---

[1]) أوروبا والمسيحية ، ٢/١٩٩ ، يان دويرا تشينسكي .

[2]) الحركة الصليبية ، ٢/٧٦٢ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، نيلاء ودراويش (تاريخ الحروب الصليبية) ص ١٤٨ ، د. إسماعيل نوري الربيعي ، الحروب الصليبية ، ص ١٠٨ ، أرنست باركر .

معهم في ضرب الإسلام والمسلمين عن طريق غزو الحجاز [١] .

فزع الملك الكامل من دخول الصليبيين إلى دمياط فعرض عليهم الصلح بأن يقدم الكامل للصليبيين صليب الصلبوت (الصليب الذهبي) الذي كان صلاح الدين — رحمه الله — قد أنزله من فوق قبة الصخرة عقب استردادها ، وأن يسلم لهم بيت المقدس بذاته ويُطلق كل أسير صليبي عنده ، على أن يخرجوا من دمياط ولا يصيبوا أي مدينة مصرية بأذى .

فانقسم قادة الحملة الصليبية بين موافق لهذه الشروط وعلى رأسهم قائدها الملك حنّا دي برين ، ومعارض لهذه الشروط وعلى رأسهم المندوب البابوي الكاردينال بلاجيوس . وتغلّب القسم المعارض على القسم الموافق فاتجهت الحملة تجاه القاهرة [٢] .

في هذه الأثناء تحركت بعض القوات الإسلامية تجاه مصر لمساعدة الكامل في مقابلته مع الصليبيين وعلى رأسهم أخواه ملك دمشق الأشرف موسى ، والملك المعظم عيسى فاجتمع الإخوة الثلاثة أبناء العادل الأيوبي وعملوا على مواجهة الصليبيين الزاحفين على القاهرة .

استطاع الجيش الإسلامي المتحد أن ينتصر على الجيوش الصليبيّة ، فأرسل الصليبيّون إلى السلطان الكامل في ٢٨ أغسطس سنة ١٢٢١م يعرضون استعدادهم لترك دمياط والجلاء عن البلاد ، مقابل السماح لهم بالخروج من المأزق الذي وقعوا فيه وتركهم يعودون إلى بلادهم سالمين [٣] .

يقول ستيفن رنسيمان : ((انتهت الحملة الصليبية بالفشل ، بعد أن أضحت قرية من

---

[١]) موسوعة التاريخ الإسلامي ، ٧٦٩/٥ ، د. أحمد شلبي ، الحركة الصليبية ، ٧٦٢/٢ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ص ٢٢٨ ، د. علي حبيبه .

[٢]) تاريخ الحروب الصليبية ، ٢٨٦/٣، ستيفن رنسيمان، موسوعة التاريخ الإسلامي، ٧٧٠/٥ ، د. أحمد شلبي ، الحروب الصليبية ، ص ١٠٩ ، أرنست باركر .

[٣]) الحركة الصليبية ، ٧٧٥/٢ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٢٦٤ — ٢٦٥ ، د. محمود سعيد عمران ، نبلاء ودراويش (تاريخ الحروب الصليبية) ص ١٤٩ — ١٥٠ ، د. إسماعيل نوري الربيعي ، الحركة الصليبية ، ص ٢٢٨ ، د. علي حبيبه .

النجاح))[١] .

قبيل الحملة الصليبية الخامسة نشطت في القارة الأوروبية حركة التنصير التي وجهتها البابوية منذ عهد البابا أنوسنت الثالث إلى الخارجين عن التعاليم الكاثوليكية من النصارى في أوروبا ، إلا أنه ظهرت مجموعة من المنصرين اعتقدوا أن تنصير المسلمين في الشام سوف يُسهّل أمر الحروب الصليبية .

ومن أشهر هؤلاء المنصرين وأجرئهم رئيس الرهبنة الفرنسيسكانية فرنسيس الاسيزي الذي طمع في تنصير السلطان الكامل الأيوبي ، فعندما دخل على الكامل الأيوبي سمح له الكامل ببسط رسائله الإنجيليّة بشرط ألا يتعرض بسوء للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ولا لدينه الإسلام[٢] .

ولم يكتف فرنسيس ألاسيزي بهذه الخطوة التي عملها بل إنه أرسل مجموعة من الرهبان الفرنسيسكان لتنصير المسلمين في أسبانيا وإفريقيا ، ومجموعة أخرى أشد حماسة إلى الأراضي المقدسة في فلسطين وما حولها[٣] .

وهكذا ظهرت فكرة التنصير معاونة لفكرة الاستعمار لضرب المسلمين في عقيدتهم ودينهم واحتلال أراضيهم ابتداءً من وقت الحملة الصليبية الخامسة خاصة منذ عام ١٢١٩م .

حمّل البابا هونوريوس الثالث الامبراطور فردريك الثاني فشل الحملة الصليبية الخامسة وذلك بسبب تقاعسه عن اللحاق بها ، وطالبه أن يقوم بحملة جديدة إلى الأراضي المقدسة ، كما أنّ البابا هونوريوس الثالث عمل على توطيد صلة الإمبراطور فردريك بإيزابيلا ابنة حنا دي برين وريثة مملكة بيت المقدس ؛ بزواج الامبراطو بها ، وتم ذلك الزواج في سنة ١٢٢٥م، واتخذ الامبراطور لقب ملك بيت المقدس؛ حيث إنه من حقوق

---

[١]) تاريخ الحروب الصليبية ، ٣٠١/٣ ، ستيفن رنسيمان .

[٢]) الحرب المقدسة ، ص ٤٨١ ـــ ٤٨٣ ، كارين آرمسترونغ ، أوروبا والمسيحية ، ٢١٠/٢ ، يان دوبرا تشينسكي .

[٣]) الحرب المقدسة ، ص ٤٨٥ ، كارين آرمسترونغ .

زوجته ، وأخذ يمين الولاء من أمراء الإقطاع بالمملكة الصليبية [1] .

وبدأ فردريك حملته ملكاً لبيت المقدس في خريف سنة ١٢٢٧م، غير أن حُمّى تفشت في معسكر جيشه قبل أن ينطلق مبحراً إلى الأراضي المقدسة فامتنع عن السير حتى يتشافى الجيش ، في هذه الأثناء توفي البابا هونوريوس الثالث وتولى بعده العرش البابوي الكاردينال هوغولين ديكونتي دي سيفني ابن شقيقة البابا السابق أنوسنت الثالث وصديق فرنسيس ألاسيزي ، باسم غريغوريوس (جريجوري) التاسع (١٩ آذار ١٢٢٧ ـــ ٢٢ آب ١٢٤١م) .

الحملة الصليبيّة السادسة :

أصدر البابا جريجوري التاسع قرار الحرمان الكنسي على الامبراطور فردريك الثاني معتقداً بأنه يعمد مرة أخرى إلى الكذب وعدم السير إلى الأراضي المقدسة [2] .

فاضطر الامبراطور فردريك الثاني أن يسير بالحملة الصليبية في صيف عام ١٢٢٨م إلى الأراضي المقدسة وشجعه على ذلك وصول أخبار مؤكدة من وجود خلافات ومنازعات حصلت في البيت الأيوبي بين السلطان الكامل وأخيه المعظم عيسى ، كما أنّ السلطان الكامل لما علم بقدوم الامبراطور فردريك الثاني طلب منه المساعدة ضد أخيه الملك المعظم عيسى ومن معه من الأتراك الخوارزمية .

ووجه الخطورة في النزاع الذي حصل بين السلطان الكامل وأخيه المعظم عيسى أن كليهما استعان بقوى خارجية ، فاستنجد المعظم عيسى على أخيه بالأتراك الخوارزمية في حين استنجد السلطان الكامل بعدو المسلمين النصراني الامبراطور فردريك الثاني .

استغل الامبراطور هذا التشتت في العالم الإسلامي وهذا الهوان من السلطان الكامل الأيوبي فقايضه على أن يساعده على أخيه في الشام وألاّ يهجم على مصر بشرط أن يُسلّم القدس وغيرها من المدن التي استردها المسلمون من الصليبيين في عهديْ صلاح الدين

---

[1]) الحروب الصليبية ، ص ١١٢ ، أرنست باركر ، الحروب الصليبية صراع الشرق والغرب ، ص ١٣، رنيه كروسيه .

[2]) أوروبا والمسيحية ، ٢١٤/٢ ـــ ٢١٥ ، يان دوبرا تشيتسكي ، تاريخ الحروب الصليبية ، ٣١٦/٣ ، ستيفن رنسيمان ، الحروب الصليبية ، ص ١١٣ ، ارنست باركر .

والعادل الأيوبيين ، فوافق السلطان الكامل الأيوبي على ذلك وسلّمه القدس ، وبيت لحم ، والناصرة ، وذلك فضلاً عن إقطاع تبنين جنوب لبنان في الجليل الأعلى والأرباض الداخلية لمدينة صيدا على الشاطئ الفينيقي على أن تكون في نفس الوقت هُدنة سِلم ولمدة عشر سنوات ، وكانت تلك المقايضة قد أبرمت في يافا في ربيع الأول (٦٢٦هـ / فبراير ١٢٢٩م) [١] .

وهكذا استولى الصليبيون على بيت المقدس بسهولة تامة ، وهي المدينة التي أجهد المسلمون أنفسهم في عهد صلاح الدين باستردادها منهم ، فدخلها الامبراطور فردريك الثاني في ١٩ مارس سنة ١٢٢٩م ، وعندما نودي في القدس بخروج المسلمين وتسليمها للصليبيين ، وقع في المسلمين الضجيج والبكاء وعظم ذلك عليهم [٢] .

كما أنّ البابا جريجوري التاسع أوصى المماليك الصليبية في الأندلس باستغلال ضعف السلطة المركزية للمسلمين (دولة الموحِّدين) وتناحر عناصرها وتمزق شمل المسلمين وظهور طوائف وإمارات لا تقوى بمفردها على مقابلة النصارى، فحثّهم على احتلال أراضي المسلمين والهجوم عليهم من جميع الجهات، فمملكة الأرغون من الشرق، وقشتالة من الشمال، والبرتغال من الغرب، فاتحدت مملكة قشتالة مع ليون لمواجهة المسلمين تحت قيادة ملكهم فرناندو الثالث الملقب (بالقديس) فسقطت إمارة بياسة وأبرة الإسلاميّة سنة (١٢٣٥م / ٦٣٣هـ) في أيدي الصليبيين كما أن أكبر هزة حصلت للمسلمين باحتلال فرناندو الثالث قرطبة سنة (٦٣٤هـ / ١٢٣٦م)، فقرطبة كانت حاضرة الخلافة الأموية في الأندلس، كما أن سقوط قرطبة من أهم العوامل التي عجلت بانهيار نفوذ الموحدين في الأندلس، وما لبث الأسبان النصارى أن حوّلوا جامع قرطبة الشهير إلى كنيسة عرفت باسم سانتا ماريا العظمى ، و في عام (١٣٠٠م) أعلن النصارى أن الجامع أثر قوم يجب

---

[١]) مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ص٩٣ ــ ١٠٠، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، نبلاء ودراويش (تاريخ الحروب الصليبية) ص١٥٥، ١٥٦، د. إسماعيل نوري الربيعي، الحروب الصليبية صراع الشرق والغرب، ص٨٤، رنيه كروسيه ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص٢٨٢ ــ ٢٩٤ ، د. محمود سعيد عمران

[٢]) مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، ص١٠٩، د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٢٩٥ ، د. محمود سعيد عمران .

الحفاظ عليه .

وبعد قرطبة تتابع سقوط حواضر الأندلس في أيدي الصليبيين ، بلنسية عام (٦٣٦هـ / ١٢٣٩م) ومرسية (٦٤١هـ / ١٢٤٣هـ) ، ثم كانت قاصمة الظهر التي حلّت بالمسلمين لما استولى الصليبيون على إشبيلية عام (٦٤٢هـ / ١٢٤٤م) و بها انهارت دولة الموحدين الإسلامية وكان ذلك في عهديْ البابا جريجوري التاسع (١٢٢٧م ــ ١٢٤١م) والبابا أنوسنت الرابع (١٢٤٢م ــ ١٢٥٤م) .

وبهذا سقطت الممالك الإسلامية في بلاد الأندلس الخضراء ولم تبق إلا مملكة غرناطة التي أصبحت كنقطة إسلامية في بحر صليبي نصراني، تقاوم اعتداءات الصليبيين وهجومهم طيلة قرنين ونصف، حتى غرقت سنة (٨٩٧هـ / ١٤٩٢م)، وضاعت معها الأندلس نهائياً [1].

نعود إلى وضع المسلمين والصليبيين في الأراضي المقدسة في عهد البابا جريجوري التاسع، فقبل أن تنتهي الهدنة التي أُبرمت بين السلطان الكامل الأيوبي والامبراطور فردريك الثاني، دعا البابا جريجوري التاسع لحملة صليبية جديدة دفاعية عن بيت المقدس تحسباً لهجوم إسلامي، فكان أول من استجاب لهذه النداءات البابوية البارونات الفرنسيين، فكانت حملة خاصة بهم (الحملة الفرنسية)، وصلت إلى عكا في أول سبتمبر عام ١٢٣٩م بقيادة ثيبوت الرابع فحدثت بينهم وبين جيش العادل الثاني الأيوبي منازلة قرب غزة انتصر فيها المسلمون ، وكان ذلك في ١٣ نوفمبر سنة ١٢٣٩م الموافق ٦٣٧هـ .

ثم في ١١ أكتوبر سنة ١٢٤٠م لحقتهم حملة بريطانية بقيادة ريتشارد كورنوول ــ أخو هنري الثالث ملك إنجلترا ــ وقد استطاعت هذه الحملة أن تقوي جانب الصليبيين في حماية بيت المقدس وتحصين عسقلان ، وعادت إلى الغرب في أوائل مايو سنة

---

[1]) الأندلس ، ص ٢٧١ ــ ٢٧٤ ، عصام محمد شبارو ، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ص ٢٩٠ ــ ٢٩١ ، د. خليل إبراهيم السامرائي وآخرون ، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي ، ص ٤١٧ ــ ٤١٨ ، د. علي محمد الصلابي .

١٢٤١م[١] .

وكان القضاء النهائي على حكم الصليبيين لبيت المقدس في شهر صفر من عام ٦٤٢هـ الموافق يوليو من عام ١٢٤٤م على يد الجيش الإسلامي المكوّن من الأتراك الخوارزمية في عهد سلطان مصر نجم الدين الصالح أيوب ، ثم القضاء على باقي القوات الصليبية حول بيت المقدس في شهر أكتوبر من عام (١٢٤٤م ـ ٦٤٢هـ) على يد القائد المسلم ركن الدين بيبرس والأتراك الخوارزمية في موقعة غزة الثانية والتي سميت لقوتها على الصليبيين بـ(حطين الثانية) حيث لم يقم للصليبيين بعدها قيام عسكري حقيقي على بيت المقدس إلا بعد الحرب العالمية الأولى[٢] .

((هُزمت الفرنج بصلبانها وراياتها العالية ، على رؤوس أطلاب المسلمين ، وكانت كؤوس الخمر دائرة بين الجيوش فنابت كؤوس المنون عن كؤوس الزرجون ، فقتل من

---

[١] الحركة الصليبية ، ٢/٨١٦ ـ ٨٢٢ ، د. سعيد عاشور ، والحروب الصليبية صراع الشرق والغرب ، ص ٨٦ ـ ٨٧ ، رنيه كروسيه ، أوروبا والمسيحية ، ٢/٢٣١ ، دوبرا تشينسكي ، ومصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، ص ١٠٨ ـ ١١١ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

[٢] الحركة الصليبية ، ٢/٨٢٦ ـ ٨٢٧ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٣٠٣ ، د. محمود سعيد عمران ، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، ص ١١٣ ـ ١١٤ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ٥/٧٧٧ ، د. أحمد شلبي ، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي ، ص ١٩٢ ، د. علي عبد الحليم محمود ، تاريخ الحروب الصليبية ، ٣/٣٩١ ، ستيفن رنسيمان .

والهجمات الصليبية على العالم الإسلامي لم تنته عند دخول ألنبي إلى الشام في (١٩١٧م) بل لم تنته بعد تمكن النصارى من تسليم بيت المقدس لليهود في (١٩٤٨م / ١٣٦٧هـ) فالهجمات الصليبية من جهة النصارى مستمرة على العالم الإسلامي وإن اختلفت في بعض صورها عن الحملات والتدخلات العسكرية، وأبرزها عمليات التنصير والغزو الفكري من استشراق وتغريب، ولا شك أن هذه ما زالت مستمرة وتقوم عليها مؤسسات نصرانية بميزانيات ضخمة (عمل مؤسسي لتنفيذ هذه الهجمات) .

أما لو أردنا أمثلة معينة من تلك الهجمات فأقرب مثال لذلك ما عملته المنظمة التنصيرية (رابطة الرهبان لنشر الإنجيل) المدعومة بأموال هائلة من الفاتيكان من جمع أكثر من مليون توقيع للهجوم على النبي محمد صلى الله عليه وسلم في حملة أسمتها (مليون ضد محمد) في آخر عام ٢٠٠٥م ثم ما قامت به الدول النصرانية مجتمعة (كاثوليكية وبرونستانتية) ابتداءً من الدانمارك والنرويج ثم أسبانيا وإيطاليا وغيرها بمساعدة من الاتحاد الدولي الأوروبي في رسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم برسومات فيها السخرية والاستهزاء والاحتقار الذي يرفضه صاحب أدنى عقل ومروءة ، وذلك في عام (٢٠٠٦م) الموافق (١٤٢٦هـ) .

الفرنج في يوم واحد زيادة عن ثلاثين ألفاً ، وأسروا جماعة من ملوكهم وقسوسهم وأساقفتهم . . . وبعثوا بالأسارى إلى الصالح أيوب بمصر ، وكان يومئذٍ يوماً مشهوداً وأمراً محموداً ، ولله الحمد)) [١] .

لم يقف الأمر عند مجرد ضياع بيت المقدس من أيدي الصليبيين وانهزامهم في غزة وتنكيل الجيش الإسلامي بهم؛ بل أخذ المسلمون في توجيه الضربات الشديدة إلى باقي الممتلكات الصليبية اللاتينية بسورية . ففي عام ٦٤٥هـ / ١٢٤٧م أرسل الصالح نجم الدين أيوب الأمير فخر الدين يوسف إلى طبرية وعسقلان ، فنازلهما وأخذهما من الصليبيين ، الأولى في ٧ يونيو ١٢٤٧م، والثانية في أكتوبر من نفس العام ، وهدم ما استجده الصليبيون بهما من القلاع والحصون [٢] .

الحملة الصليبيّة السابعة :

اهتزت البابوية والغرب الصليبي الأوروبي من فتح المسلمين لبيت المقدس واستردادها من أيديهم فقام البابا إنّوشنتيوس (أنوسنت) الرابع (٢٥ حزيران ١٢٤٣ ــ ٧ كانون الأوّل ١٢٥٤م) بالدعوة إلى مجمع كنسي عقد في مدينة ليون ٢٨ يونيو ــ ١٧ يوليو ، وقد حضر هذا المجمع واليران أسقف بيروت ، والبرت دي رزاتو بطريرك أنطاكية اللاتيني الكاثوليكي وراهب من جماعة الرهبان الدومنيكان يدعى أرنولف ، وتناول هذا المجمع مسألة فلسطين ، فبعد أن تحدث البابا أنوسنت الرابع عن مكانة بيت المقدس في دينهم وقلوبهم وما فيها من آثار مقدسة يجب ألاّ تكون تحت سلطة المسلمين ، قام أسقف بيروت (واليران) يسرد ما أوقعه المسلمون من خسائر فادحة على الصليبيين وكنائسهم في بيت المقدس وغيرها من البلاد التي كان يمتلكونها، ثم قام الراهب أرنولف يقرأ على الحاضرين في المجمع الخطابات التي كان يحملها معه من نبلاء فلسطين النصارى وكبار رجالها الصليبيين، وكانت هذه الرسائل تتضمن وصفاً لقوة المسلمين وضعف الصليبيين، فبدا على الحاضرين في المجمع التأثر الواضح من تلك الأخبار .

وبعد انتهاء الزائرين من عرض هذه الأخبار أصدر البابا أنوسنت الرابع المراسيم البابوية

---

[١]) البداية والنهاية ، ١٧٦/٧ ، للحافظ ابن كثير ، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرون .

[٢]) العدوان الصليبي على مصر ، ٥٠/٢ ، د. جوزيف نسيم يوسف .

لحض النصارى على الاشتراك في حملة جديدة ضد المسلمين ، ووعد كل من يشارك في هذه الحملة الصليبية بالغفران التام عن خطاياه والتكفير عن آثامه وذنوبه [١] .

ثم عقد في نفس العام ١٢٤٥م مجمعاً كبيراً في باريس حضره المندوب البابوي إلى فرنسا أدون دي شاترو مع ملك فرنسا لويس التاسع وكبار رجال مملكته ورجال الدين الفرنسيين من أساقفة ورؤساء أساقفة ورؤساء أديرة ، عاهد فيه الملك الفرنسي البابوية أن يرأس هذه الحملة دفاعاً عن الأرض المقدسة [٢] .

وسُمّيت هذه الحملة الصليبية باسمه (حملة لويس التاسع) لاهتمامه بها من بدايتها إلى نهايتها وسُمّي على إثرها بالقديس لويس ، فاختص بها الفرنسيون أكثر من غيرهم من الغربيين لاهتمام ملكهم بها فعرفت بالحملة الصليبية الفرنسية[٣] .

وقد توقعت البابوية أن ينهض ملك فرنسا لويس التاسع بعبء هذه الحملة ضد المسلمين ؛ لما في تربيته الخاصة من عداوة متأصلة ضد كل ما هو إسلامي ، حيث إن أمه الملكة بلانش ابنة ملك قشتالة ألفونسو التاسع الذي جعل همه الأكبر قتال المسلمين وعداوتهم في بلاد الأندلس، وقد اشتهرت بتمسكها بعقيدتها النصرانية وكرهها للمسلمين[٤]؛ وذلك بسبب تلك الحروب التي عاصرتها منذ صغرها بين أبيها وملوك النصارى ضد ملوك المسلمين في الأندلس .

فاعتمدت البابوية في هذه الحملة على ملك فرنسا ؛ لفقدان أملها في الامبراطور فردريك الثاني ــ صاحب الحملة السادسة ــ ؛ لعلمها بكثير الصداقة فيما بينه وبين المسلمين في مصر والشام؛ لذلك فإن البابا أنوسنت الرابع قد ألقى عليه الحرمان الكنسي[٥] .

---

[١]) مفاتيح أورشليم القدس (حملتان صليبيتان على مصر) ، ص ٢٢١ ، ريمون ستا نبلوي ، العدوان الصليبي على مصر ، ٥٤/٢ ــ ٥٥ ، د. جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الحروب الصليبية ، ٤٤٠/٣ ، ستيفن رنسيمان .

[٢]) العدوان الصليبي على مصر ، ٥٨/٢، د. جوزيف نسيم يوسف .

[٣]) مفاتيح أورشليم القدس ، ص ٢٢٧ ، ريمون ستا نبلوي ، ترجمة : عايدة الباجوري .

وبسبب اهتمام ملك فرنسا لويس التاسع بهذه الحملة فقد عدّها بعض المؤرخين العلمانيين بأنها (حركة توسع فرنسية في العصور الوسطى) انظر : الحركة الصليبية ، ٨٣٢/٢ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

[٤]) العدوان الصليبي على مصر ، ص ٣٤ ، د. جوزيف نسيم يوسف .

[٥]) الحركة الصليبية ، ٨٣٣/٢ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

وبعد أن تحدد قائد هذه الحملة الصليبية دعا البابا أنوسنت الرابع الملوك والأمراء والنبلاء وكبار تجار المدن الذين لن يذهبوا بأنفسهم مع الحملة ، أن يمدوا الفرق الصليبية بالمصاريف اللازمة لمدة ثلاث سنوات كل حسب مورده ، وذلك للخلاص من خطاياهم ، كما دعا أنوسنت الرابع جميع رجال الكنيسة أن يساهموا بجزء من عشرين من دخل الكنائس لمدة ثلاث سنوات ، أما الكرادلة فيدفعون العشور ، ويعفى من كل هذا من يشترك في الحملة من رجال الكنائس ، وقد هدد البابا أنوسنت الرابع بحرمان كل من يخالف هذه التعليمات ، وكانت هذه الأموال تجمع بواسطة عمّال البابا مباشرةً . كذلك أصدر أنوسنت الرابع قانوناً بأن يكون الصليبيون ــ المشتركون في الحملة ــ في أمان من مطالب دائنيهم على الديون المستحقة عليهم لمدة ثلاث سنوات[1] .

وبعد أن تم إعداد الحملة الصليبية ، تحرك الملك الفرنسي لويس التاسع مع حملته من باريس إلى ميناء اجمورت جنوبي فرنسا في ١٢ يونيو ١٢٤٨م ، ومروا على مدينة ليون حيث قابلهم البابا أنوسنت الرابع هناك ، فحصلت الحملة منه على البركة البابوية وصكوك الغفران، ثم وصلت الحملة إلى ميناء النمسون جنوبي قبرص في السابع عشر من سبتمبر من السنة نفسها ١٢٤٨م قاصداً بذلك الهجوم على مصر أولاً ثم منها إلى بيت المقدس[2] .

أبحرت الحملة الصليبية في مايو سنة ١٢٤٩م ــ ٦٤٧هـ ــ إلى دمياط ، ووصلت هناك في الشهر نفسه ولكثرة عدد الصليبيين دبَّ الخوف في قلوب أهالي دمياط والعساكر المسلمين هناك فتركوا المدينة خالية فدخلها الصليبيون بدون مقاومة تذكر ــ وهكذا تعمل الهزيمة النفسية تذل صاحبها قبل النزال الحقيقي ــ فعمل الصالح أيوب على ترتيب الجيش الإسلامي ، وبثّ الحماسة الدينيّة في قلوبهم ، وعمل مع علماء المسلمين في مصر

---

[1]) العدوان الصليبي على مصر ، ص ٦٢ ، د. جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٣٠٦ ــ ٣٠٧ ، د. محمود سعيد عمران .

[2]) مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، ص ١١٧ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، العدوان الصليبي على مصر ، ص ٦٤ ، د. جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٣٠٧ ، د. محمود سعيد عمران .

على نشر حب الجهاد في سبيل الله ضد أعداء الله النصارى ، فكانت الخطب والمواعظ الدينية التي تُلقى من فوق منابر المساجد في أيام الجمع من أهم وسائل الحث على الجهاد في سبيل الله ضد أعداء الله » ومن أمثلته » ذلك الكتاب الذي قُرئ في الجامع الأزهر يوم الجمعة ٢٥ شعبان ٦٤٧هـ / ٣ ديسمبر ١٢٤٩م .

رفعت هذه الحملة الشعبية الجهادية في مصر من روح الملك الصالح أيوب وجنوده لترتيب وضعهم ، خاصة وأن الصليبيين قد بقوا في دمياط ما يقارب خمسة أشهر مما جعل في الوقت كفاية للمسلمين لإعداد العدة من جديد[1] .

في ذلك الوقت العصيب على المسلمين توفي الملك الصالح أيوب » إلا أنّ زوجته شجر الدر أنقذت الموقف إذ أخفت موته إلا عن بعض قادته ، وأخذت ترتب الأوضاع وتدبر الأمور وتُصدِّر الأوامر باسمه ريثما يصل ابنه وولي عهده توران شاه من الجزيرة الفراتية إلى القاهرة .

التقى الجيش المسلم ، مع الجيوش الصليبيّة في مدينة المنصورة ، فانتصر المسلمون ، وأحاطت الصعاب بالملك لويس التاسع ، والتي جعلته ـــ قبل أن يتراجع إلى دمياط ـــ يفتح باب المفاوضات مع المسلمين ، على أساس ترك دمياط مقابل إعادة بيت المقدس إلى الصليبيين .

أراد لويس بهذا العرض أن يضرب عصفورين بحجر واحد فيسترد بيت المقدس في الوقت الذي يضمن لجيشه النصراني انسحابا آمناً وخروجاً سليماً من مصر .

ولكن المسلمين رفضوا هذا العرض ، فلما أدرك الصليبيون عدم جدوى الأمر مع المسلمين وضعف موقفهم ، تشتت جيشهم وهرب معظمه إلى دمياط . ولم يترك المسلمون الصليبيين يتراجعون بسهولة . وإنما تعقبوهم وأنزلوا بهم كثيراً من الخسائر ، ووقع الجيش الصليبي بأجمعه تقريباً بين أسرى وقتلى ، وكان من جملة الأسرى الملك

---

[1]) يرى المؤرخون أن تأخر الملك لويس التاسع وحملته في دمياط هذه المدة من أكبر الأخطاء التي وقعوا فيها مما جعل المسلمين يلتقطون أنفاسهم ويعيدون ترتيب أمورهم لمواجهة النصارى . انظر : العدوان الصليبي على مصر ، ١٢٤/٢ ـــ ١٢٥، د. جوزيف نسيم يوسف، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، ص ١١٩ ـــ ١٢٠، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

لويس التاسع نفسه الذي سيق مكبلاً بالأغلال إلى المنصورة .

وقد طالب الملك توران شاه الأيوبي بمبلغ ضخم من المال مقابل فداء الجيش الصليبي ، على أن يكون تسليم دمياط للمسلمين ثمناً لفداء الملك لويس التاسع ، وأن يكون هدنة بينهم لمدة عشر سنوات وفيها لا يقصد الملك لويس التاسع شواطئ الإسلام مرة أخرى في هذه الهدنة .

أقلع أخيراً الملك لويس التاسع في شهر صفر ٦٤٨هـ / مايو / أيار ١٢٥٠م مع من بقي من الصليبيين في دمياط إلى عكا حيث ظل هناك أربع سنوات إلى إبريل ١٢٥٤م قضاها في تنظيم الإمارات الصليبية ، وعقد تحالفاً مع الإسماعيلية ضد المسلمين في الشام ، وتقرب من المغول لأجل ذلك ، ولكن كل تلك التحالفات لم تفده شيئاً في ضرب المسلمين في الشام ومصر ، فغادر عكا وهو مدفوع بعصبية مجنونة ضد المسلمين يتحين الفرصة الملائمة للعودة لقتالهم مرة أخرى وهذا ما حصل له في الحملة الصليبية الثامنة التي كانت وجهتها إلى تونس [1] .

اهتزت البابوية وعلى رأسها البابا أنوسنت الرابع من هزيمة لويس التاسع وفشل حملته الصليبية ، وآثر أن ينتظر رجوع الملك الفرنسي من المشرق الإسلامي للتداول معه في كيفية الاستعداد مرة أخرى لمحاربة المسلمين، خاصة وأن البابا أنوسنت الرابع كانت علاقاته مع كثير من ملوك أوروبا سيئة وأكثرها سوءاً مع الأقوى منهم الامبراطور فردريك الثاني، ولكنّ الملك الفرنسي لويس التاسع آثر البقاء في عكّا وما حولها من الممالك الصليبية حتى يرتب أوضاعها ويزيل الخلافات القائمة بينها ويعمل على المساعدة في تحصينها ضد أي اعتداء من المسلمين، لذلك لم يصل إلى مملكته فرنسا إلا بعد وفاة

---

[1]) مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ص١١٩ ــ ١٢٦، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، موسوعة التاريخ الإسلامي،٥/٧٨٠ ــ ٧٨٣، د. أحمد شلبي ، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية، ص٩١ ــ٩٢ ، د. مفيد الزيدي، تاريخ الحروب الصليبية ، ص٣٠٧ ــ ٣١٥ ، د. محمود سعيد عمران ، وانظر بالتفصيل إلى كتاب : العدوان الصليبي ضد مصر (هزيمة لويس التاسع في المنصورة وفارسكور) للدكتور: جوزيف نسيم يوسف، ففيه أدق التفاصيل التاريخية في شأن هذه الحملة من بدايتها إلى أن خُتمت بالفشل الذريع، وأيضا كتاب مفاتيح أورشليم القدس (حملتان صليبيتان على مصر ، ١٢٠٠ ــ ١٢٥٠) ريمون ستا نيلوي، ترجمة : عايدة الباجوري .

البابا أنوسنت الرابع في عام ١٢٥٤م [1] .

وفي نفس العام اعتلى العرش البابوي الكاردينال رينالدو كونتي باسم البابا اسكندر الرابع (١٢ كانون الأوّل ١٢٥٤ـ ٢٥ آيار ١٢٦١م) ، ولكنه كان ضعيف الشخصية ليس له حزم من سبقه ولا طموحاته السلطوية فعمل على التقارب مع ملوك الغرب الذين ظهر عليهم التضجر من السلطة البابوية .

توفي هذا البابا في مايو/ آيار عام ١٢٦١م ولم يدع إلى حملة صليبية إلى بيت المقدس، ثُم انتخب مجلس الكرادلة بعده بطريرك القدس الفرنسي يعقوب بنتاليون باسم البابا أوربان الرابع وذلك في سبتمبر / أيلول ١٢٦١م .

ولأن أوربان الرابع كان بطريرك القدس فهو أعلم بوضعية الصليبيين فيها ، فكان الإعداد لحملة صليبية جديدة ضرورة ملحة في نظره خاصة وأنه قد ظهرت قوة للمسلمين جديدة هي قوة الدولة المملوكية ((دولة المماليك)) .

ولكن طلبه من ملوك الغرب لشب حملة صليبية جديدة ضد المسلمين ذهب أدراج الرياح فلم يستجب له أحد منهم حتى الملك ــ الذي سُمّي بالملك القديس ــ لويس التاسع ملك فرنسا لم يستجب للبابا ، ومن أكبر أسباب هذا الرفض وجود الحروب بين ملوك الغرب بعضهم مع بعض ؛ لذا لم يأمن بعضهم بعضاً .

عمل هذا البابا محاولة صلح بين ملوك الغرب ، فابتدع لذلك عيداً في النصرانية يسمى (عيد التجلي)، وهو عندهم بداية عمليات طويلة لعودة يسوع إلى الناس بعد أن عزل عنهم وأغلق عليه في أعماق المعابد المظلمة .

توفي البابا أوربان الرابع بعد أن فشل في تحقيق ما رغب فيه وهو إرسال حملة صليبية جديدة إلى بيت المقدس بعد ثلاث سنوات بحثٍ عن قائد من الغرب ليرأس ويشن هذه الحملة ، توفي في تشرين الأول / أكتوبر من سنة ١٢٦٤م [2] .

---

[1]) الحركة الصليبية، ٢/٨٥٨ ــ ٨٥٩ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا والمسيحية ، ٢/٢٥١ ، ٢٦٤ ، يان دوبرا تشينسكي ، تاريخ الحروب الصليبية ، ٣/٤٨٠ ، ستيفن رنسيمان ، الحروب الصليبية ، ص ٨٩ ، رنيه كروسيه .

[2]) أوروبا والمسيحية ، ٢/٢٦٤ ــ ٢٦٩ ، دوبرا تشينسكي ، تاريخ الحروب الصليبية ، ٣/٥٠٠ ، رنسيمان .

اعتلى بعده العرش البابوي رئيس أساقفة ناربون في فرنسا الكاردينال غوي فولكـوي الفرنسي باسم إكليمنوس (كليمنت) الرابع (٥ شباط ١٢٦٥ ـــ ٢٩ تـشرين الثـاني ١٢٦٨م) .

في تلك الفترة التي اجتاحت فيها أوروبا موجة عدم الثقة بين ملوك دولها ، والاهتمام بمصالحهم الوطنية ، مع بدايات ضعف ملحوظ في مركز البابوية في الغرب ، كانت دولة المماليك تحصد الانتصار تلو الانتصار على الممالك الصليبية في أرض الشام ، بل مما زاد في قوة الدولة الإسلامية المملوكية وارتعاد المماليك الصليبية منها وازدياد الحسرة على البابوية وإيقانها من أن فقدان مكانتها على أرض الشام وحول بيت المقدس بات وشيكاً وقريباً ، أن الدولة الإسلامية المملوكية انتصرت على الدولة المغولية الوثنيّة ، وكسرت شوكتها في المعركة الحاسمة ، معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م .

تلك الدولة المغولية التي عملت البابوية لمد الجسور معها طمعاً في تنصيرها حتى تكون سداً لها وللمماليك الصليبية ضد المسلمين ، خاصة وأن المجال كان مفتوحاً وسهلاً للبابوية لتنفيذ هذا المخطط للقضاء على الأمة الإسلامية وهو أن (أمّ) هولاكو القائـد الأكـبر للمغول كانت نصرانية وكذلك زوجته المحظية عنده كانت نصرانية[1] .

فقد أرسل البابا أنوسنت الرابع في سنة ١٢٤٥م وفداً إلى المغول طمعاً في تنـصيرهم للتشاور معهم في مواجهة المسلمين، وكذلك فإن الملك لويس التاسع دخل في مفاوضات قوية مع المغول في عامي ١٢٤٨/ ١٢٤٩م طمعاً في مساعدته ضد المسلمين[2] .

يقول ستيفن رنسيمان في هذا الأمل البابوي ـــ وهو معاونة المغول للنصارى في قتالهم ضد المسلمين ـــ : ((... فلما انسحب المغول إلى روسيا في السنة التالية ، عـاد العـالم المسيحي في الغرب ، إلى أوهامه وأفكاره الكاذبة ... إذ إن كل فرد كان يؤثر أن يتذكر بأن المغول قاتلوا المسلمين ، وبأن الأميرات المسيحيات تزوجن في الأسرة الإمبراطوريـة المغولية . فقد لا يكون خاقان المغول الأكبر مسيحيا ، غير أنه كان مأمولاً أن يوطن نفسه على الحرص على مساندة العقيدة المسيحية إزاء قوى الإسلام ... فظهور حليف قوي في

---

[1]) الحركة الصليبية ، ٨٨١/٢ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، أوروبا والمسيحية ، ٢٥٦/٢، دوبرا تشينسكي .

[2]) الحروب الصليبية ، ص ١٢٦، أرنست باركر .

الشرق جعل الفرصة فيما يبدو ناضجة للدعوة إلى حملة صليبية جديدة ، وكان المحارب الصليبي المتحمس جاهزاً))[١] .

وقد جاءت ثمار هذا التحالف والتعاون بين النصارى والمغول ، ومنها ما أظهره المغول أثناء هجومهم على العراق والشام من الاهتمام بالنصارى والمحافظة على كنائسهم وممتلكاتهم بخلاف تعاملهم مع المسلمين فقد دأبوا في جميع المدن التي احتلّوها على ذبح أهلها من المسلمين وهدم مساجدهم وتخريبها وقتلوا كثيراً من علمائهم وفقهائهم ، في الوقت ذاته لم يمسوا أي أسقف أو قسيس أو راهب من النصارى بسوء .

ففرح النصارى بهذا النصر المغولي على المسلمين ، ووجدوا فيه فرصة طيبة للتأر من الإسلام والنيل من المسلمين، وعدوا تلك الهجمة المغولية بمثابة حملة صليبية جديدة أتت لنصرتهم على المسلمين[٢] .

إلا أن هذا التحالف بين المغول والنصارى ضد المسلمين انكسر وتلاشى عندما انتصر المسلمون بقيادة المظفر قُطز على المغول في معركة عين جالوت ـــ قرية بين بيسان ونابلس في فلسطين ـــ في ٣ سبتمبر سنة ١٢٦٠م / ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨هـ .

فكان انتصار المماليك في هذه المعركة نصراً للإسلام والمسلمين . فقد أنقذ الله المسلمين بهذا النصر من خطر عظيم يُعد من الأخطار العظيمة التي تعرّض لها المسلمون في تاريخهم ، بل جعل هذا النصر المغول يعتنقون الدين الإسلامي؛ فسُدّ بذلك باب عظيم في وجه البابوية والصليبية لو نجحت في استغلاله لأصبح الأمر خطيراً على الأمة الإسلامية .

واصل الظاهر بيبرس ما بدأه المظفر قُطز من الفتوحات الإسلامية وإعادة ما سلبه النصارى الصليبيون من أيدي المسلمين من مدن وممالك ومعاقل ، فاستخلص من النصارى ما بين سنتي ١٢٦٥م ـــ ١٢٦٨م أكثر الممالك التي استولى عليها النصارى، وأخيراً توّج الظاهر بيبرس أعماله الجهادية ضد الصليبيين بفتح أنطاكية وما حولها من القلاع الصليبية ، وكان ذلك في سنة ١٢٦٨م، فانهار بفتح المسلمين لأنطاكية البناء الضخم الذي بناه

---

[١]) تاريخ الحروب الصليبية ، ٤٣٧/٣ ـــ ٤٣٨ ، ستيفن رنسيمان .

[٢]) الحركة الصليبية ، ٨٩٤/٢ ـــ ٨٩٥ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

الصليبيون في الشرق منذ عام ١٠٩٧م[١] .

زلزلت انتصارات المسلمين هذه الكيان البابوي في روما وكنائسه في العالم الغـربي ، فبدا للبابوية أن تاريخ حروبها لأجل الأراضي المقدسة منذ عام ١٩٠٥م ، وما خسرته من رجال وأموال قد يذهب أدراج الرياح إن لم تقم مرة أخرى وبقوّة للوقـوف في وجـه المسلمين .

ولكن عبثاً حاولت إثارة ملوك الغرب للقيام بحملة صليبية ضد المسلمين توقـف بها انتصاراتهم وتحافظ بها على كيان وجودهم في الأراضي المقدسة، حيث إنه لم يبق لهـا في أرض الشام إلا عكا وطرابلس .

وكان أول من استجاب لنداء بابا روما كليمنت الرابع في إنفاذ حملـة صـليبية إلى الأراضي المقدسة جيمس الأول ملك أرغون والذي كان يُقاتل المسلمين في الأنـدلس ، وكان ذلك في سنة ١٢٦٩م إلا أن حملته الصليبية باءت بالفشل لأن القسم الأكبر منـها وعلى رأسه الملك جيمس نفسه غادر إلى برشلونه بسبب إعصار قوي فرّق بين سفن هذه الحملة ، وما واصل السير إلى عكا إلا جزءٌ من الحملة على رأسه ولدا الملـك سـانخيز وبيدرو ولكنهما ما لبثا أن غادرا عكا دون أن يخوضا أية معركة ضد المسلمين[٢] .

الحملة الصليبيّة الثامنة :

ثم قامت الحملة الصليبية الثامنة ـــ من الناحية الترقيمية ـــ وعلـى رأسـها الملـك الفرنسي لويس التاسع بعد عشرين سنة من حملته الصليبية السابعة ـــ أي من عام ١٢٥٠م إلى ١٢٧٠م ـــ ، فتحركت هذه الحملة من فرنسا في السابع والعشرين من تموز / يوليـو سنة ١٢٧٠م متجهة هذه المرة إلى تونس ، لأنه كان يطمـع في أن يـساعده سـلطانها المستنصر الحفصي على الدولة المملوكية لقوة علاقته بالنصارى .

---

[١]) تاريخ الحروب الصليبية، ص ٣٢٧ ـــ ٣٣٠، د. محمود سعيد عمران، الحركة الصليبية، ٩٠٨/٢ ـــ٩١٣ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحروب الصليبية ، صراع الشرق والغرب ، ص ٩٢ ، رنيه كروسيه ، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، ص ١٩٦ ـــ ١٩٩ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

[٢]) أوروبا والمسيحية ، ٢٧٦/٢ ، يان دوبرا تشينسكي ، الحروب الصليبية ، ص ١٢٨، أرنست باركر ، تـاريخ الحروب الصليبية ، ٥٦٧/٣ ، ستيفن رنسيمان .

وصلت سفن الحملة الصليبية أمام السواحل التونسية في السابع عشر من آب / أغسطس ١٢٧٠م فخاف سلطان تونس من هذه العملية ، فهو لا يريد أن يساعد النصارى على أبناء ملته المسلمين في الأراضي المقدسة ، فأغلق أبواب الدولة وأسوارها في وجه الجيش النصراني ، فاضطر الجيش النصراني أن يُعسكر في خرائب قرطاجة القديمة — فقد كانت أسوار الدولة منيعة لا يستطيع الجيش اختراقها — آملاً أن يعود سلطان تونس إلى صفاء مودته للنصارى ، ولكن هيهات .

أدت حرارة الصيف إلى تفشي مرض الطاعون في صفوف الجيش النصراني؛ فتوفي الملك على إثر إصابته به وكان ذلك في الخامس والعشرين من آب / أغسطس ١٢٧٠م، ففشلت الحملة الصليبية وهي ما زالت في المهد، دون أن يتمّ فيها تحقيق أي شيء، فهي أسرع حملة صليبية مُرَقّمة من الاستعداد ومن ناحية الفشل[1] .

كان الظاهر بيبرس يتتبع أخبار هذه الحملة ، ويخشى أن يكرر لويس التاسع قصة المنصورة — في الحملة السابعة — ولذلك اهتم بتحصين الثغور، فلما تأكد الظاهر بيبرس من فشل هذه الحملة ووفاة قائدها الملك لويس التاسع ، عاد إلى الشام في شتاء عام ١٢٧١م ليهاجم إمارة طرابلس الصليبية ، ففتح في طريقه عدّة حصون أقامها الصليبيّون حول طرابلس ، إلاّ أنّه توقف عن التقدم نحو الإمارة الصليبيّة في طرابلس عندما وصلت إليه أخبار قدوم حملة صليبيّة جديدة انجليزية بقيادة الأمير إدوارد — والذي أصبح فيما بعد مَلِك انجلترا إدوارد الأول — وصلت هذه الحملة إلى عكا في مايو سنة ١٢٧١م .

كان عدد المشاركين من الجنود الصليبيين في هذه الحملة لا يرقى إلى الحملات الثمانية السابقة منذ عام ١٠٩٥م ، إلا أن أهميتها تكمن في أن أعلى منصب اكليروسي بعد البابا كان مشاركاً، فيها وهو الكاردينال ثيالوبالدو فيسكونتي البيحي ، وقد كان ذا شخصية متميزة في مجلس الكرادلة ، ولكنه عاد من فلسطين بعد معرفته باختياره بابا باسم غريغوريوس (جريجوري) العاشر (١ أيلول ١٢٧١ — ١٠ كانون الثاني ١٢٧٦م) .

---

[1]) نبلاء ودراويش ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ١٧٤ — ١٧٥ ، د. إسماعيل نوري الربيعي ، أوروبا والمسيحية ، ٢٧٧/٢ ، يان دوبرا تشينسكي ، الحروب الصليبية ، ص ١٢٩ ، أرنست باركر ، الحروب الصليبية ، صراع الشرق والغرب ، ص ٩٢ ، رنيه كروسيه .

لحقت بهذه الحملة الانجليزية حملة قبرصية وحملة من إمارة طرابلس كما أن الأمير إدوارد استعان ببعض القوات المغولية، ولكن هذا الجمع الخليط فشل في مقابلة الظاهر بيبرس في حرب حقيقة، فعقد الأمير الانجليزي هدنة مع الظاهر بيبرس مدتها عشر سنوات وعشرة أشهر وعشرة أيام، فعاد الأمير الانجليزي إلى الغرب سنة ١٢٧٢م محمّلاً بفشل حملته هذه؛ مما وضح للبابوية أنها أصيبت بانتكاسة حقيقية في ملوكها وقادتها جعلتهم لا يستطيعون مواجهة القوات الإسلامية [١] .

لذلك يقول أحد المؤرخين النصارى متحسراً : ((ويعتبر إدوارد آخر محارب صليبي ، جاء من الغرب فكل المحاولات التي بذلها القديس لويس ، وشارل أمير انجو ، وجيمس ملك أرجونه، والأمير إدوارد الانجليزي، لم تسفر إلا عن احتفاظ بيبرس بما أحرزه من ممتلكات)) [٢] .

لم يفقد البابا جريجوري العاشر مطلقاً اهتمامه بفلسطين وبمواصلة العداء والقتال ضد المسلمين في ظل هذه الانتكاسات والتراجعات للروح الصليبية في قلوب ملوك أوروبا وشعوبها ، إذ استمر في بث الدعوات لاتخاذ الصليب والقتال في الأراضي المقدسة، كما أنه أرسل رجال كنسيين ليقوّي من عزائم الصليبيين في الأندلس لمواجهة المسلمين والقضاء على البقية الباقية من المسلمين هناك، فقد كان وضعهم مختلفاً تماماً عما هو في أرض الشام فقد دعا إلى عقد مجمع في ليون (الثاني) المسكوني الرابع عشر (٧ أيار ــ ١٧ تمّوز ١٢٧٤م) ، وشهد هذا المجمع عدد كبير من الأساقفة من الغرب والشرق ، وعلى رأس الشرقيين بولس سيجني أسقف طرابلس، ووليم بوجيه مقدم الفرسان الداوية، وبعض أمراء الغرب، كما شهده رسل من قبل امبراطور الدولة البيزنطية، ومن قبل خان المغول، وأقسموا جميعاً أن يشتركوا في حرب صليبية متحدة ضد الأمة الإسلامية تُزلزل كيانها، ليس على أرض الشام فحسب، ولكن تتجه إليهم حتى في مصر للقضاء على الخليفة

---

[١]) الحركة الصليبية ، ٩١٦/٢ ـــ ٩١٧ ؛ د. سعيد عبد الفتاح عاشور ؛ الحروب الصليبية ، ص ١٣٠ ، أرنست باركر ، أوروبا والمسيحية ، ٢٧٧/٢ ، يان دويرا تشينسكي ، تاريخ الحروب الصليبية ؛ ص ٣٣٠ ـــ ٣٣٣ ، د. محمود سعيد عمران ، تاريخ الحروب الصليبية ، ٥٧١/٣ ـــ ٥٧٩ ، ستيفن دنسيمان .

[٢]) الحروب الصليبية ، ص ١٣٠ ؛ أرنست باركر .

والخلافة هناك .

وبعد انتهاء المجمع الديني في ليون استمر البابا جريجوري العاشر في مثابرته ، بأن سعى لحمل أمراء أوروبا على تنفيذ ما أصدره المجمع من قراءات قوية، ففي سنة ١٢٧٥م وعد ملك فرنسا فيليب الثالث ابن لويس التاسع بالاشتراك في هذه الحملة ، وفي نفس الوقت حاول البابا أن يُهيئ الأرض المقدسة لقدوم الحملة الصليبية ، فأمر بإصلاح الحصون وعمارتها في المماليك الصليبية هناك وأرسل إليها عدداً كبيراً من العساكر المعروفة بجودة تدريبها .

غير أن البابا جريجوري العاشر هلك في ١٠ يناير سنة ١٢٧٦م؛ وبموته انطوت كل المشروعات وفشلت الحملات الصليبية .

علماً بأنه برز في مجمع ليون رأي فيلهلم الطرابلسي الدومينكاني ــ عاش في عكا سنوات طويلة ــ وفيه يرى ضرورة القيام بأعمال تنصيرية موجهة للمسلمين فهي أولى وأنفع من القيام بحملات حربية في هذه الأوقات؛ وذلك لقوة المسلمين وتماسكهم، وضعف وتفكك النصارى الصليبيين، وقد كان لهذا الرأي مناصرة في هذا المجمع[١] .

وبموت البابا جريجوري العاشر انتهى المشروع البابوي القديم ، والذي يهدف إلى الاستيلاء على بيت المقدس وما حوله من الأراضي ، وأن يضعف القوة الإسلامية حتى لا تمدد الكيانات النصرانية ، مع الأمل الكاثوليكي البابوي الذي كان يسعى إليه كل باباوات روما في أغلب الحملات الصليبية وهو التسلط على الكنيسة الأرثوذكسية الرومانية البيزنطية والكنيسة الأرثوذكسية المرقسية في الاسكندرية .

ثُمَّ إن هذا الفشل الكاثوليكي البابوي أثار تساؤلات في الغرب الأوروبي حول سلامة الإيمان النصراني ككل، فأين ربّهم المُثلّث الذي يعبدونه لماذا سمح للمسلمين أن يتسلّطوا على الأرض التي وُلد فيها، لماذا لم يُخرج هؤلاء المسلمين الذين كفروا به ، ولم يُؤمنوا بأنّه إله وُلد من رحم امرأة[٢] .

---

[١]) تاريخ الحروب الصليبية ، ٥٨٤/٣ ــ ٥٨٦ ، ستيفن رنسيمان ، الحروب الصليبية ، ص ١٣٠ ــ ١٣١ ، أرنست باركر ، أوروبا والمسيحية ، ٢٨١/٢ ــ ٢٨٤ ، ٢٨٩ ، يان دويرا تشينسكي .

[٢]) وهناك قصيدة كتبها في تلك الأوقات فارس من فرسان الداوية في عكا فاقد الثقة بربّهم المولود من رحم امرأة : =

في تلك الأوقات من الاضطرابات الصليبية ، واصل السلطان قلاوون ما بدأه الظاهر بيبرس في مقارعة الصليبيين فتمكّن من فتح أقوى إمارة صليبية وهي طرابلس في إبريل عام ١٢٨٩م، ثم توجّه إلى آخر معاقلهم في عكا وحاصرهم هناك إلا أن مرضه وموته عام ١٢٩٠م عطّل هذه المهمة لمدة عام كامل ، فقام بعده ابنه السلطان الأشرف خليل بتحرير عكا عام ١٢٩١م، فيما تم إخراج الصليبيين من باقي المدن دون قتال يذكر فتم تسليم صور في شهر آيار / مايو، وصيدا في شهر حزيران / يونيو ، والقلعة البحرية وبيروت في تموز / يوليو ، وطرسوس في آب / أغسطس من نفس السنة ١٢٩١م [١] .

وبسقوط رأس المعاقل الصليبية في عكا انطوت صفحة مريرة كتبتها البابوية ضد المسلمين في الأراضي المقدسة على مدى أكثر من قرنين من الزمان ولم تستطع الاستمرار في تدوينها، بينما استمر عداء البابوية في تلك الأوقات للمسلمين في الأندلس .

لكن الحلم البابوي الصليبي في مهاجمة المسلمين في الأراضي المقدسة، واحتلال بيت المقدس أخذ وقتاً طويلاً كي يخمد، ولمدة مئتي سنة أخرى من طرد الصليبيين عام ١٢٩١م

-((غضب وحزنٌ يقيمان في قلبي ، ومن شدتهما أكاد لا أجرؤ على البقاء حياً ،
يبدو أن الرب شاء أن يُعين الأتراك على حسابنا ... آه ، واحسرتاه على مملكة الشرق
التي فقدت الكثير الكثير بحيث لن تقوم لها قائمة بعد اليوم ... إنّ كل من يريد أن يحارب
الأتراك لا بد أن يكون معتوهاً ، لأن يسوع المسيح توقف هو نفسه عن محاربتهم ،
لقد انتصروا ولسوف ينتصرون . ذلك أنهم يدفعوننا كل يوم نحو الهاوية ،
وهم على يقين من أن الرب أخلد إلى النوم الآن من بعد يقظة ، ومحمد يتحدث من موقع قوة)) .
انظر : الحرب المقدسة ((الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم)) ، ص ٥٢٩ ــــ ٥٣٠ ، كارين آرمسترونغ ، ترجمة : سامي الكعكي .

يقصد ذلك الفارس الصليبي بالأتراك أي المماليك حيث أنهم من الترك ، فقد أكثر من شرائهم الملك الأيوبي نجم الدين أيوب ، وكوّن منهم فرق حربية متعددة بحرية وبريّة للحفاظ على المملكة من الانقسام الداخلي والهجوم الخارجي . مكّن الله لهؤلاء المماليك الملك في الأرض فنصر بهم الإسلام والمسلمين . انظر: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، ص١٦٦ ــ ١٦٧، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

[١]) نبلاء ودراويش (تاريخ الحروب الصليبية)، ص١٧٥ ــ ١٧٦ ، د. إسماعيل نوري الربيعي ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٣٣٦ ــــ ٣٤١ ، د. محمود سعيد عمران ، الحركة الصليبية ، ٩٢١/٢ ــــ ٩٣٦ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحروب الصليبية ، صراع الشرق والغرب ، ص ٩٣ ــــ ٩٤ ، رنيه كروسيه ، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، ص ٢١٥ ــــ ٢٢٠ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

من عكا ، وإلى آخر البابوات الذين تمنّوا مقابلة المسلمين عسكرياً البابا بيوس الثاني (١٩ آب ١٤٥٨ ـــ ١٤ آب ١٤٦٤م) ، ظهرت طلائع لحملات صليبية[١]، لكن أياً من هذه

[١]) ومن أهم المشاريع الصليبية التي كانت تطمح البابوية في نجاحها ضد المسلمين :

أ) في عهد البابا نيقولا الرابع ـــ والذي شهد طرد رجاله وعساكره من بيت المقدس، فمات عـــام ١٢٩٢م كمداً وحسرةً على ضياع السلطة البابوية على الأراضي المقدسة التي بناها البابوات من قبله ـــ وعلى إثر فتح المسلمين لطرابلس في عام ١٢٨٩م شرع البابا نيقولا الرابع للدعوة لحملة صليبية لحماية عكا والقلاع الصليبية من حولها، فلم يستجب له في أوروبا كلها إلا البنادقة الإيطاليون، فاتجهت الحملة الإيطالية إلى عكا في صيف عام ١٢٩٠م ، وكان أثر هذه الحملة الإيطالية سيئاً على المملكة الصليبية في عكا فسببت هذه الحملة وقتلـــها الفلاحين المسلمين في عكا تحرك السلطان قلاوون وبعده ابنه السلطان الأشرف خليل لصد عدوان هذه الحملة الصليبية ، ففتح المسلمون عكا وباقي القلاع والمدن التي كانت في أيدي الصليبيين في عام ١٢٩١م .

ب) الحملة الصليبية المزوّرة في عام ١٣٠٧م ، والتي خدع بها ملك فرنسا فيليب الرابع (الجميل) البابا كليمنت الخامس ومقدم الفرسان الداوية ومقدم الفرسان الاسبتارية . ولم يكتشف البابا كليمنت الخامس كذب ملك فرنسا إلا بعد أن حصل الملك الفرنسي على أموال طائلة من البابوية ، وكنائسها ، وبعد أن قطعت البابوية في الدعوة لها شوطاً كبيراً .

ج) الحملة الصليبية التي توجهت إلى الاسكندرية في عام ١٣٦٥م بقيادة ملك قبرص ، وقد اهتم البابا أوربان الخامس بهذه الحملة منذ عام ١٣٦٣م؛ فقد دعا إليها البابا وعين كاردينالاً مندوباً عنه فيها ، واشترك فيها عدد من نبلاء فرنسا واسكتلنده وبعض الفرسان من الاسبتارية ، وبلغ عدد سفنها خمسا وســـتين ومئـــة ســـفينة ووصلت إلى الإسكندرية يوم ٩ أكتوبر سنة ١٣٦٥م ، وكانت تريد بعد احتلالها الاسكندرية أن تتجـــه إلى الأراضي المقدسة؛ لأنه ليس للصليبيين هناك قاعدة ساحلية، وقد استطاعت الحملـــة أن تحتـــل الاســـكندرية وعملت في أبنائها المسلمين القتل والذبح ؛ حتى إن المؤرخين قالوا : ما أجـــراه الـــصليبيون مـــن قتـــل في الاسكندرية لم يضارعه سوى ذلك الذي حدث سنة ١٠٩٩م في بيت المقدس ((الحملة الصليبية الأولى)) .

وكان في ذلك الوقت قد بدأ الضعف ينخر في الدولة المملوكية، ولكن الصليبيين لم يستطيعوا أن يتقدموا عن الاسكندرية فمكثوا فيها حتى أخرجهم المسلمون منها في ١٣٦٩م، وتعد هذه الحملة الـــصليبية أقـــوى الحملات ضد المسلمين بعد استرجاع عكا من الصليبيين عام ١٢٩١م، ففشلت هذه الحملة القبرصية في هدفها وهو انتزاع بيت المقدس من أيدي المسلمين، فأصيبت البابوية بالذهول لهذه النتائج المخزية بالنسبة لها .

د) وفي سنة ١٣٦٦م أي بعد احتلال الاسكندرية عام ١٣٦٥م قام البابا أوربان السادس بالدعوة إلى حملـــة صليبية مساعدة لتلك التي استولت على الاسكندرية لمساعدتها في التحرك إلى بيت المقدس، وتولى هذه الحملة أماديوس السادس كونت سافوي ـــ ابن عم شقيق للامبراطور البيزنطي يوحنا الخامس ـــ ولكن الإمبراطـــور البيزنطي طلب منها أولاً مساعدته في حربه ضد المسلمين الأتراك ؛ وهكذا فقدت هذه الحملة مؤنتها وقوتهـــا عند مضيق الدردنيل بسبب قتالها المسلمين الأتراك ففشلت هذه الحملة ولم تستطع المواصلة إلى الاســـكندرية لمساعدة الحملة الصليبية القبرصية هناك والانطلاق سوياً إلى بيت المقدس، وكان فشلها في عام ١٣٦٧م.=

لم تتمخض عن شيء ، ولم يستطع الغرب السيطرة على بيت المقدس إلاّ مع إقامة الانتداب البريطاني على فلسطين عام ١٩٢٠م، ولكنها لم تُسلّم للبابوية والصليبية ولكنّها

هـ) وفي عام ١٣٩٠م فشلت حملة صليبية قادها لويس الثاني دوق بوربون وهدف فيها إلى مهاجمة تونس ولكن هذه الحملة انقلبت إلى فاجعة حلت بالنصارى الصليبيين من جرّاء كثرة القتل فيهم .

و) وفي عام ١٣٩٥م أصدر بابا روما بونيفاس التاسع وبابا أفينون بنيدكت الثالث عشر ــ في وقت الانشقاق البابوي ــ مرسومين يوصيان فيهما بإثارة حرب صليبية ضد الجيش الإسلامي التركي المتربص بالصليبيين ومنعهم من التقدم إلى الأراضي المقدسة، فاجتمع في ٢٠ إبريل سنة ١٣٩٦م أكبر حشد صليبي في ذلك الوقت لمواجهة المسلمين ناهز عدد العساكر فيه مئة ألف عسكري من ألمانيا وفرنسا وانجلترا وأسبانيا وإيطاليا مع أسطول بحري من الفرسان الاسبتارية وبعض البنادقة والجنويين . وتقابل هذا الجيش المجمع مع الجيش الإسلامي بقيادة بايزيد العثماني في معقل نيكوبوليس على نهر الدانوب، فوقعت معركة قوية انتصر فيها المسلمون على الصليبيين، وتعد هذه الحملة أكبر الحملات الصليبية عدداً وأكثرها أسىً وفاجعة على الصليبيين وذكرتهم بالفواجع التي وقعت عليهم من المسلمين في الماضي .

ز) ثم كان عهد آخر الباباوات الذين دعوا إلى حملة صليبية حربية ضد المسلمين متجهة إلى بيت المقدس سنة ١٤٦٤م ، وهو البابا بيوس الثاني والذي كان يُسمى (البابا الصليبي) ، فقد أعلن في اجتماع المجلس الكنسي في الثاني والعشرين من أيلول سنة ١٤٦٣م بأنه بنفسه سيقود حملة صليبية ضد المسلمين ، وفي ١٨ يوليه سنة ١٤٦٤م أقام قُدّاساً احتفالياً في باسيليقا (كنيسة) القديس بطرس ، قام فيه البابا بخياطة الصليب على صدره، وتوجه ومن معه من الجنود إلى البندقيّة ، ولكن تفجّر خلاف قوي بين جنود حملته الفرنسيين والإسبانيين مما أصاب البابا بالحزن العميق بسبب خلافات عساكره مع بعضهم ، وفي اليوم الذي وصل إليه البابا بيوس الثاني مع حملته إلى البندقية في ١٤ أغسطس عام ١٤٦٤م توفي البابا قهراً على وضع الصليبيين الهزيل وقوة المسلمين وعزمهم، وبموته انهارت الحملة الصليبية قبل مواجهة المسلمين في ساحة المعركة، وفي ذلك يقول المؤرخ النصراني ستيفن رنسيمان متحسراً : ((لقد حدث منذ نحو أربعة قرون أن أرسل البابا أروبان الثاني بدعوته للحرب الصليبية الألوف من الرجال ليخاطروا بحياتهم في الحرب المقدسة . أما الآن فإن كل ما استطاع البابا الذي اتخذ الصليب أن يحشده لم يتجاوز عدداً قليلاً من المأجورين، الذين تخلوا عن واجبهم، قبل أن تتحرك الحملة، لقد ماتت الروح الصليبية)) .

ولكن في حقيقة الأمر ــ وبدليل الواقع والتوجهات ــ أن الحروب الصليبية ضد الأمة الإسلامية لم تمت ولكن تعددت أشكالها واتجاهاتها فمنها الحروب المباشرة، ومنها الغزو الفكري المتمثل في الاستشراق والتغريب، وهذا ما سيظهر إن شاء الله في هذا البحث الذي أسأل الله فيه التوفيق والإعانة .

انظر : تاريخ الحروب الصليبية ، ٧٢١/٣ ــ ٧٨٠ ، ستيفن رنسيمان ، أوروبا والمسيحية ، الجزء الثالث (تمزّق الكنيسة) ، ص ٩ ، ٥٧ ــ ٦٠ ، ١٦٧ ، ١٧٣ ، ٢٠١ ــ ٢٠٢ ، يان دوبرا تشينسكي ، الحروب الصليبية ، ص ١٣٦ ــ ١٤١ ، أرنست باركر ، الحروب الصليبية صراع الشرق والغرب ، ص ١٦٣ ــ ١٦٦ ، رنيه كروسيه .

سُلِّمت لليهودية العالمية، وأُعلنت دولة اليهود على ثرى فلسطين الطاهر عام ١٩٤٨م الموافق ١٣٦٧هـ .

بعد انتكاسة البابوية ، والصليبية ، وفشلها في محاربة المسلمين في حملة البابا بيوس الثاني عام ١٤٦٤م، وكان قبلها بسنوات قليلة عام ١٤٥٣م قد انتصر المسلمون بقيادة محمد الفاتح على النصارى وفتح القسطنطينية ، أصابت البابوية والدول الغربية الصليبية نوبة كبيرة من الحقد والكراهية على المسلمين وعزموا الأمر على الانتقام من المسلمين في أي مكان كانوا ، ووجد الصليبيون فرصتهم السانحة لهذا الانتقام في ضعف المسلمين في الأندلس في آخر أيام مُلك بني الأحمر في غرناطة . حيث كانت الانقسامات الداخلية والعداوات ظاهرة بين حُكّام بني الأحمر، وموالاة بعضهم للصليبيين .

في هذه الظروف التي وقع فيها المسلمون اتحد الصليبيون لمواجهتهم ، وبدأ هذا الاتحاد وتوحيد الكلمة بعرش المملكتين الصليبيتين الكاثوليكيتين مملكة أرغون بقيادة الملك فرديناند ، ومملكة قشتالة بقيادة الملكة إيزبيلا ابنة يوحنا الثاني قشتالي ، وقد كان للقسس وأساقفة الكنيسة الكاثوليكية دور عظيم في هذا الاتحاد ، وزاد الاتحاد قوة بزواجهما، فأصبح هناك عرش واحد متحد يحمل كل معاني الحقد والكراهية للمسلمين.

حاصر الجيش الصليبي بقيادة فرديناند مملكة غرناطة المسلمة ولمدة تجاوز سبعة أشهر ابتداءً من ١٢ جمادى الثانية سنة ٨٩٦هـ الموافق ٢٣ نيسان / إبرايل سنة ١٤٩١م حتى اشتد الجوع وفتك المرض بالمسلمين داخل أسوار غرناطة ، فوافقوا على تسليم غرناطة للصليبيين بشروط[1] ، وعلى أن يلزم المندوب البابوي الصليبيين بالوفاء وكان ذلك في ٢١

---

[1]) وكان عدد شروط تسليم غرناطة للصليبيين سبعة وستين شرطاً ، ومن هذه الشروط : تأمين الصغير والكبير من المسلمين في نفسه وأهله وماله ، وإبقائهم في أماكنهم ودورهم وإقامة شريعتهم على ما كانت ، وأن تبقى المساجد كما كانت والأوقاف كذلك ، وألاّ يدخل النصارى دار مسلم ولا يغصبوا أحداً ، ولا يطلع نصراني للسور ، ولا يتطلع على دور المسلمين ، ولا يدخل مسجداً من مساجدهم، ويسير المسلم في بلاد النصارى آمناً في نفسه وماله، ولا يُمنع مؤذن ولا مصلٍّ ولا صائم ولا غيره من أمور دينه ، وأن يوافق على كل الشروط صاحب روما ويضع خط يده .

ولكن هيهات للصليبيين الحاقدين والنصارى الماكرين أن يحافظوا على هذه الشروط بل إنها نُقضت تماماً بل وجُوزي المسلمون الذين بقوا في الأندلس بأخس أنواع الجزاء من مطاردة وقتل وتعذيب وتنصير بالقوة بل =

=ووضعت لهم محاكم خاصة سُميت بمحاكم التفتيش حتى لقد قال المؤرخ الغربي بروسكوت : (بأنها أفضل مادة لتقدير مدى الغدر الأسباني فيما تلا من العصور) .

وهذا ما فطن إليه فارس الأندلس في ذلك الوقت موسى بن أبي غسّان عندما هبّ معترضاً على هذا التسليم للنصارى فقال للملك أبي عبد الله الصغير ومن معه في قصر الحمراء : ((لا تخدعوا أنفسكم ولا تظنوا أن النصارى سيوفون بعهدهم ، ولا تركنوا إلى شهامة ملكهم ، إن الموت أقل ما نخشى ، فأمامنا نهب مدننا وتدميرها ، وتدنيس مساجدها ، وتخريب بيوتنا ، وهتك نسائنا وبناتنا ، وأمامنا الجور الفاحش ، والتعصّب الوحشي والسياط والأغلال ، وأمامنا السجون والأنطاق والمحارق ، أما أنا فو الله لن أراه ــ أي لا يرى التسليم للصليبيين)) .

يقول الشاعر عدنان مراد بك يصف موقف موسى بن أبي غسّان من تسليم غرناطة للصليبيين :

أنا لن أقرّ وثيقةً ... فُرِضَتْ وأخضعَ للعدا
ما كان عذري إن جبنت ... وخفت أسبابَ الرّدى
والموتُ حقٌ في الرقاب ... أطالَ أم قصُرَ المدى
إني رسمتُ نهايتي ... بيدي ، ولن أتردّدا
كنتُ الحسامَ لأمتي ... واليومَ للوطن الفدا
أنا لن أعيشَ العُمرَ ... عبداً ، بل سأقضي سيّدا

انظر : مصرع غرناطة ، ص ٦٥ ــ ٩٢ ، د. شوقي أبو خليل ، الأندلس ، ص ٢٨٨ ــ ٢٩١ ، د. عصام محمد شبارو ، تأريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الأفريقي ، ص ٤٤٥ ــ ٤٥٢ ، د. علي محمد الصلابي ، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ص ٢٩٩ ــ ٣٠٣ ، د. خليل إبراهيم السامرائي وآخرون ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ٤/١٢٣ ــ ١٢٦ ، د. أحمد شلبي .

وأقف وقفة مختصرة مع محاكم التفتيش (التحقيق) الكاثوليكيّة التي وضعت للمسلمين في بلاد الأندلس ، فأقول : قد بدأت تلك المحاكم ، أو ما يُسميها الكاثوليك (الديوان المقدس) قبيل سقوط غرناطة آخر المدن الإسلاميّة هناك ، وذلك عندما أصدر البابا سيكتوس الرابع (٩ آب ١٤٧١ ــ ١٢ آب ١٤٨٤م) في عام ١٤٧٨م أوامره البابويّة بإنشاء هذه المحاكم على غرار ما كانت عليه في إيطاليا ، وفي شهر أغسطس من عام ١٤٨٣م عيّن البابا سيكتوس الرابع الكاهن الدومينيكي (توماس دو تور كويمارا) أول رئيس لمحاكم التفتيش الكاثوليكيّة في الأندلس ضد المسلمين ، فبدأ بتكوينها في إشبيليه وقرطبة وغيرها من البلدان الإسلاميّة في الأندلس والتي احتلها النصارى ثمّ كانت محاكم التفتيش اضد المسلمين بكل معانيها الوحشيّة لما سقطت غرناطة –آخر قلاع المسلمين في إسبانيا– سنة (٨٩٧ هـ–١٤٩٢م)، وكان ذلك نذيرًا بسقوط صرح الأمة الأندلسية المسلمة الديني والاجتماعي، وتبدد تراثها الفكري والأدبي، وكانت مأساة المسلمين هناك من أفظع مآسي التاريخ؛ حيث شهدت تلك الفترة أعمالاً بربرية وحشية ارتكبتها تلك المحاكم ؛ لتطهير أسبانيا من آثار الإسلام والمسلمين، وإبادة تراثهم الذي ازدهر في هذه البلاد زهاء ثمانية قرون من الزمان.

هاجر كثير من مسلمي الأندلس إلى الشمال الإفريقي بعد سقوط مملكتهم؛ فرارًا بدينهم وحريتهم من اضطهاد النصارى الكاثوليك هناك، فعادت تلك المنطقة إلى دينها القديم، أما من بقي من المسلمين فقد أجبر على التنصر أو=

=الرحيل، وأفضت هذه الروح النصرانية المتعصبة إلى مطاردة وظلم وترويع المسلمين العزل، انتهى بتنفيذ حكم الإعدام ضد أمة ودين على أرض أسبانيا.

نشطت محاكم التفتيش في ارتكاب الفظائع ضد المسلمين ، وحتى ضد الموريسكيين (المسلمين المتنصرين ظاهريًا)، ـــ فكان الموريسيكيون بالرغم من دخولهم في النصرانية يتعلقون سرًا بالإسلام، وكثير منهم يؤدون شعائر الإسلام خفية، وكانوا يحافظون على لغتهم العربية ـــ فصدرت عشرات القرارات التي تحول بين هؤلاء المسلمين ودينهم ولغتهم وعاداتهم وثقافتهم، فقد أحرق الكردينال "خمينيث" عشرات الآلاف من كتب الدين والشريعة الإسلامية، وصدر أمر ملكي يوم (٢٢ ربيع أول ٩١٧ هـ/٢٠ يونيو ١٥١١) يلزم جميع السكان المسلمين الذي تنصروا حديثًا أن يسلموا سائر الكتب العربية التي لديهم، وكانت لوائح الممنوعات ترد تباعًا، وحوت أوامر غريبة منها: حظر الختان، وحظر الوقوف تجاه القبلة، وحظر الاستحمام والاغتسال، وحظر ارتداء الملابس العربية ، ومنع التخاطب باللغة العربية وانتهت بفرض التنصير الإجباري على المسلمين، فحمل التعلق بالأرض وخوف الفقر كثيرًا من المسلمين على قبول التنصر ملاذًا للنجاة، ورأى آخرون أن الموت خير ألف مرة من أن يصبح الوطن العزيز مهدًا للكفر، وفر آخرون بدينهم، وكتبت نهايات متعددة لمأساة واحدة هي رحيل الإسلام عن الأندلس.

ولم تفلح مساعي الموريسيكيين في الحصول على دعم خارجي فعال من الدولة العثمانية أو المماليك في مصر، رغم حملات الإغارة والقرصنة التي قام بها العثمانيون والجزائريون والأندلسيون على السفن والشواطئ الأسبانية، ودعم الثوار الموريسيكيين.

واستمرت محاكم التفتيش في محاربة هؤلاء المسلمين طوال القرن السادس عشر الميلادي.

وبعد مرور أربعة قرون على سقوط الأندلس، أرسل نابليون حملته إلى أسبانيا وأصدر مرسوماً سنة ١٨٠٨ م بإلغاء دواوين التفتيش في المملكة الأسبانية.

▪ من أساليب التعذيب في محاكم التفتيش ضد المسلمين :

ـــ الجلد: وقد كان المتهم يساق إلى مكان عام عارياً تماماً وينفذ فيه الجلد، وغالباً ما كان يموت تحت وطأة الجلد، فإن نفذ وكتبت له الحياة يعيش كوضع المحكوم بالبراءة من حيث الإعاقة ونبذ المجتمع له .

ـــ الإعدام : وهو الحكم الأكثر صدوراً عن محاكم التفتيش؛ ويتم الإعدام حرقاً وسط ساحة المدينة .

ـــ التعذيب بالحرارة والنار : فيخضع المتهم للكيّ بالحديد الساخن ، بل أنه في بعض الحالات يتعرّض لتقطيع لحم جسده بواسطة القضبان الحديديّة الساخنة الملتهبة حتى الموت ، وكذلك استعمل في تعذيب المتهم الماء المغلي والزيت المغلي ، والرصاص الذائب والساخن .

ـــ التعذيب بالماء : وكان أبسط استعمال للماء في التعذيب هو إجبار الضحيّة على شرب كميات كبيرة من الماء . في البداية يكون شرب الماء راحة للضحية من التعذيب السابق الذي تعرَّض له ولكن عند إجباره على شرب المزيد من الماء ينتفخ الضحية انتفاخاً كبيراً مما يُسبِّب له الكثير من الألم ، كما أنّه توضع قطعة قماش فوق فم وأنف الضحية ، ويتمُّ سكب الماء فيهما ودفع القماشة داخل فم الضحية وصولاً إلى حلقه بحيث لا يعود قادراً على التنفس .

= وهناك أساليب تعذيب أخرى تُعبِّر عن ساديّة وأنواع غير معتادة من التعذيب في كتاب مثير للاهتمام عنوانه (مفتاح إلى البابوية والكثلكة) A Master Key to Popery . ولنستمع إلى هذه القصة التي يرويها لنا أحد ضباط الجيش الفرنسي الذي دخل إلى إسبانيا بعد الثورة الفرنسية (كتب (الكولونيل ليموتسكي) أحد ضباط الحملة الفرنسية في إسبانيا قال: " كنت سنة ١٨٠٩ ملحقاً بالجيش الفرنسي الذي يقاتل في إسبانيا وكانت فرقتي بين فرق الجيش الذي احتل (مدريد) العاصمة وكان الإمبراطور نابليون أصدر مرسوماً سنة ١٨٠٨ بإلغاء دواوين التفتيش في المملكة الإسبانية .

أخذنا حملة لتفتيش أحد الأديرة التي سمعنا أن فيها ديوان تفتيش ، فأذنت للضابط بالبحث ، فأمر الجنود أن يرفعوا السجاجيد الفاخرة عن الأرض ، فنظرنا فإذا باب قد انكشف ، كان قطعة من أرض الغرفة ، يُفتح بطريق ماكرة بواسطة حلقة صغيرة وضعت إلى جانب رجل مكتب رئيس الدير . أخذ الجنود يكسرون الباب بقحوف البنادق ، فاصفرت وجوه الرهبان ، وعلتها الغبرة .

وفُتح الباب فظهر لنا سُلَّم يؤدي إلى باطن الأرض فهبطت على درج السلم يتبعني سائر الضباط والجنود، شاهرين سيوفهم حتى وصلنا إلى آخر الدرج، فإذا نحن في غرفة كبيرة مرعبة، وهي عندهم قاعة المحكمة، في وسطها عمود من الرخام، به حلقة حديدية ضخمة، وربطت بها سلاسل من أجل تقييد المحاكمين بها. وأمام هذا العمود كانت المصطبة التي يجلس عليها رئيس ديوان التفتيش والقضاة لمحاكمة الأبرياء. ثم توجهنا إلى غرف التعذيب وتمزيق الأجسام البشرية التي امتدت على مسافات كبيرة تحت الأرض. رأيت فيها ما يستفز نفسي، ويدعوني إلى القشعريرة والتقزز طوال حياتي. رأينا غرفاً صغيرةً في حجم جسم الإنسان، بعضها عمودي وبعضها أفقي، فيبقى سجين الغرف العمودية واقفاً على رجليه مدة سجنه حتى يموت، ويبقى سجين الغرف الأفقية ممداً بها حتى الموت، وتبقى الجثث في السجن الضيق حتى تبلى، ويتساقط اللحم عن العظم، وتأكله الديدان، ولتصريف الروائح الكريهة المنبعثة من جثث الموتى فتحوا نافذة صغيرة إلى الفضاء الخارجي. وقد عثرنا في هذه الغرف على هياكل بشرية ما زالت في أغلالها. كان السجناء رجالاً ونساءً، تتراوح أعمارهم ما بين الرابعة عشرة والسبعين، وقد استطعنا إنقاذ عدد من السجناء الأحياء، وتحطيم أغلالهم ، وهم في الرمق الأخير من الحياة. كان بعضهم قد أصابه الجنون من كثرة ما صبوا عليه من عذاب، وكان السجناء جميعاً عرايا، حتى اضطر جنودنا إلى أن يخلعوا أرديتهم ويستروا بها بعض السجناء. أخرجنا السجناء إلى النور تدريجياً حتى لا تذهب أبصارهم، كانوا يبكون فرحاً، وهم يقبّلون أيدي الجنود وأرجلهم الذين أنقذوهم من العذاب الرهيب، وأعادوهم إلى الحياة، كان مشهداً يبكي الصخور. ثم انتقلنا إلى غرف أخرى، فرأينا فيها ما تقشعر لهوله الأبدان، عثرنا على آلات رهيبة للتعذيب، منها آلات لتكسير العظام، وسحق الجسم البشري، كانوا يبدؤون بسحق عظام الأرجل، ثم عظام الصدر والرأس واليدين تدريجيا، حتى يهشم الجسم كله، ويخرج من الجانب الآخر كتلة من العظام المسحوقة، والدماء الممزوجة باللحم المفروم، هكذا كانوا يفعلون بالسجناء الأبرياء المساكين، ثم عثرنا على صندوق في حجم جسم رأس الإنسان تماماً، يوضع فيه رأس الذي يريدون تعذيبه بعد أن يربطوا يديه ورجليه بالسلاسل والأغلال حتى لا يستطيع الحركة، وفي أعلى الصندوق ثقب تتقاطر منه نقط الماء البارد على رأس المسكين بانتظام، في كل دقيقة نقطة، وقد جُنّ الكثيرون من هذا اللون من العذاب، ويبقى المعذب على حاله تلك حتى يموت. وآلة أخرى للتعذيب على شكل تابوت تثبت فيه سكاكين=

محرم سنة ٨٩٧هـ الموافق ٢٥ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٤٩١م ، فدخلها النصارى في ٢ كانون الثاني في يناير عام ١٤٩٢م .

غادر أمير غرناطة أبو عبد الله محمد الصغير (ابن الحُرّة) الملقب (بالخائن) غرناطة ليقيم في البشرات المُطلّة على غرناطة، وما أن وصلها حتى شاهد قصر الحمراء وقد ارتفعت فوقه الصلبان والأعلام النصرانية، فبكى ملكه المفقود، فنظرت إليه والدته عائشة الحُرّة، وهي تخاطبه قائلة : ((ابك مثل النساء ملكاً لم تحافظ عليه مثل الرجال)) .

حادة. كانوا يلقون الشاب المعذب في هذا التابوت، ثم يطبقون بابه بسكاكينه وخناجره. فإذا أغلق مزق جسم المعذب المسكين، وقطعه إرباً إرباً. كما عثرنا على آلات كالكلاليب تغرز في لسان المعذب ثم تشد ليخرج اللسان معها، ليقص قطعة قطعة، وكلاليب تغرس في أثداء النساء وتسحب بعنفٍ حتى تتقطع الأثداء أو تبتر بالسكاكين. وعثرنا على سياط من الحديد الشائك يُضرب بها المعذبون وهم عراة حتى تتفتت عظامهم، وتتناثر لحومهم.

وبعد هذا يتبيّن أن محاكم التفتيش تمثّل أحد أسوأ فصول التاريخ الغربي دموية تجاه المسلمين .

ولذلك كان من الطبيعي ألا يتوقف المؤرخون والمستشرقون الغربيون عندها إلا نادراً في محاولة منهم لتجاوز وقائعها السوداء، بل نجدهم في حالات أخرى كثيرة يحاولون وضع التبريرات لها بادعاء أنها كانت أخطاء غير مقصودة ارتكبها القساوسة في محاولتهم للحفاظ على المسيحية بعد خروج المسلمين من الأندلس ، وأن الإسلام عندهم هو المسؤول عن تلك المحاكم؛ لأنه دفع بالمسيحيين إلى استنباط محاكم التفتيش ليصدوا تمدده في الغرب !!

على أي حال، فإن السواد الذي غطى تاريخ محاكم التفتيش لم تستطع السنوات أن تزيله من ذاكرة التاريخ العالمي، وحتى الكنيسة عينها لم تعد قادرة على تجاهل مسؤوليتها المباشرة عن الفظائع التي ارتكبت بحق المسلمين من خلال تلك المحاكم؛ ولهذا نجد أنه مثلاً في أواسط العام ٢٠٠٢م قدمت مجموعة مكونة من ٣٠ مؤرخاً من مختلف أنحاء العالم مشروع قرار إلى البابا بولس الثاني حول إمكان اعتذار الكنيسة الكاثوليكية عن محاكم التفتيش وجرائمها بحق المسلمين، وجاء مشروع المؤرخين الغربيين من بين التحضيرات النصرانية لاستقبال الألفية الثالثة للميلاد .

انظر : التعصب والتسامح بين المسيحيّة والإسلام ، ص ٢٩٥ ـــ ٣٠٢ ، للشيخ محمد الغزالي ، قادة الغرب يقولون دمّروا الإسلام أبيدوا أهله ، ص ٩ ـــ ١٥ ، جلال عالم ، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام ، ٧٩ ـــ ٨٦ د. توفيق الطويل ، تاريخ التعذيب، ص ٦٩ ـــ ١٠٩ ، براين اينز ، ترجمة : مركز التعريب والترجمة ، محاكم التفتيش .. من ينصف المسلمين من جرائمها ؟ بقلم : عبد الرحمن حمادي ، مجلة الجندي المسلم ، العدد ((١٢٠)) ، تاريخ ١/ ٧/ ٢٠٠٥م .

وبسقوط غرناطة ، سقطت الأندلس نهائياً ، ليخسر المسلمون أهم موقع استراتيجي وحضاري يمثل البوابة الغربية للقارة الأوروبية .

وهكذا انتهت الحروب الصليبية القديمة التي أجهدت البابوية نفسها في توجيهها ضد المسلمين في كل من الأراضي المقدسة ، وما حولها من بلاد الشام (الشرق الأدنى)، وفي بلاد الأندلس (الغرب)، وكانت نتائجها مختلفة .

انتهت الحروب الصليبية في القرنين الرابع عشر، والخامس عشر الميلاديين الموجهة إلى بلاد المسلمين في الأراضي المقدسة (قلب العالم الإسلامي) بالفشل الذريع، فطهّر المسلمون تلك البلاد المباركة الطاهرة ومقدساتهم من دنس الصليبيين، فعادت البابوية ومن تبعها من النصارى إلى روما الإيطالية وأفينون الفرنسية وأوروبا يجرّون أذيال الهزيمة، ولم يستطيعوا أن يُقيموا دولة نصرانية في قلب العالم الإسلامي، فتحول الحلم البابوي الذي كانت تتمنى البابوية تطبيقه على أرض الواقع إلى كابوس يزعجها على مر السنين .

أما الجانب الآخر من طرفي النزاع بين الصليبيين والمسلمين في الغرب (الأندلس) فانتهى في القرن الخامس عشر الميلادي باحتلال النصارى أراضي المسلمين هناك ، ومن أكبر الأسباب في هزيمة المسلمين على أرض الأندلس أنهم كانوا متفككي الروابط الأخوية والدينيه مع بعضهم البعض ، مع ميل بعض المسلمين إلى الغرب النصراني في بعض عاداته وتقاليده ، كما أن بُعد المسلمين هناك عن قلب العالم الإسلامي قد يكون من أسباب هزيمتهم حيث كانوا في وسط نصراني كبير وبجانب مصدر الحروب الصليبية ومنطلقها البابوية؛ فالبابوية كانت ترى أن الأندلس قطعة من قلب العالم النصراني الغربي يجب أن تعود إليه؛ فالوضع في الأندلس جعل الكفتين غير متعادلتين؛ لذلك تفوق الصليبيون على المسلمين .

ومع هذا فإن العالم النصراني الصليبي لم تخمد جذوة الحقد في نفسه نحو المسلمين ، بل ظلت نار الحقد والكراهية تأكل قلوب الصليبيين في الغرب والشرق ينتظرون الفرصة السانحة للثأر والانتقام وضرب الأمة الإسلامية ، حتى مع سقوط البابوية في قلوب النصارى وحياتهم .

فإن هذه العقيدة الصليبية — وهي كره الإسلام والمسلمين والخوف منهم والحذر في

التعامل معهم، ــ والتي عملت البابوية وكنائسها جاهدة في ترسيخها في عقول الشعوب الأوروبية النصرانية وقلوبهم ــ ظلت تعمل عملها في كل وقت وزمان يتعامل فيه النصارى مع المسلمين، حتى في أشد الأوقات والأزمنة علمانية في حياة النصارى، وفي وقت وزمان لم يكن للبابوية وكنائسها وزن عند شعوب أوروبا النصرانية ، فضلاً عن حُكّامها .

فإن الدول النصرانية تتعامل بالعلمانية بعد سقوط مكانة البابوية وكنائسها في أوروبا، إلا مع المسلمين، فإنها تتحول إلى صليبية دينية وبعقلية الحروب الصليبية، والتي لم تستطع أن تتخلص منها في عقلها الباطني، وفي نفسيات أعلى رجالها اللادينيين العلمانيين، وفي أزمنة تعد هي أزمنة التطبيق الصريح للعلمانية، وفصل الدين عن شؤون الحياة، وظهور الاحتقار العلني للبابوية وكنائسها وشعاراتها الدينية، وذلك بعد الثورة الفرنسية عام١٧٩٨م وخلال القرن الثامن عشر وما بعده إلى يومنا هذا ــ بدايات القرن الحادي والعشرين ــ، وظهور المذاهب الفلسفية الإلحادية في كُلّ شيء في شؤون الحياة الغربية إلا في التعامل مع الإسلام والمسلمين ؛ لتأصل هذه النظرية الصليبية في عقولهم؛ لذلك هم لم يستطيعوا التعايش مع المسلمين إلا بصعوبة بالغة ، وبلغة تنصير المسلمين أو تمييع أوامر الدين الإسلامي في قلوب من تعايش معهم من المسلمين، فظهرت على إثر ذلك العلمنة بين المسلمين .

ومع انتهاء الحروب الصليبية القديمة لم يمتنع الصليبيون من التقدم في البلدان الإسلامية واحتلالها ونفث سمومهم الحاقدة في الأمة الإسلامية من جهة الغرب والشرق إلا أنهم وجدوا قوى إسلامية تحد من أطماعهم الصليبية ، فقد واجهوا في جهة المغرب بعد احتلالهم أراضي المسلمين في أسبانيا وعندما أرادوا التقدم في أراضي المسلمين في شمال المغرب العربي دولاً إسلامية متماسكة منعت الصليبيين من التقدم، ومن أشهر هذه المعارك معركة وادي المخازن عام ٩٨٦هـ / ١٥٧٨م .

انتصر الجيش الإسلامي على الجيوش الصليبية الكاثوليكيّة في هذه الحملة الكبيرة مما

أوقف بعد ذلك طمع الصليبيين في الأراضي الإسلامية في جهة المغرب[١].

أما في جهة المشرق العربي فكانت الدولة الإسلامية العثمانية بالمرصاد للحركات الصليبية ، بل إنها وصلت إلى مرحلة من القوة أن غزت الأراضي الصليبية ونشرت الإسلام في ربوعها، فأضحى العالم النصراني الشرقي خاضعاً لحكم المسلمين، حيث كان المسلمون يجتازون نهر الدانوب ففتحوا رودس الصليبية عام ١٥٢٣م، وفتحوا جزيرة قبرص الصليبية سنة ١٥٧٠م[٢].

فأقام العثمانيون أكبر ((دولة إسلامية عرفها التاريخ في قرونه المتأخرة، امتدت على ثلاث قارات هي : آسيا ، وأوروبا، وأفريقيا، فاستطاعوا إزالة الدولة البيزنطية من الوجود، واستولوا على البلقان، ودقوا أبواب فيينا عاصمة الامبراطورية النمساوية على نهر الدانوب ووصلوا جنوب روسيا وساحل بحر الأدرياتيك وهددوا روما نفسها مركز البابوية، فبسطت بذلك لواء الإسلام على ما يُعرف اليوم بدول أوروبا الشرقية،واليونان، وجزر البحر المتوسط ، وأجزاء من إيطاليا والنمسا))[٣].

وهكذا، وبعد أن ((انتهى بالنسبة للمسيحية كل استعمار لها في آسيا الإسلامية

---

[١]) خرج الجيش الصليبي المكوّن من جنود من ألمانيا وإيطاليا وأسبانيا وعلى رأسهم الجيش البرتغالي بقيادة ملك البرتغال سبستيان يوحنا الثالث ، فأبحرت السفن الصليبية من ميناء لشبونة باتجاه المغرب يوم ٢٤ حزيران / يونيو سنة ١٥٧٨م، فوصلت قادس ثم طنجة حتى وصلوا إلى مدينة تطاوين ـــ على بعد نحو ثمانية عشر ميلاً من المضيق وستة أميال من البحر ـــ لم يستطع الجيش الإسلامي المغربي مقابلتهم لكثرة عددهم حتى نجحت التعبئة العامة للشعب المغربي فقام المشايخ والعلماء في حث الناس على الجهاد في سبيل الله ورد عدوان الصليبيين فتمكنت القوى الشعبية من شحذ همة الجيش الإسلامي بقيادة الملك عبد الملك المعتصم بالله، فتقابل الجيشان في مكان بالقرب من مدينة (القصر الكبير) المغربية ، يُسمى وادي المخازن ، وبدأ القتال صباح الاثنين ٣٠ جمادى الآخرة ٩٨٦هـ ـ ٤ آب/ أغسطس ١٥٧٨م، وكان يوماً مشهوداً في التاريخ الإسلامي ثبت الجيش المُنظّم مع عامة الشعب ضد الجيوش الصليبية التي كانت تشرف عليها البابوية. انظر: معركة وادي المخازن، ص٤٥ ـــ ٧٥، د. شوقي أبو خليل .

ولا شك أن من أهم أسباب نجاح المسلمين في هذه المعركة الفاصلة في منع تقدم الصليبيين إلى الديار الإسلامية، ما وجده المسلمون من آلام وما أحسُّوا به من خزي وعار جرّاء سقوط غرناطة ، وضياع الأندلس من أيديهم ، ووحشية محاكم التفتيش الصليبية ، فصور جرائمها التي ارتكبت في حق المسلمين ما تزال ماثلة في الأذهان .

[٢]) تاريخ الحروب الصليبية ، ٧٨١/٣ ، ستيفن رنسيمان .

[٣]) حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة ، ص ١٠٨ ، د. جميل عبد الله المصري .

١٢٩١م ، وبأقل من قرن فيما بعد، كانت آسيا الإسلامية نفسها هي التي تقوم بغزو المسيحية))[١] .

كما أنّ معظم الدول العربية والإسلامية دانت لهذه الخلافة الإسلامية العثمانية؛ لذلك فإن ظهور هذه الدولة الإسلامية كان عزاً للمسلمين وسداً منيعا في وجه الصليبيين والحد من أطماعهم في عقول المسلمين وفي بلدانهم وأراضيهم، بعد أن كان العالم الإسلامي على وشك أن يقع بين فكي كماشة الصليبيين من المشرق والمغرب .

وبعد هذه المواجهات القوية بين الصليبية الأوروبية بقسميها (الكاثوليك والبروتستانت)[٢] وعلى رأسهم البابوية وبين الأمة الإسلامية، أدرك الصليبيون، وساد الاعتقاد فيهم أن هذه المواجهات لا تجدي نفعا في ظل وجود قوة إسلامية متماسكة فعملوا على تكوين خطة متكاملة لنفث كرههم وصليبيتهم في الأمة الإسلامية وإضعافها، فكانت هذه الخطة المُحكمة التي نجحت أوروبا في تطبيقها على الأمة الإسلامية ، مكوّنة من ثلاثة بنود ، وهي :

١) إضعاف الدولة الإسلامية المُوحدة وتشويه صورها وتمزيقها، وهي الدولة العثمانية.

٢) كشف طرق بحرية جديدة لتطويق العالم الإسلامي وحصاره .

٣) غزو العالم الإسلامي ، ولكن من الناحية الفكرية وضرب أصوله وقواعده فكرياً وبث أفكار ومبادئ تجعل المسلمين يبتعدون عن دينهم الإسلامي .

مع العمل المتواصل لإدخال النصرانية وبثها بين الشعوب الإسلامية في كل مرحلة من مراحل هذه الخطة المتزامنة والمتصلة فيما بينها .

فكانت أهم المهمات للدول الصليبية الأوروبية هي إسقاط الخلافة الإسلامية التي

---

[١]) الحروب الصليبية (صراع الشرق والغرب) ، ص ١٦٣ ، رنيه كروسيه .

[٢]) فقد أخذ البروتستانت عقيدة المواجهة ضد المسلمين بعد ضعف السلطة البابوية من الناحية السياسية في أوروبا فضلاً عن خارجها ، فالعقيدة التي عملت البابوية في تنميتها في قلوب النصارى وعقولهم — وهي كره المسلمين والعمل على تحجيمهم — ما فتئت تعمل عملها في أوروبا النصرانية ، ومنهم البروتستانت (وعلى رأسهم أمريكا) التي غُذّيت بكره المسلمين من جهتين من جهة البابوية الكاثوليكية، ومن جهة اليهود .

عملت على توحيد الصف الإسلامي ابتداءً من شبه الجزيرة العربية وفلسطين وسورية ومصر وإيران والعراق وتونس والجزائر حتى حدود المغرب وأذربيجان وأرمينيا وشبه جزيرة الأناضول وشبه جزيرة البلقان وأوروبا الشرقية حتى جنوب فيينا وأبواب لينجراد بما في ذلك بلجراد وصربيا والجبل الأسود وكوسوفو والسنجق والبوسنة والهرسك[١]، أي أن الصف الإسلامي حوى أجزاء كبيرة من إفريقيا وآسيا وأوروبا ، وبهذه القوة والتماسك لم يستطع الغرب النصراني الصليبي أن يعبث بالأمة الإسلامية ، ولم تستطع البابوية أن تعمل على تنفيذ حلمها في ضرب الدين الإسلامي ، والتسلط على أراضيه المقدسة .

لذلك عمل النصارى جاهدين وماكرين ومستغلين كل طريقة يستطيعون من خلالها ضرب هذه الدولة الإسلامية وتمزيقها ومن ثم تمزيق العالم الإسلامي حتى يتسنى لهم الوصول إلى مطامعهم الدينية والاقتصادية فيه .

فسلكت الصليبية الغربية في سبيل تقطيع أوصال الخلافة الإسلامية العثمانية وإضعاف كيانها مسالك عدة ، منها :

أ) القيام بثورات وحروب صليبية متواصلة ضد الخلافة ، خاصة في أطرافها البعيدة عن عاصمتها وذلك لتشتيت قوتها وإضعافها عسكرياً .

ومن أمثلة تلك الثورات والحروب الصليبية :

١) العمليات الحربية المتتالية التي قامت بها الدولة البرتغالية بموافقة وتأييد تام من البابا نيقولا الخامس على المغرب الأقصى والشمال الإفريقي ومن أهم هذه العمليات ما قام به الأمير البرتغالي هنري الملاح عام ١٤٥١م، واحتل في هذه العملية ميناء سبتة المغربي وميناء أغادير ، ومدن متعددة في تلك المنطقة .

وقد حاول هذا الأمير البرتغالي الالتفاف حول العالم الإسلامي ، فقد كان شديد التعصب للنصرانية عظيم الحقد على المسلمين، وقد كان مؤيداً تأييداً كاملاً من البابوية في

---

[١]) أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ : (الدولة العثمانية) ١/١ ــ ٢ ، د. جمال عبد الهادي مسعود ، و د. وفاء محمد رفعت جمعة ، وعلي أحمد لبن .

روما [١]، قال عنه البابا نيقولا الخامس: ((إن سرورنا العظيم إذ نعلم أن ولدنا هنري أمير البرتغال، إذ يترسم خطى والده العظيم الملك يوحنا ، وإذ تلهمه الغيرة التي تملك الأنفس كجندي باسل من جنود المسيح، قد دفع باسم الله إلى أقاصي البلاد وأبعادها عن مجال علمنا ، كما أدخل بين أحضان الكاثوليكية الغادرين من أعداء الله وأعداء المسيح مثل العرب والكفرة))[٢] .

وقد تمكنت الدولة الإسلامية العثمانية من استرداد بعض الموانئ الإسلامية في إفريقيا من الدولة البرتغالية ، مثل : مصوع وزيلع ومقديشو وممبسة ، فمُنيت الدولة البرتغالية بخسائر عظيمة وصُدت بعيداً عن الممالك الإسلامية ، فنجحت الدولة الإسلامية العثمانية في درء الخطر البرتغالي على العالم الإسلامي[٣] .

٢) الثورة التي قامت ضد الخلافة الإسلامية في المجر والنمسا عام ١٥٤٩م، وقد كان للقسيس مارتوزي من الكنيسة الكاثوليكية النمساوية الدور الأساسي في قيامها[٤] .

٣) الحرب الصليبية التي أعلنها البابا بيوس الخامس ((١٥٦٦ ـــ ١٥٧٢م)) ضد الخلافة الإسلامية العثمانية والتي استعادت الصليبية على أثرها النفوذ البحري على السواحل الإيطالية وما حولها ، فقد تجمع حشد من الصليبيين لمواجهة القوة الإسلامية البحرية ، وكانت القوات الصليبية مكوّنة من ١٢سفينة بابوية، و٧٠ سفينة إسبانية، و١٤٠سفينة بندقية، و ٩ سفن تابعة للرهبان المالطيين، تقابلت مع الجيش الإسلامي العثماني في مكان يُدعى ليبانتو عند مدخل خليج كورنث في ١٧ جمادى الأولى سنة ٩٧٩هـ الموافق ٧ أكتوبر عام ١٥٧١م .

وكانت نتيجة هذه المعركة انكسار البحرية الإسلامية العثمانية، فهي بداية انحسار النفوذ العثماني في البحر المتوسط .

وكان لهذا الانتصار طعم خاص في نفس البابوية ونفوس الدول الصليبية خاصة

---

[١]) الدولة العثمانية (عوامل النهوض وأسباب السقوط) ، ص ١٩٢ ـــ ١٩٣ ، د. علي محمد الصلابي .

[٢]) دراسات متميزة في العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٥٨ ، د. يوسف الثقفي .

[٣]) الدولة العثمانية (عوامل النهوض وأسباب السقوط) ص ١٩٦ ، ١٩٧ ، د. علي محمد الصلابي .

[٤]) تاريخ الامبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط ، ص ٩٦ ، وديع أبو زيدون .

المشاركة في هذه المعركة، حتى إن البابا بيوس الخامس ألقى خطاباً في كنيسة القديس بطرس بمجد فيه قائد القوات الصليبية (دون جون شارلكان) ـــ والذي كان له دورٌ مشهودٌ عند البابوية عندما ساعد في إخراج البقية الباقية من المسلمين من إقليم غرناطة ـــ .

ظل العالم النصراني الصليبي ومؤرخوه يُنوّهون بهذا النصر البحري ، حتى إن القواميس المدرسية الحديثة لا تذكر ثغر ليبانتو إلا وتذكر معه دون جون على أنه أنقذ النصرانية من خطر المسلمين الذي كان يحيق بهم [1].

٤) استغلت فرنسا هزيمة الأسطول العثماني في معركة ليبانتو، وبدأ ملكها شارل التاسع في التحرك ضد الدولة الإسلامية العثمانية من جهة المغرب الإسلامي [2].

وهكذا تجمعت الدول الصليبية في كل القارة الأوروبية وأقامت أكثر من واحد وثلاثين حرباً صليبية ضد الخلافة الإسلامية العثمانية [3] ؛ حتى وصلت إلى مبتغاها وهدفها وهو إنهاك القوة الإسلامية ؛ ولهذا تمكّن الفرنسيون مع ضعف الخلافة الإسلامية العثمانية من إقامة أول هجوم حربي صليبي صريح على ولاية عربية إسلامية في التاريخ الحديث، وهي مصر، فكانت الحملة الصليبية الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨م ـــ ١٢١٣هـ فتح لملف الحروب الصليبية في العصر الحديث بشكل جدّي ومُؤثّر موجه إلى قلب العالم الإسلامي بعد ما توقفت هذه الحروب الصليبية الموجهة إلى الأراضي المقدسة من وقت طرد الصليبيين من عكّا عام ١٢١٩م .

ب) إشاعة العصبية القومية داخل دولة الخلافة .

ومن أقوى هذه العصبيات القومية أثراً في إضعاف الخلافة الإسلامية العثمانية، القومية الطورانية داخل تركيا ؛ والقومية العربية داخل البلاد العربية .

---

[1]) الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤ ـــ ١٩١٤م) ، ص ١٦٨ ، د. محمد أنيس ؛ تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط ، ص ١٤٣ ـــ ١٤٤ ، وديع أبو زيدون ، الدولة العثمانية (عوامل النهوض وأسباب السقوط) ؛ ص ٢٨٠ ـــ ٢٨٣ ، د. علي محمد الصلابي .

[2]) الدولة العثمانية (عوامل النهوض وأسباب السقوط) ؛ ص ٢٨٣ ، د. علي محمد الصلابي .

[3]) الدولة العثمانية (١٧٠٠ ـــ ١٩٢٢م) ص ١٦٤ ، دونالدكواترت ، تعريب : أيمن أرمنازي .

ولا شك أن إشاعة العصبية القومية كان هدفاً أساسياً للصليبية الغربية؛ فلدولة الخلافة الإسلامية العثمانية لو بقيت على ما هي عليه من تجميع أقوام عديدين في وحدة متماسكة متينة على أساس دين واحد وهو دين الإسلام، والذي يرى أن الجهاد في سبيله، والدعوة إلى اعتناقه من أساسياته يصعب والحال هذه أن تنتصر الدول الصليبية الغربية على المسلمين .

لذلك أصبح تفتيت هذا الكيان المتماسك والمؤسس على ولاءٍ واحد وهو العقيدة الإسلامية (لا إله إلا الله) مطلباً أساسياً وضرورياً للدول الصليبية خاصة وأنه دخل معها في نفس الأمنية اليهودية العالمية .

وليس هناك أجدر لتفتيت هذا الكيان الموحد من الدعوة إلى القوميات المختلفة التي يجمعها، فإن فكرة القوميات تشتت وحدته وتمزق قوته بذهاب كل قوم بقوميتهم؛ فتعددت بذلك الولاءات بدلا من توحيدها في ولاء واحد تحت راية الإسلام (لا إله إلا الله محمد رسول الله) .

ولو نظرنا إلى القومية العربية مثلا لوجدنا أنها ولدت من رحم غير إسلامي ، فأوائل دعاتها كانوا من غير المسلمين ، بل كانوا من النصارى لتنفيذ المخطط النصراني الصليبي العالمي والمشترك مع اليهودية العالمية ضد الخلافة الإسلامية وتفتيتها .

بدأت ((فكرة القومية العربية ببداية فترة المدارس التبشيرية (التنصيرية) والجمعيات الأدبية والعلمية النصرانية سنة ١٨٣٤م إلى سنة ١٨٦٨م على أيدي النصارى ، ونصارى العرب هم أول من حمل فكرة القومية العربية ونشرها لمصلحتهم ولغبن المسلمين ومضرتهم))[1] .

يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في بيان خطورة هذه الفكرة : ((إن الدعوة إلى القومية العربية تفرق بين المسلمين ، وتفصل بين المسلم العجمي عن أخيه العربي ، وتفرق بين العرب أنفسهم لأنهم كلهم ليسوا يرتضونها...، وأنها سلم إلى موالاة كفار العرب وملاحدتهم من أبناء غير المسلمين واتخاذهم بطانة والاستنصار بهم على أعداء القوميين من

[1]) فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام ، ص ١٤٤ ، د. صالح بن عبد الله العبود .

المسلمين ...، وأن الدعوة إليها والتكتل حول رايتها يفضي بالمجتمع ولا بـد إلى رفـض حكم القرآن ، لأن القوميين غير المسلمين لن يرضوا تحكيم القرآن ، فيوجب ذلك لزعماء القومية أن يتخذوا أحكاماً وضعية تخالف حكم القرآن حتى يستوي مجتمع القومية في تلك الأحكام))[١] .

ويرى بعض المؤرخين أن الذي ساعد على نجاح القومية العربيـة ظهـور القوميـة الطورانية في تركيا، وعداؤها لمقومات الخلافة الإسلامية العثمانية ؛ ومن أهمها عـداؤهم للغة العربية ، والتي استمرت اللغة الرسمية في الخلافة الإسلامية العثمانية بوصفها لغة القرآن الكريم حتى أواخر عهدها حين عمد الاتحاديون ـــ أصحاب جمعية الاتحـاد والترقـي أو تركيا الفتاة ـــ الذين تسنّموا عرش الدولة العثمانية إلى تتريك كل الـشعوب الخاضـعة للدولة ؛ ومن أهمها الشعب العربي ، فجعلوا التركية اللغة الرسمية ، وجعلوا من شروطهم فيمن يتولى أعمال الدولة أن يكون على معرفة باللغة التركية، وهذا نص أحد قوانينهم في ذلك : ((يشترط على التبعة العثمانية معرفة التركية التي هي اللغة الرسمية لأجل تقاليـد مأموريات الدولة)) .

وزاد الاتحاديون المشبوهون على ذلك فسلبوا اللغة العربية الروافد التي كانت تمـدها فأغلقوا المدارس ، واستولوا على الأوقاف ، التي كانت محبوسة عليها ؛ ولم يبق في هـذا الظلام نور ينبثق من الجوامع والمعاهد في العواصم الإسلامية [٢] .

فكان لهذا الاتجاه التعصبي الذي سلكه الاتحاديون الأتراك ـــ والذين نشأوا على أعين يهودية وصليبية عالمية لهدف تفتيت الخلافة الإسلامية العثمانية الموحّدة ـــ رد فعل سـيء لدى الشعوب العربية الإسلامية الأخرى والذين رفضوا محاولة التتريك هذه .

((وقد ساعد ذلك على إذكاء الروح القومية بين العرب ، خاصة في الوقت الـذي ظهرت فيه نهضة فكرية ثقافية عربية ، استهدفت تبصير العرب بتاريخهم وأمجادهم ـــ قبل البعثة النبوية والإسلام ودعوتهم إلى التمسك بأهداب قوميتهم))[٣] .

---

[١]) نقد القومية العربية ، ص ٨ ـــ ٢٦ ، سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز .
[٢]) صحوة الرجل المريض أو (السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية) ؛ ص ٢٠٠ ، د. موفق بني المرجة .
[٣]) تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، ص٣٤٣، د. حلمي محروس إسماعيل .

فكيف للخلافة الإسلامية العثمانية ــ والتي تحوّلت بفعل أيدٍ خفية ماكرة حاقدة على الإسلام والمسلمين إلى دولة تركية علمانيّة تحاول التسلط على الشعوب التي تحكمها ليس باسم الإسلام ولكن باسم قوميتهم الخاصة (التركية) ــ أن تبقى سداً منيعاً ضد الصليبية العالمية وأطماعها في هدم الإسلام وإذلال المسلمين ونهب بلادهم بشكل عام وأراضيهم المقدسة بشكل خاص ؟! هيهات .

ثم لو نظرنا إلى الكشوفات الجغرافية والتي قامت بها البحرية الصليبية ــ خاصة التابعة للبرتغال وإسبانيا ــ لوجدنا أنها أعادت الروح الصليبية جذعة للبابوية والدول الغربية .

وكان من أهم أهداف هذه الكشوفات البحرية بالنسبة للصليبية، هي :

١) تطويق العالم الإسلامي والالتفاف على الخلافة الإسلامية وإضعافها تمهيداً لضربها من الداخل وتمزيق الأمة الإسلامية المترامية الأطراف براً وبحراً .

٢) البحث عن طريق تجاري لا يمر بديار يتحكم فيها المسلمون لضربهم تجارياً واقتصادياً مما يؤدي في المستقبل إلى ضعفهم عسكرياً .

٣) نشر النصرانية في تلك البلاد المكتشفة ، وتوسيع نطاق الدعوة إلى النصرانية ، ليتمكنوا من مواجهة الأمة الإسلامية سريعة الانتشار [1] .

لذلك عندما ظهرت هذه الكشوف الجغرافية بالنسبة للنصارى فرحت بها البابوية فرحاً شديداً واهتمت بمعاونة الدول التي برعت فيها وهي البرتغال والأسبان ومكافأتها، فقد أصدرت البابوية مراسيم عديدة تُخوِّل ملوك البرتغال وإسبانيا الحق في ملكية كل إقليم جديد، كما أنّ البابويّة وصفت في مراسيمها الإسلام بأنه طاعون، وطالبوا ببذل الجهود لتنصير سُكان المناطق التي أُكتشِفت والتي ستُكتشف فيما بعد، والحيلولة بينهم وبين إصابتهم بطاعون الإسلام ــ على زعمهم ــ كما أن البابوية أصدرت وعوداً بالعفو والمغفرة يوم القيامة للمشاركين في هذه الرحلات الكشفية [2] .

كما أن البابا نيقولا الخامس (١٤٤٧م ــ ١٤٥٥م) أشرف بنفسه على خطة تُنفّذ

---

[1]) الكشوف الجغرافية، دوافعها وحقيقتها، ص٢٤ ــ ٢٥، محمود شاكر، حاضر العالم الإسلامي ، ص٧٩، د. جميل عبد الله المصري ، الاستعمار في جنوب شرقي آسيا ، ص ٣٣ ، د. فايز صالح أبوجابر .

[2]) واقع العالم الإسلامي ، ص ١٩٠ ، سعيد عبد الحكيم زيد .

مع الكشوف الجغرافية لضرب المسلمين ضربة أخيرة، والقضاء على الإسلام قضاءً مبرماً، كما أنه أرسل مرسوماً بابوياً إلى ملك البرتغال في عام ١٤٥٤م تضمن ما يُعرف باسم (خطة الهند) تقوم على إعداد حملة صليبية نهائية تشنها أوروبا الكاثوليكية على الإسلام، كما أنه اتصل بملوك الدول الأوروبية يطالبهم بتمويل الحملة الصليبية البرتغالية بالأموال والرجال والعَتاد ليتم تطويق البلاد الإسلامية بنجاح .

ثم إنّ بابا روما اسكندر السادس (١٤٩٢ ـ ١٥٠٣م) في عام ١٤٩٤م ـ ٨٩٤هـ، عمد في احتماع صليبي إلى خريطة للكرة الأرضية، ورسم فيها خطّاً رأسياً يقطع المحيط من الشمال إلى الجنوب ، لتوزيع الأراضي بين المكتشفين الأوروبيين وفي ذلك الوقت كان التنافس على أشده بين أسبانيا والبرتغال، فأقام البابا اسكندر السادس بينهما معاهده في عام ١٤٩٤م عرفت بمعاهدة توردسيلاس[1] .

فانطلقت الدول الصليبية في الكشوفات الجغرافية البحرية بإذن وشد أزر من البابوية الحاقدة على الإسلام والمسلمين؛ لتطويق الأمة الإسلامية وإضعاف قوتها عسكرياً واقتصادياً ونشر النصرانية .

يقول القائد الصليبي البحري (البوكرك) ـ الذي خلف فاسكودي جاما ـ والذي كان السبب في توطيد دعائم الإمبراطورية البرتغالية ـ : إنه يريد إنجاز مشروعين من مشروعاته قبل موته ، وهما :

١) تهديم المدينة المنورة في شبه جزيرة العرب ، ونبش قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأخذ كنوزه حيث كان يتصور أن ضريحه مليء باللآلي والمجوهرات شأن الفاتيكان ، وسرقة رفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وجعلها رهينة حتى يتخلى المسلمون عن الأماكن المقدسة في فلسطين .

٢) تحويل مياه نهر النيل إلى البحر الأحمر ليحرم مصر من ري أراضيها، ومن المعلوم أن مصر كانت في ذلك الوقت من أهم الدول الإسلامية .

وقد ألقى البوكرك هذا خطابا يقطر حقداً على المسلمين قبل هجومه الثاني على مدينة

---

[1]) واقع العالم الإسلامي ، ص ١٩٠ ـ ١٩١ ، سعيد عبد الحكيم زيد ، حاضر العالم الإسلامي ، ص ٨٢ ـ ٨٣ ، د. جميل بن عبد الله المصري .

ملقا في شبه جزيرة الملايو عام ٩١٧هـ / ١٥١١م « جاء فيه : ((الأمر الأول هو الخدمة الكبرى التي سنقدمها للرب عندما نطرد المسلمين من هذه البلاد ، وتخمد نار هذه الطائفة المحمدية « حتى لا تعود للظهور بعد ذلك أبداً ، وأنا شديد الحماسة لمثل هذه النتيجة ... إذا استطعنا تخليص ملقا من أيديهم فستنهار القاهرة، وستنهار بعدها مكة))[1].

وقد فتح المجالَ لهذه الكشوفات الجغرافية وتجديد الأطماع الصليبية نشاطُ فاسكو دي جاما عام ١٤٩٧م (أستاذ البوكرك) والذي اكتشف رأس الرجاء الصالح عام ٩٠٣هـ / ١٤٩٧م ووصل موزمبيق شمالاً وممبسه وماليندي في عدة موانئ أخرى، وقد تفاجأ هذا الصليبي فاسكو دي جاما أن هذه الموانئ جميعها موانئ إسلامية مما ألهب حقده الصليبي على الأمة الإسلامية، وقد أغرى هذا الصليبي البرتغالي دي جاما حاكمَ ماليندي بالمال فأمده بملاح مسلم عربي هو شهاب الدين أحمد بن ماجد ليساعده في رحلته الاستكشافية الحاقدة على الأمة الإسلامية في غفلة من المسلمين، خاصة الملاح المسلم ابن ماجد الذي كان من المفترض أن يكون واعياً لما يُخطط له الصليبي الحاقد فاسكو دي جاما، ولكن سبحان الله .

لما وصل دي جاما إلى الهند بمساعدة ابن ماجد تفاجأ هذا الصليبي أن المحيط الهندي آنذاك كان بحراً إسلاميا خالصا؛ فأزداد حقده الصليبي على الأمة الإسلامية وتفوقها .

في إحدى رحلاته أغرق سفينة في خليج عمان تنقل الحجاج من الهند إلى مكة « وعلى ظهرها مائة حاج حيث أعدمهم جميعاً، وعندما نزل إلى مدينة كيلوا في شرق افريقيا هدّم ثلاثمئة مسجد كان في المدينة[2] .

فكانت رحلات فاسكو دي جاما صليبية واضحة ، تتخفى وراء العلم والاستكشاف فقد قال عندما وصل كاليكوت (مالقيوط) : ((الآن طوقنا رقبة الإسلام، ولم يبق إلا

---

[1]) الكشوف الجغرافية، دوافعها وحقيقتها، ص ٢٨ ــ ٢٩ ، محمود شاكر ، واقع العالم الإسلامي، ص ١٩٤، سعيد عبد الحكيم زيد .

[2]) الكشوف الجغرافية دوافعها وحقيقتها « ص ٢٦ ــ ٢٧ « محمود شاكر ، واقع العالم الإسلامي ، ص ١٩٢ ــ ١٩٣ ، سعيد عبد الحكيم زيد .

جذب الحبل فيختنق))[1] .

يقول المؤرخ الإنجليزي (برِستاج) : ((إن الهدف الرئيسي لرحلة (داجاما) والذين مولوا اكتشافاته أن يواصلوا الحروب الصليبية ضد العرب ، ويثني جناح دار الإسلام استراتيجياً واقتصادياً ويتصل بدولة الأحباش المسيحية بحلفٍ معها يُهاجم العالم العربي الإسلامي من الجنوب وتغتصب تجارة البهارات في جزر الهند الشرقية من العرب ويُسيطر على المحيط الهندي))[2] .

وقد أعلن ملك البرتغال في ذلك الوقت عمانوئيل الأول عن أهداف الحملات البرتغالية : ((إن الغرض من اكتشاف الطريق البحري إلى الهند هو نشر النصرانية والحصول على ثروات الشرق))[3] .

ويظهر الحقد الصليبي جليّاً على الأمة الإسلامية في الرسائل المتبادلة بين ملك البرتغال عمانوئيل الأول وملكة الحبشة النصرانية إليني .

جاء في إحدى هذه الرسائل من الحبشيّة إلى البرتغالي قولها : ((باسم الله والسلام على عمانوئيل سيد البحر وقاهر المسلمين القساة الكفرة ، تحياتي إليكم ودعواتي لكم ، لقد وصل إلى مسامعنا أن سلطان مصر جهز جيشا ضخما ليضرب قوتكم ويثأر من الهزائم التي ألحقها به قوادكم في الهند[4] ، ونحن على استعداد لمقاومة هجمات الكفرة بإرسال أكبر عدد من جنودنا في البحر الأحمر وإلى مكة أو جزيرة باب المندب، وإذا أردتم نسيّرها إلى جدة أو الطور ـ طور سيناء ـ، وذلك لنقضي قضاءً تاماً على جرثومة الكفر، ولعله قد آن الوقت لتحقيق النبوءة القائلة بظهور ملك مسيحي يستطيع في وقت قصير أن يبيد الشعوب الإسلامية المتبربرة))[5] .

ولم تكن الروح الصليبية أقل ظهوراً عند الأسبان منهم عند البرتغاليين ـ أقوى دولتين

---

[1]) واقعنا المعاصر ، ص ١٨٩ ، محمد قطب ، حاضر العالم الإسلامي ، ص ٨٢ ، د . جميل عبد الله المصري .

[2]) الاستعمار في جنوب شرقي آسيا ، ص ٣٣ ، د. فايز صالح أبو جابر .

[3]) الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ، ص ١٩٣ د. علي محمد الصلابي .

[4]) تعد ملكة الحبشة النصرانية المسلمين في مصر والهند أمة واحدة وهذا شيء طبعي؛ فرابط العقيدة هو الأصل.

[5]) الكشوف الجغرافية دوافعها و حقيقتها ، ص٣١ ، محمود شاكر، واقع العالم الإسلامي، ص ١٩٤ ـ ١٩٥، سعيد عبد الحكيم زيد .

صليبيتين تمتلكان أسطولاً بحريا في تلك الأوقات ــ فقد تلقى الأسبان المساعدات من أوروبا، حيث نجد معظم ملاّحيها ليسوا من الأسبان، وإنما من باقي دول أوروبا التي كانت تمدهم بكامل إمكاناتها حيث كانت أسبانيا على تماس مباشر مع المسلمين وفي حرب دائمة معهم .

وكانت مهمة الأسبان الالتفاف على المسلمين من ناحية الشرق، بينما كانت البرتغال قد تحركت نحو الجنوب لإتمام عملية التطويق[1] .

((أعطت أسبانيا المعلومات اللازمة لبحارتها القادمين إليها من بقية الدول الأوروبية ، والمدربين على القتال في مدارس خاصة ، وقد شُحنوا حقداً على المسلمين ، ومُلئوا غيظاً من ضلال معلومات التاريخ التي ألقيت عليهم مشوّهة مغلطة))[2] .

فهذا الملاح الجنوي (خرستوف كولومبس) الذي يعمل لصالح الدولة الإسبانية ابتدأ عام ٨٩٨هـ / ١٤٩٢م رحلاته الاستكشافية عابراً مضيق جبل طارق والمحيط الأطلسي، واستطاع أن يصل إلى الشواطئ الشرقية لآسيا ثم وصل إلى جزر البحر الكاريبي الذي اعتقد أنها جزء من ساحل الهند ، بيّن الملاح الذي أبحر بعده وهو (أمريكو فسبوتشي) الفلونسي الأصل والذي يعمل لصالح الأسبان أن هذه الأرض التي أكتشفها كولومبس ليست هي ساحل الهند إنّما هي أرض جديدة عُرفت بعد ذلك باسمه (أمريكا) وكان ذلك في ٩٠٧هـ / ١٥٠١م .

فكان كولومبس يُعلن في رحلاته أنه يستخدم ثروات الشرق التي ستقع بين يديه لاستخلاص بيت المقدس من أيدي المسلمين[3] .

---

[1]) الكشوف الجغرافية ، ص ٣٢ ، محمود شاكر .

[2]) المرجع السابق ، ص ٣٣ ، محمود شاكر .

[3]) التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا ، ص ٤٧ ، أ. د. عبد الحميد البطريق ، و د. عبد العزيز نوّار ، حاضر العالم الإسلامي ، ص ٨٢ ، د. جميل عبد الله المصري .

وذكر المؤرخ العلامة محمود شاكر في كتابه (الكشوف الجغرافية) أن المسلمين عرفوا أمريكا ووصلوا إليها قبل أن يصل إليها الملاح الصليبي الجنوي الإسباني خرستوف كولومبس ، ومن الأدلة في ذلك :

١)جاء في مجلة المقتطف ١٣٤٥هـ شهر آب ١٩٢٦م مقالة ملخصة عن مقالة ليرتن كلين في مجلة (العالم اليوم) (word to day) ١٣٤٥هـ شهر شباط ١٩٢٦م، ويتكلم فيها عن كتاب عنوانه إفريقية وكشف أمريكا=

وهذا ماجلان الملاّح الصليبي الآخر ـ برتغالي الأصـل ـ عمـل لـصالح الـبلاط

=لمؤلفه ليوفينر » ويذكر فيها أن كلمات عربية موجودة في لغات هنود أمريكا ، ويقول المؤلف : إن أقدم هـذه الكلمات يعود لعام ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م أي قبل قرنين من وصول كولومبس إلى أمريكا ، وقال أيضا : إن هناك بعض العمران العربي مثل بناء الأزد وبناء المابة .

٢)جاء في مجلة المقتطف أيضا عام ١٣٦٥هـ عدد شباط ١٩٤٥م مقال لا نستاس الكرمي يقول فيه : ((وقد اتجهت بعض الأبحاث العلمية الحديثة إلى القول بأن المسلمين عرفوا أمريكا قبل كولومبس » وأشار أصحاب هذه النظرية إلى وجود كلمات عربية في لغة هنود أمريكا ، وإلى أن كولومبس وجد في رحلته الثالثة زنوجاً وذهباً إفريقياً في جزر الهند الغربية (أمريكا) » وأن مدنية بعض الجماعات الهندية الغربية في أمريكا تشبه المدنية الإسلامية إلى حد كبير))، ولربما كان التشابه هو الذي جعل كولومبس يظن أنه وصل إلى جزر الهند .

٣)أكد الدكتور هوي لزلي أستاذ علم النبات بجامعة بنسلفانيا وهو من أصل صيني » أكد في محاضرة ألقاها في الجمعية الشرقية الأمريكية في مدينة (فيلادلفيا) ــ وقد استند في بحثه إلى وثائق محفوظة في الصين، ويعود عهدها إلى القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ــ أن المسلمين قد وصلوا إلى السواحل الشمالية لأمريكا الجنوبية من الطرف الغربي للعالم الإسلامي وبالتحديد من الدار البيضاء ، وقد وصل الدكتور هوي لزلي إلى هذا الرأي بعد أن أنفق ثمانية أعوام في تتبع انتشار المحاصيل الزراعية والحيوانات في شتى أنحاء العالم .

وقد أيد هذه النظرية كل من الدكتور (لين شنج يانج) أستاذ التاريخ واللغة الصينية بجامعة هارفارد ، والدكتور (ريتشارد رودلف) رئيس المؤتمر المذكور » وقال : ((والآن ينبغي على الأساتذة العرب أن يتابعوا دراسة تاريخهم وليبدأوا من هذه المنطقة)) .

٤)عثر مدير متحف البرازيل قبل نهاية القرن التاسع عشر على صخرة إلى جوار مدينة ريودي جانيرو ، عليها نقوش قريبة الشكل من الحروف العربية القديمة .

٥)يقول رفيق العظم : ((وصل المسلمون إلى أمريكا قبل معرفتها من قبل الأوروبيين بأزمنة طويلة فقد أخبرني ثقة أنه بينما كان جالسا يوما مع جماعة من الأفاضل عند الدكتور فانديك الشهير في بيروت، جاءه البريد ففتحه، وأخذ يتصفح الكتب، فأظهر من واحد منها اندهاشا عظيما، ثم أبرز للجماعة صورة فوتوغرافية وردت ضمن ذلك الكتاب » فإذا بها رسم محراب اكتشف في إحدى الخرائب في أمريكا وعليه آيات قرآنية مكتوبة بالخط الكوفي القديم)) .

كل هذا يدل على أن المسلمين قد وصلوا إلى أمريكا قبل معرفة الأوروبيين لها بفترة طويلة وأنهم قد أثّروا فيها، ونشروا دينهم وحضارتهم » وأن الصليبيين قد أبادوا المسلمين ، وطمسوا كل آثارهم تقريبا » وما اكتشف منها الآن فهو ضمن خرائب فعلتها أيديهم .

وأمام هذا علينا أن نطلق كلمة التوسع الأوروبي في أمريكا وجنوب أفريقية بدلاً من كلمة الكشوف الجغرافية ، وآثار ذلك التوسع بدلاً من آثار الكشوف .

انظر : الكشوف الجغرافية دوافعها وحقيقتها ، ص ٥١ ــ ٥٥ ، محمود شاكر ، واقع العالم الإسلامي » ص ١٩٧ » سعيد عبد الحكيم زيد .

الأسباني ، غادر اشبيلية في أيلول ٩٢٦هـ / ١٥١٩م ، وطاف حول أمريكا الجنوبية ، ومرّ من أقصى جنوبها من ممر أرض النار الذي عرف فيما بعد باسم مضيق ماجلان ودخل المحيط الهادي ، ووصل أخيراً إلى جُزر عرفت فيما بعد باسم جزر الفلبين تخليداً لملك أسبانيا آنذاك فيليب الثاني .

وما أن وصل ماجلان إلى تلك الجزر ، حتى فاحت رائحته الصليبية وملأت الجو بحقدها البغيض الذي يحمل معه روائح جثث الموتى الكثيرة التي لاقى أصحابها حتفهم بأيدي الصليبية .

اتفق ماجلان مع ملك إحدى الجزر وتُسمى (سِبُو) ويدعى (هومابون) أن يساعده في إخضاع باقي الجزر تحت ملكه ، وتكون جميعا تحت التاج الإسباني على أن يدخلوا جميعاً في الديانة الكاثوليكية فوافق (هومابون) .

ولكن ماجلان اصطدم بملك مسلم يدعو (لابو لابو) ملك جزيرة (مَكْتَامْ)، فلمّا علم ماجلان أنه من المسلمين ثار حقده الصليبي وصب جامّ غضبة على السكان المسلمين، فأمر جنوده الصليبيين بمطاردة النساء المسلمات، وسطوا على طعامهم وأضرموا النار في أكواخهم فرأى ماجلان الفرصة مناسبة لإظهار قوته وأسلحته الحديثة للقضاء على المسلمين وترهيب بقية أمراء الجزر الأخرى، فتقابل مع الجيش الإسلامي البدائي وتحدث مع ملكهم (لابو لابو) قائلا :((إنني باسم المسيح أطلب إليك التسليم، ونحن العِرق الأبيض أصحاب الحضارة أولى منكم بحكم هذه البلاد))، فأجابه السلطان المسلم: ((إن الدين كله لله ، وإن الإله الذي أعبده هو إله جميع البشر على اختلاف ألوانهم)) ، ثم هجم على ماجلان ، وقتله بيده ، وشتت شمل جنوده الصليبيين ، ورفض تسليم جثته للأسبان ، ولا يزال قبره هناك في جزيرة (سيبو) شاهداً على ذلك[1] .

فأرسلت الدولة الإسبانية حملات صليبية لتلك الجزر انتقاماً من المسلمين واحتلالاً لها،

---

[1] ام لكشوف الجغرافية ، دوافعها وحقيقتها ، ص ٣٤ــ٣٧ ، محمود شاكر ، واقع العالم الإسلامي ، ص ١٩٥ ، سعيد عبد الحكيم زيد ، الاستعمار في جنوب شرقي آسيا ، ص ٣٧ ـــ ٣٨ ، د. فايز صالح أبو جابر .
وللأسف ، فإن مقررات التاريخ في الدول العربية الإسلاميّة لا تذكر هذه الحادثة أبدا عند ذكرها لموت ماجلاّن ، بل إنها تدّعي أنه قُتل أثناء حرب أهليّة قامت في الفلبين أراد الإصلاح فيها .

وتركّزت تلك الحملات الصليبية الأسبانية وتتابعت منذ عام ١٥٦٥م .

وقد كان الإسلام قد تأصل دينياً هناك، وخاصة في الجزر الجنوبية مثل جزيرة (بَلَوان) وجزيرة (منْدَنَاو) الكبيرة الحجم وأرخبيل جُزر سُولُوا إلى الغرب منها، وقد دامت الحرب الصليبية الإسبانية على المسلمين هناك أكثر من مائة عام، شابهت حروبهم مع العرب المسلمين في الأندلس، ولهذا ألقوا على المسلمين هناك اسم ((المُورْ)) وكأنهم أيضاً عرب، وما زال هذا الاسم ((المور)) يطلق على الأقلية المسلمة التي تسكن الجزر الجنوبية والتي نجت من الهلاك على أيدي الأسبان من قبل ومن الحكومات الفلبينية الكاثوليكيّة فيما بعد[1] .

فكان من نتائج هذه الرحلات الصليبية الاستكشافية أن الملوك الكاثوليك عملوا على تثبيت ملكيتهم لهذه الأراضي الجديدة، يقول المؤرخ النصراني فيشر : ((لا يمكن القول بأن الدافع لاكتشاف العالم الجديد لا يتعدى الرغبة في الحصول على التوابل والذهب، إذ اختلطت المشاعر الدينية بالمطامع الاقتصادية، ففي الفاتيكان ــ وخصوصاً لدى الفرنسسكان الذين كانت مشروعاتهم التبشيرية تمتد إلى العالم بأسره ــ كانت مشروعات البرتغال والإسبان تثير أكبر قسط من الاهتمام ؛ لا لأنها ستكون وسيلة إلى تنصير الوثنيين فحسب ؛ بل ستفضي أيضا إلى شن هجوم على المسلمين من ناحية الشرق ، وكان المعروف أن نجاشي الحبشة مسيحي ، وكان المعتقد أنه لا تزال توجد في الهند نتيجة لبعثة القديس ثوما ؛ دولة مسيحية يحكمها عاهل يُعرف بالخان الأكبر ، وكان يداعب أوروبا الكاثوليكية أمل كبير في أن تتلقى من هؤلاء الملوك المسيحيين الشرقيين البعيدين مساعدة فعّالة في حرب صليبية ضخمة أخيرة تشنها على المسلمين، تلك هي الخطة التي رسمها البابا نيقولا الخامس منذ عام ١٤٥٤م في مرسوم بابوي أرسله إلى ملك البرتغال))[2].

وهكذا طمع الصليبيون بعد أن أحاطوا بالعالم الإسلامي ، بوصول ماجلان إلى الفلبين شرقاً ؛ ملتقياً النفوذ الإسباني بالبرتغال في أقصى المشرق من العالم الإسلامي ، فحاولت

---

[1]) الاستعمار في جنوب شرقي آسيا ، ص ٣٨ ؛ د. فايز صالح أبو جابر .

[2]) التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا ؛ ص ٦٠ ، ا. د. عبد الحميد البطريق و د. عبد العزيز نوار .

البرتغال ثم إسبانيا ثم فرنسا من أتباع الكنيسة الكاثوليكية ــ ثم دخل مع الكاثوليك في خط الصليبية وتزعمها سياسياً بعد ذلك إلى يومنا هذا البروتستانت ابتداءً بإنجلترا ثم أمريكا، بضرب العالم الإسلامي من داخله، وقد نجح كثير من خطواتهم في ذلك، حاولت الدول التابعة للبابوية الكاثوليكية ــ في قرون مضت ــ بعدما أحاطوا بالأمة الإسلامية بالاتصال مع الحبشة الأرثوذكسية ، للقيام بغزو بحري إلى كل من موانئ عصب، ومصوع، وسواكن، على أمل غزو الحجاز، وهدم قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وبالفعل قامت البرتغال بحملة دخلت البحر الأحمر، ووصلت إلى ينبع، وتحطمت إثر عاصفة هوجاء ، وأمام هذا التحدي الصليبي عجز المماليك عن مواجهتهم؛ لذلك توجه السلطان سليم العثماني إلى الشام ٩٢٢هـ / ١٥١٦م، فضمها إلى الدولة العثمانية ، ثم ضم مصر عام ٩٢٢هـ / ١٥١٧م، وامتدت الدولة العثمانية وانتصبت ترد كيد الصليبيين ، ولكن دون أن تستطيع استعادة سيطرة المسلمين على البحار [١] .

ثم إن البعوث الدينية التنصيرية سارت جنباً إلى جنب مع تلك الحركات الاستعمارية الاحتلالية [٢] .

فالحروب الصليبية والتنصير ــ والتي كانت ولا تزال يحمل التاريخ لنا صوراً منها ــ هي الدوافع الحقيقة الأولى وراء وصول العالم الغربي الصليبي إلى ما وصل إليه من اكتشافات جغرافية في تلك الأوقات .

ثمّ إذا نظرنا إلى الركن الثالث في الخطة الصليبية لتفتيت وحدة الأمة الإسلامية ــ وهو غزوها فكرياً ــ لوجدنا العجب العجاب في تضافر الصليبيين في هذه المسألة، والتي أتت بنتاجها في تشتيت وحدة المسلمين وتفرق كلمتهم واختلاف توجهاتهم وتصوراتهم ليس في مواجهتهم مع الغرب الصليبي النصراني فحسب بل حتى في تمسكهم بالعقيدة الإسلامية [٣] .

ولا شك أنه كان للغزاة فكريا ــ أقصد بهم المستشرقين من مستشاري وزارات

---

[١]) حاضر العالم الإسلامي ، ص ٨٥ ، د. جميل عبد الله المصري .

[٢]) وهذا ما سيمر معنا دراسته في فصل التنصير في هذا البحث ــ إن شاء الله ــ .

[٣]) وهذا ــ إن شاء الله ــ ما سأفصّل فيه القول في فصل الغزو الفكري من هذه الرسالة .

المستعمرات أو الخارجية أو الحربية أو من المستشرقين المستقلين الذي دفعتهم صليبيتهم الحاقدة في كره الإسلام والمسلمين ــ الجزء الأكبر في دفع الروح الصليبية الحربية (الاستعمارية) للجنود الصليبيين .

ومن هؤلاء المستشرقين الحاقدين على الأمة الإسلامية المستشرق الفرنسي (هانوتو) مستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في مطلع القرن الماضي الذي كتب مقالاً نشرته صحيفة (المؤيد) الصادرة آنذاك ومما جاء فيه :

١) أنه ليس للمسلمين أصالة في الثقافة وليست لهم قيم ذاتية .

٢) على المسلمين أن يأخذوا بالحضارة الأوروبية الآريّة المسيحية .

٣) الخطر كمين في اتحاد المسلمين ضد الأوروبيين؛ فديار المسلمين يعتبرها ((دار حرب)) ؛ فالخطر في الداخل والخارج .

كما يعيد هذا المستشرق الفرنسي إلى الأذهان بواعث الحروب الصليبية محرّضاً على استرداد بيت المقدس من المسلمين الذين ينعتهم بالبرابرة؛ ولهذا لم يكن مُستَغرباً موقف القائد العسكري البريطاني اللنبي في القدس، والقائد العسكري الفرنسي غوردو في دمشق إزاء التعبئة النفسية الصليبية الحاقدة التي شحنت بها نفوس جنود الاحتلال الصليبي ضد المسلمين، إضافة إلى الموروثات الصليبية الحاقدة كقصيدة (رولان) الشهيرة التي يقول فيها : ((إن فرسان شارلمان قد أسقطوا الأصنام الإسلامية))[1] .

ونتيجة لبعد المسلمين عن الإسلام وظهور الأفكار الغربية إما الصليبية أو الإلحادية بين المسلمين ، وعودة الطلبة من أبناء المسلمين المبتعثين إلى الجامعات الغربية خاصة الفرنسية إلى ديارهم الإسلامية وقيامهم بنشاط ملموس ومدعوم من الدول النصرانية الصليبية لمحاولة التوفيق بين الإسلام والحضارة الغربية ، أي تمييع المفاهيم الإسلامية ونقل الحضارة الغربية الصليبية إلى أبناء المسلمين، مع تكالب الغرب الصليبي عسكرياً على الخلافة الإسلامية العثمانية وإضعافها عسكرياً، ابتدأ من ذلك الوقت ــ منتصف القرن الثاني عشر الهجري، (منتصف القرن الثامن عشر الميلادي) ومطلع القرن الثالث عشر الهجري (القرن التاسع

---

[1]) صحوة الرجل المريض ، ص ٢٦١ ، د. موفق بني المرجه .

عشر الميلادي) ـــ عهد الحروب الصليبية الجديدة على العالم الإسلامي ، والذي سُـمِّي بالاستعمار ـــ وذلك تزويرا للتاريخ ـــ ؛ أي دخول الدول الصليبية إلى العالم الإسـلامي بقصد إعماره والعمل على تطويره على ما يزعمون !

بدأت الحروب الصليبية الحديثة (الاستعمار) وهي أشدُ خُبثاً وأدهى مكراً؛ فقـد أراد المحارب الصليبي الحديث أن يقنع المسلم المحتلة أراضيه أنه أنفع له من نفسه تقدماً وحضارةً ومعيشةً فإذا أراد أن يعيش عيشة حضارية مرَفهة فعليه أن يتبع هذا الـصليبي في أقوالـه وأفعاله فإن لم يرض بدينه النصراني فلا أقل من أن يرتضي بتوجهاته في الحيـاة أخلاقيـاً وفكرياً ويرضى بنظرياته وفلسفاته الحياتية .

وبهذا تركت الحروب الصليبية الحديثة (الاستعمار) كثيراً من المجتمعات الإسـلامية في عاداتها وتقاليدها مسخاً بعيدةً عن المنهج الإسلامي في كثيرٍ من أُمور الحياة من التحـاكم بغير شرع الله ، والخلل في عقيدة الولاء والبراء ، والتعامل مع الكفار خاصـة إذا كـان نصرانيا صليبيا، ونزع حجاب المرأة ، و عدم الغَيرة على الأعراض والمحـارم ، والتعامـل بالربا بشكل رسمي ومحمي من الحكومات ، وغيرها من أمور أتت بها المجتمعات الإسلاميّة على شكل مخالف لما أتى به المنهج الإسلامي وذلك بفعل مكر الصليبي الخبيث وعلى رأس تلك الأمور زلزلة العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين، نـسألُ الله أن يعيـدنا ويُعيـدَ المجتمعات الإسلامية إليه عوداً حميداً ، آمين .

بدأت الدول الصليبية بحروبها الجريئة في العصر الحديث إلى قلب العالم الإسلامي بعـد ما بدأ الضعف والهُزال يدب في جسم الخلافة الإسلامية العثمانية، فكانـت أول الـدول الصليبية في تلك الخطوات هي الدولة الفرنسية عندما احتلت مصر وسوريا .

فقد تمكن الجيش الفرنسي بقيادة نابليون بونابرت من دخول الاسكندرية في ليلـة ٢ يولية سنة ١٧٩٨م / ١٢١٣هـ، ثم انطلق تجاه القاهرة، وفي يوم ٢٤ يولية دخل بونابرت بقواته القاهرة، واتخذ مقره في قصر محمد بك الألفي بالأزبكية، ووزع منشوراً أعده مـن قبل، أوضح فيه أسس سياسته إزاء الشعب المصري المسلم، وحاول إقناعهم أنّه إنما جـاء لتأديب حُكّامهم الظلمة، وأنه يكن المودة والاحترام للشعب المصري، وللإسلام ولحضارة مصر العظيمة، وأضاف بونابرت أنه يعتزم وضع أساس حكومة وطنيـة يـدير شـؤونها

(العلماء والفضلاء) وبذلك (تصلح أحوال الأمة كلها) ومما جاء في المنشور الفرنسي النابليوني : ((... يا أيها المصريون قد قيل لكم إنني ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم، فذلك كذب صريح، فلا تُصدقوه وقولوا للمفترين أنني ما قدمت إليكم إلاّ لأخلص حقكم من أيدي الظالمين))[١] .

كان الفرنسيون ـــ خاصة ـــ والغربيون ـــ عامة ـــ يُدركون أن السر في قوة المسلمين يتمثل في جانبين مهمين : الأول هو تمسكهم بدينهم الإسلامي ، والثاني : وحدة بلادهم في ظل حكومة إسلامية مطاعة مهابة .

فسعى رجال الحملة الفرنسية إلى زعزعة الدين في نفوس بعض الشيوخ وطلبة العلم الشرعي الإسلامي بعرض نماذج من الحضارة الغربية عليهم[٢] .

أما العامل الثاني وهو الرامي إلى تمزيق وحدتهم فقد بدا واضحاً في سعي الفرنسيين لتجنيد قوة مُسلّحة من نصارى مصر قادها معلمهم (يعقوب) لمساعدة الحملة في ضرب الثورة الشعبية الإسلامية التي قادها العلماء ، والوقوف أمام قوات الخلافة العثمانية الإسلامية[٣] .

كما أن الفرنسيين نجحوا في استثارة العناصر القبطية النصرانية في مصر على معاونة الحملة الفرنسية ضد أبناء وطنهم المسلمين المصريين ـــ مما يدل على سقوط ادعاء الوحدة الوطنية أمام العقيدة والدين في عرف النصارى ـــ فكونت فرقة عسكرية قبطية بقيادة النصراني القبطي (المعلم يعقوب) ـــ الذي يعده التاريخ المصري الحديث من أكبر من خانوا بلدانهم لصالح الأجنبي المعتدي ـــ وكانت هذه الفرقة القبطية ترتدي زيّاً مشابهاً لزي الجنود الفرنسيين ، وقلد الفرنسيون هذا القبطي (يعقوب) رتبة آغا ، ثم رتبة لواء (جنرال) ومنحوه رسمياً لقب القائد العام للفيالق القبطية بالجيش الفرنسي .

---

[١]) تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ، ص ١٠٥ ـــ ١٠٦ ، د. حلمي محروس إسماعيل .

[٢]) أي العمل على تأصيل حركة من حركتي الغزو الفكري (التغريب) ، فالغزو الفكري يقوم على حركتين : الاستشراق ، والتغريب ، فهما مرتبطان بالاستعمار ارتباطاً عضوياً ، وهذا ـــ إن شاء الله ـــ ما سأذكره في فصل الغزو الفكري من هذا البحث .

[٣]) الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ، ص ٣٢٧ ـــ ٣٢٨ ، د. علي محمد الصلابي .

ورغم المقاومة الشديدة والحركة الجهادية بقيادة علماء الأزهر إلا أن الفرنسيين تمكّنوا من احتلال مصر وعملوا فيها بوحشية كبيرة من سلب ونهب وقتل ، وانتهكوا الجامع الأزهر واقتحموه وقاموا بتمزيق المصاحف ...

وبعد احتلال القاهرة واصل نابليون احتلاله لبقية مدن مصر واحتل بعد ذلك غزة والرملة ويافا ، وقد حاول احتلال عكا ، ولكن يقظة أهلها بقيادة (أحمد باشا الجزار) حالت بين فرنسا وبين ما تشتهي [١] .

((كانت هذه الغزوة الفرنسية أول غزو أوروبي صليبي لولاية عربية من ولايات الدولة العثمانية في التاريخ الحديث ، وعلى الفور أعلن السلطان سليم الثالث الجهاد الديني ضد الفرنسيين الصليبيين (١٢١٣هـ / ١٧٩٨م) ، واستجاب لدعوته المسلمون في الحجاز والشام وشمال أفريقيا)) [٢] .

واللافت لنظر الصليبيين أنه رغم ضعف الدولة العثمانية وتسلط بعض حُكّامها في الآونة الأخيرة على بعض بلدان المسلمين ، إلا أنه ما زال الشعور الإسلامي متحد تحت ظل الخلافة الموحّدة وإن كانت هزيلة، وهذا ما اتضح لهم تماماً عندما احتلت الدولة الصليبية الكاثوليكية الكبرى فرنسا دولة مصر الإسلامية فهب لنجدتها كل المسلمين من الشام إلى الحجاز وأفريقيا بل إن الذي قتل قائد القوات الفرنسية المحتلة (كليبر) هو السوري سليمان الحلبي لهذا اجتمعت الدول الصليبية جميعها بقسميها (الكاثوليك والبروتستانت) لتفتيت الخلافة الإسلامية العثمانية إلى دول لها حدود وأعلام تُنادي بوطنيتها أكثر من إسلامها ، وتنادي بمصالحها الخاصة وتعمل في المقام الأول لها – إن لم يكن الأخير أيضاً في بعضها – فكان المؤتمر الصليبي الذي عُقد في فيينا عام ١٨١٥م [٣]، ثم تأكدت نتائجه في توزيع الدول الإسلامية على الدول الصليبية في المؤتمر الصليبي الذي

---

[١]) الدولة العثمانية ، ص ٨٦، د. جمال عبد الهادي وآخرون ، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ، ص ٣٢٨ – ٣٢٩ ، د. علي محمد الصلابي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ص ٣١٣ – ٣٢٨ ، د. أحمد شلبي ، تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ، ص ١٠٩ ، د. حلمي محروس إسماعيل .

[٢]) الدولة العثمانية ، ص ٨٦ ، د. جمال عبد الهادي وآخرون .

[٣]) تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر ، ص ١٣ ، د. أحمد إسماعيل راشد .

عُقد في برلين عام ١٨٨٤م ، والذي استمر عاماً كاملاً في مناقشاته وأُطروحاته بين الدول الصليبية[1] .

وكانت أكثر الدول الصليبية في تلك الفترة تهيؤاً للنزول إلى الميدان واحتلال أراضي المسلمين خاصة في أفريقيا ومنها إلى تطويق قلب العالم الإسلامي والوصول إلى الأراضي المقدسة في فلسطين ثم إلى الحجاز للقضاء على الأمة الإسلامية تماماً ـ وهذا أمل بابوي صليبي قديم ـ هي فرنسا حيث أنه كان لها منذ عام ١٩٣٣م مستوطنة عند مصب نهر السنغال اهتمت بالناحية التنصيرية وإرسال البعثات التنصيرية إلى تلك البلاد الإسلامية ومن أول الدول التي دخلت إليها هذه البعثات التنصيرية الفرنسية هي ساحل العاج منذ عام ١٦٣٧م[2] .

انطلقت فرنسا واحتلت الجزائر عام ١٨٣٠م ، وأعلنت في عام ١٨٦٤م أن السنغال مستعمرة فرنسية ، وفرضت حمايتها على تونس سنة ١٨٨١م ثم احتلتها ، وبسطت نفوذها على ساحل العاج في عام ١٨٩١م ، وفي عام ١٨٩٤م تقدم الفرنسيون إلى النيجر، ثم غينيا، ثم أعلنت أن موريتانيا جزء لا يتجزأ عن السنغال فأعلنت حمايتها عام ١٩٠٣م ، ثم احتلتها في عام ١٩٠٨م ، واحتلوا تشاد في عام ١٩٠٦م، وتقاسموا هم والأسبان المغرب (جمهورية الريف) في عام ١٩١٢م ، ومن قبل تلك السنين وفي عام ١٨٨٢م استولت فرنسا على ميناء صغير قرب مدينة هرر ثم توغلت في الداخل واحتلت كل المناطق حتى وصلت جيبوتي عام ١٨٨٨م ، وفي عام ١٨٩٦م ، وضعت هذه المناطق تحت إدارة واحدة عُرفت باسم الصومال الفرنسي واتخذت جيبوتي مقراً للحاكم الفرنسي .

أما دولة إيطاليا ـ مقر البابوية ـ فاحتلت ميناء عصب عام ١٨٨٢م ، ثم مصوّع عام ١٨٨٥م ، وفي عام ١٨٨٩م بسطت حمايتها على الصومال واحتلت ليبيا عام

---

[1]) تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر ، ص ١٠٣ ، د. جعفر عباس حميدي .

[2]) المرجع السابق ، ص ٩٠ ، د. جعفر عباس حميدي .

١٩١١م[١] .

والحسرة أن أغلب تلك الدول كانت إسلامية خالصة ؛ لذلك أول ما برزت فيها المقاومة كانت مقاومة إسلامية تعد قبول الخضوع للصليبيين خضوعاً للكفار ، لذلك عمدت إلى مقاومتهم بحماس وإصرار زائدين كان يفتقر إليها معظم من لا يدينون بالإسلام في مواجهتهم الصليبيين[٢] .

وقد عمدت الدول الصليبية المحتلة في أفريقيا إلى نفس العمل الذي عملته عندما احتلت جنوب شرقي آسيا فقد تحول كثير من الناس في تلك المناطق إلى النصرانية ، فبعدما كان المسلمون هم الأكثرية أصبح عددهم أقل من النصارى مع مرور السنين[٣] .

والشعوب التي لم تستطع الدول الصليبية تحويل أغلبها إلى نصارى واستمرت فيها الأغلبية للمسلمين جعلت الصليبية الحاكم الوطني عليها من النصارى بعد خروجها منها أو بعد الاستقلال المزعوم ، أو جعلته من المسلمين لكنّه رهن إشارتها أكثر من النصراني، حتى بدأ عصر خروج الدول الصليبية من الدول المحتلة (عهد الاستقلال الوطني الظاهري) بعد الحرب العالمية الثانية في النصف الثاني من القرن العشرين ، بعد ما حققت الصليبية كل ما تطمح إليه من وقف الزحف الإسلامي في آسيا وإفريقيا فضلاً عن أوروبا، وإدخال النصرانية في الدول الإسلامية فضلاً عن الدول الوثنية ، ونهب خيراتها وثرواتها ، بل نهب رجالها ونسائها إمّا أحراراً عن طريق الغزو الفكري ، أو عبيداً وسخرةً إلى أوروبا ، وتم

---

[١]) في تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر ، ص ٢٤ ــ ٣٠ ، د. محمد علي القوزي، تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، ص ٨٠ ــ ٩٥ ، د. جعفر عباس حميدي .

وذكري لهذه الدولتين ليس للحصر ولكن لأنها أشهر الدول الكاثوليكية في ذلك الوقت وإلا هناك الأسبان والبرتغال أيضاً، ثم إني لم أذكر الدولة الصليبية العظمى في تلك الأوقات، والتي كان لها اليد الطولى في احتلال أرض فلسطين ، وهي الدولة البريطانية لأنها لم تكن كاثوليكية ولم تكن خاضعة للبابوية، ولكنها نجحت في عمل لم تنجح فيه البابوية ودولها الكاثوليكية وهو احتلال أرض فلسطين والسيطرة على بيت المقدس ولكنها سلمته لليهودية العالمية لاعتقادها الديني ؛ فرئيس وزرائها لويد جورج (جورج السادس) ووزير خارجيتها آرثر جيمس بلفور كانا بروتستنتيين أتباع (اليهودية المسيحية) أو كما تُسمى (الصهيونية المسيحية) أو (الأصولية المسيحية) .

انظر : عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين ، ص ١٢٢ ــ ١٣٠ ، محمد بن علي آل عمر .

[٢]) تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر ، ص ٩٢ ، د. جعفر عباس حميدي .

[٣]) وهذا ما سأقف معه ــ إن شاء الله ــ في فصل مستقل عن التنصير من هذا البحث .

هذا الاستقلال المزعوم بعد تكوين المنظمة الصليبية العالمية الخاضعة تماماً لليهودية العالمية (عصبة الأمم) التي تحولت إلى (هيئة الأمم المتحدة) ، وذلك لأمور، من أهمها :

١) تمكين اليهود من احتلال أرض فلسطين المسلمة والمحافظة على هذا التمكين .

٢) إلغاء الجهاد الإسلامي ، والذي أقلق الدول الصليبية قروناً وقروناً .

٣) تمييع أي تجمع أو هيئة إسلامية وحصر قيامها على أمور لا تصطدم بالتفوق الصليبي ولا تنقص من أحقية اليهود فيما يريدونه من أرض فلسطين المسلمة .

خرجت الدول الصليبية من أراضي المسلمين وهي ترى أن هذه الدول الإسلامية تتخطى خُطاها فيما تريده منها ، وما هو مشاهد للعيان في حال الأمة الإسلامية بعد الحرب العالمية الثانية إلى اليوم أبلغ من كل تعبير ووصف و ضرب أمثلة .

حتى بدأ نظام القطب الواحد في منتصف التسعينات وتفردت دولة صليبية كبرى في الوضع العالمي وإن لم تكن خاضعة للبابوية فليست هي كاثوليكية وإنما بروتستنتية إنجيلية أصولية خاضعة لليهودية العالمية، وأقصد أمريكا فجمعت بين السوأتين في مواجهتها للإسلام والمسلمين ، فبعد أن ستنزفت أمريكا المسلمين فكرياً واقتصادياً استأنفت الكره عليهم عسكرياً[١] .

ثم أن البابوية ودولها الكاثوليكية لم تُسلِّم مهمة الحرب ضد الإسلام والمسلمين للدولتين الخارجتين عن نطاقها وعقيدتها (أمريكا وبريطانيا) ، ولكن المسألة بالنسبة للكاثوليك مسألة مراحل حسب القوة والضعف والمناسب وغير المناسب في المواجهات العسكرية والسياسية ، وبما أن الهدف المشترك للنصارى هو ضرب الإسلام والمسلمين وإضعافهم اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً ، فليستمر التخطيط الكاثوليكي الماكر في فترة من الهدوء وعدم المواجهة المباشرة مع المسلمين عسكرياً في هذه الأوقات فقد كفاهم في ذلك البروتستانت [٢] ، وإلا فهناك مواجهات قوية مستمرة مع المسلمين من ناحية الغزو الفكري

---

[١]) والكلام في مواجهة أمريكا للإسلام والعبث بالمسلمين وموالاة أمريكا لليهودية العالمية بل تحكم اليهودية بها مما يطول الكلام عليه ويحتاج إلى مؤلفات في الإجمال فضلاً عن التفصيل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

[٢]) أما موقف بابا روما يولس يوحنا الثاني (١٦ تشرين الأوّل ١٩٧٨ ـ ٢ أبريل ٢٠٠٥م) المعارض لاحتلال أمريكا للعراق فذلك لمصلحة الكاثوليك أولاً وأخيراً ، ومنها :

و التنصير، وحاملي لوائها المستشرقون والمستغربون .

١) طغيان الدولة البروتستانتية الكبرى ((أمريكا)) في غزوها واستنزافها لقلب العالم الإسلامي ، مما لم يكن هناك مجالاً لأي دولة كاثوليكية في هذا الأمر حتى الدولة الصليبية الكاثوليكية الكبرى فرنسا لم تجد لها موطنَ قدم واضح في استنزاف دول (قلب) العالم الإسلامي ، حتى تلك التي كانت من مستعمراتها كالبنان وسوريا .

٢) وهذا الأمر يضعف بل أضعف التنصير الكاثوليكي في منطقة حيوية يتمناها كل صليبي العالم (كاثوليك أو بروتستنت) . وقد فاز بهذه المنطقة حالياً البروتستانت حسياً ومعنوياً .

٣) خوف البابا على النصارى الكاثوليك في المنطقة من تدخلات البروتستانت العقائدية عليهم ، وكما هو معلوم تاريخياً التنافس العقدي الداخلي، بل حتى العسكري في سنوات مضت بين الكاثوليك والبروتستانت .

الفصل الثاني : الغزو الفكري .

وفيه : تمهيد ، ومبحثان :

التمهيد : التعريف بالغزو الفكري ، وخطورته .

المبحث الأول : الاستشراق .

المبحث الثاني : التغريب .

التمهيد : التعريف بالغزو الفكري ، وخطورته :

الغزو الفكري أسلوب من أساليب الغزاة، وهو مكمل لأساليب الغزو التقليدي الحربي حيناً، وبديل عنها أو عن بعضها حيناً آخر، مبذول ضد عدو ما لكسب معارك الحياة منه، ولتذليل قياده، وتحويل مساره، وضمان استمرار هذا التحويل حتى يصبح ذاتياً إن أمكن ، وهذا هو أقسى مراحل الغزو الفكري بالنسبة للمغلوب ، وإن كان — في نفس الوقت — هو أقصى درجات نجاح الغزاة [١] .

فالغزو الفكري يعمل لإذابة الشعوب ، وانسلاخها من عقائدها، ومذاهبها، وحضارتها لتصبح مسخاً شائهاً تابعاً لغيره ، يؤمر فيطيع ....، وهو يعمل على خداع المجتمعات ، والتمويه عليها وقلب الحقائق وتشويهها، عن طريق تصنيع الكلمة، وزخرفة القول والدخول إلى المخاطب من نقطة الضعف، والاستغفال لإغرائه، والإيقاع به، والإيحاء إليه بسلامة الفكرة ، وصحة المفهوم [٢] .

والذي أريد أن أبيّنه في هذه الأسطر هو الغزو الفكري الصليبي الكاثوليكي الموجه إلى الأمة الإسلامية .

فهذا الغزو كان — ويكون — بوسائل غير عسكرية اتخذها الغزاة الصليبيون الكاثوليكيون — ثم لحقهم البروتستانتيون — لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية في المجتمعات المسلمة وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام ، وما يتعلق بالعقيدة، وما يتصل بها من أفكار وتقاليد وأنماط سلوك [٣] .

فاستخدم الصليبيون في غزو المسلمين فكرياً : الفكرة، والمعلومة، والبرنامج، والمنهج في محاولة لتحطيم مقومات الأمة الإسلامية : العقدية، والفكرية، والثقافية، والحضارية، والتشكيك في تلك المقومات والحط من قيمتها ، وتفضيل ما عندهم من الصليبيات

---

[١]) الغزو الفكري ، والتيارات المعادية للإسلام ، ص ٧ ، د. عبد الستار فتح الله سعيد ، وندوة بحثية في مؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقد في جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض عام (١٣٩٦هـ) تحت عنوان (الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام) ، ص ٨ .

[٢]) مواجهة الغزو الفكري ضرورة إسلامية ، ص ١٦ ، د. أحمد عبد الرحيم السايح .

[٣]) واقعنا المعاصر ، ص ١٩٥ ، فضيلة الشيخ / محمد قطب .

والفلسفيات عليها وإحلالها محلها في الدستور، ومناهج التعليم، والبرامج الإعلامية والتثقيفية والأدب ، بل وفي النظرة الكلية للدين والإنسان والحياة [1] .

فالصليبيون النصارى يعلمون أن العقيدة والفكرة الإسلامية الصحيحة هي أقوى سلاح ضدهم؛ فحاولوا طمسها، ووضع الحواجز بينها وبين المسلمين، ولم يجدوا في تنفيذ ذلك أجدر من سلوك سبل الغزو الفكري .

وتكمن خطورة الغزو الفكري الصليبي للأمة الإسلامية أنه يحاول أن يضرب الإسلام من الداخل عن طريق إضعاف فاعليته بالتشكيك في أسسه ومبانيه ، وعزله عن التأثير في حياة المسلمين وذلك باسم التقدم، والحضارة والرقي، ومحاربة الرجعية، ومن ثم وقف المد الإسلامي ، وحصر الإسلام داخل حدود لا يتجاوزها ، وإلى تجزئة المسلمين أرضاً وأمة وفكراً ، وتشويه صورهم التاريخية الغابرة والحالية ، والحيلولة دون مستقبل مشرق للإسلام والمسلمين [2] .

ولقد أدرك الصليبيون بعد التجارب الطويلة في صراعهم مع المسلمين أن الغزو العسكري قبل الغزو الفكري يولد رد فعل عنيف لم يتحقق به للصليبيين الفائدة المرجوة ، والتي من أجلها خرجوا من ديارهم في الغرب، وبذلوا في حينها الأموال والدماء والنفوس.

ولهذا لم يكن للحروب الصليبية الأولى تأثير حضاري وفكري وإنما كانت ((أشبه شيء بمرض عارض على جسد قوي، وأقرب الأمور إلى سنن الحياة ، أن يستثير المرض كوامن المناعة فيه وأن يستحثه إلى أسباب الوقاية والعلاج ليطرد العلة الوافدة ، وكذلك كان)) [3] .

لذلك لما عاد النصارى الصليبيون لغزو العالم الإسلامي مرة أخرى لم يكتفوا بالسلاح وحده، ولكنهم استصحبوا معهم تلك الوسيلة الخبيثة التي نطلق عليها اسم (الغزو

---

[1]) تحديد مفهوم الغزو الثقافي ، محاضرة لمعالي الشيخ الدكتور / عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ألقيت في ملتقى الفكر الإسلامي التاسع عشر بالجزائر (شوال ١٤٠٥هـ ـــ يوليه ١٩٨٥م) .

[2]) واقعنا المعاصر والغزو الفكري ، ص ٣٥ ، د. صالح الرقب .

[3]) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، ص ٥٩ ، د. عبد الستار فتح الله سعيد .

الفكري)[١]، ذلك الغزو الذي لا يلقى في الغالب أسباب المقاومة التي يلقاها الغزو العسكري من جهة المغزوين، فهو يدعو عند بعضهم — زوراً وبهتاناً — إلى محاربة الرجعية وإلى التقدم والرقي بالأمة، كما أنه — ولو تبين للناس بعد ذلك حاله ومقصوده — تبقى آثاره في قلوب بعض المغزوين وعقولهم .

ولاننس أيضاً أن الغزو العسكري وسائله منفرّة ، وهي مصحوبة بالدمار والقتل والدم، بينما وسائل الغزو الفكري ناعمة وخادعة ، ومصحوبة بالشهوات ؛ فالاستجابة لها أسرع وأكثر وأنجح، كما أنه يستهدف أشرف ما في الإنسان : عقيدته وفكره ؛ وقلبه وعقله .[٢]

لذلك كان الغزو الفكري في غاية الضراوة ، وعنف التركيز والتأثير، وساعده استيلاء الكفار على مقدرات المسلمين، ومراكز الحكم والتوجيه، ثم بعد الجلاء والتحرر المزعوم، ساعده في المواصلة والتأثير موالاة بعض حكام المسلمين للغرب الصليبي ، وكذلك بريق الحضارة المادية مع الدعاية المتقنة للنظم الغربية والتغرير بها وإتقان أصحابها لما خططوا له من ضرب الإسلام وأبنائه، ومبادرتهم إلى تشديد الكرة عليه، فتعددت مظاهره، وتكاد أن تشمل جميع جوانب الحياة، وهذه المظاهر لم تكن إلاّ بناءً على دراسات دقيقة لأحوال المجتمعات الإسلامية .

ونستطيع أن نتعرف على تلك المظاهر للغزو الفكري وتياراته في حملات التشويه للإسلام، لكتابه العزيز، ولسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولشخصه عليه الصلاة والسلام الكريم المعصوم، ولشريعته الإسلامية ونظامها في هذه الحياة، وللغته الفصحى، وللتاريخ الإسلامي ....

كما نستطيع أن نُدرك مظاهر هذا الغزو في حملات التغريب لأبنائنا المسلمين من جهة التعليم والثقافة والنظم الاجتماعية والسياسية والقضائية والاقتصادية والإعلامية وفي الأخلاق والآداب ، ثم تكون بتغريب اللسان ؛ لقطعه عن لغة القرآن اللغة العربية

---

[١]) واقعنا المعاصر ، ص ١٩٦ ؛ فضيلة الشيخ / محمد قطب .

[٢]) واقعنا المعاصر والغزو الفكري ؛ ص ٣٥ ، د. صالح الرقب .

الفصحى[١] .

والغزو الفكري الصليبي الموجه للأمة الإسلامية يقوم على ركنين ، هما : الاستشراق، ثم التغريب .

وقد كان الهدف الأعظم للصليبيين يظهر في كل مرحلة من مراحل الغزو الفكري ألا وهو التنصير .

وقبل أن أدخل في تفصيل هذه المسائل أذكر أن هذه المسائل الفكرية الموجهة للأمة الإسلامية بدأ النقاش فيها ، ومحاولة استخدامها منذ وقت الحملة الصليبية المرقمة بالخامسة ، في أواخر عام ١٢١٧م في تفاهم بين بابا روما هونوريوس الثالث (١٨ تمّوز ١٢١٦ـ ١٨ آذار ١٢٢٧ م)، ومؤسس الرهبنة الفرنسيسكانية فرنسيس الأسيزري[٢] ، ثم ازدادت أهميتها في نظر النصارى بعد فشل الحملة الصليبية المرقمة بالسابعة، وأسر قائدها الملك الفرنسي لويس التاسع في المنصورة، فعندما خرج من سجنه عام ١٢٥٠م أشار إلى النصارى بالاهتمام بحرب المسلمين من الداخل بضرب عقيدتهم مكمن القوة فيهم، وفي الدس بينهم وإثارة الخلافات بينهم والعمل على بقائها مستعرة مع تجنيد بعض الصليبيين لمحاربة تعاليم الإسلام[٣] ، كما أنّها دخلت بقوة في دائرة التنفيذ والأهمية الكبرى بعد فشل الحملات الصليبية الثمان الكبرى وسقوط عكا من أيديهم إلى أيدي المسلمين في عام ١٢١٩م، وفتور المواجهة العسكرية عند الغرب بشكل عام ضد المسلمين، فقامت مشاريع صليبية تُبيّن الطريقة المناسبة للهجوم على المسلمين لا تجعل المواجهة العسكرية هي الأساس ـ وإن كانت أغلبها متمسكة بالمواجهة العسكرية متى سنحت الفرصة لذلك ـ ، وأهم هذه المشاريع ما تقدم به ريموند لول سنة ١٣٠٥م لبابا الكاثوليك المنتقل

---

[١]) مواجهة الغزو الفكري ضرورة إسلامية، ص٣٢، د. أحمد السايح ، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، ص ٦٧ ، د. عبد الستار سعيد ، الندوة البحثية المنعقدة في جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض عام (١٣٩٦هـ) بعنوان : (الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام) ، ص ٢٣ .

[٢]) الحرب المقدسة (الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم) ، ص ٤٨٥ ، كارين آرمسترونغ .

[٣]) حقائق عن الغزو الفكري للإسلام ، ص ٦ ، أنور الجندي ، واقعنا المعاصر ، ص ١٩٦ ، محمد قطب ، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام ، ص ٣٢ ، د. سعد الدين السيد صالح ، واقع العالم الإسلامي ، ص ٤٨ ، سعيد عبد الحكم زيد .

من روما إلى أفينون بفرنسا البابا إكليمنضوس (كلمنت) الخامس (٥ حزيران ١٣٠٥ — ٢٠ نيسان ١٣١٤م)، وقد كانت قيمة هذا المشروع الصليبي في أن صاحبه (ريموند لول)، له معرفة باللغة العربية، ودراية كبيرة بطبيعة بعض البلدان العربية الإسلامية، فقد كان مشروعه قائماً على كسب المسلمين من الناحية الفكرية مع تمسكه بإرسال حملة صليبية قوية إن أمكن ذلك[1] .

ثم تجلّت هذه الأفكار بغزو المسلمين وبالطريقة التي كان يراها المنصّر والمستشرق ريموند لول على يد الملك الفرنسي نابليون بونابرت عندما غزا مصر بالطريقة العسكرية والفكرية عام ١٧٩٨م ، فتمكّن الاستشراق الصليبي وبدأ يتسلل التغريب إلى المسلمين منذ ذلك الوقت ، وفي كل المراحل كان التنصير هو الهدف الأعظم للصليبيين .

[1]) الحركة الصليبية ، ٢/٩٤٤ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

المبحث الأول ــ الاستشراق، وفيه :

ــ مفهوم الاستشراق .
ــ بدايات الاستشراق ومراحله .
ــ دوافع الاستشراق .
ــ وسائل المستشرقين .

مفهوم الاستشراق (Orientalism) :

من الناحية اللغوية فإن الاستشراق اشتقه الغربيون من لفظة (الشرق) [1] .
(الشين والراء والقاف) أصل واحد يدل على إضاءةٍ وفتح ، ومن ذلك شرقت الشمس ، إذا طلعت[2] ، والشرق : المشرق ، والتشريق : الأخذ من ناحية المشرق[3]، والشارق : الجانب الشرقي[4] ، والمشرق والمغرب إذا قيلا بالإفراد فإشارةٌ إلى ناحيتي الشرق والغرب [5] .

---

[1]) وردت كلمة (مستشرق) منذ عام (١٧٩٩م) في أحد أعداد مجلة Encyclopedique رقم (١٢٢) في ترجمة الأب بولينوس، وقد استخدم كبير المستشرقين الفرنسي سلفستر دي ساسي هذا المصطلح في عام ١٨١٠م ، ثم وجدت بعد ذلك في عام (١٨٢٤م) في تراجم الرجال الموتى الخاصة بـ(لويس لانجلي) المنشور في (المجلة الآسيوية) في العام ذاته، وقد جاء فيها ما يلي : ((إن المعنى الجديد للمستشرقين الذي حاول البعض خلطه وتخصيصه لدارسي اللغات الآسيوية ولمن يبحثون عن تاريخ وثقافة هذا الجزء من العالم ، هذا الاسم أي (المستشرق) هو من اختراع لانجلي))، ثم انتشر منذ عام (١٨٣٨م) على نطاق واسع ابتداءً من اللغة الفرنسية والانجليزية . انظر : نقد الخطاب الاستشراقي ، ٢٤٣/١، د. سامي سالم الحاج ، الإسلام في تصورات الاستشراق الأسباني ، ص ٣٢ ، د. محمد العسري .

[2]) معجم مقاييس اللغة ، ٢٦٤/٣، مادة (شرق) ، لأحمد بن فارس ، تحقيق : عبد السلام هارون .

[3]) لسان العرب ، ١٧٤/١٠ ، مادة (شرق) ، لابن منظور .

[4]) القاموس المحيط ، ص ١١٥٨ ، مادة (شرق) للفيروز آبادي .

[5]) مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٤٥١، مادة (شرق) ، للراغب الأصفهاني ، تحقيق : صفوان داوودي .

ويبدو أن معنى (استشراق) أدخل نفسه في أهل الشرق وصار منهم [١] .

أما من الناحية الاصطلاحية، فقد عرّف قاموس اكسفورد الاستشراق بأنه: ((دراسة الشخصية الشرقية ، من ناحية الأسلوب والخواص والصفات وطرق التفكير والتعبير ... الخاصة بتلك الأمم الشرقية ، كما أنه يعني أيضاً دراسة العلوم الشرقية أو معرفة لغات الشرق)) [٢] .

وجاء في قاموس وبسترز الأمريكي أن الاستشراق هو تعلم الموضوعات الشرقية ودراستها وعادات الشرقيين وخواصهم وتقاليدهم [٣] .

ويقول النصراني العربي إدوارد سعيد : ((الاستشراق أسلوب غربي للسيطرة على الشرق ، واستبنائه ، وامتلاك السيطرة عليه)) [٤] ، واستبناؤه أي : بناء ذلك الشرق طبقاً للمفاهيم الغربية .

وكما هو ملاحظ أن مثل هذه التعريفات شديدة العموم ، فالشرق هو مجموعة الأقطار المنتشرة في آسيا وبعض الأقطار في إفريقية مما يطل على حوض البحر الأبيض المتوسط وبعض أجزاء من أوروبا الشرقية [٥] ، وكثير من هذه الأقطار لا تدين بالإسلام .

ثم لا شك أن تسمية هذه المناطق بالشرق هو من ابتداعات أوروبا مما يدل على غطرستها والنظر إلى الآخر بالنظرة الدونية له والإعجاب بنفسها، واستخدام مثل هذه المصطلحات (الشرق) ، (الشرق الأوسط) ليس تأييداً لها ، أو اعترافاً بغطرسة ما يُسمى بالغرب بقدر ما فيه من مجاراة المفهوم العام ، ثم بيان ما فيها من مكر وخديعة للآخرين في أنهم هم الأصل ومنهم يُحلب كل نفع .

---

[١]) فلسفة الاستشراق ، ص ٢٢ ، د. أحمد سما يلو فتش .

[٢]) انظر : قاموس اكسفورد source : oxford Englis Dictionary ،: انظر: الاستشراق والتربية، ص ٢٦ ، د. هاني محمد بركات .

[٣]) انظر : قاموس وبسترز الأمريكي : source : websters seventh [redacted] colleginate Dictionary Page ٥٩٥ .

[٤]) الاستشراق (المعرفة ــ السلطة ــ الإنشاء)، ص٣٩، للمفكر النصراني الفلسطيني الأمريكي إدوارد سعيد، نقله إلى العربية : كمال أبو ديب .

[٥]) منهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب ، ص ٣٢ ، محمد البشير مغلي .

والذي أقصده من مسألة الاستشراق هذه ، هـي الدراسـات النـصرانية للإسـلام والمسلمين ؛ لأن هذا هو المقصود الأعظم عند نصارى الغرب كما ذكر غير واحد مـن مستشرقيهم [١] .

وفي هذا يقول إدوارد سعيد: ((إلا أن الشرق العربي والإسلامي، بشكل عام ،كانا الوحيدين اللذين واجها أوروبا بتحدٍّ لم تجد له حلاً على الأصعدة السياسية، والفكريـة، ولزمن قصير، والاقتصادية أيضاً، فقد حمل الاستشراق في داخله، إذن، لمعظم تاريخه سمـة موقف أوروبي إشكالي بإزاء الإسلام . لقد كان الإسلام ، دون شك، استفزازاً حقيقـاً بطرق عديدة . فقد كان قريباً من المسيحية قرباً مقلقاً جغرافياً وثقافياً ... ولم يكن ممكناً أن يغيب عن ذهن أي أوروبي ، ماضياً أو حاضراً ، كون الإسلام قد فاق روما إشـعاعاً وسما عليها))[٢] .

لذلك كان التعريف الذي أميل إليه للاستشراق والذي له علاقة بما سيكون في هـذه الصفحات هو : أن الاستشراق دراسات متخصصة يقوم بها النصارى [٣] للإسلام في شتى جوانبه : العقدية ، والتشريعية ، والتاريخيـة ، واللغويـة ، والحـضارية ، وفي الـنظم والإمكانات ... بهدف تشويه الإسلام ، ومحاولة تشكيك المسلمين فيه ، وتضليلهم عنه ، وادعاء تفوق حضارتهم النصرانية (الغربية) على الحضارة الإسلامية (الـشرقية) ومحاولـة فرض التبعية لهم على المسلمين ، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريـات تـدّعي العلمية والموضوعية [٤] .

فهذا الاستشراق يمثل الخلفية الفكرية للصراع الديني بين الإسلام والنصرانية في الغرب

---

[١]) انظر : الاستشراق ، ص ١٠١ ـــ ١٠٣ ، إدوارد سعيد .

[٢]) المرجع السابق ، ص ١٠١ ، إدوارد سعيد .

[٣]) وسوف أقتصر من هؤلاء النصارى على طائفة الكاثوليك ، أما الطائفة البروتستانتية فهي تبع الكاثوليك الذين تقدموا عنهم من الناحية الزمنية ، ثم إني بهذا التعريف أخرجت الاستشراق اليهودي الصهيوني والذي يُعد من أمكر أنواع الاستشراق لعلوم الإسلام وحضارته ، وكذلك الاستشراق الإلحادي الذي يعمل على نشر الإلحاد في البلاد الإسلامية .

[٤]) رؤية إسلامية للاستشراق، ص٧، أحمد غراب، الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق، ص ٩٠ ، د. عبد الرحمن عميرة .

والذي بدا واضحاً منذ الحروب الصليبية التي امتدت قرنين من الزمـان (٤٨٩هـ ـــ ٦٩١هــ)، (١٠٩٥ــ ١٢٩١م)، لم تنته ، ولن تنتهي مصداقاً لقول الباري ﷻ : ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ [1] .

فالاستشراق النصراني كان له أكبر الأثر في صياغة التصورات النصرانية الأوروبية عن الإسلام وفي موقفهم من المسلمين على مدى قرون عديدة ولا يزال [2] .

نشأة الاستشراق الكاثوليكي ومراحله :

تعددت آراء الباحثين والمهتمين بالدراسات الاستشراقية حـول البدايـة الحقيقيـة للاستشراق بشكل عام ، يقول الأستاذ أحمد غراب : ((إن الاستشراق ـــ في جوهره ـــ موقف عقدي وفكري معادٍ للإسلام يقفه الكافرون بهذا الدين بوجه عام ، وبعض أهـل الكتاب من اليهود والنصارى بوجه خاص ... هذا الموقف ـــ في جـوهره النـابع مـن العداوة في العقيدة ـــ ليس بجديد فهو موقف الكافرين بالإسلام ـــ من المشركين وأهـل الكتاب ـــ منذ ظهور الإسلام)) [3] ، وهو يقصد هذه المسألة بشكلها العام .

كما أن بعض الباحثين يرون أن الاستشراق بدأ في القرن السابع المـيلادي وذلـك اعتماداً على كتابات يوحنا الدمشقي ، ولكنه رأي يعتمـد علـى دراسـات نـصرانية أرثوذكسية خارجة من أرض عربية إسلامية [4] .

والذي أريد بيانه في هذه الأسطر هو الاستشراق الغربي النصراني الذي حملت لـواءه الطائفة الكاثوليكية ، وهي الطائفة التي كانت متزعمة الأراضي الأوروبيـة قبـل عهـد الإصلاح الديني عندهم ، وخروج الطائفة البروتستانتية بفروعها منها .

---

[1]) سورة البقرة ، الآية ١٢٠ .

[2]) قضايا فكرية واجتماعية في ضوء الإسلام ، ص ١٦٥ ، د. محمود حمدي زقزوق ، المستشرقون والتنصير ، ص ١٥ ، د. علي بن إبراهيم النملة .

[3]) رؤية إسلامية للاستشراق ، ص ١١ ، أحمد غراب .

[4]) يوحنا الدمشقي هو حفيد منصور بن سرجون وزير معاوية بن أبي سفيان عاش ما بين (٦٧٦ ـــ ٧٤٩م) . انظر : الاستشراق أهدافه ووسائله ، ص ٢٢٤ ، د. محمد فتح الله الزبادي .

وقد تعددت أيضاً آراء الباحثين في تحديد تاريخ معين لهذا الاستشراق الغـربي، وإن كانت آراؤهم انحصرت ما بين القرنين العاشر الميلادي والثالث عشر الميلادي[1] .

ويمكن الجزم بأن الاستشراق الغربي النصراني بدأ من الفاتيكان باباوات وأساقفة ورهباناً ، وذلك لأمور منها : أنهم الفئة المؤهلة فكرياً وثقافياً لمواجهة الانطلاقة الإسلامية داخل الأراضي الأوروبية ، فشعور الغربيين بالخطر الإسلامي ـــ على زعمهم وإلا ما جاء به الإسلام ما هو إلا رحمة للعالمين ـــ عقدياً وفكرياً جعل الدائرة والمؤسسة الأكـبر في

---

[1]) ومن هذه الآراء ما ذهب إليه كل من :

أ) يرى الدكتور محمد البهي، أن الاستشراق بدأ في بعض البلدان الأوروبية في القرن الثالث عشر الميلادي ((وربما كانت هناك محاولات فردية قبل ذلك ، غير أن المصادر التي بين أيدينا لا تلقي الضوء الكافي على الموضوع وإن أشارت إلى بعض المستشرقين كأفراد)) ، ويرى أن الاستشراق انتشر في أوروبا بصفة جدية بعد فترة عهد الإصلاح الديني عندهم ... انظر : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، ص ٥٣٢ .

ب) ويقول الدكتور محمود حمدي زقزوق : ((ترجع البدايات الأولى للاستشراق لدى بعض الباحثين إلى مطلع القرن الحادي عشر، ويرى المستشرق الألماني المعاصر رودي بارت أن بداية الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا تعود إلى القرن الثاني عشر)) .

ويرى أن الصراع الذي دار بين العالمين الإسلامي والنصراني في الأندلس وصقلية كان الدافع لبدايات الاستشراق ، كما دفعت الحروب الصليبية بصفة خاصة إلى اشتغال الأوروبيين بتعاليم الإسلام وعاداته . أنظر : قضايا فكرية واجتماعية في ضوء الإسلام ، ص ١٦٦ .

جـ) أما الدكتور ساسي سالم الحاج فيرى أن هناك فرقاً بين الاستشراق الديني والاستشراق العسكري الأوروبي ، فالاستشراق الديني عنده بدأ في عهد بابا روما (سلفستر الثاني) عام ٩٩٩م ، الذي أسس أول مدرسة عربية بمدينة (ريمس) بفرنسا ، أما الاستشراق العسكري فبدأ منذ نهاية الحروب الصليبية بطرد آخر الجنود الصليبيين من عكا عام ١٢٩١م ، ورافق ذلك الرجوع أن قام النصارى بسلب آلاف الكتب والمخطوطات العربية إلى أوروبا فاتجهت بذلك الأنظار إلى اقتحام الديار الإسلامية بالطرق السلمية ... انظر : نقد الخطاب الاستشراقي ، الجزء الأول ، ص ٤٢ ، ص ٤٩ ـــ ٥٠ .

د) وذكر الدكتور أحمد سما يلوفيتش في كتابه (فلسفة الاستشراق) آراء عدة من الباحثين الغربيين في تحديد تاريخ بداية الاستشراق الغربي ولم يتفقوا على تحديد تاريخ معين له ، فيقول المستشرق الألماني رودي بارت ـــ توفي عام ١٩٨٣م ـــ أن بداية الدراسات العربية والإسلامية ترجع إلى القرن الثاني عشر إذ فيه ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية لأول مرة عام ١١٤٣م ، كما أنه ألف أول قاموس لاتيني عربي في القرن نفسه ، ويرى المستشرق البلجيكي اليسوعي الأب (لامنس) ـــ توفي عام ١٨٦٢م أن بدايات هذه الدراسات في القرن الثالث عشر. انظر : فلسفة الاستشراق ، ص ٥٧ ، موسوعة المستشرقين ، ص ٦٢ ، ٥٠٣، د. عبد الرحمن بدوي .

أوروبا ، وهي الفاتيكان تحاول أن تواجهه وتنظر في ما جاء به ، مع المواجهة العسكرية كل ما سنحت لها الفرصة لذلك .

ثم إن في هذه المواجهة وهذه الدراسات تحسين لصورة الفاتيكان، والمنسوبين إليها أمام ملوك الغرب وأمرائه .

والناظر إلى طبيعة علاقة الغرب النصراني الكاثوليكي بالإسلام والمسلمين ـ ثم تبعهم في ذلك البروتستانت بعد عمليات إصلاحاتهم الدينية ـ يجد أن هذه العلاقة مرّت بأطوار تغيّرت وتبدلت فيها المراكز الحضارية بينهم من قوةٍ وضعفٍ ومن تأثر وتأثير ، ويمكن أن تُقسّم هذه العلاقة فيما بينهم إلى أربعة مراحل ، في كل مرحلة منها الشيء الكبير من المكر بالمسلمين على حسب استطاعة النصارى الغربيين وقدراتهم في ذلك، وأخطر هذه المراحل في ما أراه المرحلة الثالثة منها كما سيتضح ذلك إن شاء الله تعالى .

ـ المرحلة الأولى : مرحلة الإعجاب بالحضارة الإسلامية الممزوج بالخوف والحقد الصليبي مع استخدام السلاح ضد المسلمين ، من بداية فتح المسلمين لأسبانيا عام ٧١١م إلى خروج الصليبيين من عكا عام ١٢٩١م .

لقد حدث الالتقاء الأول بين الحضارة الإسلامية والغرب النصراني الكاثوليكي عن طريق الأندلس (أسبانيا) في بداية القرن الثاني الهجري في عام ٩٢هـ ، وبداية القرن الثامن الميلادي في عام ٧١١م عندما فتحها المسلمون [١] .

وكانت أسبانيا في ذلك الوقت ((لا تختلف عن بقية بلاد غرب أوروبا من حيث انتشار الجهل والتأخر والفوضى ولكن المسلمين بعد أن فتحوها نقلوها إلى مرحلة استقرار وإنشاء، فاتجهوا نحو إحياء الأرض الميتة، وتعمير المدن الخربة، وتنشيط التجارة الراكدة، وإنعاش الصناعة المتأخرة، حتى أصبح الأندلس في ظل خلافة قرطبة أغنى الأقطار الأوروبية وأكثرها ازدحاماً بالسكان .

ثم اختار المسلمون أن يوطّدوا سلطانهم في أسبانيا عن طريق العلم ، فانصرفوا نحو العناية بالآداب والعلوم والفنون ، وعندئذ لم يقنعوا بما وصل إليه إخوانهم في المشرق من

---

[١]) فجر الأندلس ، ص ٦٧ ، د. حسين مؤنس .

تقدم ، بل زادوا على ذلك وابتكروا وجددوا مما أتاح لأوروبا مورداً عذباً استساغت شرابه ، فظلت تنهل منه))[1] .

وقد ساعد أيضاً على النهضة العظيمة بالأندلس سياسة التسامح التي اتبعها المسلمون تجاه النصارى هناك، فأقبلوا بدورهم على استخدام اللغة العربية وفضّلوها على اللاتينية . وهكذا نشأت مدرسة كبيرة من النصارى استطاعوا أن يقوموا فيها بدور السفراء بين الحضارة الإسلامية من ناحية ، وأهاليهم — أتباع ملتهم النصارى — في باقي أوروبا من ناحية أخرى[2] .

وهناك طريق آخر انتقلت منه الحضارة الإسلامية إلى الغرب الكاثوليكي وهو طريق صقلية، فهذه الجزيرة هي أهم جزر البحر المتوسط ، فهي صلة الوصل بين شمال أفريقية وإيطاليا فموقعها سهل الاتصال بالشعوب ذوات الحضارة على شواطئ المتوسط منذ القدم لذلك سميت (درة جزر البحر المتوسط)[3] .

وكان فتح المسلمين لهذه الجزيرة في القرن الثالث الهجري (القرن التاسع الميلادي) فقد بدأت المحاولات الإسلامية لإخضاعها نهائياً منذ عام ٢١٢هـ — ٨٢٧م[4] .

وعندما تمكّن المسلمون من جزيرة صقلية اهتموا بها — كما اهتموا بأسبانيا — من الناحية العلمية ، والحضارية من زراعة وصناعة وتجارة[5] ، فلقد قامت في جزيرة صقلية دولة إسلامية ، ازدهرت في ظلّها حضارة رائعة في الجزيرة فانسابت إليها ألوان الثقافة

---

[1]) المدنية الإسلامية وأثرها على الحضارة الأوروبية ، ص ٤٩ — ٥٠ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

[2]) المرجع السابق ، ص ٥١ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

[3]) فتح صقلية ، ص ٥٩ ، د. شوقي أبو خليل .

[4]) المرجع السابق ، ص ٧١ ، د. شوقي أبو خليل .

[5]) فالمسلمون عندما ((ثبّتوا أقدامهم في صقلية في القرن التاسع للميلاد اهتموا بالزراعة فحفروا الترع والقنوات وأنشأوا المجاري المعقوفة التي كانت مجهولة قبلهم ، كما أدخلوا زراعة القطن وقصب السكر ، وفي الصناعة استغلوا ثروة الجزيرة الطبيعية فاستخرجوا منها الفضة والحديد والنحاس والكبريت ، وأدخلوا فيها صناعة الحرير ، أما تجارة صقلية فقد اتسع نطاقها على أيام العرب بعد أن بلغت الحضيض في العصر السابق مباشرةً)) . انظر : المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية، ص ٥٣، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

والمدنية من العالم الإسلامي [1] ، مما جعلها مرجعاً وموطناً لطالبي العلم والحضارة والتقدم من الغربيين النصارى (الكاثوليك) .

ولا شك في أن موقع هذه الجزيرة (الإسلامية) ــ والتي أصبحت محل أفئدة النصارى المحبين للرقي ــ بالقرب من مركز البابوية (الفاتيكان) في روما ، أصاب الغرب الكاثوليكي وخاصةً الكنيسة الكاثوليكية بجميع رجالها بالهلع والفزع .

ومنذ ذلك الاتصال بين المسلمين والغرب الكاثوليكي عن طريق الأندلس ثم صقلية بدأت البابوية وكنائسها ومفكروها يعادون المسلمين ويهاجموهم وظلت هذه الطريقة متداولة ورائجة حتى عصرنا هذا[2] .

ولكن البابوية ورجالاتها يعلمون في نفس الوقت أنه لا سبيل لهم إلى إرساء نهضتهم إلاَّ على أساس من التراث العلمي العالمي والذي يمثله في ذلك الوقت الإسلام وحضارته فتعلموا العربية [3] ، وبها أيضاً يستطيعون الوقوف في وجه الدين الإسلامي فقد شعروا بخطره العقدي والفكري على أبنائهم وعقيدتهم النصرانية الكاثوليكية لتغلغل تعاليمه الإسلامية الواضحة الموافقة للفطرة والعقل إلى قلوب شعوبهم الكاثوليكية وعقولهم .

فوجود الإسلام كان قد أثار في نفس البابوية وكنائسها في ذلك الوقت إحساسات عميقة بالخوف والصدمة وعدم الرضا، ومن الناحية الواقعية أحدث الإسلام موجات غير متناهية من شعورهم بعدم الأمان ، وتوقع الخطر[4] ؛ لذلك فمواجهتهم له أصبحت ضرورية عندهم للحيلولة بينه وبين أن يستهوي أبناءهم النصارى أو ينال إعجابهم ، كما أن البابوية وكنائسها سعت للإحاطة بعوامل قوة الإسلام الدافعة بأبنائه إلى الانتشار في العالم آنذاك [5] ، ((وعلى هذا النحو صار الاختلاف بين الشرق والغرب على أساس من الصراع بين الإسلام والمسيحية)) [6] .

---

[1]) فتح صقلية ، ص ٧٩ ، د. شوقي أبو خليل .
[2]) فلسفة الاستشراق ، ص ٧١ ، د. أحمد سما يلوفتش .
[3]) المستشرقون ، ١٠٤/١ ، نجيب العقيقي .
[4]) صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى ، ص ٣٩ ، ريتشارد سودرن ، ترجمة : د. رضوان السيد .
[5]) الإسلام في تصورات الاستشراق الأسباني ، ص ١٢٠ ، د. محمد عبد الواحد العسري .
[6]) منهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب ، ص ٤٦ ، محمد البشير مغلي .

لذلك كله كانت طلائع المستشرقين من الرهبان الكاثوليك ، ومن أوائلهم في تلك الحقبة التاريخية راهب فرنسي يُدعى (Gerbert) (جربرت) المولود عام ٩٣٨م ، فقد قصد الأندلس، وأخذ من علمائها، وأتقن اللغة العربية، وقرأ في العلوم الإسلامية ... وبفضل هذا النبوغ تدرج في السلك الكهنوتي حتى اعتلى عرش البابوية باسم ((سلفستر الثاني)) (٩٩٩ ــ ١٠٠٣م) ، فأمر بإنشاء مدرستين لتعليم اللغة العربية ، الأولى في روما مقر بابويته ، والثانية في ريمس بوطنه فرنسا [١] .

وكذلك ظهر الراهب أدلرد أوف باث (١٠٧٠ ــ ١١٣٥م) والذي طلب العلم في الأندلس ، واهتم اهتماماً بالغاً بالترجمة من العربية إلى اللاتينية ، وقد عُيّن مُعلماً للأمير الانجليزي هنري الذي أصبح فيما بعد الملك هنري الثاني [٢] .

وقد بدا واضحاً منذ عام ١١٣٠م أن آباء الكنيسة الكاثوليكية يعملون جاهدين على ترجمة الكتب الإسلامية، وكان لرئيس أساقفة طليطلة ريموندو الأول (توفي عام ١١٥٢م) الفضل في ذلك التوجه ، فقد أنشأ مدرسة للمترجمين في طليطلة عام ١١٣٠م [٣] .

ثم كان الدور الأكبر في فتح الدراسات الإسلامية في الغرب الكاثوليكي للراهب الفرنسي المدعو (بطرس)، والذي يُنعت في الغرب بالموقر، أو المبجل، (١٠٩٢ ــ ١١٥٦م) ، فقد عمل على إظهار أول ترجمة للقرآن الكريم باللاتينية في عام ١١٤٣م بمساعدة الراهب الانجليزي روبرت كيتون [٤] ، كما قام الراهب بطرس بدراسات أخرى

---

[١]) نقد الخطاب الاستشراقي ، ٤٢/١ ، د. ساسي سالم الحاج .

[٢]) المستشرقون ، ١١١/١ ، نجيب العقيقي .

[٣]) الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين ، ص ٢٥ ، مصطفى نصر المسلاتي ، بحث للدكتور : محمود حمدي زقزوق ، بعنوان : الإسلام والاستشراق ، ضمن بحوث كتاب : الإسلام والمستشرقون ، ص ٧٤ ، والاستشراق أهدافه ووسائله ، ص ٢٧ ، د. محمد فتح الله الزيادي .

[٤]) روبرت أوف تشستر كيتون راهب انجليزي من الرهبنة البندكتية قصد الأندلس في تعلم العربية والرياضيات والفلك ، عُين أسقفاً على بامبلونة عام ١١٤٣م ، واختير مستشاراً في صقلية، ساعد بطرس في الترجمة الأولى للقرآن الكريم إلى اللاتينية .

انظر : المستشرقون ، ١١٣/١، نجيب العقيقي، موسوعة المستشرقين، ص١١٠، د. عبد الرحمن بدوي . =

عن الإسلام فقد خطط لكتابة أربعة كتب، الأول : يبحث في حفظ النصارى لكتابهم المقدس ، والثاني : يبحث في حياة نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم وفي القرآن الكريم والطعن فيهما ، والثالث : يتناول خلو حياة النبي صلى الله عليه وسلم من المعجزات ويتكلم عن معاني النبوة ، والرابع : يستمر في استخراج المطاعن والأمور المبتدعة (الهرطقة) ــ على زعمه ــ في الدين الإسلامي، وفي نهاية مطافه اكتفى بكتابة الكتابين الأولين .

وقد كانت من أهدافه خاصة بعد رجوعه من رحلته الإسبانية والتي مكث فيها من سنة ١١٤١م إلى سنة ١١٤٣م ، هو الرد على علماء المسلمين، وعلى دينهم الإسلامي، ودعوة المسلمين إلى النصرانية، لذلك يعده المؤرخون من أوائل المنصرين الذين استخدموا العلم لتنصير المسلمين والرد على دينهم[١] .

فهذا الراهب الفرنسي بطرس وأمثاله من رجال الفاتيكان كانوا يرون في الإسلام (هرطقة مسيحية) وأشدها خطراً على نصرانيتهم ، وكانوا يعتقدون أن التحدي الإسلامي لم يجد إجابات (مسيحية مناسبة) حتى في أيامهم ، ولهذا فإنه من الضروري في اعتقادهم مواجهة هذا الدين الذي شكل الأصل والمنبع ــ بالنسبة لهم ــ لكل الهرطقات التي كانت تغزو نصرانيتهم الأوروبية الكاثوليكية ... فالإسلام عندهم ((يشكل خطورة فكرية شديدة لا بد من التعرف عليه لتمكن مكافحته))[٢] .

لذلك تحتم على رجال الدين في الفاتيكان أن يتعلموا اللغة العربية لكي يستطيعوا الرد

- يقول المستشرق الألماني يوهان فوك عن هذه الترجمة أنها : ((تزخر بأخطاء جسيمة سواء في المعنى أو في المبنى، ولم يكن ــ يقصد روبرت كيتون ــ أميناً إذ أغفل ترجمة العديد من المفردات، كما لم يتقيد بأصل السياق، ولم يقم وزناً لخصوصيات الأسلوب)). تاريخ الاستشراق، ص١٩، نقله عن الألمانية: عمر لطفي العالم .

وهذه الأخطاء المتعمدة في مثل هذه الترجمات للقرآن الكريم من قبل الكفار وخاصة الأعاجم منهم مما لا يشك فيه أحد ، وذلك لأسباب من أهمها : كفرهم بهذا الدين وبكتابه الكريم وجهلهم بمعاني اللغة العربية ، ومفرداتها . وإنما استشهادي بقول هذا المستشرق الألماني من باب ((وشهد شاهد من أهلها)) لا غير .

[١]) نقد الخطاب الاستشراقي، ٤٣/١ ــ ٤٤، د. ساسي سالم الحاج، المستشرقون، ١١٢/١، نجيب العقيقي، موسوعة المستشرقين ، ص ١١٠ ، د. عبد الرحمن بدوي .

[٢]) صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى ، ص٨١ ، ٨٢ ، ريتشارد سوذرن، ترجمة : د. رضوان السيد .

على فقهاء المسلمين وعلمائهم، وقام بهذا الدور الرهبان الفرنسيسكان والدومنيكان[1] .

وبهذا يتبين أن من الحقائق التي لا ينكرها منكر أن الرأي العام الغربي قد تبلور بشكل يدعو إلى الدهشة ؛ فالخوف كان مسيطراً على المجتمعات الغربية بسبب تقدم الزحف الإسلامي ؛ لذا فقد دقّت الكنائسُ أجراسها معلنة حالة الذعر، وانتظمت صفوفُ الكنيسة ورجال الكهنوت والمهتمِّين بدراسة هذا الشرق ؛ ولا أدل على مثل هذا من فقرات يسيرة كتبها المستشرق لوستير متأثراً بتلك الروح العقديّة الذي سادت المجتمعات الغربية ولا تزال، فقال : ((إن محمداً مؤسس دين المسلمين قد أمر أتباعه بأن يخضعوا العاَلم وأن يُبدِّلوا دينَه بجميع الأديان، ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين ـــ ويقصد المسلمين ـــ وبين النصارى ! إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة ، وقالوا للناس : إمّا أن تُسْلِمُوا أو تموتوا ... ماذا كان حالُ العاَلم لو أن العرب انتصروا علينا))[2] .

وظلت العقلية الأوروبية الكاثوليكية تُفكر بهذه الطريقة المعادية للإسلام والمسلمين مما نتج عنها الحروب الصليبية الكبرى ـــ المرقّمة تاريخياً ـــ مع أن هذه العقلية الكاثوليكية كانت تُعايش المسلمين في الأندلس وصقلية وترى ما في دين الإسلام وتعامل المسلمين من تسامح ومحبة للآخرين وبذل العلم لكل من يطلبه منهم نصرانياً أو يهودياً أو غيرهما ، إلاّ أن حقدها الصليبي وتعصبها الشديد لدينها النصراني لم يجعلها ترى نور الإسلام وسماحته فتفكر في حقيقته وتعاليمه .

ولو تتبعنا السرد التاريخي لآباء الكنيسة الكاثوليكية ومدى اهتمامهم بدراسة الإسلام ديناً وتاريخاً ولغةً للطعن فيه والرد عليه لطال بنا المقام[3] .

---

[1]) الاستشراق ، ص ١٦ ، د. فتحية عبد الفتاح النبراوي .

[2]) الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين ، ص ٥٣ ، مصطفى نصر المسلاتي .

[3]) ومن أبرز هؤلاء في تلك المرحلة المبكرة :

ـــ توما الأكويني (١٢٢٥م ـــ ١٢٧٤م) :

ولد بمدينة أكويني بألمانيا بدأ حياته العلمية في دير مونتي كاسينو للرهبان البندكتيين من (١٢٣٠م) إلى (١٢٣٩م) ثم انتقل إلى باريس في عام (١٢٤٥م) وتتلمذ على الراهب الدومنيكي والمستشرق الألماني ألبر الكبير (١٢٠٦م ـــ ١٢٨٠م) ، وانضم على إثر ذلك إلى الرهبان الدومينكيين . أُستدعي إلى روما عام (١٢٥٩م) ؛ وتولى التدريس في مدرسة البلاط البابوي زهاء عشر سنين، اهتم باللغة العربية، وتعلمها، ورد على الفلاسفة=

ولكن الذي يهم في هذه المرحلة والتي عدت المرحلة الأولى للاستشراق الكاثوليكي الغربي ، بيان أنها مرحلة اتسمت بالفهم القاصر للإسلام وتعاليمه ، المبني على الخوف والفزع منه ؛ لأنه تغلغل في نفوس العقلاء من الغربيين وقلوبهم مما قد ينتج عنه — في تصورهم — زحزحة للدين النصراني في بلادهم النصرانية، فكانت النتيجة البدهية للاستشراق وضع صورة مشوهة مسبقاً عن الإسلام وتعاليمه ، وإبرازها للعامة عندهم في كل أنحاء الغرب الكاثوليكي لوضع حاجز نفسي وذهني وحسي قوي بين شعوبهم النصرانية وبين الإسلام فيحذّوا بهذا من انتشاره بينهم ، خاصةً إذا علمت العامة من النصارى — وما أكثرهم في ذلك الوقت — أن هذا الحكم على الإسلام مبني على دراسات قام بها آباء كنيستهم ورجال دينهم ، وهم عندهم في تلك الأوقات محل ثقة

-المسلمين ، وقد ألف كتاباً في ذلك سماه : خلاصة المذهب الكاثوليكي ضد الوثنيين ويُسمى أيضا (في تفنيد الفلسفة الدينية) في أربعة مجلدات، وما زالت فلسفته أساس الدراسات اللاهوتية الكاثوليكية حتى اليوم ، توفي عام (١٢٧٤م) وأعلنت الكنيسة الكاثوليكية قداسته عام (١٣٢٣م) .

انظر : المستشرقون ، ١/١١٧ — ١١٨ ، نجيب العقيقي ، الاستشراق السياسي ، ص ٥٥ ، مصطفى المسلاتي ، تاريخ حركة الاستشراق ، ص ٢٥ ، يوهان فوك .

— ريموندو مارتيني (١٢٣٠ — ١٢٨٤م) :

ولد بمدينة سوبرتس في مقاطعة كتالونيا ((شمال شرق أسبانيا))، من الرهبان الدومنيكان بدأت اهتماماته بدراسة الإسلام ولغته العربية في عام (١٢٥٠م) ، فسافر إلى تونس وتعلّمها هناك ، وقيل إنه درس بعض أحكام القرآن واهتم بحفظ صحيحي البخاري ومسلم، وكان أجرأ المستشرقين في ذلك الوقت على تعاليم الإسلام وكتابه القرآن الكريم ، شديد الكراهية لكل ما هو إسلامي ، جادل الفلاسفة المسلمين وعلى رأسهم الإمام الغزالي في مسائل عدة في توحيد الله تعالى وخلود الروح، وألف في الرد على المسلمين كتاباً سماه : خنجر الإيمان، وصف فيه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه معلم مجنون، وهذا الوصف — والعياذ بالله — كان سائداً في كتابات المستشرقين، واتهم المسلمين بأنهم قوم لا يفقهون ، وأنهم يقبلون على الباطل والخرافات كأنها يقينية، وكان يذكر دائماً أن كل ما جاء الإسلام باطل من أساسه، وحاول معارضة القرآن الكريم بأقوال بيّن فيها سخافته الواضحة الوقحة وعجزه التام، فتطاول فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ، وألف في ذلك كتاباً سماه : (الخلاصة ضد القرآن) .

اتخذ المستشرقون الكاثوليك بعده أقواله في القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم وفي المسلمين قواعد مسلمة، بنوا عليها دراستهم بعد ذلك . انظر : موسوعة المستشرقين ، ص ٣٠٩ — ٣١٠ ، د. عبد الرحمن بدوي ، المستشرقون ، ١/١١٩، نجيب العقيقي، الاستشراق ، ص٥٢—٥٣ ، د. السيد فرج، تاريخ حركة الاستشراق، ص٢٥، يوهان فوك .

واعتبار ، وهذا ما يُفسر اهتمام البابوية ورجالها للدراسات الاستشراقية عن الإسلام وتعلم لغته العربية منذ نشأتها .

وقد نتج عن هذه الدراسات المزوّرة لدين الإسلام وتعاليمه أن نجح باباوات روما ومن معهم من ملوك الغرب الكاثوليكي في حشد جيوش صليبية مكوّنة من طبقات مختلفة من الشعوب الغربية (عامة، وعساكر، ونبلاء ...) ليس لإخراج المسلمين من البلاد الغربية ـــ التي نشروا في ربوعها الرحمة المهداة من تعاليم الإسلام السمحة لخيري الدنيا والآخرة ـــ فحسب بل في الهجوم على ديارهم الشرقية مهبط الرسالة الإسلامية في البلاد العربية، والتي استمرت أكثر من قرنين من الزمان ((١٠٩٥ ـــ ١٢٩١م)) [١] ، في أكثر من الحملات الصليبية الثمان ـــ المرقمة تاريخياً ـــ والتي استطاع بها الغرب الكاثوليكي أن يحتلوا بعض الإمارات الإسلامية المهمة خاصةً بلاد القدس الشريف ... ((فالحملات الصليبية أدت إلى انتشار الاستشراق على نطاق واسع جداً محملاً بروح التعصب الديني، فقد بدأ الجاحدون للإسلام من الأوربيين يتعلمون اللغة العربية، لا حباً فيها ولكن ليتخذها وسيلة إلى فهم القرآن، وسلاحاً في مناقشته)) [٢] .

وهذه المرحلة المبكرة للدراسات الاستشراقية الكاثوليكية الغربية لدين الإسلام وحضارته ، ولغته ، هي التي شكلت العقلية الأوروبية تجاه كل ما هو إسلامي من ناحية الحقد والكراهية والانتقام ... وما زالت هذه العقلية الأوروبية ـــ المفزعة ـــ حيّة في الوجدان الغربي الأوروبي على جميع مستوياتهم العلمية والشعبية والرسمية إلى زماننا هذا، ولكن قد تتوارى خلف بعض المصالح الاقتصادية الدبلوماسية ليس إلاّ، والواقع أكبر دليل.

ـــ المرحلة الثانية : من مؤتمر فيينّا بفرنسا البابوي (المسكوني الخامس عشر) ، في بداية القرن الرابع عشر الميلادي (١٦ تشرين الأوّل ١٣١١ ـــ ٦ آيار ١٣١٢م) ، وإلى ظهور قوة الدول الغربية الكاثوليكية عن طريق الكشوفات الجغرافية في أواخر القرن

---

[١]) أقصد في ذلك الوقت وإلاّ فإن الحروب الصليبية لم تنته ولن تنتهي مصداقاً لقول الباري ﷻ : ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ سورة البقرة ، الآية : ١٢٠ .

[٢]) فلسفة الاستشراق ، ص ٧٤ ، د. أحمد سما يلوفيتش .

الخامس عشر ١٤٩٢م ، والقرن السادس عشر الميلادي .

بل إن بعض المهتمين بالدراسات الاستشراقية الغربية يرون أن البداية الرسمية للاستشراق قد انطلقت من مجمع فيينا الكنسي سنة (٧١٢هـ ـ ١٣١١م) فقد أصدر البابا إكليمنضوس (كليمنت) الخامس (٥ حزيران ١٣٠٥ ـ ٢٠ نيسان ١٣١٤ م) في هذا المجمع قراراً بإنشاء كراسٍ جامعية في الجامعات الخمس الكبرى في الغرب الكاثوليكي في ذلك الوقت ((في جامعة باريس ، وجامعة اكسفورد في لندن ، وجامعة بولونيا ، وجامعة سلمنكا ، وجامعة الإدارة المركزية البابوية في روما)) لتدريس اللغة العربية ، وبعض العلوم الإسلامية ، وبعض اللغات الحيّة في ذلك الوقت مثل اليونانية والكلدانية [1] .

وكان التوجه البابوي لدارسة اللغة العربية وبعض العلوم الإسلامية في جامعاتها، وعلى يد مدرسين كاثوليكيين [2] ، لمقاومة الدين الإسلامي عن طريق الطعن فيه ، وفي تاريخه ولغته ، ولغرض بث النصرانية في قلوب المسلمين بطرق سلميّة بسبب فتور الروح الصليبية العسكرية في قلوب الشعوب الغربية ؛ لانتصار الأمة الإسلامية عسكرياً في ذلك الوقت ، وإخراجهم للصليبيين من عكا عام ١٢٩١م خروجاً نهائياً لم يستطع الغرب الكاثوليكي بعدها أن يتقدم نحو الأراضي المقدسة في فلسطين ، علماً أنه قام بعدة هجمات صليبية على المسلمين إلاّ أنها جميعاً باءت بالفشل .

فالاستشراق نال رعاية البابوية ومباركتها عندما ثبت فشل الحروب الصليبية العسكرية من خلال انحسار المد الغربي الصليبي بعد جهود قرنين من الزمان ، فاتجهت البابوية وكنائسها الكاثوليكية إلى التنصير من خلال الفكر والثقافة والعلم ، فكان التوجه إلى ما نسميه اليوم الغزو الفكري في تحقيق ما فشل فيه سلاح الغزو الحربي [3] ، هذا الغزو الذي أتخذ من الاستشراق منطلقاً له ، سعى من خلاله إلى تشويه الإسلام بطرق شتى ، لا

---

[1]) تاريخ حركة الاستشراق ، ص ٣٢ ، المستشرق الألماني يوهان فوك ، نقله عن الألمانية : عمر لطفي العالم ، الاستشراق ، ص ٨٠ ، إدوارد سعيد ، ترجمة : كمال أبو ذيب .

[2]) المرجع السابق ، تاريخ حركة الاستشراق ، ص ٣٢ .

[3]) بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته ، ص ١٢ ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

تعدى كونها جملة من الإسقاطات[1] .

وهكذا قرر الغرب الكاثوليكي مواجهة الإسلام على نطاق أوسع من ذي قبل — أي أوسع من المواجهة بالسيف — فتمسك بتعلم اللغة العربية في مدارسه ، وكاتدرائياته وأديرته وجامعاته ، وحدث بعد فترة من الزمن أن خرّجت تلك المدارس والجامعات عدداً ضخماً من علماء اللغة العربية وآدابها ، وكان هذا تقدماً جديداً في الاستشراق[2] .

وكان تبلور هذه المرحلة من الاستشراق الكاثوليكي الغربي بسبب توصيات بعض المستشرقين منهم، والذين نظروا في حال الأمة الإسلامية ومدى تفوقها على قومهم النصارى ؛ مع فتور واضح من قومهم النصارى الغربيين لمواجهة الأمة الإسلامية على كل الأصعدة عسكرياً وعلمياً واقتصادياً ، فنادوا بالعلم سلاحاً للمواجهة مع المسلمين ولصد تقدمهم في بلادهم ، مع قيام الحل العسكري إن استطاعت جيوشهم الغربية إلى ذلك سبيلاً .

ومن أوائل هؤلاء المستشرقين الذين نادوا بتعلم اللغة العربية لمواجهة المسلمين من الناحية العلمية هو روجر بيكون المتوفى سنة ١٢٩٢م[3] ، فقد وجه رسالة إلى بابا روما إكليمنضوس (كلمينت) الرابع (٥ شباط ١٢٦٥ — ٢٩ تشرين الثاني ١٢٦٨م) ، عام ١٢٦٦م ضمنها دعوة إلى وجوب إدخال اللغة العربية في مناهج الدراسات الجامعية ؛ لأن تعلم اللغة العربية سيعين على معرفة منافذ التسرب إلى من يراد تنصيرهم من المسلمين ، وكان يطلق عليهم الكفار[4] .

---

[1]) المستشرقون والتنصير ، ص ٢٣ ، د. علي إبراهيم النملة .

[2]) فلسفة الاستشراق ، ص ٧٥ ، د. أحمد سما يلو فيتش .

[3]) روجر بيكون (١٢١٤ — ١٢٩٢م) :
انجليزي ، من الرهبنة الفرنسيسكانية ، تلقى العلم في إكسفورد ثم باريس عام (١٢٤٠م) حيث نال فيها الدكتوراه في اللاهوت، ثم انتقل إلى إيطاليا وتعلم فيها اللغة العربية ودرس الطب ، كان من المقربين للبابا كليمنت الرابع ، ومن آثاره : موجز الدراسات اللاهوتية .
انظر: المستشرقون ، ١٢٠/١ ، نجيب العقيقي ، المستشرقون والتنصير ، ص ٧٢ ، د. علي إبراهيم النملة .

[4]) الاستشراق ، ص ٥٤ ، د. السيد أحمد فرج ، الإسلام والاستشراق ، ص ٧٥ ، د. محمود حمدي زقزوق ، ضمن بحوث كتاب الإسلام والمستشرقون ، الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي ، ص ٢٤ ، د. أحمد عبد الحليم السايح ، أوروبا والمسيحية ، ٢٩٠/٢ ، يان دوبرا تشينسكي ، ترجمة : د. كيرو لحلو .

ثم كانت التوصية الأقوى في مسألة تعلم اللغة العربية لمواجهة المسلمين عقدياً وفكرياً ، والعمل على تنصيرهم ، أو تشكيكهم في دينهم الإسلامي من الراهب الفرنسيسكي الأسباني ريموندو لول المتوفى عام ١٣١٤م [١] .

فقد عمل على وضع مشروع ضخم لخدمة نصرانيته ومذهبه الكاثوليكي ، وسلك في ذلك مسلكين .

أولهما : بذل الجهد في تعلم اللغة العربية ، والدعوة إلى تأسيس معاهد وجامعات لتعليم لغة الإسلام لتيسير سبل الاطلاع على الثقافة العقدية والتشريعية والصوفية والفلسفية لعلماء المسلمين .

وثانيها : الانخراط الدؤوب في مساجلة المسلمين ، والرد على معتقداتهم ، وتفكيرهم الديني ؛ لنقد الإسلام ، وإقناع كل من النصارى والمسلمين بصحة النصرانية .

وإلى جانب ذلك وبموازاته ، فإنه لم يكل أبداً عن دعوة السلطات الدينية والسياسية إلى متابعة جهدها الحربي الصليبي ضد الأمة الإسلامية، بتنظيم مزيد من الحملات الصليبية شرقيها وغربيها في كُلّ بقعة فيها مسلمون[٢] ، وكان يرى أن الإسلام هو العدو اللدود

---

[١]) ريموندو لول (١٢٣٥ ـــ ١٣١٤) :

ولد في بالما من جزيرة ميورقة الإسبانيّة ، قضى في تعلّم العربية وحفظ القرآن لمدة تسع سنوات (١٢٦٦ — ١٢٧٥) ، ثُمّ قصد باريس ، وانضم إلى الرهبانيّة الفرنسيسكانيّة ، وأقنع ملك أراغون في عام ١٢٧٦م بإنشاء مدرسة لتدريس العربية ، وقد مهد بها إلى إنشاء معهد الدراسات الإسلاميّة في مدريد ومراكز الثقافة الإسبانيّة في الشرق ، أبحر إلى تونس عام ١٢٩١م لدراسة التصوف « عُرف هناك بالصوفي النصراني ، اعتقل وسجن ثُم طُرد من تونس » رحل إلى الجزائر منصّراً عام ١٣٠٦ ، فلاقى ما لاقاه في تونس من السجن ثُم الطرد » اختار بعد ذلك أن ينتقل إلى ساحل بيزا بإيطاليا في كانون الثاني ١٣٠٧م ، حضر مجمع فيينّا الكنسي عام ١٣١١ حيث شاهد مساعيه تكلّل بالنجاح إذ أقرّ البابا كليمنت الخامس إنشاء الكراسيّ للعربيّة والكلدانيّة العبريّة، رجع رايموند لول إلى شمال إفريقيا وقتل فيها عام ١٣١٤م .

درس لول حياة مجموعة من المتصوفين المنتسبين للإسلام ، منهم : ابن عربي ، وقد شُغف به » وابن سبعين ، وابن هود ، والششتري » وابن مدين .

من آثاره : الردود على فلسفة ابن رشد » عم ١٣٠٩م ، وكتب في عام ١٣٠٨م مناظرات بين رايموند المسيحي » وعمر العربي » وترجم إلى اللاتينيّة ، موسوعة (تأمّلات في الله) ، وهي موسوعة في علوم الدين عام ١٢٧٢ ، وغيرها . انظر : المستشرقون » ١ / ١٢٢ ، ١٢٣ » نجيب العقيقي .

[٢]) الإسلام في تصورات الاستشراق الأسباني » ص ١٥٩ » د. محمد عبد الواحد العسري .

الأكبر للكنيسة[١]، وقد ساعده ملك أراغون في إسبانيا بإنشاء مدرسة لتعليم اللغة العربية في مملكته عام ١٢٧٦م أشرف عليها بنفسه ، تخرج منها في دفعتها الأولى ثلاثة عشر راهباً يتقنون اللغة العربية، وقد كان هذا النجاح في مدرسته هذه مجرد بداية في نظره، لم تتوقف بعدها مساعيه لإقامة المزيد من المعاهد المشابهة، حيث إنه مهد بهذه المدرسة إلى إنشاء معهد الدراسات الإسلامية في مدريد[٢] .

وقد زاد في وضع خططه الاستشراقية التبشيرية التنصيريّة بمزيد من الكتابات في مؤلفات تقبلها الغرب الكاثوليكي، ولا سيما مؤلفه الأدبي (Blanguerna) الذي ظهر بين سنتي (١٢٨٣م ، ١٢٨٥م)، وهو عبارة عن رواية تنصيرية ، وصف بطلها بخلاصة تجاربه ، وطموحاته، وآماله، فهو يدير ظهره للدنيا، ويعتكف في زاوية، ثم يرتقي إلى أسقف ومن ثم يُصبح بابا، ويقوم بعرض برنامج تنصيري ضخم، ويرسل جيشاً من القساوسة إلى سائر أنحاء العالم بهدف الدعاية للعقيدة الكاثوليكية[٣] .

وعرض مشروعاً متكاملاً لمواجهة الإسلام ــ فهو يرى أن تعاليم الاسلام ترجع إلى وسوسات الشيطان ــ[٤] على بابا روما نيقولا الرابع (١٢٨٨ ــ ١٢٩٢م) ، ثم زاده وضوحاً واقتراحات وعرضه على خلفه البابا سلستين الخامس في سنة ١٢٩٤م[٥] .

وشهد في سنة ١٣١١م قرار المجمع الكنسي العام الملتئم في مدينة فيينا بإقرار تعيين تدريس اللغة العربية وغيرها من اللغات في الشرق في الجامعات الخمس الكاثوليكية في باريس، ولندن (إكسفورد) ، وبولونيا ، وسلمنكا ، وجامعة الإدارة المركزية البابوية في

---

[١]) تاريخ حركة الاستشراق ، ص ٢٨ ، يوهان فوك .

[٢]) المستشرقون ، ١٢٢/١ ، نجيب العقيقي ، تاريخ حركة الاستشراق ، ص ٢٨ ، يوهان فوك .

[٣]) تاريخ حركة الاستشراق ، ص ٢٩ ، للمستشرق الألماني يوهان فوك ، ترجمة : عمر العالم .

[٤]) الإسلام في تصورات الاستشراق الأسباني ، ص ١٦٤ ، د. محمد العسري .

[٥]) تاريخ حركة الاستشراق ، ص ٢٩ ، ٣٢ ، يوهان فوك .

وورد في ترجمة الكتاب أن البابا الذي عرض عليه (لول) مشروعه هو سلستين الثالث ، والصحيح أن البابا اسمه (سلستين الخامس) لأنه في سنة (١٢٩٤م) هو الذي كان يعتلي عرش البابوية، أما (سلستين الثالث) فكان قبله بنحو مئة سنة من سنة ١١٩١م إلى سنة ١١٩٨م . انظر : تاريخ الحروب الصليبية ، ٨٥٩/٣ ــ ٨٦٠ ، ستيفن رنسيمان ، ترجمة : السيد الباز العريني.

روما[1] .

وبذلك يكون هذا الراهب الأسباني قد نجح في فتح مرحلة جديدة للاستشراق الكاثوليكي الموجه ضد الدين الإسلامي بدراسة لغته وعقائده وتعاليمه للوقوف في وجهه ومنع تقدمه وغزوه لبلادهم الأوربية النصرانية .

فتعمقت في هذه المرحلة أهداف البابوية وكنائسها والغرب الكاثوليكي في توسيع مصطلح الاستشراق حيث يمكن من خلال إتقانهم للغة العربية نفاذهم إلى مصادر الدين الإسلامي وحضارته ، كما استعان الفاتيكان بالحُكّام والأمراء الغربيين الكاثوليك على تأسيس مدارس تساعدهم في تلك المواجهة العلمية الدينية والحضارية في العواصم الأوروبية [2] .

وبهذا الجهد للبابوية أصبح الفاتيكان ـــ بل إيطاليا كلها ـــ في تلك المرحلة الاستشراقية موطن علم الاستشراق ، فانتشرت العربية بين الطليان انتشاراً عظيماً حتى إن تجار البندقية وجنوا ونابولي كانوا يرون تعلمها من الأمور الضرورية للحياة على نحو ما ننظر اليوم إلى اللغة الانجليزية والفرنسية[3] .

ومما لا شك فيه أن فتح القسطنطينية على يد المجاهد الكبير السلطان العثماني محمد الفاتح في عام ١٤٥٣م كان له الأثر الكبير في انتشار الدراسات الاستشراقية الكاثوليكية للحضارة الإسلامية؛ لما لهذا الحدث الكبير في العالمين الإسلامي والنصراني من صدى واسع وعظيم، أصاب الفرح والعزة قلوب وشعوب الأمة الإسلامية ، وانتاب النصارى شعور بالفزع والألم والخزي ، وكان أشد الناس تأثراً بتقدم الجيوش الإسلامية بابا روما نيقولا الخامس ، فقد عقد المؤتمرات في روما لمواجهة المد الإسلامي حيث كان يدق أبواب فيينا النمساوية ، ويهدد روما نفسها ، إلاَّ أنَّه لم يجد التفاعل الإيجابي من الغربيين الكاثوليك لمواجهة المسلمين فمات قهراً وكمداً عام ١٤٥٥م ، وكذلك ما وجده البابا

---

[1]) تاريخ حركة الاستشراق ، ص ٣٢ ، يوهان فوك .

[2]) الاستشراق ، ص ١٧ ، د. فتحية عبد الفتاح النبراوي .

[3]) فلسفة الاستشراق ، ص ٧٦ ، د. أحمد سما يلو فيتش .

بيوس الثاني (١٩آب ١٤٥٨ــ ١٤آب ١٤٦٤م) [1] ، فقد ضعفت الروح الصليبية لمواجهة المسلمين عسكرياً[2]، مما حدا بالبابوية وكنائسها مواصلة الحث على دراسة هذا الدين الإسلامي لمواجهته علمياً ودينياً ولتشويه صورته وحضارته في عيون الغربيين وتزيين النصرانية في عيون المسلمين إن أمكنهم ذلك .

فهذ الطور الاستشراقي الكاثوليكي ــ ولضعف النصارى الغربيين في مواجهة المسلمين في أغلب نقاط المواجهة العسكرية بينهم ــ كان دينياً تنصيرياً تمثل في العمل على ((نشر المسيحية وتبليغ دعوتها ، وتصوير الإسلام تصويراً يثبت فضل المسيحية ، ورجحانها على الإسلام ، ويبعث في الطبقة المثقفة إعجاباً بالمسيحية ، وحرصاً عليها ، ولذلك نرى أن الاستشراق والتبشير يسيران معاً في أغلب الأحوال وأن عدد المستشرقين الأكبر أساقفة)) [3] .

المرحلة الثالثة : من القرن السادس عشر الميلادي (بداية حلول القوة العسكرية والاقتصادية للغرب الكاثوليكي) إلى الثلث الأخير من القرن العشرين (في السبعينات) ، وبداية انعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني عام (١٩٦٤م) وهو بداية حلول الضعف العسكري والسياسي لأوربا الكاثوليكية .

وهذه المرحلة أطول مراحل الاستشراق الكاثوليكي، وقد ذهب إلى تقسيم هذه المرحلة إلى مراحل بعض المهتمين بالدراسات الاستشراقية الغربية .

والذي أذهب إليه أن هذه الفترة وإن كانت طويلة ولكن من الأنسب والأولى أن تبقى وحدة واحدة لا تتجزأ ، وذلك لأمور :

أ) أن هذه المرحلة بأكملها مرحلة قوة عسكرية وسياسية للغرب الكاثوليكي ، وكانت من أولى أهدافها منذ بدايتها التسلط العسكري على الأمة الإسلامية ، واستنزاف خياراتها وإضعافها اقتصادياً إلى أن أفل نجم القوة العسكرية للدول الكاثوليكية الغربية في

[1]) الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط ، ص١١٠ ، ١١٨ ــ ١١٩، د. علي محمد الصلابي .

[2]) تاريخ الحروب الصليبية ، ٧٨٠/٣ ، ستيفن رنسيمان ، ترجمة : السيد الباز العريني .

[3]) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية ، ص ١٨٣ ، أبو الحسن الندوي .

آخر هذه المرحلة ، وظهور القوة العسكرية والسياسية للـدول البرونـستانتية الغربيـة فاستمرت في تطبيق نفس الدور الكاثوليكي الموجه ضد الأمة الإسلامية .

ب) كان في هذه المرحلة منذ بدايتها النظرة الاستعلائية والتكبّرية للغرب الكـاثوليكي ضد الأمة الإسلامية والمسلمين؛ وكان سبب ذلك تغيّـر المكانـة الحـضارية والعلميـة والاقتصادية لصالح الغرب الكاثوليكي وتخلف المسلمين عن تلك المكانـات، حـتى زاحمتها الدولة البروتستانتية في استمرارية هذه النظرة المتعالية الموجهة للأمة الإسـلامية ؛ فغيّر ـ بشكل مؤقت ـ الغرب الكاثوليكي ـ وعلى رأسه الفاتيكان ـ النظرة إلى الأمة الإسلامية في الآونة الأخيرة بعد المجمع الفاتيكاني الثاني عام ١٩٦٤م، وطلب الحوار مـع المسلمين ؛ للدخول عليهم من مدخل آخر يطلب فيه منهم تنازلاتٍ الله أعلم بما ستـصل بالمسلمين إليه من دركات .

جـ) كان في هذه المرحلة استمرار العمل الاستشراقي الكـاثوليكي مـدعوماً بقـوة حضارية واقتصادية وسياسية لتشويه الدين الإسلامي وتعاليمه وحضارته ، ليس لوقـف امتداده في الغرب الكاثوليكي فحسب، بل لبث هذا التشويه بين أبناء المسلمين أنفـسهم خاصةً المعجبين منهم بالتمدن الغربي الكاثوليكي ، وهذا ما ظهر واضحاً وأتـى بنتـائج مرضية للغرب الكاثوليكي بعد ظهور حركة التغريب التي مسكت زمام تـشويه الـدين الإسلامي وضرب في مسلّماته بأيدي المستشرقين الذين نفق ما عندهم من طعون وتجريح للدين الإسلامي في الآونة الأخيرة .

د) زيادة الطمع في هذه المرحلة من تنصير أبناء المسلمين وتحويلهم إلى الكاثوليكيّة خاصة بعد دخول البروتستانت في حلبة تنصير المسلمين .

هذه الأمور المشتركة في هذه المرحلة الطويلة من الاستشراق الكاثوليكي جعلـتني أرى أن بقاءها وحدة واحدة لا تتجزأ هو الأنسب والأقرب للصواب من حيث النظر الشامل للتاريخ الغربي الكاثوليكي وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها في المسلمين ، والله أعلم .

ثمَّ أنّ المرحلة هي حجر الزاوية للاستشراق الكاثوليكي الموجه ضد الأمة الإسـلامية دينها وحضارتها ولغتها، فهي مرحلة مكر الكبّار، وهي المرحلة التي نشأ فيهـا وتقـوى، الركن الثاني من ركني الغزو الفكري الكاثوليكي الموجه ضد الأمـة الإسـلامية، وهـو

التغريب المكمل للركن الأول في عملية الغزو الفكري، وهو الاستشراق.

والذي زاد هذه المرحلة قوة من بدايتها أنه في نهاية المرحلة الاستشراقية السابقة عندما سقطت بلاد الأندلس الإسلامية ـــ وكانت من الحواضر العلمية في بلاد المسلمين ـــ في أيدي الأسبان الكاثوليك، وجد الغرب الكاثوليكي ثروة علمية إسلامية طائلة من نوادر المؤلفات باللغة العربية في شتى أنواع المعرفة، فاستولوا على هذا التراث، وجمعوه في مكتباتهم، وعكف عليه المستشرقون بحثاً وتحليلاً، وتكوَّنت لديهم أيضاً من خلال هذا التراث معارف واسعة عن البلاد الإسلامية من حيث السكان والعادات والاقتصاد والطرق التجارية بل مواطن القوة والضعف بشكل أعطت للمستشرقين الكاثوليك صورة واضحة عن البلاد الإسلامية [1] .

ومما زاد هذه المرحلة الاستشراقية خطوة مؤثرة أن أول مطبعة بالأحرف العربية والتي كانت في سبتمبر من سنة ١٥١٤م برعاية بابا روما يوليوس الثاني قد تحسنت وأصبحت أكثر جودة في إخراجها للحروف العربية وذلك في ثمانينات القرن السادس عشر في روما بمباشرة أسقف ودوق توسكانا (فيردناند فون ميديشي) برعاية بابا روما جريجوري الخامس (١٥٧٢ ـــ ١٥٨٥م) فتقدم بها الاستشراق الكاثوليكي .

أنتجت هذه المطبعة بادئ الأمر الأناجيل الأربعة باللغة العربية وترجمة الآجرومية في قواعد اللغة العربية وترجمة كتاب القانون في الطب لابن سينا وكان ذلك ابتداءً من سنة ١٥٨٦م ، كما أنشئت مطبعة جديدة بمساعدة السفير الفرنسي (فرانسوا سافاري دي بريفيه) لدى الإدارة البابوية المركزية في روما (١٦٠٨ ـــ ١٦١٤م) ، ورعاية بابا روما بولس الرابع (١٦ آيار ١٦٠٥ ـــ ٢٨ كانون الثاني ١٦٢١م) فتنشطت بها طموحات البابوية أكثر ، وكان من أول إنتاجها في عام ١٦١٤م الترجمة العربية لأركان الدين النصراني للكاردينال بيلادمين [2] ، وهكذا تتابع إنشاء المطابع باللغة العربية منذ بداية هذه المرحلة الاستشراقية .

((ومنذ ذلك الحين خطا الاستشراق خطوة جديدة نحو الانطلاق ، فانتشرت المدارس

---

[1]) نقد الخطاب الاستشراقي ، ٥٦/١ ، د. ساسي سالم الحاج .

[2]) تاريخ حركة الاستشراق ، ص ٤٥ ، ٦٢ ـــ ٦٤ ، يوهان فوك ، نقله إلى العربية : عمر لطفي العالم .

لتعليم العربية في أوروبا كلها وأقيمت المطابع لإصدار نفائس العرب ، وأخـذ العلماء والرهبان يتسابقون في دراستها ، ونشرها ، والتعليق عليها ، واهـتم أباطرة الغـرب بالمخطوطات العربية فلم يألوا جهداً في اقتنائها ثم طبعها على نفقتهم وبإشراف علمائهم مما أدى إلى ازدهار الاستشراق))[1] .

فأصبح للغرب الكاثوليكي ـــ ثم لحقهم البروتستانت ـــ مؤسسات متعددة[2] تعرف من

---

[1]) فلسفة الاستشراق ، ص ٧٨ ، د. أحمد سما يلو فيتش .

[2]) ومن هذه المؤسسات الاستشراقية في الغرب الكاثوليكي :

في إيطاليا ، أنشأ البابا غريغوري الثالث عشر المدرسة المارونية في روما عام ١٥٨٤م ، ثم تأسست مطبعتها عام ١٦٥٣م ، وأنشأ البابا أوربانوس الثامن (٦ آب ١٦٢٣ ـــ ٢٩ تموز ١٦٤٤م) مدرسة نشر الإيمان ومطبعة لها عام ١٦٢٢م وفي نفس السنة كلف مجمع نشر الإيمان التنصيري الرهبنات التابعة له بتأسيس مراكز للغات الشرقية ـــ وعلى رأسها اللغة العربية ـــ في روما، وعين الأب جارديان الفرنسيسكاني من القدس أول أستاذ للعربيـة في إحداها، ثم أنشأ الأب ريبا في نابولي مدرسة للغات الشرقية وفيها كرسي للغة العربية الفصحى ولهجاتها العاميـة وكان ذلك عام ١٧٢٧م .

وفي عام ١٩٠٥م تكّون المعهد البابوي للدراسات الشرقية الملحق بكلية آداب جامعة روما ، وأكـبر أقـسامه لتدريس اللغة العربية وآدابها والعلوم الإسلامية والآثار المصرية .

ولهذا المعهد نشرات ومحاضرات في ذلك منها مجلة الدراسات الشرقية صدرت عام ١٩٠٧م ، وهي فصلية ، ومجلة أركيون عام ١٩١٩م التي أصبحت عام ١٩٣٨م المجلة الرسمية لمجمع تاريخ العلوم العالمي .

وفي عام ١٩٠٩م تكّون المعهد البابوي للكتاب المقدس ، وفيه كُلّيتان : للكتاب المقدس ، وللدراسات الشرقية ، وفي عام ١٩١٨م تكّون المعهد البابوي للشرق ، وكان يهتم بدراسات الشرق المسيحي ، وفقه اللغات وعلى رأسها اللغة العربية ، وقد ألحقت به مكتبة غنية بالمخطوطات العربية النادرة ، وقد أصدر هذا المعهد عدة مجلات منها مجلة فلسطين عام ١٩٢٣م .

والمعهد البابوي المعروف بالمعهد الشرقي تكّون عام ١٩٢٠م، يعنى بتعريف الشرق الإسلامي ، ولديه مكتبة ثمينة وفيه فصول لتعليم العربية والفارسية والتركية ومحاضرات عامة ، وقد أنشأ مركزاً للعلاقات الإيطالية العربية عـام ١٩٥٢م فنظم تعليم الطلاب العرب في إيطاليا وعاونهم وأقام لرسّاميهم معرضاً عاماً ١٩٥٦م ، وأتبعه عام ١٩٥٨م مركزاً لآثار الشرق الأدنى وتاريخه وفنونه ، وينشر المعهد سلسلة الدراسات المشرقية التي بلغت عشرات المجلدات، منها مجلد كامل عن طه حسين ، وأصدر مجلة شهرية (الشرق الحديث) عام ١٩٢١م ، وقد اشتهرت هذه المجلـة بدراسة العالم الإسلامي في تاريخه وتقويم بلدانه وأصول سكانه وتنوع ثقافته وتطور سياسته ... وغيرها من المعاهد والجمعيات الإيطالية وبعضها بإشراف بابا روما مباشرةً ، ومنها كرسي خاص باللغة العربية عام ١٩٢١م في الجامعة الكاثوليكية في ميلانو ، وعام ١٩٥٨م في جامعة باليرمو .

= أما فرنسا ، فقد أنشأ الملك فرانسوا الأول كرسياً للعربية في ريمس عام ١٥١٩م ، وأنشأ الملك هنري الثالث كرسياً للغة العربية عام ١٥٨٧م في معهد (دي فرانس) وأُنشئت المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية في باريس عام ١٧٩٥م ، وأكثر ما اهتمت به من اللغات اللغة العربية ، وأصبحت هذه المدرسة زمن تدريس المستشرق (دي ساسي) (ت ١٨٣٨م) فيها محط أنظار كل العالم الغربي النصراني بقسميه الكاثوليكي والبروتستانتي . ومن أساتذة هذه المدرسة من العرب : ناصيف معلوف اللبناني (١٨٢٣ ـــ ١٨٦٥م) .

قسم اللغات في جامعة ليون أُنشئ عام ١٨٠٨م ، واهتم باللغة العربية والتمدين الإسلامي والآثار المصرية .

المدرسة العملية للدراسات العليا في باريس أُنشئت في عام ١٨٦٨م ، وفيها قسم العلوم الدينية الملحق بجامعة السوربون والمختص بدراسات الإسلام والأديان الوثنية في الجزيرة العربية وفقه اللغات الشرقية .

المعهد الكاثوليكي في باريس أُنشئ في عام ١٨٧٥م، واهتم كثيراً باللغة العربية، ومعها السريانية والقبطية .

وأدخلت فرنسا في عام ١٩٥٧م على برامجها في التعليم الثانوي مواد جديدة عن الحضارات الكبرى وتطور الشرق التاريخي ، فأصاب العرب والإسلام منها حظ موفور .

وفي أسبانيا بلغت الكراسي العلمية لتدريس اللغات الشرقية ـــ وأكثرها للغة العربية ـــ أكثر من ٢٥ كرسياً علمياً، ومنها في جامعة برشلونة في عام ١٤٥٠م، وفي جامعة بلنسية في عام ١٤٧٤م ، وفي جامعة سرقسطة في عام ١٤٧٤م ، وفي جامعة مدريد في عام ١٥٠٨م ، وفي جامعة غرناطة في عام ١٥٤٠م ، وفي جامعة سنتياجو دي كومبوستيلا في عام ١٥٤٤م ، وفي جامعة أوبييلو في عام ١٥٥٧م ، وفي جامعة لالاغونة في عام ١٩٥٠م ، وكان أكثر الملوك الأسبان عناية باللغة العربية والعلوم الإسلامية هو الملك كارلوس الثالث (١٧١٦ ـــ ١٧٨٨م)، فوسع المكتبة الملكية، ونظم مكتبة دير الأسكوريال، وجعل من معرفة اللغة العربية مبرراً لترقية الموظفين ، واستدعى رهباناً موارنة من لبنان، وشجع الأسبان على التضلع في اللغة العربية ونشر تراثها .

وفي جميع كليات الآداب في الجامعات الأسبانية كرسيان لليونانية والعربية يختار الطالب أحدهما ، ويتخرج بها بعد سنتين .

وفي ثلاث الجامعات : مدريد ـــ جامعة مدريد المركزية هي حالياً جامعة كومبلوتنس ، وبرشلونة ، وغرناطة ، قسم للغات السامية وعلى رأسها اللغة العربية يقضي الطالب ثلاث سنوات للتخصص ، وينال منها الماجستير والدكتوراه ، وكذلك في جامعات أوتونوما ومرسيه وملقا .

وفي عام ١٩٧٤م صدرت قوانين تنظيم الجامعات ، فوضعت اللغة العربية في قسم اللغات الحديثة مثل : الفرنسية ، والانجليزية ، والألمانية ، والإيطالية .

ويضاف إلى الجامعات : قسم خاص بالعربية في مدارس التجارة ، وتبلغ نحو خمسين مدرسة في أسبانيا .

وقد أُنشئت مدرسة الدراسات العربية في مدريد عام ١٩٣٣م ، وألحق بها مركزان للأبحاث في مدريد وغرناطة ، ثم أدمجت في المجلس الأعلى للأبحاث العلمية عام ١٩٣٩م، وأطلق عليه معهد أسين للدراسات العربية عام ١٩٤٤م، ويتبع المجلس الأعلى للأبحاث العلمية بمدريد : معهد الدراسات الأفريقية ، ومعهد الدراسات السياسية ، وفيه قسم لدراسة الإسلام المعاصر .

انظر : المستشرقون ، ١٣٩/١ ـــ ١٤١ ، ٤٠٥/١ ـــ ٤٠٨ ، ١٧٣/٢ ـــ ١٧٤ ، نجيب العقيقي .

خلالها وبصورة أعمق ليس على تعاليم الدين الإسلامي وحضارته السابقة فحسب بل على حاضر الدول الإسلامية وتقاليد الشعوب الإسلامية وعاداتها المختلفة مما مكّن للغرب النصراني فرض سيطرته على أهم الدول في العالم الإسلامي بل على أراضيها الإسلامية كوّن بعض مؤسساته الاستشراقية[١] التي استخدمها للدعوة إلى النصرانية والطعن في الدين الإسلامي ومقوماته، وحضارته، وتصويره على أنه عدو للعلم والتقدم والحضارة؛ ولا شك في أن الواقع السيء الذي وصل إليه العالم الإسلامي من تفكك واختلاف وخور هو الذي ساعد الغرب النصراني في ذلك ، فميزان القوة العالمي أصبح لصالح الغرب النصراني، فقد امتلك وسائل التقدم والسيطرة فتغيرت بذلك نظرته إلى العالم الإسلامي والمسلمين (فلم تعد نظرة الحقد القديمة التي تخفي الإعجاب، بل أصبحت نظرة استعلاء صادرة من خصم قوي عنيد، لم يتخلص من حقده القديم)[٢] .

لذلك يصلح أن نُسمِّي الاستشراق في هذه المرحلة خاصة في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين باستشراق السلطة أو (الاستشراق السلطوي)[٣]، فالغرب النصراني ـــ بقسميه الكاثوليكي والبروتستانتي ـــ رسّخ أقدامه في العالم الإسلامي

---

[١]) معهد مصر : أسسه نابليون في عام ١٧٩٨م ، والمعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة تأسس عام ١٨٨٠م ، كلية بورجاد في تونس عام ١٨٤١م أنشأها الأب بورجاد من الرهبان البيض ، ثم تحولت إلى معهد الآداب العربية في عام ١٩٣٧م ، معهد قرطاجة في تونس عام ١٨٩٥م ، معهد الدراسات العليا في تونس تأسس في عام ١٩٤٥م، مدرسة الآداب العالية في الجزائر في عام ١٨٨١م، ثم تحولت إلى جامعة الجزائر في عام ١٩٠٩م ، وتعنى باللغة العربية العصرية وعلم الآثار الإسلامية والتاريخ، وألحق بها معهد للدراسات الشرقية ، معهد الدراسات المغربية في الرباط تأسس في عام ١٩٣١م ، وكلها فرنسية ، والمعهد الفرنسي في دمشق في عام ١٩٢٢م ، والمعهد الفرنسي في طهران في عام ١٩٤٨م . انظر : المستشرقون ، ١٤١/١ ، نجيب العقيقي .

وتأسس في مدريد بأسبانيا المعهد الأسباني العربي للثقافة في عام ١٩٥٤م ، ثم وضع له قانون خاص وميزانية مستقلة في عام ١٩٧٥م، وأنشئت مراكز له في : طنجة ، الرباط ، الجزائر، القاهرة ، الاسكندرية ، عمان ، بيروت، دمشق ، بغداد ، أنقرة . انظر : المستشرقون ، ١٧٥/٢ ، نجيب العقيقي .

وقد أنشأت إيطاليا بمرسوم ملكي في يوم ١٧ أكتوبر ١٩١٥م المدارس الإيطالية العربية في ليبيا . انظر : الاستشراق السياسي ، ص ٢٢٤ ، مصطفى نصر المسلاتي .

[٢]) الاستشراق ، ص ٧ ، د. السيد أحمد فرج .

[٣]) الاستشراق ، ص ٣٨ ، د. إدوارد سعيد .

وضيق عليه الحصار عسكرياً واقتصادياً وثقافياً ، فأصيب بذلك كثير من أبناء المسلمين ـ البعيدين عن يقين الإسلام وعزته ـ بالهزامية وتبعية مقيتة ؛ فترك ذلك في نفوسهم الإعجاب غير المتناهي بما عند الغرب النصراني وأنّ ما هم فيه نقص حضاري وضعف ثقافي يجب تقويته وتصحيح مساره، ولا يكون ذلك ـ في زعمهم ـ إلاّ باتباع كل ما عند الغرب النصراني من ثقافة وحضارة وتوجه؛ فنتج عن ذلك الخديعة الكبرى للأمة الإسلامية، وهي (حركة التغريب) التي أخذت المعول من أيدي الغرب النصراني ووضعته في أيدي بعض أبناء المسلمين لضرب مقومات الدين الإسلامي القويم وأسسه ومحاولة هدمها .

المرحلة الرابعة : بداية التكافؤ في الموازين الثقافية والنقدية [1]، وبداية الانكسار وأفول نجم الإعجاب بالدراسات الاستشراقية الغربية لعلوم الإسلام ولغته .

فقد تشكل الوعي الثقافي وابتداءات العزة الفكرية لأبناء الأمة الإسلامية ، فانكشف بذلك ما في تلك الدراسات الاستشراقية الغربية من خديعة ومكر وتزوير، حتى لكثير من أبناء المسلمين الدارسين في جامعاتهم الغربية ـ والحمد لله رب العالمين ـ .

تدارك الغرب النصراني هذه المسألة وهذه العودة الإسلامية في الفكر والثقافة التي تجعل مئات من السنين من عمر الغرب النصراني في الدراسة والتدوين والتزوير تذهب أدراج الرياح وتكون هباءً منثوراً ، فبدأ بمسألة هي من الخطورة بمكان عظيم ، فقد تحفظ له مكانة قد يرضى بها في عقول بعض المفكرين الإسلاميين وثقافتهم، وهي بدعة ما تُسمى بمسألة : (الحوار المسيحي ـ الإسلامي) والذي سُمِّي بعد ذلك بشكل عام (الحوار بين الحضارات) .

وقد كانت المبادرة في هذه العملية الجديدة صادرة عن الكنيسة الكاثوليكية في أجرأ بمجمعاتهم الكنسية العامة وأشهرها وهو المجمع (الفاتيكاني الثاني) (١٩٦٢ ـ ١٩٦٥م)

---

[1]) لا أقصد بهذا أن العقلية الثقافية للغرب النصراني مُتقدِّمة ـ أستغفر الله من ذلك ـ كيف تكون كذلك وهي قائمة على أصول منحرفة مخالفة للعقل والفطرة، وإنّما المتقدم هي العقلية الثقافية الإسلامية؛ لأنها تقوم على مسلمات وأصول لا تتغير مع تقادم الأزمنة، وهي موافقة للعقل والفطرة، وإنما أقصد أن هذا التكافؤ قد ظهر عياناً وبشكل واضح لمن لا يؤمن بالعقلية الثقافية الإسلامية ، ويرى الفضل للعقلية الغربية النصرانية .

وقد كانت رسالة بابا روما بولس السادس الصادرة في أغسطس عام ١٩٦٤م « تسجل بداية هذه العملية الجديدة[1] .

وفي هذه المرحلة استمر النشاط الاستشراقي المدعوم من قبل الدوائر السياسية الغربية، وزادت النشاطات الصحفية توسعاً وانتشاراً ، وزادت المؤلفات والمؤتمرات ، وتوافرت للمستشرقين إمكانات مادية وتقنية كبيرة ، إلاَّ إنّه كان بعد ظهور الوعي الثقافي والعزة الفكرية لكثير من أبناء المسلمين ؛ لذلك تبدلت في هذه المرحلة شكل الكتابات الاستشراقية الغربية « فالهجوم السافر على الإسلام وتعاليمه وحضارته ولغته العربية وغيرها من السلبيات الاستشراقية التي تعرض لها المسلمون لم تعد ظاهرة كما كانت من قبل ، وإنما أصبح التستر والتورية وقلب المفاهيم والاستنتاجات الخاطئة هي السمة العامة للبحوث الاستشراقية في هذه المرحلة « وهذا الأمر كان له دور في ترويج مفهوم جديد في أوساط بعض أبناء المسلمين أساسه أن الاستشراق لم يعد كما كان وإنما أصبح يميل إلى العلمية والموضوعية [2] .

ولكن هيهات أن يكون الاستشراق الغربي النصراني بشكله العام والمؤسسي صاحب علمية صرفة وموضوعية بحتة وقد تمكنت منه منذ نشأته ناحية نفسية رهيبة ضد الإسلام والمسلمين، وأنهم يمثّلون له تحديداً على كافة المستويات ولو كان في عصر ضعف أتباعه المسلمين، ثُمّ إنه كيف يمثل الموضوعية والعلمية بشكله العام والمؤسسي ، وهو الذي كوّن أساسات الغزو الفكري والاستعمار الثقافي ، وبيّن للصليبي المحارب كيف تكون الحروب الصليبية الجديدة ضد العالم الإسلامي ، ونهب ثرواته بأقصر الطرق وأقلها خسارة ؟ ! .

دوافع الاستشراق :

تبين للقارئ الكريم ـــ إن شاء الله تعالى ـــ من عرض المراحل التي مر بها الاستشراق الغربي الكاثوليكي ـــ ثم تبعه البروتستانتي ـــ أن حجر الزاوية لتلك الدراسات الاستشراقية هو الدافع الديني ـــ الذي استمر وظهر واضحاً في كل مراحل تلك الدراسات ـــ منذ

---

[1]) الحوار الإسلامي المسيحي (الفرص والتحديات) « ص ٣٥ ، د. يوسف الحسن .

[2]) الاستشراق ، أهدافه ووسائله ، ص ٣٠ ، د. محمد فتح الله الزيادي .

بدايتها ، ومع ضعف الغرب الكاثوليكي وعجزه عن مواجهة الأمة الإسلامية عسكرياً .

وعندما تقوى ذلك الغرب الكاثوليكي عسكرياً، وبدأ الضعف يدب في الأمة الإسلامية ظهر دافع آخر للدراسات الاستشراقية الغربية ، وهو الدافع السياسي العسكري ، والذي جعل نُصب عينيه وفي مقدمته الدافع الديني لتسهيل طريق دوله الغربية النصرانية إلى العالم الإسلامي وترسيخ أقدامها في تلك البلاد الإسلامية .

ومما لا شك فيه أنه بسبب التسلط العسكري للغرب النصراني على الأمة الإسلامية استطاع هذا الغرب النصراني أن ينهب خيرات بلاد المسلمين ، ويقوي من اقتصاديات بلاده النصرانية على حساب إضعاف اقتصاديات بلاد المسلمين ، فنشأت بذلك الدوافع الاقتصادية للدراسات الاستشراقية ، فهي هدف ثانوي تابع للناحية العسكرية السياسية ، فهما أمران متلازمان لا ينفكان ، نهب خيرات البلاد المستعمَرة وإضعافها اقتصادياً بسبب تسلط البلاد المستعمِرة .

فالدافع الرئيس للدراسات الاستشراقية الغربية النصرانية هو الدافع الديني ، ثم تبعه دافع آخر وهو السياسي ، فهذان الدافعان عامّان لتلك الدراسات المؤسسية في الغرب النصراني، ثم مع ازدياد المعرفة بالتراث الإسلامي وظهور كنوزه وذخائره النفيسة ظهر من الدارسين الغربيين أصحابُ نزعاتٍ فردية مستقلة لم يدخلوا تحت تصرف الحكومات والهيئات الغربية النصرانية، بل مالوا إلى البحث العلمي المجرد فظهرت على أيديهم بعض الدراسات التي قد تُسمَّى دراسات استشراقية علمية بدون دوافع ماكرة مسبقاً ، وهي فردية في توجهاتها قليلة في إنتاجياتها، لم تؤثر ولن تؤثر على التوجه العام والأغلب للدراسات الاستشراقية الغربية النصرانية؛ لذلك عد هذا الدافع ــ أي الدافع العلمي ــ دافعاً ثانوياً ضاعت أهميته وضاع تأثيره في خضم الدافع الديني ثم الدافع السياسي الملحق به .

أولاً : الدافع الديني[1] :

وهو الدافع الرئيس للدراسات الاستشراقية منذ بدايتها إلى يومنا هذا ، فما نشأ الاستشراق وقوي أمره في الغرب الكاثوليكي إلا تحت عين الفاتيكان وبرعايته ، فقد كانت طلائع المستشرقين من رجالاته الذين لم تكن أعمالهم ودراساتهم بمعزل عن دورهم الكنسي ، كما مر واضحاً في الكلام عن مراحل الاستشراق الغربي .

فقد كان هَمّ تلك الدراسات منذ بدايتها على أيدي أتباع الكنيسة الكاثوليكية هو وقف المد الإسلامي الذي تغلغل في بلدانهم النصرانية ((فالخوف كان مسيطراً على المجتمعات الغربية بسبب تقدم الزحف الإسلامي ... لذا فقد دقّت الكنائسُ أجراسها معلنةً حالة الذعر ، وانتظمت صفوفُ الكنيسة ورجال الكهنوت والمهتمين بدراسة هذا الشرق))[2] .

فكان رجالات دينهم الكهنوتيين يدركون جاذبية الدين الإسلامي الذي حط رحاله في بلدانهم لما يعلمون فيه من خصائص الدين السماوي الحق المتميز ، والتي كانت أبرز سماته هي الخاتمية والشمول والمنهج الرباني المتكامل المنبثق عن عقيدة التوحيد الخالص ، الذي صبغ كل التصورات ، وفجّر القيم والمفاهيم الحيوية الجديدة التي كانت وسيلة لتحرر الإنسان الذي يتبعه ويؤمن به من شتى القيود والعبوديات ، وإعادة الاعتبار إليه بالرفع من قيمته ، وإشعاره بمسؤوليته الفاعلة في التعمير والبناء الحضاري[3] .

وكذا الإسلام يُمثّل لرجال الكهنوت النصراني المطلعين على حقائق الأمور أكبر دليل إلهي ، وأوضح ثابت تاريخي لجريمتهم وغشهم بالعبث بدينهم الذي جاء به عيسى عليه السلام وإدانته لكل أنواع التحريف التي قاموا بها[4] .

---

[1]) الكلام عن الدافع الديني مرّ بتفصيل يوضح للقارئ أهميته وأنه الأساس في الدراسات الاستشراقية الغربية النصرانية منذ بدايتها، وذكرته هنا لأمرين ، الأول : تكميلي فأكمل به ما يزيد هذا الدافع وضوحاً وبياناً في أهميته ومكانته في تلك الدراسات ، الثاني : أنه داخل مع غيره في منظومة واحدة تُسمى (الدوافع الاستشراقية) .

[2]) الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين ، ص ٥٣ ، مصطفى نصر المُسلاتي .

[3]) منهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب ، ص ٤٢ ، محمد البشير مغلي .

[4]) حرب صليبية بكل المقاييس ، ص ١٥٦ ، د. زينب عبد العزيز .

وبذلك كان الإسلام بالنسبة للنصارى يُشكّل تحدّياً مستمراً وشراً مستطيراً ومنافساً حقيقاً وخطراً مزدوجاً ليس للنصارى فقط بل لليهود أيضاً ، جاء يُؤخرهم جميعاً عن مواقعهم الدينية والتاريخية ، ويقتطع من أوساطهم جغرافيات بشرية هائلة ، كما أن له أبعاداً سياسية وحضارية ورسالية مجتمعة تجعله ديناً من طرازٍ فريد لم تعهده البشرية من قبل خارج إطاره التعبدي المجرد[1] .

هذه الحقيقة هي التي تفسر لنا أهمية العوامل النفسية والتاريخية التي كان لها الدور الأساسي في ذلك العداء النصراني المستحكم ضد الإسلام والمسلمين ولا زال ، وذلك الغل النصراني الراسخ الذي لم يترك مجالاً إلاّ واستغله لتشويه صورة الإسلام والمسلمين ، والتي تكّونت بها الروح النصرانية العدائية المتأصلة ضد الإسلام والمسلمين ، والتي استطاعت أن تجند من أجل محاربتهم والقضاء عليهم جيوش الغزو الفكري والعسكري في تحالف بين الكنيسة والدولة [2] .

والدافع الديني يسير في اتجاهات ثلاثة :

الاتجاه الأول : صد الإسلام عن أن ينتشر في أراضيهم النصرانية ، وبين أبنائهم ، وتحذير أتباعهم النصارى من خطر الاستسلام له والاقتناع به ، وسلكوا في سبيل الوقوف في وجه انتشار الإسلام كل مسلك .

الاتجاه الثاني : محاربة الإسلام والطعن فيه ، وتشويه محاسنه وتحريف حقائقه ، والبحث عن أي نقطة يظنون أنها نقطة ضعف فيه فيبرزونها ، والحط من قدر نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأنه استمد دين الإسلام من اليهودية والنصرانية .

الاتجاه الثالث : دعوة أتباعه المسلمين إلى النصرانية ، وتمجيدها بينهم ، فالمحاولات التنصيرية استفادت ، وقامت على الدراسات الاستشراقية لمعرفة ماهيّة المجتمعات الإسلامية وكيفية احتوائها .

فالدافع الديني للدراسات الاستشراقية النصرانية هو المسيطر على باقي دوافعها ، على

---

[1]) منهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب ، ص ٤٢ ، محمد البشير مغلي .

[2]) حرب صليبية بكل المقاييس ، ص ١٥٦ ، د. زينب عبد العزيز ، منهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب ، ص ٤٣ ، محمد البشير مغلي .

اعتبار ذلك الباقي دوافعَ مستقلة .

ولقد طرقت تلك الدراسات الاستشراقية الكاثوليكية مواضيع متعددة لتحقيق ذلك الدافع الديني، ومن هذه المواضيع[1] :

افتراؤهم على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ، الرحمة المهداة للعالمين ، محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، فقد قدّم المستشرقون ـــ ومنهم النصارى الكاثوليك ـــ بحوثاً متخمة بفواحش المغالطات عن سيرة خير البرية وأهدى البشرية ورسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم ، فيها التهجم عليه واتهامه بالكذب والتشكيك في دعوته وادعائه الوحي من الله وأنه مبتدع الإسلام ، أخذه من النصرانية واليهودية ، ووصفوه بالسحر والشهوانية والعنف، ووصفوه بأوصاف لا تتفق والحقائق العلمية التي يتشدقون بالبحث عنها والسعي وراءها .

ومن أولئك الكاثوليك الراهب اليسوعي الأب هنري لامنس (لامون) (١٨٦٢ ـــ ١٩٣٧م)[2] .

---

[1]) الهدف من ذكر هذه المواضيع ـــ التي تُحزن كل مسلم وصاحب كل عقل وقلب يكره الظلم ويبحث عن العدل، يكره الافتراء ويحب الدليل والبرهان ـــ أن أبين إلى أيّ درجة وصل التفكير التعصبي المليء بالعداوة والحقد والكره عند النصارى للإسلام والمسلمين .

فالقصد إظهار التزوير والإسقاط عند علماء النصارى ومفكريهم لكل ما هو إسلامي، أما الرد وبيان ذلك بالتفصيل فيحتاج إلى مجلدات ، وتتبع كامل لكل شبهة من شبهاتهم ، ويحتاج ذلك إلى بحوث جامعية وكتب مستقلة متخصصة ، والحمد لله قد قام بعض علماء الأمة الإسلامية ومفكريها وباحثيها بالوقوف بالمرصاد والضرب بيد من حديد العلم والمنطق والعقل والبرهان والدليل على يد كل مُزوّر ومُحرّف ومفترٍ من المستشرقين الغربيين النصارى وغيرهم من الملل الكافرة كالمستشرقين اليهود .

[2]) هنري لامنس (١٨٦٢ ـــ ١٩٣٧م) :

مستشرق بلجيكي ، وراهب يسوعي ، ولد في مدينة (خنت) في بلجيكا في أول يوليو سنة ١٨٦٢م ، وجاء إلى بيروت في صباه وتعلّم في الكلية اليسوعية ببيروت (جامعة القديس يوسف) وفي سنة ١٨٨٦م صار معلماً فيها ، ثم سافر إلى إنجلترا وواصل دراسة اللاهوت ، وفي عام ١٨٩٧م عاد إلى بيروت مدرساً في الكلية اليسوعية ، وفي عام ١٩٢٧م أدار مجلة الشرق ، وهي مجلة فصلية تصدر عن اليسوعيين في بيروت ، وقبلها أدار مجلة تبشيرية أخرى تُسمى البشير تصدر من بيروت أيضاً بين أعوام (١٨٩٤ ـــ ١٩٠٣م) ، توفي عام ١٩٣٧م .

نتاجه في الدراسات الإسلامية تركزت في السيرة النبوية وحياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن كتبه في ذلك : مهد الإسلام عام ١٩١٤م، مكة عشيّة الهجرة عام ١٩٢٤م، القرآن والسنة عام ١٩١٠م، هل كان محمد =

يقول عنه المستشرق الألماني يوهان فوك : ((وبوصفه قسيساً كاثوليكياً فقد رفض لامون دعوى الرسول بالنبوة رفضاً تاماً ورفض القول بصدقه، وتناول بالنقد في كتابه (فاطمة ومحمد) الرسول وأسرته ، وقدم روايات سلبية خاصة بهم ، وأن سيرة الرسول رواية تاريخية مختلفة عن القرآن ، وأنها تُعزى إلى بعض الذكريات الغامضة لأحداث الفترة المدنية))[١] .

فقدح هذا المستشرق (لامنس) في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسيرة بناته، وخاصة فاطمة الزهراء رضي الله عنها وسيرة الخلفاء الراشدين، ولم يقم أي وزن لكتب الأحاديث والسيرة، وذكر أن كتب الأحاديث كلها موضوعة من أجل تحقيق غايات معينة، هي تمجيد حياة محمد صلى الله عليه وسلم[٢] .

يقول عنه الدكتور عبد الرحمن بدوي : ((شديد التعصب ضد الإسلام ، يفتقر افتقاراً تامّاً إلى النزاهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفهمها ، ويُعدّ نموذجاً سيئاً جداً للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين))[٣] .

وهذا المستشرق الكاثوليكي (ليوني كيتاني) (١٨٦٩ ـــ ١٩٣٥م)[٤] ، طعن في نبوة

=أميناً ؟ عام ١٩١١م، فاطمة وبنات محمد عام ١٩١٢م، الحكومة الثلاثية من أبي بكر وعمر وأبي عبيدة عام ١٩٠٩م ، وغيرها من الكتب .

انظر : موسوعة المستشرقين، ص٥٠٣ ـــ ٥٠٥، د. عبد الرحمن بدوي ، المستشرقون ، ٢٩٣/٣ ـــ ٢٩٥ ، نجيب العقيقي ، تاريخ حركة الاستشراق ، ٣٠٦ ـــ ٣٠٧ ، يوهان فوك ، ترجمة : عمر لطفي العالم .

[١]) تاريخ حركة المستشرقين ، ص ٣٠٦ ، يوهان فوك ، نقله عن الألمانية عمر لطفي العالم .

[٢]) المستشرقون والسنة ، ص ٢١٩ ، أنور الجندي ، المستشرقون والسيرة النبوية ، ص ٢٢٩ ، أنور الجندي ، من ضمن كتاب : الإسلام والمستشرقون ، مجمع دار المصنفين في الهند ، موسوعة المستشرقين ، ص ٥٠٣ ـــ ٥٠٥ ، د. عبد الرحمن بدوي .

[٣]) موسوعة المستشرقين ، ص ٥٠٣ ، د. عبد الرحمن بدوي .

[٤]) الأمير ليوني كيتاني (١٨٦٩ ـــ ١٩٣٥م) :

مستشرق إيطالي ، وأمير من آل كيتاني ، وهي أسرة من كبار الأمراء في تاريخ إيطاليا الحديثة ، ولد في روما في ١٢ سبتمبر سنة ١٨٦٩م ، وتوفي في كندا في ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٣٥م ، اشتهر خصوصاً بكتابه (حوليات الإسلام) وهو أوسع كتاب تاريخ ألّفه مستشرق كاثوليكي تكلم عن سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين الأربعة .

=

محمد صلى الله عليه وسلم ، ودرس سيرته وسيرة الخلفاء الراشدين الأربعة بنزعة حاقـدة مُفرطة جعلت الشك أساساً في قبول أحداث تلك السير المباركة العطرة ، ويزعم أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم قام بدعوته ليس على أساس ديني ، وإنما بفعل التصحر والجدب الحاصل في الجزيرة العربية ، وأن انتشار الإسلام في الدول المجاورة ليس بقوة أثر الدين الجديد وإنما بقوة السبب السابق ذاته ، فيُفسِّر قيام النبي صلى الله عليه وسلم بدعوته وانتشار الإسلام السريع إلى العوامل السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية والأحوال الجغرافية ، ويُنكر أي أثر ديني وبعد أخروي لذلك [1] .

وهذا الشاعر الكاثوليكي (دانتي أليجيري) (١٢٦٥ ـــ ١٣٢١م) يمثل الحقد النصراني على رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلّم ، فقد صنف الرسول صلى الله عليه وسلم في الفئة التي أطلق عليها (باذري الفتنة والشقاق)، وهو يضع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في أعماق الجحيم (في الوادي التاسع من الدائرة الثامنة للجحيم ، في تقسيمه للنار) ويصور الرسولَ الكريم في صورة بلغت من القبح والحقد واللؤم والإسفاف درجة يعف القلم واللسان لأي إنسان كرّمه الله بالإنسانية فضلاً عن الإسلام عن مجرد ذكرها [2] .

--- كان وهو لا يزال طالباً في جامعة روما مشغوفاً بالتاريخ الإسلامي فتعلم العربية والفارسية ، أنفق أكثر ثروته التي كانت تقدر بخمسة ملايين ليرة ذهبية في جمع المخطوطات خاصة العربية ، والتي تتكلم عن تاريخ العالم الإسلامي ، لذلك يعد أكبر مستشرق في التاريخ الإسلامي والعربي ومرجعاً لكثير من المستشرقين في ذلك .

انظر : موسوعة المستشرقين ، ص ٤٩٣ ـــ ٤٩٦ ، د. عبد الرحمن بدوي ، المستشرقون ، ٤٢٩/١ ـــ ٤٣٠ ، نجيب العقيقي ، تاريخ حركة الاستشراق ، ص ٣١١ ـــ ٣١٢ ، يوهان فوك ، ترجمة : عمر لطفي العالم .

[1]) موسوعة المستشرقين ، ص ٤٩٦ ، د. عبد الرحمن بدوي ، تاريخ حركة الاستشراق ، ص ٣١١ ـــ ٣١٢ ، يوهان فوك .

[2]) رؤية إسلامية للاستشراق ، ص ٢٩ ، أحمد غراب ، نقد الخطاب الاستشراقي ، ٩/٢ ، الدكتور : ساسي سالم الحاج ، وانظر ، في شيء من تفصيل كلام هذا المستشرق من كتابه : (الملهاة الإلهية) عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في كتاب : الاستشراق ، ص ٩٦ ـــ ٩٨ ، إدوارد سعيد .

ودفيد صمويل مرجليوث (١٨٥٨ ـــ ١٩٤٠م) زعم أن الباعث على بعثة الرسول إنما هو أعمال الشعوذة وأنه كان متقناً لحيل الروحانيين التي كان يستخدمها في دار الأرقم، وغيرهم كثير من الحاقدين على نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم من أهل الملل الكافرة خاصة من النصارى،=

وذهب المستشرقان الكاثوليكيان درمنغم[1] ، ورينيه [2] ــ وغيرهما[3] ــ إلى أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم قد اقتبس الأفكار التي دعا إليها من اليهودية والنصرانية خاصة تلك الرحلة التي قام بها إلى الشام ومن لقائه بورقة بن نوفل في مكة [4] .

وقد رفع بابا روما (بيوس الثاني عشر) (٢ آذار١٩٣٩ــ ٩ تشرين الأوّل ١٩٥٨م)

-ومن ذلك في الآونة الأخيرة تصريح بابا روما الحالي بندكت السادس عشر عندما أساء للنبي صلى الله عليه وسلم وتعاليم الإسلام ، وذلك في يوم الثلاثاء الموافق ١٩/ ٨ / ١٤٢٧ هـ ، ١٢ / ٩ / ٢٠٠٦م ، وما حدث قبل ذلك مما نشرته صحيفة دنماركية تُسمى (حيلا ندز بوستن) في ٢٦ من شعبان سنة ١٤٢٦هـ ، وكذلك الصحيفة النرويجية المسماة ماكازنيت في يوم عيد الأضحى ١٠/١٢/١٤٢٦هـ من رسوم كاريكارتيرية تُصوّر النبي صلى الله عليه وسلم في أبشع الصور والحالات .

[1]) درمنغم : مدير مكتبة الجزائر ، له كتاب (حياة محمد) صدر في باريس عام ١٩٢٩م ، والطبعة الثانية عام ١٩٥٠م ، وكتاب باسم (محمد والسنة الإسلامية) ، صدر في باريس عام ١٩٥٥م ، وسيرة الأولياء المسلمين نشر في الجزائر عام ١٩٥٦م، وغيرها من الكتب . انظر : المستشرقون ، ٣٤٨/١ ، نجيب العقيقي .

[2]) رينيه ديسو : مستشرق فرنسي ، ولد في ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٦٨م ، في إحدى ضواحي باريس ، وتوفي في ١٧ مارس سنة ١٩٥٨م ، دارت أكثر أبحاثه حول سوريا الطبيعية (سوريا ــ لبنان ــ فلسطين) ، وله (العرب في سوريا قبل الإسلام) صدر في باريس عام ١٩٠٧م، (تاريخ النصرانية وديانتهم) صدر في عام ١٩٠٠م، (تقديم الأضاحي عند بني إسرائيل وعند الفينيقيين) صدر في عام ١٩١٤م ، المدخل إلى تاريخ الأديان صدر في عام ١٩١٤م ، انظر : موسوعة المستشرقين ، ص ٢٦٩ ، د. عبد الرحمن بدوي .

[3]) وأنا أذكر هنا فقط نماذج للتوضيح من المستشرقين الكاثوليكيين وإلا فإن عناصر الاستشراق من بروتستانت ويهود وملاحدة مع الكاثوليكيين يُمثّلون وحدة واحدة ويرمون عن قوس واحدة الطعن والتنقيص والسباب على رسول الإسلام المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

ومن هؤلاء الحاقدين المستشرق اليهودي جولد تسهير (١٨٥٠ ــ ١٩٢١م) ، والمستشرقون البروتستانت : صمويل زويمر (١٨٦٧ ــ ١٩٥٢م) والذي كان أكثر المستشرقين حقداً وعداوة على الإسلام والمسلمين على الإطلاق وأشهرهم في ذلك ، وصديقه المستشرق دنكان بلاك ماكدونالد (١٨٦٣ ــ ١٩٤٣م) ، ومونتجمري وات (معاصر) تقاعد عن التدريس الجامعي من جامعة أدنبره عام ١٩٧٩م ، فهو يصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه غادر وشهواني وساحر ، ولم يستطع المسلمون أن يقنعوا المجتمع الدولي والغرب المسيحي (المستنير) بأن رسولهم ــ صلى الله عليه وسلم ــ مثل أعلى في السلوك الأخلاقي ، وهنري بريدلو الإنجليزي (١٦٤٨ ــ ١٧٢٤م) الذي ألف كتاباً في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم أسماه : (حياة ذي البدع محمد) ، وفيه يزعم أن الطبيعة الحقيقية للخداع تتجلى في حياة محمد ــ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وسيد الأولين والآخرين ــ .

[4]) وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة (نقض مزاعم المستشرقين) ، ص ، ١٤١ ، ١٦٣ ، د. حسن ضياء الدين عتر .

الحرم الكنسي والخروج من رحمة الرب في وجه كل من نعت نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام أنه من الرجال المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية، هكذا فقط، فكيف بمن نعته أنه رسول من رب العالمين فهذا عند بابا روما أكثر جرماً وأبعد عن رحمة ربّه؟![١].

وفي سنة ١٦٩٧م نشر في فرنسا الكاثوليكية معجم تاريخي استشراقي ضخم بعنوان (المكتبة الشرقية)، بقلم المستشرق بارتلمي دير بيلو ، وكان يعد من أهم المراجع الأوروبية عن الشرق وتاريخه حتى القرن التاسع عشر ، بل ما زال يحظى بالإعجاب والثناء من المستشرقين المعاصرين حتى اليوم .

وهذا المعجم يقسم التاريخ البشري إلى قسمين :

قسم مقدس : ذكر فيه تاريخ اليهود والنصارى ، وقسم مدنس : ذكر فيه تاريخ المسلمين ، وتحت المدخل المتعلق بالنبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في هذا المعجم يقول دير بيلو عن النبي المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم : ((هذا هو المنتحل المشهور ماهومت ، المؤلّف والمؤسّس لهرطقة اتخذت لها اسم الدين ، نسميها نحن الماهومتية ، وقد نسب مفسرو القرآن، وفقهاء الشريعة الإسلامية، أو الماهومتية، إلى هذا النبي المزيف كل المدائح التي نسبها الآريون، والبولسيون إلى يسوع المسيح، مجردين إيّاه في الوقت نفسه من ألوهيته))[٢] .

ففكرة التعصب والتحامل والتزوير في سيرة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم لم تختلف لدى رجال الدين المتعصبين ولا عند المستشرقين لا قديماً ولا حديثاً فقد بلغت مبلغاً غطى على الواقع وأخفى الصورة الحقيقية لرسول رب العالمين والنبي الكريم صلى الله عليه وسلم على عامة الغربيين النصارى ، بل وصل أثر هذه الصور المشوهة إلى غير النصارى من أصحاب الملل الكافرة الأخرى، مما أسقط كل ادعاء للمستشرقين باتباعهم منهج النقد النزيه وأساليب البحث العلمي المحايد .

---

[١]) المرجع السابق ، ص ٦٢ ، د. حسن عتر .

[٢]) الاستشراق : المعرفة ــ السلطة ــ الإنشاء ، ص ٩٣ ــ ٩٤ ، إدوارد سعيد ، رؤية إسلامية للاستشراق ، ص ٣٠ ، أحمد غراب .

ومن مواضيعهم أيضاً لتحقيق ذلك الدافع الديني :

إنكارهم أن القرآن وحي من الله تعالى أوحاه إلى النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم حيث إن إنكارهم لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم اقتضى بالضرورة إنكارهم أن القرآن وحي ، وأن له قداسة إلآهية وأنه معجز ، فقد ذهب جميع المستشرقين النصارى واليهود أن القرآن من صنع محمد صلى الله عليه وسلم، اقتبسه من اليهودية والنصرانية وأوضاع البيئة العربية في ذلك الوقت .

وموقف القرآن في بيان الحق واضح لا لبس فيه في شأن التوراة والإنجيل بعد موسى عليه السلام ، ورفع عيسى عليه السلام ، وأنهما كتابان قد وقع فيهما التحريف والتزوير فأخرجهما عن كونهما كتابين مقدسين، وإبطاله للعقائد الفاسدة — خاصة في الإنجيل المُحرّف — من صلب عيسى عليه السلام وفدائه وألوهيته ... وبيانه أن الرسول الخاتم والدين الخاتم الذي يوصل إلى رضا الله والجنّة ، ويُبعد عن سخط الله والنار ليس اليهودية وليس النصرانية ، إنما هو الإسلام ، ورسوله محمد صلى الله عليه وسلّم ، كُلُّ ذلك جعل أولئك المستشرقين يُظهرون العداء لكتاب الله العزيز ، ويحاولون إسقاط القداسة الإلهية والصفة السماوية عنه .

فذهب المستشرق الكاثوليكي (ريجي بلاشير) (١٩٠٠ — ١٩٧٣م)[1] — كغيره من المستشرقين النصارى واليهود في إنكارهم للدين الإسلامي ولنبوة محمد صلى الله عليه

---

[1]) ريجي بلاشير (١٩٠٠ — ١٩٧٣م) :

ولد في ٣٠ يونيو ١٩٠٠م في إحدى ضواحي باريس ، وسافر مع أبيه إلى المغرب فدرس الثانوية في الدار البيضاء عام ١٩١٥م ، وحصل من الجامعة الجزائرية على الليسانس عام ١٩٢٢م عُيّن مدرساً في مدرسة (مولاي يوسف) في الرباط ثم عين في (معهد الدراسات العليا المغربية) إلى عام ١٩٣٥م ، ثم حصل على الدكتوراه من جامعة باريس عن رسالته في أبي الطيب المتنبي ، وترجمة فرنسية لطبقات الأمم لصاعد الأندلسي، له ترجمة للقرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية ، أظهر فيها مكره وحقده وكرهه للنبي صلى الله عليه وسلم وعبثه بقداسة القرآن الكريم ، وإظهاره بأنه من صنع محمد ليس له من القدسية والصفة الإلهية السماوية شيء ، له كتاب عن حياة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو عبارة عن تلخيص لأبحاث مستشرقين قبله .

انظر : موسوعة المستشرقين ، ص ١٢٧، د. عبد الرحمن بدوي ، المستشرقون ، ٣٠٩/١ — ٣١٢ ، نجيب العقيقي .

وسلّم، ولقداسة القرآن، ولكن كل مجموعة لهم مخرج في هذا الحقد والإنكار[١] — إلى أن محمداً صلى الله عليه وسلم ألّف القرآن مستمداً إياه من اليهودية والنصرانية؛ ودليله على ذلك التشابه الحاصل في القصص القرآني مع القصص اليهودي والنصراني، وذهب إلى أن التأثير النصراني واضح في السور المكيّة بسبب العلاقات المستمرة بين مؤلفه والفقراء النصارى في مكة[٢].

وذلك الراهب اليسوعي الأب (هنري لامنس) (١٨٦٢ — ١٩٣٧م)، الذي يدّعي أن مؤلف القرآن هو محمد — صلى الله عليه وسلّم — وقد ألّفه بعد ما مرّ بأزمة دينية خانقة في بلاده فالتجأ بسببها إلى المعتقدات اليهودية والنصرانية ونشرها بين العرب لتصحيح وضعهم الديني[٣].

كما أن المستشرق الكاثوليكي (كرّا دي فو) (١٨٦٧ — ١٩٥٣م)[٤] يزعم أن القرآن مرآة للبيئة العربية بصحيرها ورمالها، وأنه قد استوحى البيئة، وعكس أوضاعها وتقاليدها، ولم يكن كتاباً موحى به ليغيّر من عادات العرب الفاسدة وعقائدها الباطلة، ويقول أيضاً

---

[١]) ومنهم : المستشرق اليهودي (جولد زيهر) (١٨٥٠ — ١٩٢١م) واليهودي هرشفلد (١٨٥٤ — ١٩٣٤م) والمستشرق الانجليزي هاملتون جب (١٨٩٥ — ١٩٧١م)، والمستشرق الانجليزي مونتجمري وات، والمستشرق الفرنسي الملحد غوستاف لوبون في كتابه المشهور (حضارة العرب) الذي هو في حقيقته عدم إنصاف للإسلام ، لا كما ذهب إليه بعض المسلمين، وللأسف، وغير هذا الكثير من الذين أثّروا ليس في عقول بعض عامة المسلمين فحسب بل في بعض مفكريهم بأطروحاتهم المنمقة والمزوّرة التي تذم الدين الإسلامي وتنقص من قدسيته وكتابه.

[٢]) نقد الخطاب الاستشراقي ، ١/٢٦٩ ، د. ساسي سالم الحاج .

[٣]) المرجع السابق ، ١/٢٧٠ ، د. ساسي سالم الحاج .

[٤]) البارون كرّا دي فو (١٨٦٧ — ١٩٥٣م) :

مستشرق كاثوليكي فرنسي ، ولد في مدينة (بار) على نهر الأوب في ٣ فبراير سنة ١٨٦٧م وتوفي سنة ١٩٥٣م ، درس العربية ودرّسها في المعهد الكاثوليكي بباريس ، وكان أحد مؤسسي (مجلة الشرق المسيحي) ، وتولى تنظيم مؤتمرات علمية دولية للكاثوليك، من كتبه (عقيدة الإسلام) سنة ١٩٠٩م ، و (مفكرو الإسلام) في خمسة أجزاء من سنة ١٩٢١م إلى ١٩٢٦م ، ونبذة عن الدراسات للأدب العربي للمسيحي ، و (الراهب بحيرة والقرآن) سنة ١٨٩٨م ، وغيرها .

انظر : المستشرقون ، ١/٢٣٨ ، ٢٣٩ ، نجيب العقيقي ، موسوعة المستشرقين ، ص ٤٦٢ — ٤٦٣ ، د. عبد الرحمن بدوي ، المستشرقون والتنصير ، ص ٩٩ ، د. علي بن إبراهيم النملة .

في كتابه (مفكرو الإسلام): ((إن القرآن نص ساذج مبهم في صورة من صور البداوة))[١] .

كما أن المستشرق (بلاشير) يُظهر حقده ومكره في ترجمته للقرآن الكريم حيث صرّح فيه أن مؤلفه هو العربي محمد ـــ صلى الله عليه وسلّم ـــ وأنه كان يؤلف القرآن سورة بعد سورة أو مجموعة من الآيات بعد أخرى على حسب الظروف التي تواجهه ، وأنه تعمّد أن يكون مفرّقاً حتى يكون في مكنته أن يضيف إليه ما يحلو له حسبما يجدّ من أحوال أو يعترض من مشاكل فيكون في يديه دائماً زمام توجيه الأمور[٢] .

ثم إن هذا المستشرق يعبث أحياناً بتقسيم الآيات على حسب ما يحلو لهواه[٣] ، وعنده في الهوامش متسع للتعبير عن كل ما يخالج نفسه من أمور، وما يحمله من حقد على نبي الإسلام ، وعلى القرآن العظيم .

وعبثه بكتاب الله العزيز لم يقف عند عدم احترام تقسيم الآيات القرآنية الذي يلتزم به المسلمون بل جاوزه إلى تقديم بعض الآيات أو تأخيرها عن مواضعها في المصحف الشريف[٤] .

---

[١]) نقد الخطاب الاستشراقي ، ٣٧٩/١ ، د. ساسي سالم الحاج .

[٢]) المستشرقون والقرآن ، ص ٥٣ ، د. إبراهيم عوض .

[٣]) مثلما فعل بآية ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشِرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَـئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [سورة البقرة الآية ٢٢١] ، إذ قسّمها إلى آيتين : الأولى تبدأ من أول الآية ، وتنتهي بقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ ، والثانية من بعد ذلك إلى آخر الآية . فهو بهذا لا يحترم أمانة العلم فيما يختص بالنصوص التي بين يديه، وهذه مخالفة لأوليات القواعد العلمية في البحث والتحقيق لمن ادّعى أنه من أهلها . أنظر : المستشرقون والقرآن ، ص ٥٣ ـــ ٥٥ ، الدكتور . إبراهيم عوض .

[٤]) ومن الأمثلة على ذلك العبث الكفري ، عندما أورد هذا المستشرق (بلاشير) الآية الحادية عشرة (وهي الثانية عشرة عنده) من سورة النساء ، قوله تعالى : ﴿يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ عقب الآية الثامنة (وهي التاسعة حسب تقسيمه) التي تنتهي بقوله تعالى : ﴿نَصِيباً مَّفْرُوضاً﴾ ، أما التاسعة والعاشرة (وهما عنده العاشرة والحادية عشرة) فمكانهما في ترجمته متتابعتين بين السادسة والسابعة ، كما أنه نزع من سورة (طه) الآيات (٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤) التي هي عنده (٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧) وأقحمها بين الآية ٦٠ ، والتي هي عنده ٦١ ... ، وهو لا يكلف نفسه أن يشرح لقرائه سبب هذا التلاعب إلاّ بقوله (هذه الآية ترتبط بالآية السابقة) ... ، وهكذا ، وما هذا العمل الذي فيه زيادة في الكفر من هذا المستشرق النصراني الكافر إلا إظهار لما يُكنّه من حقد ومكر على هذا الدين الخاتم ، وعلى قرآنه المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

انظر : المستشرقون والقرآن ، ص ٥٣ ـــ ٥٥ ، الدكتور . إبراهيم عوض .

وكان أيضاً يُضيف إلى القرآن ما ليس منه[١] ، فهو يحاول دائماً في مقالاته وبحوثه أن ينتزع صفة النبوة من النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلّم ، ويحاول إطفاء هالة القداسة المحيطة بالنص القرآني الكريم [٢] .

وهذا التزوير والعبث في ترجمات القرآن على أيدي المستشرقين من أتباع الملل الكافرة من يهودية ونصرانية كانت تحذو حذو أول ترجمة للقرآن الكريم تحت إشراف الراهب الكاثوليكي الفرنسي بطرس ــ الذي يُدعى عندهم بالمبجل والمحترم ــ وكانت في عام ١١٤٣م .

((فتلاحظ أن الغرض العام الذي حاول المستشرقون الوصول إليه من هذه الترجمة ، هو تحقيق أهداف دينية صرفة ، ذلك أن (بطرس المبجل)، الذي أشرف ورعى الترجمة اللاتينية الأولى للقرآن الكريم قصد من وراء ذلك إطْلاع علماء الغرب ، ومثقفيه على الكتاب المقدس الإسلامي ، حتى يتمكنوا من معارضته ، ودحض أحكامه ، واختلاق الثغرات في بنائه المتكامل المحكم ، والافتئات على بلاغته المعجزة ، والدَّس فيه بما يخدم مقاصدهم الخسيسة ، ومن هنا جاءت تلك الترجمة مبتسرة ومغيِّرة للعديد من معاني الآيات وأحكامها ، وصدرت وذُيِّلت بتعليقات وانتقادات متحيزة))[٣] .

ومن مواضيعهم أيضاً لتحقيق ذلك الدافع الديني :

طعنهم في السنة النبوية ، ومحاولتهم المستمرة لإسقاطها من مكانتها الرفيعة كمصدر

---

[١]) كما فعل في سورة الشورى إذ أضاف كلمة (قبلاً) بعد قوله تعالى ﴿مَا كُنتَ تَدرِي مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ﴾ الآية ٥٢ ، المرجع السابق ، ص ٥٥ ، د. إبراهيم عوض .

[٢]) انظر : في دراسة لهذه الترجمة الماكرة والحاقدة إلى كتاب : المستشرقون والقرآن من ص ٥٣ ، إلى ص ٨٦ ، د. إبراهيم عوض، وهناك أيضاً دراسات استشراقية كاثوليكية لترجمة القرآن الكريم تحمل في صفحاتها القدح في نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم ، والعبث بالنص القرآني الكريم المقدس ، ومنها : ترجمة المستشرق سافاري التي ظهرت الطبعة الأولى منها سنة ١٧٨٢م ، وترجمة المستشرق مونتيه ، وقد صدرت بالفرنسية في باريس سنة ١٩٢٩م عن دار Payot ، وفي نفس السنة صدرت بالإيطالية . . . وغيرها من التراجم .

انظر : كتاب المستشرقون والقرآن ، للدكتور: إبراهيم عوض، وموسوعة المستشرقين ، ص ٤٣٨ ــ ٤٤٥، د. عبد الرحمن بدوي .

[٣]) نقد الخطاب الاستشراقي ، ٢٦٣/١ ، د. ساسي سالم الحاج .

تشريعي ثان بعد كتاب الله العزيز .

وكأن أولئك المستشرقين مع بذلهم غير المحدود للطعن في القرآن الكريم لم يستطيعوا أن ينالوا منه فهرعوا إلى السنة الشريفة محاولين النيل منها بالدس فيها ، والتقليل والحط من شأنها ، سالكين سُبلاً مختلفة لإنكار أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم جملة بعد التشكيك فيها ، فادّعى بعضهم أن الحديث لم يحفظ كالقرآن فقد أهمل إلى زمن متأخر حتى جمعه بعض المصنفين في القرن الثالث الهجري؛ فلهذا عندهم أن الأحاديث لا يصلح الاحتجاج بها ، فهي عديمة الجدوى ، ولا تصلح أن تكون محط ثقة المسلمين بها[1] ، ومن أصحاب تلك الدعاوى من المستشرقين الكاثوليكي مكسيم رودنسون[2] ، وكذلك الكاثوليكي سوفاجيه[3]، الذي حاول في كتابه (الحديث عند العرب) أن يأتي بأدلة على

---

[1]) المستشرقون والحديث النبوي ، ص ٣٣ ــ ٣٤ ، د. محمد بهاء الدين .

[2]) مكسيم رودنسون :

ولد في باريس بتاريخ ١٩١٥/١/٢٦م ، حصل على الدكتوراه في الآداب ، عُين أستاذاً في المعهد الإسلامي بصيدا في لبنان عام ١٩٤٠م ، ومقيماً في المعهد الفرنسي بدمشق ، ومحاضراً في المدرسة العليا للآداب ببيروت في عام ١٩٤٦م، كوفئ بأوسمة متعددة منها : السعف الجمعية وخدمة التطوع في فرنسا الحرة ، وبعضوية عدة جمعيات واتحادات ، ومنها : الجمعية الآسيوية ، واتحاد ترقي الدراسات الإسلامية والدين والعقل ومعهد الدراسات العربية الإسلامية ولجنة متخصص العربية لدى مجلس جامعة باريس وله كتب متعددة ، منها : عن النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم صدر في باريس عام ١٩٦١م، الإسلام والرأسمالية صدر في باريس عام ١٩٦٦م ، وله بحوث ومقالات متنوعة منها : دانتي والإسلام بحسب البحوث الحديثة في مجلة تاريخ الأديان عام ١٩٥١م ، محمد وعلم الاجتماع وتقويم الدراسات المحمدية في المجلة التاريخية عام ١٩٦٣م ، ومشكلة دراسة الصلات بين الإسلام والشيوعية ، ودراسة عن الإسلام في مجلة علم اجتماع الأديان عام ١٩٦٣م ، والفداء في دائرة المعارف الإسلامية جـ٢ عام ١٩٦٥م ، والعالم الإسلامي وما حوله من عام ١٩٤٠م إلى ١٩٧٢م ، وحال الاستشراق الإسلامي ومشاكله في اتحاد الناشرين باريس عام ١٩٧٦م . انظر : المستشرقون ، ٣٥٩/١ ــ ٣٦١ ، نجيب العقيقي .

[3]) سوفاجيه : ج (١٩٠١ ــ ١٩٥٠م) :

مستشرق فرنسي عني بالتاريخ والآثار الإسلامية ، تخرج بالدكتوراه عام ١٩٤١م في جامعة باريس ، واختير عضواً في المعهد الفرنسي بدمشق عام ١٩٤٢م ، ثم عُيّن مديراً لتاريخ الشرق الإسلامي في مدرسة الدراسات العليا الملحقة بالسوربون في باريس ، كان يجيد اللغة العربية والتركية والفارسية ، من أعماله : المدخل إلى تاريخ الشرق الإسلامي ، صدر في باريس عام ١٩٤٣م ، وملخص تاريخ مدينة دمشق عام ١٩٣٤م ، وكتاب عن المؤرخين العرب ... ، وغيرها . انظر : المستشرقون ، ٣١٢/١ ــ ٣١٥ ، نجيب العقيقي ، موسوعة المستشرقين ، ص ٣٥٦ ، د. عبد الرحمن بدوي .

تدوين الحديث في أول القرن الثاني الهجري ، فكانت منها طائفة من الأخبار التي تُشير إلى بعض الصحف التي دونت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لكنه أحاطها بكثير من التشكيك في أمرها ، وهو يهدف بذلك إلى هدفين :

أولهما : إضعاف الثقة باستظهار الحديث وحفظه في الصدور .

ثانيهما : اتهام الحديث كله بالاختلاق والوضع على ألسنة المدوّنين الذين لم يجمعوا منه إلاّ ما يوافق هواهم ووجهة نظرهم في الحياة [1] .

وهذا المستشرق الكاثوليكي ليوني كيتاني (١٨٦٩ ــ ١٩٣٥م) ، يزعم أن المسلمين بدأوا في استعمال الأسانيد في الأحاديث في الفترة ما بين عروة (ت ٩٤هـ) وابن اسحاق (ت ١٥١هـ) وعلى هذا ــ في زعمه ــ فإن الجزء الأعظم من الأسانيد الموجودة في كتب الحديث لا بد أن يكون قد اختلقها المحدثون في القرن الثاني بل في القرن الثالث أيضاً [2] .

كما أن هذا الكاثوليكي يُبيّن للقرّاء جهله بالصناعة الحديثية في بيان صحة الحديث من ضعفه، فزعم أن المسلمين لم يحاولوا نقد المتون بل اكتفوا بنقد الأسانيد في بيان صحة الأحاديث من ضعفها ، فقد جاء في كتابه (الحوليات الإسلامية) ، قوله : كل قصد المحدثين ينحصر ويتركز في واد مجدب ممحل من سرد الأشخاص الذين نقلوا المروي ولا يشغل أحد نفسه بنقد العبارة والمتن نفسه ، وقال أيضاً : إن المُحدِّثين والنقاد المسلمين لا يجسرون على الاندفاع في التحليل النقدي للسنة إلى ما وراء الإسناد ، بل يمتنعون عن كل نقد للنص إذ يرونه احتقاراً لمشهوري الصحابة [3] .

شُبَه من هؤلاء المستشرقين بعضها إثر بعضٍ يغزون بها أفكار بعض أبناء المسلمين وعقولهم لتشكيكهم في دينهم وأنه ليس مورداً صافياً يستقون منه الحياة السعيدة في الدنيا

---

[1]) المستشرقون والحديث النبوي ، ص ٦٥ ــ ٦٦ ، د. محمد بهاء الدين .

[2]) نقد الخطاب الاستشراقي ، ٥١٥/١ ، د. ساسي سالم الحاج ، المستشرقون والحديث النبوي ، ص ٩٤ ، د. محمد بهاء الدين .

[3]) وقد أخذ بترديد زعم هذا المستشرق ــ وهو رأي بعض المستشرقين أيضاً ، أمثال روبسون وجوينبول وشاخت وجولد زيهر ــ بعض الكتاب المسلمين أمثال أحمد أمين وأبي ريه .

انظر : نقد الخطاب الاستشراقي، ٥٢٥/١ ــ ٥٣٠ ، المستشرقون والحديث النبوي ، ص ١٢٨ ــ ١٣٠ .

والآخرة .

ومن هذه الشبه في موضوع الأحاديث النبوية والخاصة بالتشريع الإسلامي فقد ذكر كثير من المستشرقين أن بعض الرواة استباحوا لأنفسهم اختراع أحاديث تتضمن أقوال الرسول صلى الله عليه وسلّم وأفعاله وينسبونها إليه ومعظمها ما يتناول الحلال والحرام والطهارة وأحكام الطعام وآداب السلوك ومكارم الأخلاق بل العقائد أيضاً [1] .

وبعد كل هذه الدراسات المشبوهة للمستشرقين التي جعلت هدفها الأول محاولة إسقاط المكانة العالية للقرآن والسنة وإطفاء نورهما من حياة المسلمين ، يرى بعض مثقفي المسلمين أن المحرّك الأول ، والدافع الأكبر لأولئك المستشرقين هو البحث العلمي النزيه والحقيقة العلمية المجردة ، سبحان الله العظيم! كيف لا يكون كذلك والعديد منهم قد تتلمذ ((على أيدي هؤلاء المستشرقين عن طريق إيفادهم إلى خارج بلادهم واستقدام أعلام المستشرقين إلى البلاد العربية والإسلامية ليعملوا في مؤسساتها الفكرية ومناهج التربية والتعليم والمؤلفات الاستشراقية التي زخرت بترجمتها المكتبة العربية الإسلامية))[2] .

بل يرون أن الإسلام كتعاليم وعقيدة ودين جاء به محمد صلى الله عليه وسلّم هو العدو الأكبر للحضارة والعلم والحرية ، وعلى رأس أولئك المستشرقين المستشرق الفرنسي أرنست رينان (١٨٢٣ ــــ ١٨٩٢م)[3] والذي كان يقول دائماً في كتبه ومقالاته أن

---

[1]) نقد الخطاب الاستشراقي ، ٢/٢٢٠ ، د. ساسي سالم الحاج .

[2]) السنة مع المستشرقين والمستغربين ، ص ٣٥٤ ، د. تقي الدين الندوي ، من ضمن بحوث كتاب : الإسلام والمستشرقون .

[3]) أرنست رينان (١٨٢٣ ــــ ١٨٩٢م) :

مستشرق ومفكر فرنسي ، ولد في مدينة تريجيه من أعمال بريتانيا بفرنسا ، ودخل المدارس اللاهوتية حيث برز فيها ، رحل إلى المشرق ونزل بلبنان ، اهتم بتاريخ المسيحية وتاريخ الشعب اليهودي وأتقن اللغة العبرية وكان قليل المعرفة باللغة العربية . من مؤلفاته : كتاب عن فلسفة ابن رشد ، صدر في باريس عام ١٨٥٢م ، وتاريخ الأديان في عام ١٨٥٧م ، وترجمة سفر أيوب عام ١٨٥٩م ، وترجمة نشيد الأنشاد عام ١٨٦٠م ، وكتاب عن حياة يسوع صدر عام ١٨٦٣م ، وكتاب عن بولس صدر عام ١٨٧٠م، أعلن كرهه للإسلام ، ولنبي الإسلام عليه أفضل الصلاة والتسليم في عدة مواطن ومناقشات له ، وكتب عن سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم والعناصر التي يزعم أنها أثرت في تكوين (أسطورة) عن النبي محمد صلى الله عليه وسلّم في أوروبا في العصور الوسطى وما تلاها ، اسم الكتاب (أسطورة محمد في الغرب) سنة ١٨٨٩م .

=

الإسلام اضطهد دائماً العلم والفلسفة ، وأن العقيدة الإسلامية أثقل قيد حملته الإنسانية، وأن ما يميز المسلم تمييزاً جوهرياً هو كراهية العلم، والاقتناع أن البحث لا فائدة منه، وأنه عبث ، وشبه كفر : علم الطبيعة ؛ لأنه منافسة لله ، والعلم التاريخي ؛ لأنه وهو يتعلق بالأزمنة السابقة على الإسلام يستطيع أن يبعث أخطاء قديمة؛ ولهذا فإن المسلمين ـ عنده ـ هم أول ضحايا الإسلام ، وتحريرهم من دينهم ، هو أكبر خدمة يمكن أن تُسدى لهم ، ويرى رينان إن تحديد ميلاد البلاد العربيّة أو إعادته لن يتم بواسطة الإسلام، بل سيتم بإضعاف الإسلام ، فالإسلام عنده السبب في اضمحلال الحضارة العربية [١] .

ويرى بعض هؤلاء المستشرقين أن أول من فطن إلى المبدأ العدائي لهذا الدين هم الذين سماهم محمد ـ صلى الله عليه وسلّم ـ بالمنافقين، ولكن هم في حقيقتهم أبطال الوطنية القومية وجبهة المعارضة الإسلامية ، ومن أولئك المستشرق اليسوعي القسيس هنري لامنس .

وإن من أخطر ما سلكه المستشرقون في دراساتهم ـ وذلك بسبب سيطرة الدافع الديني عليهم ـ تحطيم الوحدة الفكرية للمسلمين ، وذلك بإثارة الخلافات الفكرية من آراء الفرق والمذاهب المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة ، وتقويتها وتمجيدها ونشرها بين عامة المسلمين ليشغلوا أنفسهم بها عن التفكير في عظائم الأمور [٢] ؛ فتمزقت هذا الأمة الإسلامية أشلاءً متناثرة هنا وهناك ، وقام بين أبنائها الخلافات والمشاحنات لاختلاف

- انظر : المستشرقون ، ١٩١/١ ، نجيب العقيقي وموسوعة المستشرقين ، ص ٣١١ ـ ٣٢٠ ، د. عبد الرحمن بدوي .

[١]) ولقد أثرت هذه الآراء المنحرفة كثيراً في عقول العلمانيين من أبناء المسلمين ، بل بعض من ادعى العلم الشرعي في زمانه وافقه على كثير منها ، وعلى رأس هؤلاء جمال الدين الأفغاني. يقول الفيلسوف العربي الدكتور عبد الرحمن بدوي : ((وقد كان رد جمال الدين الأفغاني على رينان شديد الترفق إلى درجة أنهساير رينان في كثير من الملاحظات التي أبداها عن اضطهاد الإسلام للعلماء ... لقد كان جمال الدين الأفغاني (الأسد أبادي) سياسياً في المقام الأول ، ومفكراً متحرراً من العقيدة الدينية ، ولم يكن الإسلام عنده إلاّ وسيلة ... ولم يهدف أبداً إلى الإصلاح الديني بالمعنى المفهوم الدقيق لهذا التعبير . والمسؤول عن تصويره الزائف بصورة المصلح الديني هو الشيخ محمد عبده وأصحاب مجلة المنار ومن شايعهم من السطحيين في مصر والشام)) . موسوعة المستشرقين ، ص ٣١١ إلى ص ٣٢٠ ، د. عبد الرحمن بدوي .

[٢]) الاستشراق والتبشير ، ص ١٦ ، د. محمد السيد الجليند .

النظم والمبادئ والمناهج ، ولا سيما بعد اشتداد عزائم الأذناب في الاستمرار في إثارة تلك الخلافات [١] .

ومن أشهر هؤلاء المستشرقين الذين سلكوا هذا المسلك الراهب الدومنيكي الأب جورج شحاته قنواتي ــ مدير معهد الدراسات الشرقيّة للآباء الدومينيكان بالقاهرة ــ فقد ركّز جهوده في نشر آراء ابن سينا وابن رشد الفلسفيّة ، وآراء المعتزلة ، وعظّم رجالاتها كعبد الجبار الهمداني ، كما أنّه أبرز آراء القديس توما الأكويني الفلسفيّة والكنسيّة ، وعمل على نشرها بين أوساط المسلمين ، وكان له دور كبير في مسألة (بدعة) الحوار بين الإسلام والنصرانيّة ، وبرز دوره أكثر في جلسات المجمع الفاتيكاني الثاني (المسكوني الحادي والعشرون) ((١١ تشرين الأوّل ١٩٦٢ ــ ٨ كانون الأوّل ١٩٦٥ م)) حول الحوار مع الإسلام ، وكان من أبرز تلامذته أستاذ الفلسفة في جامعة القاهرة عاطف العراقي ، والذي سار على نهجه [٢] .

---

[١]) وحي الله ، ص ٤٥ ، د. حسين ضياء الدين عتر .

[٢]) الأب جورج شحاته قنواتي (١٩٠٥ ــ ١٩٩٤ م) :

ولد في الاسكندريّة من أصل سوري ، انضم إلى الرهبانية الدومينيكيّة عام ١٩٣٤م ، تضلّع من الفلسفة واللاهوت ، أرسل إلى الجزائر ، فحصل على ليسانس في الآدب العربيّة عام ١٩٤٤م ، وبعد عودته عيّن عميداً للمعهد الدومينيكي للدراسات الشرقيّة في القاهرة ، ومحرراً لمنوعاته ، وانتخب عضواً في معهد مصر عام ١٩٥١م ، وكلّفته اليونسكو وضع دراسة دراسة عن الاتجاهات الفكريّة المعاصرة في العالم العربي عام ١٩٧٢م ، وكان الأب قنواتي جوّابه يطوف بعدّة عواصم من كُلّ عام أستاذا زائراً في الجامعات ، أومحاضراً في النوادي والجمعيّات ، أومشاركاً في معظم المؤتمرات .

من أعماله : المدخل إلى علم أصول الدين الإسلامي عام ١٩٤٨م ، ناقش فيه وجود الله تعالى وصفاته ، وتحقيق وتعليق على كتاب ((جوهرة التوحيد)) لإبراهيم الباجوري الأشعري عام ١٩٥٠م ، ومقالة بعنوان ((إمام الحرمين بين المتقدمين والمتأخرين)) عام ١٩٤٧م وتحقيق على كتاب ((المغني في أبواب التوحيد)) لعبد الجبار الهمداني المعتزلي عام ١٩٦٣ ، اهتمام بالغ بكتب ابن سينا تحقيقاً وتعليقاً ، مثل الشفاء والمنطق والإلهيّات والنفس ، وله مقالة عن عقيدة ابن سينا في بعث الأجساد عام ١٩٥١ ، وعن مؤلفات ابن رشد عام ١٩٧٨م ، وكتاب ((التصوّف الإسلامي)) عام ١٩٦٠م ، ومقالة عن الفلسفة الإسلاميّة في العصور الوسطى عام ١٩٥٩م ، وكيميا السعادة لابن عربي الصوفي عام ١٩٥٩م ، وعن الفخر الرازي في عام ١٩٦٢ ، وعن رسالته في أسماء الله عام ١٩٦٥م ، ومقالة ((علم أصول الدين المسيحي وأصول الدين لدى المعتزلة)) في عام ١٩٦٤م، وكتبٌ في دائرة المعارف العالميّة عن : الإسلام ، والحلاّج ، ومقالة عن فكرة الخلق في الإسلام عام ١٩٦٩م ، وهل فكرة الخطيئة=

ومن ذلك اهتمامات المستشرقين في دراساتهم بالتراث الصوفي للغلاة من الصوفية أمثال الحلاج وابن عربي، وعلى رأس أولئك المستشرقين الفرنسي الكاثوليكي لويس ماسينيون[١]،

=الأصليّة موجودة في الإسلام عام ١٩٧٠م ، والعصمة من الخطأ في الإسلام عام ١٩٧٠ ، ومقالة بعنوان ((ثلاثة طلاسم إسلاميّة)) عام ١٩٧٢م ، وكتبَ سبع وخمسين مقالة عن تلاقي الثقافات والحوار الإسلامي المسيحي ، وكتبَ مقالات متفرّقة عن كبار النصرانيّة ، منها : عن البابا والبابويّة ، وآريوس ، وروجر بيكون ، والقدّيس أوغسطين ــ من أوائل الدعاة إلى النصرانيّة ــ ، وغيرهم .

انظر : المستشرقون ، ٣ / ٢٧٠ ــ ٢٧٣ ، نجيب العقيقي ، والمستشرقون والتنصير ، ص ١٢٧ ــ ١٢٨ ، الدكتور علي بن إبراهيم النملة ، والموقع الإلكتروني للمعهد الدومينيكي للدراسات الشرقيّة في القاهرة http://www.ideo-cairo.org

[١]) لويس ماسينيون (١٨٨٣ ــ ١٩٦٢م) :

مستشرق كاثوليكي فرنسي قيل عنه إنه من بين المستشرقين في مكانة لا يضارعه فيها إلاّ (نيلدكه) و (نلينو) و (جولد زيهر) . من أكبر أصدقائه الأب شارل دي فوكو ، والشاعر الفرنسي الكاثوليكي المتعصب بول كلودل .

ولد في ضاحية نوجان على نهر المارن إحدى ضواحي باريس في ٢٥ من شهر يوليو عام ١٨٨٣م ، حصل على دبلوم في اللغة العربية الفصحى والعامية في ١٠ فبراير عام ١٩٠٦م من المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية ، وتابع محاضرات المستشرق لوشاتلييه في الكوليج دي فرانس عن الإسلام من الناحية الاجتماعية ، عُيّن في عام ١٩٠٦م عضواً في المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة رحل إلى بغداد في شتاء ١٩٠٧م ، وزار مشاهد الشيعة في جنوبي العراق كربلاء والنجف والكوفة ، وعندما أُنشئت الجامعة المصرية القديمة في عام ١٩١٠م أوصى المستشرقان جولد زيهر واسنوك هورخرونية بماسينيون لهذا المنصب، فدُعي ماسينيون وألقى أربعين محاضرة باللغة العربية على طلاب الجامعة المصرية ، وكان من طلابه طه حسين .

كان ماسينيون ضمن الجيش الذي دخل القدس في ١٩١٧م تحت قيادة اللنبي العليا .

قدم رسالته الدكتوراه بعنوان : ((عذاب الحلاج ، شهيد التصوف في الإسلام)) في ٢٤ مايو سنة ١٩٢٢م ، واختار هذا التاريخ عن قصد ليوافق مرور ألف عام على صلب الحلاج .

اهتم اهتماماً خاصاً بالحلاج وتصوّفه منذ شهر مارس عام ١٩٠٧م عندما قرأ أشعاراً لفريد الدين العطار الشاعر الفارسي الصوفي تدور حول مصرع الحلاج وفيها تمجيد عظيم له ، وكتب في عام ١٩٠٩م بحثاً بعنوان : ((عذاب الحلاج والطريقة الحلاجية)) ، ثم في عام ١٩١١م بحثاً بعنوان : ((الحلاج الشبح المصلوب والشيطان عند اليزيدية)) وعلاقته بالحلاج لم تنقطع لحظة واحدة حتى مات، فنشر في عام ١٩٣١م (ديوان الحلاج) ، وفي عام ١٩٤٦م بحثاً عن حياة الحلاج بعد وفاته، كما أن اشتغاله بالحلاج لم يصرفه عن الاهتمام بغيره من الصوفية ، فكتب عن ابن سبعين ، كما أنه اهتم اهتماماً كبيراً بمذهب الشيعة وما تفرع عنها ، بخاصة مذاهبها الغالية في دائرة المعارف الإسلامية ، مباحث عن : القرامطة ، والنصيرية ، والخطابية ، والزندقة ، والكندي ، والمحاسبي ، وغيرها من المباحث، توفي في ٣١= =أكتوبر عام ١٩٦٢م بعدما بذل جهوداً كبيرة في نشر مذاهب منحرفة وآراء خارجة عن الإسلام بين أوساط المسلمين .

انظر: موسوعة المستشرقين ، ص ٥٢٩ ــ ٥٣٥ ، د. بدوي، المستشرقون ، ١/٢٦٣ ــ ٢٦٨، العقيقي.

الذي تفرغ تماماً لإظهار آراء المذاهب المخالفة لما يعتقده المسلمون من آراء غلاة الصوفية كابن حلاج وابن سبعين ، والشيعة بكل تطوراتها وفروعها وخصوصاً المغالية منها كالقرامطة ، والنصيرية ، والإسماعيلية.

وبعضهم اهتم بنشر كتب اللهو والمجون كقصص ألف ليلة وليلة ، وكتاب الأغاني ، ومن أشهرهم في هذه الاهتمامات كبير مستشرقي فرنسا الكاثوليكي البارون سلفستر دي ساسي[1] المستشار في وزارتي الخارجية والحربية الفرنسية ، و هو من الأساتذة المباشرين

---

[1]) سلفستر دي ساسي (١٧٥٨ ــ ١٨٣٨م) :

هو أنطوان إسحاق سيلفستر دي ساسي ، ولد في باريس في ٢١ سبتمبر سنة ١٧٥٨م، أول ما تعلم من اللغات كانت العبرية، وهو في سن الثانية عشرة، ثم تعرّف إلى الراهب البندكتي برترو الذي شجعه على دراسة اللغات السامية الأخرى، وعلى رأسها العربية، فبدأ بتعلمها، ثم أخذ بتعلم اللغات الأوروبية الأخرى الألمانية، والانجليزية، والأسبانية ، والإيطالية .

وفي ٣٠ مارس عام ١٧٩٥م قررت الجمعية الثورية التي تدعى الوفاق الوطني ــ والتي كونت أول جمهورية ، وحكمت فرنسا ٢١ عاماً ــ إنشاء مدرسة عامة لتدريس اللغات الشرقية الحية ، وأسندت تدريس العربية إلى سلفستر ساسي ، فبدأ دروسه فيها في ٢٢ يونيو عام ١٧٩٦م ، وحمله هذا التدريس على تكريس كل جهد للتعمق في اللغة العربية وآدابها ، والإسلام وعقائده ، ومذاهبه ، وتاريخه.

منحه نابليون لقب بارون في مارس عام ١٨١٤م ، وعندما سقط نابليون وأُعيدت الملكية إلى فرنسا عُيّن سيلفستر دي ساسي في ٢٤ أكتوبر عام ١٨١٤م مراقباً ملكياً ، ثم عُيّن في ١٧ فبراير عام ١٨١٥م مديراً لجامعة باريس ، وفي أغسطس عام ١٨١٥م عُيّن عضواً في لجنة التعليم العام .

يُعد سيلفستر دي ساسي أول مستشرق أوروبي في العصر الحديث يمثل الاستشراق كمؤسسة سياسية تعمل لخدمة الاستعمار الغربي، وتثبيت أقدامه في العالم الإسلامي ، فقد كان حلقة الوصل بين الاستشراق والسياسة الفرنسية الخاصة بالمسلمين، فكان يستشار بانتظام من قبل وزارة الخارجية الفرنسية، وكذلك وزارة الحربية . وكان من مهامه أن يترجم نشرات الجيش الفرنسي إلى المسلمين، وهو الذي قام بترجمة الإعلان الفرنسي إلى الجزائريين باحتلال فرنسا للجزائر عام ١٨٣٠م .

كان يعلن إعجابه الحقيقي بالأدب اليهودي ، ويصف الشعر العبري بأنه ((شعر مقدس حقيقة)) وثقافته الأصلية التي تلقاها في دير بندكتي ثقافة لاهوتية عميقة ، تعتمد على العهدين القديم والجديد .

أسس (المجلة الآسيوية) في عام ١٨٢٢م ، ولا تزال حتى اليوم من أهم المجلات الاستشراقية ، وكذلك أسس (الجمعية الآسيوية)، وصار مديراً للكوليج دي فرانس في ٣٠ ديسمبر عام ١٨٢٣م ، ومديراً للمدرسة الخاصة باللغات الشرقية في ٢٦ أغسطس عام ١٨٢٤م . أصيب بنوبة مفاجئة توفي على إثرها في ٢١ فبراير عام ١٨٣٨م .

من أعماله : كتاب (النحو العربي) ، أشهر كتاب في أوروبا في ذلك الوقت ، مقامات الحريري ، الإفادة والاعتبار بما في مصر من الآثار لموفق الدين البغدادي ، كليلة ودمنة ، وأشرف على إخراج كتاب الأغاني . =

لأحد أئمة التغريب ، وهو رفاعة رافع الطهطاوي .

وبشكل عام فإن مكر المستشرقين الكُبّار في دراساتهم الاستشراقية، الذي يثبت أن الدافع الديني هو المتفق عليه بينهم ، والسبب الأعظم لهم ، أنهم — مثلاً — في أبحاثهم عن الدين الإسلامي، وكُل ما له صلة بهم يذكرون عيباً واحداً، ويجوّدون لتمكينه في النفوس، بذكر عدة محاسن ليست لها أهمية كبيرة، وذلك كي يقف القارئ خاشعاً مؤدباً أمام سعة قلوبهم وسماحتهم ، ويسيغ ذلك العيب الواحد الذي يكفي لطمس جميع المحاسن. فهؤلاء المستشرقون — الموصوفون بالحيادية والنزاهة العلمية — يدسّون في كتاباتهم مقداراً خاصاً من (السُمّ) ويحترسون في ذلك ، فلا يزيد على النسبة المعينة لديهم ، حتى لا يستوحش القارئ، ولا يثير ذلك فيه الحذر، ولا يضعف ثقته بنزاهة ذلك المستشرق .

إن كتابات هؤلاء المستشرقين أشد خطراً على القارئ المسلم والنصراني وغيرهم في الدين الإسلامي من كتابات المستشرقين الذين يكاشفون العداء للأمة الإسلامية ويشحنون كتبهم بالكذب والافتراء عليها ، وعلى دينها وحضارتها ، ويصعب على رجل متوسط في عقليته أن يخرج منها سليم الفكرة أو ينتهي في قراءتها دون الخضوع لها[1] .

=انظر : موسوعة المستشرقين، ص ٣٣٤ — ٣٣٩ ، د. عبد الرحمن بدوي، المستشرقون، ١٦٢/١ — ١٦٥، نجيب العقيقي ، تاريخ حركة الاستشراق ، ص ١٤١ — ١٥٦ ، يوهان فوك ، رؤية إسلامية للاستشراق ، ص ١٠٧ — ١٠٨ ، أحمد غراب ، الاستشراق ، ص ٦ ، السيد أحمد فراج .

[1]) مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقين ، ص ٨ ، ٣١ ، لأبي الحسن الندوي (بتصرف) .

ومن ذلك : ما يفعله المستشرق الهولندي دوزي (١٨٢٠— ١٨٨٣م)، الذي انخدع بأبحاثه بعض المسلمين، ووصفوه بالإنصاف، فكان يذهب إلى القول بصحة قسم كبير من الأحاديث النبوية التي حفظت في الصدور قبل التدوين ثم دونت بدقة في الكتب ، ولكنه في أثناء كلامه يرى أنها أحاديث لها نظرات في الكون والحياة والإنسان مخالفة للعقل والميزان الصحيح . انظر : المستشرقون والحديث النبوي ، ص ٦٦ ، د. محمد بهاء الدين .

وما ذهب إليه المستشرق لويس مايو في كتابه (مدخل لدراسة القانون الإسلامي) أن القرآن يعد المصدر الرئيس للشريعة الإسلامية، ثم ذهب إلى صحته وأن فيه قداسة وأن جمعه كان صحيحاً من قبل الصحابة ، ولكنه يذكر بأن القرآن مصدر ضيق للشريعة الإسلامية ، فيرى أن القواعد القانونية تتحدث عنها ستمائة آية فقط !. أنظر : نقد الخطاب الإستشراقي ، ٢١٣/٢ ، د. ساسي سالم الحاج .

وما يقوم به المستشرق الهولندي هادريان ريلاند (توفي ١٧١٨م) ، فهو يلبس السم ، فيرى أن بعض تعاليم محمد صحيحة (لاحظ أنه ينسب تعاليم الإسلام إلى محمد صلى الله عليه وسلّم، ولذلك يسمي كتابه الديانة المحمدية)، وهو يدعو إلى الرجوع إلى المصادر العربية لفهم الإسلام فيقول : ((ينبغي على المرء أن يتعلم اللغة العربية وأن=

فأبحاث المستشرقين أبحاث منتقاة ، ودراساتهم دراسات مختارة لمواضيع أساسية في الدين الإسلامي. يحاولون من خلالها أن يضربوا الأمة الإسلامية في دينها، وعقيدتها وعباداتها. وأخلاقها ؛ لتتزلزل بذلك أساسيات الدين الإسلامي في قلوب أبنائه وعقولهم، فالمطمع التنصيري مطمع أساسي للدافع الديني للدراسات الاستشراقية التنصيرية « إن كانت كاثوليكية أوبروتستانتية .

فالارتباط واضح، ومستمر بين الهيئات الاستشراقية، والإرساليات التنصيرية التي استفادت كثيراً من الاستشراق الذي يعد الهيئة الاستشارية للتنصير، فبحوث المستشرقين التي لا تحصى عن الدين الإسلامي ، وكل ما يتعلق به كانت ـــ ولا تزال ـــ أفضل زاد للمنصرين في استعمالها ، وإشاعتها في الأوساط الثقافية في العالم الإسلامي .[1]

كل هذا يدفع بالباحث والمطلع على توجيهات الدراسات الاستشراقية أن يؤمن إيماناً جازماً بأن الدافع الديني هو حجر الزاوية للمستشرقين .

ثانياً : الدافع السياسي والاستعماري :

إن واقع الدراسات الاستشراقية تُبيّن أن حركة الاستشراق كانت تسير جنباً إلى جنب مع التحولات والتغيرات السياسية التي شهدها أولئك المستشرقون ، والتي انتهت بأكثر دراساتهم إلى ضعف ملحوظ متمثل في التحامل البشع الذي غذته (التحولات) الاستعمارية في فكر المركزية الأوروبية بالنسبة لموقفهم من الإسلام والمسلمين وأطماعهم في البلدان الإسلامية[2] .

ولا شك أن تنقل المستشرقين وترحالهم في بلدان العالم الإسلامي ، وما نتج عن هذه

=يسمع محمداً نفسه وهو يتحدث في لغته، كما ينبغي على المرء أن يقتني الكتب العربية، وأن يرى بعينيه هو وليس بعيون الآخرين، وحينئذ سيتضح له أن المسلمين ليسوا مجانين كما تظن، وقد كان في رأيي دائماً أن ذلك الدين الذي انتشر انتشاراً بعيداً في آسيا وأفريقيا وفي أوروبا أيضاً ليس ديناً ماجناً أو سخيفاً كما يتخيل كثير من الناس، إلا أنه دين سيء ضار بالمسيحية إلى حد بعيد)) . فهذا المستشرق يدافع أولاً عن الإسلام بأنه ليس ماجناً ولا سخيفاً ولكنه مع ذلك يقدح فيه بقوله أنه دين سيء وضار بالمسيحية إلى حد بعيد. انظر : رؤية إسلامية للاستشراق ، ص ١٠٥ ، أحمد غراب .

[1]) الاستشراق أهدافه ووسائله ، ص ٣٧ » د. محمد فتح الله الزيادي .

[2]) الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين ، ص ٨ ـــ ٩ » مصطفى نصر المسلاتي (بتصرف) .

الرحلات من مؤلفات، يُقصد بها إعطاء صورة واضحة ــ قد تكون مزورة ــ لصناع القرار الغربي في اختيار الأمكنة الملائمة لتوجيه جيوشهم[١]، وفي توزيع رقعة العالم الإسلامي بينهم ، قد كانت مغرية للحكومات النصرانية الغربية لغزو العالم الإسلامي ونهب خيراته وموارده .

فمثلاً نابليون بونابرت قد تأثر في وضع خطته للهجوم على مصر وسوريا بكتاب (رحلة إلى مصر وسوريا) للمستشرق الفرنسي (الكونت دي فولني)[٢]، والذي ظهر في مجلدين عام ١٧٨٧م ، وقد تعرض هذا المستشرق في الجزء الثاني من كتابه للإسلام، وتحامل عليه كثيراً من حيث إنه دين ومن حيث إنه نسق من النظم السياسية ، فأدى به ذلك في نهاية الأمر إلى أن عدّ تلك الأجزاء الإسلامية ليست أكثر من مكان يمكن لفرنسا أن تحقق فيها مطامعها الاستعمارية[٣] .

ويُبيّن المستشرق الفرنسي غوستاف دوجا [٤] أن هناك صلة وثيقة بين الاستعمار والحركة الاستشراقية ، وأنّه يجب على الحكومات الغربيّة أن تعرف كيف تشجّع وتستخدم المستشرقين[٥] .

---

[١]) الاستشراق أهدافه ووسائله ، ص ٣٩ ، د. الزيادي ، نقد الخطاب الاستشراقي، ٥٧/١ ، د. ساسي الحاج .

[٢]) دي فولني : مستشرق فرنسي رحل إلى مصر وسوريا سنة ١٧٨٣م ، ودون آراءه في كتاب لم يلبث أن نال شهرة واسعة عد بها أحد كتاب الرحلات المشهورين، أهدى منه نسخة إلى قيصرة روسيا الثانية كاترين، وأهدى نسخة أخرى إلى نابليون الذي تأثر به في حملته على مصر . انظر : الاستشراق أهدافه ووسائله ، ص٣٩ ، د. محمد الزيادي .

[٣]) الاستشراق ، ص٣٩ ، د. محمد الزيادي ، وبتوسع إلى : نقد الخطاب الاستشراقي ،٦٢/١ــ ٦٥ ، د. ساسي سالم الحاج

[٤]) غوستاف دوجا (١٨٢٤ ــ ١٨٩٤م) :

مستشرق فرنسي ، ولد في ١٨٢٤م ، ودخل مدرسة اللغات الشرقية في باريس ، وسافر في بعثة إلى الجزائر في عام ١٨٤٥م ، وفي ١٨٨٢م كُلّف بتدريس جغرافيا الشعوب الإسلامية وتاريخها في مدرسة اللغات الشرقية ، توفي عام ١٨٩٤م ، ومن كتبه : دراسة عن كتاب زاد المسافر لأبي جعفر أحمد ، وهو كتاب في الطب ، ونفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب للمقري ، تحقيق المجلد الأول ، ومقدمة للمجلد الثاني ، تاريخ الفلاسفة والمتكلمين المسلمين من بدايتهم إلى عام ١٢٥٨م ، تاريخ المستشرقين في أوروبا من القرن الثاني عشر حتى القرن التاسع عشر . انظر : موسوعة المستشرقين ، ص ٢٥٣ ، د. بدوي ، المستشرقون ، ١٩٣/١ ، نجيب العقيقي .

[٥]) الاستشراق في السيرة النبوية ، ص ٢٤ ، عبد الله محمد الأمين النعيم .

وهذه الحكومة الإيطالية حين قررت غزو ليبيا لجأت إلى المستشرقين ، فجهزوا لها منشوراً يحوي من المكر الشيء العظيم ، اختاروا لها عبارات بدقة عالية مراعين ظروف المسلمين هناك، وأوضاعهم السياسية، والاجتماعية، والدينية، ومما جاء فيه : ((بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على كافة المرسلين صلى الله وسلم عليهم أجمعين : فيا سكان طرابلس وبرقة ، اذكروا أن الله قال في كتابه العزيز ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾))[1] .

ثم بعد الاستشهاد خمس مرات بالآيات القرآنية خلص المنشور إلى القول التالي : ((إرادة الله ومشيئته سبحانه قضتا أن تحتل إيطاليا هذه البلاد ، لأنه لا يجري في ملكه إلاَّ ما يريد فهو مالك الملك رب العالمين المنفرد بتصرفاته بملكه ، الذي لا شريك له فيه ، وبناء عليه يلزم على كل مؤمن أن يرضى ويسلم بما تعلقت به الإرادة الربانية وأبرزته القدرة الإلهية ، فالملك له سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء))[2] .

ومن قبل قد استفاد نابليون في حملته الفرنسية عام ١٧٩٨م على مصر من المستشرقين في صياغة منشور بنظرية دينية، وسياسية قد ينخدع بها بعض المسلمين هناك[3] .

وقد اعترف المستشرق الإسباني بيدور ماريتنيث مونتابيث[4]، أن الاستشراق يقوم

---

[1]) سورة الممتحنة ، الآية (٨) .

[2]) الاستشراق ، أهدافه ووسائله ، ص ٤٣ ، د. محمد فتح الله الزيادي .

[3]) ومما جاء في هذا المنشور : ((بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلاَّ الله لا ولد له ولا شريك له في ملكه من طرف الفرنساوية ، المبني على أساس الحرية والتسوية . . . قد قيل لكم إنني ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم ، فذلك كذب صريح فلا تصدقوه ! وقولوا للمفترين إنني ما قدمت إليكم إلاَّ لأخلص حقكم من يد الظالمين . وإنني أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى وأحترم نبيه والقرآن العظيم !. .

أيها المشايخ والقضاة والأئمة ، قولوا لأمتكم إن الفرنساوية هم أيضاً مسلمون مخلصون، وإثبات ذلك أنهم نزلوا في رومية الكبرى وخرّبوا فيها كرسي البابا الذي كان دائماً يحث النصارى على محاربة الإسلام (!!)، ومع ذلك، الفرنساوية في كل وقت من الأوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثماني ، وأعداء أعدائه ، أدام الله ملكه...)) . انظر : واقعنا المعاصر ، ص ١٩٩ ، الأستاذ : محمد قطب .

[4]) بيدور مارتينيث مونتابيث (المولود عام ١٩٣٣م) : =

بخدمة المصالح الاستعمارية : ((ظاهرة تاريخية معروفة ، وهـي أن معظـم المستـشرقين الغربيين كان مرتبطاً بشكل ما مع النفوذ الاستعماري الغربي في المنطقة ، وعلينا أن نعترف بهذا فنحن نتكلم عن التاريخ وليس عن أشياء خيالية أو بعيدة عن الحقيقة))[1] .

وذكر المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون ، أنه إبّان فترة التوسع الاستعماري في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي كان من آثار ارتباط الاستعمار بالاستشراق أن استفاد الاستعمار بما خلفه له الفكر الاستشراقي ، ومن هذا الارتبـاط أيـضاً عـزز الاستعمار موقف المستشرقين في البلاد الشرقية الإسلامية لينشروا فيها آراءهم ويحققـوا أهدافهم[2] .

فالذي يخشاه الاستعمار هو الدين الإسلامي وانتشاره ومقاومته له ، فإن له قوة وإرادة وجلالة تستطيع أن توقف الأطماع الاستعمارية ليست كغيره من الأديان والإيديولوجيات والمذاهب . فلن يستطيع الاستعمار أن يسيطر على المـسلمين إلاّ بالتعـاون المتماسـك والقوي مع الاستشراق والتنصير ، فالعدو المشترك لهم جميعاً هو الإسلام، فـلا بـد إذن للغرب المستعمر من معرفة ما يمكنه معرفته من أحوال هذه البلاد الإسـلامية ومـداخل السيطرة عليها والاستبداد بها [3] ، وضرب وحدة المسلمين ــ مناط عزهم وسـؤددهم ــ ببث الفتن والفرقة وإثارة الشبهات والتشكيك ، فيستفيد المنصرون من ذلك لمحاولة تحويل المسلمين عن دينهم ، وإشاعة البلبلة الاعتقادية والفكرية في صـفوفهم لتـصير بلادهـم وخيراتهم لقمة سائغة للغرب. وأقل مطمع للغربيين في هذا أن تعينهم دراسات الاستشراق

= مستشرق أسباني، متخرج من قسمي التاريخ واللغات السامية بجامعة مدريد عام ١٩٥٦م، والتحق بجامعـة القاهرة لإعداد رسالة دكتوراه عن المجاعة في مصر أيام المماليك وتبدل الأسعار عام ١٩٥٧م ، وعُيّن مديراً للمركز الثقافي الإسباني في القاهرة عام ١٩٥٨م، ولمجلة الرابطة التي أصدرها المركز عام ١٩٥٨م ، ثم مديراً لجامعة مدريد المستقلة، من بحوثه : رسالة الماجستير عن أمراء الأندلس وخلفائها عام ١٩٥٦م، والشعر العربي الحديث في مدريد عام ١٩٥٨م، والفونسو العاشر وسلاطين المماليك في عام ١٩٥٩م، وشخصية المنـصور في نـصوص المـؤلفين النصارى في عام ١٩٦٠م . انظر : المستشرقون ، ٢/٢٤٣ ــ ٢٤٤ ، نجيب العقيقي .

[1]) الاستشراق ،أهدافه ووسائله » ص ٤٢ » د. محمد فتح الله الزيادي .

[2]) المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية في العالم الغربي » ص ٣٩ ، نايف بن ثنيان آل سعود .

[3]) فلسفة الاستشراق ، ص ٥٠ ، أحمد سما يلو فتش .

على إضعاف العالم الإسلامي ، وتمكين التبعية السياسية له فيه والنهب الامبريالي [١] .

وازدادت المشاركة بين ثالوث الشر (الاستشراق ، والتنصير ، والاستعمار) على استنزاف الثروات المادية للعالم الإسلامي ، وبث بعض الزلازل العقائدية والفكرية في عقول بعض أبنائه المسلمين وقلوبهم فامتدت إلى نهب الثروات العلمية والحضارية للأمة الإسلامية المتمثلة في المخطوطات، والوثائق، والكتب النادرة ، ونقلها إلى عواصمهم الغربية النصرانية . فقد استفاد المستشرقون منها من الناحية العلمية كالنّواحي التجريبية مثلاً كالطب أو في الدراسات المقارنة للغات والأديان مثلاً ... ، وهم قد عكفوا على دراساتها للاختيار منها ما يكون أعون لهم على تكوين صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين[٢] .

كما أن هؤلاء المستشرقين قاموا بالترجمة، والدراسة، واستخلاص النتائج واستخدامها في تبرير سيطرة الغرب على المسلمين ، وكتابة التقارير التي تُعين الحكومات الغربية على (صنع القرار السياسي) تجاه العالم الإسلامي[٣] .

هذا هو الدافع السياسي والاستعماري للدراسات الاستشراقية فهي سندٌ للاستعمار تمهيداً وتثبيتاً، فتُؤّول الجهاد وتصرف أنظار المسلمين إلى الدعة والقعود عن الجهاد في سبيل الله، تحطيماً لروح المقاومة الإسلامية ، ومدافعة للغزاة بالاقتصار على الاشتغال بالعبادة والزهد، على أن ذلك هو الجهاد الأكبر، وغير ذلك مما من شأنه أن يسلس القياد للاستعمار وهيمنته الثقافية والفكرية بحيث يستبد تأثيرها في نفوس المسلمين فيخلخل عقائدهم، ويزلزل ثقتهم بأنفسهم، ومن ثم يتخذ التنصير الغربي من دونهم وليجة لتحويل بعض المرتبكين منهم إلى تبع وملاحدة [٤] .

---

[١]) منهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب ، ص ٥٩ ، محمد البشير مغلي .

[٢]) رؤية إسلامية للاستشراق ، ص ٤١ ، أحمد غراب .

فهذا النهب للثروات العلمية والحضارية لتراث الأمة الإسلامية إبان الاستعمار الغربي الذي قام به المستشرقون يُفسر لنا ذلك اللغز المُحيّر، وهو وجود الآلاف من هذه المخطوطات في حوزة الدول الأوروبية حتى يومنا هذا .

انظر : نقد الخطاب الاستشراقي ، ٧١/١ ، د. ساسي سالم الحاج .

[٣]) رؤية إسلامية للاستشراق ، ص ٤١ ، أحمد غراب .

[٤]) منهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب ، ص ٦١ ، محمد البشير مغلي .

ثم إنه لتأكيد هذا الدافع فإن هناك نوعاً من الدراسات الاستشراقية ركّزت على دراسة الفرق الإسلامية ، والتي شغلت حيزاً كبيراً من نشاط المستشرقين ، ولم يكن لها بالمقابل أية دراسة تستهدف البحث في الإسلام الموحد الذي جسّده عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويضاف إلى ذلك دراسات أخرى استهدفت التركيز على إثارة النعرات الطائفية والحزبية والمذهبية ، ومحاولة تجذيرها ، ولا شك في أن هذه الدراسات كانت عاملاً مهماً ساعد الاستعمار الغربي النصراني في استخدام سياسة (فرق تسد) وبالتالي إحكام قبضته على مناطق العالم الإسلامي[1] .

ثالثاً : الدافع العلمي :

الناظر إلى واقع الدراسات الاستشراقية بشكل عام، وإلى الدراسات النصرانية الغربية بشكل خاص، يجزم جزماً أن الدافع العلمي ليس دافعاً أصيلاً في جملتها ، كيف يكون الدافع العلمي النزيه المجرد في تلك الدراسات دافعاً أصيلاً ذاتياً ، وكل المستشرقين يجمعهم أمور تؤدي بهم إلى تشويه الحقيقة العلمية لدراستهم عن الإسلام وعلومه، وحضارته؟! وهذه الأمور : هي :

١) أنهم لا يعترفون بالإسلام ديناً ربّانياً ، بل هو عندهم إمّا من صنع محمد صلى الله عليه وسلم ــ والذي أيضاً لا يعترفون بأنه نبي يُوحى إليه من عند الله تعالى ــ ، وإمّا أنّه اقتباسات متناثرة من اليهود والنصارى لملمها محمد ــ صلى الله عليه وسلّم ــ وأكمل بعضها رفاقه ــ عليهم رضوان الله أجمعين ــ .

٢) أنهم لا يعترفون بالإسلام كرسالة إلى العالم أجمع ، بل هو تعاليم ووصايا جاء بها محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ للعرب فقط .

٣) أنهم لا يعترفون بأي فضل للعرب المسلمين في رُقيّ الحضارة الإسلامية ــ التي تُسمى عندهم الحضارة العربية ــ ويرون أن الفضل في ازدهار هذه الحضارة للنصارى العرب[2] ، وأن الحضارة الإسلامية ــ العربية عندهم ــ في الأندلس إنما يرجع الفضل فيها

---

[1]) الاستشراق أهدافه ووسائله ، ص ٤٤ ، د. محمد فتح الله الزيادي .

[2]) الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين ، ص ٦٢ ، مصطفى نصر المسلاتي . (بتصرف) .

إلى نصارى إسبانيا، ومن أمثلة أولئك المستشرقين فرانشيسكو سيمونت[1] .

---

[1]) فرانشيسكو سيمونت (١٨٢٩ ـــ ١٨٩١م) :

مستشرق أسباني عني خصوصاً بتاريخ غرناطة وتاريخ المستعربين ، أي النصارى الذين اعتنقوا الإسلام في أسبانيا ، ولد في ملقة (على الساحل الجنوبي الشرقي من إسبانيا) في أول يونيو عام ١٨٢٩م ، أتقن العربية في عام ١٨٥١م ، وفي عام ١٨٥٥م، أتم دراسة القانون وحصل على إجازة فيه، حصل على وظيفة مدرس للغة العربية في المعهد= =العلمي في مدريد ، وبدأ فيه عام ١٨٥٧م يُدرّس حول التاريخ الأدبي للعرب في أسبانيا ، وفي السنة التالية ١٨٥٨م أخذ يدرس اللغة العربية وآدابها، حصل على الليسانس في الفلسفة والآداب في عام ١٨٦٠م ، وشغل في نفس السنة كرسي اللغة العربية في جامعة غرناطة ، ثم اختير عضواً في أكاديمية التاريخ في عام ١٨٦٢م ، ومن ذلك التاريخ ركّز على الدراسات العربية وحدها ، حتى آخر عمره في ٩ يوليو عام ١٨٩٧م .

كان سيمونت شديد التعصب للكاثوليكية ، وتجلى ذلك خصوصاً في مقالات نشرها في مجلتين دينيتين نصرانيتين هما (مدينة الله) و (العلم المسيحي)، يزعم أن تفوق الحضارة العربية في إسبانيا إنما يرجع الفضل فيه إلى العنصر المحلي الأسباني المسيحي الذي كان يسكن في إسبانيا قبل الفتح العربي ، ويزعم أن هؤلاء السكان الأصليين المسيحيين هم الذين استطاعوا بمواهبهم إغناء الحضارة العربية في الأندلس ، وهم الذين ثقّفوا العناصر العربية والبربرية الداخلة على الأندلس بعد الفتح الإسلامي ... .

وهو شديد الكره للإسلام والمسلمين يقول عنه د. بدوي : ((وإن باحثاً هذا تصوره للإسلام لا يمكن أن تكون أحكامه على الثقافة الإسلامية في الأندلس إلاّ نابعة من نفس التصور ، ولهذا ينبغي تقويم آرائه على ضوء هذا التعصب الأعمى الذي سيطر على كل ما كتبه سيمونت)) .

انظر : موسوعة المستشرقين ، ص ٣٦٠ ـــ ٣٦٥ ، د. عبد الرحمن بدوي ، المستشرقون ، ١٨٥/٢ ، نجيب العقيقي .

وكذلك المستشرق الانجليزي هاملتون جب (١٨٩٥ ـــ ١٩٧١م) : ولد في مدينة الاسكندرية (مصر) في ٢ يناير عام ١٨٩٥م ، وتوفي في ٢٢ أكتوبر عام ١٩٧١م في اكسفورد (إنجلترا) ، وتعلم في اسكتلندة في المدرسة الثانوية الملكية في أدنبره ، وفي عام ١٩١٢م دخل جامعة أدنبره ، حيث تخصص في اللغات السامية : العربية ، والعبرية ، والآرامية ، وفي عام ١٩١٤م إلى ١٩١٨م كان جندياً في مدفعية الميدان الملكية وخاض الحرب في جبهتي فرنسا وإيطاليا ، وفي عام ١٩٢٢م حصل على درجة الماجستير من جامعة لندن ، تعيّن على أستاذ كرسي اللغة العربية في جامعة لندن عام ١٩٣٠م ، ثم في عام ١٩٣٧م أستاذاً للغة العربية في جامعة اكسفورد ، وفي عام ١٩٥٥م دعته جامعة هارفرد في أمريكا ليكون أستاذاً بها في كرسي اللغة العربية ، كان عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق ، والمجمع اللغوي في القاهرة .

يقول عنه د. بدوي : ((كانت شهرته فوق قيمته العلمية، طابعه في كل ما يكتب العموم والسطحية)) .

يزعم أن الحضارة الإسلامية ـــ التي يُسميها العربية ـــ يرجع الفضل في رُقيّها إلى النصارى العرب ، ومن أقواله في ذلك في كتابه دراسة في حضارة الإسلام : ((ليس يخفى أن نصارى سوريا والموصل والعراق كانوا قد بلغوا شأواً كبيراً وبعيداً من التمدُّن والرقيّ بسبب مركزهم الجغرافي واحتكامهم بالروم ، ومعرفتهم اللغات اليونانية=

ولا شك في أن الخلفيات الدينية المتمثلة في كره الإسلام والمسلمين الممتلئ به الجو العام في الغرب النصراني كانت — ولا تزال — مؤثرة على كثير من دراسات المستشرقين للإسلام وتعاليمه وحضارته [1] .

((إن العقيدة تكمن في هذا الجانب ، فالمستشرقون إذا درسوا قضية لا علاقة لها بالإسلام والمسلمين نجدهم ذوي منهج علمي وذوي التزام بالموضوعية والحيدة في الإطار الذي تسمح به القدرة البشرية ، أما حين الاقتراب من الدائرة الإسلامية عقيدةً أو تطبيقاً فإنّ مؤثرات مختلفة تتدافع لتنحرف بالمنهج الاستشراقي وتدفع به إلى دوائر اللامنهجية واللاموضوعية))[2] .

وقد أثبت كثير من العلماء الغربيين أنفسِهم — ولا سيما من المهتدين إلى الإسلام — تعصب المستشرقين وعداوتهم الشديدة للإسلام ، مما ينفي عنهم صفة الموضوعية والأمانة العلمية ، ويجردهم من أهلية البحث العلمي النزيه في مجال الدراسات الإسلامية [3] .

فهذا المفكر الغربي المهتدي محمد أسد أكد في كتابه : (الإسلام على مفترق الطرق) أن المستشرقين في الحقيقة لا يقومون بدراسة الإسلام بل بمحاكمته ، وليست نتيجة هذه المحاكمة سوى صورة مشوهة للإسلام وللأمور الإسلامية ، تواجهنا في جميع ما كتبه مستشرقو أوروبا ، وليس ذلك قاصراً على بلد دون آخر ، إنك تجده في إنجلترا ، وألمانيا، في روسيا ، وفرنسا ، وفي إيطاليا ، وهولندا ، وبكلمة واحدة : في كل صقع يتجه

=واللاتينية بينما كان العرب قبل الإسلام في أحط دركات الجهل)) ، كما أن له تصورات مسيئة للإسلام ومشاعره المقدسة والطعن في القرآن الكريم .

انظر : الاستشراق السياسي ، ص ٦٢ — ٦٣ ، مصطفى نصر المسلاتي ، موسوعة المستشرقين ، ص ١٧٤ — ١٧٥ ، د. عبد الرحمن بدوي ، المستشرقون ، ٢/١٢٩ — ١٣١ ، نجيب العقيقي .

[1]) وكذلك الحال بالاستشراق اليهودي . فهو أخبث وأمكر وأحقد على الأمة الإسلامية ودينها ، وعلى رأس مستشرقيهم : المستشرق اليهودي جولد زيهر (١٨٥٠ — ١٩٢١م) . والاستشراق الإلحادي كذلك فيه من الخبث والحقد على الدين الإسلامي والأمة الإسلامية الشيء الكبير ، وعلى رأسهم المستشرق الملحد الفرنسي غوستاف لوبون ، صاحب كتاب (حضارة العرب) .

[2]) الاستشراق ، أهدافه ووسائله ، ص ٨ ، د. محمد فتح الله الزيادي .

[3]) رؤية إسلامية للاستشراق ، ص ١٧٢ ، أحمد غراب .

المستشرقون فيه بأبصارهم نحو الإسلام [1] .

والمسلمون لا يطلبون من كل مستشرق أن يُغيِّر معتقده ، ويعتقد ما يعتقدون عندما يكتب عن الإسلام ، ولكن هناك أوليات بديهية يتطلبها المنهج العلمي السليم . فعندما يرفض المستشرقون وجهة نظر معينة لا بد أن يُبيِّنوا أولاً وجهة النظر هذه من خلال فهم أصحابها لها ، ثم لهم بعد ذلك أن يخالفوها ، فالمستشرقون يعلمون أن المسلمين يقوم دينهم على أساس الإيمان بالله وأنه واحد أحد لا شريك له، وأن محمداً رسول من عنده سبحانه، وأن القرآن وحي من الله أوحى به إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلّم، وغيرها من الأساسيات . فيجب عليهم أولاً إن كانوا يدّعون العلم النزيه والبحث المحايد أن يصوروا الإسلام من منظور أتباعه من المسلمين بكل أمانة وصدق، ثم لهم بعد ذلك أن يخالفوا المسلمين في معتقداهم وتصوراهم، حتى يكون القارئ لبحوثهم ودراساهم على علم بكلا الأمرين والاعتقادين ، أما أن يتكلموا عن الإسلام بادئ ذي بدء من خلال تصوراهم واعتقاداهم هم ، ويوهموا القارئ أن هذا هو التصور الصحيح الذي يجب عليه أن يتصوره عن الدين الإسلامي، فهذا افتراء، وتزوير، ولا يقره علم ولا خلق [2] .

فأغلب اتجاه الدراسات الاستشراقية للإسلام، وتعاليمه، وحضارته إلى التشكيك، والإنكار، والتخبط في التحليل، والتفسير الغريب، والتأويل الذاتي، واعتماد القوالب الجاهزة، واللجوء إلى شتى النظريات، وعرض المفاهيم بتوجيه إيديولوجي أو سياسي مبيت [3] .

هذا كله يجعل من الجزم بأن الدافع العلمي النزيه للدراسات الاستشراقية للإسلام وتعاليمه وحضارته ، دافع ثانوي ضعيف آحادي غير مؤثر في سير الدراسات الاستشراقية

---

[1]) الإسلام على مفترق الطرق ، ص ٥٢ ـــ ٥٤ ، محمد أسد ، ترجمة : عمر فروخ .

وكذلك في أمريكا ، فهي في زماننا هذا حاملة لواء التهجم على الإسلام والمسلمين ، ففيها أكبر المراكز الاستشراقية للطعن في الإسلام، ومنها أقسام الدراسات الإسلامية في جامعاتها خاصة في جامعتي برنستون ، وهارفارد اللتان حصلتا على إعانات مادية من بعض الأوساط العربية المسلمة مع الأسف الشديد . انظر : ص ١٧٣ ، أحمد غراب .

[2]) الإسلام والاستشراق، ص ٨٩، د. محمود حمدي زقزوق، من ضمن بحوث كتاب: الإسلام والمستشرقون، بعناية مجمع دار المصنفين في الهند .

[3]) منهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب ، ص ٦٣ ، محمد البشير مغلي .

العام جزماً صحيحاً ، ثمّ إن أغلب من يقوم بمثل هذه الدراسات العلمية النزيهة يعتنق الإسلام ويؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلّم نبياً ورسولاً .

أما إذا كان المقصود أن هناك بحوثاً علمية قوية مثل إخراج مخطوطات نادرة وتحقيقها ، وعمل فهرسات مفيدة، وتكوين معاجم ميسرة للبحث والتخريج ، فهذا لا يشك فيه أحد من المُطّلعين، ولكن القول بخلوها من الأغراض الدينية والسياسية الاستعمارية غير صحيح، وهو ضرب من المحال ، ولا يقوله مُطّلع على حقيقة أعمال أولئك القوم وأهدافهم .

منافذ الفكر الاستشراقي إلى العالم الإسلامي :

لقد استطاع المستشرقون بمعاونة الحكومات المحتلة ((الاستعمارية)) وعملائهم من أبناء الأمة الإسلامية أن يجدوا وسائل ومنافذ استطاعوا من خلالها أن ينقلوا إلى أبناء المسلمين أفكارهم المنحرفة وأطروحاتهم المشبوهة ، ومن هذه المنافذ :

١) التدريس في جامعات البلدان الإسلامية :

فقد استطاع بعض المستشرقين الوصول إلى عقول أبناء المسلمين عن طريق تدريسهم في جامعات بلدانهم الإسلامية ، بل إن بعض الجامعات في البلدان الإسلامية ما تشكلت نواتها إلاّ على جهود بعض المستشرقين الغربيين ، وهذا ما جعل عقول أبناء المسلمين سهلة المنال لأولئك المستشرقين الكفار يَعبثون بها كيفما يشاؤون ، ومما ساعدهم في التمكين من عبثهم بعقول كثير من أبناء المسلمين ، انبهار المحيط الإسلامي بشكل عام بما يملكه الغرب النصراني من تقدم تكنولوجي صناعي وحضاري يفوق إمكاناتهم الحاضرة والمستقبلية .

ومن أولئك المستشرقين ـ الكاثوليك ـ الذين تمكنوا من التدريس في جامعات البلدان الإسلامية ، أذكر ـ على سبيل المثال ـ في مصر: جويدي الأب[1]، وجويدي

---

[1]) اجنتيسو جويدي (١٨٤٤ ـ ١٩٣٥م) (جويدي الكبير) :

ولد في مدينة روما في ٣١ يوليو عام ١٨٤٤م من أسرة مشهورة في إيطاليا ، منهم العلماء، وأرباب المهن الحرة، ورجال في الكنيسة الكاثوليكية ، كان في وقته من أبرز علماء اللغات السامية في العالم الغربي أجمع ، وكان يتقن اللغة العربية إتقاناً تاماً ، وفي عام ١٨٦٩م زار مالطة ومصر وفلسطين ودمشق واستانبول ، كُلِّف بالتدريس في جامعة روما ، ثم في عام ١٨٨٥م عُيِّن أستاذاً ذا كرسي في الجامعة نفسها ، ودُعي في عامي ١٩٠٨ ـ ١٩٠٩م ليكون أستاذاً في الجامعة المصرية القديمة ، حيث ألقى دروساً في الأدب العربي ، وفقه اللغات العربية الجنوبية،=

الابن[1] ونلينو[2]، وهم إيطاليون ، والفرنسي كازانوفا[3]، وغيرهم ، وفي الجزائر: بلتيه[4]، وهوداس[5]،

=وكان من أبرز تلاميذه طه حسين ، كما أنه اهتم بنشر بعض كتب الأدب ، خاصة تلك الكتب الماجنة مثل كتاب (الأغاني) للأصبهاني . انظر: موسوعة المستشرقين، ص٢١٢، د. عبد الرحمن بدوي ، المستشرقون ، ١/٤٢٥ ، نجيب العقيقي .

[1]) ميكلنجلو بن اجنتيسو جويدي (١٨٨٦ ــ ١٩٤٠م) :

ولد في مدينة روما في ١٩ مارس عام ١٨٨٦م ، برز في التاريخ الديني ، أتقن العربية والقبطية ، في عام ١٩١٤م، استدعي للخدمة العسكرية في الجيش الإيطالي إبّان الحرب الأولى، وفي عام ١٩١٧م حصل على إجازة التأهيل للتدريس من جامعة روما في فقه اللغات السامية ، وفي ١٩١٩م كُلِّف بتدريس اللغة العربية ، والأدب العربي في جامعة روما ، وفي نفس الوقت قام بتدريس اللغة القبطية في الجامعة البابوية ، وصار أستاذ كرسي في جامعة روما عام ١٩٢٥م، ثم دعته الجامعة المصرية للتدريس فيها لمدة ثلاث سنوات من ١٩٢٦م إلى ١٩٢٩م ، كان من أصدقائه المقربين الدكتور طه حسين، اهتم ميكلنجلو جويدي بدراسة التيارات والآراء الشاذة والمنحرفة في الدين الإسلامي التي تدّعي نسبتها إلى الإسلام وإبرازها . انظر : موسوعة المستشرقين ، ص ٢١٨ ، د. عبد الرحمن بدوي ، المستشرقون ، ١/٤٤١ ، نجيب العقيقي .

[2]) كارلو ألفونسو نلّينو (١٨٧٢ ــ ١٩٣٨م) :

ولد في ١٦ فبراير عام ١٨٧٢م في مدينة تورينو ، بدأ بتعلم العربية قبل أن يدخل الجامعة وأتقنها في جامعة تورينو على يد المستشرق إيتالويتسي كان يميل كثيراً إلى دراسة الجغرافيا ، أخرج كتاب : قياس الجغرافيين العرب لخطوط الزوال ، وهو لم يبلغ الثامنة عشرة من عمره ، ثم اهتم بدراسة القبائل العربية قبل الإسلام ، واهتم كذلك بدراسة الفرق المنتسبة للإسلام كالقدرية والمعتزلة ، وألف في موضوع جمع القرآن وترتيب السور، استدعي إلى التدريس في الجامعة المصرية في عام ١٩٠٩م، وكان لتدريسه أكبر الأثر في تكوين كبار الأدباء في مصر ، أمثال طه حسين ، اهتم في الجزء الأخير من حياته منذ عام ١٩٣٧م بالمملكة العربية السعودية ورحل إليها ومكث في جدة زمناً ، وكذلك الطائف . انظر : موسوعة المستشرقين ، ص٥٨٣ ، د. عبدالرحمن بدوي ، المستشرقون ، ١/٤٣٢، نجيب العقيقي .

[3]) كازانوفا : مستشرق فرنسي توفي عام ١٩٢٦م، تعلم العربية وعلّمها في فرنسا . قدم مصر فانتدبته الجامعة المصرية أستاذاً لفقه اللغة العربية ، له مؤلفات كثيرة ، منها : محمد وانتهاء العالم في عقيدة الإسلام ، عام ١٩١٠م ، وعقيدة الفاطميين السرّية في مصر عام ١٩٢١م، وعلم الفلك في رسائل إخوان الصفا ، في عام ١٩١٥م . انظر : المستشرقون ، ١/٢١٩ ، نجيب العقيقي .

[4]) بلتيه : مستشرق فرنسي درّس في الجامعة الجزائرية في كلية الحقوق ، من كتبه : ترجَمَ من صحيح البخاري : الوصايا في عام ١٩٠٩م، وكتاب البيوع والسلم والخيار عام ١٩١٠م، وكتاب البيوع من موطأ الإمام مالك بن أنس عام ١٩١١م . المستشرقون ، ١/٢٠٦ ، نجيب العقيقي .

[5]) هوداس : مستشرق فرنسي ولد عام ١٨٤٠م، وتوفي عام ١٩١٦م، اهتم بقضايا المغرب الأقصى، ثم عني بتاريخ السودان ، وخلّف في تاريخ هاتين المنطقتين أعمالاً ، منها : تاريخ المغرب الحديث، وترجم كتاب تاريخ الفتّاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ، تأليف محمود كاتي . انظر : موسوعة المستشرقين ، ص ٦١٧ ، د. عبد الرحمن بدوي ، الاستشراق ، ص ٤٩ ، د. محمد الزيادي .

ورينه باسه[1]، وهناك قائمة طويلة جداً تجمع اختلاف توجهات المستشرقين النصارى من كاثوليك، وبروتستانت، ومستشرقين يهود، وملاحدة... عملوا في جامعاتنا الإسلامية أساتذة وقياديين في مؤسساتنا العلمية، وكان لهم أثر كبير في وضع أجواء ثقافية منحرفة، وتربية جيل جديد تشبع بتيار الثقافة الغربي، تمكّن من عقولهم وأذهانهم أطروحات أساتذتهم المستشرقين المشبوهة والماكرة، فنشروها هم بدورهم بين أوساط المسلمين عامة، وحسبنا الله ونعم الوكيل[2] .

يقول الأستاذ نذير حمدان : ((... ومهما قيل من ضعف الأثر الفكري والعقدي في شبان الجامعة بالنسبة إلى المراحل الثانوية فإن الالتزام بأفكار معينة، ومشبوهة، ومطروحة في أساليب مقنعة يلاحظ في أحيان كثيرة داخل الجامعة وخارجها .

والأستاذ الجامعي الذي اعتلى منبرها وهو معني بمهمة تشويهية للتراث، أو مهتم بتوهين القيم الفكرية الأصلية لا يصعب عليه النفوذ إلى ذهنية الشباب لأداء مهمته التي بعث أو استقدم من أجلها .

والمشكلة القائمة هي أن المستشرقين الذين يفترض فيهم أن يُقدِّموا معارفهم ودراساتهم الموضوعية ينحرفون عن الوجهة السليمة إلى تعليم الشبهات والافتراءات ضمن المعايير الأجنبية التي يكثر حولها النقاش والجدل .

ومهما اشتد تأثير المستشرقين الجامعيين أوخف فإن فئة من تلامذتهم تحرص على إكمال وجهتهم والمضي في خطتهم ...

---

[1]) رينه باسه : مستشرق فرنسي وُلد في مدينة لونيفيل عام ١٨٥٥م، وتوفي عام ١٩٢٤م ، أُجيز بالآداب من جامعة نانسي عام ١٨٧٨م، وقصد باريس ، وتخرج في مدرسة اللغات الشرقية ، أُسند إليه كرسي العربية في مدرسة الآداب العالمية بالجزائر عام ١٨٨٥م، ورأس مؤتمر المستشرقين في الجزائر عام ١٩٠٥م ، ولما تحوّلت تلك المدرسة إلى كلية عام ١٩٠٩م انتخب عميداً لها، من كتبه: الشعر العربي قبل الإسلام عام ١٨٨٠م، ورحلة علمية إلى تونس في جزأين عام ١٨٨٦م، وقصيدة البردة للبوصيري مع سيرة صاحبها عام ١٨٩٤م . انظر : المستشرقون ، ٢١٦/١ ، نجيب العقيقي .

[2]) الاستشراق أهدافه ووسائله » ص ٥١ ، د. محمد فتح الله الزيادي .

وانظر: في موضوع تدريسهم في جامعاتنا، إلى كتاب (مستشرقون) ص ٧٩ ـــ ١٣٥ ، نذير حمدان ، فهو مهم في هذا الموضوع .

وإذا نجت بلدان عربية من غزو المستشرقين الفكري بشكل مباشر وحيّ فإن تلامذتهم ومؤلفاتهم كفيلة أن تؤدي الدور المطلوب وتحقق الأغراض الاستشراقية وبأشكالها غير المباشرة))[1] .

ثم إن هؤلاء المستشرقين لم يُستقدموا إلى جامعاتنا في بلداننا الإسلامية لتدريس العلوم، والطب، والرياضيات، التي كان الغرب متفوقاً فيها ، وإنما كانوا يُدرِّسون علومنا، وماله صلة بعقيدتنا الإسلامية، وشريعتنا، ولغتنا العربية، وتاريخنا، ومسائل في الحقوق، والمرأة بأساليب استشراقية مغرضة[2]، مما يبين ــ وبوضوح ــ الأهداف المخطط لها مسبقاً باستقدام أولئك المستشرقين للمكر بالأمة الإسلامية متمثلاً بغزو عقول أبنائها بأفكار منحرفة وأطروحات مشبوهة ضد دينهم الإسلامي وتعاليمه وما يمت له بصلة من لغة وتاريخ حتى يكونوا لقمة سائغة للمنصّرين ، ويكون أولئك المستشرقون حجر عثرة في فهم الإسلام فهماً صحيحاً .

٢) من خلال التعليم العام ((وزارات المعارف والتربية والتعليم)) في البلدان الإسلامية :

فقد استطاع المستشرقون أن يَصِلوا بأفكارهم المنحرفة إلى عقول أبناء المسلمين منذ الصِغر في بعض البلدان الإسلامية وذلك بقوة المستعمر ((المستخرب))، ولكن بقدر مُعيّن، وكميات مدروسة، حتى لا يُثيروا عليهم حفيظة الآباء المسلمين.

وأنا لا أقصد بهذه المدارس، المدارس التنصيرية للبعثات النصرانية، وإنما أقصد المدارس الإسلامية التي وضعت في تصرفات بعض المستشرقين للعبث من خلالها بمناهج التربية والتعليم الموجهة لأبناء المسلمين من جميع الطبقات في كل المراحل السنية التي هي دون المرحلة الجامعية ، فهذه مصيبة عظمى أنزلها المستعمرون ((المستخربون)) على الأمة الإسلامية لتشويه الدين الإسلامي ، وتعاليمه في نفوس أبنائه (الجيل الجديد للأمة الإسلامية)، قادة المستقبل الإسلامي فكرياً وسياسياً واجتماعياً .

---

[1]) مستشرقون ، ص ١٢٧ ، نذير حمدان .

[2]) المرجع السابق ، ص ١٢٨ ، نذير حمدان .

يقول المستشرق ليوتي في تقريره إلى وزارة الخارجية الفرنسية إبّان احتلالها للمغرب: ((أما التعليم فعن طريقه يمكن أن يتمّ فيه العملُ الأكثر عمقاً والأشد أثراً في تطوّر الفكر المغربي الجديد، وإن في هذا الميدان لشغلاً كبيراً يلزم الاعتناء به جداً، فبالمدارس وحدها يمكننا أن نُهيئ النخبة المتأهلة للمشاركة معنا))[1] .

وها هي إيطاليا في وقت احتلالها لليبيا اهتمت اهتماماً بالغاً بوضع الخطط التعليمية والتربوية لأبناء المسلمين في ليبيا، وقد صدرت قرارات في هذا الشأن موقّعة باسم وزير المستعمرات (موسو ليني) ، ومن ضمن هذه القرارات : وجوب تأسيس مدرسة إسلامية عليا في طرابلس لدراسة العلوم الفقهية، والدينية الإسلامية، والمعارف اللازمة لإعداد معلمي المدارس الابتدائية في ليبيا ، ومنها أيضاً : وجوب إعلام وزير المعارف الإيطالي بجميع قرارات مجلس الأساتذة ، وسير الدراسة ، ومما جاء في هذه القرارات : ((ولكي نتمكن من تحويل المدرسة إلى أداة إيجابية فعّالة فلابد من ضرورة تكييفها بصورة تكون منسجمة مع الظروف الاقتصادية والاجتماعية للبلاد))[2] .

وقد تمكن الأثر السيىء للمستشرقين في نفوس أبناء المسلمين عن طريق مناهج الوزارات التعليمية والتربوية عندما أمسك زمامها في البلدان الإسلامية تلامذة أولئك المستشرقين من أبناء الوطن، فحاربوا عقيدتهم الإسلامية، وضيّعوا أبناءهم بسلاح أعدائهم الكفار، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم .

٣) عن طريق تأليف الكتب والموسوعات العلمية وإصدار المجلات :

فقد اهتم المستشرقون بمسألة التأليف، وإصدار المجلات الموجّهة للعالم الإسلامي اهتماماً بالغاً، وقد شغلت هذه المسألة أكبر نشاطات المستشرقين، حيث من خلال هذا الطريق قد بثوا

---

[1]) الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين ، ص ١٤٣ ، مصطفى نصر المسلاتي .

[2]) المرجع السابق ، ص ١٥٥ ، مصطفى نصر المسلاتي .

وفي مصر تسلم وزارة المعارف ـــ وهو الذي رسم سياسة التعليم فيها لتدريس أبناء المسلمين ـــ القس الانجليزي (دنلوب) ، وحين يكون قسيس نصراني على رأس السلطة في وزارة التربية والتعليم في بلد إسلامي كبير ، ومؤثر على غيره من البلدان الإسلامية، فما الذي يتوقع أن يكون في أمر التعليم وأمر تربية الناشئة المسلمين ؟! انظر : واقعنا المعاصر، ص٢١٧، الأستاذ: محمد قطب، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، ص ٦٩ ، د. عبد الستار فتح الله سعيد .

سمومهم وأطروحاتهم المشبوهة، وقد ساعدهم في ذلك أمور منها :

وجود زخم كبير من المخطوطات الإسلامية التي سُرقت من البلدان الإسلامية عن طريق الحكومات الغربية الاستعمارية ، فأتاح لهم هذا النهب وهذه السرقة للثروات العلمية والفكرية لعلماء المسلمين الأقدمين الاطلاع على تفصيل مسائل علمية وتحقيقها، ما لم يتح لعلماء المسلمين في تلك الأوقات للإطلاع عليه ، مما جعل لكتب المستشرقين الانتشار في البلدان الإسلامية على ما فيها من تزوير وتحريف وشبهات .

وأيضاً تقدم الطباعة عندهم؛ فيسر لهم هذا الإنتاج المتسارع في تأليف الكتب ونشرها في البلدان الإسلامية، والتي كانت خاضعة لقوة الاحتلال النصراني .

تدريس بعض المستشرقين في جامعات البلدان الإسلامية؛ مما جعل المقررات المشبوهة والمحرّفة واجبة الاقتناء للطالب المسلم في الجامعة ، ومفروض عليه قراءتها ومذاكرتها ، وكم من الطلبة المسلمين يستطيعون أن يدفعوا التأثير الحاصل من جرّاء حِفظ هذه الكتب المغلوطة والمشبوهة عن أنفسهم ؟! .

بل أصبحت كتب المستشرقين الماكرة والمشبوهة في بدايات تكوين الجامعات في البلاد الإسلامية كتباً معتمدة ومقررة رسمياً من إدارتها[1]، وكان يُخيّل إلى بعض أهل الفكر و أصحاب الشهادات من المسلمين أنها مما ينفرد في موضوعه، ويعد مصدراً علمياً له أهميته وقيمته، وعليه أكبر اعتماد المؤلفين في قسم الدراسات الإسلامية في بعض جامعاتنا الإسلامية فمثلاً (دائرة المعارف الإسلامية) التي ألّفها أمكر المستشرقين ــ وإن كان فيها لبعض المسلمين إسهام ضئيل ــ تعد ــ وللأسف ــ في بعض البلدان الإسلامية والدوائر التعليمية أكبر مصدر للمعلومات والحقائق الإسلامية، وأثمن ذخيرة لها ، وأساساً للمعلومات الإسلامية؛ لذلك تقوم بعض البلاد الإسلامية بترجمتها إلى لغاتها بنصها وفصّها[2] . والله المستعان .

كما أنهم استغلوا طريق الصحافة والإعلام في نشر أفكارهم الخبيثة ، فعن طريق المجلات

---

[1]) فمثلاً : كتاب (ر.ا. نكلسن) في موضوع تاريخ آداب العرب ، وكتاب الدكتور (فيليب حتي) عن تاريخ العرب والإسلام ، وكتاب (كارل بروكلمان) في تاريخ الآداب العربية ، وكتاب (جولد تسهير) في العقيدة والشريعة الإسلامية ، وكتابه دراسات إسلامية ، وكتاب (شاخت) في مصادر الفقه الإسلامي ، وكتاب (و.س اسمث) في الإسلام المعاصر واتجاهاته وحركاته ، وكتاب وجهة الإسلام ، وكتب (مونتجمري وات) في السيرة النبوية ؛ محمد في مكة ، ومحمد في المدينة ... .

[2]) مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقين ، ص ٣٢ ، لأبي الحسن علي الحسيني الندوي .

الخاصة بنشر بحوثهم عن الإسلام ، وما يتعلق به وببلدانه وشعوبه ، واستطاعوا أن يـصلوا إلى صحافتنا المحلية ـ بل إن أوّلها إصداراً كان بجهودهم ونشاطهم ـ فكتبوا العديد من المقالات المشبوهة وعرضوا أفكارهم الماكرة على القراء المسلمين باختلاف طبقاتهم ومستوياتهم الفكرية والتعليمية [١] .

[١]) الاستشراق والتربية ، ص ٥٤ ، د. هاني محمد يونس بركات .

المبحث الثاني ــ التغريب :

التغريب هو الدعامة الثانية ، والركن الثاني من ركني الغزو الفكري الموجه إلى الأمة الإسلامية .

التغريب ، انقلاب فكري ، وتربوي ، وتحول اجتماعي ، وخنوع نفسي لبعض المسلمين مخالف لما جاءت به الشريعة الإسلامية ، خطط له الاستشراق بأطروحاته المشبوهة ، وأعماله الماكرة ، وحماه الاستعمار (الاستخراب) الصليبي ، بنفوذه ، وسيطرته على الأراضي الإسلامية .

فالتغريب ، نقل للحضارة الغربية بسلوكيّاتها وأفكارها إلى العالم الإسلامي لتنافس الحضارة الإسلامية ، عقيدةً ، وشريعةً ، وسلوكاً في قلوب المسلمين وعقولهم، بل لكي تحلّ محلّها عند بعضهم ، وذلك بأيدٍ إسلامية ــ أو كان بعضها إسلامياً ــ متربية على المنهج الغربي النصراني المنحل والمخالف للدين الإسلامي .

فالغرب النصراني استخدم بعض أبناء المسلمين من الذين تلوّثت عقولهم وأفئدتهم بالفكر والمنهج الغربي لجر أبناء دينهم ووطنهم من المسلمين إلى ما يمليه عليه الغرب النصراني، وتربى عليه عندهم من فكر وسلوك ومنهج حياة مخالف لما جاء به الإسلام ، وقرره القرآن الكريم والسنة المطهرة وأجمع عليه سلف الأمة الكرام .

((إن مفهوم مصطلح التغريب في عشرات من تعاريفه ، إنما يعني : خلق عقلية جديدة تعتمد على تصورات الفكر الغربي ومقاييسه؛ لتحاكم الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي من خلالها بهدف سيادة الحضارة الغربية وتسييدها على حضارات الأمم، ولا سيما الحضارة الإسلامية))[1] .

فعمليات التغريب هذه هي أقسى ما واجهه الفكر الإسلامي في عصوره المختلفة ؛ لأنه جاء في غيبة إرادته الحرة، وفي ظل إرادة الاستعمار (الاستخراب) المسيطرة التي عملت منذ أن بدأت سيطرتها على العالم الإسلامي على غزو العقل الإسلامي والنفس الإسلامية [2] .

وقد ساعد على ظهور التغريب بين المسلمين أسباب من أبرزها سببان ، وربما غيرها من

---

[1]) التغريب أخطر التحديات في وجه الإسلام ، ص ١٠ ، أنور الجندي .

[2]) شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي ، ص ٣ ، أنور الجندي .

الأسباب يدخل ضمناً فيها :

السبب الأول : ظهور التخلف العقدي ، والذي ترتب عليه التخلف العلمي ، والحضاري ، والاقتصادي ، والسياسي ، والحربي في حياة الأمة الإسلامية في قرونها المتأخرة [1].

لقد وصلت أُمتنا الإسلامية إلى أعلى المراتب الحضارية من علم، وصلاح، ورقي، وتقدم، ثم لمّا انحرفت عن الطريق المستقيم الذي تعبدنا الله بسلوكه، وغيّرت المنهج القويم الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلّم ، واتبعت الأهواء وحكّمت العقول ، وقدّمتها على نصوص الوحي ، فجهلت أمور عقيدتها وقضايا شريعتها، رمى بها ذلك إلى أحط دركات التخلف والرجعية بين الأمم .

لقد قامت على يد الأمة الإسلامية حركة حضارية ضخمة ، اعترف بفضلها كثير من الغربيين النصارى على النهضة الأوروبية ، وليس هذا مجال حديث مفصل عن تلك الحضارة الإسلامية ، وشمولها كل جوانب الحياة : السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والعلمية، والفكرية، والفنية، والمادية، وعنايتها بكل ألوان النشاط البشري، فمجال ذلك بحوث متخصصة في تلك المسألة .

لقد كانت الحضارة الإسلامية حضارة روحية ، ومادية في الوقت ذاته ، حضارة ملتزمة بما أنزل الله، تمارس نشاطها الإنساني في الاتجاهات كافة دون أن تحتاج ـ لتحقيق ذلك ـ أن تكفر بالله، ولا أن تنبذ أخلاقها وتقاليدها، ولا تُحوّل جزءاً من حياتها إلى آلية رتيبة، وجزءاً آخر إلى مجون حيواني صاخب خليع ، كما تصنع الجاهلية المعاصرة بحجة التحضر والتقدم والرُّقي [2] ، كانت عزيزة بإسلامها ولا تبتغي العزة في غيره ،كما تمثل هذا المعنى في قول الفاروق عمر ـ رضي الله عنه ـ : ((أعزنا الله بالإسلام وإذ ابتغينا العزة

---

[1]) انظر في تفصيل هذا السبب وبيان كيفية ظهوره ، إلى : واقعنا المعاصر ، ص ١٦٥ ـ ١٨٦ ، للأستاذ محمد قطب، كما أن في بيان هذا السبب تكوّنت رسالة جامعية مستقلة بقلم الدكتور: علي بن بخيت الزهراني، أسماها : الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ، وآثارها في حياة الأمة . من قسم العقيدة ، جامعة أم القرى .

[2]) رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر ، ص ١٧٣ ، الأستاذ : محمد قطب .

في غيره أذلنا الله))[١]، كانت مستعلية بإيمانها مصداقاً لقوله تعالى ﴿ولاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾ [٢] .

ومن هذه القمة الشامخة التي وصلت إليها أمة الإسلام في أوج حضارتها وازدهارها، بدأ التحول والانحراف يظهر في الأمة رويداً رويداً، حتى وصلت في القرون الأخيرة إلى الحضيض[٣]، ((مسافة هائلة تبعث على الذهول، كيف تأتّى للأمة التي ارتفعت إلى تلك القمم السامقة التي لم تسبقها إليها أمة في التاريخ، ولا أدركتها بعدها أمة في التاريخ، أن تتدنى إلى هذا الدرك من الضياع، والذل، والهوان، والهبوط المسف الذي، وصلت إليه اليوم))[٤]، ولكنّها سنة الله، فإذا اتبع الناس أهواءهم، وحكّموا عقولهم ، وغيّروا ما بأنفسهم، غير الله ما بهم، فمِن عزٍ إلى ذُلٍ ومِن عِلمٍ إلى جَهلٍ، ومِن تَقدّمٍ إلى تَأخُّرٍ، وما كان التخلف والانحطاط في الأمة إلاّ بسبب ما وقعت فيه من انحرافات كبيرة، من أخطرها ما كان في قضايا العقيدة، ومن ذلك إهمال الأمة لمعاني توحيد الألوهية مما ترتب عليه شيوع الشرك وانتشاره في كثير من بلاد الإسلام، والانحراف في مفهوم القضاء والقدر ففُهم أن معناه الاستسلام للواقع، حيث هو نتيجة تقدير الله السابق وقضائه النافذ، فلا يجوز تغييره، فأدى بهم هذا الفهم إلى نتائج سيئة، فترك الجد في العمل، وتركت محاولات تغيير الواقع السيىء، وكان السكوت عن المنكر بحجة أن هذا قضاء الله وقدره، وعلى أثر ذلك ظهرت البطالة وانتشر الفساد ، وقويت الصوفية فروّجت لمفاهيم مغلوطة، ومنها أن الأخذ بالأسباب للوصول إلى نتائجها ينافي التوكل على الله، وساعد هذا الفهم الخاطئ على مزيد من الانحطاط والتخلف الذي تعاني منه الأمة بسبب تعطيل العمل، وغيرها من الانحرافات في أمور العقيدة .

ومن الانحرافات أيضاً في المجالات العلمية : إبعاد العلوم الدنيوية، من طب، وفلك وصناعة، وتجارة، ونحوها من المعاهد العلمية بعد أن كانت تُدرَّس إلى جانب العلوم

---

[١]) البداية والنهاية « ٦١/٧ » ، للحافظ ابن كثير .

[٢]) سورة آل عمران ، الآية ١٣٩ .

[٣]) الاتجاه العقلاني لدى المفكرين الإسلاميين المعاصرين « عرض ونقد » ١٢٣/١ ، د. سعيد بن عيضة الزهراني .

[٤]) واقعنا المعاصر ، ص ١١٣ ، الأستاذ : محمد قطب .

الشرعية ...، وغيرها من الانحرافات في مجالات الحياة المختلفة [١] .

كان العالم الإسلامي في تلك الأوقات من شرقه إلى غربه مصاباً بالجرب العلمي، وشبه شلل فكري، قد أخذه الإعياء والفتور، واستولى عليه النعاس، فترى هذا الخمود عاماً شاملاً للعلوم الدينية، والفنون الأدبية، والمعاني الشعرية، والإنشاء، والتاريخ، ومناهج التعليم. فالمسلمون ـــ وللأسف ـــ لم يُضيّعوا ساعات وأياماً، بل ضيعوا أحقاباً وأجيالاً، انتهزت فيها الشعوب الأوروبية النصرانية كل دقيقة وثانية، وسارت سيراً حثيثاً في كل ميدان من ميادين الحياة، وقطعت في أعوام مسافة قرون [٢] .

السبب الثاني : الانبهار بحضارة الغرب، مما أدى إلى الأخذ عنها بلا تمييز :

وهذا الانبهار بحضارة الغرب النصراني حدث للمسلمين كردة فعل بسبب ما وجدوه من تقدم غربي نصراني كبير علمياً وحضارياً، وهم متخلفون عنهم في ذلك مع وجود جهل عام بين المسلمين في مسلمات أمور العقيدة الإسلامية؛ مما جعل هذا الانبهار يتقدم أثره إلى أن يصير هزيمة نفسية وإعجاباً أعمى بكل ما عند الغرب النصراني من أمور. حتى لقد دعى أحد أبناء المسلمين ، وهو الدكتور طه حسين ، إلى تناول الحضارة الغربية بقضها وقضيضها، حلوها ومرها[٣]، وذهب آخر، وهو الشيخ الأزهري (الفرنسي) رفاعة رافع الطهطاوي، إلى أنه لا بد أن تتوثّق العلاقات بين المسلمين وبين الدول الغربية

---

[١]) الاتجاه العقلاني لدى المفكرين الإسلاميين المعاصرين ، ١/١٢٥ ـــ ١٢٦ ، د. سعيد بن عيضة الزهراني ، وراجع كتاب (الانحرافات العقدية والعلمية) د. علي بن بخيت الزهراني ففيه الموضوع بتوسع .

ومن القصص المحزنة في الانحرافات العلمية : ما حدث في المدينة المنورة أن الشيخ حسن بن حسين الأسكوبي أقام على سطح منزله مرصداً فلكياً ، جلبه من أوروبا فثار عليه علماء المدينة ، ونظم أحدهم (عبد الجليل برادة) رجزاً فيه ، أوله :

ما قولكم في شيخنا الأسكوبي ... يبيت طول الليل في الراقوب

يرقب منه الفلك الدّوارا ... مشابهاً في فعله النصارى

وهاجموا بيته فأنزلوا ما على سطحه من مناظير وإصطرلابات وزوايا ، فاعتزل الناس ومرض حتى توفي عام ١٣٠٣م . انظر : الانحرافات العقدية والعلمية ، ص ٧٨٦ ، د.الزهراني .

[٢]) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟!! » ص ١٦٥ ، ١٦٧ ، أبو الحسن علي الحسيني الندوي .

[٣]) مستقبل الثقافة في مصر ، ص ٤٦ ، الدكتور طه حسين .

النصرانية وعدّ ذلك شرطاً لتحقيق التمدن المنشود [1] .

وهذه المناداة بالتقليد والتبعية حولت شعور كثير من المسلمين من العداوة إلى الشعور بالمحبة، والصداقة، والارتياح، والرضا، بل إلى ما هو أكثر من ذلك بالانبهار بالغرب النصراني والشعور بأن أبناءه أصبحوا هم السادة والقادة والروّاد ، وتلك هي الطامة الحقيقية، فماذا يريد العدو من عدوه أكثر من أن يشعر هو بمحض إرادته وبكامل قواه العقلية بعلو قدر عدوه، وعظم شأنه، وكونه الأجدر بالريادة، والأحق بالسيادة[2] ؟!

ولا شك في أنّ هذا الانبهار والإعجاب بحضارة الغرب النصراني ، الذي يطول الحديث عنه ، لَيدل دلالة واضحة على الجهل بالدين ، الذي جعل الله العزة والرفعة لأهله كما في قوله تعالى : ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[3] . وقد أمر الله عز وجل ببذل الأسباب للوصول إلى الحياة الكريمة ، كما أمر بإعداد القوة لتبقى الرفعة والهيبة لأهل هذا الدين ، وتكون الذلة والهوان لمن حاد عنه أو عاداه ، قال تعالى : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[4] .

وقد كان هذا الانبهار بالغرب وحضارته بين عموم المسلمين سبباً في تجرؤ أصحاب المنهج التغريبي بإبراز ما عندهم من آراء وأفكار تدعو إلى تغيير المجتمع المسلم بالاقتداء بالغرب النصراني وحضارته الفكرية والمادية، وأن يتجاهلوا الإسلام بالكلية في أطروحاتهم وآرائهم [5] .

وقد كان للغرب النصراني أهداف من عملية التغريب هذه ، وتسخير فئة من

---

[1]) جذور الانحراف في الفكر الإسلامي المعاصر ، ص ١٤ ، جمال سلطان .

وطلب الخضوع للغرب النصراني انتشر بين كثير من أبناء المسلمين الذين درسوا في جامعات الغرب النصراني ومعاهده في القرن العشرين، حتى لا نستطيع أن تستثني دولة إسلامية نجت من هذه المطالبات الماكرة ، وهذه المناداة والمطالبات أوقعت علماء الأمة الصادقين ورجالها المخلصين في ضيق وحرج مع حكوماتهم وبعض أبناء شعوبهم المستغفلين .

[2]) المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية ، ص ٦ ، عبد الله بن حمد الشبانة .

[3]) سورة آل عمران ، الآية ١٣٩ .

[4]) سورة الأنفال ، الآية ٦٠ .

[5]) الاتجاه العقلاني لدى المفكرين الإسلاميين المعاصرين ، ١٣٥/١ ، ١٣٩ ، د. سعيد بن عيضة الزهراني .

الضّآلين أو المُضلِّين من أبناء المسلمين للهجوم على عقيدة أتباع دينهم الإسلامي وأبناء وطنهم من المسلمين وأفكارهم ومنهجهم بسلاح عدوهم الغربي النصراني ، وهذه الأهداف هي :

١)حراسة مصالح الدول الغربية النصرانية المستعمِرة ((المستخربة)) ، ويكمن ذلك في تقريب الهوة التي تفصل بينها وبين المسلمين ، نتيجة لاختلاف القيم ، ونتيجة للمرارة التي يحسها المسلم إزاء المحتلين لبلاده ممن يفرض عليه دينه جهادهم .

٢)إضعاف الرابطة الدينية التي تجمع المسلمين ، والعمل على تفريق جماعتهم ، والتي تلتقي على وحدة القيم الفكرية والثقافية [1] .

٣)التمكين للعمليات التنصيرية في بلاد المسلمين ، وفتح المجالات لها بين أبناء الأمة الإسلامية .

ولتحقيق هذه الأهداف ، فقد نشأ عند مخططي الاستعمار من المستشرقين والمنصّرين، وساسة الغرب النصراني ، قاعدة تدعو إلى الاعتماد على الصداقة من أبناء المسلمين بدلاً بالاعتماد على الجيوش في أغلب الحالات ، وإيصال أصدقائهم هؤلاء — أو بالأحرى التابعين لهم المنفّذين لأوامرهم — إلى مراكز قيادية في بلدانهم الإسلامية، وتمرير مشاريع إصلاحية حضارية عمرانية عن طريقهم؛ لإقناع عامة الشعب من المسلمين بهم وتحسين صورتهم أمامهم، مع استبعاد أبناء هذا الشعب من الغيورين على دينهم الإسلامي وأمتهم، المعارضين لهذا الاحتلال الغربي النصراني ، فوضعت أمامهم العراقيل وصدّ الناس عنهم بمختلف السبل ، مع تسلط هذه الحكومات الغربية النصرانية على برامج التعليم وأجهزة الإعلام والثقافة إما مباشرةً أو عن طريق عملائهم من أبناء المسلمين ، وتوجيه هذه البرامج للمناداة بتمجيد الحضارة الغربية ، ونقل أفكارها وسلوكيّاتها إلى أبناء المسلمين مع تفسير الإسلام وشرائعه تفسيراً جديداً ، يخدم أهداف هذا المستعمِر الغربي النصراني في بلاد المسلمين [2] .

---

[1]) الإسلام والحضارة الغربية ، ص ٤٥ ، د. محمد محمد حسين .

[2]) أزمة العصر ، ص ١٧٥ ، ١٧٦ ، د. محمد محمد حسين .

والمشكلة العظيمة التي تواجه علماء الشريعة الحقيقيين والغيورين في هذا العصر هي قيام بعض رجالات الحكومات في البلدان الإسلامية من الذين تربوا في الغرب النصراني أو تسلط عليهم الغرب النصراني بإبراز رجال من طينتهم، وعلى نفس منهجهم، وتربيتهم، ممَّن يتسمّون بمشائخ أو مفكرين إسلاميين يقومون بتفسير الإسلام وشرائعه على وفق هواهم المنحرف تفسيراً لم يكن معروفاً من قبل عند المسلمين .

وفي هذه التفسيرات الجديدة الخطر على الإسلام والمسلمين من وجهين :

الأول : أنّ فيه إفساداً للإسلام يُشوّشُ قيمه ومفاهيمه الأصلية بإدخال الزيف على الصحيح ، ويُثبِّت الغريب الدخيل ويؤكده ، فبعد أن كان الناس يعرفون أن هذه التفسيرات ليست من الإسلام ، وهي أمور غُلبوا على أمرهم فيها ، أصبحوا يرونها أنها هي الإسلام ، وإذا جاءهم من يَرُدّهم إلى الإسلام ومعانيه ومفاهيمه الصحيحة أنكروا عليه ما يقول ، واتهموه بالجمود والتمسك بظاهر النصوص دون روحها .

الثاني : أنّها تُؤدي إلى اختلاف المسلمين وتفرقهم؛ لأنه من يقوم بها إمّا عنده بعض العلم الشرعي ، أو علماني مستغرب بالكامل، ويقوم بها على حسب ما يُملى عليه ، أو على حسب مصلحته القومية والوطنية ، أو يعدها تفسيرات مرحلية تتغير حسب المصلحة وما يستجد من أمور ، ومن أخطرها أن بعض هذه التفسيرات لمعاني الإسلام تكون خاضعة في بعض المجتمعات الإسلامية لمواريث تاريخية سابقة على الإسلام ، والتي يحرص المشرفون على التغريب على إحيائها وخلق نوع من العصبية لها[1] .

وقد كان يلزم المستعمر الغربي النصراني لتنفيذ هذه الخطة الخبيثة ، ولهذا المكر الكبار،

=وهذا معلوم ومقروء في تاريخ العالم الإسلامي منذ بدأ الغرب النصراني يعمل على تطبيق هذه القاعدة بين المسلمين ، ومن ذلك في فترة الحملة الفرنسية البونابرتية على مصر وسوريا في عام ١٧٩٨م، وتجلى أمر هذا المكر أكثر بعد الحرب العالمية الثانية ١٩٤٨م، وفي فترة الانسحابات العسكرية الغربية من أراضي المسلمين .

ولا يزال هذا المكر يُطبق على المسلمين إلى الآن ، ونحن في بدايات القرن الحادي والعشرين ، ولكن بحنكة أعلى ومقدرة فائقة ؛ وذلك بسبب تراكم خبرات السنين في عقل الغرب النصراني ، وعملائهم من أبناء المسلمين .

وينطبق على مكرهم وظلمهم هذا قول الناظم (حافظ إبراهيم) :

لقد كان هذا الظلم فوضى فهذبت حواشيه حتى بات ظلماً منظماً

[1]) أزمة العصر ، ص ١٧٧ ، ١٧٨ ، د. محمد محمود حسين .

وسائل ، من أخطرها :

١) تربية جيل جديد من أبناء المسلمين في محاضن الغـرب النـصراني ، في معاهـده وجامعاته ، يختارون له ما يشاؤون ، ويُخرِجونه على ما يريدون مـن الناحيـة الفكرية والثقافية ، دينية كانت ، أو سياسية ، أو اجتماعية ، أو أدبية .

٢) تحريك العنصر النصراني في البلدان الإسلامية (الأقلية النـصرانية)، وإبـرازه في صورة الوطني، والقومي، والغيّور، الصادق المصلح، والذي يعمل على رقي وطنه وتقدّمه، لا فرق عنده بين المسلمين والنصارى الكافرين، والعمل على إقناع عامة الشعب المسلم به وبدوره الحضاري والفكري للمصلحة القومية والوطنية .

فأما عن الوسيلة الأولى : تربية جيل جديد من أبناء المسلمين في محاضـن الغـرب النصراني، فلا أحد يُنكر فائدة الدراسة على يد أصحاب الصناعات والتكنولوجيا الحديثة والمتقدمة، والتعلم مما عندهم في فن الصنعة، وفي هذا التقدم المنشود والرُّقي المأمول لتلك الأمة التي بعثت بأبنائها إلى أولئك القوم المتقدمين في تلك العلوم الحديثة، وهذا ما حدث، مثلاً لليابان (الوثني) عند ابتعاث أبنائه إلى الغرب النصراني لدراسة تلك العلوم الحديثـة. ولكن للأسف عكس ذلك ما حدث لأبناء الأمة الإسلامية؛ وذلك بسبب التخطيط الماكر للغرب النصراني المستعمر، فجاءت هذه البعثات لأبناء الأمة الإسلامية بنتائج خيّبت آمال الشعب المسلم البريء، بل ضربته في أعز ما يملك ، وهو عقيدته وتـصوراته الإسـلامية الصافية ، فقد أُبتعث أبناؤه إلى بلاد الغرب النصراني ، ليس لدراسة علـوم التكنولوجيـا والصناعات الحديثة ، بل لدراسة علوم فكرية، وفلسفية، وتاريخية، ولغوية، مُخطط لها من قبل لزرع البلبلة والتشكيك في نُفوس أولئك الطلبة المبتعثين ، ومن ثم هم بدورهم ينقلون ما تعلّموه من انحرافات فكرية وشذوذ سلوكي في دراساتهم تلـك إلى عامـة شـعوبهم المسلمة، وما ذلك إلاّ لإضعاف الإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حيـاة في عقـول تلـك الشعوب المسلمة المغلوبة على أمرها وقلوبهم، وهذا ما حدث تماماً .

فهذه البعثات التغريبية تعمل على ((محاولة صنع (دائرة فكر) تهدم بناء المسلمين وتنقض فكرهم ، وتشيع فيهم الشبهات والمثالب، ثم لا تدفعهم إلى أي جانب من جوانب البنـاء

أو النهضة))[1] .

فهؤلاء الطلاب المبتعثون يزدادون جهلاً بدينهم وقيمهم ومثلهم الإسلامية ، كما أنه في المقابل يزدادون تعلقاً بقيم الغرب النصراني ومُثله، ويتطبعون بطباع غير إسلامية، ثم يصير التطبع مع الزمن طبعاً، فينسلخ الطالب ـ من حيث يشعر أو لا يشعر ـ من كل ما له علاقة بالإسلام حتى التقاليد في الملبس، والمأكل، والمشرب، وطريقة التعامل، وبهذه الطريقة تنسحب كتل شعبية إسلامية إلى الغرب النصراني .

ولقد بدأ هذا السبيل مبكراً، ربما ليسارعوا إلى تخريج الأساتذة الذين يجري (تفريخ) مبادئهم بعد ذلك في بلادهم بغير حاجة إلى ابتعاث الجدد ، وبغير حاجة إلى جهد غير وطني ، وبهذا يكون قد قبلت التأثيرات الغربية النصرانية في البلدان الإسلامية ، إلى درجة تجعل من الصعب التحقق من أن شخصاً قد ذهب أو لم يذهب إلى أوروبا أصلاً ، فقد أصبح بعض المسلمين متغربين بدون أن يتكلفوا عبء الذهاب إلى أوروبا[2] .

ثم لا ننس أن انقطاع الصلة بين المبعوث وبلده يساعد كثيراً على التحول من الولاء لبلده، ودينه، وأمته ، إلى ولاء للمجتمع الجديد الغربي النصراني[3] .

قد كان للدول الكاثوليكية اليد الطولى في التأثير على المسلمين عن طريق هذه البعثات، بل هي التي علقت الجرس ـ كما يُقال ـ في هذه المسألة الخطيرة، والتي جنت من ورائها الأمة الإسلامية آثاراً نكدة ضد عقيدتها، وشريعتها، وآدابها، وتاريخها بفعل عودة أبنائها إليها، وأخذ زمام التغيير الماكر من أيدي أساتذتهم الغربيين النصارى الموجه ضد أمتهم الإسلامية وشعوبهم المسلمة التي وثقت بهم في بادئ الأمر، ورجت منهم خيراً.

فهذه مصر ـ مثلاً ـ بعثت بأبنائها إلى محاضن عدوتها الكاثوليكية فرنسا ـ أو هكذا يظهر لنا أنها عدوتها. فقد عبث الفرنسيون بمصر أيّما عبث، وأتوا بفظائع مستنكرة، وولغوا في دماء الآمنين من المسلمين في مصر ـ فكيف تعمد حكومة مصر بعد أن تخلصت ديارها من الاحتلال الفرنسي، إلى أن ترسل أبناءها إلى فرنسا الغازية؟! ، وكانت

---

[1]) شبهات التغريب ، ص ١٥ ، أنور الجندي .

[2]) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ـ ص ٦٤ ـ ٦٥ ، د. علي محمد جديشه ، ومحمد شريف الزيبق .

[3]) الابتعاث ومخاطره ـ ص ٢٥ ، محمد الصباغ .

أول بعثة في عام ١٨٢٦م ، ثم تلتها بعثات أخرجت للأمة الإسلامية أُناساً حاربوا الدين الإسلامي وتمسك المسلمين به باسم التقدم والرقي والحضارة فغيروا مفاهيم، ووضعوا مفاهيم، وبدلوا، وحرفوا تحت رعاية ذلك النصراني الماكر .

فكان أول وزير لوزارة المعارف في مصر ، هو أحد أفراد بعثة ١٨٢٦م ، وهو مصطفى مختار المولود سنة ١٨٠٢م ، والمتوفى سنة ١٨٣٩م ، وقد عاد إلى بلاده سنة ١٨٣٢م ، أي رحل إلى فرنسا وهو ابن أربع وعشرين سنة ، وأقام هناك ست سنوات وهي الفترة التي يتم فيها تكوين شخصية المرء وثقافته ، وكان في سن هي ذروة شُعلة الشباب .

وقد كان المجلس الذي أشرف على التعليم أيام محمد علي من الغربيين النصارى، والأرمن، ومن المصريين الذين أتموا دراساتهم في فرنسا .[1]

فلنتصور ، بعد هذا كيف يكون تعليم أبناء المسلمين في بلادهم الإسلامية من البعد عن الخط الإسلامي عقيدة وشريعة ومنهاجاً والقرب من الخط الغربي النصراني .

ومن هؤلاء الذين خلفتهم هذه البعثات المفسدة ، والتي أثرت في عقول أبناء المسلمين وقلوبهم بعد عودتها إلى ديارها الإسلامية : رفاعة رافع الطهطاوي ، وقاسم أمين ، وطه حسين ، وغيرهم ، ومن جاء بعدهم يتتبع آثارهم، بل إنّ في قلوب بعضهم حقداً أسود على الإسلام ، يتحدّثون عن المسلمين في شماتة ظاهرة لا حياء فيها ، ويتحدثون عن الإسلام كأنه العدو الأكبر الذي لا بد من إزالته من الأرض .

وكذلك طبقت فرنسا الكاثوليكية نفس الخطط التعليمية من بعثات ماكرة على دول الشمال الأفريقي: المغرب وتونس والجزائر منذ عام ١٨٧١م ،[2] وكذلك باقي الدول الأفريقية ، فكان أول ما عملته هذه البعثات بعد رجوعها أن حاربت اللغة العربية، ورفضت أن تكون لغة رسمية في البلاد ، ونادت بأن تحل محلّها اللغة الفرنسية فضلاً عن المطالبة بإبعاد الشريعة الإسلامية عن التطبيق في الحياة اليومية[3]، وكذلك ما عملته الدول

---

[1]) الابتعاث ومخاطره ، ص ٣٠ ـــ ٣٢ ، محمد الصباغ .

[2]) الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين ، ص ١٢٣ ، مصطفى نصر المسلاتي .

[3]) تشاد والإسلام ، ومعركة التحديات ، ص ١١٠ ـ ١١٥ ، آدم كردي شمس .

الإيطالية عندما احتلت ليبيا من إرسال بعثات إلى روما [١] .

الوسيلة الثانية : تحريك العنصر النصراني، المشترك في الوطنية، في البلدان الإسلامية[٢] :

كان هؤلاء النصارى ، وفي مقدمتهم الموارنة ، أول من فتح صدورهم للحضارة الغربية؛ وذلك بسبب طبيعة دينهم النصرانية ، وعلاقتهم بنصارى الغرب الكاثوليك ، كما أن بابوات روما تعتني بهم عناية خاصة . وبرز هذا الاهتمام بشكل أكبر في عهد بابا روما غريغوريوس (جريجوري) الثالث عشر (١٣ آيار ١٥٧٢ــ ١٠ نيسان ١٥٨٥م)، الذي أسس في روما أوّل مركز علمي ديني للشرقيين ، المدرسة المارونية الشهيرة عام ١٥٨٤م ، بإدارة الرهبنة اليسوعية ، وكان لتأسيس هذه المدرسة أثر بعيد في تكوين شخصية النصراني في الشرق الإسلامي فكرياً [٣] .

وكانوا يشجعون الاتجاهات العلمانية التحررية ، ويدعون إلى ما أسموه بالفكر الحر ، ولم يتعرضوا مباشرة إلى نقد أحكام الشريعة الإسلامية[٤]،ابتداءً حتى يحافظوا على مكانتهم الوطنية والقومية بين عامة المسلمين .

وقد كان هناك عمل مشترك بين أصحاب اللوثات التغريبية من أبناء المسلمين وبين النصارى من أهل وطنهم وقوميتهم في رعاية برامج وأهداف لإدخال التبعية للغرب النصارى في بلاد المسلمين .

كما كان لجرأة النصارى العرب ــ الوطنيين ــ في المناداة بالتبعية للغرب النصارى الدور الأساس في تسميتهم بمؤسسي النهضة الفكرية العربية ، خاصة نصارى لبنان من

---

[١]) الاستشراق السياسي ، ص ١٤٤ ــ ١٤٧ ، مصطفى نصر المسلاتي .

وما زالت هذه البعثات تؤدي دورها في إفساد المجتمعات الإسلامية، واستشرى فسادها وعظم أثرها على الأمة الإسلامية عندما تساعدت الدول الغربية النصرانية بقسميها الكاثوليك والبروتستانت في ضرب أصول الأمة الإسلامية عن طريق أبنائها حتى ونحن في بدايات القرن الحادي والعشرين ، الذي يدّعون فيه وصول الحوار بين الأديان إلى قمته ، والعلمانية إلى نضوجها .

[٢]) انظر في تفصيل هذه الوسيلة إلى رسالة الدكتوراه للباحث الأخ حافظ بن موسى الحكمي بعنوان ((دور الأقليات غير الإسلامية في انحراف الفكر العربي))

[٣]) دور المسيحيين الثقافي في العالم العربي ، ص ٥ ، الأب سمير خليل سمير اليسوعي .

[٤]) الإسلام والحضارة الغربية ، ص ٥٥ ، د. محمد محمد حسين .

موارنة وغيرهم [1] .

في مصر مثلاً ، كان قوام الدعوة إلى الأخذ بأساليب الحضارة الغربية عدد من أصحاب الثقافة الأوروبية ، بعضهم من الشاميين النصارى الذين استقرّوا في مصر ، وبعضهم من المصريين الذين تلقوا دراستهم في أوروبا، أو في المدارس الأوروبية العلمانية، أومدارس الإرساليات الدينية التي كان عددها في مصر في ازدياد مطرد[2] .

وقد كانت حلب الشام في مطلع القرن السابع عشر مركزاً لانطلاقة أولئك النصارى الكاثوليك في تأثيرهم على العالم الإسلامي لوجود مجموعة كبيرة من المرسلين الكاثوليك الغربيين ، فرنسيسكان ، وكبوشيون ، ويسوعيون[3] .

ومن هؤلاء المطران الماروني جرمانس فرحات (١٦٧٠ ــ ١٧٣٢م) ، والذي وصم بأنه من الذين مهدوا الطريق للنهضة العربية في القرن التاسع عشر [4] .

وبعض النصارى اللبنانيّين الذين هاجروا إلى مصر، فأنشأوا فيها الصحافة العربية في القاهرة ، والاسكندرية ، قبل أن يعودوا إلى لبنان بعد إنجاز المهمة المقررة لهم في التأثير على العالم الإسلامي ثقافياً وفكرياً ، انطلاقاً من مصر صاحبة الأثر الأكبر على العالم الإسلامي والعالم العربي بشكل خاص .

ومن أشهر صحافتهم هناك جريدة الأهرام التي أنشئت عام ١٨٧٥م في الاسكندرية على يد سليم وبشارة تقلا ، ثم انتقلت إلى القاهرة ، ومن أشهر رؤسائها أيضاً جبرائيل بن بشارة تقلا ، وأنشئوا أيضاً المسرح ، والقصة التاريخية ، والشعر غير الموزون ، والسينما، وكل ما هو جديد آت من الغرب النصارى في الناحية الثقافية والفكرية [5] .

---

[1]) النصارى في الشرق ، ص ٢٣، ٢٤ ، بير روندو .

[2]) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، ٢٥٦/١ ، د. محمد محمد حسين .

[3]) دور المسيحيين الثقافي في العالم العربي ، ص ٣٥ ، الأب سمير خليل اليسوعي .

[4]) المرجع السابق ، ص ٤١ ، الأب سمير خليل اليسوعي .

[5]) دور المسيحيين الثقافي في العالم العربي ، ص ٤٨ ، الأب سمير اليسوعي ، النصارى في الشرق ، ص ٢٤ ، بير روندو ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، ٢٥٦/١ ، د. محمد محمد حسين .

سليم بن خليل بن إبراهيم تقلا (١٢٦٥ــ ١٣١٠هـ = ١٨٤٩ــ ١٨٩٢م) ، مؤسس جريدة الأهرام المصرية ، مولده في كفر شيمة (لبنان) ، وأسرته معروفة ببني البردويل، إلا أن أباه نسب إلى أمه (تقلا)، تعلم في=

فالنصارى العرب ـــ بمختلف اتجاهاتهم العقديّة ـــ هم الـــذين تزعّمـــوا الـــدعوة إلى العلمانية والتحرُّرية في الفكر العربي الحديث ، وتلك المجالات التي أدخلوا من خلالها الفكر التغريبي لا ترجع خطورتها إلى ما كانت تذيعه من آراء فحسب، ولكن خطورتها الكبرى ترجع إلى أنها كانت مراكز لتنشئة الجيل التالي من الأدباء، والصحفيين، والكُتّاب علـــى هذه المبادئ العلمانية ، وهو الجيل الذي ربى بدوره جيلاً آخر، جاءت وتجيء من بعـــده أجيال على شاكلته، فلم نبلغ منتصف القرن العشرين ، حتى كانت تلك المجالات الفكرية والأدبية في أيدي العلمانيين، ليس في مصر وحدها ولكن في كل أنحاء العالم الإسلامي[1] .

فالتغريب حركة ارتبطت بالاستعمار ارتباطاً عضوياً ، قوامهـــا عمـــل اســـتعماري (استخرابي) فكري بعيد المدى قصد به القضاء على معالم شخـــصية الأمـــة الإســـلامية، وتحويلها إلى صورة غربية مشوّهة الملامح غريبة عن مجتمعاتنا وآدابنا الإسلامية .

فالاستعمار (الاستخراب) النصراني الغربي أبقى نفوذه في العالم الإسلامي من خـــلال عمليات التغريب ، فكوّن طلائع من أبناء المسلمين تؤمن بفكره وتسير في اتجاهه ، وتخدم مصالحه ، كوّنها عن طريق التعليم في مدارسه إن كانت داخلية في أوطانهم الإسلامية ، أو

=بلدته ثم بالمدرسة الوطنية ببيروت ، درّس العربية مدة في (البطريركية) ، وألف كتاب (مدخل الطلاب إلى فردوس لغة الأعراب) ، سافر إلى الاسكندرية عام ١٨٧٤م ، نال الامتياز بإنشاء جريدة الأهرام عام ١٨٧٥م، عاد إلى لبنان ومات فيها عام ١٨٩٢م . انظر: الأعلام، ١١٧/٣، خير الدين الزركلي .

بشارة بن خليل بن إبراهيم تقلا (١٢٦٨ـــ ١٣١٩هـ = ١٨٥٢ ـــ ١٩٠١م) ، أحـــد مؤســـسي جريـــدة الأهرام ، ولد في كفر شيمة (لبنان) ، وتعلّم في بيروت وعلّم في مدرسة (عنيطورة) نحـــو ســـنتين ، وانتقـــل إلى الاسكندرية عام ١٨٧٥م . أصدر مع أخيه سليم جريدة الأهرام ، وبعد وفاة أخيه عام ١٨٩٢م ، استقل بها ، ونقل مقرها إلى القاهرة عام ١٨٩٨م ، ووسّع حجمها ، توفي بالقاهرة عام ١٩٠١م، وكانت فيه جرأة ، وله بالفرنسيين صلة . الأعلام ، ٥٢/٢ ، خير الدين الزركلي .

جبرائيل (باشا) بن بشارة بن خليل تقلا (١٣٠٧ ـــ ١٣٦٢هـ = ١٨٩٠ ـــ ١٩٤٣م) : من أصحاب جريدة الأهرام ، لبناني الأصل مصري المولد والوفاة، تعلم في المدرسة اليسوعية بالقاهرة، ومات أبوه بـــشارة (صـــاحب الأهرام وأحد مؤسسيها)، وهو صغير السن، فتولت أمه الإشراف على إدارتها إلى أن اضطلع بأعبائها عام ١٩١٢م ، صرف جهده إلى توسيع الجريدة ، وإتقان طباعتها، فتقدمت في أيامه تقدماً بارزاً ، وانتخب نقيبـــاً للـــصحافة المصرية عام ١٩١٩م . الأعلام ، ١٠٩/٢، خير الدين الزركلي .

[1]) الإسلام والحضارة الغربية ، ص ٥٦ ، د. محمد محمد حسين .

خارجية عنده مباشرةً ، وعبر وسائل التأثير الأخرى ، التي استطاع من خلالها الغرب النصراني الوصول إلى عقول أبناء المسلمين وقلوبهم ، كونهم وفق أهدافه بحيث تكون أمانتهم له أكثر من أمانتهم لأوطانهم[1] .

فبعد أن تمكّن الغرب النصراني من فئة من أبناء المسلمين ، بمعاونة نصارى العرب والأقلية النصرانية في البلاد الإسلامية ومشاركتهم، وإيصالهم إلى مراكز قيادية استطاع من خلالهم أن ينشر أفكاره وتوجهاته المشبوهة ضد الإسلام، وعقيدته،وشرائعه، ولغته، وتاريخه، عبر وسائل التأثير العام على الشعوب الإسلامية من خلال التعليم العام للفئات السنّية المختلفة لأبناء المسلمين ، ومن خلال التعليم العالي في الجامعات ، ومن خلال وسائل النشر والإعلان من صحافة وكتاب ، ومن خلال وسائل الترفيه والتسلية من مسرح، وسينما، وإذاعة، وتلفاز، وقنوات فضائية (البث المباشر)، وهذه أشد مكراً لأنها أكثر تشويقاً[2] .

وقد تطرق رجالات التغريب (من أبناء المسلمين نسباً وجسداً ، وهم أبناء الغربيين النصارى فكراً وثقافةً ومنهجاً) ، إلى مواضيع متشعبة خطيرة وحساسة فيما يتعلق بالدين الإسلامي، وعقيدته، وشرائعه، وآدابه، فضلاً عن لغته، وتاريخه، ومروراً بمجالات الحياة المختلفة ، مرجعهم في الكلام حولها إنّما هو معتمد على الدراسات الاستشراقية المشبوهة والمزورة والماكرة في المجالات الإسلامية ، والوقوف عندها ، وعدم الالتفاف إلى الدراسات

---

[1]) وليس كل من تعلّم في الغرب ، أو اتصل بالمستشرقين ، ودوائر الفكر الغربي ، هو كذلك ، كما أنّ ليس كل من اتصل بالغرب ، وآمن به استمر على هذا الإيمان ، فإن الحقائق لا تلبث أن تتكشف عن زيف الاستعمار ومغالطته ، فلا يلبث الأمر أن يظهر أن هناك خداعاً قوامه كلمات برّاقة، وشعارات تقول بتنوير الشعوب وتمدينها، وتدعو إلى الحرية أو الإخاء، أو المساواة، أو ما شابه ذلك، ثم لا تلبث الأحداث أن تثبت تعصب الغرب وتناقضه، والتماره بهذه الأمة ، وفرض سلطانه بالحديد والنار، هناك تتحول الأفكار عنه، ويكفر به من كان قد خُدع من قبل. انظر: التغريب أخطر التحديات في وجه الإسلام ، ص ١٧ ، ١٨ ، أنور الجندي .

[2]) انظر : عقبات في طريقة النهضة، ص١٦٩ـــ١٨٨، أنور الجندي، واتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر، ٤٠٣/١ـــ٤١٦،د. حمد بن صادق الجمال .

وقد قُسّمت هذه الوسائل والأدوات إلى مدارس تغريبية ، ثلاث : مدرسة الاستعمار (وهم الطلبة المبتعثون إلى الغرب النصراني، أو الدارسون في مدارس الغرب النصراني في داخل بلدانهم الإسلامية)، ومدرسة الصحافة، ومدرسة الترفيه والتسلية .

والمراجع الإسلامية الأصيلة ، وأخفّ ازدراء منهم لها أنها تراث قديم خدم عصراً غير العصر الذي نعيشه الآن .

فقدحوا في القرآن العزيز ، وشككوا في بعض أحكامه وقصصه ، وقدحوا في النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، وطعنوا في سنته المطهرة ، وردّوا بعض العقائد الثابتة بدليل الكتاب والسنة ـــ وللأسف هم من أبناء المسلمين ـــ وأسقطوا بعض المسائل الفقهية المجمع عليها ، ونالوا من قيمة لغة القرآن اللغة العربية ، ونادوا بإبعادها ، أو تهجينها وتغيير ملامحها وأصولها .

فهي عندهم ليست لغة حضارية ، فلا تصلح لهذا الزمان المتحضر المتفرنج ، وعملوا على تشويه التاريخ الإسلامي الناصع البياض ، وإظهاره بمظهر التاريخ الأسود الحاقد على البشرية ، وتشويه صورة أبطال الإسلام الحقيقيين ، لا الملمّعين زوراً وبهتاناً ، خاصة من له دور في الفتوحات الإسلامية المشرّفة ، وهزيمة الصليبيين ، وهم كُثر ، والحمد لله ـــ أسأل الله أن يُكثّرهم ـــ كخالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعماد الدين زنكي ، ونور الدين زنكي، وصلاح الدين الأيوبي، والظاهر بيبرس، ومحمد الفاتح ... وغيرهم من جنود الله المجاهدين ، وإظهار هؤلاء الأبطال بمظهر غير لائق ، وغير حضاري .

كما أنهم بحثوا في أمورٍ كثيرة تتعلق بالمجتمع الإسلامي ؛ لتحويله إلى مجتمع مدني علماني ، لا يُقيم للشريعة وزناً في حياته اليومية ، ومن هذه الأمور : الدعوة إلى فتح المجالات للاختلاط ، والسفور ، والبرامج الهابطة للمرأة المسلمة العفيفة باسم تحرّرها ، تحرّرها ممّ ماذا ؟! تحرّرها من أحكام الشريعة الطاهرة التي تصنع مجتمعاً عفيفاً طاهراً متماسكاً ، وأُسرةً مصونةً طاهرةً ! وغيرها من المواضيع التي طرقها أولئك التغريبيون من أبناء المسلمين ضد أُمّتهم الإسلامية ، والتي تحتاج إلى رسائل جامعية مستقلة ، وكتب مجتمعة[1] ، لبيان أثرهم ، وأثر أطروحاتهم المشبوهة الماكرة على كُلّ الأصعدة ، وفي كُلّ المجالات الدينية ، والسياسية ، والوطنيّة ، وغيرها من المجالات التي يدعون أنهم دُعاةُ إصلاحٍ فيها ، ومريدو خيرٍ لأمتهم من خلالها ، وهم في حقيقتهم دُعاة فسادٍ فيها ،

---

[1]) وقد حدث هذا منذ زمن ، وما زالت مثل هذه الكتب القيمة المباركة في الخروج والظهور لبيان مكر أولئك المستغربين وبيان عبثهم بمقدرات الأمة الإسلامية عقيدةً،وفكراً،وشريعةً، ومنهج حياة ، والحمد لله رب العالمين .

ومريدو شرٍّ لأمتهم من خلالها بضياع هُويتهم الإسلامية ، وعدم استقلالهم بما عندهم من خيرٍ عميم ، ووضوحٍ لا يشوبه غبش ، ومنهج مستقيم لا يعتريه اعوجاج ، وسحبهم أمتهم الإسلامية إلى تبعية مقيتة للغرب النصراني ، وتربيتهم على هزيمة نفسية قد تُؤثّر — بل أثّرت — في أجيال إسلامية عديدة حاضراً ، ومستقبلاً ، قال تعالى :{ وَإِذَا قِيلَ لَهُم لاَ تُفسِدُوا فِي الأَرضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحنُ مُصلِحُونَ (١١) أَلاَ إِنَّهُم هُم الُمفسِدُونَ وَلَكِن لاَ يَشعُرُونَ (١٢) }[1] .

---

[1]) سورة البقرة ، الآيتان : ١١، ١٢ .

الفصل الثالث : التنصير ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تعريف التنصير، وأهدافه .

المبحث الثاني : الكنيسة الكاثوليكية والتنصير، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : اهتمام الكنيسة الكاثوليكية بالتنصير .

المطلب الثاني : وسائل الكنيسة الكاثوليكية التنصيرية ، ونشاطها في البلدان الإسلاميّة .

المبحث الأول : تعريف التنصير ، وأهدافه :

تعريف التنصير :

التنصير لغة : نصَّرَهُ تنصيراً : جعلَهُ نصرانياً [١]. فالتنصير والتنَصُّرُ : الدخول في النصرانية[٢] .

فالتنصير في مفهومه اللغوي هو الدعوة إلى اعتناق النصرانية ، أو إدخال غير النصارى في النصرانية ، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((ما من مولود يُولَدُ إلاَّ يُولَدُ على الفطرة ، فأبواهُ يُهوِّدانه أو يُنصِّرانِه أو يُمجِّسانه كما تُنْتَجُ البهيمةُ بهيمةً جمعاءَ هل تُحِسُّون فيها من جدعاء[٣] ، ثم يقول أبو هريرةَ ﷺ : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾ [٤].

والفطرة هنا الإسلام [٥]، فقال النبي ﷺ : ((أو ينصرانه)) أيّ تُغيِّر الفطرة السوية التي خُلق الإنسانُ عليها إلى أُمور منحرفة منها تنصيره وإدخاله في النصرانية .

والتنصير في مفهومه الاصطلاحي : هو قيام مجموعة من المنصّرين بالتركيز على منطقة معينة ثم العمل على تنصير سكانها بشتى الطرق التي توصلهم إلى تلك الغاية .

والتنصير في المحيط الإسلامي، هو : حركة بدأت بالظهور في واقع المسلمين إثر فشل الحروب الصليبية ضدهم ــ وبالتحديد من وقت الحملة الصليبية الخامسة عام ١٢١٩م ــ بهدف السيطرة على المسلمين دينياً ، وسياسياً ، واستعمارياً .

---

[١]) القاموس المحيط ، مادة (نَصرَ) ص ٦٢٢ ، الفيروز آبادي .

[٢]) لسان العرب ، مادة (نَصرَ) ، ٢١٢/٥ ، لابن منظور .

[٣]) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبيُّ فمات هل يُصلَّى عليه وهل يُعرَضُ على الصبيِّ الإسلامُ ؟ الجزء الأول ، رقم الحديث (١٣٥٨) ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي . وصحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين ، الجزء الرابع ، رقم الحديث (٢٦٥٨) ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي .

[٤]) سورة الروم الآية ٣٠ .

[٥]) والفطرة في الآية والحديث هي الإسلام، وذهب إلى ذلك عامة السلف وأكثر المفسرين وعلى رأسهم: أبو هريرة، وعكرمة، ومجاهد، والحسن، وإبراهيم النخعي، والضحاك، والزهري، وقتادة، وأحمد بن حنبل،والبخاري. انظر: التمهيد لابن عبد البر، ٧٢/١٨، وتجريد التمهيد لابن عبد البر، ٢٩٧، ودرء تعارض العقل والنقل ٤١٠/٨.

وعملية التنصير هذه سميت عند النصارى بعدة أسماء ، منها : التبشير .

والتبشير لغةً: ((الباء والشين والراء أصل واحد : ظهور الشيء مع حُسن وجمال)) [١] ، وتبشير هي المصدر للفعل بشّر يبشر، واسم المصدر منه ((البشارة)) أو ((البُشرى)) [٢] ويقال بَشّرْتُ فلاناً أُبَشِّرُهُ تبشيراً، وذلك يكون بالخير، وربما حُمِل عليه غيره من الشر، وقد يكون جنساً من التَّبكيت [٣]، كقوله تعالى : (وبشّر الذين كفروا بعذابٍ أليم) [٤] ، ونحو قولهم : تحيتك الضَّرْبُ وعتابك السَّيْفُ [٥] .

فالتبشير هو الخبر الذي يُؤثر في البشرة تغيراً ، وهذا يكون للحزن أيضاً ، ولكن إذا أُطلق الكلام إطلاقاً فالبِشارة بالخير والنِّذارةُ بغيره [٦] ، قال تعالى : ﴿ فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتدَّ بصيراً ﴾ [٧] ، وقال تعالى مخبراً عن حقيقة النبي ﷺ في دعوته إلى الناس كافة عربهم وعجمهم: ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ﴾ [٨].

والتبشير عند النصارى هو الدعوة إلى النصرانية ، فهو مرادف لكلمة (التنصير) ، وفي هذا مكر كبير في استخدام المصطلحات . ((لذا لا يستخدم مصطلح (تبشير) إلاّ من لا يدرك أبعاد ما يريده المنصرون من فرض هذه المصطلحات المبهرجة المنتقاة من بين عدد من العبارات؛ ليسهل استخدامها عند المسلمين ، حتى إذا شاعت وألفتها الأجيال المقبلة من المسلمين انتقلوا لخطوة أخرى تكشف مزيداً من الأهداف الصليبية)) [٩]، فهذه الكلمة ((تبشير)) عند المسلمين تجافي الحقيقة تماماً إذا أطلقت على نشاطات المنصرين . على أن كلمة ((التبشير)) Evangelism مشتقةٌ من معنى كلمة ((إنجيل)) في اللغة اليونانية

---

[١]) معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ، ٢٥١/١ ، مادة (بشر) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون .

[٢]) النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير ، ص٤١ ، د. محمد عثمان صالح .

[٣]) معجم مقاييس اللغة ، مادة (بشر) ، ٢٥١/١ .

[٤]) سورة التوبة ، الآية ٣ .

[٥]) لسان العرب ، مادة (بشر) ، ٦١/٤ ، لابن منظور .

[٦]) معجم مقاييس اللغة ، مادة (بشر) ، ٢٥١/١ .

[٧]) سورة يوسف ، الآية ٩٦ .

[٨]) سورة الأحزاب ، الآية ٤٥ .

[٩]) النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير ، ص ٤٢ ، د. محمد عثمان صالح .

والتي تعني ((الأخبار السارة)) أو ((البشرى)) [١] .

ومن مسميات عملية التنصير أيضاً :

((إنقاذ أرواح البشر من الجحيم)) ، ثم اختصرت إلى عبارة ((إنقـاذ الأرواح))، وقد اشتهر هذا المسمى في القرن السادس عشر الميلادي ، وفي مطلع القـرن العـشرين عُرفت عملية التنصير بـ((غرس الكنيسة)) ثم تحولت إلى ((غـرس الإنجيـل)) ، وفي المجمع الفاتيكاني الثاني عام ١٩٦٤م عُرفت حركة التنصير ((بتوصيل الإنجيـل لكافـة البشر))[٢] ، وأقدم اسم لعملية التنصير هو ((الكرازة)) التكريز بالإنجيل ، جاءت مـن الفعل أكرز والذي ورد في إنجيل مرقس وأعمال الرسل : ((اذهبـوا إلى العـالم أجمـع وأكرِزوا بالإنجيل للخليقة كُلِّها))[٣] ، ((... وللوقت جعل يَكْرِزُ في المجامع بالمسيح))[٤]، ومأخوذ هذا الاسم من الفعل اليوناني ((كيريسو)) أي ((أعلن ، نـادى ، كـرز))، والاسم السرياني ((كيريغما)) أي ((إعلان ، مناداة ، كرازة)) ، وفعله ((انغـالو)) ((بَشّر)) ، وكُلّها تدل على معنى الوعظ والتبليغ وإعلان الإنجيل[٥] .

---

[١]) تفسير كلمات الكتاب المقدس ، ص ٤٣٩ ، سعيد مرقص ، الإذاعات التنصيرية ، ص ١٧ ، د. كرم شلبي .

[٢]) تنصير العالم ، ص ١٤١ ، أ.د. زينب عبد العزيز .

[٣]) مرقس ، ١٦ : ١٦ .

[٤]) أعمال الرسل ، ٩ : ٢٠ .

[٥]) المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم ، ص ١٠١٦، مادة (كرازة) الدكتور الخوري بولس الفغالي .

أهداف التنصير :

إن الهدف الأول للمنصّرين في عملياتهم التنصيرية ضد غير النصارى ، هو دعوتهم إلى النصرانية ومحاولة إدخالهم فيها ، إلاَّ أن المنصرين وجدوا أن هذه العمليات التنصيرية بالغة الصعوبة في تطبيقها على المسلمين بشكل عام؛ لتمسكهم بدينهم الإسلامي ـ بخلاف غيرهم من أصحاب الملل والطوائف الأخرى و غير الدينيين . واكتشف المنصرون هذا التمسك الشديد عند المسلمين بدينهم منذ وقت مبكر من خلال التجارب الأولى من محاولة تنصيرهم في عهد رئيس الرهبنة الفرنسيسكانية فرنسيس سيزي في أثناء الحملة الصليبية الخامسة عام ١٢١٩م عندما طمع في تنصير السلطان الكامل الأيوبي وشعبه المسلم في مصر ففشل فشلاً ذريعاً في ذلك .

لذلك خطط النصارى لتحقيق أهداف أخرى من خلال محاولاتهم التنصيرية بين المسلمين على أن هدف إدخال المسلمين في النصرانية وتركهم دينهم الإسلامي يبقى على رأس هرم أهداف النصارى .

ومن أهم تلك الأهداف التي يحاول المنصّرون تحقيقها من خلال محاولاتهم وعملياتهم التنصيرية بين المسلمين التي أعتقد أنها غالباً ما تكون موازية السير والخُطى مع الدعوة المباشرة إلى النصرانية ، هي :

أولاً : محاولة وقف انتشار الإسلام :

سبَّبَ انتشار الإسلام التصاعدي أينما حلَّ قلقاً كبيراً وخوفاً شديداً في نفوس المنصِّرين على جميع مستوياتهم الرسمية وغير الرسمية، الفردية والجماعية، خاصة وأن أولئك المنصِّرين يعلمون تماماً بأن انتشار الإسلام هو انتشار تلقائي بدون أن يبذل المسلمون جهوداً جبارة أو يدفعوا أموالاً طائلة في ذلك ـ فكيف لو وُجد للإسلام رجال وأموال فهل يستطيع وقتها أن يوقفه أحد أو تخلو منه بقعة من الأرض صغرت أو كبرت ؟ الله أكبر ـ .

فالإسلام ((هو الدين الوحيد الخطر عليهم فهم لا يخشون البوذية ولا الهندوكية ولا اليهودية، إذ إنها جميعاً ديانات قومية لا تستطيع الامتداد خارج أقوامها وأهلها، وهي في نفس الوقت أقل من النصرانية رقياً، أما الإسلام فهو ـ كما يسمونه ـ دين متحرك

زاحف، وهو يمتد بنفسه وبلا أية قوة تساعده، وهذا هو وجه الخطر فيه))[١] .

وتعد هذه الحقيقة المحرك الأول للفاتيكان لوقف هذا التقدم الإسلامي الذي يشكل خطراً داهماً وعائقاً بشرياً للطموح الغربي وديانته النصرانية في سيادته السياسية والعقدية على العالم، فخصص الغرب النصراني بكنائسه الكاثوليكية والبروتستانتية مبالغ طائلة لصد هذا الزحف الإسلامي ، ومنها أن الفاتيكان خصص أكثر من ثلاثة مليارات من الدولارات من أجل تنصير قارة أفريقيا المسلمة وحدها، وتم توظيف أكثر من (١٥٠,٠٠٠) مائة وخمسين ألف منصِّر كاثوليكي من أجل القيام بمهمة التنصير[٢] ، حيث قاموا بدراسة إحصائية عن نمو المسلمين فوجدوا أن المسلمين بحلول سنة (٢٠٢٥م) سيشكلون ربع سكان العالم أي أن واحداً من كلّ أربعة أشخاص في العالم سيكون مسلماً ، كما أن مجلة (ليبدو) السويسرية أضافت أن العالم الإسلامي يشهد نمواً في ولادة الأطفال ، الأمر الذي سيترتب عليه مضاعفة عدد المسلمين في السنوات القادمة بحيث قد يصبح عدد المسلمين ما بعد سنة (٢٠٢٠م) بليوني نسمة إسلامية في العالم[٣] ، أي أنه قد يتعدى عدد المسلمين في تلك السنوات المستقبلية ثلث سكان العالم .

يقول المنصِّر (لورانس بروان) : ((إن الخطر الحقيقي يكمن في نظام الإسلام ، وفي قُدرة هذا الدين على التوسع والإخضاع ، وفي حيويته ، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي)) .

ويقول الدكتور (راطسون) مدير الجامعة الأمريكية الأسبق في القاهرة : ((إننا نراقب سير القرآن في المدارس الإسلامية ، ونجد فيه الخطر الداهم . فالقرآن وتاريخ الإسلام هما الخطران العظيمان اللذان تخشاهما سياسة التبشير المسيحية))[٤] .

كما دعى الأب (ديبونت) المنصِّر الكاثوليكي، والخبير في الإحصاء زملاءه المنصرين

---

[١]) التبشير الغربي ، ص ٢٠ ، أنور الجندي ، دار الاعتصام .

[٢]) وجاء الدور على الإسلام، ص١٥، رضا محمد العراقي، التنصير والتغلغل الاستعماري في إفريقيا (ندوة عن التنصير) عُقدت بجامعة إفريقيا العالمية ، ورقة مقدمة من الأستاذ عطية محمد سعيد بعنوان (التبشير المسيحي في إفريقيا) ، ص ١٧٣ .

[٣]) وجاء الدور على الإسلام ، ص ١٣ ، رضاء محمد العراقي .

[٤]) قوى الشر المتحالفة (الاستشراق ، التبشير ، الاستعمار) ، ص ١٢٣ ، محمد محمد الدهان .

ألاّ يكتفوا بالتبرم من امتداد الإسلام المستمر في أفريقيا وإنما يجب عليهم العمل لوقف الامتداد .[1]

ويحث المستشرق الفرنسي فيليب فونداسي الدولة الفرنسية على مقاومة الإسلام وأن تنتهج سياسية عدائية للإسلام ، وأن تحاول على الأقل إيقاف انتشاره[2] .

ويذكر المستشرق روبرت باين بأن لديهم أسباباً قوية لدراسة العرب والتعرف على طريقتهم؛ فقد غزوا الدنيا كلها من قبل، وقد يفعلونها ثانيةً : ((إن النار التي أشعلها محمد ﷺ ما تزال تشتعل بقوة ، وهناك ألف سبب للاعتقاد بأنها شعلة غير قابلة للانطفاء))[3] .

ونشرت صحيفة هيرالد تربيون الأمريكية في ١٩٨٥/٨/٨م تقريراً عن رحلة البابا إلى أفريقيا حيث يقول لورين جينكز : ((يقوم البابا بولس الثاني بثالث رحلة له لأفريقيا في غضون خمسة أعوام ، بأمل أن يُرسي قواعد الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ضد النهضة الإسلامية المتزايدة في القارة، الأمر الذي يعده الفاتيكان أمراً هاماً من أمور هذا القرن))[4] .

وبهذا يتبين أن من الأهداف الأساسية التي يسعى المنصّرون إلى تحقيقها من خلال محاولاتهم التنصيرية المكثفة هو وقف انتشار الإسلام .

ثانياً : القضاء على وحدة العالم الإسلامي :

أدرك الغرب النصراني من خلال التحاماتهم مع العالم الإسلامي أنّ تجمع المسلمين ووحدتهم هو سبب قوتهم وانتصاراتهم السابقة على الغرب النصراني ، وأن سبب هذا التجمع وهذه الوحدة هو الإسلام ، فانتهج الغرب النصراني منهجية لتفريق وحدة المسلمين وتمزيق اتحادهم من خلال طرق عديدة من أخطرها بث العمليات التنصيرية بين المسلمين وفي وسطهم حتى لا يتجمعوا تحت مظلة الإسلام والعقيدة الإسلامية .

فهذا المنصر القس سيمون يبين خطر الوحدة الإسلامية على الغرب النصراني بقوله :

---

[1]) وذلك في كتابه : هل أفريقية أرض مسيحية ؟ ، انظر : المرجع السابق ، ص ١٢٦ ، محمد الدهان .

[2]) وذلك في كتابه : (الاستعمار الفرنسي في أفريقيا السوداء) ، انظر : قادة الغرب يقولون : (دمّروا الإسلام أبيدوا أهله) ، ص ٤٤ ، جلال العالم .

[3]) التنصير والتغلغل الاستعماري في أفريقيا ، ص ١٧٤ .

[4]) التنصير الطبي الخفي في البلاد الإسلامية ، ص ١٩ ، د. عبد العزيز الفهد .

((إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية وتساعد على التملص من السيطرة الأوروبية . والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة ؛ من أجل ذلك يجب أن نحوّل بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية)) [١] .

ويقول مورو بيرجر : ((إن الخوف من العرب واهتمامنا بالأمة العربية ليس ناتجاً عن وجود البترول بغزارة عند العرب بل بسبب الإسلام .

يجب محاربة الإسلام للحيلولة دون وحدة العرب التي تؤدي إلى قوة العرب ؛ لأن قوة العرب تتصاحب دائماً مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره)) [٢] .

لذلك فإنّ المنصرين قاموا بزرع الفتن والعداوة في دولة الخلافة العثمانية قبل سقوطها وبعدها في المجتمعات الإسلامية المنفصلة — سواء كانت فتناً وعداوات طائفية دينية أو مذهبية أو عرقية أو غيرها — حتى يتسنى لهم التأكد من عدم رجوع الوحدة الإسلامية بين المسلمين ، حيث إنه بهذا التفرق والتمزق لن يكون للمسلمين وزن ولا تأثير في المجتمع الدولي، ولا يخشى على الغرب النصراني منهم، كما صرح بذلك المنصر لورانس براون في ((أن يظل المسلمون متفرقين بلا قوة ولا تأثير)) [٣] .

فالدول الغربية النصرانية كانت تهدف من وراء إقامة علاقات مع دولة الخلافة العثمانية وما حققته من امتيازات روحية وثقافية داخل دولة الخلافة إلى زرع الفتن، وتفتيت البنية الاجتماعية الملتفة حول العقيدة الإسلامية، وتكوين قوى اجتماعية مختلفة الولاء العقدي والقومي، فلا تجتمع على الإسلام، فيسهل ركوبها وتسييرها، وهذا للأسف ما حدث في الواقع . يقول وزير المستعمرات البريطانية إبّان سقوط الخلافة الإسلامية : ((إن الحرب علّمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي يجب أن نحاربه وأن نقاومه ؛ وليست بريطانيا وحدها هي التي تلتزم بذلك بل وفرنسا أيضاً ... إن سياستنا تهدف دائماً وأبداً إلى منع قيام الوحدة الإسلامية أو التضامن الإسلامي ويجب أن تبقى

---

[١]) دمّروا الإسلام أبيدوا أهله ، ص٥٤، جلال العالم ؛ التبشير والاستعمار، ص٣٧ ، خالدي و فرّوخ .

[٢]) مجلة روز اليوسف في عددها الصادر بتاريخ (١٩٦٣/٦/٢٩م) ، دمروا الإسلام أبيدوا أهله ؛ ص ٣٩ ، جلال العالم ؛ قوى الشر المتحالفة ، ص ١٢٣ ، محمد محمد الدهان .

[٣]) جذور البلاء ، ص ٢٠٢ ، عبد الله التل .

هذه السياسة كذلك))[١] .

ولهذا انسجمت الخطط الاستعمارية في الحرب ضد الإسلام وديار المسلمين مع قوى التنصير الكاثوليكي بقيادة الكرسي البابوي في روما « وقوى التنصير البروتستانتي بقيادة اليهودية العالمية وتوجيهها .

ويجب أن يدرك المسلمون أن للكرسي البابوي في روما مجرى سياسياً لا يتغير، وهو بها يسعى لتحقيق ما بدأته الحروب الصليبية من حرب بالسلاح وبالغزو الفكري وبالتنصير ، وقد استخدم في ذلك كل الوسائل التي أُتيحت له ، ومنها استخدام رهبانياته المنتشرة في جميع أنحاء العالم .

ويعترف المسيو أوجين يونغ أن اكليروس بابا روما يسير على خطى اليهود في التجسس وبث الدسائس والفتن والتسلط على الأشخاص ذوي المكانة العالية بالتهديد بإفشاء أسرارهم الشخصية [٢] ، هذا العمل يقوم به الكرسي الرسولي البابوي مع أعدائه من العلمانيين والنصارى فكيف حال هذه النيافة التي تدَّعي القدسية عندما تتعامل مع المسلمين؟! لا شك تنقلب أكثر خبثاً ومكراً وشراسةً ضد الإسلام والمسلمين، فإن الكرسي البابوي يعد الإسلام هو العدو الحقيقي الذي يجب مواجهته بكل سلاح ممكن وبكل وسيلة ممكنة ، فقُوى التنصير لا تكل ولا تمل ، والكرسي البابوي لا يتحول عن خطته لطمس آثار الإسلام .

ثالثاً : زعزعة العقيدة الإسلامية في قلوب المسلمين :

وقد سلك النصارى في خلخلة وزعزعة العقيدة الإسلامية الصحيحة من قلوب المسلمين مسالك شتى، ومنها : العمل على تجهيل من استطاعوا تجهيله من أبناء المسلمين، وقطع صلته عن ثقافته الإسلامية وعن القرآن الكريم ، ومنها : تربية بعض أبناء المسلمين على مناهج تغريبية علمانية لا تبعده عن إسلامه فقط، بل تجعله يحارب أساسيات الإسلام،

---

[١]) أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية « ص ٧ » د. عبد الودود شلبي .

[٢]) جذور البلاء ، ص ٢٠٤ ، عبد الله التل » وانظر في ذلك بشيء من التفصيل إلى كتاب : أسرار الفاتيكان ، ليو بولد ليدل ، ترجمة : تحسين حجازي .

ويعمل على إسقاطها، ويطالب بتهميشها في مجتمعه الإسلامي ، ومنها : إلقاء الشبهات والشكوك في المجتمعات الإسلامية حول الإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة ، وإدخال المجتمعات الإسلامية في دائرة الملذات والشهوات التي لا تنقطع عنهم صباحاً ومساءً، لقتل التمسك بالإسلام وفضائله وقتل علو الهمة والجهاد في سبيل الله في نفوس الأجيال الجديدة من أبناء المسلمين ؛ حتى يصبحوا مسخاً بلا هوية إسلامية واضحة المعالم .

وقد استطاعت العمليات التنصيرية أن تسلك هذه السبل وتحقق هذا الهدف و تؤثّر في بعض المسلمين عن طريق الغزو الفكري بركنيه : الاستشراق والتغريب .

فالمعركة على أبناء الأمة الإسلامية كانت مشتركة بين الغزو الفكري — خاصة الدراسات الاستشراقية منها، حيث إنها الأصل للأطروحات التغريبية — وبين العمليات التنصيرية، فذلك — الغزو الفكري — اختار المجالات العلمية والعقلية لعلية القوم والمثقفين، وفي مجالات راقية من البحث العلمي والدراسات الأكاديمية، بينما العمليات التنصيرية اختارت المجالات العلمية والعقلية المحدودة لعامة الشعب، والمراحل السنية التعليمية، والمحتاجين، والفقراء والمساعدات الطبية، والاجتماعية، حيث كان هذا طريقاً واضحاً لها في التأثير .

يقول لو شاتلييه : ((ولا شك أن إرساليات التبشير من بروتستانتية وكاثوليكية تعجز عن أن تزحزح العقيدة الإسلامية من نفوس منتحليها ، ولا يتم لها ذلك إلاَّ ببث الأفكار التي تتسرب مع اللغات الأوروبية، فبنشرها اللغات الانجليزية والألمانية والهولندية والفرنسية يتحكك الإسلام بصحف أوروبا وتتمهد السبل لتقدم إسلامي مادي ، وتقضي إرساليات التبشير لبانتها من هدم الفكرة الدينية الإسلامية))[1] .

فالمنصرون يعترفون بأن التنصير الرسمي و جذب المسلمين إلى صفوف النصرانية قد خاب ؛ كما صرح بذلك مدير الجامعة الأمريكية الأسبق ببيروت الدكتور بنروز (١٩٤٨ — ١٩٥٤م) [2] ، من أجل ذلك ركّز المنصرون جهودهم على بث التشويه والتشكيك مع الشهوات في عقول المسلمين وقلوبهم ؛ لزعزعة العقيدة الإسلامية في قلوبهم .

---

[1]) الغارة على العالم الإسلامي (اقتراعات المبشرين) ، ص ١٢ ، ترجمة : محب الدين الخطيب ومساعد اليافي .

[2]) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص ٤٥ ، ٤٦ ، مصطفى خالدي وعمر فروخ .

فهذا القس البروتستانتي الدكتور صموئيل زويمر كان مركزاً على هذه الفكرة عندما خاطب جمعاً من المنصرين المجتمعين في المؤتمر التنصيري المنعقد في القدس الشريف عام (١٩٢٨م) : ((أيها الإخوان الأبطال والزملاء الذين كتب الله لهم الجهاد في سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام ... إني أُقركم على أن الذين دخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين . لقد كانوا أحد ثلاثة :

١) إمّا صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ما هو الإسلام .

٢) أو رجل مستخف بالأديان لا يبغي غير الحصول على قوت يومه وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش .

٣) وآخر يبغي الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية .

ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ... أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ، وبالتالي فلا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها ...

لقد قبضنا أيها الإخوة في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية ... أيها الزملاء إنكم أعددتم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد ، إنكم أعددتم شباباً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها ... وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أرداه الاستعمار لا يهتم للعظائم، ويحب الراحة والكسل ولا يصرف همه في دنياه إلاّ في الشهوات، فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإن تبوء أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات، يجود بكل شيء . إن مهمتكم تمت على أكمل الوجوه وانتهيتم إلى خير النتائج وباركتكم المسيحية ورضي عنكم الاستعمار فاستمروا في أداء رسالتكم ...))[1] .

وهذا المنصر الأب شارل دي فوكو الفرنسي الكاثوليكي والذي قضى جُل عمره في محاولات تنصيرية بين المسلمين في أفريقيا خاصة في الجزائر، ومراكش، وبلاد الطوارق

---

[1]) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ، ص ٥٨ ، ٥٩ ، محمد محمود الصوّاف ، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، ص ١٦٠ ــ ١٦١ ، أحمد عبد الوهاب .

حتى قتل هناك في عام ١٩١٦م ، يُوصي الحكومة الفرنسية بوجوب إبعاد المسلمين عن الإسلام بعدم تعليمهم مبادئ القرآن الكريم والسنة النبوية وغير ذلك من اجتهادات الأئمة، حتى يستمروا في جهل بالإسلام، ويسهل قيادهم، والتأثير فيهم، وتحويلهم إلى النصرانيّة الكاثوليكية .

وهذا ما فعلته فعلاً فرنسا في مستعمراتها في شمال أفريقيا فحولت أكثر المساجد إلى كنائس ، وأقفلت المعاهد الدينية الإسلامية، واستولت على الأوقاف التي كانت يصرف منها على نشر الإسلام ومبادئه، وصرفوا أغلب أموالهم على التنصير الكاثوليكي هناك[1].

كما أن الحكومة البريطانية والإيطالية لم تكن أحسن حالاً من الحكومة الفرنسية ، فقد عمد البريطانيون والإيطاليون في مستعمراتهم في القرن الأفريقي (الصومال وما حولها) إلى تفريق كلمة المسلمين، وتشتيت شملهم في زعامات عميلة مستغربة عملت على حصر العلم الشرعي والثقافة الإسلامية وجعلتها تحت سيطرة الكنيسة، فنشأ جيل من أبناء المسلمين هناك لا يعرف من الإسلام إلاّ اسمه، ومن القرآن إلاّ رسمه[2] .

وهكذا يصرح الفرنسي الكاثوليكي لوشاتلييه أن : ((نزع الاعتقادات الإسلامية ملازم دائماً للمجهودات التي تبذل في سبيل التربية النصرانية))[3] .

---

[1]) الإسلام والغزو الفكري ، ص ١٦١ ـــ ١٧٧ ، د. محمد عبد المنعم خفاجي ، د. عبد العزيز شرف .

[2]) التنصير في القرن الأفريقي ومقاومته ، ص ١٠٣ ، سيد أحمد يحيى .

[3]) الغارة على العالم الإسلامي ، ص ١٣ ، ترجمة : محب الدين الخطيب ، مساعد اليافي .

المبحث الثاني : الكنيسة الكاثوليكية والتنصير ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : اهتمام الكنيسة الكاثوليكية بالتنصير .

المطلب الثاني : وسائل الكنيسة الكاثوليكية التنصيرية .

المطلب الأول : اهتمام الكنيسة الكاثوليكية بالتنصير ((تنصير المسلمين)) :

بدأت اهتمامات الغرب النصراني بمحاولات تنصير المسلمين في بداية القرن الثالث عشر الميلادي . وكانت القيادة الفعلية الروحية والزمنية في الغرب النصراني في تلك الأوقات للكرسي البابوي واكليروسه الكاثوليكي .

بدأ التفكير عند الغربيين النصارى في مسألة غزو الأمة الإسلامية من الناحية العقدية والفكرية في أثناء اشتداد الحروب الصليبية على المسلمين، خاصة عندما بدت في الأفق علامات فشل تلك الحروب الصليبية العسكرية الموجهة ضد المسلمين .

وقد اهتمت البابوية بهذه الطريقة الجديدة (الغزو الفكري) لغزو المسلمين كما اهتمت من قبل بغزوهم عسكرياً وحربياً . فكما أن بابا روما غريغوريوس (جريجوري) السابع (٢٢ نيسان ١٠٧٣ـ ٢٥ آيار ١٠٨٥م) ، هو المخطط لغزو المسلمين عسكرياً وإخراجهم من بيت المقدس ، وكما أنّه جاء بعده البابا أوربان الثاني (١٢ آذار ١٠٨٨ــ ٢٩ تمّوز ١٠٩٩م)، وهو المنفّذ الفعلي والداعم المعنوي والمادي لذلك المخطط الصليبي، وكما أنّه كان في وقته رجل هو الداعية الأول، والأنشط لتلك الحروب الصليبية، وحامل لوائها والدعوة إليها، خاصة بين الشعوب والعامة في الغرب النصراني وهو بطرس الناسك، فإن المخطط لفكرة غزو المسلمين غزواً عقائدياً بتنصيرهم هو بابا روما إنّوشنتيوس (أنوسنت) الثالث (٨ كانون الثاني ١١٩٨ ــ ١٦ تمّوز ١٢١٦م)، والمنفّذ الفعلي لذلك المخطط النصراني والداعم له مادياً ومعنوياً هو البابا هورنوريوس الثالث (١٨ تمّوز ١٢١٦ ــ ١٨ آذار ١٢٢٧م) ، وكان الداعية الأول والأنشط لتلك الحرب الصليبية الجديدة هو رئيس الرهبنة الفرنسسكانية فرنسيس الأسيزي ، فكانت أول خطوات هذا المنصر أنه قابل سلطان مصر الكامل الأيوبي طمعاً في تنصيره ومن يتبعه من شعب مصر ، فسمح له السلطان الكامل الأيوبي أن يبسط ما عنده من وسائل وأمور للدعوة إلى عظمة دينه

النصراني وما يمتاز به من مميزات على حسب اعتقادهم، بشرط ألاّ يتعرض بسوءٍ للنبي محمد ﷺ ولا لدينه الإسلامي .

وهكذا ظهرت فكرة التنصير مُعاونة لفكرة الاستعمار والحرب الصليبية ضد المسلمين لضربهم في عقيدتهم ودينهم واحتلال أراضيهم . وكانت هذه الخطوات ابتداءً من وقت الحملة الصليبية الخامسة ، خاصة في عام ١٢١٩م .

لم يكتف فرنسيس الأسيزي بهذه الخطوة الجريئة لتنصير المسلمين في مصر، بل إنه أرسل مجموعة من الرهبان الفرنسيسكان الكاثوليك لتنصير المسلمين في أسبانيا والمغرب الأقصى ، ومجموعة أخرى إلى أفريقيا ، ومجموعة ثالثة أشد حماسة إلى الأراضي المقدسة في فلسطين وما حولها[١] .

وقد أُعدمت المجموعة التي أرسلت لتنصير المسلمين في المغرب الأقصى في مراكش في ١٦ يناير سنة ١٢٢٠م ، ونفس المصير لقيته بعثة أخرى أرسلت هناك من الفرنسيسكان في عام ١٢٢٧م، وكان عددهم سبعة من المتنصرين أُعدموا في ١٠ أكتوبر من ذلك العام[٢].

وبعد فشل الحملة الصليبية السابعة في عام ١٢٥٠م، وعلى مدار عشرين عاماً في العهود التالية : نهاية فترة البابا إنّوشنتيوس (أنوسنت) الرابع (٢٥ حزيران ١٢٤٣ ــــ ٧ كانون الأوّل ١٢٥٤م) ، والبابا الاسكندر الرابع (١٢ كانون الأوّل ١٢٥٤ ــــ ٢٥ أيّار ١٢٦١م) ، والبابا أوربان الرابع (٢٩ آب ١٢٦١ ــــ ٢ تشرين الأوّل ١٢٦٤م) ، والبابا إكليمنضوس (كليمنت) الرابع (٥ شباط ١٢٦٥ ــــ ٢٩ تشرين الثاني ١٢٦٨م) وبعد عجز البابويّة عن إقناع الغرب الكاثوليكي للقيام بحملة صليبية كبيرة ومنظمة ضد المسلمين في بيت المقدس ، ظهرت في أثناء ذلك فكرة الاهتمام وأخذ الأولوية لمسألة القيام بمحاولات لتنصير المسلمين (غزوهم عقدياً) مع استمرار فكرة الحرب الصليبية المسلحة كلما استطاع الغرب الكاثوليكي إلى ذلك سبيلاً . وأخذت هذه الفكرة تتضخم في رأس

---

[١]) الحرب المقدسة ، ص ٤٨١ ــــ ٤٨٥ ، كارين آرمسترونغ » أوروبا المسيحية ، ٢/٢١٠ ، يان دوبرا تشينسكي » الكنيسة الكاثوليكية والإسلام » ص ٢٧ ــــ ٢٨ ، الأب ميشال لولون » دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص ٢٠٠ » الأب جان كمبي .

[٢]) مدخل إلى تاريخ حركة التنصير » ص ٣٥ » ٣٦ » د. ممدوح حسين .

البابوية والكنائس الكاثوليكية في عهد بابا روما كليمنت الرابع وذلك بفضل جهود الفيلسوف الانجليزي والراهب الفرنسيسكاني روجيه (روجر) بيكون (١٢١٤ — ١٢٩٢م) والذي كانت له مكانة عالية في نفس البابا كليمنت الرابع [1] .

ثم كانت هناك محطات رئيسة ومهمة في مسألة اهتمام الطائفة الكاثوليكية لتنصير المسلمين ، وهي :

أولاً : المجمع المسكوني الرابع عشر (مجمع ليون الثاني) (٧ أيار — ١٧ تموز ١٢٧٤م) :

وقد افتتحه بابا روما جريجوري العاشر (١٢٧١— ١٢٧٦م) في مدينة ليون في ٧ أيار (مايو) عام ١٢٧٤م ، وذلك عقب فشل الحملة الصليبية الثامنة والأخيرة من جهة الترقيم التاريخي .

اختلفت آراء الحاضرين وتباينت توجهاتهم بالنسبة لمسألة التعامل مع المسلمين وتوجيه حملة صليبية قوية يشترك فيها ملوك أوروبا الكاثوليكية وأمراؤها للقضاء على المسلمين في عقر دارهم ، مع العلم أن البابا جريجوري العاشر ممن كان يذهب إلى تجهيز حملة صليبية عسكرية لغزو البلاد الإسلامية .

ولكن مع استمرار المطارحات وتداول الأفكار برز رأي الراهب الدومينيكاني فيلهلم الطرابلسي ، وقد وضّح للبابا والحاضرين عدم جدوى تجهيز حملة صليبية عسكرية لا تسبقها عمليات تنصيرية مباشرة للمسلمين ، حيث إن وضع المسلمين في الديار المقدسة وما حولها قد تغير من الضعف إلى القوة، ومن الاختلاف إلى الاجتماع، فهو أخبر بهم وأدرى بشؤونهم، لأنه كان يعمل في التنصير بين المسلمين في عكا لسنوات مضت ، كما أن وضع الصليبيين في أوروبا قد تغيّر أيضا من الحماسة الصليبية إلى الفتور، وحب الدعة، وكراهية القتال ، وقد ذكّر الحاضرين بآراء اللاهوتي روجر بيكون عندما طرح مسألة الاهتمام بغزو المسلمين غزواً عقائدياً على البابا اكليمنت الرابع في عام ١٢٦٦م ، وهو

[1]) أوروبا المسيحية ، ٢/٢٩٠ ، يان دوبرا تشيتسكي ، تاريخ الحروب الصليبية ، ٣/٨٦٠ ، ستيفن رنسيمان .

الآن في هذا المجمع يعيد أهمية ما ذهب إليه بيكون [١] .

ومع مرور الوقت برز صدق رأي فيلهلم الطرابلسي في عدم استطاعة الغرب الكاثوليكي الانتصار من الناحية العسكرية على المسلمين ، وفي نفس الوقت برزت أهمية غزو المسلمين غزواً عقائدياً من جهة تنصيرهم ، وناصره من بعده كثير من المفكرين واللاهوتيين الكاثوليك . وكان أبرزهم: ((ريموندو لول)) خاصة في مجمع فيينا الكنسي، والذي يعد المحطة الرئيسة الثانية لمسألة الاهتمام بتنصير المسلمين .

ثانياً : المجمع الكنسي المسكوني الخامس عشر (١٦ تشرين الأول ١٣١١ ـــ ٦ أيار ١٣١٢م) :

وقد افتتح هذا المجمع بابا روما إكليمنضوس (كليمنت) الخامس (٥ حزيران ١٣٠٥ ـــ ٢٠ نيسان ١٣١٤م) في فيينّا بفرنسا في ١٦ تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٣١١م، وذلك بعد أن فشلت كل الجهود الصليبية العسكرية ضد المسلمين في تلك الأوقات وما حدث من خروج نهائي للصليبيين وطردهم من أرض بيت المقدس عام ١٢٩١م، فتحطمت بذلك آمال الصليبيين في أن يكون لها شيء يذكر على أرض فلسطين وما حولها .

لهذا كله كانت فكرة غزو الأمة الإسلامية غزواً عقائدياً ـــ بعمليات تنصيرية مكثّفة مع إلمام ودراسة للغة الإسلام ، اللغة العربية؛ حتى يكون سلاحاً فعّالاً في أيدي المنصِّرين يستطيعون من خلاله أن يغزوا المسلمين في عقيدتهم ويشككوهم في إسلامهم ـــ هي المسيطرة على ذلك المجمع المسكوني الخامس عشر في فرنسا ، وذلك مع وجود دعاة ولاهوتيين مطالبين باستخدام هذه الطريقة (التنصير) في غزو المسلمين . أمثال الراهب الفرنسيسكي الأسباني ريموند لول (١٢٣٥ــ ١٣١٤م) ، فقد عمل مشروعاً ضخماً لخدمة هذه المسألة [٢] ، والذي على أساسه وافق البابا على أخذ مسألة تنصير المسلمين

---

[١]) أوروبا والمسيحية ، ٢/٢٨٩ ، ٢٩٠ ، يان دوبرا تشيتسكي .

[٢]) وهذا المشروع الضخم الذي وضعه الراهب ريموند لول سلك فيه مسلكين :

المسلك الأول : الدعوة إلى تأسيس معاهد وجامعات لتعليم لغة الإسلام (اللغة العربية) ودراسة بعض علوم الإسلام الأساسية .

=

مأخذ الجد ، والتي قد تعوّضه وطائفته الكاثوليكية ما خسروه من العساكر الصليبيين في حروبهم العسكرية ضد المسلمين على امتداد أكثر من قرنيين من الزمان ، فأصدر مرسومه البابوي بإنشاء كراسٍ جامعية في الجامعات الخمس الكبرى في أوروبا آنذاك : في جامعة باريس ، وأكسفورد في لندن ، وجامعة بولونيا ، وجامعة سلمنكا ، وجامعة الإدارة المركزية البابوية في روما لتدريس اللغة العربية وبعض العلوم الأساسية لفهم الدين الإسلامي [1] .

كما أن هذا الراهب الفرنسيسكاني قد استطاع أن يحصل على إذن من الملك يعقوب صاحب أرغونة ليقوم بعرض العقيدة النصرانية على المسلمين في مساجد برشلونة محتمياً بالسلطة النصرانية في أسبانيا [2] .

ثالثاً : مجمع انتشار الإيمان :

وقد أنشأت البابوية في عام ١٦٢٢م مجمعاً أسمته ((مجمع انتشار الإيمان)) يتولى الكرسي البابوي الإشراف عليه مباشرةً .

وهذا المجمع عبارة عن وزارة تتولى زمام التنصير وتهتم بالإرساليات ، وقد أطلقت عمليات تحقيق واسعة عن النشاط الإرسالي في العالم ، وقدّم لإرساليات التنصير إمكانيات عديدة في بداية تأسيسه ، أهمها : مطبعة متعدّدة اللغات . كما أنشأ نظام ((النوّاب الرسوليين)) وهم أساقفة مرسلون مهتمون بالتنصير مرتبطون مباشرةً بالبابا [3] .

فكل الإرساليات وعمليات التنصير الكاثوليكية من أيّ جهة (رهبانية) تابعة للكرسي البابوي بعد إنشاء هذا المجمع ((مجمع انتشار الإيمان)) أي بعد تاريخ ١٦٢٢م

= المسلك الثاني : الانخراط في مساجلة المسلمين والرد على معتقداتهم وتفكيرهم الديني الإسلامي ، مع حثه على الاستعداد العسكري المتواصل لمجاهدة المسلمين إذا سنحت الفرصة لذلك .

انظر في ذلك إلى : الإسلام في تصورات الاستشراق الأسباني ، ص ١٥٩ ، الدكتور . محمد عبد الواحد العسري .

[1]) تاريخ حركة الاستشراق ، ص ٣٢ ، يوهان فوك .

[2]) التبشير والاستعمار ، ص ١١٥ ، مصطفى الخالدي وعمر فروخ .

[3]) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص ٢٦٧ ، الأب جان كمبي .

يجب أن تكون خاضعة لتنظيم هذا المجمع وموافقته[1] .

رابعاً : المجمع الفاتيكاني الثاني ((المسكوني الكنسي الحادي والعشرون)) من ١١ تشرين الأول ١٩٦٢م إلى ٨ كانون الأول ١٩٦٥م [2] :

بدأ المجمع برئاسة بابا روما يوحنا الثالث والعشرين (١٩٥٨ــ ١٩٦٣م) وبدأ فيه بدورة واحدة فقط في خريف ١٩٦٢م ، ثم أكمله خلفه بابا روما بولس السادس (١٩٦٣ ــ ١٩٧٨م) وأكمله بثلاث دورات أخرى ، والدورة الثانية خريف ١٩٦٣م ، والدورة الثالثة خريف ١٩٦٤م ، والدورة الرابعة والأخيرة في سبتمبر ــ ديسمبر ١٩٦٥م [3] .

وقد أعلن هذا المجمع (المجمع الفاتيكاني الثاني) عن اتخاذه لقرارات خطيرة ومهمة لم تتخذ في مجامع مسكونية كنسية من قبل ، غيّرت بعض الشيء من منهجية الكنائس الكاثوليكية في العالم المعاصر ، وهي :

١) العمل على توصيل الإنجيل لكافة البشر ، أي ((تنصير العالم)) ، وأوّل ذلك تنصير المسلمين . جاء في وثيقة من وثائقه في هذا الأمر : ((وأمّا الذين لم يتقبلوا الإنجيل بعدُ فهم أيضاً مدعوُّون بطرقٍ مختلفةٍ إلى شعب الله ، وأوّلُهم ذلك الشعب الذي أُوتي العهودَ والمواعيدَ ، والذي منه خرج المسيح بحسب الجسد ... بيد أن تدبيرَ الخلاص يشمل أيضاً أولئك الذين يؤمنون بالخالق ، وأوّلُهم المسلمون الذين يُعلنون أنهم على إيمان إبراهيم ، ويعبدون معنا الله الواحد ، الرحمن الرحيم ، الذي يدين الناس في اليوم الآخر ، ... من أجل ذلك تُعنى الكنيسة العناية الحارَّة بتعزيز الرسالات لأجل مجد الله وخلاص جميع الناس متذكّرة وصيةَ الربِّ القائل : ((بشّرُوا بالإنجيل الخليقة كُلّها)) مرقس : ١٦ ــ ١٥))[4] .

وجاء في وثيقة أخرى تحت عنوان : ((طابع الكنيسة الإرسالي)) : ((فكما أن

---

[1]) المرجع السابق ، ص ٢٦٧ ، ٢٧٧ ، الأب جان كمي .
[2]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ص ٩٠٦ .
[3]) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص ٣٧٩ ــ ٣٨٠ ، الأب جان كمي .
[4]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني ، ص ٩٤٠ ، وثيقة رقم (١٦) في الجلسة الخامسة العلنية ، ٢١ تشرين الثاني (١٩٦٤م) : دستور عقائدي في الكنيسة .

الابن قد أرسلَه الأب ، كذلك أرسل هو أيضاً الرسل (يوحنا ٢٠ : ٢١) قـائلاً لهـم : ((فاذهبوا إذن وعلّموا جميع الأمم عمِّدُوهم باسم الآب والابن والروح القدس ، ولقّنوهم أن يحفظوا كُلَّ ما أوصَيتكم به ...)) (متى ٢٨ : ١٨ ـــ ٢٠) وهذه الوصية الرسمية من المسيح بنشر حقيقة الخلاص قد تسلّمتها الكنيسةُ من الرسل لِتواصلَ القيامَ بها حتى أقاصي الأرض (أعمال الرسل ١ : ٨) ، لذلك تتبنّى قولَ الرسول : ((الويـل لي إن لم أُبَـشِّرْ بالإنجيل)) (الرسالة الأولى لأهل كورنثوس ٩ : ١٦) ولذلك لا تني تبعث قوافلَ المرسلين إلى أن يتم إنشاء الكنائس الحديثة فتتولّى هي بنفسها مُواصلةَ التبـشير بالإنجيـل ... إنّ واجب نشرِ الإيمان منوطٌ بكلّ تلميذ للمسيح على حسب طاقته ...))[1] .

فمثل هذه الوثائق المقرّرة في المجمع الفاتيكاني الثاني أصبح لزاماً على كل كـاثوليكي أن يُكرِّز الإنجيل (يعمل على تنصير الآخرين) لا فرق في هذا الواجب عندهم بين من هو منخرط في السلك الاكليروسي للطائفة الكاثوليكية ، أو غيره من الكاثوليكيين الآخـرين الذين يُسمُّونهم بالعلمانيين[2] .

فجاء في إحدى وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني : ((إن العلمانيين ، وقـد جُمِّعـوا في شعبِ الله ويكوّنون جسد المسيح الواحد تحت رأسٍ واحد ، لمدعوُّون ، أيّـاً كـانوا ، للإسهام ، كأعضاءٍ حيّةٍ ، في نمو الكنيسة وتقديسِها باستمرار ...

فجميعُ العلمانيين إذن مُلتزِمُون بهذا الواجب النبيل ، واجب العمل علـى أن تبلـغ مقاصدُ الله الخلاصية، أكثرَ فأكثر، جميعَ الناس في جميع الأزمنة وفي الأرض كُلِّها...))[3] .

٢) ابتداع طريقة ماكرة وخبيثة في مواجهة المسلمين وغزوهم عقدياً وفكرياً تُنحّيهم

---

[1]) المرجع السابق ، ص ٩٤ ، وثيقة رقم (١٧) في الجلسة الخامسة العلنية ، ٢١ تشرين الثاني (١٩٦٤م) : دستور عقائدي في الكنيسة .

[2]) المقصود بالعلمانيين عند الكاثوليك هم : مجموعة النصارى الذين ليسوا أعضاءً في الدرجات المقدسـة ـــ عندهم ـــ ولا في الحالة الرهبانية التي أقرّها الكنيسة . انظر : إلى وثيقة رقم (٣١) في الجلسة الخامسة العلنيـة ، ٢١ تشرين الثاني (١٩٦٤م) دستور عقائدي في الكنيسة ، من وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني . كتاب : الكنيـسة الكاثوليكية في وثائقها ، ترجمة : المطران يوحنا منصور ، والأب حنا الفاخوري ، ص ٩٥٦ .

[3]) وثيقة رقم (٣٣) في الجلسة الخامسة العلنية ، ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٤م في ((دستور عقائدي في الكنيسة)) ، من وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني ، كتاب : الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ص ٩٥٨ ، ٩٥٩ .

من المواجهة العسكرية مع المسلمين والتي تُكلِّفهم كثيراً من الأموال والأرواح ولا يجنون منها فائدة كبيرة ، وهذه الطريقة الجديدة التي ابتدعها المجمع الفاتيكاني الثاني هي : (مسألة الحوار مع المسلمين) .

جاء في إحدى وثائق هذا المجمع : ((والكنيسةُ الكاثوليكيّةُ لا تَنبذُ شيئاً مما هو في هذه الديانات حقٌّ ومقدّسٌ ، وتُولي تقديرَها باحترامٍ صادقٍ هذه الطرقَ المسلوكة في العملِ والحياةِ ، وهذه القواعد والتعاليم ، التي ، وإن اختلفت في أمور كثيرةٍ عمّا تقول به هي وتُعلِّمُه ، تحمِلُ غير مرة قبساً من شعاع الحقيقة التي تُنيرُ جميعَ الناس . غير أنّها تُبشِّرُ، ويجب أن تُبشِّرَ بلا انقطاعٍ ، بالمسيح الذي هو ((الصراطُ والحقيقةُ والحياةُ)) (يوحنا ١٤ : ٦) ...

وتنظر الكنيسةُ بتقديرٍ إلى المسلمين الذين يعبدون الله الواحد ، الحيَّ القيوم ... وإنّهم على كونهم لا يعترفون بيسوع إلهاً ، يكرمونه نبياً ، ويكرمون أمّه العذراءَ مريم ، مبتهلين إليها أحياناً بإيمان ... .

ولئن كان قد وقعَ ، في غُضُونِ الزمنِ كثيرٌ من المنازعات والعداوات بين المسيحيين والمسلمين فإنّ المجمع يَحرِّضُهم جميعاً على نسيان الماضي ، والعمل باجتهاد صادقٍ في سبيل التفاهم في ما بينهم ...))[1] .

٣) تبرئة اليهود من دم المسيح عيسى عليه السلام ـ في زعمهم أنه صُلب ـ ، وهي وثيقة خطيرة قلبت اعتقاد النصارى القديم في اليهود رأساً على عقب ، مما يدل دلالة واضحة إلى المدى البعيد الذي وصل إليه الاختراق اليهودي للبابوية وكنائسها الكاثوليكية ودرجاتها الكهنوتية المقدسة[2] .

جاء في إحدى وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني : ((... فكنيسة المسيح تعترفُ بأنّ بواكيرَ إيمانها ودعوتها تُوجَدُ من قبيل سرِّ الخلاص الإلهي في الآباء وموسى والأنبياء ... وأن خلاص الكنيسة مرموز إليه بوجه سريٍّ بخروج الشعب المختار من أرض العبودية ...

---

[1]) الجلسة السابعة العلنيّة ، ٢٨ تشرين الأول ١٩٦٥م : بيان في علاقات الكنيسة بالديانات غير المسيحية ، وثيقة رقم (٢) ورقم (٣) . المجمع الفاتيكاني الثاني ، كتاب : الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ص ٩٩٠ ، ٩٩١ .

[2]) انظر ، عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين ، ص ٦٧ ـ ٨٣ ، محمد بن علي آل عمر .

ولا تني الكنيسةُ تجعلُ نُصْبَ عينيها كلماتِ الرسولِ بولس في ذوي قُرْباهُ الـذين ((لهـم التبنّي ، ولهم المجدُ والعهودُ والشريعةُ ، ولهم العبادةُ المواعيدُ والآباءُ ، ومنهم وُلِدَ ، بحسب الجسد ، المسيح)) (رومية ٩ : ٤ ــ ٥) ، ابنُ العذراء مريم . وتُذكِّر أيضاً بأن الرسلَ ، وهم أساسُ الكنيسة وعمادُها ، قد وُلِدوا في الشعب اليهودي ، وكذلك أيضاً عددٌ كبير من التلاميذ الأوّلين الذين دَعَوا في العالم بإنجيل المسيح ... .

وبإزاءِ هذا الواقعِ ، واقع التراثِ الروحيِّ العظيم ، المشترك بين المسيحيين واليهـود، يريدُ المجمعُ أن يشجّعَ ويُحرّض على التعاونِ والتقدير المتبادل بين الملتين ... .

ولئن يكن ذَوو السلطان من اليهود ومشايعوهم هم الذين دفعوا على قتل المـسيح ، فإنّ ما اقترفَتْهُ الأيدي إبّان الآمة لا يمكنُ إسناده ، في غير تمييز ، إلى جميع اليهود الـذين عاشوا آن ذاك ، ولا إلى اليهود العائشين في عصرنا . من أجل ذلك لا يجوز على كـون الكنيسة هي الشعب الجديد لله أن يُشهَّر باليهود بأنهم منبوذُون من الله وأنهم ملعونـون ، كما لو كان ذلك يُستنتجُ من الكتاب المقدس))[1] .

و لا شك في أن هذا التقارب بين النصارى واليهود ، دليل على فشل الحوار المزعوم بين النصارى والمسلمين ، والذي تزعم فيه الكنيسة الكاثوليكيّة أنّه سوف يُنسي العـداوة بين النصارى والمسلمين ، وهي ، أي الكنيسة الكاثوليكيّة ، في نفس الوقت تمد يدها لمن يطعن المسلمين في صدورهم وظهورهم ، واحتلّوا أراضيهم المقدسة ، وهم اليهود .

خامساً : قرارات بابوية ما بعد المجمع الفاتيكاني الثـاني في حـث أتبـاع الطائفـة الكاثوليكية لمواصلة التنصير :

أ) وثيقة صدرت بموافقة بابا روما بولس السادس (١٩٦٣ ــ ١٩٧٨م) بمسمى ((التحريض الرسـولي ــ Evangelii nuntiandi)) في ٨ كـانون الأول ١٩٧٥م[2] .

---

[1]) الجلسة السابعة العلنيّة ، ٢٨ تشرين الأول ١٩٦٥ : بيان في علاقات الكنيسة بالديانات غير المسيحية ، وثيقة رقم (٤) ، المجمع الفاتيكاني الثاني ، الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ص ٩٩١ ، ٩٩٢ .

[2]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ص ١٠٩٦ ــ ١٠٩٩ .

وهذه مقتطفات من هذه الوثيقة البابوية :

((إن الشهادة التي يعطيها المسيح الرب لنفسه ، والتي التقطها القديس لوقا في إنجيله ((لا بد لي من إعلان البشارة بملكوت الله)) ، لها بلا ريب مؤدى كبير ، إذ إنّها تحدد بكلمة كل رسالة يسوع : ((لذلك أرسلت)) ...)) .

((... تعلم الكنيسة جيداً أنّ عليها نقل الإنجيل لأنها تعي وعياً شديداً أن كلام المخلص : ((لابد لي أن أبشّر بملكوت الله)) ينطبق تماماً عليها بحق . وتضيف مع القديس بولس : ((إن التبشير بالإنجيل ليس لي موضوع فخر ، إن ذلك ضرورة موضوعة عليّ والويل لي إن لم أبشر)) ، فالتبشير بالإنجيل هو نعمة الكنيسة ودعوتها الخاصة والتعبير عن أعمق ماهيتها . الكنيسة موجودة لأجل البشارة ، أي لأجل الكرازة وتعليم كلام الله ...)) .

((إن التبشير بالنسبة إلى الكنيسة ، هو في الحقيقة شيء واحد مع نقل البشارة إلى جميع الأوساط البشرية ...)) .

((... والأمر بالنسبة إلى الكنيسة ليس فقط في إعلان الإنجيل في أقطار تتسع دوماً ، أو لجماهير بشرية تزداد دوماً عدداً ، ولكن أيضاً في أن تبلغ بل تقلب بقوة الإنجيل ذاتها ، مقاييس الحكم ، والقيم المسيرة ، ونقاط الاهتمام وخطوط الفكر ومصادر الوحي ، وأنماط حياة البشرية المضادة لكلام الله وقصده الخلاصي)) .

((إن القطيعة بين الإنجيل والثقافة هي بلا ريب مأساة في عصرنا ، كما كانت في عصور أخرى . لذلك يجب بذل كل الجهود في سبيل تبشير كريم للثقافة البشرية ، أو بكلام أصح للثقافات ذاتها . فلا بد من تجديد لها بالبشارة . إلاّ أنّ هذا التلاقي لن يتم إذا لم تعلن البشارة)) .

ب) وثيقة الجمعية العمومية في الفاتيكان لأساقفة أمريكا اللاّتينية في بويبلا (المكسيك) في ١٣ شباط ١٩٧٩م بموافقة بابا روما يوحنا بولس الثاني (١٦ تشرين ١٩٧٨ ــ ٢ أبريل ٢٠٠٥م) [1] .

---

[1]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ص ١١٠٧ ، ١١٠٩ ـــ ١١١٢ .

وهذه مقتطفات من هذه الوثيقة البابوية :

((إن شعب الله ، بما أنه سرّ الخلاص الشامل ، هو بكليته في خدمة المشاركة بين البشر والله ، والمشاركة بين أبناء الجنس البشري كله . لذلك فالكنيسة هي شعب من الخُدّام . وطريقتها الخاصة في الخدمة هي التبشير)) .

((والجميع — الرؤساء والعلمانيون والرهبان — في شعب الله، هم خدام الإنجيل، كل واحد بحسب مهمته وموهبته الخاصة . والكنيسة كخادمة للإنجيل تخدم الله والبشر معاً ، ولكن لتقود هؤلاء إلى ملكوت الرب)) .

((لا بد من أن يلج التبشير عمق قلب البشر والشعوب . لذلك تقصد حركيته الاهتداء الشخصي والتحول الاجتماعي . ولا بد أن يمتد التبشير إلى كل الشعوب . ولذلك تقصد حركيته الجنس البشري بأسره ...)) .

ج) وثيقة صدرت بموافقة بابا الفاتيكان يوحنا بولس الثاني (١٩٧٨ — ٢٠٠٥م) بمسمى ((إرشاد رسولي بعد المجمع)) Christifideles Iaici في ٣٠ كانون الأول ١٩٨٨م [١] .

وفيها : ((إن رسالة الكنيسة الخلاصيّة في العالم ، لا تتحقق فقط بواسطة الخُدّام الذين نالوا سرّ الكهنوت ، بل بواسطة جميع المؤمنين العلمانيين أيضاً ، وهؤلاء بصفتهم معمدين ومدعوّين للاضطلاع برسالة نوعيّة ، يشاركون المسيح ، كلٌّ بحسب طاقته ، في خدمة الكهنوتيّة والنبويّة والملوكيّة ... بحيث يضعون مواهبهم وطاقاتهم في خدمة التبشير ...)) .

د) وهناك وثائق بابوية أخرى في شأن أهمية التنصير والحث عليه ، وهي بموافقة بابا الفاتيكان يوحنا بولس الثاني ، وهي :

- وثيقة بعنوان (الرسالة العامة) (Redemptoris missio) في ٧ كانون الأول عام ١٩٩٠م [٢] .

---

[١]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ص ١١٦٢ ، ١١٦٦ .

[٢]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ص ١١٧٢ ، ١١٧٤ — ١١٧٥ .

- الوثيقة النهائية لمؤتمر أساقفة أمريكا اللاّتينيّة في سان دومينغو ، والمسماة : ((يسوع المسيح المبشر الحي في الكنيسة)) من١٢إلى ١٨ تشرين الأول عام ١٩٩٢م[١].
- وثيقة بعنوان (الرسالة الرسولية) (Eccesia in Africa) في ١٤ أيلول عام ١٩٩٥م[٢].

التنصير والاستعمار (المصالح المشتركة) :

بدأت أطماع الغرب النصراني ـ لما أصبحت بيد القوة ـ تنفذ في العالم الإسلامي عندما أصبح ضعيفاً عن طريق الحروب الصليبية ـ الاستعمار القديم ـ ، ثم لما فشل ذلك الغزو العسكري الصليبي انقلب إلى غزو فكري، عقائدي، تنصيري، موجّه للأمة الإسلامية إبّان قوتها ، ثم لما ضعفت عسكرياً وتقوّت الدول الغربية النصرانية استأنفت حروبها العسكرية الصليبية على الأمة الإسلامية ، ولكنّها لم تترك غزوها الفكري العقدي التنصيري على الأمة الإسلامية، بل وجدت له طرقاً وأساليب جديدة . فأصبحت لذلك مصالح مشتركة بين حركة الغزو الفكري العقدي التنصيري وبين حركة الاستعمار، كل منهما يتكئ على الآخر ويتعاون معه للقضاء على الأمة الإسلامية .

وأهم تلك الخطوات في هذا التعاون المشترك كانت في عهد الكشوفات الجغرافية النصرانية الأولى البرتغالية والإسبانية .

يقول الأب جان كمبي : ((إن الاكتشافات الكبرى التي تمّت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر كانت نقطة الانطلاق في تبشير العالم ، فأصبحت الكنيسة جامعة بالفعل . على أن التبشير اختلط بالتجارة والاستعمار ، وتقلّبات السياسة والتراعات العالمية. في خلال القرن الخامس عشر ، منح الكرسي الرسولي في سلسلة من البراءات ، الولاية الزمنية والروحية على الأراضي المكتشفة والتي ستُكتشف ... فحدّد حقل الاكتشافات : الغرب للأسبانيين ، والشرق للبرتغاليين ، وتخلّى البابا لصالح الملِكَين، كل

---

[١]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ص ١١٨٥ ـــ ١١٨٦ .

[٢]) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ، ص ١٢٠٦ ـــ ١٢٠٧ .

في أراضيه ، عن مسؤولية تنظيم الكنيسة ، من تحديد الأبرشيات وتعيين الأساقفة إلخ ... فأصبح الملكان إلى حد ما ، رئيسي الكنائس الجديدة ، واكتفى البابا بالتصديق على التعيينات)) [١] .

وعندما وجد ساسة الدول الغربية النصرانية طريقاً على حُكّام الدولة الإسلامية العثمانية ، وجدت ـــ بسبب ذلك ـــ جحافل المنصِّرين طريقاً على الشعوب الإسلامية .

((وليس من المستغرب أن تستجيب الدول الغربية لرغبة مبشريها ، أليس في ذلك تأييد للنفوذ السياسي ؟ من أجل ذلك كانت هذه الدول تضغط على الدولة العثمانية بين الحين والآخر من أجل مبشريها ، فتلين الدولة العثمانية أمام هؤلاء المبشرين .

أراد الأتراك مرة إغلاق بعض مدارس المبشرين ، ولكنّهم تراجعوا أمام ضغط سياسي [٢] .

فقد استفاد كل من الآخر في تحقيق أهدافه ، وهذا ما أشار إليه أحد الفرنسيين المعاصرين للنشاط التنصيري حيث يقول : ((لقد وجد كل طرف مصلحته في هذا الاتفاق بين الحكومات الفرنسية والجماعات الكاثوليكية ، فحيث ينشط تأثيرها يُفتح حقل جديد لنشاط المرسلين ، وعلى عكس ذلك تماماً ، فإن الأهالي الذين يكسبهم المرسلون يتحولون إلى أنصار جدد يُضحّون في سبيل مصالحنا ، ونمارس عليهم حمايتنا الرسمية أو في الأقل وصايتنا))[٣] .

لذلك انطلقت الإرساليات التنصيرية الكاثوليكية تجوب أنحاء الدولة العثمانية ، ثم بعدها الدول الإسلامية المنفصلة ، بكُلّ حرية واطمئنان تبث سمومها ، وتنشر عقائدها ؛ لأن الدول الغربية النصرانية عموماً ، وفرنسا وإيطاليا والبابوية خصوصاً كانت تحميهم وتؤيِّدهم [٤] .

---

[١]) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، الأب جان كمبي .

[٢]) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص ١١٧ ، مصطفى الخالدي وعمر فروخ .

[٣]) التبشير بين الأصولية المسيحية وسلطة التغريب ، ص ٦ ، عدنان عويّد .

[٤]) التبشير والاستعمار ، ص ١٢١ ، الخالدي وفروخ ، الانحرافات العقدية والعلمية ، ص ٩٣٣ ، علي بخيت الزهراني .

ففي بداية القرن السابع عشر، حصلت فرنسا على حق حماية الكاثوليك الأوروبيين مع كنائسهم ورجال دينهم المقيمين في الدولة العثمانية ، ثم أخذت تتوسع هذه الحملة الفرنسية لتشمل أيضاً الكاثوليك العثمانيين أنفسهم — أي العرب وغير العرب الخاضعين للسلطة العثمانية — والإرساليات الأوروبية العاملة بينهم [١] .

كما أن الانتداب الفرنسي أتاح حرية واسعة المدى للتنصير في سورية ولبنان ، وكانت الكنيسة الكاثوليكية تضع لنفسها حدود هذه الحرية بالتعاون مع الموظفين الفرنسيين الذين كانوا كاثوليكاً ، فمدارسهم الكاثوليكية، ومستشفياتهم، وهيئاتهم الاجتماعية، وأعمالهم التنصيرية المباشرة كانت كلها تمضي في أعمالها التنصيرية من غير أن تلقى من الحكومة أي عرقلة تُذكر [٢] .

وقد فتحت الحكومة الفرنسية المجال للإرساليات التنصيرية الكاثوليكية لإنشاء مدارس تابعة لها في شمال إفريقيا (المغرب وتونس والجزائر) خاصة في عهد الجنرال ليوتي Lutty. فقد كان هذا الرجل العسكري مستميتاً في تكوين مشروع يهدف إلى تنصير أبناء المنطقة ، وقد قال رئيس تحرير صحيفة الصليب الباريسية مسيو جان كروا عن هذا الجنرال : ((تلك سياسة رجل بعيد النظر وجديرة بأن تكون سياسة من استحقَّ لقب (ليوتي الأفريقي) كما استحقه من قبل سيبون sipont القائد الروماني العظيم))[٣] .

وقد استفادت تلك الإرساليات التنصيرية من دعم الحكومة الفرنسية لها لأقصى حد تستطيع الاستفادة منه، فركّزت في دعوتها على الأيتام والفقراء ، ولكن العدد بقي ضئيلاً بالنسبة لمقاصد الحكومة الفرنسية وأطماع الإرساليات الكاثوليكية ، فأخذت فرنسا تحارب التعليم الديني الإسلامي واللغة العربية بقوة السلاح[٤] .

ثم إن الحكومة الفرنسية الاستعمارية — وغيرها من الحكومات النصرانية — تتكفل

---

[١]) التبشير بين الأصولية المسيحية وسلطة التغريب ، ص ٤٢ ، عدنان عويّد .

[٢]) التبشير والاستعمار ، ص ١٢٥ ، مصطفى الخالدي وعمر فروخ .

[٣]) مجلة المغرب الكاثوليكي ، العدد (٣) نوفمبر ١٩٢٣م ، نقلاً عن : الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، مصطفى نصر المسلاتي .

[٤]) الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين ، ص ١٣٤ ، ١٦١ ، مصطفى المسلاتي .

بطباعة الأناجيل والكتب النصرانية للإرساليات التنصيرية بلغات الأقوام الإسلامية المحتلة إن كانت عربية أو بربرية أو غيرها [١] .

كما أن الحكومة الإيطالية الكاثوليكية تحاول أن تمسك زمام المبادرة للاستفادة من الإرساليات الكاثوليكية في المناطق التي احتلتها ، وذلك لوجود السلطة الروحية الأكبر في أوروبا على أراضيها وهي ((الفاتيكان)) .

فقد كانت تلك الإرساليات التنصيرية هي الطلائع الأولى التي سبقت الاحتلال الإيطالي ليبيا وجزء من القرن الإفريقي (الصومال وما حوله) وباقي مستعمراتها الأخرى [٢] .

يقول التقرير الذي رفعه الأسقف (M. salvator colombo) إلى مقر عمله في الكنيسة الكاثوليكية بروما بأنه غادر القسيس (lendro basili) ليندرو باسيلي مدينة روما في ١٩٠٤/١٠/٢١م ، وذلك على رأس بعثة تبشيرية إلى كسمايو ، كان هدفها غزو العقيدة الإسلامية في المناطق الصومالية ، وتنصير أولاد المسلمين الفقراء ، وتمهيد الطريق لاستعمار البلاد ، وسيطرة إيطاليا على مكاسبها وثروات أراضيها .

وتمكن القسيس ليندور باسيلي ــ الذي يُعد مؤسس المدارس التنصيرية الكاثوليكية في جنوب الصومال ــ أن يؤسس عدداً كبيراً من المراكز التنصيرية في كل من كسمايو، وجلب، ونيتوى ، وذلك بتاريخ ١٩٠٦/٢/١٢م [٣] .

وكذلك فإن الحكومة الإيطالية فتحت المجال للرهبنة الفرنسيسكانية للعمل بحرية في ليبيا [٤] .

ولقد كانت الحكومة الإيطالية تحاول دائماً عبر إرسالياتها التنصيرية ومستشرقيها وبكلّ الطرق أن تبث بين الشعوب الإسلامية التي احتلتها أن الإسلام دين التخلّف وأن

---

[١]) الإسلام الغزو الفكري ، ص ١٧٥ ، د. محمد عبد المنعم خفاجي ، د. عبد العزيز شرف .

[٢]) الاستشراق السياسي، ص ١٦١ ، ١٦٢، مصطفى المسلاتي ، التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته، ص ٧٢ ، سيد أحمد يحيى .

[٣]) التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، ص ٧٢ ، سيد أحمد يحيى .

[٤]) الاستشراق السياسي ، ص ١٦٣ ، مصطفى نصر المسلاتي .

العنصر الإسلامي والعربي قاصر في مجالات التقدُّم الحضاري ، كما كانت تحاول تشويه تاريخ تلك البلدان المحتلة مرتكزة على التاريخ الروماني وأمجاد روما القديمة ، فلم تدع وسيلة إلاَّ استخدمتها في سبيل إبراز التفوُّق النصراني والروماني على الإسلام والعروبة [1] .

وهذا الكاردينال لافيجري (١٨٢٥ ــ ١٨٩٢م) ــ وكان قد عمل مع الحكومة الفرنسية الاستعمارية في الشمال الأفريقي خاصةً في الجزائر ــ يرى ضرورة التعاون بين الاستعمار والتنصير ، فالقوة العسكرية واستعمال العنف ــ عنده ــ ضرورة لازمة في مبدأ الأمر مع الأهالي المسلمين حتى يخضعوا تماماً، ثم يأتي دور الإرساليات التنصيرية لتفتح أعين أولئك الأهالي على تأخرهم وسوء حالهم ووجوب الخروج من هذه الحالة المتأخرة بالدخول في النصرانية، وبهذا يشعر الأهالي بالرفق والرحمة بعد القوة والقسوة والعنف،وأن هذه الإرساليات يمكن أن تنجح حتى في فشل العمل العسكري والإداري[2].

وكان البابا بيوس التاسع (١٦ حزيران ١٨٤٦ــ ٧ شباط ١٨٧٨م) ، والكاردينال لافيجري يحدوهما أمل تحقيق حلم الحركة الصليبية القديمة ــ منذ الحرب الصليبية الثامنة بقيادة الملك الفرنسي لويس التاسع عام ١٢٧٠م على شمال إفريقيا ــ والمتمثل في وجوب بعث النصرانية في الشمال الأفريقي . لذلك كتب الكادرينال لافيجري في ٥ مايو عام ١٨٦٧م إلى الإرساليات التنصيرية هناك قائلاً : ((سآتيكم إخواني الأعزاء في ساعة مشهورة في تاريخ إفريقية المسيحية ، الكنيسة وفرنسا متفقتان على إحياء أمجاد الماضي))[3].

ومن الدعم والحماية للنشاط التنصيري ، أنه لا يُلقى القبض على أي راهب أو راهبة حتى تقوم الدول الاستعمارية بمساعيها الجادة المتواصلة لحماية هذا الشخص خاصة في قارة مثل إفريقيا ، فقد كان القانون فيها ضعيفاً إلى حد ما في تلك الأوقات، و بها حركات معارضة وثورات عامة بها حالة غليان مستمر . ومن المعلوم أن الكنائس العاملة في أفريقيا متعددة الجنسيات ، ورغم الاختلافات المذهبية فيما بينها فإنّها تتعاون في مجال التنصير،

---

[1]) المرجع السابق ، ص ١٦٢ ، مصطفى نصر المسلاتي .

[2]) الإسلام والغزو الفكري ، ص ١٧٧ ، ١٧٩ ، د. محمد خفاجي ، ود. عبد العزيز شرف

[3]) مدخل إلى تاريخ حركة التنصير ، ص ٧٥ ، د. مملوح حسين .

وتقسم فيما بينها المناطق والمقاطعات حتى لا تتضارب مصالحهم وتتصادم [1] .

ولمصلحة الدول الاستعمارية النصرانية جنّدت كلَّ الجهود التنصيرية والدراسات الاستشراقية لتحليل الأمة الإسلامية والعربية إلى شرائح .

وقد جنّد الاستعمار الفرنسي الرهبان الكاثوليك ، وصنع منهم أداة ثقافيّة لتنفيذ مخططاته .

ولقد رحّب الرهبانُ النصارى العرب ــ مثلاً ــ بسقوط مدينة الجزائر في يد فرنسا عام ١٩٣٠م وعُدَّ ذلك عندهم أعظم فتح ، ومن أهم الحوادث العالمية على الإطلاق . وابتهجوا لذلك وهم الذين ناصبوا تركيا العداءَ منتقدين العرب أن يبقوا ضمن الحلف أو الخلافة الإسلامية ، في حين أنهم امتدحوا وطالبوا بأن تنضوي الأقليات النصرانيّة في المشرق تحت علم فرنسا وقداسة البابا الروحية [2] .

فالبابوية وكنائسها تمتلك علاقات قوية ومصالح مشتركة مع دول الغرب الاستعماري ولكن خارج نطاق أراضيها الأوروبية، أي علاقات مميزة خارجياً فقط ، فالعلاقة بينهم داخل النطاق الأوروبي سيئة منذ عهد الثورة الفرنسية التحررية عام ١٧٩٨م .

ولا شك في أن البابوية وكنائسها استفادت من تلك العلاقة الخارجية في دعم إرسالياتها التنصيرية في ظل تلك الحكومات الاستعمارية لأغلب أجزاء العالم الإسلامي، كما أن تلك الحكومات النصرانية الغربية استفادت من البابوية وكنائسها لتركيع الشعوب المحتلة عقائدياً ونفسياً لأطماعها الاستعمارية .

وهذا القائد العسكري الجنرال الفرنسي بيجو، كان دائماً يقول للقسس والرهبان المرافقين له عندما يُحضرون أمامه بعض الأطفال الجزائريين المسلمين الذين قُتل أهلهم في المعارك أو في حملات الإبادة التي كان يقوم بها ضد الجزائريين : ((حاول يا أبتي أن تجعلهم مسيحيين ، وإذا فعلت فلن يعودوا إلى دينهم ليطلقوا علينا النار)) [3] .

---

[1]) التنصير والتغلغل الاستعماري في أفريقيا ، ندوة بحثية تحت إشراف جامعة إفريقيا العالمية ، ورقة الدكتور : خالد سر الختم ، بعنوان : صور الاختراق الاستعماري والكنسي في أفريقيا ، ص ٢٨٠ .

[2]) الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين ، ص ١٢٦ ــ ١٢٧ ، مصطفى نصر المسلاتي .

[3]) التبشير بين الأصولية المسيحية وسلطة التغريب ، ص ٢١ ، عدنان عويّد .

((ويستغرب المبشر هنري جسب كيف أن فرنسة قد طردت اليسوعيين من بلادها ثم هي تنفق عليهم في الخارج ملايين الفرنكات ذهباً . ولا غرو فإن فرنسة كانت ترسل اليسوعيين إلى الخارج عُمّالاً سياسيين لها ودعامة اجتماعية لآرائها وخالقي مشاكل في سبيل مصالحها . ومع أن فرنسة كانت عدواً لليسوعيين في بلادها فإنها كانت لليسوعيين في الخارج الصنم الذي يعبدونه ، وكان اليسوعيون يعدُّون كل تعرض لفرنسة تعرضاً للبابا نفسه))[1] .

ويقول جاك مندلسون : ((حينما تكون حالة الشبان الأفريقيين سعيدة « فإنهم لا يتعبون من ترديد القصة القديمة : إن المبشرين جاءوا إلينا وقالوا إننا نريد أن نعلمكم العبادة » وقلنا حسناً ، إننا نريد أن نتعلم العبادة . وطلب المبشرون مِنّا أن نغلق أعيُننا ، وفعلنا ذلك وتعلمنا التعبد . وحينما فتحنا أعيننا ، وجدنا الإنجيل في يدنا ، ووجدنا أراضينا قد اغتصبت .

ولكن هناك أيضاً الكلمات المريرة ، كلمات تكررت بلا توقف في إفريقيا كلها : إن حركة التبشير المسيحية كانت محاولة لإخماد الروح الأفريقية))[2] .

فالإرساليات التنصيرية تساعد الحكومات الاستعمارية في تطويع الأهالي وإقناعهم بالخضوع لها ، ومقابل ذلك تدفع الحكومات إعانات للإرساليات وتمنحها تسهيلات وامتيازات ((فدعاوى التبشير تعد أهم مداخل الاستعمار على المستعمَرين ، فهي تدّعي بأنها المنقذ من الضلال والقائد إلى التحضر والمدنية))[3] .

وبهذا الارتباط الوثيق بين التنصير والاستعمار وعملهما المشترك على الشعوب المستعمرة ((لا تتحقق حالة اغتصاب الروح فحسب ، بل وتستلب أيضاً ، لتحقق فيما بعد خيانتها لذاتها وتاريخها))[4] .

---

[1]) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص ١٢١ ، مصطفى خالدي ، وعمر فروخ .

[2]) جاك مندلسون صاحب كتاب : الرب والله وجوجو . يتكلم فيه عن الأديان في أفريقيا. انظر : حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، ص ١٣٣ ، أحمد عبد الوهاب .

[3]) التنصير والتغلغل الاستعماري في إفريقيا ، ص ٢٧٧ « ورقة بحث بقلم : د. خالد سر الختم ، بعنوان : صور الاحتراق الاستعماري والكنسي في إفريقيا .

[4]) التبشير بين الأصولية المسيحية وسلطة التغريب » ص ٧ ، عدنان عويّد .

لذلك قالت صحيفة الجهاد المصرية : ((الواقع أن التبشير حركة استعمارية ، وليست حركة هداية إلى دين إلهي أيّا كان الذي تدعو إليه ، فإننا لا نعرف ديناً من الأديان يوصي بالغدر والخيانة ، إنما أحابيل للعيش ينصبها المستعمرون لخدمة المطامع السياسية ويتوسلون إليها بأناس يرتزقون من هذه المواد))[1] .

لذا عرّف كثير من الباحثين التنصير بأنه حركة : سياسية استعمارية مع كونها حركة دينية .

الكنيسة الكاثوليكية والإرساليات التنصيرية :

لقد اهتمت البابوية وطوائفها الكاثوليكية بالإرساليات التنصيرية إلى العالم الإسلامي اهتماماً بالغاً ، وقد كانت هذه الإرساليات تمارس أعمالها التنصيرية من خلال تخطيط مركزي وقيادة صارمة تتمثل في البابوية [2] .

وقد كانت هذه الإرساليات التنصيرية الخيار الأمثل للكنيسة الكاثوليكية في ظل ضعف دولها الغربية النصرانية عسكرياً ، بل قد كانت كذلك حتى في قوتها .

والإرساليات التنصيرية تعمل على تحقيق هدف مزدوج في البلاد الإسلامية ، أحد طرفيه هدم أو ما تسميه هذه الإرساليات تحليل ، والمقصود به تشويه عقيدة الإسلام ومبادئه الأخلاقية في عقول أبناء المسلمين ، والطرف الآخر من هذا الهدف المزدوج هو ما تسميه تلك الإرساليات تشييداً أو تركيباً ، والمقصود به إدخال أولئك الذين تشوشت في عقولهم العقيدة والمبادئ الإسلامية من أبناء المسلمين إلى النصرانية [3] .

فهم بذلك يجدون صعوبة بالغة في تنصير أبناء المسلمين ، ولكن عندهم أن هذه المهمة ليست مستحيلة ولأجلها جيشوا الجيوش من الرهبان والراهبات ، وضخوا الأموال الطائلة لدعم هذا الهدف ((تنصير المسلمين)) وتحقيقه .

---

[1]) صحيفة الجهاد عدد يونيو عام ١٩٣٢م نقلاً عن الإسلام والغزو الفكري ، ص ١٨٧ ، د. محمد عبد المنعم خفاجي ، د. عبد العزيز شرف .

[2]) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، ص ٢٠٣ ، أحمد عبد الوهاب .

[3]) الغارة على العالم الإسلامي ، ص ١٢ ، لوشا تليه (بتصرف) .

لذا يجب ألاّ يستهين المسلمون بأعمال الإرساليات التنصيرية (كاثوليكية كانت أو بروتستانتية أو أرثوذكسية أو غيرها من الجماعات النصرانية المختلفة) ، وألاّ نراهن على الثقافة الإسلامية في قلوب أبناء المسلمين وعقولهم ، ونعتقد ، ونحن جالسون ، أن هذا كفيل بإحباط كل المحاولات التنصيرية الموجهة إلى الأمة الإسلامية ، خاصة إذا علمنا أن كثيراً من الدول الإسلامية لا تهتم في خططها التعليمية التنموية بترسيخ الثقافة الإسلامية الصحيحة في عقول أبنائها المسلمين وقلوبهم، وإلاّ كيف ذهبت أجزاء وأجزاء من العالم الإسلامي إلى النصرانية؟! ففي الفلبين، إندونيسيا وغيرها من باقي آسيا، وإفريقيا، وحتى في الوطن العربي تغيّرت النسبة في أتباع الديانات إلى ما يفرح بها النصارى ويحزن عليها المسلمون .

ابتدأت الإرساليات التنصيرية الكاثوليكية تقوى مع بداية الخروج الفعلي المدعوم بالقوة العسكرية للدول الكاثوليكية الغربية أثناء التوسع الاستعماري من خلال الكشوفات الجغرافية، وعلى رأسها البرتغال وأسبانيا ، وذلك منذ القرن الخامس عشر الميلادي ، وإلاّ فإن طمع النصارى في تنصير المسلمين بدأ باكراً من وقت الحملة الصليبية الخامسة وبالتحديد في عام ١٢١٩م، عندما خرج الراهب فرانسيس الاسيزى إلى مصر يدعو المسلمين هناك إلى اعتناق النصرانية ، ثم تتابعت الإرساليات التنصيرية إلى بلاد المسلمين كما في سنة ١٢٢٧م، خرجت بعثة فرانسيسكانية من إيطاليا إلى المغرب ، وكذلك في عام ١٢٣٥م بعثة دومينكانية إلى إفريقيا أيضاً ، وفي عام ١٢٤٦م خروج الراهب لوب فيرناندو دي إين في مجموعة معه باختيار بابا روما أنوسنت الرابع إلى مراكش .

كما أنّ المغرب العربي ماج بأصناف الرهبان المنصّرين مستفيدين في ذلك من تدهور أوضاع دولة الموحدين الإسلاميّة، منذ عام ٦٠٨ هـ،١٢١٢م ، وقد بلغ نشاط هؤلاء المنصِّرين أوجه منذ مطلع العقد السابع من القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، حتى تكوّنت لدى المنصِّرين ، وخاصة الدومنيكان في إفريقيا، قناعة بأن تحقيق هدفهم أصبح قريب المنال [1]، وبسبب هذا التفاؤل الذي عكسته الإرساليات الكاثوليكية للبابوية

---

[1]) مدخل إلى تاريخ حركة التنصير ، ص ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٣ ، د. ممدوح حسين .

وللملك فرنسا لويس التاسع ، انطلقت الحملة الصليبية الثامنة متجهة إلى تونس بدلاً من أراضي الشام ، فأصيبت بانتكاسات وفشلت في تحقيق مرادها ، فتبيّن لتلك الإرساليات التنصيرية أنّ ما تصوّروه من إمكانية الظفر بمسلمين يتنصّرون ويُغيّرون وجه البلاد الإسلامية إلى نصرانية ما هو إلاّ أوهام ارتدت عليهم .

ولكن تلك الإرساليات لم تكن بتلك القوة والتنظيم التي أرادت البابوية أن تكون عليها إلاّ بعد أن امتلكت الدول الغربية النصرانية زمام القوة العالمية وساحت في بلاد العالم مستعمرة ومنتهبه لخيراتها ، فحصل توقيع عقد (المصالح المشتركة) بين الكنيسة ودولها الغربية النصرانية الغاصبة ، بين من يطمع في أراضي الغير ونهب خيراته ومن يطمع في نهب عقول أبنائه وأفقدهم وإدخالهم في عقيدة التثليث .

فإرساليات الآباء الكبوتشيين، والفرانسيسكان، والدومنيكان، واليسوعيين، وغيرها من الإرساليات الكاثوليكية سعت بكافة الوسائل وبعناية البابوية إلى أن تواكب الفتوحات العسكرية لدولها النصرانية ، خاصة في بلاد فيها مسلمون ؛ لما يرونه أن الإسلام هو حجر العثرة الحقيقي في سبيل انتشارهم في العالم ، كما أنّه الحاجز الحقيقي في وجه المستعمر الغربي النصراني منذ قرون مضت ، وهو حاله في القرون الحاضرة، كما أنه سيبقى كذلك في القرون المستقبلية .

ففي إفريقيا مثلاً وصل النشاط الإرسالي ـ الذي تزامن والاكتشافات البرتغالية الأولى والذي استمر ثلاثة قرون (١٤٩٢ ـ ١٧٨٩م) ، أي إلى وقت تَمكّن الخلافة العثمانية الإسلامية من القوة العالمية خاصة في بلدانها الإسلامية ـ إلى فشل تام بسبب اصطدامه بالدين الإسلامي النقي في بعض الدول الإفريقية [1] .

فلمّا تمكنت الخلافة الإسلامية العثمانية من قُوتها العالمية ازداد الوضع سوءاً بالنسبة للإرساليات التنصيرية ، ولكن هذا الوضع زاد البابوية وكنائسها الكاثوليكية إصراراً على الاستمرار في بعث البعوث التنصيرية إلى البلدان الإسلامية .

فترافقت دعوات الآباء والرهبان مع انتشار البعثات الإرسالية في أنحاء العالم الإسلامي

---

[1]) البعثات اليسوعية ، ص ٢٢ ، د. طلال عتريسي .

حتى في قوة الخلافة الإسلامية العثمانية ((أملاً في التمكن من توجيه الضربة إلى امبراطورية الشيطان)) كما تُسمِّيها تلك الإرساليات [١].

وهذه الإرساليات كما أنّها تهتم بتنصير المسلمين فهي كذلك ــ بل من أولوياتها لضمان استمرارها وحمايتها ــ أن تقيم جسراً معنويّاً ومادياً بين مصالح المستعمر الغربي والأقليات الدينية التابعة لها في العالم الإسلامي [٢]، فهي بذلك تُعد خطراً على الأمن القومي في بلدان العالم الإسلامي [٣].

تغلغلت بذلك الإرساليات التنصيرية في البلدان الإسلامية تغلغلاً مسنوداً بالأطماع الاستعمارية، متسربلاً بتقديم خدمات صحية وتعليمية مع غفلة الحُكّام المسلمين وتواطؤ القوى العلمانية في البلدان الإسلامية معها [٤].

والإرساليات الكاثوليكية إلى بلدان العالم الإسلامي لم تتوقف من وقت ما بدأت منذ عام ١٢١٩م في وقت الحملة الصليبية الخامسة ، وازدادت تسارعاً وإصراراً وبإشراف البابوية نفسها من وقت فشل الحملة الصليبية السابعة عام ١٢٥٠م عندما أوصى باستمرارها والثبات عليها ملك فرنسا لويس التاسع .

كما أن الإرساليّات تقوّت إبان الكشوفات الجغرافية الكاثوليكية الأولى وذلك بعد سقوط الأندلس المسلمة في أيدي النصارى الكاثوليك في عام ١٤٩٢م ، ثم ضعفت بعض الشيء مع تصاعد قوة الخلافة العثمانية الإسلامية ، ثم رجعت إلى قوتها مع ضعف الخلافة الإسلامية وتصاعد قوة الدول الغربية النصرانية وتسلطها على بلاد الإسلام ، وازدادت الإرساليّات شراسة مع دخول البروتستانت حلبة التنافس التنصيري للظفر بأبناء الأمة الإسلامية في عهد دويلات المسلمين الضعيفة والممزقة ، بل المتناحرة فيما بينها بسبب تسلط فئة من العلمانيين عليها مادياً ومعنوياً . فإلى الله المشتكى .

وسأذكر بعض هذه الإرساليات الكاثوليكية كأمثلة ، منها :

---

[١]) المرجع السابق ، ص ٢٣ ، د. طلال عتريسي .

[٢]) موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد ، ص ٢١٠ ، محمد السماك .

[٣]) غارة تبشيرية على أندونيسيا ، ص ٦ ، أبو هلال الأندونيسي .

[٤]) الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر ، د. خالد محمد نعيم ، مقدمة د. محمد ملحي ، ص ٨ .

إرسالية للكبوشيين الكاثوليك إلى مدينة حلب عام ١٦٣٠م، حيث كوّنوا فيها مركزاً لهم، وعملوا على الدعوة إلى العقيدة الكاثوليكية ليس بين أبناء المسلمين فقط بل حتى بين الطوائف النصرانية في الشام كالنسطورية وغيرها .

وتبعهم لنفس العرض في محاولة تنصير المسلمين وتوحيد النصارى على الكاثوليكية الإرسالية اليسوعية في عام ١٦٥٠م إلى حلب أيضاً .

وأرسلت البابوية من جهتها مباشرة ثلاث إرساليات في عام ١٦٥٤م ؛ واحدة إلى القسطنطينية واليونان ، وأخرى إلى صيدا امتدت منها إلى سوريا ومصر ؛ وثالثة إلى بلاد فارس[1] .

وفي إفريقيا اشتد التنافس بين الإرساليات الكاثوليكية القديمة من يسوعية ودومنيكانية مع الإرساليات الجديدة للبروتستانت خاصة منذ عام ١٦٦٥م ؛ وذلك في علو كعب الدولة الهولندية البروتستانتية الاستعمارية وتمكّنها من منطقة رأس الرجاء الصالح[2] .

واشتد عُود الإرساليات الكاثوليكية مرة أخرى مع دخول إسبانيا وفرنسا ميدان التنصير الاستعماري في القرن الثامن عشر الموجّهة للأمة الإسلامية ، وكانت تلك الإرساليات الكاثوليكية متتالية ومركّزة على إفريقيا أكثر[3]، ومن أشهر تلك الإرساليات الكاثوليكية إرساليّة كانت موجّهة إلى مصر الإسلامية أثناء الغزو الفرنسي الكاثوليكي لها في عام ١٧٩٨م .

فعندما وصلت الحملة الفرنسية إلى الاسكندرية في ٢٨ يونية عام ١٧٩٨م، كانت برفقتها مجموعة من العلماء ، بلغوا (١٧٥ عالماً)، كان من بينهم أعضاء بعض الهيئات المهتمة بالدارسات الخاصة بما وراء البحار وعدد من المستشرقين الذين درسوا اللغة العربية، في مدرسة اللغات الشرقية الحيّة بباريس؛ لوضع أُسس أول إرسالية تنصيرية كاثوليكية فرنسية في مصر .

---

[1]) البعثات اليسوعية ؛ ص ٢٤ ؛ د. طلال عتريسي .

[2]) مجلة البيان ، العدد ١٥٤ جمادى الآخرة ١٤٢١هـ ، سبتمبر ٢٠٠٠م ؛ تاريخ الوجود التنصيري في افريقيا بقلم : أبو إسلام أحمد عبد الله .

[3]) تاريخ الوجود التنصيري في إفريقيا ، مجلة البيان العدد ١٥٤ .

وتكوّنت تلك الإرسالية من الرهبان الفرنسيسكان ، وقد امتد نشاطها إلى الصعيد، وبلغ بهم الأمر أنهم كانوا يمسكون بالأطفال من المسلمين ومن الأرثوذكس الأقباط ويرسلونهم إلى روما لتعلم النصرانية الكاثوليكية [١].

ثم كان الهجوم المكثف للإرساليات التنصيرية الكاثوليكية والبروتستانتية على العالم الإسلامي في بداية القرن التاسع عشر الميلادي ، حيث إنه يعد العصر الذهبي للإرساليات التنصيرية ، خاصة في إفريقيا ، فلم يبدأ القرن العشرين إلاَّ وكان للنصرانية تواجدها المحسوس، والملموس، والمرئي، بشتى مذاهبها وكنائسها [٢].

أبرمت الدول الاستعمارية اتفاقية بينهم عُرفت بمذكرة (بكستين) عام ١٨٣٨م ، القصد منها أن تفتح المجال للإرساليات التنصيرية في القارة الإفريقية [٣]، أملاً في جعل إفريقيا المحضن الرئيس للنصرانية في العالم بعد القارة الأوروبية ، وأن تُغيّر هذه الإرساليات الإفريقيين وتجعل منهم نسخة من الغربيين النصارى في كل شيء حتى في الشعور [٤].

فبدأت إفريقيا تستقبل وفود المنصّرين الكاثوليك الايطاليين والفرنسيين وغيرهم من الرهبان والراهبات الفرانسسكان، والدومنيكان، واليسوعيين، والآباء البيض، والكبوتشيين وغيرهم، كما أخذت تستقبل المنصرين والقساوسة البروتستانت من الانجليز والألمان والأمريكان وغيرهم ، وانطلقت مسيرة المخطط التنصيري [٥].

ففي مصر وصلت الإرسالية الكاثوليكية ((إرسالية الآباء لارنست)) في عام ١٨٤٠م ، وكوّنت في الإسكندرية مدرسة لهم سُمِّيت فيما بعد ((الكلية الفرنسية)) وذلك في عهد محمد علي باشا ، كما أنه في نفس العام وصلت إرسالية كاثوليكية أخرى

---

[١]) الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر ، ص ٤١ ، د. خالد محمد نعيم .

[٢]) تاريخ الوجود التنصيري في إفريقيا ، مجلة البيان العدد ١٥٤ جمادى الآخرة ١٤٢١هـ ـ سبتمبر ٢٠٠٠م ، بقلم أبو اسلام أحمد عبد الله ، التنصير في القرن الأفريقي ومقاومته ، ص ٧٠ ، سيد أحمد يحي .

[٣]) ندوة التنصير والتغلغل الاستعماري في إفريقيا ، جامعة إفريقيا العالمية ، ورقة بحث بعنوان : أفرقة الكنائس الوطنية ، ص ٢١٦ ، بقلم الدكتور : إبراهيم عكاشة علي .

[٤]) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص ٢٤١ ، د. مصطفى الخالدي ، ود. عمر فروخ .

[٥]) ندوة التنصير والتغلغل الاستعماري في إفريقيا ، ورقة بحث بعنوان : أفرقة الكنائس الوطنية ، ص ٢١٦ ، بقلم الدكتور : إبراهيم عكاشة علي .

تابعة للعازريين قادمة من الشام برئاسة الأب إتين الفرنسي، فأخذ ـــ بما أعطي من امتيازات أجنبية ـــ في إقامة عدة مراكز تنصيرية كاثوليكية في أنحاء مصر وثلاث مدارس كاثوليكية، وهي: مدرسة الراعي الصالح (بون باستور) للبنات في القاهرة عام ١٨٤٥م، ومدرسة فتيان الإحسان، في العام ذاته، ثم مدرسة للعازريين في عام ١٨٤٦م . ومع هذه المدارس أخذت عملية التعاون تأخذ طريقها إلى مدن وقرى الصعيد بين الرهبان والراهبات الفرنسيسكان الذين مارسوا نشاطاً تنصيرياً خطيراً تحت ستار التطبيب ؛ وامتد هذا النشاط إلى بقية قرى ومدن البحري [١].

وفي عهد عباس الأول (١٨٤٨ ـــ ١٨٥٤م) أخذت الإرساليات الفرنسية الكاثوليكية تتوغل أكثر وأكثر في صعيد مصر ؛ تُنشئ المدارس ، متذرعة بالمساهمة في تنمية الحركة التعليمية في مصر ، فاستطاع الرهبان الفرنسيسكان في عام ١٨٥٠م من افتتاح مدرسة لهم في منطقة ((نقادة)) ، وبعد ثلاثة أعوام واصلت تقدمها وأنشأت مدرسة أخرى في ((جرجا)) في عام ١٨٥٣م . وبعد هذا التمركز المتعمد في جنوب البلاد ، توجهت جهود الإرساليات الفرنسية الكاثوليكية إلى الوجه البحري .

كما أنها أخذت تُكثّف جهودها في بور سعيد ، فأنشئت بها مدرسة (الراعي الصالح) الداخلية في عام ١٨٥٣م، ثم أضافت في نهاية عهد (عباس الأول) مدرسة (الفرير) عام ١٨٥٤م [٢].

وفي ولاية ((محمد سعيد)) على مصر (١٨٥٤ـــ ١٨٦٣م) فتح المجال بشكل أوسع للإرساليات الفرنسية الكاثوليكية؛ بحجة المساهمة في الحركة التعليمية في مصر ـــ فهذا الوالي الجديد لمصر قد تربى تربية فرنسية خالصة ـــ وبهذا أسدى الخديوي محمد سعيد خدمة جليلة في منح الحرية كاملة للإرساليات الكاثوليكية في مصر، بفتح مراكز تنصيرية بلا رقابة حكومية تعبث بعقول أبناء المسلمين وقلوبهم هناك ، حتى إنه سُمِّي القديس الحامي للإرساليات، ففوق أنه وهب لتلك الإرساليات مباني حكومية مجاناً، ومساعدات مالية من خزينة الدولة المصرية، فإنه اتخذ في عام ١٨٦٠م كل الاحتياطات اللازمة لحماية

---

[١]) الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر ، ص ٢٤ ، ٤٢ ـــ ٤٣ ، الدكتور : خالد محمد نعيم .

[٢]) المرجع السابق ، ص ٤٣ ـــ ٤٥ ؛ د. خالد نعيم .

المُنصِّرين الفرنسيين وباقي الأجانب في مصر ، بمناسبة المذابح التي حدثت بين الموارنة والدروز في جبل لبنان وسوريا، مما أدّى إلى التجاء نحو خمسة آلاف نصراني من أقاليم الشام إلى الاسكندرية معظمهم دخل في حماية الإرساليات التنصيرية الأجنبية[1] .

وفي عام ١٨٤٨م وصلت إرساليات كاثوليكية متعددة إلى شرق إفريقيا وغرها. من أهمها إرساليات تابعة للآباء البيض الكاثوليكية. وقد بدأت حملتها في ساحل القرن الإفريقي كينيا، والصومال، وجيبوتي، واريتريا، والسودان ، كما ظهرت في المنطقة نفسها هيئات تنصيرية عديدة تابعة للمذهب الكاثوليكي .

وفي عام ١٨٦٠م أسست إرسالية كاثوليكية مركزاً لها في مدينة ((بوجا مايو)) على الساحل المواجه لجزيرة زنجبار ، ولكن جميع هذه الجهود لزمت الساحل في تلك الفترة، ولم تستطع التوغل في الداخل إذ كان بالداخل محيط إسلامي قوي ، ولم تحقق أي نجاح طالما كان اهتمامها متجهاً للتنصير المباشر ، ولذلك اتخذت خطوة مهمة بالتعاون مع السلطات الاستعمارية، وهي أن تترك لهذه الإرساليات مجال التعليم والخدمات الطبية ، ومن هنا فتحت هذه البعثات المدارس والمستشفيات ، وبذلك استولت على مادة من البشر أصبح من السهل التحكم فيها [2].

إلا أن هذه الإرساليات الكاثوليكية استطاعت في عام ١٨٨٩م أن تبسط سيطرتها على جيبوتي، فاستطاعت أن تبني كنيسة فخمة وسط المنطقة الآهلة بالسكّان المسلمين ، ولقد شاع أن ذوي الأمر في فرنسا خائفون على رجال تلك الإرسالية في هذه المنطقة المسلمة، إلاّ أن حاكم جيبوتي آنذاك طمأن الأسقف (هارتزل) وصرّح له بأنه ينظر إلى أعمال المنصرين بنظرة استحسان [3].

ووصلت إرسالية كاثوليكية صغيرة عام ١٨٥١م إلى أريتريا، مدعومة من قبل

---

[1]) المرجع السابق ، ص ٤٤ ـــ ٤٨ ، د. خالد نعيم .
وفي عهد خليفته (اسماعيل باشا) (١٨٦٣ ـــ ١٨٧٩م) انقلب الصولجان الموهوب للإرساليات التنصيرية من الكاثوليكية إلى البروتستانتية ، خاصة الإرساليات الأمريكية . انظر : الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر ، ص ٤٨ ، ٧١ ـــ ٨٨ ، ١٠٩ ، د. خالد محمد نعيم .

[2]) التنصير في القرن الأفريقي ومقاومته ، ص ٧٢ ، ٧٤ ، سيد أحمد يحيى .

[3]) المرجع السابق ، ص ٧٣ ، سيد أحمد يحيى .

الحكومة الإيطالية ، واستطاعت أن تُؤسس محطات دينية ومراكز للدعاية الكاثوليكية ، وهذه الإرسالية أداة طيّعة في أيدي المستعمر الإيطالي، فكانت تمهد لاستعمار المنطقة، فتصدر لإيطاليا آراء وتقارير تحثها على استعمار المنطقة ، ومن ضمن هذه التقارير أنها ترى أن موانئ الساحل الجنوبي لشبه جزيرة العرب القريبة من مضيق باب المندب ، وكذلك موانئ ساحل البحر الأحمر الغربي القريبة من هذا المضيق أيضاً تصلح لخدمة أغراض إيطاليا السياسية، والبحرية، والتجارية في شرق إفريقيا . فتقدمت الحكومة الإيطالية بسبب هذه التقارير إلى تلك المنطقة واشترت الموانئ المطلّة على ساحل بنادر من سلطان زنجبار الذي كانت المنطقة تخضع لسلطانه، وكان ذلك عام ١٩٠٥م ، فبدأ بذلك احتلال السلطات الإيطالية . كما أنّها توصلت مع حكومة بريطانيا إلى اتفاق على أن تكون لها السيادة على منطقة ساحل البحر الأحمر الغربي ، فابتدأ بذلك التدخل الإيطالي في الأراضي الإريترية [1].

وفي المغرب العربي تُعدُّ الإرسالية الكاثوليكية التي تزعمها فرانسوا بورغاد (١٨٠٦ — ١٨٦٦م) من أنشط من قام بعمليات تنصيرية هناك، فقد استهلت عملها في الجزائر، ثم انتقلت إلى تونس في سنة ١٨٤٠م مشتركة مع إرسالية أخرى تُسمَّى أخوات الصفاء في عمليات التنصير في تونس .

أسس هذا المنصر (فرانسوا بورغاد) مدرسة، ومستشفى، ومطبعة حجرية، وشرع في تأليف كتب تركز موضوعاتها على صحة النصرانية الكاثوليكية، وبطلان الإسلام وزيفه، كما أنه كوّن معهد في سنة ١٨٤٧م للأغراض التنصيرية أسماه ((معهد سان لويس)) أي القديس لويس ، إحياءً لذكرى لويس التاسع ملك فرنسا الذي قام بالحملة الصليبية السابعة على بيت المقدس ، والحملة الصليبية الثامنة على تونس ، وغادر المنصر (فرانسوا بورغاد) تونس بعد إقامة قاربت عشر السنوات عمل جاهداً فيها على نشر الكاثوليكية بين المسلمين [2].

وخلف (بورغاد) في ميدان التنصير في المغرب العربي الكاردينال (لافيجيري) (١٨٢٥

---

[1]) المرجع السابق ، ص ٧٨ ، ٧٩، سيد أحمد يحيى .

[2]) مدخل إلى تاريخ حركة التنصير ، ص ٧٣ ، ٧٤ ، د. ممدوح حسين .

ـــ ١٨٩٢م) الذي بدأ اتصاله بالعالم الإسلامي في سنة ١٨٦٠م، حين زار بلاد الشام مصطحباً معه إعانة جمعت في أوروبا لمساعدة النصارى في الفتنة التي احتدمت بينهم وبين الدروز وقتئذ . وعند انتهاء مهمته مرَّ في طريق عودته إلى باريس بالفاتيكان ، وقابل البابا وأطلعه على أفكاره في تنصير المسلمين بمساعدة الحكومة الفرنسية وطلب منه مساعدته ، فحصل على كل ما يريد من البابوية من دعم مادي ومعنوي ، وفي سنة ١٨٦٧م عيَّنه حاكم الجزائر العام الفرنسي الماريشال (ماكماهون) أسقفاً لتلك البلاد. ويحمل هذا الكاردينال كره الإسلام والحقد على المسلمين ، وكان يعتقد بأن الأمة الإسلامية أخطر أعداء النصارى في كل مكان .

وعند وصوله للجزائر في ١٥ مايو سنة ١٨٦٧م تحت عناية البابوية والحكومة الفرنسية عمل بنشاط على تنصير المسلمين ووضع مشروعاً متكاملاً يتلخص في وجوب تربية أطفال المسلمين تربية نصرانية وقد أنشأ لذلك المحاضن المناسبة لتنفيذ هذا المشروع التنصيري [1].

كما أنّ الإرساليات الكاثوليكية نشطت أيضاً في القارة الآسيوية في القرن التاسع عشر ففي اندونيسيا مثلاً في القطاع الشرقي من جزر السوندا الصغرى ــ وتُسمى حالياً (نوسا تبنقارا تيمور) (تيمور الشرقية) ــ تعيّن أول قاصد رسولي عام١٨٠٢م ، وأقيم أول قدّاس علني رسمياً في يوم (١٠/٤/١٨٠٨م) ، ثم أقيمت قصادة رسولية أخرى في جاكرتا عام ١٨٠٧م، وكان أول قاصد رسولي في جاكرتا هو المطران (ي . قوف)، الذي وصل إلى جاكرتا عام ١٨٤٥م يصحبه ثلاثة قسس لكل من سمارانغ وسرابايا [2].

وفي عام ١٨٣٢م أسس بابا روما غريغوريوس (جرجوري) السادس عشر (٢شباط ١٨٣١ ــ ١ حزيران ١٨٤٦م) بعثة بابوية في بلاد ما بين النهرين، وكردستان، وأرمينيا الصغرى، وألحقها بعد سنتين ببعثة إلى اليونان وتركيا ، وعام ١٨٣٩م بثالثة إلى مصر والجزيرة العربية .

ومن باريس وصل سبعة عشر مبعوثاً عازارياً إلى القسطنطينية بين عام ١٨٣٠م و عام

---

[1]) المرجع السابق ، ص ٧٥ ، ٧٦ ، د. مملوح حسين .

[2]) غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا ، ص ١٧ ، أبو هلال الأندونيسي .

١٨٣٥م ، وأعادوا افتتاح مدرستهم المقفلة منذ عام ١٨١٢م .

وفي عام ١٨٣٩م افتتحت بعثة (أخوات المحبة) الكاثوليكية مركزاً للتربية في القسطنطينية ، وآخر في زامير، ووصلت إلى بيروت عام ١٨٤٧م ، ثم لحقت بها بعثة (أخوات مار يوسف الظهور) .

ووصلت إرسالية (الدومينيكان الطليان) عام ١٨٤٠م إلى كردستان والموصل ، وفي عام ١٨٤١م وصل الكبوشيون الأسبان إلى ديار بكر ، وفي عام ١٨٨١م افتتحوا في القسطنطينية حلقة دراسية ، وفي عام ١٨٨٢م افتتح الدومينيكان حلقة دراسية في الموصل ، وكذلك افتتحت حلقة دراسية للآباء البيض في القدس عام ١٨٨٢م[1].

ثم تفاقمت الإرساليات التنصيرية في بداية القرن العشرين لتطويق الأمة الإسلامية ، وبالأخص ما حول الجزيرة العربية .

ومن أكثر باباوات روما اهتماماً بالإرساليات التنصيرية البابا بندكت الخامس عشر (٣ أيلول ١٩١٤ـــ ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٢م)[2]، حتى إنه عُرف باسم بابا الإرساليات[3].

وفي مؤتمر المنصِّرين المنعقد في بيروت قبيل عام ١٩١١م ، قرَّروا فيه أن يبدأوا التنصير بين المسلمين بطريقة مباشرة على أرض الشام ، حيث كانت محطة نموذجية لنشاط الإرساليات التنصيرية [4] ؛ لوجود الأرض المقدسة فيها وقربها أيضاً من قلب العالم الإسلامي ومقدسات المسلمين الكبرى في أرض الحجاز .

وقد كان لجبل لبنان ـــ قبل أن تلحق به مناطق من سوريا ، ويتحول إلى ((دولة لبنان الكبرى)) عام ١٩٢٠م ، وبعد ذلك أيضاً ـــ حصة وفيرة من نشاط البعثات وأهدافها، ليس هذا فحسب، بل هي نقطة جذب قوية لها، بسبب كاثوليكيتها من جهة، والحضور الفرنسي السياسي والعسكري والاقتصادي من جهة أخرى، وهي عوامل أدت إلى إلحاق سكان الجبل النصارى بفرنسا على جميع المستويات ، وانعكس ذلك بطبيعة

---

[1]) البعثات اليسوعية ، ص ٢٥ ، ٢٦ ، د. طلال عتريسي .

[2]) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص ٤٠٤ ، الأب جان كمبي .

[3]) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص ١٩٥ ، د. مصطفى الخالدي ، د. عمر فروخ .

[4]) البعثات اليسوعية ، ص ٢٧ ، د. طلال عتريسي ، التبشير والاستعمار ، ص ٥٣ ، د. الخالدي ، ود. فروخ .

الحال على المسلمين في تلك البلاد ، الذين أُلحقوا قسراً بالكيانات الحديثة ، بعد أن تقطعت أوصالهم الجغرافية وانكفأت وحدهم المعنويّة ، ثُمَّ إنّ هذا الإلحاق لم يكن عبثاً أو صُدفةً ، فقد حُددت أُطره ومعالمه مسبقاً منذ عشرات السنين بعد أن مهدت له الطائفة المارونية عسكرياً وثقافياً [1].

كما أنّ الإرساليات التنصيرية الكاثوليكية استفادت كثيراً من الامتيازات التي أعطتها الحكومة الفرنسية المنتدبة على سوريا ولبنان للإرساليات التنصيرية المختلفة ، واستفادت أكثر عندما نقلت الحكومة الفرنسية امتيازات الإرساليات المختلفة إلى الإرساليات الفرنسية وحدها ، والتي كان أكثرها تابعاً للكنيسة الكاثوليكية وذلك في تشرين الثاني من عام ١٩٢٥م [2].

ومن قبل لما فتحت الهدنة عام ١٩١٨م للمنصرين الكاثوليك طريق سوريا من جديد . ولم تكن الدولة الفرنسية المنتدبة وحدها عوناً للإرساليات الكاثوليكية في العمل على تنصير المسلمين ، بل إن الحكومة المحلية ـــ التي لم تكن إلاّ وجهاً آخر لدولة الانتداب ـــ كانت تساعد في ذلك [3].

---

[1]) البعثات اليسوعية ، ص ٢٧ ، د. طلال عتريسي .

علماً أن أصول الإرساليات التنصيرية إلى أرض الشام كانت في القرن التاسع عشر الميلادي ، كما مر ذكره ، وأزيد هنا بياناً ببعض تواريخ تلك الإرساليات الكاثوليكية :

أ) في عام ١٨٣١م وصلت بعثة يسوعية فرنسية إلى جبل لبنان تولت إنشاء عدد من المدارس في عدد من القرى . انظر : موقع الإسلام في صراع الحضارات ، ص ٢١٠ ، محمد السماك .

ب) أصدرت الدول الأوروبية وعلى رأسها فرنسا قانوناً في عام ١٨٤١م يحمي الإرساليات التنصيرية وينشرها على أرض الشام .

ج) وصول إرسالية نسويّة كاثوليكية تسمى ((أخوات القديس يوسف)) إلى بيروت بإشراف الأب ديللو في عام ١٨٤٦م .

د) إرسالية كاثوليكية فرنسية تسمى ((سيدات الناصرة)) وصلت إلى بيروت عام ١٨٦٨م، إرسالية تُسمّى ((البون باستور)) وصلت إلى لبنان عام ١٨٩٣م ... ، وغيرها كثير . انظر : البعثات اليسوعية ، ص ٧٨ ، ٩١ ، ١٠٨ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، د. طلال عتريسي .

[2]) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص ٥٧ ، د. مصطفى خالدي ، د. عمر فروخ .

[3]) المرجع السابق ، ص ١٥١ ، د. خالدي ، د. فروخ .

ولو انتقلنا إلى جنوب الجزيرة العربية « وأقصد اليمن » لوجدنا أن الإرساليات التنصيرية البروتستانتية هي المهيمنة على الوضع التنصيري هناك في القرن العشرين، إلاّ أنّ هناك إرساليات كاثوليكية تعمل في اليمن ، منها : جمعية رسولات المحبة ((بعثة الإحسان)) ، يمتد نشاطها الواضح في صنعاء وتعز والحديدة وخصوصاً بين المرضى بالجذام والأمراض العقلية ، ولها ارتباط مباشر مع جمعيات الأم تريزا الكاثوليكية الهندية المشهورة [1].

وإذا نظرنا إلى مصر فإنّ الامتيازات الأجنبية التي استفادت منها الإرساليات التنصيرية استمرت في مصر سارية المفعول حتى عام ١٩٣٧م، مما كان له الضرر الأكبر على الشعب المسلم هناك [2].

وفي السودان أعدت الإرساليات التنصيرية عدتها في بداية القرن العشرين ، أي منذ عام ١٩٠٠م، وأصبحت علنية بحماية الدولة البريطانية التي شجعت الكاثوليك والبروتستانت على ذلك ، وقد كانت الخطوات الأولى لهم التمركز في جنوب السودان حيث يكثر الوثنيون ، ومن الانتقال بالتأثير إلى مناطق السودان الباقية خاصة في الشمال [3].

وإن كانت أكثر الإرساليات التنصيرية ، وخاصة في الجنوب ، بروتستانتية ، إلا أنّ للكاثوليك حضوراً أيضاً ، ومن أخطرها ، منظمة كاريتاس الكاثوليكية الذي يزيد طاقمها التنصيري عن المائتين من المُنَصِّرين [4].

واقترن الوجود الإيطالي في غزوه المسلح لليبيا سنة ١٩١١م بفيالق على شكل إرساليات تنصيرية دفعت بها البابوية بالتعاون مع الحكومة الإيطالية إلى هناك ... إلا أنّه من المؤكد أنّ هذه الإرساليات التنصيرية ذات النزعات السياسية قد سبقت الجيوش المحتلة

---

[1]) مجلة البيان العدد (١٥٥) رجب ١٤٢١هـــ أكتوبر ٢٠٠٠م « التنصير هل أصاب الهدف الخيامون في جنوب الجزيرة » بقلم بشير البعداني .

[2]) الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر « ص ٣١ ، د. خالد محمد نعيم .

[3]) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص ١٤٩ ، ١٥٠ ، د. مصطفى خالدي ، د. عمر فروخ .

[4]) دار فور ... صرخة نذير من خطر التنصير ، بقلم نجاح شوشة ، موقع مفكرة الإسلام www.islammemo.com

بزمن ، وكسلسلة متصلة الحلقات ، فقد فعلت إيطاليا في أسلوبها التنصيري كما فعلت فرنسا في القرن التاسع عشر في تونس والجزائر والمغرب [1].

وفي عام ١٩٣٠م أرادت البابوية أن تُقيم عيداً لمناسبة مرور ألف وستمئة سنة على موت القديس أغسطينوس ، ولكنّها أرادت أن يكون لهذا العيد طابعاً خاصاً ، فاختارت أن تدعو إلى مؤتمر (أفخارستي) في مدينة قرطاجة لأن القديس اغسطينوس كان من البربر من تلك الناحية .

وأُجبرت تونس ، المستعبدة يومذاك على قبول هذا الوضع المُذِل الذي يرفضه المسلمون هناك ، على أن تدفع أيضاً من خزينتها الخالية ميلونين من الفرنكات ، يوم كان الفرنك لا يزال يساوي قرشاً من الذهب ، وعلى أن تقبل بوضع الأسِرّة في المساجد ليرقد عليها الرهبان الذين جاءوا من أطراف الأرض ليعلنوا حرباً صليبية جديدة في بلد مسلم [2].

وفي الوقت الذي كان المؤتمر الأفخارستي ينعقد في تونس ، كانت فرنسا تقوم في مراكش بعمل مماثل من حيث النتائج الدينية الاستعمارية، وهي مظالم ترتكبها فرنسا أكثر من أن تذكر، ثم هي تستوحي الفاتيكان (مقر بابا روما) سياستها الدينية لتثبت بها أقدامها في مستعمراتها[3].

وكذلك فإنّ الإرساليات الكاثوليكية وجدت لها مكاناً في شبه الجزيرة العربية تُنافس به الإرساليات البروتستانتية لتنصير المسلمين هناك ، ولكن ليس بقوة البروتستانت الذين لهم اليد الطولى في شبه الجزيرة العربية .

فقد أنشأت البابوية في عهد يوحنا بولس الثاني في ٢٨ من يونيو عام ١٩٨٩م ما يُسمى بـ((إدارة شؤون النيابة الرسوليّة في شبه الجزيرة العربية))، والتي تشمل البحرين، والسعودية والكويت، وقطر، والإمارات العربية المتحدة، وعُمان، واليمن، والتي تتخذ من العاصمة الإماراتية أبو ظبي مقراً لها ، ويعتبرها الفاتيكان إحدى المقاطعات الكنسيّة الأكثر أهمية وامتداداً في العالم ، ويعمل فيها نحو ٤٠ كاهناً و ٧٠ راهبة [4].

وعلى باقي أجزاء القارة الآسيوية والأفريقية توالت الإرساليات الكاثوليكية ، والتي

---

[1]) الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين ، ص ١٦١ ، مصطفى نصر المسلاتي .

[2]) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص ١٥٧، د. مصطفى خالدي ، د. عمر فروخ .

[3]) المرجع السابق ، ص ١٠٨ ، د. خالدي ، د. فروخ .

[4]) بابا الفاتيكان . . الرحيل والأثر ، بقلم التحرير في موقع مفكرة الإسلام www.islammemo.com

وجدت منافسة قوية من الإرساليات البروتستانتية ، بل فاقت الكاثوليكية في أجزاء مهمة في العالم الإسلامي كشبه الجزيرة العربية والعراق ، في العمل على تنصير المسلمين ، ولا ننس النشاط التنصيري للكنيسة الأرثوذكسية ((القبطية)) في مصر ، فقد استطاعت هذه الكنيسة خلال ربع قرن من الزمان ـ يبدأ مع اتفاقية السلام بين السادات واليهود تحت مظلّة الهيمنة الأمريكية ـ أن تُنشئ أكثر من مئة وخمسين كنيسة أرثوذكسية على مستوى العالم حتى عام ١٩٩٧م، بالتنسيق مع من يُعرَفون بأقباط المهجر الذين يتبعون في طقوسهم ونظمهم وانتمائهم الروحي للكنيسة المصرية ، وتعقد المؤتمرات العالمية والإقليمية والمحلية ، وتُنشئ في أنحاء مصر الكليات والمعاهد والمدارس اللاهوتية المتخصصة، وتُقيم المستشفيات الضخمة والمكتبات، وتجدد أديرتها وتعيد بناء أسوار كنائسها وتوسع منشآتها[1].

فالإرساليات التنصيرية الكاثوليكية ، أو غيرها من الفرق النصرانية ، لم يتوقف تدفّقها إلى العالم الإسلامي ، حتى الآن ، ونحن في بدايات القرن الحادي والعشرين ، فبعضها تحضر بمسمياتها الصريحة ، وبكشف واضح لهدفها ، وبعضها تأتي بمسميات مبهمة تحت غطاء المعونات الإنسانية الإغاثة، أو الطبية، أو التعاون التعليمي بين البلدان النصرانية وبلدان المسلمين، مثل التعاون التعليمي المشترك بين الدول النصرانية والدول الإسلامية .

ثم إنّ هذه الإرساليات التنصيرية في العالم الإسلامي تلعب دوراً خطيراً وماكراً في محاربتها للإسلام، وتزييف مفاهيمه، وقلب حقائقه، واحتواء معتنقيه، خاصة بعد أن توسعت واقتحمت مجال الثقافة والصحافة بعد المدرسة والجامعة ، فقد كانت هذه الإرساليات المصانع التي خرّجت أجيالاً من أبناء المسلمين جعلتهم عملاء وتابعين للنفوذ الأجنبي الكافر خاصة النصراني[2].

---

[1]) مجلة البيان العدد (١١٩) رجب ١٤١٨هـ / نوفمبر ١٩٩٧م ، أحلام يوحنا بولس . . هل تتحقق ؟ بقلم : أبو إسلام أحمد عبد الله .

[2]) التبشير الغربي ، ص ٧ ، ٩ ، أنور الجندي .

المطلب الثاني : وسائل الكنيسة الكاثوليكية التنصيرية :

إن التطور في العمل المنهجي للمنصرين جعلهم يكتشفون وسائل متعددة وخاضعة لمناسبة الزمان والمكان والثقافات، يدخلون من خلالها إلى قلوب وعقول المستهدفين .

ولا شك في أن قوة هذا التطور للحركة التنصيرية وتسارعه يستمد من إمكانياتها المادية الكبرى التي أتاحت لها إقامة مشروعات مباني الكنائس، ودور التعليم، والمستوصفات، والمستشفيات، ودور رعايات اجتماعية وإغاثية ضخمة ومتطورة، ومن القائمين على شؤون الحركة التنصيرية المختارين بدقة من ذوي التأهيل الديني، والعلمي والتربوي، والثقافي، من القساوسة، ورجال التعليم، والأطباء، ومسؤولي الإغاثات والشؤون الاجتماعية.

فالحركة التنصيرية أصبح لها نشاطٌ جماعيٌ دوليٌ تقوم به جمعيات ومنظمات مزوّدة بهالة من الطاقات البشرية والماديّة .

لهذا كله يصعب على الباحث أن يُحدّد كل الوسائل التي يستخدمها المنصّرون لتنصير المسلمين من وسائل مباشرة وغير مباشرة في ظل هذا التطور المنهجي المستمر للعمليات التنصيرية ، فهم لا يدعون فرصة أو شبه فرصة للقيام بأي محاولة تنصيرية إلاّ واستغلت ، ولا ننس أن هذه العمليات التنصيرية خاضعة لدراسات استراتيجية لطبيعة الجمهور المستهدف في المنطقة التي يجري فيها التنصير ، من حيث ظروفه وأحواله السياسية والاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية ... إلخ .

ولكن أكثر هذه الوسائل التنصيرية ـــ فيما أرى ـــ تدور حول ثلاث مجالات رئيسة، وهي : المؤثّرات الفكرية ، الخدمات الطبية ، المساعدات الإغاثية والإنسانية ، وذلك إذا استثنينا الطريقة التقليديّة القديمة وهي المواجهة المباشرة لمن يُراد تنصيرهم عن طريق المناقشات ، والدعوات المباشرة للدخول في النصرانية ، وذلك إذا استثنينا الطريقة الوحشية التي استخدمها المنصِّرون ، وهي التنصير بالقوة والسلاح والإرهاب ، فالنصرانية ابتداءً ما انتشرت إلا بحد السيف ، وعلى أصوات القنابل والمدافع وبوحشية محاكم التفتيش الكاثوليكية .

أولاً : المؤثّرات الفكرية :

ويمكن مناقشة هذا المجال من خلال زاويتين :

أ) زاوية التعليم . ب) زاوية الإعلام المقروء والمسموع والمرئي .

أ) : من خلال التعليم :

عُبّر عن التعليم بأنّه الحامض الذي يُذيب شخصية الكائن الحي ـ المُتعلّم ـ ثم يُكوِّنها ـ المُعلِم ، أو الجهة المُشرفة على التعليم ـ كيف شاء .

لذلك اهتم المُنصِّرون بالتعليم اهتماماً بالغاً وبكل اتجاهاته كالتعليم في مدارس الإرساليات التنصيرية ((التعليم الإرسالي)) ، وهو الوجه المكشوف للمنصِّرين والحكومات الاستعمارية النصرانية المُتسلِّطة على بلدان المسلمين ، وكذلك التعليم الوطني الذي أقامته الحكومات الإسلامية المستعمَرة المغلوبة على أمرها لتعليم أبنائها المسلمين ، فاستغله المُنصِّرون بمساعدة الحكومات الاستعمارية استغلالاً قبيحاً يخدم أهدافهم التنصيرية بتمجيد النصرانية، والقدح في الإسلام، والقرآن، والنبي محمد ﷺ ، في الشريعة الإسلامية وما تأمُر به وتنهى عنه من أمور الدين لأجل رضا الله واليوم الآخر .

فاستغلال المنصِّرين لهذا الاتجاه التعليمي في البلدان الإسلامية الممكور بها ، هو الوجه النفاقي الماكر للمنصِّرين لحكوماتهم الاستعمارية المتسلِّطة على الشعوب الإسلامية .

فوضع المنصِّرون كل ثقلهم لاستغلال التعليم الاستغلال الذي يخدم أهدافَهم في العبث بعقول أبناء المسلمين ابتداءً من عهد الطفولة والبراءة في رياض الأطفال، ومروراً بالمدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية والمرحلة الجامعية ، وانتهاءً بمراحل الدراسات العليا من ماجستير ودكتوراة لمن دخل في دائرتهم إعجاباً بهم وانخداعاً بعقولهم وتصرفاتهم الماكرة .

فالحركة التنصيرية تكسب من ذلك في أغلب الحالات إمّا أن يتنصّر المسلم أو تتزعزع عقيدته الإسلامية وتُشوّش، فيُعجب بما عند الغرب النصراني من أمور أخلاقية وتصرفات سلوكية . ومن خلال هذه النوعية من أبناء المسلمين يستطيعون أن يُمرروا ما يشاءون من مكرٍ كبار مُخطط له أن يحيق بالبقية الباقية من أبناء المسلمين .

قال المُنصِّر هنري هريس جسب في عام ١٨٧٠م : ((لنبتهل إلى الله في سبيلِ تعميد

نفوس أولئك الشبان الذين يترددون على الكليات ... إنّ التعليم في مدارس الإرساليات المسيحية إنّما هو واسطة إلى غاية فقط . هذه الغاية هي قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يُصبحوا أفراداً مسيحيين وشعوباً مسيحية ... فالمدارس شرط أساسي لنجاح التبشير ، ولقد كانت تُسمى ((دق الإسفين)) ، وكانت على الحقيقية كذلك في إدخال الإنجيل إلى مناطق كثيرة ، لم يكن بالإمكان أن يصل إليها الإنجيل أو المبشرون من طريق آخر))[1] .

ولا شك أن للتعليم قوة تأثير غير طبيعية في أكثر المتعلمين لا تقارنها أي قوة تأثيرية أخرى ؛ لذلك استغل المنصّرون مسألة التعليم استغلالاً مكّنهم من الوصول إلى عقول أبناء المسلمين وقلوبهم .

يقول المنصّر جون موط : ((يجب أن نؤكد في جميع ميادين التبشير جانب العمل بين الصغار وللصغار ... إن الأثر المُفسد في الإسلام يبدأ باكراً جداً ، من أجل ذلك يجب أن يُحمل الصغار إلى المسيح قبل بلوغهم الرشد وقبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية ... وهكذا نجد أن وجود التعليم في يد المسيحيين لا يزالُ وسيلةً من أحسنِ الوسائل للوصول إلى المسلمين))[2] .

ولقد أثبتت المدارس التي تمكّن منها المُنصّرون ومدارس الإرساليات التنصيرية في بلاد المسلمين ــ على مر السنين ــ أنّها تعملُ في دُجى الليل ، وفي وضح النهار ، ضد الإسلام عقيدةً وشريعةً ومنهج حياةٍ ، ومحاولة إبعاد الطلبة من أبناء المسلمين الذين تحت أيديهم عنه ، بشتى الوسائل ، والعمل على تخريج أجيال منهم معوجّة السلوك ، مطموسة البصيرة .

فالمنصّرون ، والحكومات الاستعماريّة ــ لذلك ــ يشجعون الحكومات الإسلامية المغلوبة على أمرها ، على إنشاء مدارس علمانية يتسلّطون عليها من وقت إنشائها. يقولُ المُنصّر تكلي : ((يجب أن نُشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني ، لأن كثيراً من المسلمين قد زُعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن ، حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية

---

[1]) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص ٦٦ ، ٦٧ ، د. مصطفى خالدي ، د. عمر فرّوخ .

[2]) المرجع السابق ، ص ٦٨ ، د. خالدي ، د. فروخ .

، وتعلموا اللغات الأجنبية))[١].

فعمل المنصِّرون على نشر التعليم بهذه الأشكال الماكرة والمُخطط لها ليبثّوا من خلاله رسالتها التنصيرية ، فأنشأوا مؤسسات تعليمية كبرى في بلاد المسلمين ... ، وهنا يتمّ توفير كل وسائل التعليم الحديثة التي تُغري الآباء والأبناء معاً للدراسة فيها ، فيختارونها دون غيرها من مؤسسات إسلامية ، وتسود هذه الطريقة في كثيرٍ من بلدان العالم الإسلامي، مثل السودان، ومصر، وسوريا، ولبنان، وتونس، والمغرب، وتركيا وغيرها .

وقد نجحت النصرانية في تشكيك بعض أبناء المسلمين في دينهم وإمالة بعضهم إلى العلمانية ، كما عمل التنصير على انتقاء أبناء الأعيان ، وأهل الكلمة في بلاد المسلمين، وفتح باب التعليم لهم في بلادهم النصرانيّة الغربيّة ، وذلك بمنح مُغرية وحياة طيبة يَتمّ فيها تلقينهم التعليم العلماني ، والإعجاب بالدين النصراني إمّا عقيدةً وسلوكاً ، معاً ، أو سلوكاً فقط ، تذيب شخصيتهم الإسلامية وتبعدهم عن دينهم الإسلامي .

وبهذا رجع كثيرٌ من أبناء المسلمين إلى بلده ومعه شهادات عالية من بلاد النصارى ، فأضحى أحد الذين يُعتمد عليهم في تسيير أمور بلاده ، فسار بها نحو الوجهة الغربية النصرانية ، وأضحى عدواً لدوداً للشرع الإسلامي إلاّ من رحم الله منهم[٢].

ولا يخفى ما للحكومة الغربية النصرانية الاستعماريّة من دور كبير في استغلال التعليم ـ سواءً كان الإرسالي التنصيري ، أو المدني العلماني ـ لتثبيت أقدامها في بلدان المسلمين المستعمَرة والمغلوبة على أمرها في وقت احتلالها، ثم واصلت هذه البلاد المسيرة بعد تحررها المزعوم واستقلالها الظاهري ، بمحض إرادة بعض قادتها المُهيّئين مُسبقاً للقيام بمثل هذا الدور المشبوه على أبناء المسلمين ، ولا شك في أنهم بهذا يكونون غاشّين لرعيتهم من المسلمين في أعز ما يملكون ، في دينهم وإيمانهم ، وقد قال الرسول ﷺ : ((ما من عبد

---

[١]) الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر ، ص ١٠٧ ، د. خالد محمد نعيم .

[٢]) انظر في التركيز على هذه النقطة إلى : التنصير والتغلغل الاستعماري في إفريقيا ، ندوات بحثية عُقدت تحت إشراف جامعة إفريقيا العالمية ، ورقة بحثية بعنوان : ((وسائل تنصير المسلمين وموقف الدعوة إلى الإسلام منها)) ، ص ٨٥ ، الأستاذ : بابكر حسن محمد قدر ماري .

يسترعيه الله رعيَّةً ، يموتُ يومَ يموتُ وهو غاشٌ لرعيته إلاّ حرّمَ اللهُ عليه الجنة)) [١].

ثم إن التعليم انقسم في عهود الاستعمار الجاثم على بلدان المسلمين، إلى ثلاثة أقسام :

قسم غايته التنصير الصريح ، وذلك في مدارس الإرساليات التنصيرية ، وقسم في مدارس التعليم المدني الوطني، المشرف عليه الحكومات الاستعمارية بطريقة مباشرة أو عن طريق الحكومات الوطنية المستضعفة أو العميلة ، فغايته ذات شقين ؛ فمن ناحية يُخرِّج الكوادر الوطنية المساعدة التي تقوم بالأعمال الوسيطة في الجهاز الحكومي تحت قيادة النصراني المستعمِر ، ومن ناحية أخرى يفصل المُتعلم عن تعاليم دينه الإسلامي الحنيف وصبّه في قالب الحضارة العلمانية الأوروبية التي لم تُعطه إلاّ قشور الثقافة الوافدة دون النفاذ إلى لباب التقدم العلمي الأوروبي؛ ليصبح هذا المتعلم أشبه بالمنبت، لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى ؛ فلا هو واقف على أرضية ثقافته الإسلامية التي نشأ عليها ، ولا هو متأطر تأطراً كاملاً في العلوم التكنولوجية الحديثة، حاملاً علماً حقيقياً في العلوم التجريبية منافساً لعلماء أوروبا في مجالات مثل الطب والفلك والرياضيات والهندسة وغيرها ، وإنّما غاية ما وصل إليه ((تحصيل الفلسفة الغربية العلمانية وإجادة لغاتهم، ثم اقتضى ذلك بالضرورة التشبه بهم في الزي والكلام والعادات مما زاد من غربة المتعلمين وغربة الطبقة النافذة في المجتمع عن جذورها الإسلامية السامية ، بل إن المبشرين ومن معهم الذين وضعوا أسس هذا التعليم في ديار الإسلام حرصوا على تغيير نفسية الطفل المسلم لتتجه اتجاهاً غربياً نصرانياً ، فكانت المدرسة وطريقة الجلوس فيها أشبه بالجلوس في الكنيسة ... وأجراسها التي تُنبّه للمواعيد أشبه بجرس الكنيسة)) [٢].

أما القسم الثالث فهو التعليم الإسلامي التقليدي الذي انحصر في دراسة القرآن وعلومه والشريعة الإسلامية وأحكامها ، والذي انحصر في المساجد والخلاوي ، وقد عملت الحكومات الاستعمارية النصرانية والحكومات الوطنية العميلة على محاولة عزله عن

---

[١]) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب من استُرعى رعيّة فلم ينصح، ح٧١٥١،٧١٥٠، صحيح مسلم، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعيّة، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، ح١٤٢.

[٢]) ندوة بحثية بعنوان: التنصير والتغلغل الاستعماري في إفريقيا،إشراف جامعة إفريقيا العالمية، ورقة بحثية بعنوان: ((التنصير الحديث في إفريقيا خلفيته التاريخية وبعض وسائله))،ص١٤٣، بقلم الدكتور: الناصر أبو كروق.

حركة المجتمع الفاعلة ، وقد نجحت في ذلك في كثير من دول العالم الإسلامي [١] .

وإذا وقفنا قليلاً مع اهتمام الحركة التنصيرية بالتعليم الإرسالي التي غايتها التنصير الصريح وبطرق مكشوفة تماماً، مدعومة من الحكومات الاستعمارية النصرانية، ومصرحاً لها من قبل الحكومات الوطنية في البلدان الإسلامية؛ التي إمّا لأنها مغلوبة على أمرها أو لأنها عميلة متواطئة ، لوجدنا العجب من انتشار مدارس الإرساليات في أكثر من بلدان المسلمين خاصةً في الثلاثة القرون الماضية ، في نهاية القرن الثامن عشر ، وفي القرن التاسع عشر ، وفي النصف الأول من القرن العشرين ، وهذا يُبيّن لنا حقيقة وضعنا الحاضر المؤسف في تمكّن التنصير ورجالاته من كثير وكثير من بلدان العالم الإسلامي في عصور تدّعي أوروبا وأمريكا وباقي العالم النصراني أنها قائمة على العلمانية والتحرر من القيود التشريعية السماوية .

فالتعليم الإرسالي التنصيري المباشر حظي باهتمام بالغ من البابوية وكنائسها الكاثوليكية في العالم؛ لذلك انتشرت مدارسه في كل مكان وصلت إليه الكاثوليكية بمساعدة حكوماتها الاستعمارية المتسلطة على العالم الإسلامي، إما بطريقة مباشرة أو من وراء الكواليس. فما وطئت قدم إرسالية من إرسالياتهم التنصيرية أرضاً إلاّ وكان تكوين مدرسة تابعة لها من أول أعمالها التي تقوم بها بل إن بعض الحكومات الإسلامية ــ وللأسى ــ كانت تُقدِّم المساعدات المباشرة لمدارس تلك الإرساليات وتدعمها إمّا بإعطاء أراضٍ شاسعة هبةً لها ، أو تحميها من غضب الشعب المسلم ، كما حصل في مصر في عهد الخديوي محمد سعيد (١٨٥٤ ــ ١٨٦٣م) ، فقد قام بإهداء مقر دائم لبيت ((الأخوات الفرنسيسكان)) في القاهرة عام ١٨٥٩م ، وسمح ــ كذلك ــ للإرسالية الفرنسية ، خلال الفترة من (١٨٥٥ ــ ١٨٦٣م) بإنشاء عشر مدارس للفرنسيسكان بالوجه القبلي والوجه البحري ، وامتدت هذه المدارس إلى بور سعيد، وأغدق عليها بلا حساب ، كما أنّه تكفّل في عام ١٨٦٠م بكل الاحتياجات اللازمة لحماية الإرساليات

---

[١]) المرجع السابق ، ص ١٤٣ ، التنصير والتغلغل الاستعماري في إفريقيا ، والاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين ، ص ١٥٠ ، مصطفى نصر المسلاتي .

الكاثوليكية خاصة الفرنسيّة منها في مصر [١] .

وبرز التعليم الإرسالي الكاثوليكي بروزاً واضحاً في بعض البلاد الإسلامية كلبنان مثلاً، فقد استطاعت الإرسالية اليسوعية من تكوين جامعة بأكملها في لبنان منفتحة على الشعب المسلم هناك ، وقد تكوّنت هذه الجامعة اليسوعية باسم جامعة القديس يوسف ، وقد صادق على إنشائها بابا روما لاوُن الثالث عشر في عام ١٨٧٥م . بدأت نواة هذه الجامعة الكاثوليكية في سنة ١٨٣٩م بمدرسة للإرسالية اليسوعية في بيروت ، ثم بمعهد إكليركي سنة ١٨٤٦م ، فمدرسة أخرى سنة ١٨٥٥م ، ثم جُمعت جميعاً وأُطلق عليها لقب جامعة القديس يوسف في سنة ١٨٧٥م ، وخولها لاوُن الثالث عشر بمنح الدرجات الأكاديمية ، ولا سيما الدكتوراه في الفلسفة واللاّهوت ، ثم ألحق بها كليات تجريبية مثل كلية الطب في عام ١٨٨٣م [٢]. وقد اهتمت هذه الجامعة ببعث البحوث التنصيرية من خريجيها إلى بلدان العالم الإسلامي خاصة إلى مصر [٣].

ونجحت الإرسالية الفرنسسكانية منذ عهد احتلال فرنسا بقيادة نابليون بونابرت مصر في عام ١٧٩٨م ، من تكوين معهد فرنسي تنصيري .

تطوّر هذا المعهد الإرسالي التنصيري في مصر بفرعيه بالمنيرة في القاهرة وفي الاسكندرية. ففي الاسكندرية تحوّل اسم المعهد الإرسالي إلى اسم ((المركز الفرنسي للثقافة والتعاون)) ، ويستقبل مريديه في مكانه القديم في فيلا من القرن التاسع عشر التي حوت لمدة طويلة ((بيت فرنسا))، تحيط بالفيلا حديقة من الطراز الإيطالي تملكها الدولة الفرنسية منذ (١٨٨٦/٩/١٩م) . وفي عام ١٩٩٦م تحول اسم المعهد الذي في حي المنيرة بالقاهرة إلى نفس الاسم الذي في الاسكندريّة ((المركز الفرنسي للثقافة والتعاون))، وكذلك أنشأ له فرعاً جديداً بمصر الجديدة بنفس الاسم . وفي عام ٢٠٠٢م استطاعت هذه الفروع الإرسالية الفرنسيسكانية من تكوين جامعة تسمّت باسم ((الجامعة الفرنسية

---

[١]) الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر ، ص ٤٦ ـــ ٤٧ ، د. خالد محمد نعيم .

[٢])البعثات اليسوعية ، ص ١٢٩ ، د. طلال عتريسي ، موقع جامعة القديس يوسف على الانترنت

[٣]) الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر ، ص ٥٣ ، د. خالد محمد نعيم .

بمصر))[١].

أما في المغرب العربي (شمال إفريقيا) فقد انتشرت المدارس والمعاهد الإرسالية الكاثوليكية بشكل كبير إبّان الاحتلال الفرنسي والإيطالي لتلك الدول العربية الإسلامية.

وبهذا الاحتلال وجد الكاثوليك أنفسهم أمام ميدان رحب للعمل التنصيري الميداني الكبير الذي مكّنهم من أن يبدؤوا ((بالفعل بالخطوة الأولى لتحقيق حلمهم القديم ولم تكن هذه الخطوة الأولى سوى التخطيط لنشر الثقافة والتعليم ... لقد لعبت المدارس الأجنبية والإرساليات التي أنشأتها دوراً خطيراً . وتحوّلت هذه الإرساليات التبشيرية إلى آلات سياسية طيّعة تخدم أهداف الاستعمار الثقافيّ والسياسيّ والديني))[٢].

فليبيا ، مثلاً ، بدأت فيها المدارس الإرسالية لتعليم النصرانية بطريقة مباشرة بمدرسة للإرسالية الفرنسيسكانية في عام ١٨١٠م ، ثم تكوّنت أول مدرسة للبنات عن طريق الإرسالية الكاثوليكية المسماة بإرسالية ((إخوان الراعي)) سنة ١٨٤٦م ، ثم تتابعت مدارس الإرساليات الكاثوليكية في ليبيا خاصة عندما تمكّنت إيطاليا من السيطرة عليها

---

[١]) انظر موقع المعهد والجامعة الفرنسية : (htt : www.ambafrance – eg . org/cfcc)

كما أن للطائفة البروتستانتية الباع الطويل في استغلال التعليم في مجال تحقيق أهدافها التنصيرية ، خاصة في مجال التعليم العالي، فمثلاً : الجامعة الأمريكية البروتستانتية كوّنت لنفسها فروعاً عديدة في أهم دول العالم الإسلامي ، مثل : مصر ، ولبنان ، وسوريا ، ودبي ، وغيرها .

وقد كان المُدّرسون الذين يعلّمون في تلك المعاهد والجامعات المواد غير الدينية يُكلّفون بأن يُقسموا يميناً بأن يُوجّهُوا جميعَ أعمالهم نحو هدف واحد، هو التنصير؛ الأمر الذي جعل هؤلاء لا يألون جُهداً في تعليم الطلاب المبادئ النصرانية وتحبيبها إليهم، وذلك في الدروس التي لا صلة لها بالدين ، فضلاً عن المواد الدينية النصرانية .

فكان يُستغلّ كُلُّ درس في سبيل تأويل مسيحي لفروع العلوم كالتاريخ ، وعلم النبات ، وغيرها ، حتى درس اللغات، كان يُستغل في ترجمة أجزاء من نصوصهم المقدسة خاصة إلى اللغة العربية ، وكان عندما يحتج بعض الطلبة على هذا التوجيه التعليمي لصالح الدعوة إلى التنصير ، كان احتجاجهم يُردُّ عليه من قبل المسئولين على تلك المعاهد والجامعات ، كما حدث في الجامعة الأمريكية في بيروت ، فأصدرت الجامعة منشوراً جاء فيه : ((إنّ هذه كلية مسيحية ، أُسِّستْ بأموال شعب مسيحي ، هم اشتروا الأرض ، وهم أقاموا الأبنية ، وهم أنشأوا المستشفى وجهّزوه ، ولا يمكن للمؤسسة أن تستمر إذا لم يسندها هؤلاء ، وكل هذا قد فعله هؤلاء ليوجدوا تعليماً يكون الإنجيل من موارده ، فتفرض منافع الدين المسيحي على كل تلميذ ، وأنّ كل طالب يدخل إلى مؤسستنا يجب أن يعرف ماذا يطلب منه)) . انظر : مدخل إلى تاريخ حركة التنصير ، ص ٦٨ . د. ممدوح حسين .

[٢]) الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين ، ص ١٤٤ ، مصطفى نصر المسلاتي .

تماماً في عام ١٩١١م [1].

وكذلك باقي دول المغرب العربي (الشمال الأفريقي)، فمدارس الإرساليات الكاثوليكية مدعومة تماماً من قبل الحكومة الفرنسية ؛ تطبيقاً لآراء المنصِّر الكاثوليكي الأب فوكول الذي نادى بأن المغرب لا يكون لفرنسا ما دام فيه المسلمون .

ولقد عُثِرَ على تقرير سريّ وُجِد في مكاتب الإقامة الفرنسية العامة بالرباط ، ومكاتب ((ك . دورسي)) بباريس ، نشر سنة ١٩٢٧م ، بعد رحيل رجل فرنسا الخطير المشير ليوتي ــ كانت له علاقة بدول المغرب العربي من سنة ١٨٨٢ ــ ١٩٢٠م ــ ، وفيه أن هذا الجنرال قد ركّز إبّان إشرافه على القوات الفرنسية هناك على التعليم الإرسالي الكاثوليكي، فعن طريقه كما يرى ((يمكن أن يتمّ فيه العمل الأكثر عمقاً والأشدُّ أثراً)) [2].

أمّا في إفريقيا السمراء فكانت الكنيسة بتعليمها الإرسالي وراء (٩٥%) من حركة التعليم العام هناك حتى عام ١٩٦٠م [3].

فمثلاً في غرب إفريقيا (السنغال وما حولها) كانت أكثر الإرساليات الكاثوليكيّة انتشاراً ونشاطاً هي إرساليات الآباء البيض، فقد جعلوا المدرسة المحور الرئيس الذي كان يدور حوله نشاطهم التنصيري، فقد اهتموا بتعليم الكبار، وركّزوا أكثر على الأطفال، لأنهم أكثر تقبلاً لتعاليمهم النصرانية ، وقد حذا المنصِّرون هناك حذو الطرق الصوفية المنتسبة للإسلام، في شراء العبيد ثُمّ الشروع في تكوينهم وتعليمهم [4].

وفي السودان وجدت الإرساليات التنصيرية طريقها ممهداً تماماً منذ احتلال السودان بواسطة الجيش الانجليزي عام ١٨٩٨م ، فوضعت الخطط والمشروعات لرفع النشاط التنصيري عن طريق تكثيف بناء الكنائس والمدارس التابعة لها ، علماً أن اللغة العربية أُعتمدت في بداية الأمر ــ لكسب العامّة ــ لغة الإرساليات التنصيرية ، كما أنّ التعليم

---

[1]) المرجع السابق ، ص ١٤٤ ــ ١٤٥ ، مصطفى نصر المسلاتي .

[2]) المرجع السابق ، ص ١٣٥ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، مصطفى نصر المسلاتي .

[3]) التنصير والتغلغل الاستعماري في إفريقيا ، ص ٣ ــ ١٣٧ ، إصدار جامعة إفريقيا العالمية .

[4]) دراسة في حركات التبشير والتنصير بمنطقة إفريقيا فيما وراء الصحراء ، ص ٧٤ ، ٧٥ ، د. الهادي الدالي ، د. عمار هلال .

الإرسالي ركّز نشاطه في جنوب السودان أكثر من شماله خوفاً من غضب المسلمين .

وقد استطاع التعليم الإرسالي في مناطق جبال النوبة وجنوب السودان أن يُؤثر على كثير من السكان ويحد من انتشار الإسلام هناك .

علماً بأنّه ليس للحكومة السودانية الحق في الإشراف على تلك المدارس، ففتحت أول مدرسة في الجنوب تابعة للتعليم الإرسالي الكاثوليكي عام ١٩٠٣م، وبعدها انتشر التعليم الإرسالي هناك ، حتى أنهم خصصوا لكل إرسالية كاثوليكية كانت أو بروتستانتية منطقة من مناطق الجنوب لممارسة نشاطها فيها [1].

وكذلك الحال في كل منطقة وصلت إليها المدارس الإرسالية في العمل على زعزعة العقيدة الإسلامية في قلوب الناشئة من المسلمين ، ومحاولة إدخالهم إلى النصرانية ، وخطورة المسألة على القارة الأفريقية أنها تعج بآلاف المنظمات التنصيرية ، والتي تضم في مسيرتها جيوشاً ضخمة من الرهبان والراهبات والأطباء وغيرهم ، والذين تمكّنوا من المجتمعات الإسلامية هناك مستغلين الفقر والجهل والمرض المتفشي. ففتحت الإرساليات مدارسها للعبث بعقول أبناء المسلمين ، ووضعوا لها الخطط المبرمجة لإنجاحها ثم استمرارها بعد ذلك فعملوا على تكوين نمط متسلسل محكم ، يبدأ من تحديد الهدف بدقة ، ثم وضع خطة فكرية واضحة لتحقيقه ، ثم إخراجها إلى حيز التنفيذ بالدعوة ومحاولة الإقناع [2].

وتقوم هذه الإرساليات باسم العلم ونشر التعليم والقضاء على الجهل ـــ زوراً وبهتاناً ـــ بأعمال مُخزية ، وذلك للوصول إلى هدفها التنصيري ، وزعزعة العقيدة الإسلامية في قلوب معتنقيها ، ومن تلك الأعمال :

أنّ تلك الإرساليات تقوم بتوقيع عقودٍ مع عدد من الأسر الفقيرة المسلمة تقدم بموجبها تلك الإرساليات إليها مساعدات عينية كل شهر ، على أن يكون للإرساليات الحق في اختيار طفل من أطفال الأسرة تُربّيه وتقوم بتعليمه على حسابها، ويكون في العقد مادة تنص على أن الأسرة مجبرة على ردّ ثمن المساعدات، وعلى دفع نفقات ابنها ، ونفقات تعليمه إذا هي خالفت شروط العقد (بطلب استرداد ابنها مثلاً) .

[1]) التنصير والتغلغل الاستعماري في إفريقيا ، ص ٣٤٩ ـــ ٣٥٠ ، إصدار جامعة إفريقيا العالمية .

[2]) المرجع السابق ص ١٨٧ ، والتنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، ص ١١١ ، سيد أحمد يحيى .

والأمثلة على ذلك عديدة ، منها ما حدث في دولة السنغال ، فرئيس جمهوريتها في فترة من الفترات ، في بداية الستينات من القرن العشرين ـ وبتلك الطريقة التي سلكتها الإرساليات في شراء الأطفال من أسرهم المسلمة ـ كان نصرانياً مع أنّ أبويه وإخوانه مسلمون ، وسُمّي (سانجو) ومعناه سان جورج أي القديس جورج[1] .

أمّا في جيوب المقاومة الجهادية الإسلامية ضد المستعمر الغربي النصراني ، فإنّ تلك الدول النصرانية الغاصبة تنتهج نهجاً شرساً لمساعدة الإرساليات التنصيرية في الاستيلاء على أولاد المسلمين، فقد تقوم بقتل بعض الأُسر المسلمة، وتُسلّم أطفالهم إلى تلك الإرساليات لكي تُدخلهم في مدارسها التنصيرية وتُنشئهم على النصرانية إمّا على الطريقة الكاثوليكية أو البروتستانتية، كما حدث في القرن الإفريقي (الصومال وما حوله) بواسطة القوات الإيطالية الكاثوليكية، والقوات البريطانية البروتستانتية[2] .

كما أنّ هذه الإرساليات تقوم ببناء قُرى نصرانية جديدة مستقلة في محيط إسلامي، تعتني بها عناية فائقة من الناحية التعليمية والطبية، كما حدث في بعض البلدان الأفريقية، في نيجيريا والكونغو ـ مثلاً ـ فقد قامت الإرساليات الكاثوليكية بشراء عدد كبير جداً من الأطفال في الربع الأخير من القرن التاسع الميلادي لتعمير قُرى مستقلة مع من استطاعوا تنصيرهم من أهل البلد لجعلها نواة محلية تنطلق منها العمليات التنصيرية ، وفي نفس الوقت لوقف انتشار الإسلام في تلك البلدان .

وقد بيّنت تلك الإرساليات جدوى هذه الخطوة عندما أرسلت خطاباً إلى الكاردينال بيروكت عميد كلية الإعلام والدعوة في روما في عام ١٨٨٢م ، جاء فيه : ((لقد جمع آباؤنا عدداً كبيراً من الأطفال من الجنسين ذكوراً وإناثاً، جمعوهم بمبالغ طائلة، ولهذا يُفترض أن نرعاهم إلى عدد من السنين حتى نستطيع أن نجعلهم خدماً للمسيحية، يعينوننا في بناء القرى المسيحية))، وبهذه الطريقة تم جمع ١٨٨٠ طفلاً من الكونغو في عام ١٨٩٦م و١٨٣٠ طفلاً من أوبانقي فيما بين ١٨٩٤م إلى ١٨٩٩م ، وبالتالي استطاعت الكاثوليكية الرومانية أن تُنشئ مجموعة من القرى النصرانية التي أصبحت نواه لمدن كاملة

---

[1]) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص ٣ ، مصطفى خالدي ، وعمر فروخ .

[2]) التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، ص ٣١ ، ٧١ ، سيد أحمد يحيى .

فيما بعد [1].

كما أن هذه الطريقة استخدمتها الإرساليات التنصيرية في آسيا، فمثلاً في أندونيسيا، بنت قُرى جديدة حول المدن الكبيرة ، مثل جاوا ، وقد نجحت تلك الإرساليات في محافظات منها محافظة لامبونغ بجنوبي سومطرة [2].

ومن أول الأماكن التي انتشرت فيها الكاثوليكية في أندونيسيا ـــ وهي أكثرها تمكّناً وعدداً وذلك بسبب قوة التعليم الإرسالي هناك مع الخدمات الأخرى كالطبية، وغيرها ـــ هو القطاع الشرقي من جزر السوندا الصغرى ((وتُسمّى حالياً نوسا تينقارا تيمور)) ((تيمور الشرقية)) ، وذلك منذ القرن السادس عشر الميلادي ، ثم ازدادت الكاثوليكية ازدهاراً فيها منذ عام ١٨٠٢م عندما تمّ تعيين أول قاصد رسولي في أمبون ، وقد أقيم أول قدّاس علني رسمياً في يوم (١٠/٤/١٨٠٨م) . تيمور الشرقية تلك التي تضافرت كل القوى الغربية وعلى رأسها الفاتيكان من أجل انفصالها عن جسد الدولة الإسلامية الاندونيسية .

وقد أُقيمت قصادة رسوليّة أخرى في جاكرتا عام ١٨٠٧م ، وكانت أول انتشار ملاحظ للمدارس الكاثوليكية خاصة الخاضعة للإرساليات اليسوعية (الجزويت) منذ عام ١٩٠٤م. وقد انتشر التعليم الإرسالي الكاثوليكي هناك ابتداءً من رياض الأطفال إلى الجامعات ، وأصبح لديهم ثمانية (٨) معاهد عُليا للاهوت وعشرات المعاهد الثانوية اللاهوتية، وذلك في حلول عام ١٩٧٩م .

وفي عام ١٩٧٠م زار البابا بولس السادس (٢١ حزيران ١٩٦٢ ـــ ٨ كانون الأوّل ١٩٦٥م) جاكرتا لحضور الاحتفال بعيد المُنصِّر اكسافيريوس (٤/١٢/١٩٧٠م) واستقبله الرئيس سوهارتو .

وقد أقام الكاثوليك في تلك الفترة مجلساً أسموه ((مجلس رعاة الكنائس بأندونيسيا)) له رئاسة وأمانة عامة، وتضم هذه الأمانة أقساماً للموظفين ولشؤون التعليم والشؤون المالية، والخدمات العامة وشؤون المستندات والإعلام، كما يضم المجلس معهدين، أحدهما معهد البحوث والتنمية والآخر المعهد الإنجليزي الاندونيسي، وثمان لجان هي: لجنة الشؤون

---

[1]) التنصير والتغلغل الاستعماري في إفريقيا ، ص ٣٣ ، جامعة إفريقيا العالمية .

[2]) غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا ، ص ١٩٢ ، أبو هلال الأندونيسي .

الاجتماعية والاقتصادية، ولجنة معاهد اللاهوت، ولجنة الطقوس والعبادات، ولجنة معلّمي الدين ، ولجنة الشؤون التربوية ، ولجنة الاتصالات الشعبية، ولجنة الايكوميني ((أي إعادة وحدة الكنائس النصرانية)) [1].

ومن أخطر طرق التعليم الإرسالي، أخذهم طريقة تكوين المدارس الداخلية، فينقطع الصبي عن أسرته أسابيع متتالية، فهو بهذه الطريقة إن لم يعتنق النصرانية فعلاً، فإنه — ولا شك — تتحقق فيه غاية من غايات التنصير ، وهي إفساده وجعله مماثلاً للنصارى في زيه وأخلاقه وممارساته وتفكيره [2].

ومن أكثر ما اهتمت به الإرساليات التنصيرية عن طريق المدارس الداخلية « المرأة المسلمة . فقد كونوا كثيراً من الأقسام الداخلية الخاصة بالبنات المسلمات ، واهتموا بإنشاء دور لإيوائهن ، حيث يؤدي ذلك إلى انتزاعهن من بيئتهن المسلمة « ووقوعهن تحت سيطرة التنصير مباشرةً .

وقد قالت المُنصِّرة آنا ميلجان : ((يوجد في صفوف كلية البنات بالقاهرة بنات آباؤهن باشوات وبكوات ، وليس ثمَّة مكان آخر يمكن أن يجمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي ، وليس ثمة طريق إلى دحض الإسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة)) [3].

ولقد قال الشيخ محمد عبده محذراً من العواقب الوخيمة التي تترتب على الالتحاق بتلك المؤسسات التعليمية ، : ((... فلا ترى من البقاع إلاّ فيها مدرسة للأمريكان أو اليسوعيين أو العزارية أو لجمعية أخرى من الجمعيات الدينية الأوروبية .

والمسلمون لا يستنكفون من إرسال أولادهم إلى تلك المدارس طمعاً في تعليمهم بعض العلوم المظنون نفعها في معيشتهم ، أو تحصيلهم بعض اللغات الأوروبية التي يحسبونها ضرورية لسعادتهم في مستقبل حياتهم .

---

[1]) المرجع السابق « ص ١٧ — ٢٠ ، أبو هلال الأندونيسي .

[2]) التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته « ص ١١٧ « سيد أحمد يحيى .

[3]) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، ص ١٦٦ ، أحمد عبد الوهاب .

ولم يختص هذا التساهل المحزن بالعامة والجهال ، بل تعدّى المعـــروفين بالتعـــصب في دينهم ، بل لبعض ذوي المناصب الدينية الإسلامية .

أولئك الضعفاء أولاد المسلمين ، يدخلون إلى تلك المدارس الأجنبية في سن السذاجة وغرار الصبا والحداثة ، ولا يسمعون إلا ما يخالف أحكام الشرع المحمدي ، بل لا يطرق أسماعهم إلاَّ ما يزري على دينهم وعقائد آبائهم ... فلا تنقضي سنوات تعليمهم ، إلا وقد خوت قلوبهم من كل عقد إسلامي ، وأصبحوا كفاراً تحت حجاب اسمه الإســـلام ، ولا يقف الأمر عند ذلك بل تعقد قلوبهم على محبة الأجانـــب ، وتنجـــذب أهـــواؤهم إلى مجاراتهم، ويكونون طوعاً لهم فيما يُريدونه منهم ، ثم ينفثون ما تدنست به نفوسهم بـــين العامة بالقول والعمل، فيصيرون بذلك ويلاً على الأمة، ورزية على الدولة نعوذ بالله))[1] .

فالتعليم الإرسالي ، ومدارسه ومعاهده وجامعاته التنصيرية ، أشد ضرراً على العقول والأفئدة وأعمق تدميراً على الأفكار من التعليم العلماني .

ب) : من خلال الإعلام .

استغلّ المنصّرون وسائل الإعلام المختلفة ((المرئية، والمسموعة، والمقروءة)) استغلالاً تاماً ــ يفوق كل التصورات ــ في سبيل إنجاح عملياتهم التنصيرية الموجّهـــة ؛ وذلـــك لإدراكهم أن تأثيره أخطر وأقوى وأعمّ حتى من التعليم وطرقه ، فالتعليم يُخاطب مجموعة قليلة من الشعب مقارنة بما تخاطبه وسائل الإعلام ، والتي قد لا يستثنى من تأثيرها إلا القلة القليلة من أبناء الشعب ، حيث إنها تدخل البيوت ، وبطرق جذّابة لا يـــستطيع أحـــد مقاومتها ، إلا من رحم الله من المثقفين الثقافة الإسلامية الصحيحة ، والذين قد يتنازلون ــ في بعض الأحيان ــ عن أمور قد يكون الخلاف فيها قويّاً ، بـــل قـــد تكـــون مـــن المسلّمات من أجل ضغط الجماهير المتأثرة بوسائل الإعلام المُسيّرة بطرق مـــاكرة خبيثـــة تعمل ضد الإسلام وقيمه وحضارته .

لذلك نجد أن الإرساليات التنصيرية ومنظماتها وهيئاتها ــ فضلاً عن الاتجاه التغـــريبي

---

[1]) قوى الشر المتحالفة ، وموقفها من الإسلام والمسلمين ، ص ١٠٢ ، محمد محمد الدهان ، المدير العام بـــالأزهر الشريف سابقاً .

العلماني ؛ كل يعمل على حسب أهدافه ومبتغاه من الأمة الإسلامية ـــ لم يغب عنها استخدام وسائل الإعلام، أو ما يُسمّى ((بوسائل الاتصال الجماهيري)) مرئيةً كانت مثل ((التلفزيون، والأفلام، والسينما، والمسرح)) ، أو مسموعة كانت مثل ((الراديو، وأشرطة التسجيل المسموعة))، أو مقروءة مطبوعة كانت مثل ((الصحف، والنشرات، والكتب، والمجلات)) .

ولقد انطلقت الكنيسة ومؤسساتها التنصيرية في اهتمامها بهذه الوسائل من حقيقة مهمة أكدت عليها كثيراً ، وهي أنّ هذه الوسائل عندهم تُساهم بصورة فعّالة في تثقيف العقل والترويح عنه ؛ وتساعد على انتشار ملكوت المسيح وتدعيمه ؛ وعلى هذا الأساس عندهم وانطلاقاً منه ، شهدت ساحة التنصير العالمية طوال القرن الماضي ـــ وحتى الآن ـــ وبمؤتمرات إعلامية عديدة ضمت صحفيين وإذاعيين وخبراء إعلام وأساقفة من كل أنحاء العالم ، والتي بحثت موضوع وسائل الإعلام وتطوير استخدامها والتوسع في إنشاء مؤسساتها وأنشطتها في مجال التنصير [1].

وقد عمل المنصّرون من خلال مؤتمراتهم واجتماعاتهم استراتيجية متكاملة لمخطط العمل الإعلامي التنصيري ، وتوصيات لدعم العمل الإعلامي واستمراريته ، ومن أشهر هذه التوصيات ما أصدره المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، فجاءت هذه الاستراتيجية الإعلامية التنصيرية على النحو التالي :

١) إن استخدام وسائل ((التعبير)) يعد واجباً من واجبات الكنيسة لنشر رسالة الخلاص بين الناس .

٢) من الضروري أن تستخدم الكنيسة وسائل الاتصال بالجماهير ، وأن تمتلكها لأنها ضرورية للتربية المسيحية ولكافة الأعمال الدعائية الأخرى .

٣) ينبغي استخدام هذه الوسائل استخداماً صحيحاً على ضوء طبيعة الوسيلة والظروف التي تستخدم فيها ، والغاية من استخدامها والأشخاص والزمان والمكان الذي تستخدمه فيه .

---

[1]) الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب ؛ ص ٥٧ ؛ دكتور كرم شلبي .

٤) على جميع أبناء الكنيسة أن يوحّدوا جهودهم ، وأن يتعاونوا على استخدام وسائل التعبير بصورة فعّالة ودون إبطاء وبأعظم قدر من الاهتمام في خدمة أعمال ((الرسالة)) مراعين مقتضيات الزمان والمكان الخاصة .

٥) على الدعاة أن يُبادروا في هذا الميدان إلى استخدام هذه الوسائل للقيام بواجب التبشير بالإنجيل الذي هو من صميم مهمتهم .

٦) ينبغي إنشاء محطات إذاعية كاثوليكية كلما سنحت الفرصة لذلك، والاهتمام بأن تكون على مستوى عالٍ من الكفاءة والجودة .

٧) الإسراع في إعداد الكهنة والرهبان القادرين والمؤهلين لاستخدام هذه الوسائل لتحقيق أهداف ((الرسالة)) ، وهنا يجب الالتزام بإعدادهم إعداداً فنّياً وعقدياً وأدبياً مناسباً .

٨) يجب الاهتمام بإنشاء العديد من المدارس والمعاهد والكليات التي تتيح للصحفيين ومنتجي الأفلام ومذيعي الراديو والتلفزيون ــ ولكل المعنيين بهذه الأمور ــ تحصيل ثقافة كاملة مشبّعة بالروح المسيحية تنصبّ بوجه خاص على التعليم الاجتماعي للكنيسة .

٩) على أبناء الكنيسة القيام بواجبهم في مساندة الصحف الكاثوليكية ومساعدتها، وتدعيم النشرات والدوريات والأفلام السينمائية ومحطات الراديو التلفزيون؛ حتى لا تواجه الفشل بسبب الصعوبات الفنية أو نقص الأموال التي تحتاج إليها .

١٠) إنشاء مؤسسات محلية لإنتاج الأفلام السينمائية وبرامج الراديو والتلفزيون وتدعيم هذه المكاتب وتزويدها بكافة الإمكانات .

١١) يجب استخدام هذه الوسائل ((لتوعية المسلمين)) أي تنصيرهم ، ولإعداد وتدريب المنصّرين في نفس الوقت وتزويدهم بكل ما يحتاجونه من معلومات في هذا المجال .

١٢) ينبغي ترجمة المطبوعات إلى مختلف اللغات وتبادلها مع مختلف الجهات التي تحتاج إليها في أي مكان في العالم .

ومما لا شك فيه أن الهيئات والمنظمات التنصيرية أفادت فائدة عظمى من جراء استخدام هذه الوسائل الجماهيرية ، فمثلاً في إحصائية عام ١٩٨٦م تمكّنت الإرساليات التنصيريّة عبر هذه الوسائل أن تصل بصوتها إلى ٤٨ مليون شخص ، وكان هذا الاتصال يتم بواسطة توزيع الكتب والنشرات التنصيرية والإذاعية وعرض الأفلام ، كما أنهم خططوا في أواخر التسعينات للوصول بالتنصير عبر هذه الوسائل الإعلامية إلى ٤٠٠ مليون شخص في ١٧٠ دولة ، وعملوا جاهدين على إنجاح التغطية التنصيرية لكل أجزاء الكرة الأرضية عبر الأقمار الصناعية في بداية القرن الحادي والعشرين ، وهذا ما يحصل الآن حقيقةً وليس خيالاً وأمنية [١] .

وقد كانت من أهم المعاهد الإعلامية في كيفية نشر الإنجيل في العالم « معهد الدراسات الإعلامية الذي تم افتتاحه في شهر يونيو عام ١٩٩٠م بمدينة بروكسل، ويقوم هذا المعهد بتكوين فريق متكامل من الإعلاميين المنصِّرين يجيدون تناول المواد الدينية إعلامياً [٢] .

فوسائل الإعلام ((وسائل الاتصال الجماهيري)) من أهم الميادين التي استغلتها الحركة التنصيرية في العالم لتنصير المسلمين وغيرهم ، ووجهتها بطريقة مدروسة ودقيقة بحيث تتجه نحو المراد تنصيرهم في كثافة وتنوّع منقطع النظير ، ومن ثم تخضعهم لعملية إعادة تشكيل عقلي أو غسل دماغ مستمر ليل نهار قد لا يفيقون منه ، و بكل لهجاتهم المحلية والقبلية ولغاتهم المعروفة [٣] .

الوسائل المرئية :

وهذه الوسائل من أكثر الوسائل الإعلامية تأثيراً ((التلفزيون والسينما والأفلام))؛ لذا فقد اهتم بها المنصّرون أيّما اهتمام لنشر النصرانية، وقد صرح المنصّر الجنرال شاهي

---

[١]) الإذاعات التنصيرية » ص ٥٨ » الدكتور كرم شلبي ، في الغزو الفكري ، ص ١٣٤ ، نذير حمدان ، مجلة البيان العدد (١٥٣) جمادى الأولى ١٤٢١هـ ــ أغسطس ٢٠٠٠ ، أحمد عبد الله الرفاعي .

[٢]) الفاتيكان والإسلام » ص ١٩ ، د. زينب عبد العزيز .

[٣]) التنصير والتغلغل الاستعماري في أفريقيا ، بحث بعنوان : (التنصير الحديث في أفريقيا خلفيته التاريخية وبعض وسائله) ، ص ١٤٢ ، بقلم د. الناصر أبو كروق (ندوة بحثية، جامعة أفريقيا العالمية) .

بونارسيا توياغ في عام ١٩٧٨م : ((إنه يجب السيطرة على وسائل الإعـلام وخاصـة التلفزيون)) [١].

ومن أخطر وسائلهم المرئية التنصيرية ، ذلك المشروع التنصيري الخاص بالفاتيكـان والمسمى بمشروع ((لومين ٢٠٠٠)) أي ((نور سنة ٢٠٠٠)) ، فهو الأداة الطاغيـة التي يتعين عليها أن تمطر الإنجيل على العالم بأسره ، عبر الأثير ، وهذا المشروع التنصيري يُعد الأول من نوعه من حيث الحجم واتساع رقعة البث وإمكانية السيطرة إعلاميـاً — تلفزيونياً — على كافة قارات العالم ، وبالخصوص قارتي إفريقيا وآسيا اللتين يوجد فيهما المسلمون بشكل مكثّف ، ويتمثل هذا المشروع في بناء محطة تلفزيونية كـبيرة للبـث في كافة أنحاء العالم للتنصير بتعاليم الإنجيل بواسطة ثلاثة أقمار صناعية ، هذا بالإضـافة إلى إحدى وعشرين ومائتي محطة للبث التلفزيوني التنصيري [٢].

كما إن إحدى أشهر القنوات التلفزيونية الكاثوليكية هي تلفزيون العائلة (Family Tv) [٣].

كما أنّ هناك عدة قنوات تنصيرية عربية تُعرض على القمر الأوروبي ((الهوت بيرد)) من أبرزها : النور، الحياة، معجزة، سات سفن، وإن كانت بعض هذه القنوات العربيـة ذات خطاب أُرثوذكسي إلاّ إنّها تُناقش أساسيات أصول العقيدة النصرانية بمنظار عـام، وتهاجم الإسلام ونبي الإسلام بشكل دائم، وببرامج ثابتة، وتـسعى بوضـوح لتنـصير المسلمين ، وتشكيكهم في دينهم الإسلامي [٤].

---

[١]) بحث بعنوان : (التنصير والاختراق الأخلاقي الاستعماري لأفريقيا) ، ص ٢٩٠ ، د. إبراهيم علي محمد أحمد ، ضمن بحوث الندوة المسماة (التنصير والتغلغل الاستعماري في أفريقيا) ، جامعة أفريقيا العالمية .

[٢]) الفاتيكان والإسلام » ص ٢٠ ، أ . د. زينب عبد العزيز ، التنصير والاختراق الأخلاقي الاستعماري لأفريقيا ، ص ٢٩١ » د. إبراهيم علي محمد أحمد » ومن ضمن بحوث ندوة (التنصير والتغلغل الاسـتعماري في أفريقيـا) ، جامعة أفريقيا العالمية .

[٣]) كينيا بين عجز المسلمين وشراسة المنصرين » ٢/٢ ، بقلـم : نجـاح شوشـة ، موقـع مفكـرة الإسـلام www.islammemo.cc

[٤]) الفضائيات المسيحية الغربية . . . هل تتحول إلى أحزاب دينية بديلة ؟! بقلم محمد جمال عرفة » مجلة المجتمـع بتاريخ (٢٠٠٥/٧/٣٠م) » موقع نسيج www.naseej.com

كما أن المنصِّرين اهتموا اهتماماً كبيراً بالسينما المتحولة لبث الأفلام التنصيرية في الريف ، وسط الأميين خاصة في إفريقيا ، وتأتي خطورة السينما المتحولة لكونها تخاطب أناساً بسطاء ليس لهم ما يُحصِّنهم من العلم ولا الدراية (المقبولة) بتعاليم الدين الإسلامي، الأمر الذي يجعلهم صيداً سهلاً للمنصّرين عبر تلك الوسيلة ، وهناك دور متخصصة في إنتاج هذه الأفلام وترجمتها إلى معظم لغات أهل الأرياف ولهجاتهم، وهنا تكمن الخطورة التي تستوجب الانتباه والحذر من قبل المنظمات الدعوية الإسلاميّة العاملة في مجال الدعوة فتحاول توعية المسلمين وتثقيفهم وبخاصة الأميين وسكان الريف [1] .

الوسائل المسموعة (الإذاعة) .

اهتم المنصرون اهتماماً بالغاً بالوسيلة السمعية في مجال التنصير ، فهي عندهم من الوسائل المثلى لمخاطبة الجماهير العريضة على اختلاف مستوياتهم الثقافية والتعليمية ، فضلاً عما تتمتع به من إمكانات وقدرات تيسر لها الوصول إلى هذه الجماهير العريضة المتنوّعة في أماكن متعددة على مساحات واسعة في الأرض والبحر ، متخطية حواجز المسافات وحواجز الرقابة وحواجز الأمّية في آن واحد [2] ، ولعل هذا ما جعل أحد المنصرين والباحثين في مجال العمل التنصيري يقول : ((يبدو أن الإذاعة هي إحدى الوسائل الرئيسية التي يمكن بواسطتها الوصول إلى المسلمين في بلدان الشرق الأوسط وشمال إفريقيا المغلقة ، حيث الإذاعة يمكنها كما نعلم أن تخترق الحواجز الحدودية ، وأن تعبر البحار وتقفز الصحاري وأن تنفذ إلى مجتمعات المسلمين المغلقة والذين لم تسنح الفرصة لأغلبيتهم لأن تسمع عن رحمة التخليص التي أودعها الرب يسوع ... إذا أردنا الوصول بصورة مؤثّرة برسالة ربّنا عيسى المسيح إلى العالم الإسلامي في هذا الجزء الأخير من القرن العشرين . فالإذاعة ضرورة قصوى وجزء مهم جداً من برامجنا)) [3] .

---

[1]) التنصير والاختراق الأخلاقي الاستعماري لأفريقيا ، ص ٢٩١ ، د. إبراهيم علي محمد أحمد ، من ضمن بحوث ندوة (التنصير والتغلغل الاستعماري في إفريقيا) ، جامعة افريقيا العالمية .

[2]) الإذاعات التنصيرية المواجهة إلى المسلمين العرب ، ص ٦٢ ، د. كرم شلبي .

[3]) التنصير والاختراق الأخلاقي الاستعماري لأفريقيا ، ص ٢٩١ ، بقلم د. إبراهيم علي محمد أحمد ، من ضمن بحوث ندوة (التنصير والتغلغل الاستعماري في أفريقيا)، جامعة أفريقيا العالمية .

وقد جاء التعبير عن ذلك أيضاً بقولهم : (إنّ كلّ جهاز ترانزستور قد يصبح مبشراً بالمسيح ، وأنّ هذا الجهاز الذي ساعد الناس على سماع كلمة الإنجيل ينبغي أن يُكرّس لخدمة الله وإنجيله الطاهر ولخير البشرية جمعاء))[1].

وتأكيداً لهذا الاهتمام بالإذاعة وتجسيداً له ، قامت عشرات الهيئات والمنظمات الإذاعية التنصيرية في أنحاء متفرقة من العالم بإنشاء المحطات الإذاعية، والتخطيط لها، وتبادل الخبرات والبرامج والاستشارات ، وعقد المؤتمرات والندوات العلمية ، وتنفيذ التوصيات، وإقامة الدورات التأهيلية والتدريبية للكوادر والعناصر التي تعمل في هذه المحطات ، وإجراء البحوث والدراسات على جماهير المستمعين للكشف عن مدى تأثير هذه المحطات وفاعليتها، فضلاً عن تقويم وتقييم خططها وبرامجها .

ومن المنظمات النشطة في هذا المجال، منظمات ومؤسسات تنصيرية كاثوليكية، منها:

الرابطة الكاثوليكية للراديو والتلفزيون :

ومقرها سويسرا، وهي رابطة تضم مئة محطة إذاعية كاثوليكية وينصب نشاطها على خدمة التنصير ــ والذي تطلق عليه مصطلح التبشير ــ ، وعقد المؤتمرات، وتبادل الخبرات والمعلومات في هذا المجال، فضلاً عن التعاون المنظم مع الروابط والهيئات والمنظمات الإذاعية التنصيرية الأخرى ، وإجراء البحوث والدراسات وتقديم التوصيات اللازمة .

الاتحاد الفلبيني للإذاعيين الكاثوليك :

مقره تايلند ، ويتولى الإشراف على عدد من المحطات التنصيرية ، ويُقدم لها المعلومات وخدمات التدريب والتخطيط[2].

ومن أشهر المؤتمرات في هذا المجال الإعلامي الخطير ، المؤتمر الذي عقد في زامبيا عام

---

[1] الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب ، ص ٦٣ ، د. كرم شلبي .

[2] المرجع السابق ، ص ٦٣ ــ ٦٥ ، د. كرم شلبي ، الإذاعات التنصيرية في افريقيا ، ص ١٠٦ ــ ١٠٧ ، بقلم عبد الله علي الصافي ، من ضمن بحوث ندوة : (التنصير والتغلغل الاستعماري في افريقيا) جامعة افريقيا العالمية ، ومقالة بعنوان : (إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية) تحت زاوية : سلسلة كتب الأمة ،

١٩٦١م ، والذي حضره مندوبون في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا وأفريقيا ، جرت مناقشات مسهبة حول ((أفضل الطرق التي يمكن للكنائس الأفريقية اتباعها للإفادة من وسائل الاتصال الجماهيرية في مجال التبشير)) ، وكان أهم ما توصل إليه المؤتمرون في هذا الصدد قرارهم بإنشاء مركز للتدريب الإذاعي يكون مقره ((كينيا)) من أكبر التجمعات الكاثوليكية في إفريقيا، وقد تم إنشاء هذا المركز الذي أكد فاعليته الهائلة في هذا المجال، ونجح في إعداد الدورات المتنوعة ((دورات قصيرة المدى ، ودورات طويلة المدى تستغرق الدورة الواحدة ستة أشهر))، ومن ثم تمكن من استقطاب العديد من الخبراء ، وإعداد العديد من الكوادر الأفريقية في مجالات العمل المحتك بالإذاعة المسموعة والمرئية .

وفي عام ١٩٦٥م عُقد مؤتمر آخر في روما ، وقد اتخذ قراراً بالقيام بحملة دعائية واسعة تدعو لجمع التبرعات من أجل تدعيم هذه الإذاعات ... ، وهكذا توالت المؤتمرات النصرانية لتدعيم هذا المجال التنصيري الواسع الانتشار .[1]

وهناك أعداد كثيرة من الإذاعات الغربية العاملة في المجال التنصيري، كاثوليكية وغيرها من الفرق النصرانية، ومن أشهر الإذاعات التنصيرية الكاثوليكية، وهي :

إذاعة راديو الفاتيكان :

افتتحت هذه الإذاعة ((راديو الفاتيكان)) في فبراير عام ١٩٣١م ، وقد أنشأها مخترع الراديو الشهير (ماركوني) ، وقدّمها هدية لبابا الفاتيكان بيوس التاسع (١٦ حزيران ١٨٤٦ ــ ٧ شباط ١٨٧٨م) ، وتولى ماركوني تقديمها للبابا في مناسبة الافتتاح ، وبدأ البابا حديثه قائلاً : ((إنّ هذه الإذاعة قامت لتخدم عالم يسوع المسيح)) ، وتحقيقاً لهذا الهدف اهتمت برامج المحطة بإذاعة خطب البابا ورسائله ، وبث أخبار الفاتيكان ، والاحتفالات والمناسبات الدينية ، فهي الوسيلة المثلى آنذاك التي تتيح للبابا

---

[1]) الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب ، ص ٦٧ ، د. كرم شلبي .

وتمكنه من الاتصال بأبناء الطائفة الكاثوليكية في أنحاء العالم [١].

واستمر القائمون على هذه المحطة التنصيرية في تطويرها وتحقيق أهدافها التنصيرية ، ففي عام ١٩٧٠م حقق راديو الفاتيكان طفرة هائلة بإنشائه واحداً من أضخم مراكز الإنتاج (داخل المحطة نفسها الذي يعرف باسم بلا زوبيو) ، ويشتمل هذا المركز على ١٤ أستوديو مزوّدة بإمكانات تمكّنها من إنتاج برامج ناطقة بأربع وثلاثين لغة ، وتصل أحياناً إلى خمس وأربعين لغة عند الحاجة إلى إنتاج برامج خاصة بلغات خاصة غير المستخدمة في المحطة لمواجهة أو تغطية مناسبات معيّنة ، ويكون المشرف على رأس كل أستوديو أحد القساوسة ويكون عادة من أبناء المنطقة التي توجه إليها الإذاعة ، أو منتمياً لنفس الجنسية، فهناك القسم الإيطالي، والانجليزي، والفرنسي، والروسي، والصيني، والعربي، والياباني والسويدي ... إلخ ، ويتولّى كل قسم وضع خطته البرامجية على أساس طبيعة الجمهور المستهدف، غير أنّ هذه الأقسام المختلفة ، تتوحد في الأغراض والمنطلقات ، وتحكمها قواعد معينة تتمثل في الآتي :

١) ربط الكنائس الكاثوليكية المحلية في مختلف أنحاء العالم بمركز النصرانية في الفاتيكان .

٢) نشر كلمة (الخلاص) والتبشير بالإنجيل على أوسع نطاق ممكن .

٣) عدم التعرض للقضايا والموضوعات الخلافية السائدة داخل الكنيسة الكاثوليكية .

٤) إحياء روح النصرانيّة وغرسها في نفوس الشباب باعتبارهم جيل المستقبل .

٥) تناول العقائد والأفكار والقضايا والموضوعات (الدنيوية) وتفسيرها على ضوء نظرة كاثوليكيّة لها ، وموقفها منها [٢].

ولمزيد من ربط المستمع بالإذاعة يصدر راديو الفاتيكان العديد من النشرات ، إلى

---

[١]) الإذاعات التنصيرية في افريقيا ، ص ١٠٥ ــ ١٠٦ ، عبد الله علي الصافي ، الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب ، ص ٨١ ، د. كرم شلبي ، إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية ، ضمن سلسلة كتب الأمة ، موقع الشبكة الإسلامية www.islamweb.com

[٢]) الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب ، ص ٨٣ ، ٨٨ ، د. كرم شلبي .

جانب مجلة برامجية فصلية تصدر مع بداية كل دورة إذاعية كل ثلاثة أشهر ، وتحمل اسم ((برامج راديو الفاتيكان)) ، وتقع هذه المجلة في ٦٤ صفحة في طباعة ملونة فاخرة، وتنشر تفاصيل ومواعيد برامج الخدمات الإذاعية المختلفة التي تقدمها المحطة وأطوال الموجات فضلاً عن العديد من الموضوعات والقضايا التي ستعرضها هذه البرامج وبعض الأخبار الخاصة بالكنيسة والبابا ، ولعل أهم ما يلفت النظر في هذه المجلة ليس فقط أنها توزّع مجاناً ، بل أنها أيضاً تنشر مواعيد هذه الخدمات الإذاعية وتفاصيلها بنفس اللغة التي تبث بها الخدمة ومن ثم تصدر بأربع وثلاثين لغة[1].

إذاعة حول العالم من مونت كارلو :

إذاعة مونت كارلو ((الفرنسية)) إذاعة تبدو في ظاهرها مجرد إذاعة تجارية ، لكنّها في حقيقة الأمر إذاعة لها توجهاتها السياسية المعادية والموجّهة ، وتوجهاتها التنصيرية الواضحة والماكرة ، وتلك التوجهات التنصيرية من خلال محطة إذاعية مستقلة تابعة لها يبدأ العمل فيها بعد منتصف الليل تُسمى ((إذاعة حول العالم من مونت كارلو)) أي أنها تبدأ عقب انتهاء إرسال المحطة الأساسية مباشرة ، وعلى عكس الكثير من المحطات الدينية التنصيرية فإن إذاعة ((حول العالم)) لم ترتبط بأية طائفة دينية نصرانية (كاثوليكية — بروتستنتية — أرثوذكسية) ، أو تحمل اسمها أو تُعبّر عنها ، أو تقصر نشاطها عليها أو تخصها بخدماتها وحدها دون الطوائف الأخرى ، وإنما وضعت نفسها في خدمة كل من يريدها تعمل لحسابه في المجالات التنصيرية ، فكما استغلها الكاثوليك فكذلك استغلتها البروتستانت .

وقد أتاح لها ذلك النهج من تحقيق دخل هائل من الناحية المالية فقفزت بذلك قفزة هائلة في الانتشار والتوسع والاستحواذ على كافة الإمكانات التقنية . فبعد أن كانت تملك جهازاً واحداً في وقت إنشائها عام ١٩٦٠م، أصبحت، وخلال أقل من خمسة عشر عاماً ، تملك ستة أجهزة ، وبعد أن كانت قد بدأت بثها بلغة واحدة ، إذ بها ترتفع إلى عشرين لغة ، ثم إلى ستين إلى أن وصل عدد اللغات التي تبث بها برامجها إلى خمس وسبعين لغة منذ

---

[1]) المرجع السابق ، ص ٨٩ ، د. كرم شلبي .

عام ١٩٨٢م إلى الآن [١].

الوسائل المقروءة : (الصحف والمجلات) :

لقد اهتم النصارى اهتماماً بالغاً بالوسائل المقروءة وسخّروها لغزو المسلمين فكرياً وعقائدياً ، فهي من أول أسلحتهم لتنفيذ خططهم العابثة بعقول بعض المسلمين .

وكانت الصحافة واحدة من أخطر هذه الوسائل التي استعان بها القائمون على نشاط الإرساليات التنصيرية في البلدان الإسلامية ، فقد استعانوا بنوعين من الصحافة :

أولاً : الصحافة التنصيرية الصريحة .

ثانياً : بعض الصحف المحلية ، والتي كان لها الولاء للإرساليات التنصيرية . فإنّ بعض هذه الصحف كانت تحصل على مبالغ مالية ضخمة من جهات نصرانية متعددة في سبيل نشر مقالات معينة ذات توجهات وأهداف معينة ، أقلها شأناً أن تصرف المسلمين عن الاهتمام بنشاط الإرساليات التنصيرية، وتحويل اهتماماتهم عن وجود الاحتلال من أساسه، هذا الاحتلال الذي يرعى ويحمي الوجود التنصيري في بلدان المسلمين [٢].

لذلك ركّزوا على الصحافة واهتموا بأعمال الطبع والنشر ، وقد اعتمدوا مدينتين كبيرتين من بلدان المسلمين في نشر صحفهم ومجلاتهم ، وهما القاهرة وبيروت .

أما الكاثوليك فقد اتخذوا بيروت مركزاً لتوزيع منشوراتهم إلى جميع بلدان العالم الإسلامي ، كما أنهم ركّزوا جميع جهودهم في المطبعة الكاثوليكية في بيروت منذ عام ١٨٧١م ، كما أنّ البروتستانت ركّزوا جهودهم في القاهرة [٣].

ومن أشهر الجرائد الكاثوليكية ، جريدة ((البشير)) تصدر من بيروت ، تهتم اهتماماً بالغاً بأخبار البابا والفاتيكان ، وأما العمل الرئيس لجريدة البشير فهو ردودها غير المتراخية

---

[١]) الإذاعات التنصيرية في افريقيا ، ص ١٠٩ ، ١١٧ ، عبد الله علي الصافي ، ضمن بحوث ندوة : (التنصير والتغلغل الاستعماري في أفريقيا) جامعة أفريقيا العالمية ، الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب ، ص ١١٧ ، د. كرم شلبي ، إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية ، ضمن سلسلة كتب الأمة ، موقع الشبكة الإسلامية www.islamweb.com

[٢]) الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر ، ص ١٤٨ ـــ ١٥٠ ، د. خالد محمد نعيم

[٣]) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، ص ١٦٧ ، ١٦٨ ، أحمد عبد الوهاب .

على أعداء البابوية ، وأعداء الإيمان الكاثوليكية ، ولقد كانت روما دائماً نصب عيني هذه الجريدة [١].

وهناك جريدة أخرى لها دور تنصيري كبير في العالم الإسلامي، اتخذت من مصر وليبيا مركزاً للدعاية والنشر والتوزيع، وهي جريدة ((النادي)) الإيطالية الكاثوليكية [٢].

كما أنّ من أشهر المجلات الكاثوليكية، والتي تُعد لسان حال الكثلكة في الشرق ، هي مجلة ((الشراع)) ، وكان أوّل من أصدرها هم اليسوعيون الكاثوليك [٣].

وفي الوقت الحاضر تنفق المنظمات التنصيرية الملايين من الدولارات في نشر ملايين من المطبوعات والكتب التنصيرية ، وهذه النشرات والمطبوعات والكتب تُطبع بمطابع خاصة وبكافة لغات العالم الحية ، وأغلبها توزع مجاناً وبكل قارات العالم ، والله المستعان [٤].

التنصير والانترنت :

اهتم المنصّرون اهتماماً كبيراً بالتقنيات الحديثة لوسائل الإعلام ، ومن تلك التقنيات وسيلة الشبكة العنكبوتية (الانترنت) .

وقد استعانت الكنيسة الكاثوليكية بالانترنت كوسيلة إعلام واتصال لرسم صورة معيّنة موجهة إلى العالم الإسلامي ، كما أنها استفادت كثيراً بإقامة علاقات عن طريق مواقعها التنصيرية عبر البريد الالكتروني (E- mail) ، وعبر التخاطب الآلي (Chat) وعرض المستجدات والأحداث والأخبار عبر (News group) ، وذلك تعبيراً وتنفيذاً لمطالبات بابا الفاتيكان يوحنا بولس الثاني بالاستفادة من مجال الإعلام الحديث والاتصال الاجتماعي ، والتي وردت في العدد (١١١) من الإرشاد الرسولي المعنون بـ ((رجاء جديد للبنان)) ، وتفاعلات هذه المطالبات عند زيارة يوحنا بولس الثاني إلى لبنان في (١٠/٥/١٩٩٧م) ، فأنشأت موقعاً خاصاً بالكنيسة الكاثوليكية في لبنان على الشبكة

---

[١]) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص ٢١٣ ، مصطفى خالدي ، وعمر فروخ .

[٢]) الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين ، ص ١٩٧ ، مصطفى نصر المسلاتي .

[٣]) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص ١٦٣ ، مصطفى خالدي ، وعمر فروخ .

[٤]) التنصير الطبي الخفي في البلاد الإسلامية ، ٣١ ، د. عبد العزيز الفهد .

العنكبوتية ، وتوالت المواقع التنصيرية الكاثوليكية باللغة العربية [1].

التنصير بالمراسلة :

ومن الأساليب التي اعتمدها المنصِّرون حديثاً في التنصير : الدروس بالمراسلة ، فيوجد اليوم عدد كبير من المؤسسات التنصيرية متخصصة في هذا المجال .

أذكر منها على سبيل المثال : مؤسسة (التاريخ والحياة) مقرها مرسيليا بفرنسا ، وهذه المؤسسة تُمارس التنصير في أنها توزع عنوانها في بعض الإذاعات والمجلات والمراكز الثقافية ، وترسل سلسلة دروسهم النصرانية والأناجيل عن طريق البريد الجوي إلى المدعوين ، والذين استجابوا لهم وتواصلوا معهم ، حيث يمدّون دارسيهم بالظروف وبدل الطوابع البريدية ، وللدارس جائزة كلما أنهى مرحلة من سلسلتهم التعليمية ونجح في اختبارها ، ويحصل الدارس في نهاية كل ثلاثة أشهر على مجلة مجاناً تسمى ((مفتاح المعرفة)) تحتوي على القصص ومشاكل الحياة وحلولهم لها ، والتوعيات النصرانية ، وتقارير إنجازاتهم المُضلِّلة في تنصير الأفراد والأسر في المجتمعات الإسلامية خاصة في شمال إفريقيا ، وللمؤسسة محطة إذاعية تشرح فيها دروسهم التعليمية صباحاً ومساءً .

ومن إرشادات المؤسسة في أول بريدهم إلى الدارس :

١) جميع دروسنا مجانية وهي بالمراسلة لا حضورياً .

٢) نعطي دروسنا بلغة واحدة : العربية أو الفرنسية ، وننصحك أن تدرس باللغة التي تتقنها أكثر ، أما إذا اخترت لغة ووجدت ثقافتك بهذه اللغة غير كافية فيمكنك تبديلها .

٣) نحن مستعدون دائماً للجواب عن كل سؤال تطرحه بشرط أن يكون متعلقاً بالدرس .

٤) إن استحسنت هذه الدروس واستفدت منها ، فلماذا لا تُعرِّف بها أهلك

---

[1]) دراسة بعنوان : الكنيسة والإنترنت ، من موقع (www.opuslibani.org.ib) والباحث في محركات البحث عن المواقع النصرانية (التنصيرية) ، التي اهتمت بمخاطبة المسلمين ودعوتهم للنصرانيّة باللغات المشهورة العربية والانجليزية والفرنسية يجد العجب العجاب من كثرة هذه المواقع ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله تعالى .

وأصدقاؤك ، وتُعطيهم عنواننا لنرسل إليهم بعض دروسنا [1].

فالمنصِّرون استغلوا تكنولوجيا الاتصال بقوة في هذا العصر ، وبصورة واضحة في نشر ديانتهم وتنصير العالم وبخاصة المسلمين .

[1]) مجلة البيان العدد (١٦٧) شهر رجب (١٤٢٢هـ) ، أكتوبر (٢٠٠١م) ، دراسة بعنوان : التنصير بالمراسلة أسف مزدوج ، بقلم : أبو بكر بن عبد القادر سيسي .

ثانياً : الخدمات الطبية :

إن الخدمات الطبية تُعد من أهم الوسائل التنصيرية ، وتحظى دوماً بالأولوية في مهمات المنصِّرين ، وقد لعبت هذه الخدمات دوماً الدور الأكبر بين أنشطة الإرساليات الاجتماعية ، ولا شك في أنّ هذه الأولوية لهذه الخدمات كان بسبب احتياج الناس وحاجتهم الملحة إلى التطبيب والعلاج الطبي .

فإنّ هذه الوسيلة أقرب الوسائل إلى نفوس الناس ، ففيها مدخل وأسلوب إنساني يحظى بتقدير الناس، ويقف حائلاً أمام ردود الفعل السلبية سواءً كانت دوافعها دينية أو سياسية .

وفي هذه الوسيلة مزايا عدة أهمها الأثر النفسي الإيجابي الذي تتركه في نفوس الناس، فالناس في كافة المجتمعات ينظرون إلى الطبيب المعالج بنظرة احترام ومحبة لأنهم يرون أنه يسعى لمصلحتهم في علاجهم والعمل على إسعادهم في أبدانهم وصحتهم .

لذلك فإن الإرساليات التنصيرية كانت تهتم بهذه الوسيلة ، فهي أفضل وسيلة وأفضل طريق لصنع جو اجتماعي ودي مع الناس ، يقول هـ . ستورم أحد قادة مثل هذه الإرساليات التنصيرية بين المسلمين : ((لقد ثبت أن العمل الطبي هو مفتاح القلوب المغلقة ، ووسيلة لتوثيق عُرى الصداقة وأداة لتحطيم المعارضة)) [1].

ويقول أحد الكاثوليك اليسوعيين : ((في بلاد الشرق هذه ، وأكثر من أيّ مكان آخر يعتبر الطبيب شخصاً هاماً . إن تعليمه والاحترام الذي يحيط بمهنته وحياته الكريمة، يكسبه، خصوصاً في القرى، سلطة معنوية وحجة لا تُناقش، تُمكّنه من الدخول إلى أكثر الأماكن انغلاقاً بسبب الدين والتقاليد . إن الطبيب يستطيع أن يمارس تأثيراً حقيقاً))[2].

أدرك المنصرون هذه المكانة العالية للطبيب ولمهنة الطب في قلوب الناس ((فخرجوا عن كل نبل في الطبيعة الإنسانية ، وسخّروا الطب في سبيل غايات ، حسبك دليلاً على نوعها قولهم هم : حيث تجد بشراً تجد آلاماً ، وحيث تكون الآلام تكون الحاجة إلى

---

[1]) التبشير في منطقة الخليج العربي ، ص ٧٦ ، د. عبد المالك خلف التميمي .

[2]) البعثات اليسوعية : (مهمة إعداد النخبة السياسية في لبنان) ، ص ٨١ ، د. طلال عتريسي .

الطبيب، وحيث تكون الحاجة إلى الطبيب، فهناك فرصة مناسبة للتبشير . وهكذا اتخذ المبشرون الطب ستاراً يقتربون تحته من المرضى))[1] .

وقد أكد القس جيرت د. فان برسيوم على ذلك : ((إن المبشر الطبيب لا يجب ولا يمكن أن يتخلى عن العمل التبشيري النشيط ، فالطب ليس هو غاية الطبيب في حقل العمل التبشيري ... بل يجب أن يتضمن العمل التبشيري بالإضافة إلى غيره من أعمال))[2].

ويقول الدكتور أراهاس ، وهو طبيب إرسالية تنصيرية في طرابلس الشام عام ١٩٠٦م : ((يجب على طبيب إرساليات التبشير أن لا ينسى ولا في لحظة واحدة أنه مُبشِّر قبل كل شيء ، ثم هو طبيب بعد ذلك))[3] .

وتقول المنصرة إيد هاريس في كلامها مع أطباء مُنصِّرين : ((يجب على الطبيب أن ينتهز الفُرص ؛ ليصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم ، فعليك أيها الطبيب أن تُكرِّز لهم بالإنجيل ، إيّاك أن تُضيِّع التطبيب في المستوصفات والمستشفيات ، فإنه أثمن تلك الفُرص على الإطلاق ، ولعل الشيطان يريد أن يفتنك ، فيقول لك : إن واجبك التطبيب فقط لا التبشير فلا تسمع منه))[4] .

وكتب س . ا . موريسون في مجلة العالم الإسلامي التنصيرية يقول : ((نحن متفقون بلا ريب على أنّ الغاية الأساسية من أعمال التنصير بين المرضى أن نأتي بهم إلى المعرفة المُنقذة ، معرفة ربِّنا يسوع المسيح ، وأن نُدخلهم أعضاء عاملين في الكنيسة المسيحية الحية))[5] .

وأكد ذلك الدكتور كووك في كتاب له عن الإرساليات الطبية التنصيرية (medical missions) في عام ١٩١٨م بقوله : ((إنّ أهداف هذا النوع من الإرساليات هو إضفاء روح الشفقة الدينية على بعثات التنصير الحديثة ، وتأكيد حقيقة القرابة المشتركة بين أفراد

---

[1]) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص ٥٩ ، د. مصطفى خالدي ، د. عمر فروخ .

[2]) التبشير في منطقة الخليج العربي ، ص ٧٧ ، د. عبد المالك خلف التميمي .

[3]) الغارة على العالم الإسلامي ، ص ٢٤ ، أ. لو شاتلييه ، اعتناء محب الدين الخطيب ، مساعد اليافي .

[4]) مدخل إلى تاريخ حركة التنصير ، ص ٦٥ ، د. ممدوح حسين .

[5]) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص ٥٩ ، د. مصطفى خالدي ، د. عمر فروخ . ، مدخل إلى تاريخ حركة التنصير ، ص ٦٥ ، د. ممدوح حسين .

الأسرة العالمية ، ثم تمهيد الطريق للإنجيل إلى قلوب بني البشر ، وأخيراً معالجة الناس من الأمراض))[١] .

وحول ضرورة تغليب الهدف التنصيري على النشاط الطبي ، قالت المُنصِّرة دورثي فان ايس : ((الإغراء بتبني خط أكثر فاعلية ، وأوسع انتشاراً من الأمور التي تُدرس بعناية لتحقيق التوازن مع التأكيد على التبشير الذي هو الهدف الحقيقي لوجود الإرسالية ... ، لا بد أن السيد المسيح قد ترك بعض المرضى بدون شفاء ليقوم بعمل ما يعتقد أنه أهم، وترك هؤلاء ليقوم أتباعه بمهمة علاجهم))[٢].

فالعمل عند المنصِّرين في مستشفيات الإرساليات التنصيرية مُكرَّس لجعل من يأتيها من المرضى المسلمين يحسّون ــ على حسب اعتقاد هؤلاء النصارى ــ بوجود حقيقي للمسيح عليه السلام في شفائه لأمراضهم ، فالمسلمون يأتون إلى مستشفياتهم ليتعالجوا من أمراضهم الجسدية، فيُوجِب عليهم النصارى أن يسمعوا ما يعتقده هؤلاء النصارى عن المسيح عليه السلام أنه الرب الشافي ــ عندهم ــ لا يشفي فقط من آلام الجسد بل من عذاب الروح أيضاً ، فالمنصِّرون كما بيّنوا كثيراً أنه ليس هدفهم هو أن يجعلوا الإرساليات التنصيرية مؤسسات مُفيدة في خدماتها الاجتماعية ، ولكن هدفهم الأكبر أن يقيموا كنائسهم على كل أرض وصَلُوا إليها ووطئتها أقدامهم ، لذلك يقول الدكتور : س . ت تومس : ((إن طموحنا هو إعطاء العرب شيئا أفضل لحاجاتهم الروحية بإخبارهم عن الطبيب الأعظم))[٣] .

ففي مستشفياتهم التنصيرية عدة طرق لتنصير المسلمين ، منها :

أنّ في بعض هذه المستشفيات يُذكرُ الإنجيل للمرضى بأسلوب بسيط لا يدعو إلى التطرف في المناقشة[٤] .

وفي بعض مستشفياتهم لا يعالجون المريض أبداً إلاّ بعد أن يحمِلوه على الاعتراف بأنّ

---

[١])التنصير الطبي الخفي في البلاد الإسلامية ، ص ٢٧ ، د. عبد العزيز الفهد .

[٢])التبشير في منطقة الخليج العربي ، ص ٧٨ ، د. عبد المالك خلف التميمي .

[٣]) المرجع السابق ، ص ٧٨ ، د. التميمي .

[٤])حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، ص ١٨١ ، أحمد عبد الوهاب .

الذي يشفيه هو المسيح ، وكانت المعالجة لا تبدأ إلا بعد أن يركع المرضى ويسألوا المسيح أن يشفيهم كما كان يحصل في السودان والحبشة .

ومن الحيل التي كان يستخدمها المنصِّرون أنَّهم كانوا يستخدمون بعض المراكب ويجعلوها مستوصفات نقّالة، وكانوا يعلنون عن مجيء الطبيب قبل أن يصل بوقت طويل، فيأتي الناس من كل صوب يحملون مرضاهم ، وينتظر الجميع قدوم الطبيب، وفي هذه الأثناء يقوم فيهم من يدعوهم إلى النصرانية ، ويقرأ عليهم الإنجيل ، وهو فرح بهذا الجمع، من غير أن يتحرك ضميره لهذه الآلام التي يتحملها المرضى في وضح الشمس ومضض الانتظار عمداً وخداعاً ، كما حصل في وادي النيل .

ومثل هذا كانوا يفعلونه في اليمن ، كان الناس يأتون من مكان بعيد يحملون مرضاهم ، وكان أولئك الأطباء الذين لم يضع الله في قلوبهم شيئاً من معاني الإنسانية ، لا يبدأون بعلاج المرضى إلا بعد أن يكرِّزوا عليهم ، أي يدعوهم إلى النصرانية .

ومن القصص المؤلمة التي حدثت بسبب هذه الطريقة الجشعة الانتهازية ، ما حدث في السودان ، أن إحدى الأمَّهات حملت طفلها المريض وجاءت به إلى مستوصف من مستوصفاتهم، ولكن الطفل مات في أثناء الطريق الطويل ، فلم يُعزِّ الطبيب هذه الأم الثكلى بل جلس يكرز عليها ، أي يدعوها إلى النصرانية [1] .

ومن طرقهم أيضاً أنهم يرسلون الطبيبات المنصرات إلى بيوت المسلمين للاتصال مباشرةً بالنساء المسلمات ، والاهتمام بهم أيضاً في العيادات النسائية بشكل مُكثَّف .

وممرضات الإرساليّات يقمن بدور تنصيري مثلهن مثل الطبيبات والأطباء المنصِّرين. فهن يأتين يحملن معهن رسالة الدعوة إلى النصرانية يغزون بها بيوت المسلمين ، كما أن بعض الإرساليات التنصيرية حرصت على إنشاء مدارس للتمريض يدخلون من خلالها إلى عقول بعض الفتيات المسلمات وقلوبهنّ للعبث بدينهن [2] .

وهكذا حوّل المنصرون الطب ــ وهو واحد من أكرم المهن الإنسانية ــ إلى وسيلة

---

[1]) التبشير والاستعمار في البلاد العربيّة ، ص ٦٢ ، د. مصطفى خالدي ، و د. عمر فرّوخ التنصير الطبي الخفي في البلاد العربية ، ص ٩٠ ، د. عبد العزيز الفهد .

[2]) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ٦٤ ، د. مصطفى خالدي ، د. عمر فروخ .

خداع وأداة رق لا تأسر البدن فحسب ، وإنما تسرق الروح » فتفتن فقراء المسلمين في دينهم [1] .

وقد استغل المُنصِّرون منظمة الصحة العالمية لصالح منهجهم التنصيري ، فقد قامت في جنيف ـــ المركز الرئيس لمنظمة الصحة العالمية ـــ لجنة مشتركة من المنصِّرين ، ومنظمة الصحة العالمية ، وأخذ هذا التعاون صورة خطيرة للغاية فيما يجري مثلاً في المجتمعات الإسلامية الفقيرة ، وخاصة في قارة إفريقيا المسلمة .

وتقوم هذه اللجنة المشتركة التنصيرية بأمور تنسيقية مع الإرساليات التنصيرية وكنائسها في العالم الإسلامي في مجال الطب التنصيري ، علماً أن هذه المنظمة ـــ منظمة الصحة العالمية ـــ تزعم في دستور إنشائها أنها لا تخضع لأي اعتبارات سياسية، أو عنصرية، أو قبلية، أو دينية، أو عقدية، وهي بعيدة في كثير من تعاملاتها عن هذا الإعلان المزعوم ، وللأسف فإن الدول الإسلاميّة ـــ خاصة الغنيّة منها ـــ من أسرع الدول التي تقوم بسداد اشتراك عضويتها بها . ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم [2] .

---

[1]) التنصير الطبي الخفي في البلاد الإسلامية ، ص ٩١ ، د. عبد العزيز الفهد ، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، ص ١٨١ ، أحمد عبد الوهاب .

[2]) التنصير الطبي الخفي في البلاد الإسلامية ، ص ٩٥ ، د. عبد العزيز الفهد .

ثالثاً : المساعدات الإغاثية والإنسانية :

ومّما يركز عليه المنصرون في دعوهم إلى النصرانية ؛ وللتأثير على المدعويين خاصة المسلمين منهم ؛ هي المساعدات الإغاثية والإنسانية .

فتدني المستوى المادي والمعيشي والثقافي لكثير من الدول الإسلامية كان سبباً قوياً لأطماع المنظمات التنصيرية في نشر النصرانية بينهم، فتقدم لهؤلاء المحتاجين الغذاء، والكساء، والعلاج، وتبني لهم المراكز الاجتماعية والمعونات الاقتصادية باسم الصليب ؛ وتحت رايته ؛ ولا شك أن المنكوب ممن تنزل به النوازل من جراء الأمطار والسيول ، أو الحروب ، أو الأوبئة أو الجفاف ، أو المرض يكون في أشد الحاجة لمن يمد له يد العون في المأكل، والمشرب، والمأوى، والدواء، لذلك تهرع المنظمات التنصيرية إلى إغاثة هؤلاء المنكوبين ؛ ومن ثم التأثير عليهم لتشكيكهم في دينهم .

فاستغل المنصِّرون ذلك الثالوث ـــ المخيف ـــ الفقر والجهل والمرض في التغلغل للشعوب المحتاجة ، وكثير منها إسلامية .

((ويشير تقرير لمنظمة الفاو إلى أنه حتى منتصف الثمانينات كان نحو ٥١٢ مليون نسمة من سكان البلدان النامية يُعانون من الجوع ، أي نحو ٢١% من مجموع السكان ، وقد ارتفعت هذه الأرقام في عام ١٩٩٢م إلى حد مخيف ، ومن مضمن هذا السياق وجود نحو أربعة ملايين صومالي ، ونحو ٥٠٠ ألف من مسلمي البوسنة ؛ ومثلهم من مسلمي بورما الذين ما زالوا يعيشون في أكواخ على شاطئ بنجلاديش))[1] .

فإفريقيا هي الغنيمة الباردة التي استغلها المُنصِّرون أيّما استغلال ، فالحروب الداخلية والمجاعات والأمراض فيها فتحت مجالات واسعة للمنصِّرين ، كما أنّ التعاون بين القوى العسكرية الغربية ، والقوى البابوية والكنيسة ، قد فتح المجال أكثر للمنصرين في إفريقيا، فمن المنظمات الإغاثية الكاثوليكية في الصومال : منظمة ((أخوات كونسولاتا)) ، فقد أعدت في عام ٢٠٠٢م برنامجاً للإغاثة الكاثوليكية بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية يتضمن برامج غذائية إضافية للأطفال المصابين بالسل ـــ الوباء الأكثر انتشاراً في الصومال

---

[1]) وجاء الدور على الإسلام ؛ ص ١٦ ، رضا محمد العراقي .

ـــ ومستشفى للأطفال في العاصمة مقديشو .

ويهدف هذا المشروع للوصول إلى تنصير ٣٠٠ طفل سنوياً ، ويوزع على الأهالي الأرز والذرة والسكر والحليب ، وكذلك منظمة ((آباء كونسولانا)) تمارس عملها التنصيري في ثوب إغاثي عبر إدارة وحدات طبية، ودور أيتام ومدارس. ومنظمة ((ريليف)) الكاثوليكية فهمّها مساعدة المنظمات التنصيرية العاملة في الصومال منذ عام ٢٠٠٢م [١] .

وفي السودان فإن الكنيسة الكاثوليكية ، وهي أكبر المجموعات الكنسية هناك وأقدمها، قد عبأت بشكل منتظم أعداداً كبيرة من الشباب ، وربطتهم بمدارس التعليم ومعاهده النصرانية وبالكنيسة نفسها في مناشط شبابية أكاديمية وغير أكاديمية ، فهي تستفيد من كون كثير من الجنوبيين ، غير المسلمين ، موجودين في الشمال ذات الصبغة الإسلامية .

وكان أكثر الأمور التي ساعدت على زيادة النشاط الكنسي في السودان ـــ كما في كثير من بلدان العالم الإسلامي ـــ غلبة الفقر والعوز وتفشي الجهل بالعقيدة الإسلامية

---

[١] ومن أخطر المنظمات الإغاثية في الصومال ، منظمة ((المينونايتيون)) : وهي طائفة نصرانية تنتسب إلى القس الهولندي (مينوسمونس) الذي تحوّل من الكاثوليكية إلى البروتستانتية .

وهذه المنظمة (المينونايتيون) تمارس نشاطها في الصومال منذ أكثر من خمسين عاماً ، حيث يعلنون عمّا يُسمّونه ((طريق يسوع بين الصوماليين)) عبر الوسائل الإغاثية التي تتركز في :

١) توزيع البذور والأغذية على شيوخ القبائل ، دفع تكاليف المراقبة الصحية غير الحكومية لوباء الكوليرا الذي تفشى في منطقة (جوبا) ، ويُركّزون على التعليم بدعم المدارس المحلية وإمدادها بالكتب الدراسية والمناضد والكراسي والأدوات التعليمية ، وأحياناً بدفع رواتب المعلمين .

٢) الاهتمام الخاص بـ(الأيتام) ـــ كمادة المنصَّرين ـــ وذلك عبر مشروعهم المسمى (البرنامج العائلي العالمي)، كما يهتم هذا البرنامج بالنساء، فأقام لهم مركزاً في مقديشو، يقوم بتعليم القراءة والكتابة والحياكة، أما النساء المتعلمات فيعلمهن مهارات الحاسب الآلي .

٣) تقديم خدمات اجتماعية ، فيدربون شباب البلد فيها على أمور ، مثل الصحة الإنسانية ، والصحة الحيوانية والبيئية ، بالإضافة إلى تعليم الشباب .

٤) توزيع كتب موجّهة عقدياً تستعمل في قاعات التدريس الصومالية .

انظر: الصومال بين مطرقة التنصير، وسندان الفقر، بقلم نجاح شوشة، يوم الأحد ١٨ محرم ١٤٢٦هـ ، ٢٧ فبراير ٢٠٠٥م ، من موقع مفكرة الإسلام www.islammemo.cc

الصحيحة في بعض المناطق هناك ، وقد نجح النشاط الكنسي التنصيري في الطواف على كثير من مدن الشمال العربي الإسلامي وقراه، واستطاعوا شراء مساحات كبيرة من الأراضي في تلك المناحي بغية استغلالها كنسياً وتعليمياً في المستقبل .

ومن أهم الوسائل التنصيرية هناك المنظمات التنصيرية والداعمة للنشاط الكنسي ، وهي تزيد على (٣٩) منظمة تعمل في مجال التنصير تحت ستار العمل الإنساني والتطوعي، وتقديم الخدمات الصحية ، ولا شك أنّ هذا استغلال لآلام الناس وحاجتهم ، كما أنّ النشاط النسوي له دور بارز في المجال التنصيري في السودان . فقد ركّزت عليه الكنائس وسط النساء لتحقيق أجندتها الخفية عبر المرأة ، لاسيما اللائي يقطن في الأماكن الطرفية والنائية بتمويل ضخم من منظمات العون الكنسي [1].

أما في السنغال فتوجد عشرات المنظمات المزعومة بأنّها خيرية ترعى التنصير هناك، وبعض هذه المنظمات كاثوليكية ، منها : شبيبة العمال الكاثوليك ، وتعمل في السنغال منذ عام ١٩٣٩م ، وهيئة الإغاثة العالمية الكاثوليكية ، وتعمل في السنغال منذ سنة ١٩٤٧م، ومنظمة الإغاثة الكاثوليكية الأمريكية، والتي دخلت السنغال سنة ١٩٧٣م .

وقد استغلت هذه المنظمات أحوال الناس في السنغال من جهل ومرض وفقر وكوارث ، فقامت من خلالها بالأعمال التنصيرية تحت ستار الخدمة الإنسانية والإغاثية، فأقاموا على طول السنغال وعرضها مستوصفات ومستشفيات، وملاجئ للأيتام، ودوراً للُّقطاء، ومراكز للرعاية الاجتماعية، كما أنشأوا عدة جمعيات شبابية ونسويه تُوظَّف لأغراض تنصيرية ، وتقوم المنظمات التنصيرية بتوظيف آلاف من الشباب وتدريبهم في شتى المجالات ودعم مشروعاتهم الاستثمارية [2].

ومنذ سنوات بعيدة كان اهتمام المنصِّرين منصباً على كينيا حتى أصبحت في الأوقات الأخيرة معقل الكثلكة في القارة الأفريقية، ومن آخر عملياتهم التنصيرية هناك دخولاً من باب الخدمات الإغاثية والإنسانية،كان في بداية هذا القرن الميلادي، حيث أُعلن في كينيا

---

[1]) المرجع السابق : طوفان التنصير هل يهدد هوية السودان ، مصعب الطيب بابكر ، مجلة البيان العدد .

[2]) التنصير في أفريقيا ، السنغال أنموذجاً ، سيدي غالي لو ، مجلة البيان العدد ١٥٤ ، جمادى الآخرة ١٤٢١هـ ، سبتمبر ٢٠٠٠م .

حالة الطوارئ بسبب النقص الحاد في المواد الغذائية الناتج عن موجة الجفاف التي عمت منطقة القرن الأفريقي ، فثلاثة ملايين وثلاثمئة ألف كيني بينهم مليون وخمسمئة ألف طفل يتضوّرون جوعاً من النقص الحاد في المواد الغذائية في ست وعشرين محافظة ، وهنا برز دور ذباب التنصير الذين أطلقوا حملة لجمع ثلاثة وثمانين دولاراً لتقديم الغوث، وما ذلك إلا لممارسة الابتزاز العقائدي .[1]

وقد اهتم المنصّرون كثيراً بتنصير شعوب جنوب الصحراء الكبرى ، ووجدوا الفرصة سانحة في السبعينات من القرن الماضي ، إذ توالت على جنوب الصحراء عِدّة سنين من الجفاف والقحط ، كان أشدها عامي ١٩٧٣م، ١٩٨٥م ، اللذين نفقت فيهما الثروة الحيوانية لشعوب الصحراء وتردت أحوالهم الاقتصادية ، الأمر الذي أدّى وبسرعة مذهلة إلى تغير نمط حياتهم الاجتماعية كما مهد الطريق للغارات الصليبية على هذه المنطقة المنكوبة ، والتي جاءت في صورة جمعيات للإغاثة والنجدة هدفها الوحيد تنصير هذه الشعوب مقابل كسرة خبز وشرطة طبيب ، كما أنّ أهم مخطط تنصيري لتلك المنظمات التنصيرية العمل من أجل تنصير الشريط الصحراوي الفاصل بين شمال إفريقيا العربي المسلم، وغرب إفريقيا الأسود المسلم ، والممتد من شرق جمهورية النيجر إلى حدود مالي مع موريتانيا .

وهناك عوامل شجعت المنصّرين على القيام بغاراتهم التنصيرية على منطقة الصحراء الكبرى ، ومن هذه العوامل :

ـ الإمكانات المادية والمعنوية الهائلة الموجودة لدى المنظمات التنصيرية .

ـ النية المبيّتة لدى المنظمات التنصيرية للغارة التنصيرية على العالم الإسلامي خاصة.

ـ الظروف الاقتصادية الصعبة التي تعيشها منطقة الصحراء الكبرى .

ـ تغيّر وتبدّل نمط الحياة الاجتماعية لشعوب الصحراء من حياة الترحال إلى حياة الاستقرار .

---

[1])كينيا بين عجز المسلمين وشراسة المنصرين ، نجاح شوشة ، مفكرة الإسلام www.islammemo.cc

ـ فعالية سلاح المنفعة الذي دخلوا به ميدان المعركة [1] .

ـ خلو المنطقة من منظمات إغاثية إسلاميّة متمركزة بها ومستقرة فيها .

واستخدام الخدمات الإغاثية والإنسانية لإنجاح العمليات التنصيرية ، هو ديدن المنصرين ، فكما استخدموها في إفريقيا كذلك في آسيا .

فمثلاً : استغلت المنظمات التنصيرية ، القضية الكردية ، وما حصل من اضطراب في إقليم كردستان العراق ، خاصة في أثناء وبعيد حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١م ــ فالقضية في اضطراب منذ بداية القرن الماضي بين الحكومات العراقية المتعاقبة والأكراد والطائفة النسطورية النصرانية ــ .

وبحجة المساعدات الإغاثية والإنسانية دخلت عشرات المنظمات التنصيرية إلى كردستان، وعلى رأسها منظمة ((كاريتاس الكاثوليكية)) [2]، وأخذت هذه المنظمات توزّع الطحين، والأرز، والزيوت على الكرد، مع كتب تنصيرية، وعلى رأسها الأناجيل، وكتب تخص حياة السيد المسيح عليه السلام من وجهة نظر الكنيسة، وبعض الكتب التي تلقي ظلالاً من الشك والريبة حول صحة القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة .

كما بدأت هذه المنظمات تتوغل شيئاً فشيئاً داخل النسيج الاجتماعي للمجتمع الكردي المسلم ، وأخذت تحث الشباب المراهق على الهجرة وترك كردستان فارغة تعبث بها المنظمات كيف تشاء، وهكذا تسابق مئات الشباب نحو الالتحاق بمنطقة سلوبي التركية تمهيداً لنقلهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، وفرنسا، ودول أوروبية أخرى [3].

وقد استغلت المنظمات التنصيرية بمختلف توجهاتها العقدية خاصة البروتستانتية منها،

---

[1]) مجلة البيان ، حملة لتنصير الطوارق جنوب الصحراء الكبرى ، العدد ٣٣ ربيع الآخر ١٤١١هـ ــ نوفمبر ١٩٩٠م .

[2]) ومن هذه المنظمات التنصيرية منظمة ((شلترناو انترناشنال الأمريكية)) ، ومنظمة ((مساعدة الشعوب المضطهدة)) ، ومنظمة ((العالم بحاجة)) ، ومنظمة ((رعاية الكرد)) ، ومنظمة ((الكنائس العالمية)) ، ومنظمة ((الصليب الأحمر السويدي)) ، ومنظمة ((الكنيسة الأسقفية الانجليزية)) ، ومنظمة ((كير الأسترالية)) ، وغيرها . انظر : مجلة البيان ، النشاط التنصيري في كردستان العراق ، د. فرست مرعي الدهوكي ، العدد ١٥٣ جمادى الأولى ١٤٢١هـ ، أغسطس ٢٠٠٠م .

[3]) المرجع السابق ، مجلة البيان العدد ((١٥٣)) .

ثم الكاثوليكية ، وباسم المساعدات الإنسانية والإغاثية ما حصل في العراق من حروب واضطرابات وتفلت أمني وتدخل عسكري سافر قهر الأمة الإسلامية عن بكرة أبيها من القوات النصرانية الغربية وعلى رأسها القوات الأمريكية والبريطانية ، فأخذت تعمل في أوساط الشعب المسلم العراقي بنشر الإنجيل وكلمة الخلاص المسيحي وباسم الصليب والرب يسوع المسيح على ما يعتقدون وبكل همة ونشاط مع كل حبة أرز للإطعام ومع كل ضربة حقنة للعلاج [1] .

ولو نظرنا إلى الدولة البنجلاديشية لوجدنا أن المنظمات التنصيرية انقضت عليها منذ إنشائها، كالنسور الجائعة، ومن هذه المنظمات: منظمة ((قوة الإنقاذ)) (Salvation Army) و((كنيسة اليوم السابع)) (Seventh Day Adventurist Church) وهما من المنظمات التي أعلنت نشاطاتها التنصيرية ، وإن كان بعض تلك المنظمات تخفي نشاطها التنصيري تحت مسمّيات أخرى .

وتلك المنظمات تجمع تبرعات هائلة من موسسات غربية ذات صلة تنصيرية ، وقد بلغت المعونات أكثر من نصف المساعدات الخارجية لحكومة بنجلاديش ، تنفق جزءاً ضئيلاً منها لصالح الفقراء ، والجزء الأكبر ، وهو ما يصل ما بين ٨٠% إلى ٩٠% منها في مجالات نشر النصرانية ، وللمتنصرين من المسلمين ، وفي مجالات الهيمنة على محاولات الإسكان والصحة والتعليم ، والقيام بحملات ضد القرآن الكريم والسنة النبوية .

وبسبب هذا النشاط التنصيري للمنظمات الإغاثية ارتفع عدد السكان النصارى من مئات معدودة في عام ١٩٧٢م إلى خمسة ملايين نسمة في عام ١٩٩١م ، ومن المخطط له عندهم أن يرتفع العدد إلى عشرين مليون نصراني بنجلاديشي في عام ٢٠٢٠م [2] .

فمجال المساعدات الإغاثية والإنسانية استغلته المنظمات التنصيرية الاستغلال الأكبر في خطتهم التنصيرية ، فقامت تلك المنظمات بتقديم المساعدات المالية والعينية لفقراء

---

[1]) للإغاثة أم التنصير .. أمريكا تبحث إرسال (٩) منظمات أمريكية للعراق بزعم الإغاثة ، مفكرة الإسلام www.islammemo.cc

[2]) النصارى في بنجلاديش ((دراسة عن دور المنظمات غير الحكومية في نموهم غير العادي)) ، بقلم محمد نور الدين ، مجلة البيان ، العدد ١١٤ ، صفر ١٤١٨هـ ، يونيو ١٩٩٧م .

المسلمين ممزوجة بالدعوة إلى النصرانية (بالتنصير) ، واستغلت تلك المنظمات إقامة المشروعات الزراعية والصناعية ، ومشروعات إنعاش القرى والأرياف بالدعوة إلى النصرانية ، ونجحوا في ذلك نجاحاً مخيفاً على عوام المسلمين . كما أنّ الخطورة متمثلة في زيارة الراهبات التابعات لتلك المنظمات والإرساليات للأسر المسلمة في الفترات الصباحية وتقديم الهدايا ، واللعب ، والملابس السنوية ، ومنها كسوة الشتاء ــ المهمة في بعض البلدان ــ وفي أيام الأعياد وخلاف ذلك من المساعدات التي جُعلت لتكون سُلّماً للتنصير .

((الخاتمة)) :

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، على ما يسّر لي ووفقني للانتهاء من الكتابة في هذا الموضوع ، وأسأله سبحانه أن يتقبّل منّي هذا البحث ، ويجعله في ميزان حسناتي ، وميزان حسنات مشرفي فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور محمود مزروعة ، الذي صبر عليّ في أمور كثيرة ، ومنها اختراقي لأوقاته . اللّهم آمين .

وتتكوّن هذه الخاتمة من جزأين :

الجزء الأوّل : أهم نتائج البحث .

الجزء الثاني : بعض التوصيات .

الجزء الأوّل : أهم نتائج البحث :

أولاً) أنّه لا تلاقي أصلاً بين الدين الذي جاء به النبي عيسى عليه السلام ـــ رسالة موحى بها إليه من الله لهداية البشريّة، رسالة مبنيّة على توحيد الله خالصة ـــ وبين النصرانيّة التي ينتسب إليها النصارى اليوم، فهي رسالة تثليثيّة، أشركت بالله تعالى، وجعلت له ولداً وشركاء، كما أنّ فيها بعض التشريعات المخالفة لهدي عيسى عليه السلام. والسبب الأكبر في ذلك التحوّل الجذري دخول شاؤل اليهودي في دين عيسى عليه السلام، باسم ((بولس)) ، والذي اشتهر من قبل بشدة عدائه لأتباع عيسى عليه السلام، وكانت قصة دخوله في دين عيسى عليه السلام قصة مريبة يحوم حولها كثير من الشك، وكثير من المكر اليهودي المدروس؛ لذا أعتقد أن النصارى يجب أن يُسمُّوا دينهم بالبولسيّة، وليس المسيحيّة؛ فبولس اليهودي هو الذي ابتدع لهم أصول دينهم. فألوهيّة عيسى، وأنّه ابن الله، والتثليث، والصلب، والفداء، والكفّارة، ما هي إلاّ من نتاج عقليّة بولس اليهوديّة الماكرة، فهو حجر الزاوية في تحريف ديانة النبي عيسى عليه السلام. ولكن لم تثبت هذه الانحرافات الشركيّة، و لم تكن لها الهيمنة على اعتقاد النصارى إلاّ بعد مجمّع نيقيّة الأوّل (المجمع المسكوني الأوّل ١٩ حزيران ـــ ٢٥ آب ٣٢٥ م)، واقتناع الامبراطور قسطنطين بفرقة بولس التثليثيّة ، دون باقي الفرق المنتسبة لدين عيسى والتي حضرت مجمع نيقيّة ، وما ذلك إلاّ لتوافق أقوال فرقة بولس التثليثيّة مع اعتقادات

الامبراطور قسطنطين التثليثيّة في ديانته الرومانيّة القديمة .

ثانياً) أن النصارى لا يملكون أسانيد متصلة لكتبهم المقدَّسة، لا صحيحة، ولا حتى باطلة، فلا أسانيد أصلاً لهم، وهذا باعتراف قُسسهم، وأساقفتهم، ورجال دينهم. وحجتهم في ذلك تلك الاضطرابات والاضطهادات التي وجدوها في حياة كنيستهم من أعدائهم ، ولمدة ثلاثة قرون ، علماً أنّه في هذه الفترة العصيبة التي مرّت على النصارى قد دوّنت فيها أناجيلهم وكتبت فيها رسائلهم، خاصة من سنة ٧٠ م إلى سنة ١١٠م . فسبحان الله، كتب للاعتقاد والتعبّد لا يعرف المعتقد بها والمتعبّد بها أسانيدها، ومن هو واضعها على الصحيح !

ثالثاً) من أهم الأماكن التي تمكّنت منها النصرانيّة (المسيحيّة المُحرَّفة التثليثيّة) : مدينة روما الإيطاليّة، حيث إنّها مقر الامبراطورية الرومانيّة القويّة المتحكّمة في العالم الغربي، في تلك الأوقات، ويزعم أهل تلك المدينة، أنّ بطرس (أحد الحواريين) وبولس قد سكنا فيها وأقاما كنيسة المسيح بها، فزعموا بذلك أن كنيسة روما هي أم الكنائس، وأنّ كرسيّها الكنسي مُقدّم على كُلّ الكراسي الكنسيّة الباقية في العالم — وهي أربعة: الاسكندريّة، الأورشليميّة، الأنطاكيّة، ثُمّ القسطنطينيّة —، وأنّ أساقفة كرسيّها (أساقفة كنيسة روما) هم خُلفاء القديس بطرس، فكما أن القديس بطرس مُقدّم على باقي حواري المسيح، فكذلك أساقفة (بابوات) كنيسة روما مُقدّمون على باقي أساقفة الكراسي الكنسية الأخرى .

رابعاً) البابويّة أعلى رتبة أسقفيّة وسلطويّة في الكنيسة الكاثوليكيّة ، والبابا رأس الطائفة الكاثوليكيّة ، مقرّه في دولة الفاتيكان ، وهو رئيسها .

وقد وصلت البابويّة إلى أعلى مراتبها من الناحية السياسيّة الزمنيّة، والناحية الدينيّة الروحيّة في العالم الغربي، في العصور الوسطى خاصة، وقد بدأت قوة البابويّة تظهر عندما تبنى الامبراطور قسطنطين الديانة النصرانيّة على المذهب البولسي التثليثي في القرن الرابع الميلادي، واستمرّت قوتها وسلطانها في الصعود حتى القرن الرابع عشر الميلادي، وكان لهذا السلطان والصعود أسباب ذكرتها أثناء البحث .

ثم بدأت مكانة البابوية تتهاوى من عليائها من وقت موت البابا (بونيفاس الثامن) سنة ١٣٠٣م، وتركها روما، وانتقالها إلى أفينون الفرنسية عام (١٣٠٥م)، فكانت بداية القرن الرابع عشر الميلادي بداية انهيار السلطة البابوية الروحية بشكل عام، وبداية تلاشي سلطتها الزمنية، ثُمّ كان القرنان الخامس عشر والسادس عشر المرحلة الحقيقيّة لتفكك الوحدة النصرانيّة تحت سلطة البابويّة بالمعنيين الروحي الديني، والزمني السياسي معاً، وكان، ولا شك، لهذا أسباب، بعضها داخلية من نفس مركز البابوية والكنيسة، وبعضها أسباب خارجية .

خامساً) نتيجة لهذا الانهيار البابوي، ومن قبل ذلك عدم اهتمام البابويّة وكنائسها المحليّة بالناحية الروحيّة والدينيّة لشعوبها النصرانيّة؛ قامت بعض الجماعات الكاثوليكيّة بتكوين فرق ومجموعات، لعلها تُعيد ثقة الشعوب النصرانيّة في الكنيسة الكاثوليكيّة ، نعم نجحت بعض تلك الفرق في تحقيق جزء من ذلك الهدف، ولكن بعد أن صُبغت الشعوب الأوروبيّة بالصبغة العلمانيّة بسبب قيام ثورات وطنيّة على الكنيسة الكاثوليكيّة صبغة علمانيّة تحرّريّة، مثل الثورة الوطنيّة في فرنسا عام ١٧٨٩م، والثورة الوطنيّة في إيطاليا عام ١٨٦٠م، فكان لتلك النجاحات الكاثوليكيّة الأثر الضعيف على الشعوب النصرانيّة، وإن كنا في هذا الزمان ــ بدايات القرن الحادي والعشرين ــ نجد الأثر الديني أصبح محسوساً في الشعوب الأوروبيّة أكثر من القرون السابقة .

سادساً) كما أنّ البابويّة حاولت أن يكون لها أثر محسوس في الشرق الإسلامي، خاصة على أرض فلسطين المسلمة، فكوّنت بعض الفرق المحاربة هناك لقتال المسلمين، وللدعوة للنصرانيّة. نعم نجحت في فترة من الزمان، ولكنّها سرعان ما ارتدت على أعقابها بسبب رجوع المسلمين إلى تعاليم دينهم الحقة، وإقامة شريعة الجهاد الخالدة، والتي لولاها لما كان للمسلمين شأن يُذكر في ذلك الزمان، كما هو حالهم اليوم، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم .

سابعاً) نجحت الكنيسة الكاثوليكيّة في كسب فروع تابعة لها، مشتقّة عن الكنائس الشرقيّة. فأصبح لها وجود في الشرق بسبب ذلك، ولكن وبسبب وجود محيط إسلامي كبير، وطوائف نصرانيّة أخرى، بعضها عدو للطائفة الكاثوليكيّة؛ لم يتحقق ما كانت

تتمنّاه الكنيسة الكاثوليكيّة بأن يكون لها اليد العليا في الشرق، فخسرت موقعها في الغرب كقوة دينيّة عُظمى بسبب وجود الانشقاقات الدينيّة النصرانيّة هناك، وظهـور طوائـف نصرانيّة مخالفة لها جذبت منها بعض الشعوب الأوروبيّة، كالطائفة البروتستانتيّة بمختلف اتجاهاتها، كما أنّها ضاعت، في الشرق فأصبح أتباعها أقليّة غير مؤثّره، لا يُحـسب لهـا حساب. فأعتقد أنّ الطائفة الكاثوليكيّة خسرت مواقعها في الغرب في القـرون الـستة الماضية ، ولم تكسب شيئاً مؤثراً ذا بال في الشرق .

ثامناً) من أهم ما يُميّز الطائفة الكاثوليكيّة، أنّ عقيدتها خلقدونيّة. فقد اعتقدت أن ربّهم عيسى عليه السلام له طبيعتان ومشيئتان، إحداهما إلاهيّة، والأخرى بشريّة، طبيعتان غير مختلطتين، وغير متغيرتين، ولا منقسمتان، ولا منفصلتان، وإن اختلاف الطبيعـتين لم يُلغه اتحادهما، فاحتفظت كلٌ واحدة بميزاتها. فطبيعته الإلهيّة كاملـة، وكـذلك طبيعتـه البشريّة كاملة، فهو إله كامل، وإنسان كامل، وهو مساوٍ للبشر في الجوهر بالنسبة لطبيعته البشرية ، ومساوٍ لله الآب في الجوهر بالنسبة لطبيعته الإلهيّة ، ثُـمّ إنّ إرادتـه ومـشيئته البشرية تابعة لإرادته ومشيئته الإلهيّة وخاضعة لها ، واجتمعت الطبيعتان في شخص واحد وأقنوم واحد من الأقانيم الثلاثة، أقنوم الله الابن. والعذاب والصلب إنّما وقع على الجسد أي على الطبيعة البشريّة، وبقي غير مُتألّم بطبيعته اللاهوتيّة .

وأن الله الروح القدس منبثق من الله الآب ومن الله الابن، فالله الآب غير مولود، والله الابن مولود غير مخلوق، والله الروح القدس غير مولود ولكنّه منبثق من الآب والابن .

فهذه عندهم هي الثالوث الإلهي المُقدّس ولهم وحدة الجوهر، فهم غير منقسمين، غير متمازجين، أزليّون بغير زمان متساوون بلا اختلاف. والثالوث الإلهيّ، هي أقانيم إلهية، لا يتقاسمون ألوهيّة واحدة ، ولكن كُلّ واحد منهم هو الله كاملاً .

وأسرار الكنيسة الكاثوليك ، كما هي عند الكنيسة الأرثوذكسيّة المرقسيّة ، سـبعة أسرار ، وهي أسرار الناموس : المعموديّة ، والتثبيت ، والأفخارستيا ، والتوبة ، ومسحة المرضى ، والكهنوت ، والزواج . إلاّ أنّ الكاثوليك زادوا سرّاً ثامناً ، وهو سرّ عـصمة البابا . والمجمع الفاتيكاني الثاني (المسكوني الحادي والعشرون) ١١ تشرين الأوّل ١٩٦٢ ــ ٨ كانون الأوّل ١٩٦٥ م ، وإن كان قد أثبت أوليّة الحبر الروماني ، وعصمته ، فإنّه

أدرج عقيدة عصمة البابا "الحبر الروماني" في إطار أوسع ، إطار مسؤوليّة الهيئة الأسقفية جمعاء، وعصمتها في التعاليم الكنسيّة في العقيدة والأخلاق .

فالهيئة الأسقفيّة ، بالاتحاد مع البابا ، وليس بمعزل عنه ، أيضاً لها هذه القداسة ، لها السلطان الأعلى والكامل على الكنيسة كُلّها .

ومن عقائد الكاثوليك، عقيدة (المطْهر). والمطهر مكان تذهب إليه نفوس الأموات التي ارتكبت بعض السيئات، فلم تطهر بأعمالها في الحياة التطهير الكامل بالحسنات، فالمطهر مكان للتّنقية، لتنقية النفوس من خطاياها حتى تصل إلى الملكوت السماوي بأعمال كاملة من الحسنات .

كما أنّ من عقائد الكاثوليك الخاصة في مريم أمّ عيسى عليه السلام، عقيدة ((الحبل بلا دنس))، وظهرت هذه العقيدة عام ١٤٨٣م عندهم، ولكن في وسط خلافات شديدة بين البابويّة المؤيدة للعقيدة، وبعض الكاثوليك المعترضين عليها، ولم يُحلّ الخلاف إلاّ في عام ١٧٠٨م بتأييد مطلق لهذه العقيدة في عهد البابا (اكليمنت الحادي عشر)، ثُم ثبتت هذه العقيدة كعقيدة كاثوليكيّة أصيلة، وفُسّر معناها في عهد البابا (بيوس التاسع) عام ١٨٥٤م. ومعنى عقيدة الحبل بلا دنس: أنّ مريم عُصمت من كُلّ دنس للخطيئة الأصليّة منذ اللحظة الأولى للحبل بها ، فلم يُحبل بها كسائر النّاس في حالة من البعد عن الله ، وكذلك عاشت حياتها من دون أي خطيئة شخصيّة ، فهي كُلّيّة القداسة منذ البدء .

وكذلك عقيدة ((انتقال مريم في جسدها إلى السماء)) ، وقد جعل بعض الكاثوليك لهذه العقيدة عيداً في ١٥ آب من كُلّ سنة، ابتدأوا في الاحتفال بهذا العيد في القرن الخامس الميلادي، إلاّ أنّ البابويّة ثبّتت هذه العقيدة، وأوجبت الإيمان بها على كُل الكاثوليك في عهد البابا (بيوس الثاني عشر) بدستور رسولي في ١ تشرين الثاني عام ١٩٥٠م.

كما أن الطائفة الكاثوليكيّة تعتقد بوجوب تقديس صور ربّهم المسيح، ووالدته، وقدّيسهم، وإكرامها، وتعليقها، والوقوف أمامها .

فهي عندهم علامة للحب، ووسيلة للذكرى، وتقوّي العبادة ؛ لأنها تشرك العين في العبادة ، وتُذكّر الإنسان بمشاهد تقوية مهمة .

كتمثال ربّهم المصلوب، فيرون أنّه يُذكّرهم بسرِّ الفداء، وصور القيامة والصعود والبشارة ، وصور العذراء المختلفة ... يعتقدون في هذا كلّه ترسيخاً لمبادئ إيمانهم، وفضائل قدّيسهم، وتشجيعهم على الاقتداء بهم ليشاركوهم في مجدهم الذي يعتقدونه .

كما أنّهم يرون أنّ هذه الصور والتماثيل ((الإيقونات)) لغة للتعليم ، خاصة لتعليم الأطفال والبسطاء .

تاسعاً) وقد عملت الطائفة الكاثوليكيّة بكل منسوبيها ابتداءً من البابويّة وكنائسها المحليّة ومفكّريها على التأثير على العالم الإسلامي في كل مجال يستطيعون أن يصلوا إليه وينفذوا من خلاله للأمة الإسلاميّة. ومن تلك المجالات والمنافذ الحروب الصليبيّة المتواصلة على الأمّة الإسلاميّة منذ أن نجح المسلمون في الخروج من منطقتهم العربيّة في القرن الأول الهجري، أواخر القرن السادس الميلادي ابتداءً بمعركة مؤته، ثم فتح الأندلس وصقلّية ...

ومن أوائل بابوات روما الذين حملوا لواء نشر الحقد الصليبي وسط الشعوب النصرانية على المسلمين ، ومواجهتم عسكريّاً هو البابا (هادريان الأوّل) عندما حث الامبراطور شارلمان في عام ٧٧٨م على مواجهة المسلمين في الأندلس. ومن أبرز البابوات في إذكاء المواجهات ضد المسلمين هو البابا غريغوريوس (جريجوري) السابع (١٠٧٣ — ١٠٨٥م) فهو المنظّر الفعلي لمواجهة المسلمين ، ثُمّ كان ابتداء التطبيق الفعلي لتلك الحروب المتواصلة على الأمّة الإسلاميّة نداء البابا (أوربان الثاني) عام ١٠٩٥م للقيام بأوّل حملة صليبية (مرقّمة تاريخيّاً) متوجهة إلى بلاد المسلمين ، وتوالت الحملات الصليبيّة في الشرق والغرب على الأمّة الإسلاميّة بغية كسرها والقضاء عليها ، وهذا مانجحت فيه الطائفة الكاثوليكيّة، فكسرت شوكة الأمة الإسلاميّة في الغرب في بلاد الأندلس ، وإخراجتهم من أهم موقع استراتيجي وحضاري ــ حيث إنّ بلاد الأندلس تُمثّل البوابة الغربية للقارة الأوروبيّة ــ وذلك في عام ١٤٩٢م. إلاّ أنها بجيوشها الصليبيّة الجرّارة فشلت في حروبها ضد المسلمين في بلاد المشرق، وخاصة على أرض فلسطين المسلمة وما حولها ، فخرجت فلولهم مهزومة منكسرة عام (٦٤٢ هـ ــ ١٢٤٤ م) على يد الجيوش الإسلاميّة بقيادة (ركن الدين بيبرس) في موقعة (غزة الثانية) ، والتي سُمّيت لقوتها على الصليبيين بـ(حطين الثانية) ، حيث لم يقم للصليبيين بعدها في أرض فلسطين قياماً

عسكرياً حقيقيّاً إلا بعد الحرب العالمية الأولى ، وسقوط الخلافة الإسلامية العثمانيّة ، ولكن هؤلاء الصليبيين لم يكونوا كاثوليك ، وإنّما بروتستانت ، فالطائفة البروتستانتيّة استلمت الراية واضحة وبقوة من الكاثوليك في مواجهة الأمة الإسلاميّة .

وإذا نظرنا إلى الكشوفات الجغرافيّة التي قامت بها البحريّة الصليبيّة الكاثوليكيّة لوجدناها حلقة من حلقات الحروب الصليبيّة على الأمة الإسلاميّة ، وقد كان أوّل المشرفين على تلك الكشوفات الجغرافيّة هو (البابا نيقولا الخامس) (١٤٤٧ـ ١٤٥٥م) ، فرفّعت البابويّة من شأن القادة البحريين الذين تولّوا شأن هذه الحروب الصليبيّة، وعلى رأسهم (فاسكو دي غاما)، وتلميذه الخطير (البركرك)، و(خرستوف كولومبس) ، و(ماجلاّن) الحاقد، وغيرهم، حتى قال قائلهم ـ وهو فاسكو دي غاما عندما اكتشف رأس الرجاء الصالح ـ والغريب أنّ اكتشافه ذلك كان بمساعدة البحري المسلم ابن ماجد ، فالله أعلم ما كانت ظروف ابن ماجد في تلك الأوقات ـ قال : ((الآن طوّقنا رقبة الإسلام ولم يبق إلاّ جذبه فيختنق)) .

ثُمّ كان منتصف القرن الثاني عشر الهجري (منتصف القرن الثامن عشر الميلادي)، ومطلع القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) بداية عهد الحروب الصليبية الجديدة على العالم الإسلامي، والمسمّاة بعهود الاستعمار، والتي تقاسمتها الدول الكاثوليكيّة ، والدول البروتستانتيّة ، ثُمّ علا شأن الدول الاستعماريّة البروتستانتيّة بعد ذلك في استمرار قتال الأمة الإسلاميّة، والعمل على كسر شوكتها في كلّ المجالات المتاحة.

بدأت الحروب الصليبية الحديثة ((الاستعمار)) وهي أشدُ خُبثاً وأدهى مكراً؛ فقد أراد المحارب الصليبي الحديث أن يقنع المسلم المحتلة أراضيه أنه أنفع له من نفسه تقدماً وحضارةً ومعيشةً ، فإذا أراد أن يعيش عيشة حضارية مرَفّهة فعليه أن يتبع هذا الصليبي في أقواله وأفعاله، فإن لم يرض بدينه النصراني، فلا أقلّ من أن يرتضي بتوجهاته في الحياة أخلاقياً وفكرياً ، ويرضى بنظرياته وفلسفاته الحياتية .

وبهذا تركت الحروب الصليبية الحديثة ((الاستعمار)) كثيراً من المجتمعات الإسلامية في عاداتها وتقاليدها مسخاً بعيدةً عن المنهج الإسلامي في كثيرٍ من أُمور الحياة من التحاكم

بغير شرع الله ، والخلل في عقيدة الولاء والبراء ، والتعامل مع الكفار خاصة إذا كان هذا الكافر نصرانيا صليبيا، و نزع حجاب المرأة ، و قتل الغَيرة على الأعـراض والمحـارم ، والتعامل بالربا بشكل رسمي ومحميّ من الحكومات ، وغيرها من أمور أتى بهـا المنـهج الإسلامي فخالفتها المجتمعات الإسلامية بفعل مكر الصليبي الخبيث ، وعلى رأسها زلزلـة العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين . نسألُ الله أن يعيدنا ويُعيد المجتمعات الإسلامية إليه عوداً حميداً، آمين .

ثُمّ إنّ البابويّة وكنائسها ودولها الكاثوليكيّة لم تُسلّم مهمة الحرب ضـد الإسـلام والمسلمين للدولتين الخارجتين عن نطاقها وعقيدتها ((أمريكا وبريطانيا)) ، ولكن المسـألة بالنسبة للكاثوليك مسألة مراحل، حسب القوة والضعف والمناسب وغـير المناسـب في المواجهات العسكرية والسياسية. وبما أن الهدف المشترك للنصارى هو ضـرب الإسـلام والمسلمين وإضعافهم اقتصادياً، وسياسياً، وعسكرياً، فليستمر التخطيط الكاثوليكي الماكر في فترة من الهدوء وعدم المواجهة المباشرة مع المسلمين عسكرياً في هذه الأوقـات فقـد كفاهم في ذلك البروتستانت، وإلا فهناك مواجهات قوية مستمرة مع المسلمين من ناحية الغزو الفكري و التنصير، وحامل لوائها المستشرقون والمستغربون .

عاشراً) أن الطائفة الكاثوليكيّة استغلّت أسلوباً آخر في التأثير على الأمّة الإسـلاميّة، وهو أسلوب الغزو الفكري، أسلوب مكمّل للأسلوب الحربي الصليبي حيناً، وبديل عنـه حيناً آخر .

وأسلوب الغزو الفكري أسلوب خطير يعمل على إذابة الشعوب ، وانسلاخها مـن عقائدها ، وهويتها ، وحضارتها ، لتصبح مسخاً شائهاً تابعاً لغيرها ، تؤمر فتطيع .

فقد أدرك الصليبيون بعد التجارب الطويلة في صراعهم مـع المسـلمين أنّ الغـزو العسكري ولّد ردّة فعل عنيفة ، فلم يتحقق به لهم ما كانوا يتمنّونـه ويرجونـه؛ لـذا استصحبوا معهم وسيلة ماكرة خبيثة ، هي وسيلة الغزو الفكري .

فالغزو الفكري الصليبي الموجّه للأمة الإسلاميّة يقوم على ركنين، هما : الاستشراق، والتغريب .

فالاستشراق : دراسات متخصصة يقوم بها النصارى للإسلام في شـتى جوانبـه ،

العقدية ، والتشريعية، والتاريخية، واللغوية، والحضارية وفي النظم والإمكانات ...؛ بهدف تشويه الإسلام، ومحاولة تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وادعاء تفوق حضارتهم النصرانية ((الغربية)) على الحضارة الإسلامية ((الشرقية)) ومحاولة فرض التبعية لهم على المسلمين ، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدّعي العلمية والموضوعية .

فهذا الاستشراق يمثل الخلفية الفكرية للصراع الديني بين الإسلام والنصرانية في الغرب، والذي بدأ واضحاً منذ الحروب الصليبية التي امتدت قرنين من الزمان من سنة ٤٨٩ ــ ٦٩١هــ ، ١٠٩٥ ــ ١٢٩١م، ولم تنته ، ولن تنتهي مصداقاً لقول الباري ﷻ :﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾[1] .

فالاستشراق النصراني كان له أكبر الأثر في صياغة التصورات النصرانية الأوروبية عن الإسلام ، وفي موقفهم من المسلمين على مدى قرون عديدة ولا يزال .

وقد بدأ الاستشراق الغربي النصراني من الفاتيكان : باباوات وأساقفة ورهباناً؛ وذلك لأمور منها : أنهم الفئة المؤهلة فكرياً وثقافياً لمواجهة الانطلاقة الإسلامية داخل الأراضي الأوروبية، فشعور الغربيين بالخطر الإسلامي ــ على زعمهم، وإلا ما جاء به الإسلام ما هو إلا رحمة للعالمين ــ عقدياً وفكرياً جعل الدائرة والمؤسسة الأكبر في أوروبا، وهي الفاتيكان، تحاول أن تواجهه وتنظر في ما جاء به ، مع المواجهة العسكرية كل ما سنحت لها الفرصة لذلك .

وأمّا الركن الثاني من ركني الغزو الفكري ، فهو التغريب .

التغريب : انقلاب فكري ، وتربوي، وتحول اجتماعي، وخنوع نفسي لبعض المسلمين مخالف لما جاءت به الشريعة الإسلامية ، خطط له الاستشراق بأطروحاته المشبوهة ، وأعماله الماكرة ، وحماه الاستعمار (الاستخراب) الصليبي ، بنفوذه وسيطرته على الأراضي الإسلامية .

فالتغريب ، نقل للحضارة الغربية بسلوكيّاها ، وأفكارها إلى العالم الإسلامي ؛

[1]) سورة البقرة ، الآية ١٢٠ .

لتنافس الحضارة الإسلامية، عقيدةً، وشريعةً، وسلوكاً في قلوب المسلمين وعقولهم، لكي تحلّ محلّها عند بعضهم ، وذلك بأيدي إسلامية ؛ أو كان بعضها إسلامياً ، متربية على المنهج الغربي النصراني المنحل والمخالف للدين الإسلامي .

والتغريب حركة ارتبطت بالاستعمار ارتباطاً عضوياً. قوامها عمل استعماري (استخرابي) فكري بعيد المدى قصد به القضاء على معالم شخصية الأمة الإسلامية، وتحويلها إلى صورة غربية مشوّهة الملامح غريبة عن مجمعاتنا وآدابنا الإسلامية .

الحادي عشر) وقد كان المكر الكُبّار للنصارى الغربيين الكاثوليك (ثُمّ تبعهم بعد ذلك البروتستانت) على المسلمين ؛ وهو دعوهم للدخول في دينهم النصراني ، إلاّ أن المنصرين وجدوا أن هذه العمليات التنصيرية بالغة الصعوبة في تطبيقها على المسلمين بشكل عام لتمسكهم بدينهم الإسلامي ـــ بخلاف غيرهم من أصحاب الملل والطوائف الأخرى و غير الدينيين .

لذلك خطط النصارى لتحقيق أهداف أخرى من خلال محاولاتهم التنصيرية بين المسلمين، على أن هدف إدخال المسلمين في النصرانية، وتركهم دينهم الإسلامي يبقى على رأس هرم أهداف النصارى .

ومن أهم تلك الأهداف التي يحاول المنصّرون تحقيقها من خلال محاولاتهم وعملياتهم التنصيرية بين المسلمين والتي ـــ أعتقد ـــ أنها غالباً ما تكون موازية السير والخُطى مع الدعوة المباشرة إلى النصرانية ؛ هي ، أولاً : محاولة وقف انتشار الإسلام ، ثانياً : القضاء على وحدة العالم الإسلامي ؛ ثالثاً : زعزعة العقيدة الإسلامية من قلوب المسلمين .

وقد كانت هناك محطات رئيسة ومهمة في مسألة اهتمام الطائفة الكاثوليكية لتنصير المسلمين ؛ ومن أهمها في القرن العشرين ، المجمع الفاتيكاني الثاني ((المسكوني الكنسي الحادي والعشرون)) من ١١ تشرين الأول ١٩٦٢م إلى ٨ كانون الأول ١٩٦٥م .

فقد أعلن هذا المجمع ((المجمع الفاتيكاني الثاني)) عن اتخاذه لقرارات خطيرة ومهمة لم تتخذ في مجامع مسكونية كنسية من قبل ، غيّرت بعض الشيء من منهجية الكنائس الكاثوليكية في العالم المعاصر. ومن أهم هذه القرارات العمل على توصيل الإنجيل لكافة

البشر ، أي ((تنصير العالم)) ، وأوّل ذلك تنصير المسلمين ، وابتداع طريقة ماكرة وخبيثة في مواجهة المسلمين وغزوهم عقائدياً وفكرياً تُنحّيهم من المواجهة العسكرية مع المسلمين ، والتي تُكلّفهم كثيراً من الأموال والأرواح ولا يجنون منها فائدة كبيرة ، وهذه الطريقة الجديدة التي ابتدعها المجمع الفاتيكاني الثاني، هي: ((مسألة الحوار مع المسلمين)).

ثُمّ إنّ الكنيسة الكاثوليكيّة، وعلى رأسها البابويّة، اهتمت اهتماماً بالغاً بالإرساليات التنصيريّة إلى بلاد المسلمين في ظل حماية المستعمر النصراني .

فالإرساليات التنصيريّة تعمل على تحقيق هدف مزدوج في البلاد الإسلامية ، أحد طرفيه هدم أو ما تسميه هذه الإرساليات تحليلاً ، والمقصود به تشويه عقيدة الإسلام ومبادئه الأخلاقية في عقول أبناء المسلمين ، والطرف الآخر من هذا الهدف المزدوج هو ما تسميه تلك الإرساليات تشييداً أو تركيباً ، والمقصود به إدخال أولئك الذين تشوشت في عقولهم العقيدة والمبادئ الإسلامية من أبناء المسلمين إلى النصرانية .

ثُمّ إن التطور في العمل المنهجي للمنصّرين جعلهم يكتشفون وسائل متعددة وخاضعة لمناسبة الزمان والمكان والثقافات يدخلون من خلالها إلى قلوب المستهدفين وعقولهم .

ولا شك في أن قوة هذا التطور للحركة التنصيرية وتسارعه يستمد من إمكاناتها المادية الكبرى، والتي أتاحت لها إقامة مشروعات مباني الكنائس، ودور التعليم، والمستوصفات، والمستشفيات، ودور رعايات اجتماعية وإغاثية ضخمة ومتطورة. كما يستمد من القائمين على شؤون الحركة التنصيرية المختارين بدقة من ذوي التأهيل الديني والعلمي، والتربوي، والثقافي من القساوسة، ورجال التعليم، والأطباء، ومسؤولي الإغاثات والشؤون الاجتماعية .

فالحركة التنصيرية أصبح لها نشاط جماعي دولي تقوم به جمعيات ومنظمات مزوّدة بهالة من الطاقات البشرية والماديّة .

وأرى أن أكثر الوسائل التنصيريّة تدور حول ثلاثة مجالات رئيسة، وهي : المؤثّرات الفكرية (أبرز مجالاتها: التعليم، والإعلام بأقسامه المقروء والمسموع والمرئي) ، الخدمات الطبية ، المساعدات الإغاثية والإنسانية ، فاستغل المنصّرون الثالوث المخيف الفقر والجهل والمرض الذي أحاط بكثير من الشعوب الإسلاميّة. وذلك إذا استثنينا الطريقة التقليديّة

القديمة وهي المواجهة المباشرة لمن يُراد تنصيرهم عن طريق المناقشات ، والدعوات المباشرة للدخول في النصرانية، واستثنينا الطريقة الوحشية التي استخدمها المنصِّرون، وهي التنصير بالقوة والسلاح والإرهاب. فالنصرانية ابتداءً ما انتشرت إلا بحد السيف، وعلى أصوات القنابل والمدافع وبوحشية محاكم التفتيش الكاثوليكية .

الجزء الثاني : بعض التوصيات .

أوّلاً) تطوير جهود الإغاثة الإسلاميّة في أنحاء العالم الإسلامي، بل العالم أجمع إن أمكن ذلك ، مع الدعاء و الالتجاء إلى الله ، أن تؤتي هذه الجهود ثمرتها ، وتكون سدّاً منيعاً في وجه العمليّات التنصيريّة .

ثانياً) عدم الاستهانة بجهود النصارى التنصيريّة في المؤسسات التعليميّة، والطبيّة ، والإغاثيّة، في بلاد المسلمين، ونشر التوعية بين المسلمين أن يقفوا ضدّ هذه النشاطات بأي وسيلة ممكنة ، ومنها إبلاغ المسؤولين في الدولة الإسلاميّة إن اُكتشفت مثل هذه الجهود التنصيريّة .

ثالثاً) الاهتمام بالناحية الإعلاميّة ، عن طريق القنوات الفضائيّة ، وغيرها من وسائل الإعلام ، لعلاج أمور دعويّة وتوعويّة مهمة ، ومنها :

أ) الوقوف في وجه الدعوات التنصيريّة التي أخذت بالانتشار ، بتكثيف برامج مرئيّة وسمعيّة ، حواريّة ، ومقاليّة ، لبيان بطلان العقيدة النصرانيّة ، بطرق مختصرة في بعض البرامج ، وبطرق موسّعة في البعض الآخر .

ب) عمل برامج خاصة لبيان نصاعة هذا الدين ، وأنّه الدين الحق المُنزّل من عند الله تعالى ، ولبيان موافقته للعقل والمنطق ، وذكر محاسنه ، وأخلاقيّاته ، وللتذكير ببعض مفاهيمه الإسلاميّة ، والتي أخذت بالاندثار والنسيان ، ولتصحيح مفاهيم أخرى فهمها بعض المسلمين فهماً خاطئاً فأدّت إلى نتائج خاطئة ، إمّا ميّعت بعض أمور الدين ففرح بها العلمانيّون والماكرون ، وإمّا أنها صوّرتها بطريقة نفّرت من أراد الاطلاع على محاسن هذا الدين المبارك ، فلا إفراط ، ولا تفريط .

رابعاً) اعتقد أنّ المجمع الفاتيكاني الثاني ((المسكوني الكنسي الحادي والعشرين))

المنعقد في الفترة من ١١ تشرين الأول ١٩٦٢م إلى ٨ كانون الأول ١٩٦٥م ، يحتاج إلى دراسة مستقلّة لما يحويه من قرارت كنسيّة خطيرة ، المقصود بها أن تـؤثر علـى العـالم الإسلامي خاصة من الناحية الدينيّة ، والفكريّة ، كما أنّها قد تؤثّر على العالم أجمع ، حتى من الناحية السياسيّة .

هذا وأسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد والإعانة ، إنّه نعـم المـولى ونعـم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كُنّا لنهتدي لولا أن هـدانا الله، وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً .

الفهارس

١ـ فهرس الأعلام.

٢ـ فهرس الأماكن.

٣ـ فهرس المصطلحات والألفاظ.

٤ـ فهرس المراجع.

٥ـ فهرس الموضوعات.

فهرس الأعلام الذين ترجم لهم في هامش البحث

العلم رقم الصفحة

عبادة بن الصامت ١٢
برنابا ١٧
هيلانة أم قسطنطين ٤٨
اغناطيوس الانطاكي ٦٤
اكليمنت الإسكندري ٦٤
برنارد كليرفوا ١٢٢
أغناطيوس لويولا ١٢٧
فرنسيس كسفاريوس أوكسافير ١٢٧
الأمير فرنسيس بورجيا ١٢٧
تدّواس ١٦١
بَرتلماوس ١٦١
مار مارون الناسك ١٩٣
مارتن لوثر ٣٤٦
يوحنّا الدمشقي ٤٥٦
روبرت أوف تشستر كيتون ٤٦١
توما الأكويني ٤٦٣
ريموند مارتيني ٤٦٤
روجر بيكون ٤٦٧
ريموند لول ٤٦٨
هنري لامنس ٤٨٢
الأمير ليوني كيتاني ٤٨٣
درمنغم ٤٨٥
رينيه ديسو ٤٨٥
ريجي بلاشير ٤٨٧

البارون كرّا دي فو ٤٨٨
مكسيم رودنسون ٤٩١
سوفاجه........ ٤٩١
أرنست رينان ٤٩٣
الأب حورج قنواتي ٤٩٥
لويس ماسينيوس ٤٩٦
سلفستر دي ساسي ٤٩٧
الكونت دي فولني ٥٠٠
غوستاف دوجا ٥٠٠
بيدور مارتينيث مونتابيث ٥٠١
فرانشيسكو سيمونت ٥٠٥
احنتيسو حويدي ٥٠٨
ميكلنحلو بن احنتيسو جويدي ٥٠٩
كارلو ألفونسو نلّينو ٥٠٩
كازانوفا........ ٥٠٩
بلتيه........ ٥٠٩
هوداس ٥٠٩
رينه باسه ٥١٠
سليم بن خليل تقلا ٥٢٦
بشارة بن خليل تقلا ٥٢٧
حبرائيل بن بشارة تقلا ٥٢٧

فهرس الأماكن المذكورة أثناء البحث

المكان	رقم الصفحة
سيس	٤٨
الممالك الانجلوسكسونية السبع	٨٥
دير جبل كاسينو	١١٨
الرها	١٤٧
ديار بكر	١٤٩
الموصل	١٥٠
العمادية	١٥٢
كركوك	١٥٣
أربيل	١٥٣
زاخو	١٥٣
الأهواز	١٥٣
ماردين	١٥٦
نصيبين	١٥٧
أرمينيا	١٦٠
طرسوس	١٦٣
مصياف	١٧٤
يغري	٣٧٥

فهرس المصطلحات المذكورة أثناء البحث

المصطلح	رقم الصفحة
المضافات إلى الله	١٤
يوم العنصرة	١٩
الهلنستيّة	٣٣
مجلس السهندرين اليهودي	٣٧
الكلوسيوم	٤٢
الطائفة	٦٢
السّيمونيّة	٧٣
البرابرة	٨٢
الثورة الفرنسيّة	١١٤
المطران	١٤١
البطريرك	١٤٨
الرهبانيات	١٥٢
الأبرشيّة	١٥٣
السريان	١٥٤
الإكليريكيّة	١٥٦
الأخويّة	١٥٧
جوقة الترتيل	١٥٧
طقس إشعال النّار	١٦٥
طقس بركة العنب	١٦٥
الروم الملكيّين	١٦٧
الأكسرخُس	١٧٤
المذهب النسطوري	٢٢٨
الأيقونة	٣٤٨
الاستشراق	٤٥٣
الفطرة	٥٣٢
العلمانيون في الكنيسة الكاثوليكيّة	٥٤٩

فهرس المراجع

((أ))

١) الابتعاث ومخاطره ، تأليف : محمد الصبّاغ ، الناشر : إدارة البحوث العلميّة والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، والمكتب الإسلامي ، دمشق ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م .

٢) الانتصارات الإسلاميّة في كشف شبه النصرانيّة ، تأليف العلاّمة : سليمان بن عبد القوي الطوفي الصرصري الحنبلي ، دراسة وتحقيق الدكتور : سالم بن محمد القرني ، الناشر : مكتبة العبيكان ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م .

٣) ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، تأليف الدكتور : محمود علي حماية، الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٨٣ م .

٤) الاتجاه العقلاني لدى المفكرين الإسلاميين المعاصرين (عرض .. ونقد) ، بحث لنيل درجة الدكتوراة، إعداد الباحث : سعيد بن عيضه بن عبد الله الزهراني، إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور : ناصر بن عبد الكريم العقل ، مقدّم لقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، مكتوب بالآلة الكاتبة .

٥) اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر (في النصف الأوّل من القرن الرابع عشر الهجري) ، تأليف الدكتور : محمد بن صادق الجمال ، الناشر : دار عالم الكتب ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .

٦) الاتجاهات الوطنيّة في الأدب المعاصر ، تأليف الدكتور : محمد محمد حسين ، الناشر : دار الرسالة للنشر والتوزيع ، مكة ، الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢ م .

٧) الاتجاهات الفكريّة المعاصرة ، تأليف المستشار الدكتور : علي جريشة ، الناشر : دار الوفاء ، المنصورة ، الطبعة الثالثة ١٤١١ هـ ، ١٩٩٠ م .

٨) أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر عند إدوارد سعيد ، حسن حنفي ، عبد الله العروي ، تأليف الدكتور : نديم نجدي ، الناشر : دار الفارابي ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٥ م .

٩) أثر الكنيسة على الفكر الأوربي ، تأليف الدكتور : أحمد علي عجيبة ، الناشر : دار الآفاق العربيّة ، مدينة نصر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م .

١٠) أجنحة المكر الثلاثة ، وخوافيها ، التبشير ، والاستشراق ، والاستعمار ، تأليف الشيخ : عبد الرحمن حسن الميداني ، الناشر : دار القلم ، دمشق ، الطبعة السادسة ١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م .

١١) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام ، تأليف الأستاذ الدكتور : سعد الدين السيد صالح، النشر : مكتبة الصحابة، الشارقة، الطبعة الأولى : ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨م .

١٢) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، و تطورات هامة في المسيحيّة ، تأليف اللواء : أحمد عبد الوهاب ، الناشر : مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧م .

١٣) أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي (بحوث حول العقائد الوافدة) ، تأليف الدكتور : صابر طعيمة ، الناشر : عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م .

١٤) أخطر المناظرات هل مات المسيح على الصليب ؟ مناظرة بين الداعية الشيخ أحمد ديدات ، والبرفسور فلويد كلارك ، ترجمة : علي الجوهري ، الناشر : دار البشير ، القاهرة .

١٥) أديان وفرق ، تأليف : الدكتور أمين القضاة ، الدكتور محمد الخطيب ، الدكتور عوض الهزايمة، الناشر : دار عمّار، ومكتبة الأقصى، ومكتبة الحرمين، عمّان، الأردن، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ، ١٩٩٠ م .

١٦) الإذاعات التنصيريّة الموجّهة إلى المسلمين والعرب، تأليف الدكتور : كرم شلبي، الناشر : مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م .

١٧) أربعون سبباً في سقوط الأندلس ، تأليف الدكتور : عبد الحليم عويس ، الناشر : دار الصحوة للنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م .

١٨) أزمة العصر ، تأليف الدكتور : محمد محمد حسين ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م .

١٩) أساسيّات مسيحيّة ، تأليف الدكتور : زكريا استاورو ، الناشر : مكتبة الأخوّة ، شبرا ، القاهرة ، طبعة عام ٢٠٠١ م .

٢٠) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، تأليف الدكتور : علي محمد جريشة ، محمد شريف الزيبق ، الناشر : دار الاعتصام ، القاهرة .

٢١) استراتيجيّة التنصير في العالم الإسلامي (دراسة في أعمال مؤتمر كولورادو لتنصير المسلمين) ، تأليف الدكتور : محمد عمارة ، الناشر : مركز دراسات العالم الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م .

٢٢) الاستشراق ، تأليف الدكتورة : فتحيّة عبد الفتاح النبراوي ، الناشر : الدار السعوديّة ، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٥ م .

٢٣) الاستشراق (الذرائع ، النشأة ، المحتوى) ، تأليف الدكتور : السيد أحمد فرج ، الناشر : دتسر طويق للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣ م .

٢٤) الاستشراق أهدافه ووسائله ، ودراسة تطبيقيّة حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون ، تأليف الدكتور : محمد فتح الله الزيّادي ، الناشر : دار قتيبة ، دمشق ، الطبعة الثانية عام ٢٠٠٢ م .

٢٥) الاستشراق السياسي في النصف الأوّل من القرن العشرين ، تأليف : مصطفى نصر المسلاّتي ،

الناشر : اقرأ للطباعة والترجمة والنشر، طرابلس، الطبعة الأولى ربيع الأوّل ١٣٩٦ م .
٢٦) الاستشراق في السِّيرة النبويّة (دراسة تاريخيّة لآراء وات، وبروكلمان، وفلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلاميّة ، تأليف : عبد الله محمد الأمين النعيم ، الناشر : المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، هيرندن ، فيرجينيا ، الولايات المتحدة الأمريكيّة ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م .
٢٧) الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، تأليف الدكتور: أحمد عبد الرحيم السايح، الناشر: الدار المصريّة اللبنانيّة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦م.
٢٨) الاستشراق (المعرفة ، السلطة ، الانشاء) ، تأليف الدكتور : إدوارد سعيد ، نقله إلى العربية كمال أبو ذيب ، الناشر : مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، الطبعة العربية السادسة ٢٠٠٣ م .
٢٩) الاستشراق والتربية ، تأليف الدكتور : هاني محمد يونس بركات ، دار الفكر ، عمّان ، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م .
٣٠) الاستشراق والتبشير (قراءة تاريخيّة موجزة) ، تأليف الأستاذ الدكتور : محمد السيّد الجليند ، الناشر : دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ، طباعة عام ١٩٩٩ م .
٣١) الاستشراق وجه الاستعمار الفكري ، تأليف الدكتور : عبد المتعال محمد الجبري ، الناشر : مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ، ١٩٩٥ م .
٣٢) الاستعمار في جنوب شرقي آسيا، تأليف الدكتور : فايز صالح أبو جابر، الناشر : دار البشير للنشر والتوزيع ، الأردن ، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م .
٣٣) إسرائيل حرّفت الأناجيل واخترعت أسطورة السامية ، تأليف اللواء : أحمد عبد الوهاب ، الناشر : مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م .
٣٤) أسرار حملة نابليون على مصر والشام ، تأليف : حُسني أدهم جرّار ، الناشر : دار الضياء ، وشركة الشرق الأوسط للطباعة ، عمّان ، الأردن .
٣٥) أسرار الفاتيكان ، تأليف : ليو بولد ليدل ، ترجمة : تحسين حجازي ، الناشر : دار التضامن ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٠ م .
٣٦) أسرار الكنيسة السبعة ، تأليف : الأرشيدياكون حبيب جرجس ، الناشر : مكتبة المحبّة ، القاهرة ، الطبعة السادسة .
٣٧) أسس الإيمان (دليل المؤمن المتلئ من الروح) ، تأليف : ديريك برنس ، ترجمة : صلاح عباسي ، الناشر : P.T.W، المطبعة MD Graphics، الموقع الإلكتروني www.ptw-me.com
٣٨) أسطورة تجسّد الإله في السيد المسيح ، بحوث تحت إشراف البروفسور : جون هك ، تعريب الدكتور: نبيل صبحي، الناشر: دار القلم، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م .

٣٩) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، تأليف الدكتور: علي عبد الواحد وافي، الناشر: دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة .
٤٠) الأسفار المقدّسة قبل الإسلام، تأليف الدكتور : صابر طعيمة، الناشر: عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٥ م .
٤١) الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين ، تأليف الدكتور : شوقي أبو خليل ، الناشر : دار الفكر المعاصر ، بيروت ، طبعة ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م .
٤٢) الأسقف بين الأمس واليوم ، تأليف المطران : أنطوان طَرَبيه ، الناشر : دار المشرق ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م .
٤٣) أسقف رومة ، تأليف : ج. م. ر. تِيّار، نقله إلى العربيّة: الأب جورج خوّام البولسيّ، الناشر : المكتبة البولسيّة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٧ م .
٤٤) الإسلام بعيون مسيحيّة ، تأليف لطفي حداد، الناشر : الدار العربيّة للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٥ م .
٤٥) الاسلام بين الواقع والتحديات والمستقبل ، تأليف : أحمد إسماعيل يحي ، الناشر : مكتبة الدار العربيّة للكتاب ، الطبعة الأولى ربيع الأول ١٤٢٣ هـ ، مايو ٢٠٠٢ م .
٤٦) الإسلام في تصورات الإستشراق الإسباني ، تأليف الدكتور : محمد عبد الواحد العسري ، الناشر : مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، الرياض ، طبعة عام ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م .
٤٧) الإسلام في تصورات الغرب ، تأليف الدكتور : محمود حمدي زقزوق ، الناشر : مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م .
٤٨) الإسلام والغرب الحاضر والمستقبل ، تأليف : زكي الميلاد ، تركي علي الربيعو ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م .
٤٩) الإسلام والأديان الأخرى (نقاط الاتفاق والاختلاف) ، تأليف اللواء : أحمد عبد الوهاب ، الناشر : مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ ، ١٩٨٩ م .
٥٠) الإسلام والعرب ، تأليف رُوم لاندو ، نقله عن الإنكليزيّة : منير البعلبكي ، الناشر : دار العالم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٧ م .
٥١) الإسلام والمعتقدات الدينيّة القديمة ، تأليف : أحمد إسماعيل يحيى ، الناشر : مكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٣ ، ٢٠٠٢ م .
٥٢) الاسلام وتحدّي الاستعمار الأوروبي في أفريقيا، تأليف الأستاذ الدكتور: عبد الله عبد الرزاق، الناشر : المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، الطبعة الثانيّة ١٩٩٧ م .

٥٣) الإسلام والحضارة الغربيّة ، تأليف الدكتور : محمد محمد حسين ، الناشر : المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م .
٥٤) الإسلام والغزو الفكري ، تأليف الدكتور : محمد عبد المنعم خفاجي ، والدكتور : عبد العزيز شرف ، الناشر : دار الجيل ، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ، ١٩٩١م .
٥٥) الإسلام والمستشرقون ، إشراف مجمع دار المصنفين في الهند ، الناشر : عالم المعرفة ، جدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م .
٥٦) الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وظلال الاستشراق، تأليف الدكتور: عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩م .
٥٧) الإسلام والمسيحيّة من التنافس والتصادم والحوار والتفاهم ، تأليف : أليكسي جورافسكي، ترجمة الدكتور : خلف محمد الجراد، الناشر : دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق ، الطبعة الثانية ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م .
٥٨) الإسلام والنصرانيّة دراسة مقارنة ، تأليف الدكتور : محمد علي الخولي ، الناشر : دار الفلاح للنشر والتوزيع ، الأردن ، الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م .
٥٩) أصول التنصير في الخليج العربي ، دراسة ميدانية وثائقية نشاط البعثة البروتستانتيّة (١٨٨٩ — ١٩٧٣ م) ، تأليف : هـ . كونوي زيقلر ، ترجمة : مازن صلاح مطبقاني ، الناشر : مكتبة ابن القيم ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى : ١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م .
٦٠) اضمحلال الإمبراطوريّة الرومانيّة وسقوطها ، تأليف : إدوارد جيبون ، ترجمة : محمد علي أبودرة ، الناشر : الهيئة المصريّة العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ١٩٩٧ م .
٦١) اضمحلال العصور الوسطى ، تأليف : يوهان هويزنجا ، ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد ، الناشر : الهيئة المصريّة العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ١٩٩٨ م .
٦٢) إظهار الحق ، تأليف : الشيخ رحمت الله بن خليل الرحمن الهندي ، دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور : محمد أحمد عبد القادر ملكاوي ، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلميّة والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ، ١٩٨٩م .
٦٣) افتراءات المستشرقين على الإسلام (عرض ونقد) ، تأليف الدكتور : عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني ، الناشر : مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢ م .
٦٤) أفكار وآراء الحوار المسيحي الإسلامي والعيش المشترك، تأليف المطران: كيرلّس سليم بسترس، رئيس أساقفة بعلبك وتوابعها للرّوم الملكيّين الكاثوليك ، الناشر : المكتبة البولسيّة المسيحيّة ، جونيه لبنان ، طبعة عام ١٩٩٩ م .

٦٥) أفيقوا أيّها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية ، تأليف الدكتور : عبد الودود شلبي ، الناشر : الدار السعوديّة ، الطبعة الأولى .

٦٦) إقرار الإيمان (الوستمنستري) ، عقيدة الكنيسة الإنجيليّة المشيخيّة ، الناشر : دار الثقافة المسيحيّة ، شبرا ، القاهرة .

٦٧) الإلحاد وأسبابه (الصفحة السوداء للكنيسة) ، تأليف : الأستاذة الدكتورة : زينب عبد العزيز ، الناشر : دار الكتاب العربي ، دمشق ، القاهرة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م .

٦٨) الله جلّ جلاله بين التثليث والتوحيد ، تأليف السفير : محمد أمين جبر ، الناشر : دار النهار للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، طبعة عام ١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٠ م .

٦٩) الله واحد أم ثالوث ، تأليف المستشار الدكتور : محمد مجدي مرجان ، الناشر : مكتبة النافذة ، الجيزة ، ٢ شارع الشهيد أحمد حمدي الثلاثيني ، فيصل ، الطبعة الثانية ٢٠٠٤ م .

٧٠) الإنجيل والصليب ، تأليف : الأب عبد الواحد داود الأشوري العراقي ، نقله من التركيّة إلى العربيّة مسلم عراقي ، طُبع في القاهرة عام ١٣٥١ هـ .

٧١) الانحرافات العقديّة والعلميّة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، تأليف: علي بن بخيت الزهراني، تقديم الشيخ : محمد قطب، الناشر: دار الرسالة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة .

٧٢) الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود (٩١ ـ ٨٩٧ هـ ، ٧١٠ ـ ١٤٩٢ م) ، تأليف الدكتور : عصام محمد شبارو ، الناشر : دار النهضة العربيّة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م .

٧٣) انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح، تأليف : أحمد زكي، الناشر : مكتبة الشقري، ودار الحداثة ، الطبعة الأولى ١٩٩٥ م .

٧٤) أوربّا العصور الوسطى ، الجزء الأول ، التاريخ السياسي ، تأليف الدكتور : سعيد عبد الفتاح عاشور ، الناشر : مكتبة الأنجلو المصريّة ، القاهرة ، الطبعة الثامنة ١٩٩٧م .

٧٥) أوربا والإسلام ، تأليف الدكتور : عبد الحليم محمود ، الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة .

٧٦) أوروبا وفلسطين من الحروب الصليبيّة حتى اليوم ، تأليف الدكتور : بشارة خضر ، الناشر : مركز دراسات الوحدة العربيّة ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ م .

٧٧) أوروبا والمسيحيّة ، تأليف : يان دوبراتشينسكي ، ترجمة الدكتور : كيرو لحدو ، الناشر : دار الحصاد للطباعة والنشر ، سوريّة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م .

٧٨) أيعيد التاريخ نفسه؟ تأليف: محمد العبدة، الناشر : المنتدى الإسلامي ، طبعة عام ١٤١١ م .

((ب))

٧٩) بابوات يهود من غيتو روما ، تأليف : واكيم برنز ، ترجمة الأستاذ الدكتور : سهيل زكّار، الناشر : دار قتيبة، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥ م .

٨٠) البحث الصريح في أيّما هو الدين الصحيح، تأليف الشيخ : زيادة بن يحيي الراسي، تحقيق ودراسة الدكتور : سعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر : عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٣ م .

٨١) البحث عن الحقيقة الكبرى، تأليف المهندس : عصام قصاب، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثالثة ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م .

٨٢) البرهان المبين في تحريف أسفار السابقين، تأليف اللواء : أحمد عبد الوهاب، الناشر: مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة .

٨٣) بشريّة المسيح ونُبوّة محمد صلى الله عليهما وسلم في نصوص العهدين ، تأليف الدكتور : محمد أحمد عبد القادر خليل ملكاوي ، الناشر : مكتبة عالم المعرفة ، جدة ، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣ م .

٨٤) البعثات اليسوعيّة (مهمَّة إعداد النخبة السياسيّة في لبنان) دراسة وثائقيّة تاريخيّة ، تأليف الدكتور : طلال عتريسي، الناشر : الوكالة العالميّة للتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ، ١٨٨٧م .

٨٥) بولس وتحريف المسيحيّة، تأليف هيم ماكي، ترجمة : سميرة عزمي الزين، الناشر : المعهد الدولي للدراسات الإنسانيّة ، الطبعة العربية الأولى ١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م .

٨٦) بين الإسلام والمسيحيّة ، لأبي عبيدة الخزرجي ، حققه وقدَّم له وعلّق عليه الدكتور : محمد شامة ، الناشر : مكتبة وهبة ، القاهرة .

((ت))

٨٧) تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ، تأليف الدكتور : جعفر عبّاس حميدى ، الناشر : دار الفكر ، عمّان ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠٢ م .

٨٨) تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر، تأليف الدكتور: أحمد إسماعيل راشد، الناشر : دار النهضة العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م .

٨٩) التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر ، تأليف الأستاذ الدكتور : عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، الناشر : دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ١٤١٦ هـ ، ١٩٩٥ م .

٩٠) تاريخ الإمبراطوريّة العثمانيّة من التأسيس إلى السقوط ، تأليف : وديع أبو زيدون، الناشر : الأهليّة للنشر والتوزيع ، الطبعة العربية الأولى عام ٢٠٠٣ م .

٩١) التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا، تأليف الأستاذ الدكتور: عبد الحميد البطريق، الدكتور: عبد العزيز نوّار، الناشر: دار النهضة العربية، بيروت .

٩٢) تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، تأليف الدكتور : عبد الفتاح أبو علية، والدكتور : إسماعيل أحمد ياغي، الناشر : دار المريخ، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م.

٩٣) تاريخ أوروبا (العصور الوسطى) ، تأليف الدكتور : السيّد الباز العريني ، الناشر : دار النهضة العربية ، بيروت .

٩٤) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، تأليف الدكتور : سعيد عبد الفتاح عاشور ، دار النهضة العربية ، بيروت .

٩٥) تاريخ أوروبا في العصر الحديث ، تأليف هـ . ل . فشر ، تعريب أحمد نجيب هاشم ، وديع الضبع ، الناشر : دار المعارف ، الطبعة التاسعة .

٩٦) تاريخ البشرية ، تأليف : أرنولد توينبي ، نقله إلى العربية الدكتور : نقولا زيادة ، الناشر : الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الرابعة ٢٠٠٣ م .

٩٧) تاريخ التعذيب ، تأليف : براين ايتر ، ترجمة : مركز التعريب والبرمجة ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م .

٩٨) تاريخ حركة الاستشراق، تأليف : يوهان فوك، نقله عن الألمانيّة عمر لطفي العالم، الناشر : دار المدار الإسلامي ، الطبعة الثانية ٢٠٠١ م .

٩٩) تاريخ الحروب الصليبيّة ، تأليف : ستيفن رنسيمان ، نقله إلى العربية الدكتور : السيّد الباز العريني ، الناشر : دار الثقافة ، بيروت ، طبعة عام ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م .

١٠٠) تاريخ الحروب الصليبيّة (١٠٩٥ ــ ١٢٩١ م) ، تأليف الدكتور : محمود سعيد عمران ، الناشر : دار المعرفة الجامعيّة ، الإسكندريّة ، طبعة عام ١٩٩٩م .

١٠١) تاريخ الحضارات العام، إشراف: موريس كروزيه، منشورات عويدات، بيروت، لبنان ، بموجب الاتفاق المعقود مع المطبوعات الجامعيّة الفرنسيّة في ٢٢ / ١ / ١٩٦٤ م .

١٠٢) تاريخ الحملات الصليبيّة ، تأليف : إتش . إ . ماير ، نقله إلى الإنجليزية : ج . جلينجهام ، تعريب الدكتور : محمد فتحي الشاعر ، الناشر : دار الأمين ، بور سعيد ، الطبعة الأولى ١٩٩٩م .

١٠٣) تاريخ الدولة العثمانيّة ، تأليف الأستاذ الدكتور : محمود السيد ، الناشر : مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندريّة ، طبعة عام ٢٠٠٤ م .

١٠٤) تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الأفريقي ، تأليف الدكتور : علي بن محمد الصلابي ، الناشر : دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م .

١٠٥) تاريخ العالم ، المجلّد الرابع ، نشره بالإنجليزيّة السير جون . ا . هامرتن ، أشرفت على ترجمته للعربيّة إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم ، مصر ، نشر : مكتبة النهضة المصريّة .

١٠٦) تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، تأليف: الدكتور خليل إبراهيم السامرائي، والدكتور عبد الواحد ذنّوب طه ، والدكتور صالح مطلوب ، الناشر : دار المدار الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م .

١٠٧) تاريخ عصر النهضة الأوربيّة ، تأليف الدكتور : نور الدين حاطوم ، الناشر : دار الفكر ، دمشق ، طباعة عام ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م .

١٠٨) تاريخ العصر الوسيط في أوروبة ، تأليف الدكتور : نور الدين حاطوم ، الناشر : دار الفكر ، دمشق ، طباعة ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م .

١٠٩) تاريخ الفكر الديني المسيحي ما بين الاسكندريّة وروما وبيزنطه ، تأليف الأنبا : غريغوريوس أسقف عام للدراسات العليا اللاهوتيّة والثقافة القبطيّة والبحث العلمي ، الناشر : لجنة النشر للثقافة القبطيّة والأرثوذكسيّة ، طبعة عام ١٩٩٢ م .

١١٠) تاريخ الفكر المسيحي ، تأليف الدكتور القس : حنّا جرجس الخضري ، الناشر : دار الثقافة المسيحيّة ، القاهرة ، طبعة عام ١٩٨١ م .

١١١) تاريخ القرن السابع عشر في أوربّة، تأليف الدكتور : نور الدين حاطوم، الناشر: دار الفكر، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م .

١١٢) تاريخ الكنيسة ، تأليف الدكتور القس : جون لوريمر ، ترجمة : عزرا مرجان ، الناشر : دار الثقافة المسيحيّة ، الطبعة الأولى ١٩٩٠ م .

١١٣) تاريخ الكنيسة ، تأليف : يوسابيوس القيصري ، ترجمة : القمص مرقس داود ، الناشر : مكتبة المحبّة المسيحيّة ، شبرا ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٩٨ م .

تاريخ الكنيسة المسيحيّة ، نقله من اللغة الروسيّة إلى العربية ، الكسندروس (مطران حمص وتوابعها)، الناشر : مكتبة السائح ، طبعة عام ١٩٦٤ م .

١١٤) تاريخ المسيحيّة ، فجر المسيحيّة ، تأليف : حبيب سعيد ، الناشر : دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفيّة .

١١٥) تاريخ المسيحيّة (المسيحيّة في العصور الوسطى) ، تأليف : جاد المنفلوطي ، الناشر : دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفيّة ، القاهرة .

١١٦) التاريخ المعاصر (أوروبا من الثورة الفرنسيّة إلى الحرب العالميّة الثانية) ، تأليف الدكتور : عبد العزيز سليمان نوّار ، والدكتور عبد المجيد نعنعي ، الناشر : دار النهضة العربية ، بيروت .

١١٧) تأريخ الوطن العربي والغزو الصليبي ، تأليف الدكتور : خاشع المعاضيدي ، الدكتور: سوادي محمد، الدكتور: دريد عبد القادر نوري، الطبعة الثانيّة ١٩٨٦م .
١١٨) تأصيل الحوار الديني، مع مثال تطبيقي (السودان نموذجاً)، تأليف الدكتور : محمد الفاضل بن علي الأفي، الناشر : دار الكلمة، المنصورة، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م .
١١٩) تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، تأليف الدكتور : نصر الله عبد الرحمن أبو طالب ، الناشر : دار الوفاء ، المنصورة ، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢م .
١٢٠) التبشير بين الأصوليّة المسيحيّة وسلطة التغريب ، تأليف : عدنان عويّد ، الناشر : دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق ، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م .
١٢١) التبشير الغربي ، تأليف : أنور الجندي، الناشر : دار الاعتصام، القاهرة .
١٢٢) التبشير في منطقة الخليج العربي (دراسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي)، تأليف الدكتور: عبد المالك التميمي ، الناشر : دار الشباب ، قبرص ، مؤسسة الكميل ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٩٨٢ م .
١٢٣) التبشير والاستعمار في البلاد العربيّة ، تأليف الدكتور : مصطفى خالدي ، والدكتور : عمر فرّوخ ، الناشر : المكتبة العصريّة ، صيدا ، بيروت ، طبعة ١٩٨٦ م .
١٢٤) التجسّد الإلهي ، تأليف الدكتور : حليم حسب الله ، الناشر : لجنة خلاص النفوس للنشر ، طبعة ١٩٩٧ م .
١٢٥) تجسّد الكلمة ، تأليف القديس : اثناسيوس الرسولي ، نقله إلى العربية القمص مرقس داود ، الناشر : دار النشر الأسقفيّة ، شبرا ، القاهرة ، الطبعة الحادية عشر .
١٢٦) التجسّد والصلب بين الحقيقة والافتراء ، تأليف الدكتور : محمود علي حماية ، الناشر : مكتبة مروة ، القاهرة ، طبعة ١٤١٠ هـ .
١٢٧) تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ أسبابُهُ ونتائجُهُ، تأليف: بسمة أحمد جستنيَّة، الناشر : دار القلم ، دمشق ، الدار الشاميّة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م .
١٢٨) التراث العربي والمستشرقون ، تأليف الدكتور : عادل الآلوسي ، الناشر : دار الفكر العربي ، مدينة نصر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠١ م .
١٢٩) التربية الخاطئة للغرب كيف يشوّه الإعلام الغربي صورة الإسلام ، تحرير : جوكينشلو وشيرلي شتاينبرغ ، ترجمة : حسّان بستاني ، الناشر دار الساقي ، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م .
١٣٠) تشاد والإسلام ومعركة التحديات ، تأليف: آدم كردي شمس، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، ١٩٩٧ م .

١٣١) تطوير الإنجيل (المسيح ابن الله أم ملك من نسل داود ؟) ، تأليف : إينوك بـاول ، ترجمـة ودراسة أحمد ايبش ، الناشر : دار قتيبة ، دمشق ، بيروت، الطبعة الأولى١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م .

١٣٢) التعصب والتسامح بين المسيحيّة والإسلام، تأليف الشيخ : محمد الغزالي، الناشر : دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثانية ١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠١ م .

١٣٣) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ، عرّبه الطبعة اللاتينيّـة الأصـليّة المنـشورة عـن دار الفاتيكان للنشر ، حاضرة الفاتيكان ، عام ١٩٩٧ م ، المتروبوليت حبيب باشا ، والمطـران يوحنّـا منصور ، والمطران كيرلّس سليم بسترس ، الأب حنّا الفاخوري ، الناشر : المكتبة البولسيّة ــ جونيه ــ لبنان .

١٣٤) التغريب أخطر التحديات في وجه الإسلام ، تأليف : أنور الجندي، الناشر : دار الاعتـصام، القاهرة .

١٣٥) التغريب في الفكر والسياسية والاقتصاد ، تأليف : محمد سليم قلالة ، الناشر : دار الفكـر ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م .

١٣٦) تفسير العهد الجديد ، تأليف الدكتور : وليم باركلي أستاذ العهد الجديد بجامعة جلاسـجو ، الناشر : دار الثقافة المسيحيّة ، القاهرة .

١٣٧) تفسير كلمات المقدّس (معجم الألفاظ العسرة)، تأليف : سعيد مـرقص إبـراهيم، راجعـه الدكتور القس : منيس عبد النور ، الطبعة السادسة ٢٠٠٤ م .

١٣٨) التنصير الطبي الخفي في البلاد الإسلاميّة ، تأليف الدكتور : عبد العزيز الفهد ، الناشـر : دار القاسم للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م .

١٣٩) تنصير العالم (مناقشة لخطاب البابا يوحنّا بولس الثاني "روعة الحقيقة") ، تـأليف الأسـتاذة الدكتورة : الناشر الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠٢ م .

١٤٠) تنصير المسلمين ، بحث في أخطر استراتيجيّة طرحها مؤتمر كُولورادو التنصيري ، تأليف : عبـد الرزاق ديار بكرلي ، دار النفائس ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩م ، الطبعة الثانيـة ١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م .

١٤١) التنصير الأمريكي في بلاد الشام (١٨٣٤ ــ ١٩١٤ م) ، تأليف الدكتور : عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى ، الناشر : مكتبة مدبولي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٥ م .

١٤٢) التنصير والتغلغل الاستعماري في إفريقيا ، جامعة إفريقيا العالميّة ، مركز البحوث والدراسـات الإفريقيّة .

١٤٣) التنصير ، خطة لغزو العالم الإسلامي ، الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عُقـد في

مدينة جلين آيري بولاية كولورادو في الولايات المتحدة الأمريكيّة سنة ١٩٧٨م ، ونـــشرته دار [illegible] للنشر .

١٤٤) التنصير في القرن الأفريقي ومقاومته ، تأليف : سيد أحمد يحي ، دار العمير للثقافة والنـــشر ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـــ ، ١٩٨٦ م .

١٤٥) التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته ، تأليف الأستاذ الدكتور : علي بن إبراهيم الحمد النملة ، الناشر : مكتبة التوبة ، الطبعة الثانية ١٤١٩هـــ ، ١٩٩٨م .

١٤٦) التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسين بولس ويوحنّا ، تأليف : ســعد رســتم ، الناشر : الأوائل للنشر والتوزيع ، دمشق ، الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م .

١٤٧) التوحيد والتثليث في حوار المسيحيّة والإسلام ، تأليف : محمد عبد الحميد الحمد ، الناشــر : دار الأوائل ، دمشق ، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ م .

((ث))

١٤٨) ثرثرة فوق دجلة (حكايات التبشير المــسيحي في العــراق ١٩٠٠ ـــ ١٩٣٥ م) ، إعــداد وترجمة: خالد البسّام، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م .

١٤٩) ثقافة المسلم بين الأصالة والتحديات، تأليف : موسى إبراهيم الإبراهيم، الناشر : دار عمّار ، الطبعة الثانية ١٤١٨ هـــ ، ١٩٩٨ م .

١٥٠) الثقافة العربيّة إسلاميّة أصولها وانتماؤها ، تأليف : أنور الجندي، الناشر : دار الكتاب اللبناني، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٢ م .

((ج))

١٥١) الجانب المظلم في التاريخ المسيحي ، تأليف : هيلين إيليربي ، ترجمة الأستاذ الدكتور : ســـهيل زكّار ، دار قتيبة ، دمشق ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـــ ، ٢٠٠٥ م .

١٥٢) الجاهليّة الجديدة وآثارها النكدة في المسلمين ، تاليف : ناصر عبد الكريم العقل ، الناشر : دار الأصمعي ، طبعة عام ١٤١٣ هـــ .

١٥٣) الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس (ابن حزم، الخزرجي)، تأليف الـــدكتور : خالد عبد الحليم السيوطي ، الناشر : دار قباء ، القاهرة .

١٥٤) جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث ، تاليف : جمال ســلطان ، الناشــر : مركــز الدراسات الإسلاميّة، برمنجهام، بريطانيا، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـــ ، ١٩٩١م .

١٥٥) جذور الفكر القومي والعلماني ، تأليف الدكتور : عدنان محمد زرزور ، الناشــر : المكتــب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، الطبعة الثالثة ١٤٢٠ هـــ ، ١٩٩٩ م .

١٥٦) جذور البلاء ، تأليف : عبد الله التل، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م .
١٥٧) الجذور التاريخيّة لإرساليات التنصير الأجنبيّة في مصر (دراسة وثائقيّة) ، تأليف الدكتور : خالد محمد نعيم ، الناشر : المختار الإسلامي ، القاهرة .
١٥٨) جغرافيّة الأديان ، تأليف : دافيد سوفير ، ترجمة : أحمد غسّان سبانو ، الناشر : دار قتيبة ، دمشق ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٠ م .
١٥٩) جنوب السودان (مراحل انهيار الثقة بينه وبين الشمال ١٩٥٥ ـ ١٩٨٣ م) ، الناشر : دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م .
١٦٠) جنون الخطر الأخضر وحملة التشويه على الإسلام، تأليف : إبراهيم نافع، الناشر : مكتبة الإهرام للترجمة والنشر ، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م .
١٦١) الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الأوسط، تأليف: مسفر سالم بن عريج الغامدي، الناشر : دار المطبوعات الحديثة ، جدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م .
١٦٢) جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين ، تأليف الدكتور : محمد بن إبراهيم صالح الحسين أبا الخيل ، الناشر : دار أصداء المجتمع ، بريدة ، السعوديّة ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م .
١٦٣) جيل العمالقة والقمم الشوامخ في ضوء الإسلام ، تأليف : أنور الجندي ، الناشر : دار الاعتصام .

((ح))

١٦٤) حاضر العالم الإسلامي، تأليف الدكتور: علي جريشة، الناشر: دار المجتمع للنشر والتوزيع، الطبعة الرابع ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م .
١٦٥) حاضر العالم الإسلامي ، تأليف الدكتور : فرغلي علي الهريدي ، الناشر : دار إشبيليا ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م .
١٦٦) حاضر العالم الإسلامي الواقع والتحديات ، تأليف الأستاذة الدكتورة : عفاف سيد صبرة ، والدكتور: مصطفى محمد الحنّاوي، الناشر : مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة ألولى ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م .
١٦٧) حرب صليبيّة بكل المقاييس ، تأليف الأستاذة الدكتورة : زينب عبد العزيز ، الناشر : دار الكتاب العربي ، دمشق ، والقاهرة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ م .
١٦٨) الحرب في الكتب المقدّسة (دراسة مقارنه)، تأليف الدكتورة : نجوى عمر كامل، الناشر :

مكتبة الآداب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠١ م .

١٦٩) حرب في الكنائس ، تأليف الدكتور : أسد رستم ، الناشر : قسم الدراسات التاريخيّة في الجامعة اللبنانيّة ، بيروت ، طبعة عام ١٩٥٨ م .

١٧٠) الحرب المقدّسة (الحملات الصليبيّة وأثرها على العالم اليوم) ، تأليف : كارين آرمسترونغ ، ترجمة : سامي الكعكي ، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة العربية عام ٢٠٠٤ م .

١٧١) الحركة الصليبيّة، تأليف الدكتور: سعيد عبد الفتاح عاشور، الناشر: مكتبة الأنجلو المصريّة، الطبعة السادسة ١٩٩٦ م .

١٧٢) الحركة الصليبيّة، تأليف الدكتور : علي حبيبة، الناشر : مكتبة الشباب، القاهرة، طبعة عام ١٩٩٧ م .

١٧٣) حركة المقاومة العربية الإسلاميّة في الأندلس بعد سقوط غرناطة ، تأليف الأستاذ الدكتور : عبد الواحد ذنوب طه ، الناشر : دار المدار الإسلامي ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

١٧٤) الحروب الصليبيّة ، تأليف : ارنست باركر ، نقله إلى العربية الدكتور : السيّد الباز العريني ، الناشر : دار النهضة العربية ، بيروت ، الطبعة الرابعة .

١٧٥) الحروب الصليبيّة ، تأليف : ر . سي . سميل ، ترجمة : سامي هاشم ، الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الأولى ١٩٨٢ م .

١٧٦) الحروب الصليبيّة (دراسات تاريخيّة ونقديّة) ، تأليف الدكتور : محمد مؤنس عوض ، تقديم الدكتور : سعيد عبد الله البيشاوي، الناشر : دار الشروق، عمّان، الأردن، الطبعة الأولى ١٩٩٩ م.

١٧٧) الحروب الصليبيّة (صراع الشرق والغرب) ، تأليف : رينه كروسيه ، ترجمه عن الفرنسيّة وعلق عليه: أحمد ايبش، الناشر: دار قتيبة، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢م .

١٧٨) الحروب الصليبيّة في الأندلس، تأليف الدكتور : عبد المحسن طه رمضان، الناشر : مكتبة الأنجلو المصريّة ، طبعة عام ٢٠٠١ م .

١٧٩) الحروب الصليبيّة هل انتهت ؟؟ تأليف : عبد الوهاب زيتون، الناشر : دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .

١٨٠) الحروب الصليبيّة مواقف وتحديات ، تأليف : سهيلة الحسيني ، تقديم الأستاذ الدكتور : محمد عمارة ، دار التوزيع والنشر الإسلاميّة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٣م .

١٨١) حصن بابليّون (ذات الصواري) ، تأليف الدكتور : شوقي أبو خليل، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دمشق ، طبعة عام ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م .

١٨٢) حصُوننا مهدَّدة من داخلها ، تأليف الدكتور : محمد محمد حسين ، الناشر : دار الرسالة

للنشر والتوزيع ، مكة ، الطبعة الثانية عشر ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣ م .
١٨٣) حقائق عن الغزو الفكري للإسلام، تأليف : أنور الجندي، الناشر : دار الاعتصام، القاهرة .
١٨٤) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، تأليف اللواء : أحمد عبد الوهاب، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م .
١٨٥) حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى وأثرها على العالم الإسلامي ، تأليف : أحمد محمد زايد، الناشر : دار المعالي، عمّان، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠م .
١٨٦) حقيقة عيسى المسيح، تأليف الدكتور: محمد علي الخولي، الناشر : مطابع الفرردق التجارية، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م .
١٨٧) حكم بناء الكنائس والمعابد الشركيّة في بلاد المسلمين ، تأليف الشيخ : إسماعيل بن محمد الأنصاري ، الناشر : رئاسة إدارة البحوث والعلميّة والإفتاء ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م .
١٨٨) حملة المنافقين الفرنسيس ، تأليف الأستاذة الدكتورة : زينب عبد العزيز ، الناشر : النهار للطبع والنشر والتوزيع ، طبعة عام ١٩٩٨ م .
١٨٩) الحوار الإسلامي المسيحي ، تأليف : بسّام داود عجك ، الناشر : دار قتيبة ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م .
١٩٠) الحوار الإسلامي المسيحي (الفرص والتحديات)، تأليف الدكتور: يوسف الحسن، الناشر: المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، الطبعة الأولى ١٩٩٧ م .
١٩١) حوار الأديان في الأندلس لأبي العباس القرطبي ، تقديم وتعليق وتحقيق أحمد حجازي السقا ، الناشر : مكتبة مدبولي الصغير ، القاهرة .
١٩٢) الحوار الخفي (الدين الإسلامي في كليّات اللاهوت)، تأليف الدكتور : محمد الحسيني إسماعيل، الناشر : مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٤م .
١٩٣) حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، تأليف الدكتور : عبد الودود شلبي ، الناشر : الدار السعوديّة للنشر والتوزيع ، جدة ، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣ م .
١٩٤) حياة قسطنطين العظيم ، تأليف الأسقف المؤرخ : يوسابيوس القيصري ، تعريب القمص : مرقس داود ، الناشر : مكتبة المحبة القبطيّة الأرثوذكسيّة بالقاهرة .

((خ))

١٩٥) الخطيئة الأولى بين اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام (دراسة مقارنة) ، تأليف الدكتورة : أميمة بنت أحمد شاهين الجلاهمة ، تقديم الأستاذ الدكتور : محمود عبد السميع شعلان ، الناشر : مكتبة

زهراء الشرق ، القاهرة .
١٩٦) الخلفيّة الأيديولوجيّة للحروب الصليبيّة (دراسة عن الحملة الأولى) ١٠٩٥ ـ ١٠٩٩ م ، الناشر : ذات السلاسل ، الطبعة الثانية ١٩٨٨ م .

((د))

١٩٧) دراسات في الأديان اليهوديّة والنصرانيّة ، تأليف : سعود بن عبد العزيز الخلف ، الناشر : مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنوّرة ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ .
١٩٨) دراسات في تاريخ الحروب الصليبيّة ، تأليف الدكتوره : عفاف سيّد صبره ، الناشر : دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ، طبعة ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٥ م .
١٩٩) الدراسات الموريسكيّة ـ الأندلسيّة بين الواقع والمأمول ، تأليف الدكتور : عبد الجليل التميمي ، الناشر : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميّة .
٢٠٠) دراسة في حركات التبشير والتنصير بمنطقة إفريقيا فيما وراء الصحراء ، تأليف الدكتور ك الهادي الدالي ، والدكتور : عمار هلال ، الناشر : الدار المصريّة اللبنانيّة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠٢ م .
٢٠١) دفاع عن السنة، تأليف الدكتور: محمد بن محمد أبوشَهبة، الناشر: مكتبة السنة، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٩ م .
٢٠٢) دفاع عن ثقافتنا ، تأليف : جمال سلطان ، الناشر : دار الوطن للنشر ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ .
٢٠٣) دليل إلى تاريخ الكنيسة، تأليف الأب : جان كُمبي، الناشر : دار المشرق، والمكتبة الشرقيّة، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٤ م .
٢٠٤) دليل إلى تاريخ الكنيسة، جزء الكنائس الشرقيّة الكاثوليكيّة، الناشر: دار المشرق، المكتبة الشرقيّة ، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧ م .
٢٠٥) الدولة العثمانيّة (١٧٠٠ ـ ١٩٢٢م) ، تأليف : دونالد كواترت ، تعريب : أيمن أرمنازي ، الناشر : مكتبة العبيكان ، الرياض ، الطبعة العربية الأولى ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤ م .
٢٠٦) الدولة العثمانيّة ، عوامل النهوض وأسباب السقوط)، تأليف الدكتور : علي محمد الصلابي، الناشر : دار التوزيع والنشر الإسلاميّة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٤ م .
٢٠٧) الدولة والكنيسة ، تأليف الدكتور : رأفت عبد الحميد ، الناشر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، طباعة عام ٢٠٠٠ م .

((ر))

٢٠٨) رؤية إسلاميّة لأحوال العالم المعاصر ، تأليف الشيخ : محمد قطب ، الناشر : دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ، ١٩٩١ م .

٢٠٩) رؤية إسلاميّة للأستشراق، تأليف: أحمد غراب، الناشر المنتدى الإسلامي، لندن.

٢١٠) الردُّ الجميل لألهيّة عيسى بصريح الإنجيل ، لحجة الإسلام الإمام أبي حامد الغزالي ، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور : محمد عبد الله الشرقاوي ، الناشر: مكتبة دار الجيل بيروت، مكتبة الزهراء، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م .

٢١١) الرد على أصناف النصارى ، تأليف : علي بن زبن الطبري ، تحقيق : خالد محمد عبده ، الناشر : مكتبة النافذة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٥ م .

٢١٢) رد على اليهوديّة واليهوديّة المسيحيّة ، تأليف : ندره اليازجي ، الناشر : دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، الطبعة الثانية ١٩٨٤ م .

٢١٣) رسائل روحيّة ورؤية لتأليه المسيح ، تأليف الدكتور : زينب عبد العزيز ، الناشر : مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهوريّة ـ عابدين ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٥ م .

٢١٤) الرهبانية المسيحيّة وموقف الإسلام منها ، تأليف الدكتور : أحمد علي عجيبة ، الناشر : دار الآفاق العربية ، مدينة نصر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م .

٢١٥) الروح القدس ، تأليف : بللي جراهام ، تعريب: ناجي حافظ، الناشر: لجنة خلاص النفوس، الطبعة الثانية ١٩٩٥ م .

٢١٦) الروح القدس والكنيسة ، تأليف الدكتور القس: مكرم نجيب، الناشر: دار الثقافة المسيحيّة، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ م .

٢١٧) الروم في سياستهم ، وحضارتهم ، ودينهم، وثقافتهم، وصلاتهم بالعرب، تأليف الدكتور: أسد رستم ، الناشر : دار المكشوف ، بيروت ، الطبعة الأولى أيار ١٩٥٦ .

((س))

٢١٨) سقوط الدولة العثمانيّة وأثرها على الدعوة الإسلاميّة ، تأليف : مجدي عبد المجيد الصافوري، الناشر : دار الصحوة للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى١٤١٠ هـ١٩٩١م .

٢١٩) السيد المسيح (عابر سبيل أم صانع قرار) ، تأليف : حنّا عبد المسيح ، الناشر : مكتبة دار الكلمة ، القاهرة ، الطبعة الأولى عام ٢٠٠١ م .

٢٢٠) سيّدنا عيسى عليه السلام بشر رسول ، وليس إلهاً في التوراة والإنجيل والقرآن ، تأليف : أحمد السيد موسى الجندي ، الناشر : دار الإيمان ، الإسكندريّة ، طبعة عام ٢٠٠٢م .

((ش))

٢٢١) شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، تأليف: أنور الجندي، الناشر: المكتب الإسلامي، دمشق ، وبيروت ، طبعة عام ١٣٩٨ هـ ، ١٩٧٨ م .

٢٢٢) شبهات وهميّة حول الكتاب المقدَّس ، تأليف : الدكتور القس : منيس عبد النور ، الناشر : كنيسة قصر الدوبارة الإنجيليّة، جاردن سيتي، مصر ، الطبعة الثانية ١٩٩٢ م .

٢٢٣) الشرق الإسلامي والغرب المسيحي (١٤٥٠ ــ ١٥١٧م) ، تأليف : سمير علي الخادم ، الناشر : مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ١٩٨٩ م .

٢٢٤) الشريعة الإسلاميّة والعلمانيّة الغربية، تأليف الدكتور: محمد عمارة، الناشر : دار الشروق، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٣ م .

٢٢٥) الشريعة الإلهيّة لا القوانين الجاهليّة ، تأليف الدكتور : عمر سليمان الأشقر ، الناشر : دار النفائس ، الأردن ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ ، ١٩٩١ م .

٢٢٦) شرع الجهاد في الحروب الصليبيّة في بلاد الشام، تأليف الدكتور: محمد علي الهرفي، الناشر: دار الإصلاح ، ودار النصر للطباعة الإسلاميّة ، شبرا ، القاهرة .

٢٢٧) شهادات عن لاهوت المسيح ، تأليف الدكتور : حليم حسب الله ، الناشر : لجنة خلاص النفوس للنشر ، شبرا ، الطبعة الثانية ١٩٩٨ م .

((ص))

٢٢٨) الصحافة والأقلام المسمومة ، تأليف : أنور الجندي ، الناشر : دار الاعتصام ، القاهرة .

٢٢٩) صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي ، تأليف : صموئيل هنتنغتون ، نقله إلى العربيّة الدكتور : مالك عبيد أبو شهيوة، والدكتور: محمود محمد خلف، الناشر: الدار الجماهيريّة، ليبيا، الطبعة الأولى ١٩٩٩ م .

٢٣٠) الصراع بين الإسلام والعلمانيّة ، تأليف : حسن حسين جيلان ، ترجمة : كمال خوجة، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلاميّة، جدة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

٢٣١) الصراع بين الفكرة الإسلاميّة والفكرة الغربيّة في الأقطار الإسلاميّة ، للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ، الناشر: دار القلم، الكويت، الطبعة الخامسة ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م .

٢٣٢) الصراع على القلس (الفاتيكان في اللعبة الدوليّة)، تأليف : صادق عفيفي النابلسي، الناشر : دار الهادي للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م .

٢٣٣) الصراع الفكري في البلاد المستعمَرة ، تأليف : مالك بن نبي ، الناشر : دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دمشق ، طباعة ١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م .

٢٣٤) الصراع مع الصليبيين ، تأليف الدكتور : محمد عبد القادر أبو فارس ، الناشر : دار البشير

للثقافة والعلوم ، طنطا ، الطبعة الأولى ١٩٩٩ م .
٢٣٥) صفحات من تاريخ المدن الأندلسيّة ، تأليف : توفيق محمد علي الحاج ، الناشر: دار الضياء ، عمّان ، الأردن ، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م .
٢٣٦) الصلاة الربّانيّة ، تأليف القس : مرقس داود ، الناشر : مكتبة المحبّة ، شبرا ، القاهرة .
٢٣٧) الصليب والصلب قبل الميلاد وبعده ، تأليف الأب : سامي حلاّق اليسوعي ، الناشر : دار المشرق ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٥ م .
٢٣٨) الصليب وكلمات المصلوب ، تأليف : يوسف رياض ، الناشر : مكتبة الأخوّة ، شبرا ، القاهرة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م .
٢٣٩) صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى ، تأليف : ريتشارد سوذرن ، ترجمة الكتور : رضوان السيّد ، الناشر : دار المدار الإسلامي ، الطبعة الثانية ٢٠٠٦ م .
٢٤٠) صورة الإسلام في العالم الغربي، تأليف الدكتور: محمد بشاري، الناشر: دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م .
٢٤١) صيحة تحذير من دعاة التنصير، تأليف الشيخ : محمد الغزالي، الناشر : دار القلم، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م .

((ط))

٢٤٢) طبيعة المسيح ، تأليف : الباب شنوده الثالث ، الناشر : الكلّيّة الإكليريكيّة للأقباط الأرثوذكس ، القاهرة ، الطبعة التاسعة ٢٠٠٤ م .
٢٤٣) الطوائف المسيحيّة في مصر والعالم ، تأليف : ماهر يونان عبد الله روفائيل ، تقديم ومراجعة القس : جرجس صبحي ، الناشر : ماهر يونان عبد الله، شركة سبكترام ، الطبعة الثالثة ٢٠٠١م .

((ع))

٢٤٤) العبادات في الأديان السماويّة (اليهودية ، والمسيحية ، والإسلام) ، تأليف : عبد الرزاق رحيم صلال الموحي ، الناشر : الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعيّة ، دمشق ، الطبعة الأولى ٢٠٠١ م .
٢٤٥) العبادة المسيحيّة كتابياً ، إعداد القس : صفاء داود فهمي ، الناشر : شركة الطباعة المصريّة ، طباعة عام ٢٠٠٣ م .
٢٤٦) العدوان الصليبي على بلاد الشام (هزيمة لويس التاسع في الأراضي المقدّسة)، تأليف الدكتور: جوزيف نسيم يوسف ، الناشر : دار النهضة العربية ، بيروت ، طباعة عام ١٩٨١ م .
٢٤٧) العدوان الصليبي على مصر (هزيمة لويس التاسع في المنصورة وفارسكور) ، تأليف الدكتور :

جوزيف نسيم يوسف ، الناشر : دار النهضة العربية ، بيروت ، طبعة عام ١٩٨١ م .
٢٤٨) العرب والرُّوم واللاّتين في الحرب الصليبيّة الأولى ، تأليف الدكتور : جوزيف نسيم يوسف ، الناشر : دار النهضة العربية ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨١ م .
٢٤٩) عشرون قرناً في موكب التاريخ (عرض موجز للحوادث الهامة في تاريخ الكنيسة المسيحيّة)، تأليف : حبيب سعيد ، الناشر : دار الشرق والغرب ، ومطبعة الكاتب المصري .
٢٥٠) عصر الإلحاد (خلفيته التاريخية وبداية نهايته)، تأليف : محمد تقي الأميني الندوي، ترجمة الدكتور : مقتدى حسن ياسين ، مراجعة وتقديم الدكتور : عبد الحليم عويس، الناشر : دار الصحوة للنشر والتوزيع .
٢٥١) عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحيّة ، تأليف : حسني يوسف الأطير ، الناشر : مكتبة النافذة ، الجيزة ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ٢٠٠٤ م .
٢٥٢) العقائد الوثنيّة في الديانة النصرانيّة ، تأليف : محمد بن طاهر التنّير البيروتي ، تحقيق ودراسة الدكتور : محمد عبد الله الشرقاوي ، الناشر : دار عمران بيروت ، مكتبة الزهراء في محيط جامعة القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م .
٢٥٣) عقبات في طريق النهضة ، تأليف : أنور الجندي، الناشر : دار الاعتصام، مصر .
٢٥٤) العقيدة النصرانيّة بين القران والأناجيل، تأليف: حسن الباش، الناشر : دار قتيبة، دمشق ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م .
٢٥٥) عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين ، تأليف : محمد بن علي آل عمر ، الناشر : مجلة البيان ، لندن ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م .
٢٥٦) العلاقات الإسلاميّة المسيحيّة في إسبانيا (عهد الملك ألفونسو الأول) ، تأليف الدكتورة : نادية مرسي صالح ، الناشر : عين للدراسات البحوث الإنسانيّة والاجتماعية، القاهرة ، الطبعة الأولى عام ٢٠٠٠ م .
٢٥٧) العلاقات السياسيّة والكنسيّة بين الشرق والغرب اللاتيني في العصور الوسطى ، تأليف الدكتور : عادل زيتون ، الناشر : دار دمشق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م.
٢٥٨) علم اللاهوت الكتابي (الإعلان الإلهي في العهدين القديم والجديد) ، اليف : جرهاردوس فوس ، ترجمة الدكتور : عزت زكي ، دار الثقافة المسيحية ، القاهرة .
٢٥٩) العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلاميّة المعاصرة ، تأليف الشيخ الدكتور : سفر بن عبد الرحمن الحوالي ، الناشر : مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م .

٢٦٠) العلمانيّة والممانعة الإسلاميّة (محاورات في النهضة والحداثة)، إشراف: علي العميم، الناشر: دار الساقي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٩ م .

٢٦١) على ضفاف الحقيقيّة (تجربة كاثوليكي مع شهود يهوه)، تأليف الدكتور: خليل كفوري، الناشر : منشورات مكتبة السائح ، طرابلس ، لبنان ، الطبعة الثانيّة ١٩٩٧ م .

٢٦٢) عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي ، تأليف : شوقي أبو خليل، الناشر: دار الفكر، دمشق ، طبعة عام ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م .

((غ))

٢٦٣) غارة تبشيريّة جديدة على أندونيسيا، تأليف: أبو هلال الأندونيسي، الناشر: دار الشروق، الطبعة الرابعة ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م .

٢٦٤) الغارة الجديدة على الإسلام (بروتوكولات قساوسة التنصير) ، تأليف الدكتور : محمد عمارة ، الناشر : دار الرشاد ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م .

٢٦٥) الغارة على العالم الإسلامي (افتراءات المبشرين) ، تأليف : ا . لو شاتلييه ، لخصها ونقلها إلى العربيّة : محب الدين الخطيب ، و مساعد اليافي ، الناشر : دار الكتب العلميّة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م .

٢٦٦) الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر ، تأليف الدكتور : محمد سيد محمد ، الناشر : دار الفكر العربي ، مدينة نصر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٤ م .

٢٦٧) الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، تأليف الدكتور: علي عبد الحليم محمود، الناشر : دار التوزيع والنشر الإسلاميّة ، مصر ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣ م .

٢٦٨) الغزو الفكري للتاريخ والسيرة بين اليمين واليسار، تأليف: سالم علي البهنساوي، الناشر : دار القلم ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٥ م .

٢٦٩) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، تأليف الدكتور : عبد الستار فتح الله سعيد ، الناشر : مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ م .

٢٧٠) الغزو الفكري وهم أم حقيقة ، تأليف الدكتور : محمّد عمّارة ، الناشر : دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م .

٢٧١) غزو في الصميم ، تأليف الشيخ : عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني ، الناشر : دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثالثة ١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م .

٢٧٢) غفران الذنوب (فلسفة الغفران في المسيحيّة) ، تأليف : عوض سمعان ، الناشر : مكتبة الأخوة ، شبرا ، مصر .

٢٧٣) الغفران بين الإسلام والمسيحيّة، تأليف : إبراهيم خليل أحمد، الناشر : دار المنارة، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٩ م .

((ف))

٢٧٤) الفاتيكان والإسلام ، تأليف الأستاذة والدكتورة : زينب عبد العزيز ، الناشر : دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ٢٠٠٥ م .

٢٧٥) فتح الأندلس ، تأليف الدكتور : شوقي أبو خليل، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دمشق ، طبعة عام ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م .

٢٧٦) فجر الأندلس (دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأمويّة) ٧١١ ـ ٧٥٦ م ، تأليف الدكتور : حسين مؤنس، الناشر : دار الرشاد ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م .

٢٧٧) الفرق والمذاهب المسيحيّة منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، تأليف : نهاد خياطة، الناشر : دار الأوائل ، دمشق ، الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م .

٢٧٨) الفرق والمذاهب المسيحيّة منذ ظهور الإسلام حتى اليوم (دراسة تاريخيّة دينيّة سياسيّة اجتماعيّة) ، تأليف : سعد رستم ، الناشر : الأوائل للنشر والتوزيع ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م .

٢٧٩) فرنسا والأديان السماويّة ، تأليف : حسين عبد القادر ، الناشر : مركز الدراسات العربي — الأوربي ، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م .

٢٨٠) الفروق العقيديّة بين المذاهب المسيحيّة، تأليف القس: إبراهيم عبد السيد ميخائيل، الناشر : مكتبة المحبة ، الطبعة الثالثة عشرة ١٩٩٦ م .

٢٨١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، للإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري ، تحقيق الدكتور : محمد إبراهيم نصر ، الدكتور : عبد الرحمن عميرة ، الناشر : شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعوديّة ، الطبعة الأولى١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م .

٢٨٢) فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربيّة ، تأليف الدكتور : عزّ الدّين فرّاج ، الناشر : دار الفكر العربي ، القاهرة ، طبعة عام ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م .

٢٨٣) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، تأليف الدكتور: محمد البهي، الناشر : الفيصليّة ، مكة المكرمة ، الطبعة السادسة ١٩٧٣ م .

٢٨٤) فكر التنصير في مسرحيّات شكسبير، تأليف الدكتور : عدنان محمد وزّان، الناشر : دار اشبيليا للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م .

٢٨٥) الفكر السياسي الأوروبي في العصور الوسطى، تأليف الدكتور: رأفت عبد الحميد، الناشر: دار قباء ، القاهرة ، طبعة عام ٢٠٠٢ م .
٢٨٦) الفكر اللاهوتي للقوّة (رؤية مسيحيّة عربية للحرب والسلام) ، تأليف الدكتور القس : مكرم نجيب ، الناشر : دار الثقافة المسيحيّة، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ م .
٢٨٧) فكرة القوميّة العربيّة على ضوء الإسلام، تأليف الدكتور: صالح بن عبد الله العبود، الناشر: دار طيبة ، الرياض .
٢٨٨) فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، تأليف الدكتور : أحمد سمايلوفتش، صُوِّرت من مكتبة جامعة الملك عبد العزيز المركزيّة ، تحت رقم (س م أ ٨١٠) .
٢٨٩) فلسفة العقائد المسيحيّة، تأليف الدكتور: محمد عثمان الخشت، الناشر : دار قباء، القاهرة، طباعة عام ١٩٩٨ م .
٢٩٠) فهرس الكتاب المقدّس ، تأليف الدكتور : جورج بوست ، الناشر : دار الثقافة المسيحيّة ، القاهرة ، الطبعة الثامنة .
٢٩١) في الحوار اللاهوتي (اللاهوت المقارن) ، تأليف : البابا شنودة الثالث ، الناشر : الكليّة الإكليريكيّة للأقباط الأرثوذكس ، القاهرة ، الطبعة الثالثة عشر ٢٠٠٤ م .
٢٩٢) في تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، تأليف الدكتور : محمد علي القوزي، الناشر : دار النهضة العربيّة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٦ م .
٢٩٣) في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (السياسة الصليبيّة للبابا إنوسنت الثالث ١١٩٨ — ١٢١٦ م) ، تأليف الدكتور : عبد اللطيف عبد الهادي السيد ، الناشر : المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندريّة ، طبعة عام ٢٠٠٥ م .
٢٩٤) في مهب المعركة ، تأليف : مالك بن نبي ، الناشر : دار الفكر ، بيروت ، دمشق ، طبعة عام ١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م .

((ق))

٢٩٥) القاموس السياسي ، تأليف : أحمد عطيّة ، الناشر : دار النهضة العربيّة ، القاهرة ، الطبعة الثالثة .
٢٩٦) القدس في الوثائق الفاتيكانيّة ، تأليف : ادمون فرحان ، الناشر : دار النهار .
٢٩٧) قذائف الحق ، تأليف الشيخ : محمد الغزالي ، الناشر : ذات السلاسل ، الطبعة الخامسة ١٩٨٤م .
٢٩٨) قراءة في فكر التبعيّة، تأليف: محمد جلال كشك، تقديم الأستاذ الدكتور : عبد الصبور

شاهين ، الناشر : مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م .

٢٩٩) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، تأليف الدكتور: موريس بوكاي، الناشر: مكتبة مدبولي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٩٦ م .

٣٠٠) القرآن وتصديق التوراة والإنجيل ، تأليف الدكتور : ممدوح جاد ، طُبع بالمطبعة الفنيّة ، القاهرة .

٣٠١) قصة الاضطهاد الديني في المسيحيّة والإسلام ، تأليف الدكتور : توفيق الطويل ، الناشر : الزهراء للإعلام العربي ، مدينة نصر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ ، ١٩٩١ م .

٣٠٢) قصة الهجوم على السنّة ، تأليف الدكتور : علي أحمد السّالوس ، الناشر : دار السلام ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٧ م .

٣٠٣) قصة الحضارة ، تأليف : وِل دايريل ديورانت ، ترجمة : محمّد بدران ، الناشر : دار الجليل ، بيروت .

٣٠٤) قضايا فكريّة واجتماعيّة في ضوء الإسلام، تأليف الدكتور: محمود حمدي زقزوق، الناشر : دار المنار ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٨ م .

٣٠٥) قضية صلب المسيح بين مؤيد ومعارض، تأليف : عوض سمعان، الناشر: دار النشر الأسقفيّة.

٣٠٦) قضية التنوير في العالم الإسلامي، تأليف الشيخ الأستاذ : محمد قطب، الناشر: دار الشروق، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٣ م .

٣٠٧) قوانين ملكوت السموات ومبادؤه كما جاءت في الموعظة على الجبل، تأليف القس: ا. ل. هملتون ، تعريب الأستاذ : عدلي فام ، الناشر : مطبعة النيل المسيحيّة .

٣٠٨) قوى الشر المتحالفة (الاستشراق ، التبشير ، الاستعمار) وموقفها من الإسلام والمسلمين ، تأليف : محمد محمد الدهان ، الناشر : دار الوفاء للطباعة والنشر ، المنصورة ، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م .

٣٠٩) قيامة المسيح والأدلّة على صدقها ، تأليف : عوض سمعان ، الناشر : الكنيسة الإنجيليّة بقصر الدوبارة ، جاردن سيتي ، مصر .

((ك))

٣١٠) الكامل في التاريخ ، للعلاّمة عمدة المؤرخين عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري، راجعه وصححه الدكتور: محمد يوسف الدقاق ، الناشر : دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ، ١٩٩٥م .

٣١١) كتاب الأشعة اللاهوتيّة في مبادئ التعاليم المسيحيّة ، تأليف نيافة الدكتور : مـول مطـران

دورهم، ترجم عن الإنكليزيّة بواسطة جمعيّة المرسلين الأسقفيين بالقاهرة، الناشر: المطبعة الإنكليزيّة الأمريكية بشارع المناخ بمصر ، الطبعة الثانية ١٩١٨ م .

٣١٢) الكتاب المقدّس في الميزان ، تأليف : عبد السلام محمد ، الناشر : دار الوفاء ، المنصورة ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م .

٣١٣) الكتب السماويّة وشروط صحتها ، تأليف : عبد الوهاب عبد السلام طويله ، الناشر : دار القبلة للثقافة الإسلاميّة ، جدة ، مؤسسة علوم القرآن بيروت ، طبعة عام ١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠م .

٣١٤) الكتب المقدّسة في ميزان التوثيق ، تأليف : عبد الوهاب عبد السلام طويلة ، الناشر : دار السلام ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م .

٣١٥) الكشوف الجغرافية دوافعها ، حقيقتها، تأليف : محمود شاكر، الناشر : المكتب الإسلامي، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ .

٣١٦) كفارة المسيح ، تأليف : عوض سمعان ، الناشر : كنيسة قصر الدوبارة، جاردن سيتي، مصر، طبعة عام ٢٠٠٣ م .

٣١٧) كل الصلوات في الكتاب المقدّس، تأليف: هربرت لوكير، ترجمة: بهيج يوسف، الناشر : دار الثقافة المسيحيّة ، شبرا ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٩٦م .

٣١٨) كنائس المشرق ، تأليف الدكتور : عزّت زكي ، الناشر : دار الثقافة المسيحيّة ، شبرا ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٩١ م .

٣١٩) كنائس بغداد ودياراتها ، تأليف الدكتور الأب : بطرس حداد ، الناشر : شركة الديوان للطباعة ، بغداد ، طبعة عام ١٩٩٤ م .

٣٢٠) الكنائس العربيّة في السجل الكنسي العثماني (١٨٦٩ — ١٩٢٢م) ، جمع وترجمة وتحقيق : عبد الرحيم أبو حسين، صالح سعداوي، الناشر: المعهد الملكي للدراسات الدينيّة، عمّان، الأردن، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م .

٣٢١) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها (دنتسنغر ، بيتر هونرمان)، ترجمة : المطران يوحنّا منصور، النائب البطريركي للرّوم الكاثوليك ، والأب حنّا الفاخوري ، وحقق الترجمة الأب : عادل تيُودور خُوري ، الناشر : منشورات المكتبة البولسيّة ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠١ م .

٣٢٢) الكنيسة الكاثوليكيّة والإسلام، تأليف: الأب ميشال لولُوْن، ترجمة: فاطمة الجامعي الحبابي، وعادل بن محمد الحبابي ، الناشر : المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر ، بيروت ، والمعهد الملكي للدراسات الدينيّة ، الأردن ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، الأردن، الطبعة العربيّة الأولى ٢٠٠١م.

((ل))

٣٢٣) اللآلي النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة ، تأليف المتنيح القمص يوحنّا سلامة ، الناشر : مكتبة مار جرجس ، شبرا ، مصر ، طبعة عام ١٩٩٩م .
٣٢٤) اللاهوت المقارن ، تأليف التنيح الأنبا : غريغوريوس أسقف عام للدراسات العليا اللاهوتيّة والثقافة القبطيّة والبحث العلمي ، الناشر : مكتبة التنيح الأنبا : غريغوريوس ، دير الأنبا رويس بالعباسيّة ، مصر ، طبعة عام ٢٠٠٣ م .
٣٢٥) لماذا أسلم صديقي ، ورأي الفاتيكان في تحديات القرآن ، تأليف الدكتور : إبراهيم خليل ، الناشر : مكتبة التراث الإسلامي .
٣٢٦) لماذا نرفض المطهر ؟ تأليف : البابا شنوده الثالث ، الناشر : مطبعة الأنبا رويس الأوفست — الكاتدرائيّة — العبّاسيّة ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ٢٠٠٤ م .

((م))

٣٢٧) المؤامرة على المرأة المسلمة (تاريخ ووثائق)، تأليف الدكتور: السيد أحمد فرج، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر ، المنصورة ، الطبعة الرابعة ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢م .
٣٢٨) مؤامرة الغرب على الإسلام والمسلمين اعتداء وتشويه ، تأليف: محمد عثمان عثمان، الناشر: دار المحبّة للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، طبعة عام ١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م .
٣٢٩) ما معنى أن يسوع المسيح هو ابن الله ؟، تأليف الدكتور : هاني رزق الله، الناشر : دار النشر الأسقفيّة ، مصر الجديدة .
٣٣٠) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ، الناشر : دار القلم ، دمشق ، دار البشير ، جدة ، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٣ م .
٣٣١) المجاهد المسلم كمشتكين بن دانشمند، تأليف الدكتور: علي محمد عودة الغامدي تقديم الشيخ الدكتور : سفر بن عبد الرحمن الحوالي ، الناشر : مكتبة الصديق، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٣٣٢) محاربة الإسلام من داخله ، تأليف الدكتورة : سارة بنت عبد المحسن بن جلوي آل سعود ، الناشر : مركز البحوث والدراسات الإسلاميّة للأمير عبد المحسن بن جلوي ، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م .
٣٣٣) محاضرات في النصرانيّة ، تأليف فضيلة الشيخ : محمد أبو زهرة ، الناشر : الرئاسة العامة لإدارت البحوث العلميّة والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، الطبعة الرابعة ١٤٠٤ هـ .
٣٣٤) محاكم التفتيش في إيطاليا، تأليف الدكتور : رمسيس عوض، الناشر : دار الهلال، القاهرة .
٣٣٥) محاور الالتقاء ، ومحاور الافتراق بين المسيحيّة والإسلام، تأليف: غسّان سليم سالم، الناشر: دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م .

٣٣٦) المحيط الجامع في الكتاب المقدّس، تأليف الدكتور: الخوري بُولس الفغالي، الناشر: المكتبة البولسيّة ، جونيه ، لبنان ، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ م .

٣٣٧) المختار في الرد على النصارى ، تأليف : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق ودراسة الدكتور : محمد عبد الله الشرقاوي ، الناشر : دار الجيل بيروت ، مكتبة الزهراء في محيط جامعة القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ، ١٩٩١م .

٣٣٨) مختصر تاريخ الكنيسة ، تأليف أندرو ملر ، الناشر : مكتبة الأخوّة ، شبرا ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ٢٠٠٣ م .

٣٣٩) مختصر كتاب إظهار الحق ، للعلاّمة الشيخ : رحمت الله بن خليل الرحمن الهندي ، اختصار وتدقيق محقق الكتاب الدكتور : محمد أحمد عبد القادر ملكاوي ، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلميّة والإفتاء والدعوة والإرشاد ، طبع ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م .

٣٤٠) المخططات الاستعماريّة لمكافحة الإسلام، تأليف: محمد محمود الصوّاف، الناشر : دار الاعتصام ، القاهرة ، دار الإصلاح ، الدمام .

٣٤١) مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي ، تأليف : الحدّاد ، الناشر : المكتبة البولسيّة المسيحيّة ، الطبعة الثانية ١٩٨٦ م .

٣٤٢) مدخل إلى تاريخ حركة التنصير ، تأليف الدكتور : ممدوح حسين ، الناشر : دار عمّار ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ، ١٩٩٥ م .

٣٤٣) مدخل إلى تاريخ الكنيسة ، إعداد : القمص : مرقس البرموسي ، أمير نصر ، زكريا عبد السيّد، تقديم الأنبا: موسى، الأسقف العام، الناشر: مكتبة أسقفيّة الشباب، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

٣٤٤) المدنية الإسلاميّة وأثرها على الحضارة الأوربيّة ، تأليف الدكتور : سعيد عبد الفتاح عاشور ، مكتبة الأنجلو المصريّة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٨٢م ، طبعة جديدة ومنقحة ٢٠٠٤ .

٣٤٥) مذاهب فكريّة معاصرة ، تأليف الشيخ : محمد قطب ، الناشر : دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م .

٣٤٦) المرأة في اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام ، تأليف : زكي علي السيد أبو غضة ، الناشر : دار الوفاء ، المنصورة ، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م .

٣٤٧) مراجعة الاستشراق ثنائيّة الذات / الآخر (نموذج يوغسلافيا) ، تأليف الدكتور : محمد م . الأرناؤوط ، الناشر : دار المدار الإسلامي ، الطبعة الأولى ٢٠٠٢ هـ .

٣٤٨) المرشد إلى الكتاب المقدّس ، تقديم الأب : جان كوربون ، الناشر : دار الكتاب المقدّس في الشرق الأوسط ، ومجلس كنائس الشرق الأوسط ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ٢٠٠ م .

٣٤٩) مريم العذراء في التاريخ والطقس والعقيدة ، تأليف القمص : سيداروس عبد المسيح، الناشر: مكتبة مار جرجس ، شبرا ، مصر ، طبعة عام ٢٠٠٤ م .

٣٥٠) مريم والمسيح عليهما السلام ، لفضيلة الشيخ محمد متولّي الشعراوي ، الناشر : مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م .

٣٥١) مسالة الله في التّاريخ (من الكتاب المقدّس إلى الظاهرة الدينيّة المعاصرة) ، تأليف الأب : فيكتور شلحُت ، إشراف النائب الرسولي للطائفة اللاّتينيّة بولس باسيم ، الناشر : دار المشرق ، والمكتبة المشرقيّة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م .

٣٥٢) مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والأوهام ، للداعية أحمد ديدات ، ترجمة : جمال نادر ، الناشر : دار الإسراء للنشر والتوزيع ، عمّان ، الأردن ، الطبعة الأولى ١٩٩٥ م .

٣٥٣) المستشرقون ، تأليف : نجيب العقيقي ، الناشر : دار المعارف ، القاهرة .

٣٥٤) مستشرقون (سياسيّون ، جامعيّون ، مجمعيّون) ، تأليف : نذير حمدان ، الناشر : مكتبة الصديق ، الطائف ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م .

٣٥٥) المستشرقون والتنصير ، تأليف الأستاذ الدكتور : علي بن إبراهيم الحمد النملة ، الناشر : مكتبة التوبة ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م .

٣٥٦) المستشرقون والقرآن ، تأليف الدكتور : إبراهيم عوض ، الناشر : دار القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٣ م .

٣٥٧) المستشرقون ومن تابعهم وموقفهم من ثبات الشريعة وشمولها (دراسةً و تطبيقاً) ، تأليف الدكتور: عابد بن محمد السفياني، الناشر: مكتبة المنارة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٩٠٨هـ ، ١٩٨٨ م .

٣٥٨) المستشرقون وتوجيه السياسة التعليميّة في العالم العربي ، مع دراسة تطبيقيّة على دول الخليج العربي ، تأليف : نايف بن ثنيّان بن محمد آل سعود ، الناشر : دار أميّة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ .

٣٥٩) المستشرقون والحديث النبوي ، تأليف الدكتور : محمد بهاء الدين ، الناشر : دار النفائس ، عمّان ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م .

٣٦٠) المستشرقون ونشر التراث، تأليف: علي بن إبراهيم النملة، الناشر: مكتبة التوبة، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م .

٣٦١) المسلمون في أمريكا ومعوقات التحالف مع اليمين المسيحي ، تأليف : دي جيسون بيرغرين ، الناشر : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميّة ، طبعة عام ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م .

٣٦٢) المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسيّة ، تأليف : عبد الله بن حمد الشبانة ، الناشر : دار طيبة ، الرياض ، طبعة عام ١٤١٩ هـ ، ١٩٨٩ م .

٣٦٣) المسيح إنسان أم إله، تأليف المستشار الدكتور: محمد مجدي مرجان، الناشر: مكتبة النافذة، القاهرة ، الطبعة الثانية ٢٠٠٤ م .

٣٦٤) المسيح بين المعرفة والجهل ، تأليف الدكتور : حليم حسب الله ، الناشر : لجنة خلاص النفوس للنشر ، شبرا ، مصر ، طبعة عام ١٩٩٩ م .

٣٦٥) المسيح عليه السلام في دين الإسلام ، تأليف عبد الملك علي الكليب ، الناشر : دار إيلاف الدوليّة للنشر والتوزيع ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ، ١٩٩٦ م .

٣٦٦) المسيح عند اليهود والنصارى والمسلمين وحقيقة الثالوث، تأليف الدكتور: عبد المنعم جبري، الناشر : الأوائل للنشر والتوزيع ، دمشق ، الطبعة الأولى ٢٠٠٥ م .

٣٦٧) المسيح في مصادر العقائد المسيحيّة، تأليف اللواء : أحمد عبد الوهاب، الناشر : مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م .

٣٦٨) المسيح والتثليث، تأليف الدكتور : محمد وصفي، تقديم : محمد عبد الله السمّان، الناشر : دار الفضيلة ، القاهرة ، طبعة عام ٢٠٠٣ م .

٣٦٩) المسيح والسياسة ، تأليف جون يودر ، ترجمة : بهيج يوسف ، الناشر: دار الثقافة المسيحيّة، القاهرة

٣٧٠) المسيحيّ والطلاق ، تأليف الأب : كميل حشيمه اليسوعيّ، الناشر: دار المشرق، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٢ م .

٣٧١) المسيحيّة، تأليف الدكتور : أحمد شلبي، الناشر : مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، الطبعة التاسعة ١٩٩٠ م .

٣٧٢) المسيحيّة الأصليّة ، تأليف : جان ستوت ، تعريب القس : ريد زخاري ، الناشر : دار منشورات النفير ، بيروت ، الطبعة الرابع ١٩٩٥ م .

٣٧٣) مسيحيّة بلا مسيح ، تأليف الدكتور : كامل سعفان ، الناشر : دار الفضيلة .

٣٧٤) المسيحيّة بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها ، تأليف الدكتور : عبد المنعم فؤاد ، الناشر : مكتبة العبيكان ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م .

٣٧٥) المسيحيّة الحقة كما جاء بها المسيح ، تأليف : علاء أبوبكر، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م .

٣٧٦) مسيحيّة ضد الإسلام حوار انتهى إلى الإخفاق، تأليف: لودفيغ هاغمَن، ترجمة: محمد جديد،

تقديم : رضوان السيّد ، التوزيع في العالم : شركة قَدْمُس للنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الثانية ٢٠٠٥ م .

٣٧٧) المسيحيّة العربيّة وتطوّراتها ، تأليف الدكتور : سلوى بالحاج صالح ـــ العايب ، الناشر : دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٨م .

٣٧٨) المسيحيّة في عقائدها (التعليم المسيحي الكاثوليكي)، نقله من الألمانيّة إلى العربيّة : المطران كيرلس سليم بسترس ، رئيس أساقفة بعلبك وتوابعها للروم الملكيين الكاثوليك ، الناشر : منشورات المكتبة البولسيّة ، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م .

٣٧٩) المسيحيّة نشأتها وتطورها ، تأليف البرفسور : شارل جينيبير ، ترجمة واختصار : الدكتور عبد الحليم محمود ، الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة .

٣٨٠) المسيحيّة (النصرانيّة) دراسة وتحليل ، تأليف الأستاذ : ساجد مير ، الناشر : دار السلام للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م .

٣٨١) المسيحيّة والإسلام والاستشراق، تأليف: محمد فاروق الزين، الناشر: دار الفكر، دمشق .

٣٨٢) مسيحيّون أم بولسيون ، تأليف الدكتور : محمد نادر عفيفي ، الناشر : دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ .

٣٨٣) المشائخ والاستعمار ، تأليف : حسني شيخ عثمان ، الناشر : دار طيبة ، مكة ، الرياض ، الطبعة الخامسة ١٤١٣ هـ .

٣٨٤) مشكلات الغزو الفكري في غرب أفريقيا ، تأليف : علي خسن كمارا ، تقديم : الأستاذ الدكتور : مصطفى منجود ، الناشر : دار النهار للطبع والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م .

٣٨٥) مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، تأليف الدكتور : سعيد عبد الفتاح عاشور ، الناشر : دار النهضة العربية ، بيروت .

٣٨٦) معجزات المسيح ، تأليف الدكتور القس : منيس عبد النور ، الناشر : الكنيسة الإنجيليّة بقصر الدوبارة ، جاردن سيتي ، مصر .

٣٨٧) معجم الأيمان المسيحي ، تأليف : الأب صُبحي حَمّوي اليسوعي ، أعاد النظر فيه من الناحية المسكوني الأب جان كُوربون ، الناشر : دار المشرق ، بيروت بالتعاون مع مجلس كنائس الشرق الأوسط .

٣٨٨) المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل في العالم منذ فجر التاريخ حتى العصر الحالي ، تعريب وتصنيف وتقديم الأستاذ الدكتور : سهيل زكّار ، الناشر : دار

الكتاب العربي ، دمشق ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م .
٣٨٩) معركة الأَرَك ، تأليف الدكتور : شوقي أبو خليل، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دمشق ، طبعة عام ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م .
٣٩٠) مفاتيح أورشليم القدس (حملتان صليبيتان على مصر) ١٢٠٠ ــ ١٢٥٠ م ، تأليف : ريمون ستانبلوي ، ترجمة : عايدة الباجوري ، مراجعة وتقديم : إسحاق عبيد ، الناشر : المجلس الأعلى للثقافة ، الجيزة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م .
٣٩١) مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقين للعلاّمة أبي الحسن علي الندوي ، إعداد : سيد عبد الماجد الغوري ، الناشر : دار ابن كثير ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م .
٣٩٢) مقالة قصيرة في العشاء المقدّس، تأليف: جون كالفن، ترجمة وتقديم: جورج صبرا، الناشر: دار الثقافة المسيحيّة ، القاهرة ، طبعة ٢٠٠٤ م .
٣٩٣) المقاومة الإسلاميّة للغزو الصليبي (عصر ولاة السلاجقة في الموصل) ، تأليف الدكتور : عماد الدين خليل ، الناشر : مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م .
٣٩٤) الملائكة رسل الله المختفون، تأليف : بللي جراهام، تعريب : فؤاد زكي، الناشر : لجنة خلاص النفوس للنشر ، شبرا ، القاهرة ، طبعة عام ١٩٨٩ م .
٣٩٥) الملل والنّحل، للعلاّمة أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهر ستاني، تحقيق: عبد الأمير علي مهنا، علي حسن فاعور، الناشر : دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م .
٣٩٦) من أنت أيّها الكنيسة ؟ تأليف : الأب فاضل سيداروس ، الناشر : دار المشرق المسيحيّة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٩٦ م .
٣٩٧) مناظرة بين الإسلام والنصرانيّة ، الناشر : الرئاسة العامة لإدارت البحوث العلميّة والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، طبعة عام ١٤٠٧ هـ .
٣٩٨) مناهج البحث في الإسلاميّات لدى المستشرقين وعلماء الغرب ، تأليف: محمد البشير مغلي، الناشر : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميّة، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠٢م.
٣٩٩) منحة القريب المجيب في الرد على عُبّاد الصليب ، تأليف : الشيخ عبد العزيز بن حمد بن ناصر بن معمر ، تحقيق الدكتور : محمد بن عبد الله بن حمد السكاكر ، الناشر : الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربيّة السعوديّة ، طبعة عام ١٤١٩ هـ، ١٩٩٩م .
٤٠٠) منهجيّة جمع السنة ، وجمع الأناجيل (دراسة مقارنة) ، تأليف الدكتورة : عزّية علي طه ، الطبعة الثانية ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م .

٤٠١) مواجهة الغزو الفكري ضرورة إسلاميّة، تأليف الدكتور: أحمد عبد الرحيم السايح، الناشر: مركز الكتاب للنشر ، مصر الجديدة ، القاهرة .

٤٠٢) موجز تاريخ المسيحيّة ، تأليف الأنبا : ديوسقورس ، أستاذ التاريخ بالاكليريكيّة وأسقف المنوفيّة ، إعداد ومراجعة دياكون الدكتور ميخائيل مكسى إسكندر ، الناشر : مكتبة المحبّة ، طبعة عام ٢٠٠٣ م .

٤٠٣) موسوعة الأديان في العالم ، جزء (الكنائس الشرقية) ، إشراف : جميل مدبك ، طبعة عام ٢٠٠٠ م .

٤٠٤) موسوعة الأديان في العالم ، جزء (المارونيّة)، إشراف : جميل مدبك، طبعة عام ٢٠٠٠ م .

٤٠٥) موسوعة الأديان في العالم ، جزء (المسيحيّة) ، إشراف : جميل مدبك، طبعة عام ٢٠٠٠ م .

٤٠٦) موسوعة الأديان والمذاهب ، تأليف العميد : عبد الرزاق محمد أسود ، الناشر : الدار العربيّة للموسوعات ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م .

٤٠٧) موسوعة التاريخ الإسلامي ، الجزء الثامن ، تأليف الدكتور : أحمد شلبي ، الناشر : مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٩٩٦ م .

٤٠٨) موسوعة التاريخ الإسلامي ، الجزء الخامس (عن الحروب الصليبيّة ، والجولة العثمانيّة) ، تأليف الدكتور : أحمد شلبي ، الناشر : مكتبة النهضة المصريّة ، القاهرة ، الطبعة التاسعة ١٩٩٩ م .

٤٠٩) موسوعة تاريخ الحروب الصليبيّة ، تأليف الدكتور : مفيد الزيدي ، الناشر : دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م .

٤١٠) موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، تأليف الدكتور : مفيد الزيدي، الناشر: دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمّان ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م .

٤١١) موسوعة تاريخ العالم ، إصدار : وليام لانجر ، أشرف على الترجمة الدكتور محمد مصطفى زيادة ، الناشر : مكتبة النهضة المصريّة ، القاهرة .

٤١٢) موسوعة التاريخ العربي المعاصر والحديث، تأليف الدكتور: مفيد الزيدي، الناشر: دار أسامة، عمّان ، الأردن ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م .

٤١٣) موسوعة السياسة ، إشراف الدكتور : عبد الوهاب الكيالي ، الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٤ م .

٤١٤) الموسوعة العربية العالميّة ، الناشر : مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، الرياض ، إشراف السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود .

٤١٥) الموسوعة العربية الميسّرة ، إشراف : محمد شفيق غِربال ، الناشر : دار الجيل ، والجمعيّة

المصريّة لنشر المعرفة والثقافة العالميّة، مصر، طبعة عام ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م .

٤١٦) موسوعة المستشرقين ، تأليف الدكتور : عبد الرحمن بدوي ، الناشر : المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الرابعة ٢٠٠٣ م .

٤١٧) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إشراف وتخطيط ومراجعة الدكتور : مانع بن حمّاد الجهني ، الناشر: دار الندوة العالميّة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٤٢٠ هـ .

٤١٨) موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد، تأليف: محمد السماك، الناشر : دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م .

٤١٩) موقف ابن تيميّة من النصرانيّة ، تأليف الدكتورة : مريم عبد الرحمن الزامل ، الناشر: معهد البحوث العلميّة وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، طبعة عام ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م .

٤٢٠) موقف الغرب من الإسلام (محاصرة وإبادة)، تأليف الأستاذة الدكتورة: زينب عبد العزيز، الناشر : دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م .

٤٢١) موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام وإبطال شبهاتهم حوله ، تأليف الدكتور : ساره بنت حامد بن محمد العبادي ، الناشر : مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م .

٤٢٢) الميزان في مقارنة الأديان (حقائق ووثائق) ، تأليف المستشار : محمد عزت الطهطاوي ، الناشر : دار القلم ، دمشق ، الدار الشاميّة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣ م .

٤٢٣) ميلاد العصور الوسطى ، تأليف : هـ . سانت موس ، ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد ، مراجعة الدكتور : السيد الباز العريني ، الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، طبعة عام ١٩٩٨ م .

((ن))

٤٢٤) نابليون والإسلام (من الوثائق العربية والفرنسيّة)، تأليف : كريستيان تشير فيلز، تعريب الدكتور : زين نجاتي ، الناشر : مكتبة الشروق الدوليّة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠٢ م .

٤٢٥) نبلاء ودراويش (تاريخ الحروب الصليبيّة ١٠٩٥ ـ ١٢٩١م)، تأليف الدكتور : إسماعيل نوري الربيعي، الناشر : الأهلية للنشر والتوزيع، الطبعة العربية الأولى ٢٠٠٣م.

٤٢٦) النبوّة والأنبياء في اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام، تأليف اللواء: أحمد عبد الوهاب، الناشر : مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهوريّة ـ عابدين ، القاهرة ، الطبعة الثانيّة ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م .

٤٢٧) النصارى في الشرق ، تأليف : بيرو روندو ، الناشر : منشورات دار المكشوف ، الطبعة الأولى كانون ١٩٤٧ م .
٤٢٨) النصرانيّة في الميزان ، تأليف المستشار : محمد عزّت الطهطاوي ، الناشر : دار القلم دمشق ، الدار الشاميّة بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ، ١٩٩٥م .
٤٢٩) النصرانيّة في ميزان العقل والإسلام، تأليف : محمد سليم القاضلي، مراجعة وتحقيق : نبيل حامد خضر ، الناشر : دار الكتاب الثقافي ، الطبعة ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م .
٤٣٠) النصرانيّة من التوحيد إلى التثليث ، تأليف : الدكتور محمد أحمد الحاج ، الناشر : دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م .
٤٣١) النصرانيّة والتنصير ، أم المسيحيّة والتبشير ، دراسة مقارنة حول المصطلحات والدلالات ، تأليف الدكتور : محمد عثمان صالح ، الناشر : مكتبة ابن القيم ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م .
٤٣٢) نصوص من أدب الحروب الصليبيّة، تأليف الدكتور : عمر عبد الرحمن الساريسي، الناشر : دار المنارة ، جدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م .
٤٣٣) نظام الأسرة بين المسيحيّة والإسلام (دراسة مقارنة) ، تأليف الدكتور : محمود عبد السميع شعلان ، الناشر : دار العلوم للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م .
٤٣٤) نظرات في إنجيل برنابا المبشّر بنبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلّم، تأليف: محمد علي قطب، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة .
٤٣٥) نقد الخطاب الاستشراقي (الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلاميّة)، تأليف الدكتور : ساسي سالم الحاج، الناشر: دار المدى الإسلامي، طرابلس، ليبيا، الطبعة الأولى٢٠٠٢م.
٤٣٦) نقض دعوى عالمية النصرانيّة ، تأليف الدكتور : فرج الله عبد الباري ، الناشر : دار الآفاق العربيّة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م .

((هـ))

٤٣٧) الهجمة الصليبيّة على البلاد الإسلاميّة ، تأليف الدكتور : محمد ناصر الشثري ، الناشر : دار الحبيب ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م .
٤٣٨) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، للعلاّمة أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزيّة ، تحقيق ودراسة الدكتور: محمد أحمد الحاج، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦ م .
٤٣٩) هدم الإسلام بالمصطلحات المستوردة (الحداثة والأصولية) ، تأليف الأستاذة الدكتوراة :

زينب عبد العزيز ، الناشر : دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ودمشق ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م .

٤٤٠) الهرطقة في الغرب ، تأليف الدكتور : رمسيس عوض ، الناشر سينا للنشر ، ومؤسسة الأنتشار العربي بيروت .

٤٤١) هل المسيح هو الله ، المسيح في الإنجيل بشر ، تأليف الدكتور : ممدوح جاد ، الناشر : مهندس أسامة نصر .

٤٤٢) هل المسيح هو الله ؟ أم ابن الله ؟ أم هو بشر ؟ تأليف القس : عبد المسيح بسيط أبو الخير كاهن كنيسة السيدة العذراء الأثرية بمسطرد ، الناشر : مطبعة المصريين .

٤٤٣) هل انتشر الإسلام بالسيف ، تأليف الدكتور : عبد الودود شلبي ، الناشر : مركز الراية للنشر والإعلام ، الطبعة الثانية ٢٠٠ م .

((و))

٤٤٤) واقع العالم الإسلامي بين تغريب التعليم وكشف تخريب المتآمرين، تأليف : سعيد عبد الحكيم زيد، الناشر : مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م .

٤٤٥) واقعنا المعاصر ، تأليف الشيخ : محمد قطب ، الناشر : مؤسسة المدينة للصحافة ، جدة ، الطبعة الثالثة ١٤١١ هـ ، ١٩٩٠ م .

٤٤٦) واقعنا المعاصر والغزو الفكري ، تأليف الدكتور : صالح الرقب ، الناشر : مكتبة الطالب الجامعي ، الجامعة الإسلاميّة في غزة ، وفي خان يونس ، الطبعة السادسة ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م .

٤٤٧) وجاء الدور على الإسلام ، تأليف : رضا محمد العراقي ، الناشر : دار طويق ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ .

٤٤٨) الوجود المسيحي في القدس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ، تأليف الدكتور : رؤوف سعد أبو جابر ، الناشر : مركز دراسات الوحدة العربيّة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤ م .

٤٤٩) وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة ونقض مزاعم المستشرقين ، تأليف الأستاذ الدكتور : حسن ضياء الدين عتر ، الناشر : دار المكتبي ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م .

٤٥٠) الوحي والملائكة في اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام ، تأليف اللواء: أحمد عبد الوهاب، الناشر: مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م .

((ي))

٤٥١) يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء (دراسة مقارن للمسيحيّة) ، تأليف الدكتور : رؤوف

شلبي ، الناشر : دار ثابت للنشر والتوزيع ، القاهرة ، طبعة عام ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م .

٤٥٢) اليقظة الإسلاميّة في مواجهة الاستعمار ، تأليف : أنور الجندي ، الناشر : دار الاعتصام ، القاهرة .

٤٥٣) اليوم الآخر بين اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام ، تأليف الدكتور : فرج الله عبد الباري أبو عطا الله، الناشر: دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م .

فهرس الموضوعات

الموضوع **رقم الصفحة**

المقدمة : ٣

أسباب اختيار الموضوع ٥

خطة البحث ٨

شكر وتقدير ٩

التمهيد ١١

الديانة النصرانية من المسيح عيسى عليه السلام إلى الإمبراطور قسطنطين الأول ١١

عيسى عليه السلام ، ودعوته ١١

من بداية الانحراف إلى ترسيخه ، ودور بولس اليهودي ، والإمبراطور قسطنطين في هذا الانحراف ١٩

القسم الأوّل : الدعوة إلى النصرانيّة ، وبداية الانحراف ١٩

بولس وتحريفه دين عيسى عليه السلام ٢٩

القسم الثاني : الاضطهادات الرومانيّة ٣٧

أسانيد أناجيل النصارى ورسائلهم ٤٤

القسم الثالث : العصر الذهبي للنصارى ، وترسيخ الانحراف في دينهم ٤٧

الإمبراطور قسطنطين ودوره في الاستتباب السياسي ، والانحراف الديني ٤٧

الحكومة الرباعية الأولى ٤٨

الحكومة الرباعية الثانية ٤٩
قسطنطين ورمز النصرانيّة ٥٢
مرسوم البراءة والحريّة في ميلان سنة ٣١٣ م ٥٣
قسطنطين وبداية ترسيخ الانحراف في مجمع نيقيّة الأوّل ٥٧
الباب الأوّل : الطائفة الكاثوليكيّة والبابويّة تعريفاً وتاريخاً ٦١
الفصل الأول : التعريف بالطائفة الكاثوليكيّة والبابوية ٦٢
المبحث الأول : التعريف بالطائفة الكاثوليكيّة ٦٢
الكنيسة الكاثوليكيّة ودعوة نسبتها إلى بطرس ٦٥
المبحث الثاني : التعريف بالبابويّة ٧٢
طريقة انتخاب البابا ٧٢
التعريف بدولة الفاتيكان ٧٥
الفصل الثاني : البابويّة عبر التاريخ ٧٨
أسباب علوّ شأن البابويّة ٧٨
أمثلة لمواقف بعض البابوات الذين نادوا بالجمع بين السلطتين الدينيّة والدنيويّة ٨٧
أسباب ضعف مكانة البابويّة ١٠١
الانشقاق الديني العظيم داخل البابويّة ١٠٤
الباب الثاني : أشهر الفرق والكنائس والمنظمات التابعة للطائفة الكاثوليكية ١١٨

المجموعة الأولى : الفرق والكنائس الكاثوليكيّة الغربية ١١٨

الفرقة البندكتيّة ١١٨

الفرقة الكلونيّة ١١٩

الفرقة اللودينيّة ١٢١

الفرقة السستريانيّة ، البرناردية ١٢١

الفرقة الفرنسيسكانيّة ١٢٣

الفرقة الدومنيكانيّة ١٢٤

بداية محاكم التفتيش الكاثوليكيّة ١٢٦

فرقة الجزوييت (اليسوعيّة) ١٢٧

الفرق الصليبيّة المحاربة ١٣٢

فرقة فرسان القدّيس يوحنّا (الأسبتاريّة) ١٣٢

فرقة فرسان الهيكل (الداويّة) ١٣٣

فرقة الفرسان التيوتونيون (الألمان) ١٣٦

الكنائس الكاثوليكيّة القوميّة المستقلّة ١٣٨

الكنيسة الفرنسيّة ١٣٨

الكنيسة الإنجليزيّة ١٤٠

الكنيسة الكاثوليكيّة الأمريكيّة ١٤٢

الكنائس الكاثوليكيّة القديمة ١٤٢
المنظمات العمل الكاثوليكي ١٤٣
منظمة Integrism الأسباني ١٤٣
المنظمة الطقوسيّة ١٤٤
منظمة الأبوس دبي ١٤٤
المجموعة الثانية : الفرق والكنائس الكاثوليكيّة الشرقيّة ١٤٧
الكنيسة الكاثوليكيّة الكلدانيّة ١٤٧
الكنيسة السريانيّة الكاثوليكيّة ١٥٤
الكنيسة الكاثوليكيّة الأرمينية ١٦٠
طائفة الروم الملكيّة (الملكانيّة) الكاثوليكيّة ١٦٧
طائفة الأقباط الكاثوليك ١٨٠
الطائفة اللاّتينيّة الأورشليميّة ١٨٦
الكنيسة الأثيوبيّة الكاثوليكيّة ١٩١
الطائفة المارونيّة ١٩٣
الباب الثالث : عقائد الطائفة الكاثوليكيّة ٢٠٤
الفصل الأوّل : العقائد الأساسيّة الكبرى للطائفة الكبرى ٢٠٥
المبحث الأوّل : عقيدة الخطيئة الأصليّة ، أو ((الجدّيّة)) الموروثة ٢٠٦

المبحث الثاني : عقيدة ألوهيّة المسيح عيسى عليه السلام ٢١٦

طبيعة ربّ النصارى الكاثوليك ٢١٩

خلاف النصارى في مسألة طبيعة ربّهم يسوع المسيح ٢٢٧

المبحث الثالث : عقيدة التثليث ٢٣٠

انشقاق الكنائس الخلقدونيّة (الكاثوليكيّة الرومانيّة ، والأرثوذكسيّة الرومانيّة البيزنطيّة) في مسألة انبثاق أقنوم الروح القدس ٢٣٧

المبحث الرابع : عقيدتا الصلب والفداء ٢٣٩

المبحث الخامس : عقيدة قيامة المسيح ، وصعوده إلى السماء ، وجلوسه على يمين الرب أبيه ٢٤٧

الفصل الثاني : أسرار الكنيسة السبعة ٢٥٥

المبحث الأول : سرّ المعموديّة ٢٦٢

معموديّة الأطفال ٢٦٩

المبحث الثاني : سرّ التثبيت (المسحة بالميرون) ٢٧٣

المبحث الثالث : سرّ الإفخارستيا ٢٧٩

المبحث الرابع : سرّ التوبة (الاعتراف) ٢٩٢

المبحث الخامس : سرّ مسحة المرضى ٣٠٢

المبحث السادس : سرّ الكهنوت ٣١٠

المبحث السابع : سرّ الزواج ٣١٩

تعدّد الزوجات عند الكنيسة الكاثوليكيّة ٣٢٢

منع الطلاق في الكنيسة الكاثوليكيّة ٣٢٣

الفصل الثالث : عقائد أخرى للطائفة الكاثوليكيّة ٣٢٥

عقيدة الكنيسة الكاثوليكيّة في مريم البتول ٣٢٥

عقيدة أن مريم والدة الإله ٣٢٥

عقيدة بتوليّة مريم الدائمة ٣٢٦

عقيدة الحبل بلا دنس ٣٢٧

عقيدة انتقال مريم بجسدها إلى السماء ٣٢٩

عقيدة المطهر ٣٣١

خلاف النصارى في عقيدة المطهر ٣٣٤

عصمة البابا ٣٣٦

صكوك الغفران ٣٤٣

احتجاج طائفة من نصارى الغرب (وهم البروتستانت) على عقيدة عصمة البابا
وما تعلّق بها إصدار صكوك الغفران ٣٤٥

تقديس الصور والتماثيل (الإيقونات) ٣٤٨

خلاف النصارى في مسالة تقديس الأيقونات ٣٤٩

الباب الرابع : أثر الطائفة الكاثوليكيّة على العالم الإسلامي ٣٥٥

الفصل الأوّل : الحروب الصليبيّة قديماً وحديثاً ٣٥٦

الحملة الصليبيّة الأولى ٣٦٠
الحملة الصليبيّة الثانية ٣٦٩
الحملة الصليبيّة الثالثة ٣٧٩
معركة الأرك ٣٨٢
الحملة الصليبيّة الرابعة ٣٨٦
حملة الأطفال ٣٩٠
الحملة الصليبيّة الخامسة ٣٩٣
الحملة الصليبيّة السادسة ٣٩٧
الحملة الصليبيّة السابعة ٤٠١
الحملة الصليبيّة الثامنة ٤٠٩
سقوط غرناطة ٤١٦
محاكم التفتيش الكاثوليكيّة ضد المسلمين في الأندلس ٤١٧
خطورة سقوط الخلافة العثمانيّة الإسلاميّة ٤٢٤
الكشوفات الجغرافيّة البحريّة الكاثوليكيّة ٤٣٠
الحروب الصليبيّة الحديثة (الاستعمار) ٤٤٠
الفصل الثاني : الغزو الفكري ٤٤٧
الغزو الفكري ، تعريفه ، وخطورته ٤٤٨

المبحث الأوّل : الاستشراق ٤٥٣
مفهوم الاستشراق ٤٥٣
نشأة الاستشراق الكاثوليكي ومراحله ٤٥٦
المرحلة الأولى ٤٥٨
المرحلة الثانية ٤٦٥
المرحلة الثالثة ٤٧١
المرحلة الرابعة ٤٧٧
دوافع الاستشراق ٤٧٨
الدافع الديني ٤٨٠
الدافع السياسي والاستعماري ٤٩٩
الدافع العلمي ٥٠٤
منافذ الفكر الاستشراقي إلى العالم الإسلامي ٥٠٨
المبحث الثاني : التغريب ٥١٥
الفصل الثالث : التنصير ٥٣١
المبحث الأوّل : تعريف التنصير ، وأهدافه ٥٣٢
تعريف التنصير ٥٣٢
أهداف التنصير ٥٣٥

المبحث الثاني : الكنيسة الكاثوليكيّة والتنصير ٥٤٣
المطلب الأوّل : اهتمام الكنيسة الكاثوليكيّة بتنصير المسلمين ٥٤٣
محطات رئيسيّة ومهمة في اهتمام الطائفة الكاثوليكيّة بتنصير المسلمين ٥٤٥
التنصير والاستعمار (المصالح المشتركة) ٥٥٤
الكنيسة الكاثوليكيّة والإرساليات التنصيريّة ٥٦١
المطلب الثاني : وسائل الكنيسة الكاثوليكيّة التنصيريّة ٥٧٦
أولاً : المؤثّرات الفكريّة ٥٧٧
من خلال التعليم ٥٧٧
من خلال الإعلام ٥٨٩
ثانياً : الخدمات الطبيّة ٦٠٣
ثالثاً : المساعدات الإغاثيّة والإنسانيّة ٦٠٨
الخاتمة ٦١٥
الفهارس ٦٢٨